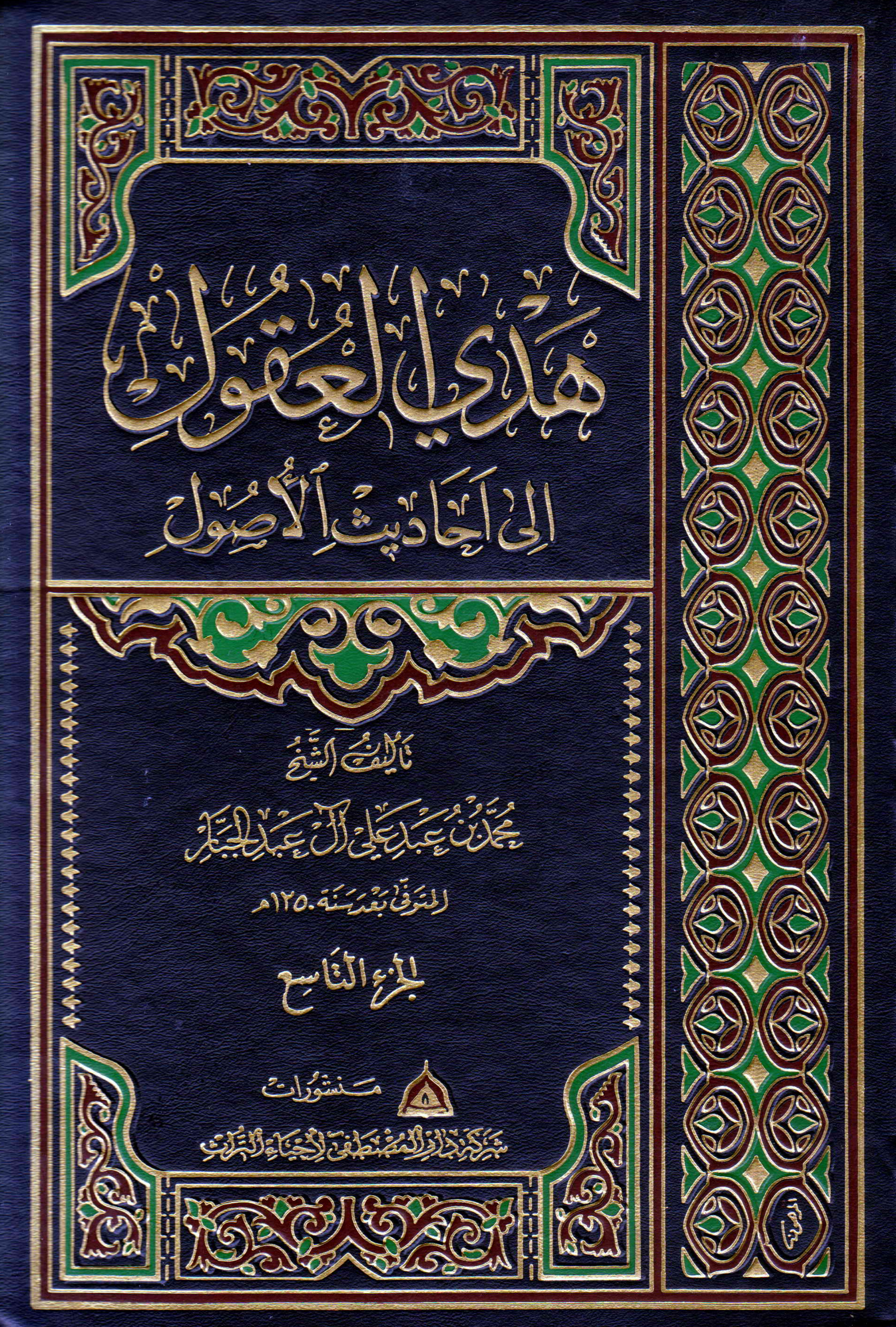

هدى العقول
الى احاديث الأصول
تأليف الشيخ
محمد بن عبد علي آل عبد الجبار
المتوفى بعد سنة ١٢٥٠م
الجزء التاسع
منشورات
شركة دار المصطفى لإحياء التراث



هدي العقول

الى احاديث الأصول

هدى العقول

الى احاديث الأصول

تأليف الشيخ

محمد بن عبد علي آل عبد الجبار

المتوفى بعد سنة ١٢٥٠ هـ

الجزء التاسع

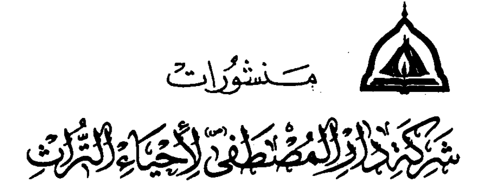
مشرف التحقيق

مصطفى الشيخ عبد الحميد آل مرهون

منشورات

شركة دار المصطفى لإحياء التراث

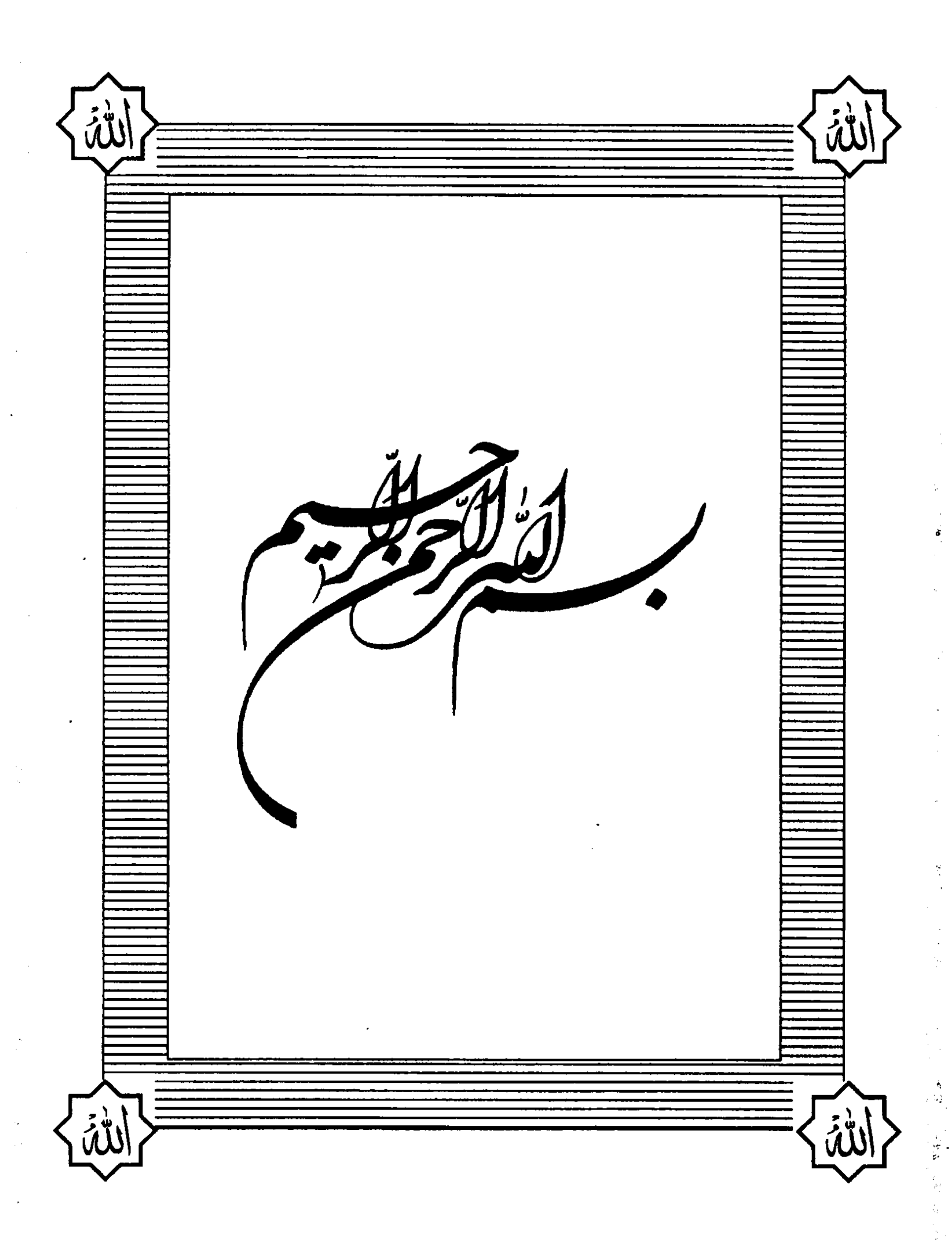
الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



لبنان - بيروت - ص.ب: ٢٤/١٩٧

يطلب من:

لبنان - بيروت - جادة السيد هادي - مفرق الرويس - بناية اللؤلؤة - ط١-
ص.ب: ٢٤/١٩٧ - برج البراجنة - بعبدا ٢٠٢٠ ١٠١٧ - هاتف: ٠٠٩٦١١٥٤٠٦٧٢
سوريا - دمشق - ص.ب: ٧٣٣ - السيدة زينب - تلفاكس: ٠٠٩٦٣١١ ٦٤٧٠١٢٤
إيران - قم - خ سمية - ١٦ مترى عباس آباد بلاك ٢٤ هاتف: ٧٧٣٨٨٦٥ - فاكس: ٧٧٣٨٨٥٥
البريد الإلكتروني: e-mail: hidayh@shuf.com


بسم الله الرحمن الرحيم

رموز التحقيق

[ ]: في حديث الأصل تعني: من المصدر.

| |: إضافة تقويم أو توضيح

[ ]: جملة أو كلمة غريبة تركت على وضعها

[........]: فراغ في الاصل

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

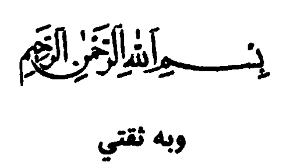
اللهم يا ذا النعم العظام والعطايا الجسام متقن الصنع بالاحكام ومدبره على
احسن نظام ثبتنا على ما هديتنا به من الحق الحقيق وسقيتنا من المشرب
الرحيق ونور قلوبنا بانوار حكمك وسكن افئدتنا بحسن قسمك واجعلنا
ممن اهتدى لما اختلف فيه من الحق باذنك بحق محمد موضع سرك واله
محل امرك ونهيك اركان الوجود ومن بهم اتساق الوجود وحيوة كل
موجود اصل الحيوة الحقيقية والانوار القدسية والتبيانات المحمدية
ومن بهم ختم دور الولاية فهم صفوة الاصفياء وخلاصة النجباء من بهم قامت
الارض والسماء صلى الله عليهم ما تجددت الشئون وسبح المسبحون وانفجر في الملكوت
وانعطف الجبروت وبعد فيقول محمد بن عبد علي بن محمد بن عبد الجبار هذا هو الجزء
الثالث عشر من هدى العقول الى احاديث الاصول وفقنا الله الى تمامه بحسن جوده
وانعامه ونتقرب اليه بمن جعله الوسيلة الى العباد والمرجع دنيا ويوم التناد
محمد وآله الامجاد باب الاشارة الى صاحب الزمان عليه السلام احاديث الباب سنده
ومضمونها قد تجاوز حد التواتر بحيث لحقت بابده البديهيات من الحسيات ولنقدم
مقدمات نافعة كما هو المجرى فيما سبق من الاجزاء اعلم ان الامام ابا محمد الحسن العسكري
عليه السلام ابا الامام الثاني عشر الهادي لهذا العصر والشاهد عليهم لم يخلف
الا الامام المهدي خاصة كما ذكره المفيد والطبرسي وغيرهم من علماء الفرقة الا ان
في كتاب الغيبة للصدوق على ما هو في حفظي حديثا دال على ان للامام العسكري
عليه السلام ابنا اخر اصغر من الامام عليه السلام والعمل على الاول ثم ان بعد موت
ابيه وقع اختلاف ورجع عن الاستقامة ممن قال بامامة ابائه حيث لم
يهتدوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق بل اتباع لكل ناعق كما يظهر لمن تتبع
نقل الفرق في السير والتواريخ ورواياتنا حتى ان بعضا لما طال عليه الامد

صورة من الصفحة الأولى من المخطوط

عليه السلام فوض اليهم كما فوض الى سليمان وكذا ما سبق من حكمهم كحكم آل داود وفي مثل
صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وامثال ذلك ان غيرهما اقوى
منهم في ذلك او مساو فانه مخالف لمتواتر النص والبرهان والكتاب ولا يجب ان يكون
المشبه به اقوى من المشبه كما بين في موضعه وان سلم اغلبيته كقوله تعالى مثل نوره
الاية بل المقصود انهم عليهم السلام مفوض لهم كما فوض لسليمان وتبقى لهم الزيادة فما لغيرهم
لهم وزيادة وليبان انه سنة الله الجارية ولن تجد لسنة الله تبديلا وتماما وكمالها
في دولتهم وبيان اوليائهم انهم كما حكموا به زمن داود وسليمان فانهم معتدما بالهم فهم نوابهم
فكذا هنا وبسط هذه المسئلة في رسالة مفردة في الصلوة على محمد وآله فتطلع الامر ليس مقصورا
على ظاهره ـ ولهم القدرة على تنوع المسئلة واظهار العلم في قوالب متعددة مع اطلاعهم على
العقول فيخاطب كلا بما يناسبه وبطيقه ملاحظين هاد ولاختلاف الازمان والاوقات
ومصالح كل فرد بحسب ـــــ ولحفظ تقية او ازالة ما فهم لهم وجب ان يختلف الجواب
منهم وعن احدهم عليهم السلام انا خالفت بينهم مجيبا به لمن سألهم عن اختلافهم فيه فقال
وجب لهم ايضا وان يعلموا ما تجنه النفوس وبجميع المواليد وقد سبق جميع ذلك
متفرقا منه هنا واما خلق الارواح قبل الابدان بالفي عام فسبق بيانه مع النص المصرح
به ولا سيما في تفسير اية التوسم بذلك وورد تفسيرها بحسب الظاهر بما يشمل التوسم
الظاهر في الكل اذ لكل باطن ظاهر ولهم عليهم السلام فضل نوري في الوجود وصفاته
ظاهر في فاضل طينتهم كل بحسبه وفي القرآن كثير ـــــ القرآن من بطونه بطن
الظاهر والباطن فتامل وغيره في انا طوينا الكلام في هذه الابواب السابقة في الاي
واحاديث الطينة وغيرها بسبب ضيق الوقت وعدم الفرصة فان امكنت في
جزء الايمان والكفر بسطنا الكلام عليها ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ـــ تم المجلد الثاني ... وسلم
ويتلوه ان شاء الله المجلد الثالث ...

[illegible]

صورة من الصفحة الأخيرة من المخطوط



وبه ثقتي

اللّهم يا ذا النعم العظام، والعطايا الجسام، متقن الصنع بالإحكام ومدبّره علىٰ أحسن نظام، ثبّتنا علىٰ ما هديتنا به من الحق الحقيق، وسقيتنا من المشرب الرحيق[1]، ونوّر قلوبنا بأنوار حكمك، وسكّن أفئدتنا بحسن قسمك، واجعلنا ممن اهتدىٰ لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، بحق محمد موضع سرّك، وآله محلّ أمرك ونهيك، أركان الوجود، ومن بهم اتساق الوجود وحياة كل موجود، أصل الحياة الحقيقية، والأنوار القدسية، والتبيانات المحمديّة، ومن بهم ختم دَور الولاية، فهم صفوة الأصفياء، وخلاصة النجباء، ومن بهم قامت الأرض والسماء، صلّىٰ الله عليهم ما تجددت الشؤون، وسبّحه المسبّحون، وانفجر فجر الملكوت، وانعطف الجبروت . وبعد:

فيقول محمد بن عبد علي بن محمد بن عبد الجبار: هذا هو المجلّد الثالث عشر[2] من «هدي العقول إلىٰ أحاديث الأُصول»، وأختصر في مواضع منه استعجالاً . وفّقنا الله إلىٰ إتمامه، بحسن جوده وإنعامه، ونتقرب إليه بمن جعله الوسيلة للعباد، والمرجع دنياً ويوم التناد، محمّدٍ وآله الأمجاد .

---

(١) الرحيق: الصافي. انظر: «لسان العرب» ج ٥، ص١٦٨، مادة «رحق».

(٢) وهو المجلد التاسع حسب ترتيبنا.

الباب السادس والسبعون

الإشارة والنص
إلى صاحب الدار عليه السلام



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب ستة، ومضمونها قد تجاوز حدّ التواتر، بحيث اُلحقت بأبده البديهيات من الحسيات.

ولنقدّم مقدّمات نافعة ـ كما هو المجرىٰ فيما سبق من الأجزاء ـ:

المقدمة الأولىٰ: أنّ الإمام العسكري لم يخلّف إلّا الإمام المهدي عليه السلام

اعلم أنّ الإمام أبا محمد الحسن العسكري عليه السلام ـ أبا الإمام الثاني عشر، الهادي لهذا العصر والشاهد عليهم ـ لم يخلّف إلا الإمام المهدي خاصة، كما ذكره المفيد[1] والطبري[2] وغيرهم[3] من علماء الفرقة، إلّا إنّ في كتاب الغيبة للصدوق[4] ـ علىٰ ماهو في حفظي ـ حديثاً دالاً علىٰ أن للإمام العسكري عليه السلام ابناً آخر أصغر من الإمام عليه السلام ـ والعمل علىٰ الأول ـ ولا قائل به.

وفي تاريخ شيخ محمد أبو عزيز الخطّي[5]: «قيل: إنّ له ابناً» وهو ساقط لا عبرة به.

---

(١) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١١ / ٢، ص ٣٣٩.

(٢) «دلائل الإمامة» ص ٤٢٥.

(٣) «مناقب آل أبي طالب» ج ٤، ص ٤٥٥.

(٤) «كمال الدين» ص ٤٤٦، ح ١٩.

(٥) العالم الفاضل، المحدّث، الأديب الشاعر، الكامل، الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الله أبو عزيز الخطّي، من

ثمّ إنّ بعد موت أبيه وقع اختلاف، ورجع عن الاستقامة ممن قال بإمامة آبائه؛ حيث لم يهتدوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلىٰ ركن وثيق، بل أتباع لكلّ ناعق، كما يظهر لمن تتبع نقل الفرق في السير والتواريخ ورواياتنا، حتىٰ إن بعضاً لمّا طال عليه الأمد قسا قلبه ورجع، كما حكىٰ الله تعالىٰ عن حال بعض في كتابه[1] كذلك.

وسيأتيك في باب الغَيبة في حديث زرارة: ثم قال: (**يا زرارة، وهو المنتظر، وهو الذي يُشكّ في ولادته، منهم من يقول: مات أبوه بلا خلَف، ومنهم من يقول: حملٌ، ومنهم من يقول: إنه ولدَ قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر**)[2].

وفي حديث آخر مثله[3]، وفي إكمال الدين[4] مثله أيضاً، مع زيادة، علىٰ ما أظن.

وقال الشهرستاني في الملل والنحل: «وأما الذين قالوا بإمامة الحسن فافترقوا بعد موته إحدىٰ عشرة فرقة، وليست لهم ألقاب مشهورة، ولكننا نذكر أقوالهم:

الفرقة الأولىٰ: قالت: إنّ الحسن لم يمت، وهو القائم، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهراً؛ لأن الأرض لا تخلو من إمام، وقد ثبت عندنا أن القائم له غيبتان، وهذه إحداهما، وسيظهر ويُعرف، ثم يغيب غيبة أُخرىٰ.

الثانية: قالت: إنّ الحسن مات، ولكنه يحيىٰ، وهو القائم؛ لأنا رأينا أن معنىٰ القائم هو القيام بعد الموت، فنقطع بموت الحسن لا نشكّ فيه، ولا ولد له، فيجب أن يحيىٰ بعد الموت.

الثالثة: قالت: إنّ الحسن قد مات، وأوصىٰ إلىٰ جعفر أخيه، ورجعت الإمامة إلىٰ جعفر.

الرابعة: قالت: إنّ الحسن قد مات، والإمام جعفر، وإنّا كنا مخطئين في الائتمام به؛ إذ لم يكن إماماً، فلمّا مات ولا عقب له تبيّنا أن جعفراً كان محقّاً في دعواه، والحسن مبطلاً.

الخامسة: قالت: إنّ الحسن قد مات، وكنّا مخطئين في القول به، وإنّ الإمام كان محمد بن

☚ المعاصرين للعلّامة الشيخ حسين الماحوزي، ولعلّه من تلامذته. له كتاب الذخيرة في المحشر في مولد الحجة المنتظر، وكتاب مولد الأمير، ومولد الصدّيقة الزهراء، ومولد الحسن، ومولد الحسين عليهما السلام، وله كتب أُخرىٰ، انظر: «أنوار البدرين» ص٢٩٦، الرقم: ٨.

(١) «الحديد» الآية: ١٦.

(٢) «الكافي» ج١، ص٣٣٧، ح٥، وسيأتي في هذا المجلد، باب الغيبة، ح٥.

(٣) «الكافي» ج١، ص٣٤٢، ح٢٩، وسيأتي في هذا المجلد، باب الغيبة، ح٢٩.

(٤) «كمال الدين» ص٣٤٢، ح٢٤.

علي أخا الحسن وجعفر، ولمّا ظهر لنا فسق جعفر وإعلانه به، وعلمنا أنّ الحسن كان علىٰ مثل حاله إلّا أنه كان يتستر، عرفنا أنهما لم يكونا إمامين، فرجعنا إلىٰ محمد، ووجدنا أنّ له عقباً، وعرفنا أنه الإمام دون أخويه.

السادسة: قالت: إنّ الحسن كان له ابن، وليس الأمر علىٰ ما ذكروا أنه مات ولم يعقّب، بل وُلد له ولدٌ قبل وفاة أبيه بسنتين، فاستتر خوفاً من جعفر وغيره من الأعداء، واسمه محمد، وهو الإمام القائم الحجة المنتظر.

السابعة: قالت: إن له ابناً، ولكنه ولد بعد موت أبيه بثمانية أشهر، وقولُ من ادّعىٰ أنه مات وله ابن باطلٌ؛ لأن ذلك لو كان لم يخفَ، ولا يجوز مكابرة العيان.

الثامنة: قالت: صحّت وفاة الحسن، وصحّ أن لا ولد له، وبطل ما ادّعي من الحَبَل في سُرّية له، فثبت أنْ لا إمام بعد الحسن، وهو جائز في المعقولات رفع الله الحجة عن أهل الأرض لمعاصيهم، وهي فترة وزمان لا إمام فيه، والأرض اليوم بلا حجة، كما كانت الفترة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله.

التاسعة: قالت: إنّ الحسن قد مات، وصحّ موته، وقد اختلف الناس هذا الاختلاف، ولا ندري كيف هو، ولا نشكّ أنه وُلد له ابن، ولا ندري قبل موته أو بعد موته، إلّا أنا نعلم يقيناً أنّ الأرض لا تخلو من حجة، وهو الخلف الغائب، فنحن نتولاه ونتمسك باسمه حتىٰ يظهر بصورته.

العاشرة: قالت: نعلم أنّ الحسن قد مات، ولابد للناس من إمام، فلا تخلو الأرض من حجة، ولا ندري من ولده هو أو من ولد غيره.

الحادية عشرة: فرقة توقفت في هذا التخابط، وقالت: لا ندري ـ علىٰ القطع ـ حقيقةَ الحال، لكنّا نقطع في الرضا ونقول بإمامته، وفي كل موضع اختلفت الشيعة فيه فنحن من الواقفة في ذلك، إلىٰ أن يُظهر الله الحجة ويظهر بصورته، فلا يشكّ في إمامته من أبصره، ولا يحتاج إلىٰ معجزة وكرامة وبيّنة، بل معجزته اتّباع الناس بأسرهم إياه من غير منازعة ولا مدافعة».

ثم قال: «ومن العجب أنهم قالوا: إنّ الغيبة قد امتدت مائتين ونيفاً وخمسين سنة، وصاحبنا قال: إن خرج القائم وقد طعن في الأربعين فليس بصاحبكم، ولسنا ندري كيف تنقضي مائتان ونيف وخمسون سنة في أربعين سنة.

وإذا سئل القوم عن مدة الغيبة: كيف تُتصور؟ قالوا: أليس الخضر وإلياس عليهما السلام يعيشان في الدنيا من آلاف سنين، لا يحتاجان إلىٰ طعام وشراب، فلمَ لا يجوز ذلك في واحد من أهل البيت؟

قيل لهم: ومع اختلافكم هذا، كيف يصحّ لكم دعوىٰ الغيبة؟ ثم الخضر عليه السلام ليس مكلّفاً بضمان جماعة، والإمام عندكم ضامن مكلّف بالهداية والعدل، والجماعة مكلّفون بالاهتداء به والاستنان بسنّته، ومن لا يُرىٰ كيف يقتدىٰ به؟

فلهذا صارت الإمامية متمسكين بالعدلية في الأُصول، وبالمشبهة في الصفات، متحيرين تائهين، وبين الأخبارية منهم والكلامية سيف وتكفير، وكذلك بين التفضيلية والوعيدية قتال وتضليل، أعاذنا الله من الحيرة.

ومن العجب أنّ القائلين بإمامة المنتظر - مع هذا الاختلاف الذي بيّنت - لا يستحيون، فيدّعون فيه أحكام الإلهية، ويتأولون قوله تعالىٰ: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إلىٰ عالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ ﴾[١]، قالوا: هو الإمام المنتظر الذي يردّ إليه علم الساعة، ويدّعون فيه أنه لا يغيب عنّا، وسيخبرنا بأحوالنا حين يحاسب الخلق، إلىٰ تحكمات باردة»[٢] انتهىٰ.

وقد ذكر قبل ذلك من الفرق: «الاثنا عشرية: الذين قطعوا بموت الكاظم، وسُمّوا قطعية، ساقوا الإمامة بعده في أولاده، وقالوا: إنّ الإمام بعده ولده علي الرضا، ومشهده بطوس، ثم بعده محمد التقي، مشهده بمقابر قريش ببغداد، ثم بعده علي بن محمد التقي، ومشهده بقم، وبعده الحسن العسكري الزكي، وبعده ابنه محمد القائم المنتظر، الذي هو بسُرّ من رأىٰ، وهو الثاني عشر»[٣].

ثم ذكر فرقاً من الشيعة، ثم ما نقلناه عنه قبل.

وأقول: أما مذهبنا أيها الاثنا عشرية [فهو][٤] من هذه الفرق براء، فهم الفرقة المتمسكون بالعروة الوثقىٰ، لا اختلاف بينهم في شيء من الأُصول. والجواد عليه السلام مشهده

---

(١) «التوبة» الآية: ١٠٥.

(٢) «الملل والنحل» ج ١، ص ٢٠٠ - ٢٠٣، باختصارٍ ما، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «الملل والنحل» ج ١، ص ١٩٩، باختصارٍ ما، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) في الأصل: «فهي».

ببغداد مع جدّه الكاظم عليه السلام، تقصده كل سنة ألف ألف من العرب والعجم، وعلي الهادي مشهده بسُرّ من رأىٰ كذلك، لا بقم.

ومذهب الإمامية ـ كما هو ظاهر لمن تتبع كتبهم، ككتب الفضل وأضرابه، والشيخين[1]، والصدوق[2]، والمرتضىٰ[3]، وتلامذتهم[4]، والشهيدين، وابن إدريس، والعلّامة[5]، وهكذا مستمراً ـ أنّ الإمام يشترط فيه العصمة والأفضلية، والنص من النبي أو الإمام عن الله، وظهور المعاجز.

وكلّها حاصلة في الأول، وهو علي بن أبي طالب، ثم بعده ابنه الحسن كذلك، ثم الحسين، ثم علي، ثم محمد، ثم جعفر، ثم موسىٰ، ثم علي، ثم محمد، ثم علي، ثم الحسن، ثم الحجة الخلف المنتظر، سميّ النبي صلى الله عليه وآله، ولد قبل موت أبيه بخمس سنين أو ست، وعُرف وقُطع به عند الكل، وشوهد واهتدي به، وكذا في الغيبة الصغرىٰ، وقد يكون علىٰ نحوٍ في الغيبة الكبرىٰ، وهو المنتظر الآن، ومن به الهداية والبيان علىٰ أنحاء التبيان. وكل آية جرت في شأن الرسول ومَن بعده جارية فيه؛ لأنه من الأهل، ولجريان حكم القرآن، فإنه الخاتم إلىٰ انقضاء الزمان، ولقيام العلة فيه.

وليس عيسىٰ ويحيىٰ بأفضل منه، وقد أُوتوا الحكمة والعلم كسنّه وأصغر، وكذا سليمان أُوتي صغيراً، بل هو بذلك أحق وأولىٰ؛ فإنه خليفة الخاتم، والأفضل من الكل في جميع المكارم، ولئلا تنقطع الحجة، والبرهان والنقل علىٰ استحالته مدة التكليف.

وما شبّه به كل من خالفهم قد أزاحوه بعدة وجوه، عقلية ونقلية، والحق يعلو ولا يعلىٰ عليه؛ قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنيا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشهادُ ﴾[6].

وإذا انتضىٰ السلاح وبرز للكفاح يبين الشجاع من الجبان، ونكص الغبي والضال علىٰ عقبه، ﴿ فَلَمَّا تَرَاءىٰ الجَمْعانِ ﴾ الآية[7]، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بالحَقِّ عَلىٰ الباطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ الآية[8].

---

(١) «تلخيص الشافي» ج ١، ص ١٨١، ١٩٧، ٢٦٥؛ «أوائل المقالات» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ٤، ص ٦٥.

(٢) «الاعتقادات» للصدوق، ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ٥، ص ٩٦.

(٣) «الذخيرة» ص ٤٢٩.

(٤) «تقريب المعارف» ص ١١٦ وما بعدها.

(٥) «كشف المراد» ص ٣٦٤، ٣٦٦؛ «نهج الحق» ص ١٦٤، ١٦٨؛ «مناهج اليقين» ص ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٥٤.

(٦) «غافر» الآية: ٥١.

(٧) «الشعراء» الآية: ٦١.

(٨) «الأنبياء» الآية: ١٨.

وقد بيّنت الإمامية جميع ذلك في كتبهم، قديماً وحادثاً، وسيأتيك أيضاً متفرقاً. سلك الله بنا وإياكم سبيل هدايته، وجنّبنا طرق غوايته.

وأنت أيّها الناظر المنصف، الطالب للحق بالنصف، إذا حققت ـ كما سيأتي ـ عدم جواز انقطاع الحجة الكافية زمن التكليف، ووجوب كونها بالصفات التي مرّ بيانها عقلاً ونقلاً في الجزءين السابقين، وخلوّ ما سوىٰ الاثني عشر منها، وثبوت النقل المتواتر بمعجزاتهم، والنص عليهم كذلك، إلىٰ غير ذلك من القواعد الحِكمية، اتضح لديك بطلان الوقوف علىٰ الحسن، سواء قيل بغيبته أو موته؛ وإلّا فلا فائدة في إثبات الخلافة مطلقاً بعد النبي، بل ويترقىٰ الأمر إلىٰ إبطال ما سوىٰ نبيّ واحد، أو الخليفة غير الخلَف.

وسينصرح لك إثبات ابنه بشخصه زيادة، وإبطال الهَوَسات التي لا توجب إبطال الحجج ونفيها، وسيأتيك ذلك متفرقاً؛ لمسيس الحاجة له هاهنا، ولئلا يكون إحالة علىٰ غائب، فيبقىٰ إظهار الحق وإزاحة الشبه بعدُ بالقوة.

المقدمة الثانية: في وجوب إمام لكل عصر

مما انصرح بواضح البرهان المتواتر، واتضح كذلك من القرآن المحكم الظاهر، واشتهر من النص الذي عليه عمل الأكابر والأصاغر، [هو][1] وجوب وجود خليفة لله تعالىٰ مدىٰ الأعصار؛ لئلا تبطل حجة الله، ويكون للناس علىٰ الله حجة، بل يكون سبيله ظاهر المنار للطالب، منصرح المحجة.

فكل دليل يوجب وجود خليفة جامع مانع بعد الرسول بلا فصل، وعدم كفاية غيره عنه وسدّه مسدّه، من إجماع أو سنّة أو قرآن، جارٍ بعد موت الخليفة، وهكذا إلىٰ ما بعد الإمام الحادي عشر. فإن جاز الخلوّ والغَناء هنا فليجز فيمن قبله، وهكذا حتىٰ يصل الأمر لما بعد الرسول، وهذا يبطل أصل الاحتياج للإمامة، وهو باطل.

وأيضاً، كل دليل أثبت احتياج الناس للنبوة وعدم الغَناء عنها قائمٌ في الخليفة، فالتمييز بينهما كفر ظاهر، وإبطال للنبوة. وحينئذ يعود البحث مع من يلتزم ذلك إلىٰ إثبات الحاجة للنبوة، ومن راجع أدلتها في الجزء السابق ـ وكان ذا ذكاء ـ لا يخفىٰ عليه جريانها في الإمامة.

---

(١) في الأصل: «و».

وأيضاً، الفطرة الإنسانية هي أكمل الموجودات وأجمعها، معلنة بافتقارها إلىٰ العقل، كالحاكم لها المحصّل ليقينها وما يصلحها، التاركة لما يفسدها، وهي كذلك مدة وجودها، بحيث لو انسلخت عنه آناً ما كانت معرّضة للمكاره، وسقط منها التكليف. ولا يكون الحاكم فيها إلّا أفضل أجزائها، بل هو كلّها، فإذا كان حال كل فرد كذلك فلابد من كون الجميع أيضاً كذلك، بل هو أوجب وأحق.

وكذا بجهة مطابقة عالم [الآفاق][1] للأنفس، وأنّ ما في كلٍّ من الآيات في الآخر؛ لنص: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا ﴾ الآية[2]، وغيرها.

فوجب وجود حاكم هو أفضل الكل وأعلمه، مدة حياة العالم، يميّز لهم المصالح من غيرها، ويقيم النظام، فلو رُفع آناً سقط التكليف، واختل أمر العالم، بل يفنىٰ، فتدبّر.

وأيضاً، غير خفي أنّ وجود المعصوم مستمراً أصلح للعباد، في التكاليف وغيرها؛ فهو لطف، فوجب وجوده. أمّا التشكيك بأنه لا صلاحية أو لا نفع به، الىٰ مثل هذه النزغات الشيطانية، [فستسمع][3] دفعها في مقدمة مفردة إن شاء الله تعالىٰ.

وأيضاً، فطرة العالم ـ مذ عمّر الله الأرض بالإنسان ـ معمور؛ إمّا بنبي أو خليفته ـ وصيه ـ فلا يجوز انقطاعه نهايةً وقد قرب للقيامة، كيف وهذا وقت الخاتم والأفضل ؟!

وأيضاً، لا انقطاع للعقل الهيولاني وما بعده، حتىٰ يصل للفعلي والخروج من القوة إلىٰ الفعل، فلابد من مُخرج، فلابد من وجود القوة القدسية واستمرارها، وعلىٰ استمرارها إجماع الحكماء، فلابد من مظهر شخصي لها في كل وقت، هو ملاذ للنفوس وغوث لها.

وأيضاً، الشريعة مستمرة، ولابد من حافظ لها عن الزيادة والنقصان، وعن إبطال فرق الشيطان، لا جائز أن يكون العلماء؛ لتفرّقهم، واعتراف كل فرد بعدم الإحاطة بالقرآن وغيره، بل توقّف كلّ، ودعوىٰ كل تكفير الآخر، وغير ذلك من الوجوه. ولا الكتاب والسنّة؛ لافتراق الفرق معها، مع عدم جمعهما لجميع الأحكام، وكون ما يظهر للناظر بفهمه هو حكم الله يحتاج إلىٰ وجود مفيد له ومعلّم، وهو ينتهي ـ ولو بالآخرة ـ إلىٰ وجود معصوم مستمر، ومنه يتحصل دليل مستقل، وأكثرها ظنية، إن لم نقل: كلّها. وكيف يحفظان وهما سواد في بياض يحتاج إلىٰ محافظ ؟

---

(١) في الأصل: «الافاقي».

(٢) «فصّلت» الآية: ٥٣.

(٣) في الأصل: «وستسمع».

فإذن لابد من عالم بالقرآن كلّه، ظاهره وخافيه؛ إذ فيه كل شيء، مستمر وجوده مدة استمرار الشريعة، وهو الإمام المعصوم.

وأيضاً، جود الله ورحمته بخلقه فوق ما يدركه العقول بما لا يتناهىٰ، فلا انقطاع له. وغير خفي أنّ بعثة معصوم في كل وقت -إما بشريعة مبتدأة أو تابع- من كمال الجود، ومما يحكم بحسنه كل موجود، وعدمه نقص، ولا مانع لله وقاهر له، فلابد من استمراره.

وأيضاً، الشيء كلّما كان عدمه أنقص وقبحه أشد فوجوده أحسن وأوجب، وغير خفي أنّ زوال خليفة الله في أرضه وإبطال حججه فيه من القبح والنقائص ما لا يخفىٰ، بل لا أنقص منه وأقبح، وفي [وجوده نقائص][1] لا تتناهىٰ بالنسبة إلىٰ التكليف والشريعة، وجري السماوات، ولسكون الأرض، بل حتىٰ الطيور والوحوش وسائر الحيوانات. فوجب وجوده، وإلّا وقعت القبائح الموجبة لنقص النظام، بل عدم قيامه.

وأيضاً، كيف يتصور ذو عقل أنه يؤول الأمر بعد خاتم النبوات إلىٰ الجاهلية المحضة، كما هو اللازم من نفيه، ووقوع الفترة، ولا شريعة بعده؟ فهل أهل هذا الجيل يدخلون الجنة ولا عمل لهم؟ فقد تساووا مع العاملين، وكان تكليفهم عبثاً، مع عدم ظهور أنه لا عاصي فيهم، أو في النار؟ وعدم العدل فيه وظهور الحجة لهم ظاهر، أو بعض في الجنة وبعض في النار؟ ففيه زيادة الترجيح لا لمرجح.

والاكتفاء بالعلم لو كفىٰ لكفىٰ في الكل، مع أنه لا يقطع الحجة منه علىٰ الجانب العلي، وفي علمه [أنّ] العاصي منه، ولا انقلاب فيه، أو يبعث لهم نبياً بتكليف بعدُ في الآخرة، وليسوا من الأصناف السبعة. مع أنه لا فرق حينئذ، بل وقوعه دنياً أولىٰ وأحق، ولا قصور في جانب القدس، والتكليف لم يسقط عنه دنياً. فوجب قيام الحجة عليهم، بما تتضح به المحجة وتنقطع منهم الحجة، ولا تكون إلّا بإمام مبيّن؛ لئلا تبطل حجة الله.

وأيضاً، الممكن طريّ الوجود دائماً، بمعنىٰ أنه لا غنيً له عن المدد، فدائماً هو في الافتقار الاستمدادي، فيُمدّ فيستمدّ إلىٰ ما لا نهاية. ولا غنيً للممكن بعد وجوده عن علته، بل زمن الحدوث زمن الوجود، فهو مفتقر إلىٰ الواسطة، مبلّغ له في التشريع التكليفي والتكليف الوجودي. وهذا العالَم زمن الغيبة لامرية في افتقاره لذلك، وإلّا لبطل

---

(١) كذا في الأصل.

وجوده، فلابد له من واسطة له ومبلّغ في جميع مقاماته، بحسب الوجودين والمقامات الغيبية.

وأيضاً، علوّ حجة الله لا شبهة فيه، ولا يمكن الانقلاب؛ فإنه من الذاتيات الأُولية، ولا يجري فيه النسخ؛ لعدم اختلافه باختلاف الأوقات أو الأشخاص، وما بالذات لا يزول. وإذا قيل بخلوّ هذا الوقت عن إمام معصوم حافظ كافل لم تتم الحجة منه تعالىٰ علىٰ الكل، كيف وهي لا تعلو إلّا به؟ ولا يقال: منع مانع منها؛ فإنه لا يجري ولا يتصور.

نعم، يجري في الإمساك تارة عن بعضٍ التبليغُ بالنسبة لبعض، مع وجوب حصول ما يسدّ الرمق حينئذ للاضطرار، أو يمنع مانع من ظهوره الحسي، وهو أخص؛ إذ لا يمنع ذلك ويقطعه عن حفظه الوجودي والبيان التشريعي وغير ذلك، وهو ظاهر بديهة لمن عرف حاله وصفاته، فتدبّر.

وأيضاً، تواتر النص والبرهان العقلي علىٰ وجود قبضة الشمال، ودواعي كلٍّ ومظهر كلٍّ في هذا العالم موجود، لا جائز تقديم دولة الحق الصافي وتأخّر دولة الباطل كذلك؛ وإلّا كان أشرف، وخُتم بالباطل، فيكون له التقدم أولاً، ويكون خلق العقل من فاضل الجهل، وهو محال.

فتعيّن تقديم المظهر الجهلي وجنده دنياً، ولا جائز خلوص الوقت له، وإلّا كان ذاتياً، ووجوده وقوامه بالعقل، وإن كان ثانياً وبالعرض، فلابد من وجودِ مظهرِ ما بالذات، وما به وجودُ ما بالعرض حال وجوده، فيجب وجود معصوم شخصي مدة وجود دولة الباطل واستمراره، كقبل وبعد.

وأيضاً، القرآن موجود حساً مدىٰ الأزمان، ولا فائدة في إنزاله إلّا العمل به ومعرفته علىٰ سبيل العموم، وبحسب بطونه؛ وإلّا لزم فيه العبثية، وأن يكون له حافظ تام، ولا يكون إلّاالعالم به كذلك، وهذا محال في السنّة والعلماء، جملة وفرادىٰ، فتعيّن أن يكون معه شخص عالم به، وحافظ كذلك، إن غاب شخصه لا يغيب هداه وتسديده الغيبي عن الأقرب إليه من رعيته، فإنه الراعي الذي استرعاه الله خلقه، كآبائه.

وأيضاً، عدم وجود معصوم في هذا الوقت إمّا لاستغناء القابليات والعالم عنه، وليس كذلك، بل الحاجة له حينئذ أشد وأقوىٰ، من وجوه عديدة زائدة علىٰ ما مضىٰ، ولا كفاية بالكتاب والسنّة، بل هما مفتقران له، ولا قصور في القدرة، ولا مانع من وجوده وإن لم

يظهر عياناً، فنفيه أخص من وجوده، فالمقتضي لوجوده موجود، والمانع مفقود، فيجب وجوده وتأثيره وإن لم يكن ظاهراً بشخصه.

وأيضاً، المزج الوجودي في العالم موجود، ومظهر العقل والجهل، وكذا قوىٰ كلٍّ وجنوده، في المواد والأفعال والوقت، ولا جائز أن يكون بغير مظهر برزخي، مبيّن لسبيل الحق لطالبه، ومانع من انمحاق الحق وأهله، وإلّا لغلب الباطل وانمحق. ولا يلزم من ذلك ذهاب الباطل أصلاً، فإنه مقدّر بقدر، ومعلّق بوقت، بل نقول: منعه عن ذلك، لابد من مانع في مقام وجوده يمنعه إلىٰ أجل مسمّىً، ولا يكون العلماء ولا الكتاب أو السنّة، بل هي تفتقر لغيرها، ولظهور الخلاف فيها، فتعيّن أن يكون بوجود إمام ناطق أفضل من الكل وأجمع.

وأيضاً، كما أنه بحسب الفطرة الوجودية جعل في المواد قابلية الإقرار والمعرفة بحسب الذوات، واستنطقوا بحسب ذلك في مقامات غيبية، فأعلن بعض بالإجابة أو بالامتناع، علىٰ المراتب المختلفة، وكله بواسطة مبلّغ، فلا جائز خلوّ ظاهر ذلك والعمل والإقرار بمقتضىٰ ذلك بدون الواسطة، كيف وهذا متمم لذلك، ولا يتم ذلك بدون هذا؟!

فلابد من وجود إمام ناطق مدة التكليف الدنيوي؛ ليتمّ التكليف الأُولي، ويجري الظاهر علىٰ طبق الباطن، والشهادة علىٰ الغيب. فلو انقطع زمناً لم تجر المسببات علىٰ مقتضىٰ الأسباب، ولا الشهادة علىٰ الغيب، وحصل التفكيك الوجودي.

فلابد من مبلّغ وواسطة جامعة للكل في كل وقت، كما كانت كذلك بحسب التكليف الأُولي وعالم الذر، وإلّا لبطل الأصل، وبه يفسد الوجود طرّاً.

وأيضاً، كما افتقر الوجود في الظهور الأُولي إلىٰ واسطة بلطفه تعالىٰ، فهو سبب، والله سبب كل ذي سبب، ومسبب الأسباب من غير سبب، وقد أُوضح ذلك في مقرّه من الأخبار[1] وصحيح الاعتبار، فبأن يفتقر له في الوجود الدنيوي والقوس الرجوعي بطريق أولىٰ، لإجابة دعاء أو [تفريج][2] كرب، وهطل غيث، وما ماثل ذلك.

وأيضاً، الحاجة للإمام ليس مما يختلف فيه الأزمان، ولا شخص دون آخر؛ إذ ليس حسنه منوطاً بها، ولهذا كان وجوبه عقلياً. فإذا كان كذلك فلابد من نصبه دائماً.

---

(١) انظر: «الصحيفة السجادية الكاملة» ص ٥٩؛ «مهج الدعوات» ص ٦٤، نحوه.

(٢) في الأصل: «تصريح».

وبوجه آخر: ما بالذات لا يزول، والافتقار له من اللوازم الذاتية للوجود؛ لإعلان كل وقت بحسب المعاملات وتجدد الشبهات والأحكام، وغير ذلك مما يطول، فلا يجوز خلوّ وقت.

وأيضاً، كيف يجتمع وجوب التكليف وتحصيل الحكم ولا وجود للإمام المعصوم؟ بل اللازم حينئذ إمّا بقاء نظر الناظر والحكم الطالب له بالقوة، أو وقوع التكليف بالمحال، أو حصوله من رأي الناظر، وهو بعدُ بالقوة، فإن نسبته لذلك نسبة القابل، لا الفاعل الموجد.

وبوجه آخر: لا يجب المعلول بغير علة، والحكم المطلوب تحصيله للناظر لابد له من علة، وما يفكر فيه الناظر بالقوة هو كالمادة، وكذا ما ينضاف له، ولا يكفي رأي الناظر وحده للمنع من الركون إليه، عقلاً ونقلاً، فلابد من علة خارجية ليست من سلسلة غير المعصوم؛ لعدم منعه من الأدلة والموانع المانعة أولاً، فلابد من الانتهاء إلىٰ المعصوم ـ علىٰ نحو التقرير وغيره ـ وهو المطلوب.

وأيضاً، إذا جاز بل وقع خلوّ الزمان وقتاً في الجملة ـ فضلاً عن كونه جيلاً فأكثر ـ عن شخص معصوم، وتكون الشريعة متسعة قائمة، وكذا إزاحة العلل بالنسبة إلىٰ التكاليف وغيرها، فليجرِ في كل وقت، بل أكثر العامة علىٰ القول به في أكثر الأوقات، فيلزم صحة القول بالغَناء عن الخلافة أصلاً بعد كل نبي، ولا حاجة إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله إلّا إذا أُريد النسخ. ومعلوم بطلانه، علىٰ أنه لا قائل به أصلاً، إلىٰ غير هذه البراهين الظاهرة للفطن في صفات الوجود ونظامه، في نفسه والآفاق.

ويدل عليه من القرآن آي:

منها: قوله تعالىٰ: ﴿ إنّي جاعِلٌ في الأرضِ خَليفَةً ﴾[1].

فإنّ الله تعالىٰ لمّا أراد عمارة الأرض ببني آدم وتكليفهم أظهر ذلك للملائكة، وعبّر عنه بإرادته جعل خليفة في الأرض، وبيّنه أنه آدم. وعرّفنا بقوله: ﴿ إنّي جاعِلٌ ﴾ أنّ ذلك إليه لا لغيره، فهو مراد له ومقضي ومرضي محبوب، ولم يقيّده بغاية، فيكون إلىٰ يوم القيامة. ولمّا كانت أول العمارة كذلك فعمارتها به، فمدة عمارتها مستمر وجوده، بل هو عمارتها.

---

(١) «البقرة» الآية: ٣٠.

وهذه الآية مما تدل علىٰ عدم جريان الاختيار في نصب الإمام، وعرفت نصّ الله ورسوله علىٰ الأئمة، وكذا كل إمام، عن الرسول، عن الله.

والمراد بالخليفة ما يعمّ النبي والإمام المعصوم القائم مقامه، وإن خصّصت بالنبي إذن يجب وجوده دائماً، ولا يموت نبي إلّا وآخر سادّ مسدّه، لكنه ليس كذلك، فنقول: الإمام بحكمه، فيُرتكب حينئذ أقرب المجازات فيشمله؛ لأنه نائب عن النبي. فإذن لا ارتفاع للنبي وهدايته وإن رفع شخصه.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إذا جِئْنا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلاءِ شَهِيداً ﴾[1].

و ﴿ كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ عامّ، والناس ـ مدّة عمارة الأرض من البداية إلىٰ النهاية ـ أُممٌ، فلابد وأن يكون في كل أُمة شهيد عليهم. وبديهة أنّ الشاهد لا يكون إلّا مع المعاينة؛ حتىٰ تصح شهادته وتقبل، فوجب من ذلك أنّ إمام كل زمان مطّلع علىٰ أعمال أُمته علىٰ تفرّقهم، وهو كذلك عقلاً ونقلاً، ولسنا بصدد بيان هذه المسألة. والشاهد كذلك هو المعصوم الإمام، فلابد في كل وقت منه.

وأمّا ﴿ وَجِئْنا بِكَ ﴾ يا محمد ﴿ عَلىٰ هٰؤُلاءِ شَهِيداً ﴾؛ إمّا علىٰ الشهداء علىٰ الأُمم، أو علىٰ شهداء أُمته، وهم الاثنا عشر؛ إذ ما سواهم تحت لوائهم، أو يراد الأُمة مطلقاً. فإذن لابد من وجوده مستمراً، لكنه قد مات، فلابد ممن هو بحكمه كذلك وهو الإمام، له حكمه، وأدخله في شهادته.

وبيان وجه الدلالة من قوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ ﴾[2] ظاهر.

ومنها: ﴿ إنَّما أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ ﴾[3].

ولمّا كانت الهداية مذكورة تلوَ إنذاره ﷺ، وهو عامّ للكل وأفضل الكل، فلابد من أن يراد به أيضاً كذلك. ولإطلاق الهداية وذكرها في مقام النبوة وأنها لإنذارها، فتكون أكمل الهدايات وأعلاها وأجمعها، فصاحبها أفضل الكل وأعلمه. فإذن لابد وأن يكون في كل وقت هادٍ كذلك.

وفي حصره في الإنذار وتعدد المُهدي بعدُ نوع إشارة إلىٰ أنّ النبوة لا تتم إلّا بالإمامة،

---

(١) «النساء» الآية: ٤١. (٢) «الإسراء» الآية: ٧١.

(٣) «الرعد» الآية: ٧.

وهي مقام منها، فهدايته بها، وهو كذلك، فإن أفرادها أكثر، وكذا زمانها. وما يشكك به هنا بأنه لا هداية للإمام الثاني عشر ولا اهتداء به، وأنه لا طريق له، فسيتضح لك بطلانه في دفع التشكيكات.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ ﴾[١].

فوجب أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وآله شاهدٌ منه، فهو من بني هاشم، الأقرب إليه ـ ومنه أيضاً ـ معنىً، فهو أعلم الكل وأفضل معصوم مثله، بل هذه العمدة.

فإذا كان شخص كذلك تِلوَهُ فلا يصحّ رفعه إلّا بقيام من هو كذلك؛ لعدم تقييد ذلك، والقرآن جارٍ حكمه ليوم القيامة، ولأنه إذا كان مع قرب زمانه لابد من شاهد منه يتلوه، قِيمَ بعده بطريق أولىٰ.

وليس بعده خلفاء كذلك إلّا الاثني عشر، أولهم علي، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي، ثم محمد، ثم جعفر، ثم موسىٰ، ثم علي، ثم محمد، ثم علي، ثم الحسن، ثم المهدي إمام هذا العصر والزمان. فتعيّن من ذلك وجوب وجود معصوم في كل وقت بعد الرسول.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ شِئْنا لَبَعَثْنا في كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً ﴾[٢].

وبديهة أنّ بعثة النذير في كل قرية إنما يكون بشخصه، والنذير لا يكون إلّا نبياً أو خليفة، ففي كل قرية لابد من أحدهما، فلا يخلو الزمان وقتاً ما أصلاً.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلّا خَلا فِيها نَذِيرٌ ﴾[٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[٤].

لإطلاق الكون زماناً وما به الاقتداء، و ﴿ الصَّادِقِينَ ﴾ جمعٌ محلًّى، وهو يقتضي المطابقة للواقع مطلقاً، فهو لا يسهو ولا ينسىٰ. وحكم القرآن جارٍ ليوم القيامة، فلابد من معصوم كذلك.

والرازي في تفسيره[٥] استدل بقوله تعالىٰ: ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ علىٰ استمرار المعصوم، إلّا إنه جعله هو إجماع الأمة.

---

(١) «هود» الآية: ١٧.
(٢) «الفرقان» الآية ٥١.
(٣) «فاطر» الآية: ٢٤.
(٤) «التوبة» الآية: ١١٩.
(٥) «التفسير الكبير» ج١٦، ص١٧٥.

وغير خفي بطلانه؛ لعدم تحققه في كل مسألة، ولأنه نظري، والكون مع شيء آخر يقتضي تشخصه دائماً، ولعدم إمكان تحققه وحجيته بدون المعصوم، إلىٰ غير هذه الوجوه، كما اوضحناه في كتاب النقض[1] وغيره.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾[2]، ﴿ وأَوْرَثْنا القَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشارِقَ الأرضِ ﴾[3] الآية.

ولا استظهار إلّا بخلوص جميع بقاع الأرض لهم، وعموم دينه لجميع مشارقها ومغاربها لا لبعضها، وإلّا لساووا غيرهم، ولم [يقع][4] ذلك بعد؛ فلابد من وقوعه بعد؛ اذ لا خلف لوعده، ولابد من انتهاء القبيح ودولة الشيطان قبل دولة أهل الحق، ولابد من وجود حافظ لهذه الشريعة، قبل تمامها الوجودي وظهورها العمومي الزماني، وإلّا كان العرضي ذاتياً، والمقصود الثانوي أولياً، وما بالذات لا يزول.

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿ فيها يُفْرَقُ كُلُّ أمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[5]، وقوله تعالىٰ: ﴿ إنّا أنزَلْناهُ في لَيْلَةِ القَدْرِ ﴾ السورة[6].

فقد حكمت هذه الآي -كما اتضح عقلاً- [بوجوب][7] استمرار ليلة القدر في كل سنة، ولا نسخ لها، ولا يكون نزول الملائكة والروح والتفصيل إلّا علىٰ شخص في الأرض لافي السماء، ولا ينقطع زمناً، فإنه متجدد كل سنة؛ لتجدد الأحكام والقبض والبسط، وتوارد الأحوال علىٰ الممكن المفتقر إلىٰ حكم وحاكم، فلا يمكن القول ببطلانه.

وما شُبّه في استمرار ليلة القدر فساقط لا عبرة به، ولا ينافي ذلك عدم الظهور الحسي؛ فما نقوله ليس بمتوقف عليه، فرتبة الإمام أجلّ وأعلىٰ من ذلك. وللبسط محل مفرد، فتدبّر.

إلىٰ غير هذه الآي التي أوجب الاختصار الإعراض عنها، غير أنها ظاهرة للفطن بعد الإشارة بما أشرنا له هنا، والتأمّل فيه كافٍ. أمّا المعاند فلا يؤمن ولو تأتيه بكل آية، قال

---

(١) انظر: «هدي العقول» ج١، المقدمة، ص١٩، الرقم: ٥٠.

(٢) «التوبة» الآية: ٣٣؛ «الفتح» الآية: ٢٨؛ «الصف» الآية: ٩.

(٣) «الأعراف» الآية: ١٣٧.

(٤) في الأصل: «يقطع».

(٥) «الدخان» الآية: ٤.

(٦) «القدر» الآية: ١.

(٧) في الأصل: «وجوب».

تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ المَلائِكَةَ ﴾ الآية[١]، وأمثالها كثير.

وأمّا النصوص المصرحة بذلك من طريقنا ـ عموماً وخصوصاً ـ فبلغت حدّ التواتر من وجوه، كما سبق في الجزء السابق وما قبله ويأتي، وهو كالقطرة من البحور، فلا حاجة مهمة إلىٰ التعرّض له هاهنا، فإنه أظهر من الشمس.

وأما الأهم هنا والمناسب إثبات ذلك من طريق العامة، وإن لم نستقصِ، وبه يستبين أن |سبب| عدول العامة عمّا حكم به القرآن والأخبار المعمول بها عندهم ليس إلّا الحسد، أصل كل بلاء، وحبّ الرئاسة الفانية، وهو رأس كل خطيئة، قال تعالىٰ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ﴾[٢]، فأخبر أنهم يودّون رجوعكم كفّاراً، مع ظهور الحق لهم، وأن سببه الحسد. وقال: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾[٣]، وغيرها.

فمنها: ما رووه في صحاحهم، وتفسير ابن كثير وغيره، وكتب الفضائل أن النّبي صلى الله عليه وآله قال: (إنّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض)[٤].

وفي آخر: (إنّي مخلّف فيكم الثقلين)[٥].

ولمّا كان للعترة سنّة وطريقة خاصة ـ ولهذا أمر بالتمسك بهم ـ ورد في بعض أحاديثهم: (كتاب الله وسنّتي)[٦]، فلا تنافي.

ولمّا قال صلى الله عليه وآله: (ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا)، فإذا تمسّك بأحدهما؛ فإن كان القرآن وحده مع تركهم فغير كافٍ؛ فإنهما لن يفترقا، والسالك كذلك مفرّق، ولأنه صامت لا يكفي عن الناطق، بل لابد له من ناطق، وإن أخذ بقول الناطق؛ كفىٰ؛ لأنه لا يفارق القرآن، فالأخذ بقوله أخذ بهما.

---

(١) «الأنعام» الآية: ١١١. (٢) «البقرة» الآية: ١٠٩.

(٣) «النساء» الآية: ٥٤.

(٤) «سنن الترمذي» ج٥، ص٦٦٣، ح٣٧٨٨؛ «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، ج٣، ص٤٦٧، ج٤، ص١١٥؛ «مشكاة المصابيح» ج٣، ص٣٧١، ح٦١٥٣؛ «الصواعق المحرقة» ص١٤٩؛ «العمدة» لابن البطريق، ص٧٢، ح٨٩. (٥) «جواهر العقدين» ص٢٤٠.

(٦) «الصواعق المحرقة» ص١٢٦، ح٤٠، ص١٥٠؛ «كنز العمال» ج١، ص١٨٧، ح٩٥٥.

ولمّا قال: (إنهما لن يفترقا) عرفنا أنه معصوم؛ إذ لو كان ممن تقع منه المعصية أو السهو تحققت المفارقة. وكذا عُرف من عدم الافتراق حتىٰ قيام القيامة أنه لا يتحقق أحدهما بدون الآخر، بل كلٌّ يدور علىٰ صاحبه، فاستمرار القرآن دليل علىٰ استمرار المعصوم.

ولمّا قال ﷺ: (وعترتي) عرفنا أنّ المأمور بالتمسك به ـ وبه تحصل النجاة وسلوك الاستقامة ـ ليس من العجم، ولا الترك، ولا سائر العرب، ولا كل طائفة من قريش، ولا كل بني هاشم، بل بعض، وهم العترة.

فإذن خروج مثل الأول وصاحبيه بعدة وجوه:

الوجه الأول: [1] عدم كونهم من هاشم.

الوجه الثاني: ونقول: المراد بالعترة الحسنان وفاطمة وعلي، ووقع بيانها بذلك في بعض أحاديثهم.

الوجه الثالث: ولأن تعليق الحكم عليهم ووصفهم بتلك الصفة يوجب عصمتهم، ولا ادُّعِيَت في غيرهم، فلابد من كونهم كذلك، وإلّا بطل الحديث المتكرر المقبول عند كافة أهل العلم.

الوجه الرابع: ولنزول التطهير في الكتاب[2] فيهم، وفسّر ﷺ الأهل في أحاديث الكساء وغيرهم بهم، وأخرج حتىٰ النساء منهم، وقد صرّحوا به في الصحاح[3] والسنن[4] والفضائل[5]، ونقلناه مستقصىً في «النقض» وفي الجزءين السابقين.

ولمّا دل الحديث منطوقاً علىٰ الاستمرار فلابد من استمرار شخص كذلك، داخل في العترة، وليس إلّا الاثني عشر. فلا يقال: معنىٰ العترة والآل ـ لغةً ـ الأعمُّ، فإنه لو سلّم غير نافع، وما بعد الحق وترك بيان الرسول إلّا الكفر. فاختر لنفسك ما يحلو.

ولمّا قال ﷺ: (إني تارك فيكم) فقد أوصىٰ وعيّن؛ حيث أشار لصفاته هنا ولو إجمالاً،

---

(١) في الأصل: «منها». (٢) «الأحزاب» الآية: ٣٣.

(٣) «مسند أحمد بن حنبل» ج٦، ص٢٩٢، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٢٣؛ «صحيح مسلم» ج٤، ص١٥٠١، ح٢٤٢٤؛ «المعجم الكبير» ج٣، ص٥٣، ح٢٦٦٤، ٢٦٦٥، ٢٦٦٦.

(٤) «سنن الترمذي» ج٥، ص٣٥١، ح٣٢٠٥.

(٥) «مناقب علي بن أبي طالب» لابن المغازلي، ص٣٠١ – ٣٠٦، ح٣٤٥ – ٣٥١.

وقد شخّصه في أحاديث الغدير[١] والمباهلة[٢]، وفي مكة[٣] لمّا نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[٤]، وآية الكساء، وفي الوقائع وغيرها.

فقول العامة بأنه لم يوصِ، بل ترك الأُمة واختيارهم، فكذب محض، فقد أبطلت هذه الأحاديث ـ المتفق عليها ـ عدة مسائل من دينهم، أُصولاً وفروعاً، وبه يبطل دينهم، وقد أشرنا لبعضها. ومن القطعي أن كلمة الذين كفروا السفلىٰ، وكلمة الله هي العليا، وما بعد الحق إلّا الضلال.

ومنها: ما رووه واعتمده علماؤهم في أُصول الفقه وغيرها، حتىٰ كان من الدراية بمحل، أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: (**إنّ المجتهد إن أصاب فله عشر حسنات، وإن أخطأ فله واحدة**)[٥].

والاجتهاد مستمر مدة التكليف بإجماعهم، فلمّا قال: (**إن أصاب**) أو (**أخطأ**) عرفنا أن المطلوب أولاً الإصابة، ولذا عظم ثوابه، وهو من البديهي، وإن عذر في الخطأ بعد بذل الوسع، ولا يكون ذلك إلّا بنصب أمارات منه صلى الله عليه وآله في تحصيل الحكم الصوابي.

فبطل قول العامة[٦] بتعدد الحكم حسب تعدد المجتهد؛ وإلّا كان الكل صواباً، وقول بعض: إن الحكم واحد، لكن لا أمارة ونصب دليل عليه، بل كالمجهول المطلق، إلىٰ مثل هذه الهوسات.

ولمّا استمرت الإصابة والاجتهاد فلابد من استمرار [الحكم] الصوابي، ولا يكون بغير موضوع حافظ له، ولا يكون كتاباً أو سنّة، بل معصوم شخصي هو محل النظر، ومستقىٰ العلم ومعدنه، وبه حياة العالم والعلم. ويتعدد بحسب تعدد المتعلقات، بحسب الوسع والطاقة، وهو الحكم البدلي التكليفي، وهو شعاع الأول، وصورته الظهورية في مرآة نفس

---

(١) «مسند أحمد بن حنبل» ج ١، ص ٨٤، ١١٨؛ ج ٤، ص ٣٦٨، ٣٧٢؛ ج ٥، ص ٣٦٦، ٤١٩؛ «سنن ابن ماجة» ج ١، ص ٤٣، ح ١١٦؛ «خصائص أمير المؤمنين» للنسائي، ص ٨٤؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج ٣، ص ١٠٩، ١١٠، ١١٦؛ «مناقب علي بن أبي طالب» لابن المغازلي، ص ١٨ ـ ٢٧، ح ٢٣ ـ ٣٨.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، ج ١، ص ٣٥٠؛ «الدر المنثور» ج ٢، ص ٦٨.

(٣) «شواهد التنزيل» ج ١، ص ٥٤٢، ح ٥٨٠؛ «شرح نهج البلاغة» ج ١٣، ص ٢١٠؛ «كفاية الطالب» ص ٢٠٤.

(٤) «الشعراء» الآية: ٢١٤.

(٥) «مسند أحمد بن حنبل» ج ٤، ص ٢٠٥؛ «سنن الدارقطني» ج ٤، ص ٢٠٣، ح ١، ٢، ٣؛ «كنز العمال» ج ٥، ص ٨٠٢، ح ١٤٤٢٨؛ ج ٦، ص ٩٩، ح ١٥٠١٨، نقله بالمعنىٰ.

(٦) انظر: «الإحكام في أُصول الأحكام» ج ٤، ص ٤١٣؛ «المستصفىٰ» ج ٢، ص ٣٦٣.

الناظر بحسبها، وفيها التعدد وغير ذلك، لافي الأولي الذاتي الوجودي، ولا يمكن وجود الثاني بدون الأول.

فلابد من بقاء محل قابل للأول، مستمر مدة استمرار الثاني، لاستحالة وجود الشعاع بدون الشمس، أو استقلاله واستغنائه عنها آناً ما، بديهة، أو يقال بأن الشعاع به الكفاية، وإلّا لم يكن الشعاع شعاعاً، بل شمساً، ولم يكن بصفات الشعاع، ويفقد صفات الشمس المستنيرة ذاتاً. فتأمّل.

ومنها: ما رووه في صحاحهم ومصابيح البغوي وغيرها، عن النبي ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتىٰ تقوم الساعة ـ أو: حتىٰ يأتي أمر الله ـ لا يضرّهم من خذلهم)[1].

فالطائفة بعض الأمة، وصيرورتهم على الحق كذلك يوجب أنهم عليه دائماً، وهو معنىٰ العصمة، وإن أريد بالطائفة الأمة فلابد من مبيّن لهم أعلىٰ، وهو المعصوم. علىٰ أنه ظاهر أنّ كل الأمة ليسوا علىٰ الحق مطلقاً دائماً.

ومنها: ما رووه أنه ﷺ قال: (النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا فني أهل بيتي فني أهل الأرض)[2].

وأهله قد عرفتهم من طريقهم، كيف وهم موصوفون بفناء العالم إذا فنوا، وحصول الأمان مدة وجودهم؟ فلابد أن يراد منه مطلقاً، بل الديني هو الأصل، وأنهم الواسطة لهم في إمداد الوجود، فمدة وجود العالم لا يكون بدون وجود أهل البيت، فالحكم به دونهم تفكيك لما حكم النبي ﷺ بكونه العلة والمعلّق عليه الحكم، وهو باطل.

علىٰ أنا نقول للعامة: بأيّما تفسّرون الأهل والعترة نقول: منطوق النص يوجب استمرار أفراد من بني هاشم، لا مطلقاً، لا يفارقون القرآن أصلاً، وبهم الأمان والسلامة من الضلال، فلا يصح كونهم العلماء ولا سائر الناس، ولابد من معلوميته؛ وإلّا لزم الإغراء بالقبيح، وعدم الفائدة في كونه كذلك، بل ﴿وَعَلَىٰ اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[3] ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾[4].

فإرادة أكثر ما عيّن نصاً ـ وعليه الإمامية ـ من العترة والآل يزيد الأمر، ولا يبطل ما نقول.

---

(١) «مسند أحمد بن حنبل» ج٤، ص٩٧؛ «صحيح مسلم» ج٣، ص١٢٠٩، ح١٩٢٠؛ «سنن الترمذي» ج٤، ص٥٠٤، ح٢٢٢٩؛ «مشكاة المصابيح» ج٣، ص١٨٩، ح٥٥٠٧، بتفاوت.

(٢) «ذخائر العقبىٰ» ص١٧؛ «الصواعق المحرقة» ص١٣٥، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «النحل» الآية: ٩.

(٤) «فصلت» الآية: ١٧.

هذا، وغير ما نقوله ليس بهذه الصفة المنصوصة، فتدبّر.

ومنها: ما رواه ابن المغازلي الشافعي في المناقب بعدة طرق، وابن مردويه، وغيرهم من علمائهم، أنه صلى الله عليه وآله قال: (أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق)[1].

وبيان التقريب ظاهر ممّا مرّ، فلا يجوز انقطاع الأهل، وإلّا لزم عموم الضلال والتعذيب بغير حجة واستحقاق، وهو ظاهر.

ومنها: ما في المصابيح وغيرها من صحاحهم[2]، واستدل به علماؤهم في الأصول الفقهية[3] وغيرها، من أمر الرسول بالكون مع الجماعة، وأن الإجماع حجة، ونهي الله عن اتّباع غير سبيل المؤمنين.

فإن أُريد به الكل فظاهر بطلانه؛ لعدم كونه المرشد، مع أنهم المخاطبون؛ أو البعض، وكونه المرجوح أو المساوي باطلٌ بديهةً، بل الراجح، وإنّما يتحقق بالسلامة من المنافيات، حتىٰ من الخطأ والنسيان؛ لتحققهما في سائر الأُمة. فاتضح أنّ ذلك المعصومُ، فإذن هو مستمر. وإرادة إجماع الأُمة يبطل بما سبق.

وأيضاً، ليس المجموع بزائد علىٰ الأفراد، بل نفسها، وكل فرد لا يجب به، فلابد من علّة خارجة، وليس ذلك مثل العشرة تحمل العشرة مثلاً، والواحد منها لا يحمل عشرة أمنان. وبسط هذه المسألة يطلب من مظانّه، إلىٰ غير هذه الأحاديث.

فإذا انصرح لك وجوب وجود خليفة لله تعالىٰ في كل وقت، ولا يجوز خلو الزمان منه، كما أوضحناه عقلاً ونقلاً، وهذا كافٍ في الوجود، فلا يترك بقول: لمَ غاب؟ أو كيف يطول عمره؟ أو كيف الهداية؟

بل يقال: مقتضىٰ الدليل الوجوب والوجود، فالأرض لا تخلو، فما الحكمة في

---

(١) «المعجم الكبير» ج ٣، ص ٤٥، ح ٢٦٣٦، ص ٤٦، ح ٢٦٣٧، ٢٦٣٨؛ ج ١٢، ص ٢٧، ح ١٢٣٨٨؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج ٢، ص ٣٤٣؛ ج ٣، ص ١٥١؛ «مناقب علي بن أبي طالب» لابن المغازلي ص ١٣٢ - ١٣٤، ح ١٧٣ - ١٧٧، بتفاوت.

(٢) «مسند أحمد بن حنبل» ج ٥، ص ١٨٠، ٢٣٣؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج ١، ص ١١٣ - ١٢٠؛ «مشكاة المصابيح» ج ١، ص ١٠٠، ح ١٨٤، ١٨٥.

(٣) انظر: «المستصفىٰ» ج ١، ص ١٧٣، ١٧٥؛ «فواتح الرحموت» ضمن «المستصفىٰ» ج ٢، ص ٢١٣، ٢١٥-٢١٦.

الإخفاء؟ والمانع من الاهتداء لو سلّم فرضاً ـ ولا يكون ـ وخفاء الحكمة لو سلّمت لم تدل علىٰ الإبطال، و[علىٰ] ترك المقطوع به للمشكوك المتوهم.

بل يقال: نسبته ـ مثلاً ـ نسبة سكوت النبيﷺ آناً ما، أو حال كونه في الغار، أو [صلحه][1] عام الحديبية، وأمثال ذلك. وهذه جملة كافية تأتي علىٰ دفع الشُّبه ولو إجمالاً، وسيأتيك إن شاء الله تعالىٰ دفع الشُّبه وردّ تحريف الجهّال مبسوطاً.

المقدمة الثالثة: في ذكر طائفة من الدلالات الدالة علىٰ إمامة الإمام الثاني عشر وتشخّصه.

وبه يبطل أيضاً القول بأنه لا عقب للحسن، أو فنوا بعدُ، أو لا يدرىٰ كيف الحال، زيادة علىٰ ما أوجب وجوده بعد الحسن عليه السلام، كما مرّ، ولم ينقل في غيره، فتعيّن؛ للقطع بموت الحسن، كما مرّ، وإن قيل بأنه غاب ـ كما قيل ـ فهو لا يدفع الحاجة لغيره بعده.

فمما رويناه من ذلك بالإجازات المتصلة إلىٰ مصنّفي الكتب الأربعة وسائر كتب الحديث ـ ولذكر الإجازة محلّ آخر؛ حذراً من التطويل ـ ما سيأتيك في هذا الباب، والذي بعده واللاحق، من الأحاديث الدالة علىٰ تشخّصه، وظهور المعاجز منه، ونصّ أبيه علىٰ شخصه بالإمامة.

وفي الخرائج والجرائح للراوندي، عن إبراهيم الكرخي، قال: حدّثنا نسيم خادم أبي محمد، قال: قال لي صاحب الزمان عليه السلام، وقد دخلت عليه بعد عشرة أيام من مولده، فعطست عنده، فقال: **(يرحمك الله)**، ففزعت، فقال: **(ألا أبشّرك في العطاس؟)** قلت: بلى يا مولاي، قال: **(هو أمان من الموت ثلاثة أيام)**[2].

وعن أبي الرجاء المصري، وكان أحد الصالحين، قال: خرجت في الطلب بعد مضي أبي محمد عليه السلام، فقلت في نفسي: لو كان شيء لظهر بعد ثلاث سنين، فسمعت صوتاً ـ ولم أرَ شخصاً ـ: **(يا نصر بن عبد ربّه، قل لأهل مصر: هل رأيتم رسول الله ﷺ فآمنتم به؟)**.

قال أبو الرجاء: ولم أعلم أن اسم أبي عبد ربّه؛ وذلك أني ولدت في المدائن، فحملني أبو عبد الله النوفلي إلىٰ مصر فنشأت بها. فلمّا سمعت الصوت لم أُعرّج علىٰ شيء وخرجت[3].

---

(١) في الأصل: «صالحه».

(٢) «الخرائج والجرائح» ج ٢، ص ٦٩٣، ح ٧، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «الخرائج والجرائح» ج ٢، ص ٦٩٩، ح ١٦، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

وعن السيّاري، قال: حدّثتني نسيم ومارية، قالتا: لمّا خرج صاحب الزمان عليه السلام من بطن أُمه سقط جاثياً علىٰ ركبتيه، رافعاً سبابتيه نحو السماء، ثم عطس، فقال: (**الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله، عبداً داخراً لله، غير مستنكف ولا مستكبر ولا مستحسر**)، ثم قال: (**زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة، ولو أُذن لي في الكلام لزال الشك**)[1].

وعن ظريف أبي نصر الخادم، قال: دخلت علىٰ صاحب الزمان وهو في المهد، فقال لي: (**عليَّ بالصندل* الأحمر**)، فأتيته به، فقال: (**أتعرفني؟**) قلت: نعم، أنت سيدي وابن سيدي، قال: (**ليس عن هذا سألتك**)، قلت: فسرّ لي، فقال: (**أنا خاتم الأوصياء، وبي يدفع الله البلاء عن أهلي وشيعتي**)[2].

ونقل حاله في الولادة ـ الدال علىٰ عصمته وإمامته ـ يأتي في جزء التاريخ، وهو مروي في الخرائج والإكمال وكشف الغمّة والإرشاد، وسائر كتب الإمامية.

وعن رشيق حاجب المادراني، قال: بعث إلينا المعتضد رسولاً وأمرنا أن نركب، ونحن ثلاثة نفر، ونخرج مخفّين علىٰ السروج، ونجنّب أُخر، وقال: الحقوا بسامراء واكبسوا دار الحسن بن علي فقد توفي، ومن رأيتم في داره فائتوني برأسه.

فكبسنا الدار كما أمرنا، فوجدنا داراً سرية، كأن الأيدي رفعت عنها في ذلك الوقت، فرفعنا الستر فإذا سرداب في الدار الأُخرىٰ، فدخلناه وكأنّ فيه بحراً، وفي أقصاه حصير، علمنا أنه علىٰ الماء، وفوقه رجل من أحسن الناس هيئة، قائم يصلّي، فلم يلتفت إلينا ولا إلى شيء من أسبابنا، فسبق أحمد بن عبد الله ليتخطىٰ فغرق في الماء، وما زال يضطرب، حتىٰ مددت يدي إليه فجذبته وأخرجته، فغشي عليه وبقي ساعة، وعاد صاحبي الثاني إلىٰ فعل ذلك، وناله مثله، فبهتّ وقلت لصاحب الدار: المعذرة إلىٰ الله وإليك، فوالله ما علمت كيف الخبر وإلىٰ من نجيء، وأنا تائب إلىٰ الله، فما التفت إلىٰ شيء مما قلت، فانصرفنا إلىٰ المعتضد، فخبّرناه بما جرىٰ، فقال: اكتموا هذا الحال وإلّا ضربت رقابكم[3].

---

(١) «الخرائج والجرائح» ج١، ص٤٥٧، ح٢، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(*) الصَّنْدَل: خشب أحمر، ومنه الأصفر. «لسان العرب» ج٧، ص٤١٩، مادة «صندل».

(٢) «الخرائج والجرائح» ج١، ص٤٥٨، ح٣، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «الخرائج والجرائح» ج١، ص٤٦٠، ح٥، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

وروي عن حكيمة قالت: دخلت علىٰ أبي محمدعليه السلام بعد أربعين يوماً من ولادة نرجس، فإذا مولانا صاحب الزمان يمشي في الدار، فلم أرَ لغة أفصح من لغته، فتبسم أبو محمدعليه السلام، فقال: (إنّا معاشر الأئمة ننشأ في كل يوم كما ينشأ غيرنا في السنة). قالت: ثم إني كنت أسأل أبا محمدعليه السلام عنه فيقول: (استودعناه الذي استودعَتْه أمُّ موسى ولدَها)[1].

والتوقيعات التي جرت منه مدة غيبته الصغرىٰ ظاهرة، ذكرت في غيبة الصدوق[2] والطوسي[3]، وكشف الغمّة[4]، والخرائج[5]، وبحار الأنوار[6]، والاحتجاج[7]، وغيرها من الكتب.

وروىٰ الصدوق في الإكمال ـ ورواه غيره أيضاً ـ مسنداً عن الحسن بن الحسين العلوي، قال: دخلت علىٰ أبي محمد الحسن بن علي بسرّ من رأىٰ، فهنأته بولادة ابنه القائم[8].

وعن محمد بن الحسن الكرخي، قال: سمعت أبا هارون ـ رجلاً من أصحابنا ـ يقول: رأيت صاحب الزمان ووجهه يضيء كأنه القمر ليلة البدر، ورأيت علىٰ سرّته شعراً يجري كالخط، وكشفت الثوب عنه فوجدته مختوناً، فسألت أبا محمد عن ذلك، فقال: (هكذا وُلد، وهكذا وُلدنا، ولكنّا نمرّ الموسىٰ عليه لإصابة السنّة)[9].

وعن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، قال: حدّثني معاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح، ومحمد بن عثمان العمري، قالوا: عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي ونحن في منزله، وكنّا أربعين رجلاً، فقال: (هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا)... الحديث[10].

وعن يعقوب بن منقوش، قال: دخلت علىٰ أبي محمد وهو جالس علىٰ دكان في الدار، وعن يمينه بيت، وعليه ستر مسبل، فسألته عن صاحب هذا الأمر، فقال لي: (ارفع الستر)،

---

(١) «الخرائج والجرائح» ج١، ص٤٦٦، ح١٢، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.
(٢) «كمال الدين» ص٤٨٢ – ٥٢٢. (٣) «الغيبة» ص٢٨٥ – ٣٢٧.
(٤) «كشف الغمة» ج٣، ص٣٣٩ – ٣٤١.
(٥) «الخرائج والجرائح» ج٢، ص٧٠٠، ح١٧، ص٧٠٢، ح١٨.
(٦) «بحار الأنوار» ج٥٣، ص١٥٠ – ١٩٨. (٧) «الاحتجاج» ج٢، ص٥٢٦ وما بعدها.
(٨) «كمال الدين» ص٤٣٤، ح١. (٩) «كمال الدين» ص٤٣٤، ح١، بتفاوت يسير.
(١٠) «كمال الدين» ص٤٣٥، ح٢، صححناه علىٰ المصدر.

فرفعته، فخرج غلام خماسي، له عشر أو ثمان، أو نحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، دريّ المقلتين، شَثْن الكفين[١]، معطوف الركبتين، في خده الأيمن خال، وفي رأسه ذوابة، فجلس علىٰ فخذ أبي محمد، ثم قال: (**هذا هو صاحبكم**)، ثم وثب، فقال له: (**يا بني ادخل إلىٰ الوقت المعلوم**). فدخل البيت وأنا أنظر إليه، ثم قال لي: (**يا يعقوب، انظر من في البيت**)، فدخلت فما رأيت أحداً[٢].

وبسنده عن موسىٰ بن جعفر بن وهب البغدادي، أنه خرج من أبي محمد عليه السلام توقيع: (**زعموا أنهم يريدون قتلي ليقطعوا هذا النسل، فقد كذّب الله عزّ وجلّ قولهم، والحمد لله**)[٣].

وعن علّان الرازي، قال: أخبرني بعض أصحابنا أنه لمّا حملت جارية أبي محمد عليه السلام قال: (**ستحملين ذكراً واسمه محمد، وهو القائم من بعدي**)[٤].

وعن أبي حاتم، قال: سمعت أبا محمد يقول: (**في سنة مائتين وستين تفترق شيعتي**). ففيها قبض أبو محمد عليه السلام، وتفرّقت شيعته وأنصاره، فمنهم من انتمىٰ إلىٰ جعفر، ومنهم من تاه، ومنهم من شكّ، ومنهم من وقف علىٰ تحيّره، ومنهم من ثبت علىٰ دينه بتوفيق الله تعالىٰ[٥].

وعن محمد بن عثمان العمري، قال: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد عليه السلام ـ وأنا عنده ـ عن الخبر الذي روي عن آبائه أنّ الأرض لا تخلو من حجة علىٰ خلقه إلىٰ يوم القيامة، وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فقال: (**إنّ هذا حق كما أنّ النهار حق**)، فقيل له: يابن رسول الله، فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: (**ابني محمد هو الإمام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية**)[٦] ... إلىٰ آخره.

وقد وقع التصريح باسمه في هذين الحديثين، وسيأتي الكلام علىٰ تسميته إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) شَثْنُ الكفين والقدمين: أي أنهما تميلان إلىٰ الغلظ والقصر، وقيل: هو الذي في أنامله غلظ بلا قصر. انظر: «لسان العرب» ج٧، ص٣٠، مادة «شثن».

(٢) «كمال الدين» ص٤٣٦، ح٥، بتفاوت، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «كمال الدين» ص٤٠٧، ح٣، بتفاوت يسير. (٤) «كمال الدين» ص٤٠٨، ح٤.

(٥) «كمال الدين» ص٤٠٨، ح٦، مسنداً عن أبي غانم، بتفاوت يسير.

(٦) «كمال الدين» ص٤٠٩، ح٩.

وعن عبد الله السوري، قال: صرت إلىٰ بستان بني عامر، فرأيت غلماناً يلعبون في غدير ماء، وفتىً جالساً علىٰ مصلًّى، واضعاً كمّه علىٰ فيه، فقلت: من هذا؟ فقالوا: م ح م د بن الحسن، وكان في صورة أبيه عليه السلام[1].

ولقد ذكر الصدوق في إكمال الدين[2] نصوصاً كثيرة عن الله والرسول والأئمة واحداً واحداً، متضمنة النص علىٰ القائم المهدي صاحب هذا العصر والزمان، وعقد لكلّ باباً، وقد مضىٰ بعض ذلك في الجزء السابق، وسيأتي أيضاً. وهو في سائر الكتب متواتر، وفي غير كتاب.

منها: الطبري الإمامي ـ محمد بن جرير ـ في التاريخ، بسنده عن أبي نعيم، قال: وجهت المفوّضة كامل بن إبراهيم المزني إلىٰ أبي محمد الحسن بن علي، يباحثون أمره.

قال كامل بن إبراهيم: فقلت في نفسي: أسأله عن قوله: (لا يدخل الجنة إلّا من عرف معرفتي وقال بمقالتي)، فلما دخلت على سيدي أبي محمد عليه السلام نظرت إلىٰ ثياب بيضاء ناعمة عليه، فقلت في نفسي: وليّ الله وحجته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا نحن بمواساة الإخوان، وينهانا عن لبس مثله!

فقال عليه السلام متبسماً: (يا كامل بن إبراهيم)، وحسر عن ذراعيه، فإذا مِسحٌ أسود خشن، فقال: (يا كامل، هذا لله عزّ وجلّ، وهذا لكم).

فخجلت وجلست إلىٰ باب مرخىً عليه ستر، فجاءت الريح فكشفت طرفه، فإذا أنا بفتىً كأنه قمر، من أبناء أربع أو مثلها، فقال: (يا كامل بن إبراهيم)، فاقشعررت من ذلك، وأُلهمت أن قلت: لبيك يا سيدي، فقال: (جئت إلىٰ وليّ الله وحجّة زمانه تسأله: هل يدخل الجنة إلّا من عرف معرفتك وقال بمقالتك؟) فقلت: إي والله، فقال: (إذن يقلّ داخلها، والله إنه ليدخلها قوم يقال لهم: الحقيّة). قلت: يا سيدي، ومن هم؟ قال: (هم قوم من حبهم لعلي يحلفون بحقّه، ولا يدرون ما حقه وفضله).

ثم سكت ساعة عني، ثم قال: (وجئت تسأله عن مقالة المفوّضة، كذبوا عليهم لعنة الله، بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله، فإذا شاء الله شئنا، والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَما تَشاؤُونَ إلّا أن يَشاءَ اللهُ﴾[3]).

---

(١) «كمال الدين» ص ٤٤١، ح ١٣. (٢) «كمال الدين» ص ٢٥٠ وما بعدها.

(٣) «الإنسان» الآية: ٣٠.

ثم رجع والله الستر إلىٰ حالته فلم أستطع كشفه، ثم نظر إليّ أبو محمد متبسماً وهو يقول: (ياكامل بن إبراهيم، ما جلوسك وقد انبأك بحاجتك حجتي من بعدي؟) فانقبضت وخرجت ولم أُعاينه بعد ذلك.

قال أبو نعيم: فلقيت كامل وسألته عن هذا الخبر، فحدّثني به[1].

والاختصار أوجب الاكتفاء بما ذكرناه في هذا المضمار، وإلّا فهي كثيرة جداً.

وأنت إذا تأملت في أحاديث العامة السابقة الدالة علىٰ وجوب استمرار المعصوم، مع ما ننقله عنهم في وجوب ظهور المهدي، [و]ما رووه في فضل آل محمد، ونقله بعضهم كابن طلحة الشامي وغيره، لا يخفاك حينئذ إلزامهم بالإقرار به والتصديق. وما استدلوا به علىٰ نفيه شُبه شيطانية، سيأتيك إبطالها.

لكن لمّا علموا من الرسول وغيره أنّ المهدي يظهر، فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنه يمحو دولة الباطل لبني أُمية والعباس، ترصّدوا لقتل آل الرسول جهدهم، حتىٰ وقع منهم ما وقع بعد العسكري عليه السلام، حتىٰ إنهم جعلوا مراصيد علىٰ بعض جواري الإمام؛ لعلها حبلىٰ، كل ذلك يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متمّ نوره ولو كره المشركون، وأبىٰ الله ورسوله أن تنقطع حجته عن الأرض زمن التكليف. وزيادة الحسد والحقد والنفاق التي بنت عليه الجبلة والأخلاق يوجب ذلك وزيادة، وسيأتيك [دليل] إمامة المهدي عليه السلام من طرقهم زيادة في مقدمة مفردة[2].

المقدمة الرابعة: في نقل جملة من كلام العامة، وإثبات القائم المهدي عجّل الله فرجه.

قال كمال الدين ابن طلحة الشامي في مطالب السؤول ـ وهو من عظماء العامة، بعد أن أثنىٰ عليه نظماً ـ: «قد رتع من النبوة في أكناف عناصرها، ورضع من الرسالة أخلاف أواصرها، وترع من القرابة بسجال معاصرها، وبرع في صفات الشرف، فعقدت عليه بخناصرها، واقتنىٰ من الأنساب شرف نصابها، واعتلىٰ عند الانتساب علىٰ شرف أحسابها، واجتنىٰ الهداية من معادنها وأسبابها، فهو من ولد الطهر البتول، المجزوم بكونها بضعة من الرسول، فالرسالة أصله، وإنها لأشرف العناصر والأُصول.

---

(١) «دلائل الإمامة» ص٥٠٥، ح٤٩١، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) انظر: المقدمة السابعة الآتية في هذا الباب.

فأما مولده فبسرّ من رأىٰ، في ثالث وعشرين من رمضان، سنة ثمان وخمسين ومائتين للهجرة.

وأما نسبه أباً وأماً، فأبوه أبو محمد الحسن الخالص بن علي المتوكل بن محمد القانع بن علي الرضا بن موسىٰ الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الزكي بن علي المرتضى أمير المؤمنين. وقد تقدم ذكر ذلك مفصلاً.

وأمه أم ولد، تسمى صقيل، وقيل: حكيمة، وغير ذلك.

وأما اسمه فمحمد، وكنيته أبو القاسم، ولقبه الحجة، والخلف الصالح، وقيل: المنتظر.

وأمّا ما ورد عن النبي ﷺ في المهدي من الأحاديث الصحيحة، فمنها: ما نقله الإمامان أبو داود والترمذي، كل واحد منهما بسنده في صحيحه، يرفعه إلىٰ أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**المهدي منّي، أجلىٰ الجبهة، أقنىٰ الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويملك سبع سنين**)[١].

ومنها: ما أخرجه أبو داود، بسنده في صحيحه، يرفعه إلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: (**قال رسول الله ﷺ: لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً**)[٢].

ومنها: ما رواه أيضاً أبو داود، يرفعه بسنده إلىٰ أم سلمة زوجة النبي ﷺ، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**)[٣].

ومنها: ما رواه القاضي أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، في كتابه المسمّىٰ بشرح السنّة، وأخرجه الإمامان البخاري[٤] ومسلم[٥]، كل واحد منهما بسنده في صحيحه، يرفعه إلىٰ أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم**)[٦].

ومنها: ما أخرجه أبو داود والترمذي، بسندهما في صحيحيهما، يرفعه كل واحد منهما بسنده إلىٰ عبد الله بن مسعود، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم**

---

(١) «سنن أبي داود» ج٤، ص١٠٧، ح٤٢٨٥، ولم نعثر عليه في «سنن الترمذي».

(٢) «سنن أبي داود» ج٤، ص١٠٧، ح٤٢٨٣. (٣) «سنن أبي داود» ج٤، ص١٠٧، ح٤٢٨٤.

(٤) «صحيح البخاري» ج٣، ص١٢٧٢، ح٣٢٦٥. (٥) «صحيح مسلم» ج١، ص١٢٣، ح٢٤٤/ ١٥٥.

(٦) «شرح السنّة» ج٨، ص٣٥٢، ح٤٢٧٧.

واحد لطوّل الله ذلك اليوم، حتىٰ يبعث الله رجلاً منّي ـ أو من أهل بيتي ـ يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)[1].

وفي رواية أُخرىٰ: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: (يلي رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي)[2].

هذه الروايات عن أبي داود والترمذي.

ومنها: ما نقله الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره، يرفعه بإسناده إلىٰ أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا وحمزة وجعفر وعلي والحسن والحسين والمهدي).

فإن قال معترض: هذه الأحاديث النبوية الكثيرة بتعدادها، المصرّحة بجملتها وأفرادها، متفق علىٰ صحة أسنادها، ومجمع علىٰ نقلها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وإيرادها، وهي صحيحة صريحة في كون المهدي عليه السلام من ولد فاطمة عليها السلام، وأنه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن عترته وأهل بيته، وأن اسمه يواطئ اسمه، وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وأنه من ولد عبد المطلب، وأنه من سادات الجنة، وذلك مما لا نزاع فيه، غير أنّ ذلك لا يدل علىٰ أنّ المهدي ـ الموصوف بما ذكره صلى الله عليه وآله من الصفات والعلامات ـ هو هذا أبو القاسم محمد بن الحسن، الحجة الخلف الصالح عليه السلام، فإن ولد فاطمة عليها السلام كثيرون، وكل من يولد من ذريتها إلىٰ يوم القيامة يصدق عليه أنه من ولد فاطمة، وأنه من العترة الطاهرة، وأنه من أهل البيت، فتحتاجون مع هذه الأحاديث المذكورة إلىٰ زيادة دليل يدل علىٰ أنّ المهدي المراد هو الحجة المذكور؛ ليتمّ مرامكم.

فجوابه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا وصف المهدي بصفات متعددة، من ذكر نسبه واسمه، ومرجعه إلىٰ فاطمة وإلىٰ عبد المطلب، وأنه أجلىٰ الجبهة، أقنىٰ الأنف، وعدّد الأوصاف الكثيرة التي جمعتها الأحاديث الصحيحة المذكورة، وجعلها علامة ودلالة علىٰ أنّ الشخص الذي يسمىٰ بالمهدي، وتثبت له الأحكام، هو الشخص الذي اجتمعت تلك الصفات فيه، ثم وجدنا تلك الصفات ـ المجعولة علامةً ودلالةً ـ مجتمعة في أبي القاسم محمد الخلف الصالح، دون غيره، فيلزم القول بثبوت تلك الأحكام له وأنه صاحبها؛ وإلّا فلو جاز وجود ماهو علامة ودليل، ولا يثبت ماهو مدلوله، قدح ذلك في نصبها علامة

---

(١) «سنن أبي داود» ج٤، ص١٠٦، ح٤٢٨٢، بتفاوت يسير، ونحوه في «سنن الترمذي» ج٤، ص٥٠٥، ذيل ح٢٢٣١.

(٢) «سنن الترمذي» ج٤، ص٥٠٥، ح٢٢٣١.

ودلالة من رسول الله ﷺ، وذلك ممتنع.

فإن قال المعترض: لا يتم العمل بالدلالة والعلامة إلّا بعد العلم باختصاص من وجدت فيه بها ـ دون غيره ـ وتعيّنه لها، وأما إذا لم يعلم تخصصه وانفراده بها فلا يحكم له بالدلالة. ونحن نسلّم أنه من زمن رسول الله ﷺ إلىٰ ولادة الخلف الصالح الحجة ما وجد من ولد فاطمة شخص جمع تلك الصفات التي هي الدلالة والعلامة غيره، لكن وقت بعثة المهدي وظهوره هو في آخر أوقات الدنيا، عند ظهور الدجّال ونزول عيسىٰ بن مريم، وذلك سيأتي بعد مدة مديدة، ومن الآن إلىٰ ذلك الوقت المتراخي الممتد أزمانٌ متجددة، وفي العترة الطاهرة من سلالة فاطمة كثرة يتعاقبون ويتوالدون إلىٰ ذلك الأوان، فيجوز أن يولد من السلالة الطاهرة والعترة النبوية من يجمع تلك الصفات، فيكون هو المهدي المشار إليه في الأحاديث المذكورة، ومع هذا الاحتمال والإمكان كيف يبقىٰ دليلكم مختصاً بالحجة المذكور عليه السلام؟

فالجواب: أنكم إذا عرفتم أنه إلىٰ وقت ولادة الخلف الصالح وإلىٰ زماننا هذا لم يوجد من جمع تلك الصفات والعلامات بأسرها سواه، فيكفي ذلك في ثبوت تلك الأحكام له؛ عملاً بالدلالة الموجودة في حقه. وما ذكرتموه من احتمال أن يتجدد مستقبلاً في العترة الطاهرة من يكون بتلك الصفات لا يكون قادحاً في إعمال الدلالة، ولا مانعاً من ترتّب حكمها عليها؛ فإن دلالة الدليل راجحة لظهورها، واحتمال تجدد ما يعارضها مرجوح، ولا يجوز ترك الراجح بالمرجوح؛ فإنه لو جوّزنا ذلك لامتنع العمل بأكثر الأدلة المثبتة للأحكام الشرعية؛ إذ ما من دليل إلّا واحتمال تجدد ما يعارضه يتطرق إليه، ولم يمنع ذلك من العمل به وفاقاً.

والذي يوضح ذلك ويؤكده أن رسول الله ﷺ ـ فيما أورده الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه، يرفعه بسنده ـ قال لعمر بن الخطاب: (يأتي عليكم مع أمداد أهل اليمن أُويسُ بن عامر، من مراد، ثم من قَرَن، كان به برص فبرأ منه، إلّا موضع درهم، له والدة هو بها برٌّ، لو أقسم علىٰ الله لأبرّه، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل)[1].

فالنبي ﷺ ذكر اسمه ونسبه وصفته، وجعل ذلك علامة ودلالة علىٰ أن المسمىٰ بذلك

---

(١) «صحيح مسلم» ج ٤، ص ١٥٦٣، ح ٢٢٥ / ٢٥٤٢، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

الاسم، المتصف بتلك الصفات، لو أقسم علىٰ الله لأبرّه، وأنه أهل لطلب الاستغفار منه، وهذه منزلة عالية ومقام عند الله تعالىٰ عظيم.

ولم يزل عمر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وبعد وفاة أبي بكر يسأل أمداد أهل اليمن عن الموصوف بذلك، حتىٰ قدم وفد من اليمن فسألهم، فأُخبر بشخص متصف بذلك، فلم يتوقف عمر في العمل بتلك العلامة والدلالة التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله، بل بادر إلىٰ العمل بها، واجتمع به وسأله الاستغفار، وجزم بأنه المشار إليه في الحديث النبوي لمّا علم تلك الصفات فيه، مع وجود احتمال أن يتجدد في وفود اليمن مستقبلاً من يكون بتلك الصفات، فإن قبيلة مراد كثيرة، والتوالد فيها كثير، وعين ما ذكرتموه من الاحتمال موجود.

وكذلك قضية الخوارج، لمّا وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله بصفات ورتّب عليها حكمهم، ثم بعد ذلك لمّا وجد علي عليه السلام تلك الصفات موجودة في أُولئك ـ في وقعة حروراء والنهروان ـ جزم بأنهم هم المرادون بالحديث النبوي[1]، وقاتلهم وقتلهم، فعمل بالدلالة عند وجود الصفة، مع احتمال أن يكون المرادون غيرهم، وأمثال هذه الدلالة والعمل بها مع قيام الاحتمال كثيرة. فعلم أنّ الدّلالة الراجحة لا تترك لاحتمال المرجوح.

ونزيده بياناً وتقريراً فنقول: ثبوت الحكم عند وجود العلامة والدلالة لمن وجدت فيه أمرٌ يتعين العمل به والمصير إليه، فمن تركه وقال بأن صاحب الصفات المراد بإثبات الحكم له ليس هو هذا، بل شخص غيره سيأتي، فقد عدل عن النهج القويم، ووقف نفسه موقف اللئيم.

ويدل علىٰ ذلك أنّ الله عزّ وجلّ لمّا أنزل في التوراة علىٰ موسىٰ أنه يبعث النبي العربي ـ في آخر الزمان ـ خاتم الأنبياء، ونعته بأوصافه، وجعلها علامة ودلالة علىٰ إثبات حكم النبوة له، وصار قوم موسىٰ يذكرونه بصفاته ويعلمون أنه يبعث، فلمّا قرب زمان ظهوره وبعثته صاروا يهددون المشركين به، ويقولون: سيظهر الآن نبي نعته كذا، وصفته كذا، نستعين به علىٰ قتالكم.

فلمّا بُعث صلى الله عليه وآله ووجدوا العلامات والصفات بأسرها، التي جعلت دلالة علىٰ نبوته، أنكروه وقالوا: ليس هو هذا، بل هو غيره وسيأتي. فلمّا جنحوا إلىٰ الاحتمال، وأعرضوا

---

(١) «تاريخ بغداد» ج ١، ص ١٦٠؛ «تذكرة الخواص» ص ١٠٤.

عن العمل بالدلالة الموجودة في الحال، أنكر الله عليهم كونهم تركوا العمل بالدلالة التي ذكرها لهم في التوراة، وجنحوا إلىٰ الاحتمال.

وهذه القصة من أكبر الأدلة وأقوىٰ الحجج علىٰ أنه يتعين العمل بالدلالة عند وجودها، وإثبات الحكم لمن وجدت تلك الدلالة فيه.

فإذا كانت الصفات التي هي علامة ودلالة لثبوت تلك الأحكام المذكورة موجودةً في الحجة الخلف الصالح محمد، تعيّن إثبات كونه المهدي المشار إليه، من غير جنوح إلىٰ الاحتمال بتجدد غيره في الاستقبال.

فإذا قال المعترض: نسلّم لكم أنّ الصفات المجعولة علامة ودلالة إذا وجدت تعيّن العمل بها، ولزم إثبات مدلولها لمن وجدت فيه، ولكن نمنع وجود تلك العلامة والدلالة في الخلف الصالح محمد؛ فإنّ من جملة الصفات المجعولة علامة ودلالة أن يكون اسم أبيه مواطئاً لاسم أبي النبي؛ هكذا صرّح به الحديث النبوي علىٰ ما أوردتموه، وهذه الصفة لم توجد فيه فإن اسم أبيه الحسن، واسم أبي النبي ﷺ عبد الله، وأين الحسن من عبد الله؟! فلم توجد هذه الصفة التي هي جزء من العلامة والدلالة، وإذا لم يثبت جزء العلة فلا يثبت حكمها؛ فإن الصفات الباقية لا تكفي في إثبات تلك الأحكام، إذ النبي لم يجعل تلك الأحكام ثابتة إلّا لمن اجتمعت تلك الصفات فيه كلّها، التي جزؤها مواطاة اسمَي الأبوين في حقه، وهذه لم تجتمع في الحجة الخلف، فلا تثبت تلك الأحكام له. وهذا إشكال قوي.

فالجواب: لابد قبل الشروع فيه من بيان أمرين يبتني عليهما الغرض:

الأول: أنه سائغ شائع في لسان العرب إطلاق لفظة «الأب» علىٰ الجد الأعلىٰ، وقد نطق القرآن به، فقال تعالىٰ: ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾[1]، وقال تعالىٰ حكاية عن يوسف ؈: ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾[2]. ونطق به النبي وحكاه عن جبرائيل، في حديث الإسراء أنه قال: (قلت: من هذا؟ قال: أبوك إبراهيم)[3]. فعلم أن لفظة «الأب» تطلق علىٰ الجد وإن علا.

الثاني: أن لفظة الاسم تطلق علىٰ الكنية وعلىٰ الصفة، وقد استعملها الفصحاء ودارت

---

(١) «الحج» الآية: ٧٨. (٢) «يوسف» الآية: ٣٨.

(٣) «صحيح البخاري ج ٣، ص ١٤١١، ح ٣٦٧٤؛ «البداية والنهاية» ج ٣، ص ١٤٤، باختلاف بعض الألفاظ.

بها ألسنتهم، ووردت في الأحاديث، حتى ذكرها الإمامان البخاري ومسلم، كل منهما يرفعه بسنده إلىٰ سهل بن سعد الساعدي، أنه قال عن علي عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سمّاه بأبي تراب، ولم يكن له اسم أحبّ إليه منه»(١).

فأطلق لفظ الاسم على الكنية. ومثل ذلك قال الشاعر:

أُجِلُّ قَدرَكِ أن تُسمَي مؤنّنةً ومن كناكِ فقد سمّاكِ للعَرَبِ(٢)

ويروىٰ: ومَن يَصِفُكِ...

فأطلق التسمية علىٰ الكناية أو الصفة، وهو شائع في كلام العرب.

فاعلم أن النبي صلى الله عليه وآله كان له سبطان: أبو محمد الحسن، وأبو عبد الله الحسين عليه السلام، ولمّا كان الخلف الصالح من ولد الحسين عليه السلام، وكانت كنية الحسين أبا عبد الله، فأطلق النبي صلى الله عليه وآله علىٰ الكنية لفظ الاسم؛ لأجل المقابلة بالاسم فيٰ حق أبيه، وأطلق علىٰ الجد لفظة الأب، فكأنه قال: يواطئ اسمه اسمي، فهو محمد وأنا محمد، وكنية جده اسم أبي؛ إذ هو أبو عبد الله، وأبي عبدُ الله، لتكون تلك الألفاظ المختصرة جامعة لتعريف صفاته، وإعلام أنه من ولد أبي عبد الله الحسين، بطريق جامع موجز. فحينئذ تنتظم تلك الصفات وتوجد بأسرها مجتمعة في الحجة، وهذا بيان شافٍ كافٍ في إزالة هذا الإشكال، فافهمه».

وقال* بعد كلام: «وأمّا ولده، فلم يكن له ولد ليذكر، لا أنثىٰ ولا ذكر. وأمّا عمره، فإنه في أيام المعتمد علىٰ الله خاف فاختفىٰ وإلى الآن، فلم يمكن ذكر ذلك، إذ من غاب وإن انقطع خبره لا توجب غيبته وانقطاع خبره الحكمَ بمقدار عمره ولا بانقضاء حياته، وقدرة الله واسعة، وألطافه بعباده عظيمة، ولو رام العلماء إدراك كنه قدرته لم يجدوا له سبيلاً.

وليس ببدع ولا مستغرب تعمير الله بعض عباده الصالحين، ولامتداد عمره إلىٰ حين، فقد مدّ الله ذلك لكثير من أصفيائه ومن مطروديه وأعدائه، فمن الأصفياء عيسىٰ والخضر، وخلق آخرون من الأنبياء طالت أعمارهم، حتى جاز كل واحد منهم ألف سنة. ومن

---

(١) «صحيح البخاري» ج٥، ص٢٢٩١، ح٥٨٥١؛ ص٢٣١٦، ح٥٩٢٤؛ «صحيح مسلم» ج٤، ص١٤٩٣، ح٢٤٠٩، نقله بالمعنىٰ.

(٢) «ديوان المتنبي» ج١، ص٦٢، وفيه: «يَصِفُكَ» بدل «كناكِ».

(*) أي الإربلي في «كشف الغمة»، حيث علّق علىٰ كلام كمال الدين، ثم عاد إلىٰ نقل باقي كلامه من حيث انتهىٰ، أما في «مطالب السؤول» فالكلام الآتي متصل بما قبله بلا فاصل.

الأعداء فإبليس والدجّال، ومن غيرهم كعادٍ الأُولىٰ.

وكل هذا لبيان اتساع قدرة الله تعالىٰ، فأي مانع يمنع من إمداد عمر الصالح الخلف الناصح إلىٰ أن يظهر، فيعمل ما حكم الله له به. وحيث انتهىٰ جريان القلم بما خطه، فنختمه بالحمد لله رب العالمين» انتهىٰ ما نقلناه من مطالب السؤول[١]، علىٰ نقل الإربلي في الكشف[٢].

ووقفت علىٰ النسخة بعدُ، وبه يتمّ مقصودنا وبطلان قول أكثرهم: إنه سيولد، وإنه من ولد فاطمة[٣]، أو مطلقاً، وإن رجع النزاع معه في إثبات عصمته وأنه الأفضل، وكذا إثبات تصرفه في هذا العالم وحفظه، إلىٰ باقي صفاته، فتثبت بأدلة أُخر وبراهين، بل ما عدّت له من الصفات في نصوصهم -كما سمعت ويأتي- لا يتم ويقوم بجامعيتها وتمامها إلّا بإثبات ما تقوله الاثنا عشرية من الصفات فيه وتثبتها له، فتفطّن.

وأمّا: (واسم أبيه اسم أبي) فلم يوجد في أحاديثنا، ونحن به وبصفاته أخبر وأحق، وإنّما الموجود عندنا: (اسمه اسمي، وكنيته كنيتي)[٤]، ولكن رووا: (اسم أبيه اسم أبي)[٥] طلباً للتحريف والتشبيه علىٰ الجهّال والعامة.

وهذا أيضاً يخالف كثيراً منهم، بل أكثرهم، فجماعة علىٰ أنّ القائم المهدي عيسىٰ عليه السلام، فليس هو من نسل محمد صلى الله عليه وآله، ولا أب لعيسىٰ، ومن يقول: المهدي من ولد العباس، كما رواه ابن حجر في الصواعق[٦].

ويحتمل أن يراد بالاسم الكنية، وأنّ كنية الحسن العسكري عبد الله. فهذه زيادة منهم، والذي في أحاديثنا: (وكنيته كنيتي)، وهو أبو القاسم، ويكره أن يجمع بين اسم محمد والكنية بأبي القاسم في غير محمد صلى الله عليه وآله والقائم المهدي، ويسمىٰ القائم بأحمد فيما يخفىٰ، واسمه الظاهر محمّد[٧].

وقد جمع الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله في أمر المهدي أربعين حديثاً، وذكر

---

(١) «مطالب السؤول» ج ٢، ص ٧٩ – ٨٧، باختصارٍ ما، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٣٤ – ٢٤٢، بتفاوت.

(٣) انظر: «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٥٩.

(٤) «كمال الدين» ص ٢٨٦، ح ١.

(٥) «سنن أبي داود» ج ٤، ص ١٠٦ – ١٠٧، ح ٤٢٨٢، بتفاوت يسير.

(٦) «الصواعق المحرقة» ص ١٦٦.

(٧) انظر: «كمال الدين» ص ٦٥٣، ح ١٧.

أكثرها محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان»، وهذه الأربعون سرداً بغير سند؛ للاختصار:

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: (يكون في أُمّتي المهدي، إن قصر عمره فسبع سنين، وإلّا فثمان، وإلّا فتسع، تنعّم أُمّتي في زمانه نعيماً لم يتنعموا مثله قطّ، البرّ والفاجر، يرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدّخر الأرض شيئاً من نباتها)[1].

وعنه، عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: (تُملأ الأرض ظلماً وجوراً، فيقوم رجل من عترتي فيملؤها قسطاً وعدلاً، يملك سبعاً أو تسعاً)[2].

وعنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: (لا تنقضي الساعة حتىٰ يملك الأرض رجل من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله جوراً، ويملك سبع سنين)[3].

وعن الزهري، عن علي بن الحسين، عن أبيه، أنّ رسول الله قال لفاطمة: (المهدي من ولدك)[4].

وعن علي بن هلال، عن أبيه، قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في الحالة التي قبض فيها، فإذا فاطمة عند رأسه، فبكت حتىٰ ارتفع صوتها، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه إليها وقال: (حبيبتي فاطمة، ما الذي يبكيك؟) فقالت: (أخشىٰ الضيعة من بعدك)، فقال: (يا حبيبتي، أما علمت أنّ الله عزّ وجلّ اطّلع إلىٰ الأرض اطلاعة، فاختار منها أباك، فبعثه برسالته، ثم اطّلع اطلاعة، فاختار منها بعلك، وأوحىٰ إليّ أن أُنكحك إياه. يا فاطمة، ونحن أهل بيت أعطانا الله عزّ وجلّ سبع خصال، لم يعطِ أحداً قبلنا، ولا يعطي أحداً بعدنا، أنا خاتم النبيين، وأكرم النبيين علىٰ الله عزّ وجلّ، وأحب المخلوقين إلىٰ الله عزّ وجلّ، وأنا أبوك، ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلىٰ الله، وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وأحبهم إلىٰ الله عزّ وجلّ، وهو حمزة بن عبد المطلب، عمّ أبيك وعمّ بعلك، ومنّا من له جناحان يطير مع الملائكة في الجنة حيث يشاء، وهو ابن عمّ أبيك وأخو بعلك، ومنّا سبطا هذه الأمة، وهما ابناك الحسن والحسين، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما ـ والذي بعثني بالحق ـ خيرٌ منهما.

يا فاطمة، والذي بعثني بالحق، إنّ منهما مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً،

---

(١) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص ٥٠٤، بتفاوت؛ «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٦٧.

(٢) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٦٧.

(٣) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٦٧، بتفاوت يسير.

(٤) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٦٧.

وتظاهرت الفتن، وانقطعت السبل، وأغار بعضهم علىٰ بعض، فلا كبير يرحم صغيراً، ولا صغير يوقّر كبيراً، فيبعث الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً، يقوم بالدين في آخر الزمان، كما قمت به في أول الزمان، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

يا فاطمة، لا تحزني ولا تبكي، فإنّ الله عزّ وجلّ أرحم بك وأرأف عليك منّي، وذلك لمكانك منّي وموقعك من قلبي، وقد زوّجك زوجَك، وهو أعظمهم حسباً، وأكرمهم منصباً، وأرحمهم بالرعية، وأعدلهم بالسوية، وأبصرهم بالقضية، وقد سألت ربي أن تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي). قال علي: (فلما قُبض النبي لم تبق بعده إلّا خمسة وسبعين يوماً، حتىٰ لحقت به ﷺ)[1].

وبسنده عن حذيفة، قال: خطبَنا رسول الله ﷺ فذكر ماهو كائن، ثم قال: (لو لم يبقَ من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم، حتىٰ يبعث من ولدي رجلاً اسمه اسمي). فقام سلمان وقال: يارسول الله، من أي ولدك هو؟ قال: (من ولدي هذا)، وضرب بيده علىٰ الحسين عليه السلام[2].

وعن عبد الله بن عمر، قال: قال النبي ﷺ: (يخرج المهدي من قرية يقال لها: كرعة)[3].

وعن حذيفة، عنه ﷺ، قال: (المهدي رجل من ولدي، وجهه كالكوكب الدرّي)[4].

وعن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: (المهدي رجل من ولدي، لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي، علىٰ خدّه الأيمن خال، كأنه كوكب درّيّ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضىٰ في خلافته أهل الأرض وأهل السماء والطير في الجو)[5].

[بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: (المهدي منّا أجلىٰ الجبين، أقنىٰ الأنف)][6].

وفي الخبر عن أبي سعيد الخدري، عنه ﷺ، قال: (المهدي منّا أهل البيت، رجل من

---

(١) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٤٧٨؛ «كشف الغمة» ج ٣، ص٢٦٧، بتفاوت، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «كشف الغمة» ج ٣، ص٢٦٨، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٥١١؛ «كشف الغمة» ج ٣، ص٢٦٩.

(٤) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٥١٣؛ «كشف الغمة» ج ٣، ص٢٦٩.

(٥) «كشف الغمة» ج ٣، ص٢٦٩، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) لم يرد هذا الحديث في الأصل؛ استدركناه من: «كشف الغمة» ج ٣، ص٢٦٩.

أُمّتي، أشمّ الأنف، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً)[١].

وعن أبي أُمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (بينكم وبين الروم أربع هدن، يوم الرابعة علىٰ يد رجل من آل هرقل، يدوم سبع سنين)، فقال له رجل من عبد القيس: مَن إمام الناس يومئذ ؟ قال: (المهدي من ولدي، ابن أربعين سنة، كأن وجهه كوكب درّيّ، في خدّه الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطوانيتان، كأنه من رجال بني إسرائيل، يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك)[٢].

وعن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (ليبعثن الله من عترتي رجلاً أفرق الثنايا، أجلىٰ الجبهة، يملأ الأرض عدلاً، يفيض المال فيضاً)[٣].

وعن أبي أُمامة، قال: خطبَنا صلى الله عليه وآله وذكر الدجّال فقال: (فتنفي المدينة الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعىٰ ذلك اليوم يوم الخلاص). فقالت أُم شريك: فأين العرب يومئذ يارسول الله ؟ فقال: (هم يومئذ قليل، وجلّهم ببيت المقدس، إمامهم المهدي، رجل صالح)[٤].

وعن أبي سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وآله قال: (يخرج المهدي في أُمّتي، يبعثه الله غياثاً للناس، تنعَم الأُمّة، وتعيش الماشية، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً)[٥].

وعن عبد الله بن عمر، قال صلى الله عليه وآله : (يخرج المهدي وعلىٰ رأسه غمامة، فيها منادٍ ينادي: هذا المهدي خليفة الله فاتّبعوه)[٦].

وعنه، قال صلى الله عليه وآله : (يخرج المهدي وعلىٰ رأسه مَلَك ينادي: هذا المهدي فاتّبعوه)[٧].

وعن أبي سعيد الخدري، قال صلى الله عليه وآله : (أبشركم بالمهدي، يُبعث في أُمتي علىٰ اختلاف من

---

(١) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٦٩.

(٢) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص ٥١٤؛ «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٦٩، بتفاوت يسير صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص ٥١٥، بتفاوت يسير؛ «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٦٩، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص ٥١٩؛ «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٧٠، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٧٠.

(٦) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص ٥١١؛ «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٧٠.

(٧) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص ٥١٢، بتفاوت يسير؛ «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٧٠.

الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضىٰ عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً). فقال له رجل: وما صحاحاً؟ قال: (السوية بين الناس)[١].

وعن عبد الله بن عمر، عنه ﷺ: (لا تقوم الساعة حتىٰ يملك رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)[٢].

وعن حذيفة، عنه ﷺ: (لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لبعث الله فيه رجلاً، اسمه اسمي، وخلقه خلقي، يكنىٰ أبا عبد الله)[٣].

وعن ابن عمر، عنه ﷺ: (لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً)[٤].

وعن أبي سعيد الخدري، عنه ﷺ: (لتملأن الأرض ظلماً وعدواناً، ثم ليخرجن رجل من أهل بيتي، حتى يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وعدواناً)[٥].

وعن زر بن عبد الله، عنه ﷺ: (يخرج رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، وخلقه خلقي، يملؤها قسطاً وعدلاً)[٦].

وعن أبي سعيد الخدري، قال ﷺ: (يكون عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجلٌ يقال له: المهدي، يكون عطاؤه هنيئاً)[٧].

وعن أبي سعيد الخدري، قال ﷺ: (يخرج رجل من أهل بيتي ويعمل بسنّتي، ويُنزل الله له البركة من السماء، وتُخرج له الأرض بركتها، وتملأ به الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويعمل علىٰ هذه الأمة سبع سنين، وينزل بيت المقدس)[٨].

وعن ثوبان، قال ﷺ: (إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فائتوها ولو حبواً علىٰ الثلج، فإن فيها خليفة الله المهدي)[٩].

---

(١) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٥٠٥، بتفاوت يسير؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٠.
(٢) «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧١، بتفاوت يسير.
(٣) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٥١٠؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧١.
(٤) «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧١.
(٥) «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧١، بتفاوت يسير.
(٦) «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧١، صححناه علىٰ المصدر.
(٧) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٥٠٦؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧١.
(٨) «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧١، بتفاوت يسير.
(٩) «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٢.

وعن عبد الله، قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبلت فتية من بني هاشم، فلمّا رآهم النبي صلى الله عليه وآله اغرورقت عيناه وتغيّر لونه، فقالوا: يا رسول الله، ما نزال نرىٰ في وجهك شيئاً نكرهه ؟ فقال: (إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة علىٰ الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وطرداً، حتىٰ يأتي قوم من قِبَل المشرق ومعهم رايات سود، فيسألون الحق فلا يُعطَونه، فيقاتلون وينصرون، فيُعطَون ما سألوا فلا يقبلون، حتىٰ يدفعوه إلىٰ رجل من أهل بيتي، فيملؤها قسطاً كما ملؤوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتها ولو حبواً علىٰ الثلج)[١].

وعن حذيفة، قال صلى الله عليه وآله : (ويح هذه الأمّة من ملوك جبابرة، كيف يقتلون ويخيفون المطيعين، إلّا من أظهر طاعتهم، فالمؤمن التقي يصانعهم بلسانه ويفرّ منهم بقلبه، فإذا أراد الله أن يعيد الإسلام عزيزاً قصم كل جبار عنيد، وهو القادر علىٰ ما يشاء أن يصلح أُمة بعد فسادها). فقال صلى الله عليه وآله : (يا حذيفة، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يملك رجل من أهل بيتي، تجري الملاحم علىٰ يديه، ويظهر الإسلام، لا يخلف وعده، وهو سريع الحساب)[٢].

وعن أبي سعيد الخدري، عنه صلى الله عليه وآله قال: (تتنعم أُمتي في زمن المهدي نعمة لم يتنعموا مثلها قط، يرسل الله السماء عليهم مدراراً، ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلّا أخرجته)[٣].

وعن أنس بن مالك، قال صلى الله عليه وآله : (نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة، أنا، وأخي علي، وعمّي حمزة، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهدي)[٤].

وعن أبي هريرة، قال صلى الله عليه وآله : (لو لم يبق من الدنيا إلّا ليلة لملك فيها رجل من أهل بيتي)[٥].

وعن ثوبان، قال صلى الله عليه وآله : (يُقتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلىٰ واحد منهم، ثم تجيء الرايات السود، فيقتلونهم قتلاً لم يقتله قوم، ثم يجيء خليفة الله المهدي، فإذا

---

(١) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٤٩١؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٢، بتفاوت، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٢، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٥٢٠، بتفاوت يسير؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٣، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٤٨٨، بتفاوت؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٣.

(٥) «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٣.

سمعتم به فائتوه فبايعوه، فإنه خليفة الله المهدي)[١].

وعن ثوبان، قال ﷺ : (تجيء الرايات السود من قِبَل المشرق، كأن قلوبهم زبر الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم فبايعهم ولو حبواً على الثلج)[٢].

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قلت: (يا رسول الله، أمنّا آل محمد المهدي أم من غيرنا ؟ فقال ﷺ : لا، بل منّا، يختم الله به الدين كما فتح بنا، وبنا ينقذون من الفتن كما أُنقذوا من الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتنة إخواناً، كما ألّف بينهم بعد عداوة الشرك، وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخواناً، كما أصبحوا بعد عداوة الشرك إخواناً في دينهم)[٣].

وعن ابن مسعود، قال ﷺ : (لو لم يبق من الدنيا إلّا ليلة لطوّل الله تلك الليلة، حتى يملك رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويقسم المال بالسوية، ويجعل الله الغنىٰ في قلوب هذه الأمة، فيملك سبعاً أو تسعاً، لا خير في عيش الحياة بعد المهدي)[٤].

وعن أبي هريرة، عنه ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي، يفتح القسطنطينية وجبل الديلم، ولو لم يبق إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يفتحها)[٥].

وعن قيس بن جابر، عن أبيه، عن جده، أنه ﷺ قال: (سيكون بعدي خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة، ثم يخرج رجل من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً)[٦].

وعن أبي سعيد الخدري، قال ﷺ : (منّا الذي يصلّي عيسىٰ بن مريم خلفه)[٧].

---

(١) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٤٨٩، ٤٩٠، ٥٢٠، بتفاوت؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٣، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٣، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٥٠٦، بتفاوت؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٣، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٤.

(٥) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٥١٦، بتفاوت يسير؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٤.

(٦) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٥١٨، بتفاوت؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٤.

(٧) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٥٠٠؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٤.

وعن جابر الأنصاري، قال ﷺ: (ينزل عيسىٰ بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صلّ بنا، فيقول: ألا إنّ بعضكم علىٰ بعض أمراء، تكرمة من الله عزّ وجلّ لهذه الأمة)[1].

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (لن تهلك أمة أنا في أولها، وعيسىٰ ابن مريم في آخرها، والمهدي في وسطها)[2].

ومضمون هذه الأحاديث قد نقلتها العامة كمُلاً وقبلوها.

وقال شيخهم الأعظم ابن عربي في الباب السادس والستين وثلاثمائة، في معرفة منزل وزراء المهدي وغيره، وذكر فيه فصولاً وأبواباً وأحكاماً لا يسع نقلها هنا، لكن نذكر بعضاً منها، قال: «الباب السادس والستون وثلاثمائة: في معرفة منزل وزراء المهدي عليه السلام الظاهر في آخر الزمان، الذي بشّر به رسول الله ﷺ، وهو من أهل البيت.

إنّ الإمــام إلىٰ الوزيــر فــقير ... وعـليهما فـلك الوجـود يـدورُ
والمُـلْك إن لم تـستقم أحـواله ... بــوجود هــذين فسـوف يـبورُ
إلّا الإلٰــه الحــق فــهو مــنزّه ... مــا عــنده فــيما يـريد وزيـرُ
جَلَّ الإلٰـه الحـقّ فـي مـلكوته ... عن أن يراه الخـلق وهـو فـقيرُ

اعلم أن لله خليفة يخرج وقد امتلأت الأرض جوراً وظلماً، فيملؤها قسطاً وعدلاً، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد طوّل الله تعالىٰ ذلك اليوم، حتىٰ يلي هذا الخليفة، من عترة رسول الله ﷺ، من ولد فاطمة، يواطئ اسمه اسم رسول الله ﷺ، جدّه الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، يبايَع بين الركن والمقام، يشبه الرسول في الخَلق ـ بفتح الخاء ـ وينزل عنه في الخُلق ـ بضم الخاء ـ لأنه لا يكون أحد مثل رسول الله ﷺ في خُلُقه، والله يقول فيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3].

هو أجلىٰ الجبهة، أقنىٰ الأنف، أسعد الناس به أهل الكوفة، يقسم المال بالسوية، ويعدل في الرعية، ويفصل في القضية، يأتيه الرجل فيقول: يا مهدي، أعطني، وبين يديه المال، فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله.

---

(١) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٥٠٧، بتفاوت يسير؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٤.

(٢) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٥٠٨، بتفاوت يسير؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٧٥.

(٣) «القلم» الآية: ٤.

يخرج علىٰ فترة من الدين، يَزَع الله به ما لا يزع بالقرآن، يمسي جاهلاً بخيلاً جباناً، ويصبح أعلم الناس، أكرم الناس، أشجع الناس، يصلحه الله في ليلة، يمشي النصر بين يديه، يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً».

إلىٰ قوله: «ويدعو إلىٰ الله بالسيف، فمن أبىٰ قُتل، ومن نازعه خُذل، يظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه، ما لو كان الرسول لحكم به، يرفع المذاهب من الأرض، فلا يبقىٰ إلّا الدين الخالص. أعداؤه مقلّدة العلماء أهل الاجتهاد، لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم، فيدخلون كرهاً تحت حكمه، خوفاً من سيفه وسطوته، ورغبة فيما لديه.

يفرح به عامة المسلمين أكثر من خواصهم، يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق، عن شهود وكشف بتعريف إلٰهي، له رجال إلٰهيّون يقيمون دعوته وينصرونه، هم الوزراء، يحملون أثقال المملكة ويعينونه علىٰ ما قلّده الله. ينزل عليه عيسىٰ بن مريم بالمنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مَهرودَتَين[1]، متكئاً علىٰ ملكين، ملك عن يمينه، والآخر عن يساره»... إلىٰ آخر الباب.

ثم قال:

«ألا إنَّ ختمَ الأولياءِ شهيد	وعين إمام العالمين فقيدُ
هو السيد المهدي من آل أحمد	هو الصّارم الهندي حين يبيدُ
هو الشمس يجلو كل غمّ وظلمة	هو الوابل الوسمي حين يجودُ»[2]

والغاية من كلامه إثباته وإلزامه بوجوده الآن من كلامه الآتي، وإن لم يقرّ به كما وصفته الإمامية، بل هو ممن يقتله القائم ويخلد في عذاب الخلد وساءت مصيراً، وكان الواجب تلقيبه بمميت الدين.

والفطن المنصف ظاهر له من هذه الأحاديث ـ المقبولة عندهم ـ وجوده، وكما وعد الرسول به، فالقول بعدمه أصلاً سبيله العناد، وكذا عدم الوجود له حينئذ، فإنه الثاني عشر، ولأنه من قريش، فلابد منه، وإلّا فسد العالم.

وإذا ضممت لها ما مرّ لك كتاباً وعقلاً ومن طرقهم، من وجوب استمرار قيّم حافظ في

---

(١) بين مَهرودَتَين: أي في شُقّتين أو حُلّتين. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» ج٥، ص٢٥٨، مادة «هرد».

(٢) «الفتوحات المكية» ج٣، ص٣٢٧، ٣٢٨، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

كل وقت، مع هذه الأحاديث، وجدتها نصاً في ثبوته وزيادة علىٰ ماقاله فضلاؤهم؛ كابن عربي في غير موضع، وفي حكمة الإشراق[١] وشرحها[٢]، وابن سينا، وهذا عمدهم، حتىٰ إن منهم من يجعل ابن عربي خاتم الولاية الخاصة[٣]. وكلّهم صرّحوا بوجوب وجود نفس كاملة في كل وقت، مغاثاً للنفوس، ومخرجة لها من القوة إلىٰ الفعل.

وبديهة أن ليس في العالم من هو كذلك، علىٰ أن كل فرد يحتاج إلىٰ مخرج. وجعلها أحد الملائكة لا يتم؛ لقصوره وعدم المناسبة، علىٰ أن هذا العالم يدور علىٰ ذلك، فلابد وأن يكون فيه فرد كذلك.

وقد قال ابن عربي في الجزء الأوّل من فتوحاته: «إنّ الله سبحانه وتعالىٰ أمر أن يولّىٰ علىٰ عالم الخلق اثنا عشر والياً، يكون مقرّهم الفلك الأقصىٰ، وقسم الفلك الأقصىٰ اثني عشر برجاً، وأنزلهم فيها، وكشف لهم عن اللوح المحفوظ، فارتقم مافيه في نفوسهم، وجعل لكل واحد من هؤلاء الولاة حاجبين، وبين كل حاجبين سفيراً يمشي بينهما بما يلقي إليه كل واحد منهما، وعيّن لهؤلاء منازل في الفلك الثاني، وهي ثمانية وعشرون، وجعل لهم نوّاباً في السماوات السبع، ينظرون في مصالح العالم العنصري».

إلىٰ أن قال بعد طول: «وجعل في العالم العنصري خلقاً من جنسهم، رسل، وخلفاء، وسلاطين وملوك، وولاة أُمور العالم العنصري، وجعل بين أرواح هذه وتلك مناسبات ورقائق تمتد إليهم بالعدل، فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الأرضيين منهم بحسب استعداداتهم؛ فمن كان استعداده قوياً حسناً قبله علىٰ صورته وكان عدلاً، ومن كان بخلافه قبله وردّه إلىٰ شكله ردياً، فكان والي جور»[٤] انتهىٰ بعض ما لخصناه.

فإذن لابد من استمرار ذلك كل زمن.

والعجب من العامة لايشترطون في الإمام العصمة ولا ما نشترطه[٥]، وينفون وجوده أصلاً، وهو في الأصلاب وسيولد[٦]. ولا دليل لهم علىٰ ذلك، بل هي علىٰ خلافه، ومثله

---

(١) «حكمة الإشراق» ضمن «مجموعة مصنفات شيخ الاشراق» ج١، ص١١.

(٢) «شرح حكمة الإشراق» ص١٩، طبعة حجرية. (٣) «شرح فصوص الحكم» للجندي، ص٥.

(٤) «الفتوحات المكية» ج١، ص٢٩٥، ٢٩٦، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) انظر: «شرح المقاصد» ج٥، ص٢٤٤، ٢٤٩.

(٦) انظر: «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، ج٧، ص٥٩.

ظاهر في الآفاق، وقابلية العالم توجبه، وكذا قدرة الله وحكمته، فلم يبق لهم إلّا العناد.

ومن جعله منهم عيسىٰ بن مريم، أو القول المنقطع: إنه العسكري، وأنه لم يمت وسيعود[١]، فكالعدم، رواياتهم وما رويناه والأدلة تبطله. نعم، يبقى لهم العناد وتنكب الرشاد، كما سبق ويأتي.

ومن أقرّ منهم به، وأنه محمد بن الحسن، وأنه موجود مخفي، فنادر عندهم، لكن هذا القائل لم يصفه بصفات الإمامة كما تقوله الإمامية. فهو كالعدم، وإن لزمهم منه ما نقول.

المقدمة الخامسة: في ذكر بعض ما ورد من طرقنا في صفته الظاهرة الدالة علىٰ كماله الغيبي وجمعه للكمالين، وذكر اسمه.

عن غيبة النعماني، أنه روىٰ فيها عن أبي وائل، قال: نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ الحسين فقال: (**إنّ ابني هذا سيدكما، سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله سيداً، وسيخرج الله من صلبه رجلاً باسم نبيكم، يشبهه في الخَلق والخُلق، يخرج علىٰ حين غفلة من الناس، وإماتة للحق، وإظهار للجور، والله لو لم يخرج لضربت عنقه، يفرح بخروجه أهل السماوات وسكانها. وهو رجل أجلىٰ الجبين، أقنىٰ الأنف، ضخم البطن، أزيل[٢] الفخذين، بفخذه اليمنىٰ شامة، أفلج الثنايا، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً**)[٣].

الخَلق ـ بفتح الخاء المعجمة ـ: الصورة، وبضمها: الطبع، وهو الدين والسجيّة[٤].

و(**أجلىٰ الجبين**) واضحه، و(**أجلىٰ الجبهة**) خفيف الشعر مابين النزَعتين من الصُّدغين، والذي انحسر عن جبهته الشعر[٥].

وقوله: (**أقنىٰ الأنف**)، القَنا: ارتفاع في أعلىٰ الأنف واحْديدابٌ في وسطه، وقيل: طوله ودقة أرنبته مع حدَب في وسطه[٦].

---

(١) انظر: «الملل والنحل» ج ١، ص ٢٠٠.

(٢) في الأصل والمصدر: أذيل، وما أثبتناه من «بحار الأنوار» ج ٥١، ص ٤٠، ح ١٩، عن «الغيبة» للنعماني، وهو الصحيح.

(٣) «الغيبة» ص ١٤٤، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) انظر: «لسان العرب» ج ٤، ص ١٩٤، مادة «خلق».

(٥) انظر: «لسان العرب» ج ٢، ص ٣٤٤، مادة «جلا».

(٦) انظر: «لسان العرب» ج ١١، ص ٣٣٠، مادة «قنا»، صححناه علىٰ المصدر.

وفي الخبر: (كان رسول الله صلىٰ الله عليه وآله... أقنىٰ العِرنين*)[١].

«و(أزيَل الفخذين) كناية عن عرضهما[٢]، وروي في خبر آخر - وفي بعض النسخ - بالباء الموحدة، وفي بعضها: (أربل) - بالراء المهملة والباء الموحدة - من قولهم: رجل رَبِل، كثير اللحم[٣]، وهو ظاهر.

(فلج الثنايا) انفراجها وعدم التصاقها»[٤].

وفي الإكمال، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو علىٰ المنبر: (يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان، أبيض اللون مُشرب بالحمرة، مُبدَح البطن، عريض الفخذين، عظيم مُشاش المنكبين، بظهره شامتان، شامة علىٰ لون جلده، وشامة علىٰ شبه شامة النبي صلى الله عليه وآله، له اسمان، اسم يخفىٰ، واسم يعلن، فأما الذي يخفىٰ فأحمد، وأما الذي يُعلَن فمحمد، فإذا هزّ رايته أضاء لها مابين المشرق والمغرب، ووضع يده علىٰ رؤوس العباد، فلا يبقىٰ مؤمن إلّا صار قلبه أشد من زبر الحديد، وأعطاه الله قوة أربعين رجلاً، ولا يبقىٰ ميت إلّا دخلت عليه تلك الفرحة في قلبه وهو في قبره، وهم يتزاورون في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم)[٥].

قوله: (مبدح البطن) عريضه وواسعه، فهو واسع بطناً.

وفي القاموس: «البَداح - كسحاب -: المتسع من الأرض، أو اللينة الواسعة، والبِدْح - بالكسر -: الفضاء الواسع، وامرأة بَيْدَحٌ: بادِنٌ، والأُبدح: الرجل الطويل، والعريض الجنبين من الدواب»[٦].

وقوله: (عظيم مُشاش المنكبين).

(*) العِرنين: الأنف، وقيل: رأس الأنف. انظر: «لسان العرب» ج ٩، ص ١٧٥، مادة «عرن».

(١) «معاني الأخبار» ص ٨٠، ح ١.

(٢) انظر: «لسان العرب» ج ٦، ص ١٢٨، مادة «زيل»، وفيه: «أزيَل الفخذين: منفرجهما متباعدهما».

(٣) انظر: «الصحاح» ج ٤، ص ١٧٠٤، مادة «ربل».

(٤) انظر: «بحار الأنوار» ج ٥١، ص ٤٠، ذيل ح ١٩، باختصار، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «كمال الدين» ص ٦٥٣، ح ١٧، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) «القاموس المحيط» ج ١، ص ٤٤١، نقله بإيجاز، صححناه علىٰ المصدر.

وفيه قال: «المُشاشة ـ بالضم ـ: رأس العظم الممكن المضغ، والجمع: مُشاش»[١].

و(الشامتان) مثنىٰ (شامة)، وهي العلامة تخالف البدن التي هي فيه.

قيل: «المراد بها هنا كونها أرفع من سائر البدن، أو أخفض، وإن لم يخالف لونه لونها»[٢].

لكن غير خفي أنّ كون الثانية شامة النبي يوجب أن يكون لونها يخالف لونه، فإن شامة النبي ﷺ كذلك، فهي سوداء وفيها شعر غليظ[٣]، ولابد من المغايرة فيها للبدن جزماً، لكنه لا يتعين كونها أرفع أو أوضع.

وكون أحدهما علىٰ [شبه] شامة النبي ﷺ إشارة إلىٰ النبوة، فإنه الخاتم لخلافة النبي ﷺ، فلا خليفة بعده لشريعته، وهو أول من أظهر شريعته وأخذ بثاره.

والثانية شامة الولاية وعلامتها، وهو عليه السلام أخذ بالحكمين، كلٍّ برهة من الزمان، فكان فيه شامتان.

وفي غيبة الطوسي، عن رسول الله ﷺ، أنه ذكر المهدي فقال: (إنه يبايع بين الركن والمقام، اسمه أحمد، وعبد الله، والمهدي، فهذه أسماؤه ثلاثتها)[٤].

وفي الإكمال، في وصف أمير المؤمنين للقائم عليه السلام: (له اسمان، اسم يخفىٰ، واسم يُعلَن، فأمّا الذي يخفىٰ فأحمد، وأما الذي يعلن فمحمد)[٥].

وخفاؤه زمن الغيبة الكبرىٰ، بل الظاهر المتداول محمد أو المهدي، أو أنه في السماء [أحمد][٦]، والظاهر هنا محمد، كجده ﷺ، أو المراد بالاسم الذي يخفىٰ ـ أي يخفىٰ معناه عند الأكثر حتىٰ من الشيعة ـ أحمد.

ولمّا كان سميّ جدّه سُمّي بعبد الله، ويسمىٰ محمد به، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ ﴾[٧]. وكُنّي بكنيته أيضاً، وهي أبو القاسم، ويكره الجمع بين محمد وأبي القاسم في غيرهما.

---

(١) «القاموس المحيط» ج ٢، ص ٤٢٠.
(٢) «بحار الأنوار» ج ٥١، ص ٣٥، ذيل ح ٤، بتصرف.
(٣) «كمال الدين» ص ١٩٧، ح ٣٩، وفيه: «وكشف عن كتفيه فرأىٰ شامة سوداء بين كتفيه، وعليها شعرات».
(٤) «الغيبة» للشيخ الطوسي، ص ٤٥٤، ح ٤٦٣، صححناه علىٰ المصدر.
(٥) «كمال الدين» ص ٦٥٣، ح ١٧.
(٦) في الأصل: «كمحمد».
(٧) «الجن» الآية: ١٩.

وهو القائم، أي بالسيف والدم، ويسمىٰ بقية الله أيضاً لقباً، ولا يسمّىٰ بأمير المؤمنين؛ فإنّ هذا الاسم خاص بعلي عليه السلام، لا يسمّىٰ به غيره، لافي زمنه ولابعد ولا في الرجعة.

وإذا تأملت في قوله صلى الله عليه وآله وآله ـكما مرّ وسيأتي ـ: (سميي وكنيي)[1]، أنه يسمّىٰ بجميع أسمائه وألقابه وصفاته إلّا النبوة.

وروي علة تسميته بالمهدي: (لأنه يهدي إلىٰ أمر خفيّ، حتىٰ إنّه يبعث إلىٰ رجل لا يعلم الناس له ذنباً فيقتله، حتىٰ إنّ أحدهم يتكلم في بيته فيخاف أن يشهد عليه الجدار)[2].

وفي غيبة الطوسي، عن جابر الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (سأل عمرُ بن الخطاب أميرَ المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن المهدي ما اسمه ؟ قال: أما اسمه فإنّ حبيبي عهد إليّ أن لا أُحدّث باسمه حتىٰ يبعثه الله. قال: فأخبرني عن صفته، قال: هو شاب مربوع، حسن الوجه، حسن الشعر، يسيل شعره علىٰ منكبيه، ونور وجهه يعلو سواد لحيته ورأسه، بأبي ابن خيرة الإماء)[3].

وإنّما لم يخبر باسمه؛ إمّا أنه الاسم الذي في السماء، أو تقية علىٰ الشيعة منه؛ لأنه إذا أخبره كان به أقطع من سماعه من غيره، فيترصد المسمّىٰ به أشد ترصد، قتلاً وغيلة، ولقد شاع منهم القتل لكثير، يريدون عدم بروزه، ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره.

وسيأتي الكلام على التسمية وأن التحريم مخصوص بزمن الخوف، نصاً وإجماعاً، وسمعت من النص التصريح باسمه، وأنّ محمد هو الاسم الذي يُعلن.

وفي إرشاد المفيد، عن عبد الرحيم القصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول أمير المؤمنين عليه السلام: (بأبي ابن خيرة الإماء)، أهي فاطمة ؟ قال: (فاطمة خيرة الحرائر، ذاك المبدح بطنه، المُشرَب حمرة، رحم الله فلاناً)[4].

وفي غيبة النعماني، بسنده عن حمران، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك، إني قد دخلت المدينة وفي حقوي هميان فيه ألف دينار، وقد أعطيت الله عهداً أنني أُنفقها ببابك، ديناراً ديناراً، أو تجيبني فيما أسألك عنه، فقال: (يا حمران، سل تُجَب، ولا تبعّض

---

(١) «إعلام الورىٰ» ج٢، ص١٨٢. (٢) «بحار الأنوار» ج٥٢، ص٣٩٠، ح٢١٢.

(٣) «الغيبة» للشيخ الطوسي، ص٤٧٠، ح٤٨٧، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) لم نعثر عليه في «الارشاد»، أورده العلامة المجلسي في: «بحار الأنوار» ج٥١، ص٤٢، ح٢٤، عن: «الغيبة» للنعماني، ص١٥١، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

دنانيرك)، فقلت: سألتك بقرابتك من رسول الله ﷺ، أنت صاحب هذا الأمر والقائم به ؟ قال: (لا)، قلت: فمن هو ـ بأبي أنت وأمي ـ ؟ فقال: (ذاك المُشرَب حمرة، الغائر العينين، المشرف الحاجبين، عريض مابين المنكبين، برأسه حزاز، وبوجهه أثر، رحم الله موسىٰ)[1].

والمراد بغائر العينين: الذي ليست حدقتا عينيه بارزتين زائداً علىٰ أكثر الناس، فهما إلىٰ الدخول تحت الحاجبين أكثر، وهو قليل في الناس، وهو من الاعتدال التام.

وقوله: (المشرف ـ بالفاء ـ الحاجبين) أي في وسطهما ارتفاع، وهو علة غور العين.

وقوله: (حزاز)، في العوالم: «الحَزاز: ما يكون في الشعر مثل النخالة».

وقوله: (رحم الله موسىٰ) دعاء له بتعجيل الفرج له بالقائم، وأنه ليس القائمُ كما تقوله الواقفية[2] لعنهم الله.

وفيه، عن حمران بن أعين، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام، فقلت له: أنت القائم ؟ فقال: (قد ولدني رسول الله ﷺ، وأنا الطالب بالدم، ويفعل الله ما يشاء). ثم أعدت عليه، فقال: (قد عرفت حيث تذهب، صاحبك المدمج البطن، ثم الحَزاز برأسه، ابن الأوراع، رحم الله فلاناً)[3].

(المدمج البطن) المستوي بطنه بصدره. وقوله: (الحزاز برأسه) كما تقدم، وكذا (رحم الله فلاناً).

وقوله: (ابن الأوراع) ـ بالواو ثم الراء المهملة، وآخره عين ـ جمع (وَرِع)، أي أنه ابن الورعين الزاهدين، أو أن الوَرَع بمعنىٰ الجبان والضعيف، يعني أنَّ صاحبك الشجاع القوي، وهو ابن الجبناء والضعفاء، كناية عن خوفهم واستيلاء أعدائهم عليهم وسكوتهم، لحصول الموانع وعدم استجماع الشرائط، وصاحبك ليس كآبائه؛ لأنه يخرج بالسيف، ولا تقيّة توقفه، ولا مانع يمنعه عن ظهور شريعة جدّه حقاً.

وفي بعض النسخ: (الأرواع)، بتقديم الراء علىٰ الواو، جمع (أروع) الذي يعجبك بحسنه ومنظره أو بشجاعته، أو أنه جمع (رَوْع)، بمعنىٰ الخوف، كالمعنىٰ الأول.

وفيه، بسنده عن محمد بن عصام، عن وهب بن حفص، عن أبي بصير، قال: قال أبو

---

(١) «الغيبة» للنعماني، ص١٤٤، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) انظر: «المقالات والفرق» ص٢٣٦؛ «مقالات الاسلاميين» ص٢٨.

(٣) «الغيبة» للنعماني، ص١٤٤، وعنه في: «بحار الأنوار» ج٥١، ص٤١، ح٢١، بتفاوت، صححناه علىٰ المصدر.

جعفر عليه السلام، أو أبو عبد الله عليه السلام ـ الشك من ابن عصام ـ: (يا أبا محمد، بالقائم علامتان، شامة في رأسه، وداء الحزاز برأسه، وشامة بين كتفيه من الجانب الأيسر، تحت كتفه الأيسر ورقة مثل ورقة الآس، ابن ستة وابن خيرة الإماء)[1].

والتي من الجانب الأيسر هي شبه شامة جدّه، تنزل عن مقام شامة محمد، وصورتها كورق الآس.

وقوله: (ابن ستة)؛ يحتمل أنه ابن ستة أعوام؛ إذ موت أبيه وهو داخل في السادسة، كما سيأتي علىٰ رواية؛ أو ابن سادات ستة من علي عليه السلام، بحذف المكرر وعدم عدّ الحسن، لأنه ليس من نسله، ولم يحصل في غيره عليه السلام من الأئمة؛ أو هي بمعنىٰ: سيدة، لغةٌ فيها، أو تخفيفٌ، كتخفيف «أيُّ شيءٍ» بـ«أيْش»؛ أو أنه مولّد فاستُعمِل.

وفي القاموس: «وسِتّي للمرأة، أي ياسِتَّ جِهاتي، أو لحنٌ، والصواب: سيِّدتي»[2] انتهىٰ.

ويؤيد ذلك مافي غيبة النعماني، بسنده عن يزيد بن أبي حازم، قال: خرجت من الكوفة، فلمّا قدمت المدينة دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فسلّمت عليه، فسألني: (هل صاحَبك أحد؟) فقلت: نعم، فقال: (أكنتم تتكلمون؟) قلت: نعم، صحبني رجل من المعتزلة، قال: (فما كان يقول؟) قلت: كان يزعم أنّ محمد بن عبد الله بن الحسن يرجىٰ هو القائم عليه السلام، والدليل علىٰ ذلك أنّ اسمه اسم النبي صلى الله عليه وآله، واسم أبيه اسم أبي النبي صلى الله عليه وآله، فقلت له في الجواب: إن كنت تأخذ في الأسماء فهو ذا في ولد الحسين عليه السلام، محمد بن عبدالله بن علي، فقال لي: إنّ هذا ابن أمة، يعني محمد بن عبد الله بن علي، وهذا ابن مهيرة، يعني محمد بن عبد الله بن الحسن.

فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: (فما رددت عليه؟) قلت: ما كان عندي شيء أردّ عليه، فقال: (لو تعلمون أنه ابن ستة) يعني القائم[3].

وجواب (لو) محذوف، أي: لرددتم عليه جوابه. فالمراد بـ(ستة) هنا: ست النساء؛ إذ الجواب في مقام ذكر الحرّة، وإن احتمل الآخر، ومرَّ.

---

(١) «الغيبة» للنعماني، ص١٤٥، وعنه في: «بحار الأنوار» ج٥١، ص٤١، ح٢٢، باختلاف بعض الألفاظ، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «القاموس المحيط» ج١، ص٣٢٥.

(٣) «الغيبة» للنعماني، ص١٥٢، بتفاوت، وعنه في: «بحار الأنوار» ج٥١، ص٤٢، ح٢٦، صححناه علىٰ المصدر.

وفي بصائر الدرجات، بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك، إني أُريد أن ألمس صدرك، فقال: (افعل)، فمسست صدره ومناكبه، فقال: (ولمَ ياأبا محمد؟) فقلت: جعلت فداك، إني سمعت أباك وهو يقول: (إنّ القائم واسع الصدر، مسترسل المنكبين، عريض ما بينهما)، فقال: (يا أبا محمد، أبي لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت تسحب على الأرض، وإني لبستها فكانت وكانت، وإنها تكون من القائم كما كانت من رسول الله صلى الله عليه وآله مشمّرة، كأنه يرفع نطاقها بحلقتين، وليس صاحب هذا الأمر من جاز أربعين)[1].

قوله: (مسترسل المنكبين) منبسطهما.

[قوله: (فكانت وكانت)، أي كانت قريبة من الاستواء، والتقدير][2]: كانت مستوية، (وكانت) زائدة. وموافقتها لمن لبسها منهم علامة القيام بأمر الله.

وقوله: (تكون من القائم كما كانت من رسول الله صلى الله عليه وآله)، يعني أنها عليه إذا لبسها مثل ماهي على رسول الله صلى الله عليه وآله، من الاستواء والموافقة.

«وقوله: (مشمّرة) أي مرتفعة أذيالها عن الأرض، والمراد بـ(نطاقها) ما يرسل قدّامها. والمعنىٰ: أنها كانت قصيرة عليه، بحيث يظن الناظر أنه رفع نطاقها وشدّها علىٰ وسطه بحلقتين.

وفي بعض النسخ: (كانت)، ولعل المعنىٰ أنه صلى الله عليه وآله كان يشدّها لسهولة الحركات لا لطولها.

ويحتمل أن يكون المراد بالنطاق: المِنطقة التي تشدّ فوق الدرع.

وقوله: (مَن جاز أربعين) أي في الصورة»[3].

والذي في الروايات[4]: صورته صورة الشباب، وعمره طويل، ولا يظهر شيخاً، فيظهر شاباً قوياً في بدنه وعلىٰ معالجة الأُمور الشديدة الصعبة.

وفي حلية الأبرار، بسنده عن الريان بن الصلت، قال: قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب

---

(١) «بصائر الدرجات» ص١٨٩، ح٥٦؛ وعنه في: «بحار الأنوار» ج٥٢، ص٣١٩، ح٢٠، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) في الأصل: «فالتقدير»، وما أثبتناه من: «بحار الأنوار» ج٥٢، ص٣١٩، تعليقة ح٢٠.

(٣) انظر: «بحار الأنوار» ج٥٢، ص٣١٩، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «كمال الدين» ص٣٧٦، ح٧؛ ص٦٥٢، ح١٢؛ «حلية الأبرار» ج٥، ص٢٥٥، ٢٥٧.

هذا الأمر؟ فقال: ‹أنا صاحب هذا الأمر ولكني لست بالذي أملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وكيف أكون كذلك وأنا علىٰ ما ترىٰ من ضعف بدني؟! وإن القائم هو الذي إذا خرج كان في سن الشيوخ ومنظر الشباب، قوياً في بدنه، حتى لو مدّ يده إلىٰ أعظم شجرة علىٰ وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها، يكون معه عصا موسىٰ وخاتم سليمان، ذلك الرابع من ولدي، يغيّبه الله في ستره ما شاء، ثم يظهره فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً›[1].

وغير خفي أن ما بالشمس الطالعة من خفاء، وعلامات العصمة ظاهرة منه لا تخفىٰ، وكذا ما يأتي به للناس ويطلبه منهم، فإنه أمر جديد، وابتداء دورهم يظهر به، وهو باطن شريعة جده، إذ استخلاص الدين لله وعموم ظهور النور بعد انقطاع الظُّلمة لا يكون إلّا بذلك، ولهذا لا يجري مع الناس بالمنّ كما جرىٰ مَن قبله؛ لمّا لم تزل الموانع. ويعلّمهم الكتاب جديداً، ويردّ كل ظلامة، ولو زيادة شبر في المسجد أو دونه، لأنه يتدارك جميع ما ترك في الأرض في جميع الأديان، بسبب موانع منعت وأوجبت تأخيره، وقد يوجب التأخير سنة أو أكثر، وهو يعلم ابتداء دوران الدور الزماني، واستقامة التكليف الثانوي علىٰ مقتضىٰ التكليف الأولي الذاتي، حتى إنّ كثيراً من أُمته تحاجه بالكتاب؛ لأنه يزيل ما أحدثه المخالفون لظهوره، وقد ملئت ظلماً وجوراً.

ولا تتوهم من سيرته وما يظهر به مخالفةً لجده وسيرته؛ لأنّ جده بُعث علىٰ عبدة أصنام وغيرها، فطلب منهم [الجري][2] علىٰ كلمة الإسلام، واستمالهم ـ أولاً فأولاً ـ في التكاليف ليجروا عليها، ولم يكمل في دينه إلّا القليل، والمطلوب كماله، فلا يكمل إلّا إذا ظهر القائم؛ لزوال ردّتهم إلىٰ غيره، ولزوال الموانع من ظهوره بالسيف. فلا منافاة بين سيرته بسيرة جده، وأنه كان يعاملهم بالمنّ، بخلافه عليه السلام.

وفي غيبة النعماني، بسنده عن عبد الله بن عطاء المكي، عن شيخ من الفقهاء ـ يعني أبا عبد الله عليه السلام ـ قال: سألته عن سيرة المهدي كيف سيرته؟ فقال: ‹يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله، يهدم ما كان قبله، كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديداً›[3].

وعن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: صالحٌ من الصالحين سَمِّهِ لي، أُريد

---

(١) «حلية الأبرار» ج٥، ص٢٥٧، ح١، نقلاً عن «كمال الدين» ص٣٧٦، ح٧، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر. (٢) في الأصل: «الاجراء».

(٣) «الغيبة» للنعماني، ص١٥٢، صححناه علىٰ المصدر.

القائم، فقال: (اسمه اسمي)، قلت: يسير بسيرة رسول الله ﷺ؟ فقال: (هيهات هيهات يا زرارة، ما يسير بسيرته)، قلت: ولمَ ـ جعلني الله فداك ـ؟ فقال: (إنّ رسول الله ﷺ سار في أمته باللين، كان يتألف الناس، والقائم عليه السلام يسير بالقتل، بذاك أُمر في الكتاب الذي معه، أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحداً. ويل لمن ناواه)[1].

ولك أن تفسّر معنىٰ قوله: (هيهات هيهات) بمعنىٰ أنه لا يخالف سيرة جده، كما توهمه زرارة، أو أنه يخالفها، من غير تنافٍ بين المعنيين ـ فتدبّر ـ كما أشرنا له.

وعن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: (إنّ علياً عليه السلام قال: قد كان لي أن أقتل المولّي وأُجيز علىٰ الجريح، ولكني تركت ذلك للعاقبة من أصحابي؛ إن جرحوا لم يقتلوا. والقائم عليه السلام له أن يقتل المولّي ويجيز علىٰ الجريح)[2].

ومعنىٰ: (أُجيز علىٰ الجريح) أي أُجهز[3].

وعن الحسن بن هارون بيّاع الأنماط، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً، فسأله المعلّىٰ بن خنيس: أيسير القائم عليه السلام إذا قام بخلاف سيرة علي عليه السلام؟ قال: (نعم، وذلك أنّ علياً سار بالمن والكف؛ لأنه علم أنّ شيعته سيظهر عليهم من بعده، وأنّ القائم إذا قام سار فيهم بالسيف والسبي؛ وذلك أنه يعلم أن شيعته لن يظهر عليهم من بعده)[4].

وعن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (لو يعلم الناس ما يصنع القائم عليه السلام إذا خرج لأحبّ أكثرهم ألّا يروه؛ مما يقتل من الناس، أما إنه لا يبدأ إلّا بقريش، فلا يأخذ منها إلّا السيف، ولا يعطيها إلّا السيف، حتىٰ يقول كثير من الناس: ماهذا من آل محمد ﷺ، لو كان من آل محمد ﷺ لرحم)[5].

وورد في النصّ أن أكثر ما يردّ عليه المتفقهون[6]؛ لأنه يحكم بالحق الذي أراه الله عن علم، لا بشهادة شهود أو يمين.

وورد أنه عليه السلام يكون الرجل قاعداً في بيته، لا يعلم أحدٌ من الناس أنّ له ذنباً، فيرسل إليه

---

(١) «الغيبة» للنعماني، ص١٥٣، وعنه في: «بحار الأنوار» ج٥٢، ص٣٥٣، ح١٠٩، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «الغيبة» للنعماني، ص١٥٣، بتفاوت، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) انظر: «القاموس المحيط» ج٢، ص٢٤٣.

(٤) «الغيبة» للنعماني، ص١٥٣، بتفاوت يسير.

(٥) «الغيبة» للنعماني، ص١٥٤، بتفاوت يسير.

(٦) «الغيبة» للنعماني، ص٢٠٠، بالمعنىٰ.

فيقتله[١]، فالويل كل الويل لمن خالفه وناواه ولو بقدر الذرة، وطوبىٰ لمن سلّم إليه وردّ إليه في كل شيء.

وعن أبي بصير، قال: قال أبو جعفر عليه السلام : (يقوم القائم عليه السلام بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، علىٰ العرب شديد، ليس شأنه إلّا السيف، لا يستتيب أحداً، ولا تأخذه في الله لومة لائم)[٢].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (ما تستعجلون بخروج القائم عليه السلام، فوالله ما لباسه إلّا الغليظ، ولا طعامه إلّا الجَشب، وماهو إلّا السيف والموت تحت ظل السيف). وهذه الرواية في حلية الأبرار[٣] عن غيبة النعماني[٤].

وفي الكافي، بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إنّ القائم إذا قام ردّ البيت الحرام إلىٰ أساسه، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله إلىٰ أساسه، ومسجد الكوفة إلىٰ أساسه) . وقال أبو بصير: إلىٰ موضع التمّارين من المسجد[٥].

وفي غيبة النعماني، بسنده عن الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إنّ قائمنا إذا قام استقبل من جهّال الناس أشدّ مما استقبله رسول الله صلى الله عليه وآله من جهّال الجاهلية)، قلت: وكيف ذلك ؟ قال: (إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتىٰ الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة، وإنّ قائمنا عليه السلام إذا قام أتىٰ الناس وكلّهم يتأول عليه كتاب الله ويحتج به عليه). ثم قال: (أما والله ليدخلنّ عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحرّ والقُرّ)[٦].

وفيه عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر يقول: (إنّ صاحب هذا الأمر لو قد ظهر لقي من الناس مثلما لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وأكثر)[٧].

وستأتيك زيادة في بيان بعض سيرته وأماراته، ولذا لقّب واشتهر بالقائم، وانتُصر به لدم الحسين عليه السلام ومَن دونه، ويطهّر الأرض ظاهراً وباطناً، وإن كان بالتدريج .

---

(١) «بحار الأنوار» ج٥٢، ص٣٩٠، ح٢١٢.

(٢) «الغيبة» للنعماني، ص١٥٤، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «حلية الأبرار» ج٥، ص٣٢٤، ح٨، بتفاوت يسير.

(٤) «الغيبة» للنعماني، ص١٥٤، بتفاوت يسير. (٥) «الكافي» ج٤، ص٥٤٣، ح١٦.

(٦) «الغيبة» للنعماني، ص٢٠٠؛ وعنه في: «بحار الأنوار» ج٥٢، ص٣٦٢، ح١٣١،بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر. (٧) «الغيبة» للنعماني، ص٢٠٠.

تتـمّة

في مدة مُلك القائم عليه السلام

ولمّا كان القائم عليه السلام جَمَع الرئاستين فهو يحكم بهما، فبمقتضىٰ السيرة الظاهرة يسير بها في الغيبة كآبائه الكرام، ومبدؤها عام الستين بعد المائتين، ومبدأ الدور الآخر من ظهوره عجّل الله فرجه، وأحيانا في دولته في يسر وسلامة وعافية وكمال طاعة، ويكون الخلاص وزوال الاعوجاج من الأرض بتمامه في الرجعة الكبرىٰ، بظهور محمد وآله صلوات الله عليهم، والأنبياء عليهم السلام والأولياء، ومن محض الإيمان في الكرّة الكبرىٰ.

ومدة ظهوره حتىٰ يُقتل قد اختلفت فيها الروايات الواردة عنهم، وسبب الاختلاف إمّا توهم الراوي، أو بحسب قوة المُلك وضعفه، وظهور الغير وعدمه، أو بتفاوت استقرار المُلك، أو من جهة البداء، فلله البداء في الشيء قبل وقوعه.

ففي بعضها: سبع، أو تسع، وسبعين، وغير ذلك، فأكثرها رواية السبعين. وأكثر العامة علىٰ التسع، وبعض إلىٰ السبع.

قال أبو داود: «عن بعضهم، عن هشام: تسع سنين. وقال بعضهم: سبع سنين ... وقال غير معاذ، عن هشام: تسع سنين»[1].

وقال[2]: «هذا سياق الحفّاظ، كالترمذي[3] وابن ماجة[4] وأبي داود»[5].

وفي بعض الأخبار: (لو لم تبق سبع لطوّل الله الأيام، فاليوم بالسبعين)[6].

---

(١) «سنن أبي داود» ج ٤، ص١٠٨، ذيل ح٤٢٨٦، ٤٢٨٧، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) أي الحافظ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كتاب البيان، حيث ذكر جملة من الروايات حول مقدار ملك القائم عليه السلام، في باب مستقل، ثم نقل قول أبي داود الذي أورده المؤلف هنا، ثم قال: «قلت: هذا»... إلىٰ آخره.

(٣) «سنن الترمذي» ج ٤، ص٥٠٦، ح ٢٢٣٢.

(٤) «سنن ابن ماجة» ج ٢، ص١٣٦٧، ح ٤٠٨٣.

(٥) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص٤٩٥، باختصارٍ ما، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) لم نعثر عليه بهذا اللفظ، نعم روىٰ المفيد رحمه الله عن عبدالكريم الخثعمي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كم يملك القائم عليه السلام؟ قال: (سبع سنين، تطول له الأيام والليالي، حتىٰ تكون السنة من سنيّه مقدار عشر سنين من سنيّكم، فيكون سنو ملكه سبعين سنة من سنيّكم هذه).. «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١١/٢، ص٣٨١.

ورویٰ المفید في الإرشاد، بسنده عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، في حديث طويل، أنه قال: (إذا قام القائم سار إلىٰ الكوفة، فهدم بها أربعة مساجد، فلم يبق مسجد علىٰ وجه الأرض له شُرف إلّا هدمها وجعلها جمّاء، ووسّع الطريق الأعظم، وكسر كل جناح خارج في الطريق، وأبطل الكنف والمآزيب إلىٰ الطرقات، ولا يترك بدعة إلّا أزالها، ولا سنّة إلّا أقامها، ويفتح الصين وقسطنطينية وجبال الديلم، فيمكث علىٰ ذلك سبع سنين، مقدار كل سنة عشر سنين من سنيّكم هذه، ثم يفعل الله ما يشاء).

قال: قلت: جعلت فداك، وكيف تطول السنين؟

قال: (يأمر الله الفلك باللبوث وقلة الحركة، فتطول الأيام لذلك والسنون).

قال: قلت له: إنهم يقولون: إن الفلك إن تغير فسد.

قال: (ذلك قول الزنادقة، فأما المسلمون فلا سبيل لهم إلىٰ ذلك، وقد شقّ الله القمر لنبيّه، وردّ الشمس من قبله ليوشع بن نون، وأخبر بطول يوم القيامة، وأنه ﴿ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾[1])[2].

وفي الاحتجاج، عن الحسن بن علي بن أبي طالب، عن أبيه عليهما السلام، قال: (يبعث الله رجلاً في آخر الزمان، وكَلَب من الدهر[3]، وجهل من الناس، يؤيده الله بملائكته، ويعصم أنصاره وينصره بآياته، ويظهره علىٰ الأرض حتىٰ يدينوا طوعاً وكرهاً، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها، لا يبقىٰ كافر إلّا آمن به، ولا طالح إلّا صلح، وتصطلح في ملكه السباع، وتخرج الأرض نباتها، وتنزل السماء بركتها، وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً، فطوبىٰ لمن أدرك أيامه وسمع كلامه)[4].

واعلم [أنه][5] مقدار تسعة عشر سنة يشارك غيره، وهي بداية ملكه، وظهور الحسين وقد بقي من ملكه إحدىٰ عشرة سنة، فما بينهما أربعون سنة، ومن خروج الحسين إلىٰ خروج أبيه علي عليه السلام تسعة عشر سنة، وهو عليه السلام يرجع معه نصرةً لابنه الحسين عليه السلام وتأييداً له[6].

---

(١) «الحج» الآية: ٤٧.

(٢) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١١/٢، ص ٣٨٥، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) يقال: كَلِبَ الدهرُ علىٰ أهله، إذا ألحّ عليهم واشتد. «النهاية» ج ٤، ص ١٩٥، مادة «كلب».

(٤) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٧٠، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) في الأصل: «ان».

(٦) انظر: «مختصر بصائر الدرجات» ص ٢٩، وفيه: (إنّ لعلي عليه السلام في الأرض كرّة مع الحسين ابنه صلوات الله عليهما، يُقبل برايته حتىٰ ينتقم له من أُمية ومعاوية وآل معاوية)..

وفي تفسير علي بن إبراهيم، عن يحيىٰ بن ميسرة الخثعمي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: (﴿ حم * عسق ﴾[1]، عدد سنيّ القائم، وقاف جبل محيط بالدنيا من زمرّد أخضر، فخضرة السماء من ذلك الجبل، وعلم كلّ شيء في ﴿ عسق ﴾)[2].

وفي غيبة الطوسي، عن أبي الجارود، قال: قال أبو جعفر عليه السلام : (إنّ القائم يملك ثلاثمائة وتسع سنين، كما لبث أهل الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويفتح الله له شرق الأرض وغربها، ويقتل الناس، حتىٰ لا يبقىٰ إلّا دين محمد صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، يسير بسيرة سليمان بن داود عليه السلام)[3].

وفي غيبة النعماني، عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت أباجعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: (والله ليملكنّ رجل منا أهل البيت ثلاثمائة سنة، ويزداد تسعاً)، قال: فقلت له: متىٰ يكون ذلك ؟ قال: (بعد موت القائم)، قلت له: وكم يقوم القائم في عالمه حتىٰ يموت؟ قال: (تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلىٰ يوم موته)[4].

وعلي عليه السلام يسمّىٰ القائم، وهو يخرج زمن ابنه الحسين، ويبقىٰ هذه المدة معه، ثم يُقتل، يُضرب علىٰ قرن رأسه في صلاة الصبح، ويغسّله ويكفنه ابنه الحسين عليه السلام، وهو عليه السلام يُقتل مرتين ويموت مرة، خاص به، وذلك دون أهل البيت عليهم السلام، ولذا سمّي علي عليه السلام بذي القرنين[5]، وسمّىٰ نفسه بذلك[6].

وفي إرشاد المفيد: «روىٰ عبد الكريم الخثعمي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام :كم يملك القائم عليه السلام ؟ فقال: (سبع سنين، تطول له الأيام والليالي، حتىٰ تكون السنة من سنيّه مقدار عشر سنين)... الخبر[7].

---

(١) «الشورىٰ» الآية: ١ - ٢.

(٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٢٧٢، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «الغيبة» للشيخ الطوسي، ص ٤٧٤، ح ٤٩٦.

(٤) «الغيبة» للنعماني، ص ٢٣١، بتفاوت؛ وعنه في: «بحار الأنوار» ج ٥٢، ص ٢٩٨، ح ٦١، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «بحار الأنوار» ج ٢٧، ص ٣١٣، ح ٧.

(٦) «مشارق أنوار اليقين» ص ١٦١، وفيه: (أنا ذو القرنين).

(٧) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١١/٢، ص ٣٨١، صححناه علىٰ المصدر.

توضيح

حول مسألة الرجعة

أمّا بيان أحكام الغيبة وغايتها وعلامات ظهورها فسيأتي بعض ذلك، وكذا بعض أحكام الرجعة، وكذا علي عليه السلام في دولة ابنه الحسين عليه السلام لنصرته، وكذا الرجعة الكبرىٰ، وهي رجوع محمد وآله صلوات الله عليهم كملاً، وإن لم يكن بالاستقصاء، لعدم التعرض لها في الأصل كثيراً، لكنه من أحوال القائم، بل ظهوره أول بداية ذلك، إذ الرجعة قد تطلق علىٰ من ظهر بعد غيبته، كحال القائم عليه السلام، فإنه حينئذ لم يمت، بل غائب؛ لحِكم عديدة ستأتيك جملة مما ظهر في باب الغيبة، ولو لم يتعقب الغيبة ظهورٌ ما غاب، فتأمّل.

فالرجعة التي تقول بها الإمامية بمعنىٰ ظهوره عليه السلام بالسيف بعد غيبته، وإحياء أموات في دولته وبعد ذلك، ورجوع الرسول صلى الله عليه وآله مع سائر المعصومين إلىٰ الدنيا، وكمال الدين بكمال ظهوره، وتحقق الحق بكمال تحققه، من الحلال والحرام وسائر الأحكام. وكذا رجوع من يشاء الله إرجاعه من شيعتهم وأعدائهم.

ولا شك في وقوع أمثال ذلك في الأمم السابقة، فلابد وأن يقع في هذه الشريعة الخاتمة مثل ذلك، وكذا ظاهر آي كثيرة تدل علىٰ أنّ مضمونها بعدُ لم يقع، ولا يقع بعدُ إلّا بنشر موتّى، وكمال الدين ورجوع الدولة لهم رجوعاً تاماً بغير اعوجاج.

والعامة لا ينكرون مثله في الأمم السابقة، ويقولون: سيظهر القائم ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، يروونه بعدة طرق. ويراد بالأرض مجموعها، بحيث لا يبقىٰ فيها قدر شبر، ويلزمهم مما سبق ونصوصهم في الأخرىٰ، لكنهم لا يقرّون افتراءً وعناداً. مع أنه مقدور لله، والاستعداد لها موجود، وهو من الأصلح والأكمل بالنسبة إلىٰ العالم، فتقع بالمعنىٰ الثاني أيضاً، بل هي سر من أسرار الله.

ومن الأحكام [الغيبية][1] قول الله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً ﴾[2]، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ ﴾[3] ومنكر المعاد العام لا يقسم بالله، ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرآنَ لَرادُّكَ إِلىٰ مَعادٍ ﴾[4] أي في الدنيا، ﴿ فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا

---

(١) في الأصل: «الغيبة».

(٢) «النمل» الآية: ٨٣.

(٣) «النحل» الآية: ٣٨.

(٤) «القصص» الآية: ٨٥.

أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[١] كما ورد[٢] فيها.

إلىٰ غيرها من الآيات والروايات، وهي من طرقنا أكثر من مائتي حديث، ولم يخالف فيها أحد من الإمامية إلّا المفيد ـ كما نقل عنه ـ في الإرشاد[٣]، وطرح أكثر الروايات، وجعل بعد المهدي القيامة الكبرىٰ، يُرفع قبل أربعين يوماً. وقد سبقه الإجماعُ ـ ولحقه ـ والآياتُ والنصوصُ.

نعم، العامة تنكرها وتشنّع علىٰ الشيعة القول بها، ويشبّهون بشبه ساقطة ستسمعها.

قال الشيخ عبد الله بن نور الدين في المجلد السادس والعشرين من كتاب العوالم ـ بعد كلام كثير للعلماء في الاحتجاج علىٰ صحة الرجعة ـ: «أقول: إذا عرفت هذا فاعلم أني لا أظنك ترتاب بعدما مهدت وأوضحت لك في القول بالرجعة، التي أجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار، واشتهرت كالشمس في رابعة النهار، حتىٰ نظموها في أشعارهم، واحتجوا بها علىٰ المخالفين في جميع أمصارهم، وشنّع المخالفون عليهم في ذلك، وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم، منهم الرازي والنيسابوري وغيرهما، وقد مرّ كلام ابن أبي الحديد، حيث أوضح مذهب الإمامية في ذلك، ولولا مخافة التطويل لأوردت كثيراً من كلماتهم في ذلك.

وكيف يشكّ مؤمن بحقيّة الأئمة الأطهار فيما تواتر عنهم قريباً من مائتي حديث صريح، رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام، في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم، كالكليني، والصدوق، والطوسي، والمرتضىٰ، والنجاشي، والكشي، والعياشي، وعلي بن إبراهيم، وسُلَيم الهلالي، والشيخ المفيد، والكراجكي، والنعماني، والصفّار، وسعد بن عبد الله، وابن قولويه، وعلي بن عبد الحميد، والسيد ابن طاووس، وولده صاحب كتاب زوائد الفوائد، ومحمد بن علي بن إبراهيم، وفرات بن إبراهيم، ومؤلف

---

(١) «الإسراء» الآية: ٥. (٢) «الكافي» ج٨، ص١٧٥، ح٢٥٠.

(٣) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج١١ / ٢، ص٣٨٧. وفيه: «وليس بعد دولة القائم عليه السلام لأحد دولة إلّا ما جاءت به الرواية من قيام ولده إن شاء الله ذلك، ولم ترد به علىٰ القطع والثبات، وأكثر الروايات أنه لن يمضي مهديّ هذه الأمة عليه السلام إلّا قبل القيامة بأربعين يوماً يكون فيها الهرج... والله أعلم بما يكون».. انظر صريح رأيه في: «أوائل المقالات»، «المسائل السروية»، «المسائل العكبرية» ضمن سلسلة مؤلّفاته: ج ٤، ص٧٧؛ ج٧، ص٣٢ – ٣٦؛ ج٦، ص٧٤.

كتاب التنزيل والتحريف، وأبي الفضل الطبرسي، وإبراهيم بن محمد الثقفي، ومحمد بن العباس بن مروان، والبرقي، وابن شهرآشوب، والحسن بن سليمان، والقطب الراوندي، والعلّامة الحلّي، والسيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم، وأحمد بن داود بن سعيد، والحسن بن علي بن أبي حمزة، والفضل بن شاذان، والشهيد محمد بن مكي، والحسين بن حمدان، والحسن بن محمد بن جمهور العمي مؤلف كتاب الواحدة، والحسن بن محبوب، وجعفر بن محمد بن مالك الكوفي، وطهر بن عبد الله، وشاذان بن جبرئيل، وصاحب كتاب الفضائل، ومؤلّف كتاب العتيق، ومؤلف كتاب الخطب، وغيرهم من مؤلفي الكتب التي عندنا ولم نعرف مؤلفه على التعيين، ولذا لم ننسب الأخبار إليهم، وإن كان بعضها موجوداً فيها.

فإن لم يكن مثل هذا متواتراً ففي أي شيء يمكن دعوى التواتر؟! مع ماروته كافة الشيعة خَلَفاً عن سلف. وظني أنّ من يشكّ في أمثالها فهو شاكٌّ في أئمة الدين، ولا يمكنه إظهار ذلك من بين المؤمنين، فيحتال في تخريب الملّة القويمة بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين، من استبعاد المتفلسفين وتشكيكات الملحدين، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ إلى ﴿ الكافِرُونَ ﴾[1].

ولنذكر ـ لمزيد التشييد والتأكيد ـ أسماء بعض من تعرّض لتأسيس هذا المدّعى، وصنّف فيه، أو احتج على المنكر، أو خاصم المخالف، سوى ما ظهر مما قدّمناه في ضمن الأخبار، والله الموفق.

فمنهم: أحمد بن داود بن سعيد الجرجاني.

قال الشيخ في الفهرست: «له كتاب المتعة والرجعة»[2].

ومنهم: الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني. عدّ النجاشي[3] من كتبه كتاب الرجعة.

ومنهم: الفضل بن شاذان النيسابوري. في فهرست الشيخ[4] والنجاشي[5] أنّ له كتاباً في إثبات الرجعة.

ومنهم: الصدوق، محمد بن علي بن بابويه. عدّ النجاشي[6] من جملة كتبه كتاب الرجعة.

---

(١) «الصف» الآية: ٨.

(٢) «الفهرست» ص٨١، الرقم ١٠٠، بتفاوت يسير.

(٣) «رجال النجاشي» ص٣٧، الرقم: ٧٣.

(٤) «الفهرست» ص١٩٨، الرقم: ٥٦٣.

(٥) «رجال النجاشي» ص٣٠٧، الرقم: ٨٤٠.

(٦) «رجال النجاشي» ص٣٩٠، الرقم: ١٠٤٩.

ومنهم: محمد بن مسعود العياشي. ذكر النجاشي[1] والشيخ في الفهرست[2] كتابه في الرجعة.

ومنهم: الحسن بن سليمان، علىٰ ما روينا عنه الأخبار.

وأما سائر الأصحاب فإنهم ذكروها فيما صنّفوا في الغيبة ولم يفردوا لها رسالة، وأكثر أصحاب الكتب من أصحابنا أفردوا كتاباً في الرجعة، وعرفت من روىٰ في ذلك من عظماء الأصحاب وأكابر المحدّثين الذين ليس في جلالتهم شكّ.

وقال العلّامة في الخلاصة ـ في ترجمة ميسر بن عبد العزيز ـ: «وقال العقيقي: أثنىٰ عليه آل محمد، وهو ممن يجاهد في الرجعة»[3] انتهى.

أقول: قيل: المعنىٰ أنه ممن يرجع بعد موته مع القائم ويجاهد معه. والأظهر عندي أن المعنىٰ أنه كان يجادل مع المخالفين ويحتج عليهم في حقية الرجعة»[4] انتهىٰ كلام الشيخ عبد الله.

ولو تتبعت الأخبار وجدتها تزيد علىٰ ذلك، مرّ بعضٌ وسيأتي.

ومما يناسب ذكره هنا من الأخبار الجامعة: ما رواه الحسن بن سليمان الحلي في منتخب بصائر سعد بن عبد الله الأشعري، من كتاب الواحدة للقمي، بسنده إلىٰ عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: (**قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالىٰ أحد واحد، تفرّد في وحدانيته، ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً، ثم خلق من ذلك النور محمداً صلى الله عليه وآله، وخلقني وذرّيتي، ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً، فأسكنه الله في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلماته، فبنا احتج علىٰ خلقه، فما زلنا في ظلّة خضراء، حيث لا شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، ولا عين تطرف، نعبده ونقدّسه ونسبحه، وذلك قبل أن يخلق الخلق.**

وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنصرة لنا، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾[5]، يعني لتؤمنن بمحمد، ولتنصرنّ وصيّه، وسينصرونه جميعاً.

---

(١) «رجال النجاشي» ص٣٥٢، الرقم: ٩٤٤. (٢) «الفهرست» ص٢١٤، الرقم: ٦٠٤.

(٣) «خلاصة الأقوال» ص٢٧٩، الرقم: ١٠٢٢، بتفاوت يسير.

(٤) انظر: «بحار الأنوار» ج٥٣، ص١٢٢ – ١٢٤، صححنا بعض ألفاظه علىٰ المصدر.

(٥) «آل عمران» الآية: ٨١.

وإنّ الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمد، بالنصرة بعضنا لبعض، فقد نصرت محمداً، وجاهدت بين يديه، وقتلت عدوه، ووفيت لله بما أخذ عليّ من الميثاق والعهد والنصرة لمحمد صلى الله عليه وآله، ولم ينصرني أحد من أنبياء الله ورسله، وذلك لمّا قبضهم الله إليه، وسوف ينصرونني، ويكون لي مابين مشرقها الىٰ مغربها، وليبعثنهم الله أحياء من آدم إلىٰ محمد صلى الله عليه وآله، كل نبي مرسل، يضربون بين يدي بالسيف هام الأموات والأحياء والثقلين جميعاً.

فياعجباً! وكيف لا أعجب من أموات يبعثهم الله أحياء، يلبّون زمرة زمرة بالتلبية: لبيك لبيك يا داعي الله، قد تخللوا بسكك الكوفة، قد شهروا سيوفهم علىٰ عواتقهم، لَيضربون بها هام الكفرة وجبابرتهم وأتباعهم من جبابرة الأولين والآخرين، حتىٰ ينجز الله ما وعدهم في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرضِ كما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أمْناً يَعْبُدُونَني لا يُشْرِكُونَ بِي شَيئاً ﴾[1]، أي يعبدونني آمنين لا يخافون أحداً في عبادي، ليس عندهم تقية.

وإنّ لي الكرّة بعد الكرّة، والرجعة بعد الرجعة، وأنا صاحب الرجعات والكرات، وصاحب الصولات والنقمات، والدولات العجيبات، وأنا قرن من حديد، وأنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا أمين الله وخازنه، وعيبة سرّه وحجابه، ووجهه، وصراطه وميزانه، وأنا الحاشر إلىٰ الله، وأنا كلمة الله التي يجمع بها المفترق، ويفرّق بها المجتمع، وأنا أسماء الله الحسنىٰ، وأمثاله العليا، وآياته الكبرىٰ، وأنا صاحب الجنة والنار، أُسكن أهل الجنة الجنة، وأُسكن أهل النار النار، وإلي تزويج أهل الجنة، وإلي عذاب أهل النار، وإلي إياب الخلق جميعاً، وأنا الإياب الذي يؤوب إليه كل شيء بعد القضاء، وإلي حساب الخلق جميعاً، وأنا صاحب الهنات، وأنا المؤذن علىٰ الأعراف، وأنا بارز الشمس، وأنا دابة الأرض، وأنا قسيم النار، وأنا خازن الجنان، وصاحب الأعراف، وأنا أمير المؤمنين، ويعسوب المتقين، وآية السابقين، ولسان الناطقين، وخاتم الوصيين، ووارث النبيين، وخليفة ربّ العالمين، وصراط ربي المستقيم، وفسطاطه، والحجة علىٰ أهل السماوات والأرضين، وما فيهما ومابينهما، وأنا الذي احتج الله به عليكم في ابتداء خلقكم، وأنا الشاهد يوم الدين، وأنا الذي علمت علم المنايا والبلايا والقضايا، وفصل الخطاب والأنساب)... الخبر[2].

---

(١) «النور» الآية: ٥٥.

(٢) «مختصر بصائر الدرجات» ص٣٢؛ وعنه في: «بحار الأنوار» ج٥٣، ص٤٦، ح٢٠، بتفاوت يسير.

ولا شك في ذلك ومرية في تحقق الرجعة كما تقوله الإمامية، بمعنىٰ رجوع أموات، وعود محمد وآله ـ في الدنيا ـ وغيرهم، بل هو من ضروري مذهب الإمامية لمن له أدنىٰ التفات، فلا عبرة بمن أنكرها، بل ظاهر الروايات أنّ منكرها بعد وضوح الدليل لديه كافرٌ، وإن لم تكن هي من شروط الإسلام ابتداءً.

نعم، يجب التصديق بما جاء به الرسول ﷺ إجمالاً، ويلزم العامة الإقرار بها بمقتضىٰ المعقول، وحذو هذه الأُمة حذو ما سبق، وما بعثت أموات في الدنيا، فلا مانع من كونهم عليهم السلام منهم.

ولولا خوف الإطناب لأقمنا لك عدّة براهين حِكمية توجب الرجعة، وأنه يجب التصديق بها كما وردت به النصوص، وأنها المطابقة للأُصول، لا أنها آحاد، وإن كانت هي ابتداءً من مكمّلات الدين، وبعد وضوحها وردّها يكفر بذلك.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[١].

وفي تفسير العياشي، عن ميسر*، قال كنت: عند أبي عبد الله عليه السلام إذ قال: (ما يقول الناس في هذه الآية: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾؟) قال: يقولون: لا قيامة ولا بعث ولا نشور، فقال: (كذبوا والله، إنّما ذلك إذا قام القائم، وكرّ معه المكرّون، فقال أهل خلافكم: قد ظهرت دولتكم يا معشر الشيعة، وهذا من كذبكم، تقولون: رجع فلان وفلان، لا والله لا يبعث الله من يموت، ألا ترىٰ أنهم قالوا: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِم ﴾، كان المشركون أشد تعظيماً باللات والعزىٰ من أن يقسموا بغيرها، فقال الله: ﴿ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً... لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كانُوا كاذِبِينَ * إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾)[٢].

وفي روضة الكافي، عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله: قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللهِ ﴾ الآية؟ قال: فقال لي: (يا أبا بصير، ما تقول في هذه الآية؟) قال: قلت: إنّ المشركين يزعمون ويحلفون لرسول الله ﷺ أنّ الله لا يبعث الموتىٰ، قال: فقال: (تبّاً لمن قال هذا، سلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللات والعزىٰ ؟!). قال: قلت: جعلت فداك،

---

(١) «النحل» الآية: ٣٨ ـ ٤٠.

(*) في المصدر: «سيرين» واستُظهر في هامش المصدر أن يكون مصحّفاً عن «السري».

(٢) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ٢٨١، ح ٢٨، بتفاوت يسير.

فأوجدنيه، قال: فقال: (يا أبا بصير، لو قد قام قائمنا بعث الله قوماً من شيعتنا، قباع سيوفهم على عواتقهم، فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا، فيقولون: يا معشر الشيعة، بُعث فلان وفلان وفلان من قبورهم، وهم مع القائم، فيبلغ ذلك قوماً من عدونا فيقولون: يا معشر الشيعة، ما أكذبكم! هذه دولتكم، وأنتم تقولون فيها الكذب، لا والله ما عاش هؤلاء ولا يعيشون إلىٰ يوم القيامة)، قال: (فحكىٰ الله قولهم فقال: ﴿ وأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ ﴾)[1].

وفي تفسير علي بن إبراهيم، | عن أبيه، عن بعض رجاله | عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (ما يقول الناس فيها؟) فقال: يقولون نزلت في الكفّار، قال: (إن الكفار كانوا لا يحلفون بالله، وإنما نزلت في قوم من أمة محمد صلى الله عليه وآله، قيل لهم: ترجعون بعد الموت قبل القيامة، فحلفوا أنهم لا يرجعون، فردّ الله عليهم فقال: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كاذِبِينَ ﴾، يعني في الرجعة يردّهم فيقتلهم ويشفي صدور المؤمنين فيهم)[2].

قال عزّ من قائل: ﴿ إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إذا أَرَدْناهُ أن نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[3].

وللمخالفين شُبه واهية قد أُحرقت بالبراهين الحِكمية وغيرها، وهي الأصل لمن شذّ منا وانقطع قوله، لمّا عجز عن التفصي عنها قال برجوع القائم خاصة، لا الموتىٰ منهم ومن غيرهم، وأوّلَ أحاديث الرجعة بما لا تقبله، من رجوع الدولة خاصة، أو جعلها آحاداً ظنية لا تورث اليقين، زعماً منه أنّ الشبه أدلة عقلية، لمّا عجز عن التفصي منها، علىٰ أنّ أخبارها متواترة معنىً، والإجماعات المنقولة والمحصّلة عليها قائمة، فلا يمكن تأويلها.

والحاصل: لا شبهة في أنّ الله يحيي أمواتاً عند قيام القائم والحسين، وبعده من رجوع النبي وآله كملاً، وإحياء بعض زمن دولتهم أيضاً، فلا عبرة بقول الشاذ منا المنقطع، فلا شبهة في بطلانه.

والعامة وإن أنكروا ذلك، لكن يلزمهم مما أشرنا له من إحياء كثير مما سبق، صريحُ القرآن بها حاكم وأحاديثُ السنن، ورووا[4] أيضاً إحياء بعض الموتىٰ بعد الموت في الدنيا،

---

(١) «الكافي» ج٨، ص٤٤، ح١٤، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج١، ص٤١٦، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «النحل» الآية: ٤٠.

(٤) «التفسير الكبير» ج٦، ص١٣٨؛ ج٧، ص٢٨.

فهلّا يكون مثله بعد؟! ولم يقع مصدوق: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾[١]، ولا خُلْف لوعده، ولم يقع انتصاف لكثير من الحدود.

« ***وروىٰ الحاكم النيسابوري في تاريخه*** ـ من علمائهم ـ في حديث حسام بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن جده، وكان قاضي نيسابور، دخل عليه رجل فقيل له: إنّ عند هذا حديثاً عجيباً، فقال: يا هذا، ما هو ؟ قال: اعلم أني كنت نباشاً أنبش القبور، فماتت امرأة، فذهبت لأعرف قبرها، فصلّيت عليها، فلمّا جنّ الليل ذهبت لأنبشه، فنبشته وضربت يدي إلىٰ كفنها لأسلبها، فقالت: سبحان الله! رجل من أهل الجنة يسلب امرأة من أهل الجنة، ثم قالت: ألم تعلم أنك ممن صليت علي، وأنّ الله عزّ وجلّ قد غفر لمن صلّىٰ عليَّ ؟ »[٢].

ورووا إحياء موتىً علىٰ يد عيسىٰ[٣] وموسىٰ[٤]، وغيرهم كثير، فلا يكون هم عليهم السلام أقل من ذلك، مع أنه معجزة.

وروىٰ الزمخشري في الكشاف[٥] حديث ذي القرنين، ونقل قصة المرأة وغيرها، فليس للعامة إلّا العناد. والقرآن أيضاً مصرّح بذلك، وبوقوعه في هذه الأمة ولن تجد لسنة الله تبديل، ولن تجد لسنة الله تحويلاً. وأحاديثنا به متواترة.

وأمّا التشكيك[٦] بأنهم كيف يتوبون بعد أن عاينوا العذاب في البرزخ، فقد وقع مثله فلم يرجعوا، وأخبر الله عن أهل النار بأنهم: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[٧].

---

(١) «التوبة» الآية: ٣٣؛ «الفتح» الآية: ٢٨؛ «الصف» الآية: ٩.

(٢) انظر: «بحار الأنوار» ج٥٣، ص١٤١، نقلاً عن «سعد السعود» للسيد ابن طاووس، باختصار، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «تفسير الكشاف» ج١، ص٣٦٤ – ٣٦٥.

(٤) «التفسير الكبير» ج٣، ص٧٨ – ٧٩.

(٥) «تفسير الكشاف» ج٢، ص٧٤٣، روىٰ فيه قصة ذي القرنين، ولم نعثر فيه علىٰ القصة الأُخرىٰ.

(٦) قال الشيخ المفيد في المسائل السروية: «وقد قال قومٌ من المخالفين لنا: كيف يعود كفّار الملّة بعد الموت إلىٰ طغيانهم، وقد عاينوا عذاب الله تعالىٰ في البرزخ، وتيقنوا بذلك أنهم مُبطِلون؟

فقلت لهم: ليس ذلك بأعجب من الكفار الذين يشاهدون في البرزخ ما يحلّ بهم من العذاب، ويعلمونه ضرورةً، بعد المدافعة لهم والاحتجاج عليهم بضلالهم في الدنيا، فيقولون حينئذ: ﴿ يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبُ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ ﴾ «الأنعام» الآية:٢٧، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ بَدا لَهُم ما كانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبون﴾ «الأنعام» الآية: ٢٨».. «المسائل السروية» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج٧، ص٣٦.

(٧) «الأنعام» الآية: ٢٨.

وقال **السيد المرتضىٰ في أجوبة المسائل** التي وردت عليه من الري ـ حيث سألوا عن حقيقة الرجعة، لأن شذّاذ الإمامية يذهبون إلىٰ أنّ الرجعة رجوع دولتهم في أيام القائم، من دون رجوع أجسامهم ـ: «الجواب: اعلم أن الذي تذهب إليه الشيعة الإمامية أنّ الله يعيد ـ عند ظهور إمام الزمان المهدي ـ قوماً ممن كان قد تقدم موته من شيعته؛ ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه، لينتقم منهم.

والدليل علىٰ صحة هذا المذهب أنه لا شبهة لعاقل أنه مقدور لله، وإذا اُثبت جواز الرجعة ودخولها تحت المقدور فطريق إثباتها الإجماع، وإجماعهم عليه قائم، وهو حجة؛ لكشفه عن قول المعصوم، وما يشتمل علىٰ قول المعصوم من الأقوال لابد فيه من كونه صواباً.

ولا منافاة فيها للتكليف، وإنّ الدواعي معها مترددة، حين لا يظنّ ظانٌ أن تكليف مَن يعاد باطل.

وكما يصح التكليف مع ظهور المعجزات والآيات فكذا مع الرجعة؛ إذ لا إلجاء فيها إلىٰ فعل واجب أو ترك قبيح»[1] إلىٰ آخر كلامه.

وكذا ما شكك به من أن آخر الدنيا الموت، وكذا التكليف ولزوم التناسخ، وغيرها من المغالطات، وتدفع بالمعارضة والحل، كما يظهر للفطن، وليس هنا موضع بسطه. كيف والصادق أخبر بهما، والأجسام قابلة للعودين، فتأمّل ترشد.

[...][2] بطول بقائه، فمع أنهم نفوه قبل استمرار الزمان، مثله كثير، وقدرة الله أجلّ من ذلك، ولا دليل علىٰ نفيه، بل هو قائم علىٰ وجوبه، ومرّ بعضه. فلم يبق للعامة في إنكاره إلّا العناد والحسد، فتأمّل ترشد.

المقدمة السادسة: في دفع شُبه العامة.

فأمّا قيام الدليل عقلاً ونقلاً علىٰ إثباته فقد عرفته، وما عسىٰ يشبّه به سيزاح ظلامه لك إن شاء الله تعالىٰ، وليس طريق الشبه بخاص بهذه المسألة، فقد شبّه في النبوات والجانب القدسي بمثل ذلك وأكثر، وأثبت في جانبهما ما لا يناسبهما، بل ذهبت له اُناس، كما اقترّ

---

(١) «رسائل الشريف المرتضىٰ» المجموعة الأُولىٰ، المسألة الثامنة، ص١٢٥، نقله بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) نقص في الأصل.

في الأجزاء الأُول. وكما أُبطلت تلك الأباطيل ـ كما مرّ ـ فكذا هنا، فلا يقدح في حقيقة الحق الشبهُ، بل هي: ﴿ كَشَجَرةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوقِ الأرْضِ مَالها مِن قَرارٍ * يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ في الحياةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ ﴾[1]، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ ﴾[2].

[الشبهة الأُولىٰ][3] أنه كيف يكون خليفة سادّاً مسدّ النبي وهو صغير، مات عنه أبوه وهو ابن خمس سنين أو ست، وزمانه ما قيل: ابن سبع، وقيل: إنه ابن سنتين؟

وهذا باطل؛ فإن قدرة الله لا تأباه، وقد أُوتي عيسىٰ الحكم والنبوة وهو صبي في المهد، وكذا يحيىٰ وداود، مع أن فطرة المعصوم وفطنته أعدل الفطر، وأن مزاجه الهيولاني بالنسبة له في مقام الفعلي بالنسبة إلىٰ غيره، تحصيلاً للأفضلية، بل معتدل حقيقي، وما يراعيه أبوه المعصوم بحسب الزمان والفعل والذكر والغذاء وغير ذلك، فله كمال الإدراك والمعرفة حال طفوليته، فكيف إذا توجهت له روح القدس، ودارت رحىٰ الوجود عليه؟!

مع أنّ سبيل هذه الشبهة وما سيأتي سبيل التشكيك علىٰ القطعي البديهي، فالواجب علىٰ القاصر التسليم والاعتقاد له، وعدم القول بالعدم للشبهة، فكم أمر وجودي خفيت حكمته علىٰ الناظر، وأمر إلهي عجزت دونه النواظر، فرجعت حواسر.

[الشبهة الثانية][4] أنه إذا كانت علل المكلفين في الشريعة لا تزاح إلّا بحافظ للشريعة معصوم، يقصده المسترشدون، وعليه يعوّل السائلون، كما هو المبيّن في الكتب من الأدلة السابقة في وجوب المعصوم كل وقت، فالإمام الآن غائب مستتر عن الأمة لا يتوصل إليه، فعلل المكلّفين إذن غير مزاحة، ومطلق وجود الحافظ لم يُغْنِ؛ لعدم قدرة الخلق علىٰ الاهتداء به، وكونه مفزعاً للطالب وملاذاً للراغب، وإلّا لكفىٰ النبي وإن كان ميتاً.

وإن قلتم بعدم السبيل لذلك نافىٰ الوجوب الفعلي الدال عليه، وغيره من [الأدلة][5] السابقة، أو غيره سدّ مسدّه واستغنىٰ الوجود عنه، فيلزم في غيره أيضاً، وهذا يبطل إمامة من قبله أيضاً ونفي أصل الخلافة، أو للإمام سبيل إلىٰ الإهداء والاهتداء به مع عدم ظهور ذلك ومعرفته، فيلزم تضييعه الأحكام، وهذا كافٍ في إبطال إمامته وعدم عصمته.

---

(١) «إبراهيم» الآية: ٢٦ـ٢٧.
(٢) «العنكبوت» الآية: ٦٩.
(٣) في الأصل: «فنها».
(٤) في الأصل: «ومنها».
(٥) في الأصل: «ادلة».

الجواب: هذا أشد الشبه اشتباهاً، حتىٰ إنه خفي مدرك جوابها ومحزّ اجتثاثها علىٰ بعض الإمامية، وأجاب بعض آخر بجواب، وإن كان كافياً في ردّ باطل العامة، فإن أقل القليل كافٍ في إبطال القيل، إلا إنه لا يشفي العليل، مع مراعاة أُصول مذهبنا في هذا السبيل، فنقول ـ وبالله العصمة والمأمول ـ:

أجاب جماعة من علمائنا، كأبي الفتح الكراجكي وغيره، بـ«أن علل المكلفين قد أُزيحت في هذا العصر كالأعصار السابقة، فكما بعث أنبياء ليقوّموا العوج، ويهدوا الأُمم، وينفر إليهم الراغب، ويقصدهم الطالب، فحال بينهم وبين ذلك الظالمون، ومنعهم الآفكون، حتىٰ أخافوهم وشردوهم وقتلوهم، فكانوا في قتلهم أنبياءهم كمن قصد إلىٰ نفسه، فأعمىٰ بصره، ووقر سمعه عن سماع ما فيه هداه، وهو يقول: لا حجة لله عليَّ، ولا هداية منه وصلت إليَّ، ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾[1].

وكذا الظالمون ـ هذا بالنسبة إلىٰ الإمام الثاني عشر ـ سلكوا سنن من كان قبلهم، ووردوا موردهم، وقصدوا لإهلاك هداتهم، وحرصوا علىٰ إطفاء نور مصابيحهم، وانطوت نياتهم علىٰ قتله، وتطلّبوا شيعته وأهل بيت محمد صلى الله عليه وآله بذلك، فأمره الله بالاستتار؛ لِما وقع منهم، مع ما علم من خبث نياتهم وما فعلوه بالأئمة عليهم السلام والأنبياء، فآلت مصلحة الأُمة لكونه إماماً لهم لا يسدّ غيره مسدّه، وأمره بذلك، لأجَل هو بالغه، وسقط عنه فرض التصدي للسائلين، لعدم الأمن والتمكن، فكانت الحجة لله تعالىٰ علىٰ الناس؛ لمنعهم أنفسهم عن سبيل الهداية وما أُرشدوا عليه، كحال من شدّ بصره عن النظر لمصالحه، وسدّ سمعه عن استماع مناصحته، وقال: لو شاء الله لهداني أو لم يهدني، أوَلم يدرِ أنّ الغواية منه لا من الله ؟!

قال الله سبحانه فيمن ماثلت أحواله لحاله: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴾[2]، وقد شاء الله هدايتهم، لكن عن اختيار لا اضطرار، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ ﴾ جبراً ﴿ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ ﴾[3].

هذا، ولسنا مع ذلك نقطع بأنه عليه السلام لا يعرفه أحد ولا يصل إليه، بل يجوز أنّ طائفة من أوليائه يتيسر اجتماعهم معه. والذي يجب علىٰ المسلمين الآن الرجوع لفقهاء الإمامية في المسائل، فهم الوسائط بين الرعية والإمام، ولا يمتحنه الله بالاستتار إلّا وقد أوجد للأُمة من

---

(١) «الأنعام» الآية: ١٤٩.
(٢) «فصلت» الآية: ١٧.
(٣) «يونس» الآية: ٩٩.

فقه آبائه عليهم السلام ما يغنيهم وتنقطع به الأعذار، وليس الرجوع إليهم كالرجوع إلىٰ القائسين، ولا التعويل عليهم كالتعويل علىٰ الظن والتخمين، بل هو رجوع إلىٰ النصوص المفيدة للعلم واليقين، وتعويل علىٰ ما استحفظوه من آثار الصادقين. ومن أخذ من هذا المعدن فمن الإمام أخذ، وعليه اعتمد وركن.

وكثيراً ما يقول المخالفون لنا عند سماعهم منا هذا الكلام: إذا كنتم قد وجدتم لأنفسكم سبيلاً لتحصيل الأحكام من الأئمة المتقدمين، فقد استغنيتم عن الإمام.

وهذا غير صحيح، فإن هذه الآثار والنصوص موجودة مع من لا يستحيل عليه الغلط والنسيان، ومسموعة بنقل من يجوز عليه الترك والكتمان، فإذا جاز ذلك عليهم لا يؤمن وقوعه منهم إلّا بوجود معصوم، يكون من ورائهم، شاهد لأحوالهم، عالم بأخبارهم إن غلطوا هداهم، أو نسوا ذكّرهم، أو كتموا عَلِم الحقَّ منه دونهم.

وإمام الزمان وإن كان مستتراً عنهم بحيث لا يعرفون شخصه، فهو موجود بينهم، يشاهد أحوالهم، ويعلم أخبارهم، فلو انصرفوا عن النقل أو ضلّوا عن الحق لَما وسعته التقية وظهر، ومنع منه إلىٰ أن يبين الحق وتثبت الحجة علىٰ الخلق.

ولو لزمنا القول بالاستغناء عن الإمام فيما وجدنا الطريق إلىٰ علمه من غير جهته، للزم مخالفينا القول بالاستغناء عن النبي صلى الله عليه وآله في جميع ما أداه، مما علم بالعقل قبل أدائه، وفي إطلاق القول بذلك خروج عن الإسلام»[1].

فلا يلزم نسبة القبيح للإمام، ولا فساد الإمام، إلّا إنه علىٰ مذهبنا إذا جعل الإمام شاهداً فلو ضلّوا هداهم، فقد كان له سبيل إيصالٍ في الجملة، فيصحّ جعله الوساطة أيضاً في تحصيل الأحكام بتقريره، فإنه يُحتاج إليه أيضاً في النظر في آثار آبائه لتحصيل الحكم؛ لأنه الشاهد، فلا يحسن حينئذ القول بمنع الظالمين له عن الأحكام كلها، كيف وفي الأُمة المسترشد الطالب لهداه؟ وسينفجر الفجر إن شاء الله تعالىٰ.

وأجاب **الفاضل الشيخ محمد بن أبي جمهور في «المجلي»** عن هذا الإشكال بجواب يأتي علىٰ هذا الجواب، بتقريب هو أخلص من هذا وأحق، قال ما ملخصه: «وأما لطفية حال الغيبة ونفعه فلأن السياسة المدنيّة قد تكون باعتبار حفظ الفروع الجزئية، وباعتبار

---

(١) «كنز الفوائد» ج ٢، ص ٢١٧ - ٢١٩، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

الأُمور الكلية المنطبقة علىٰ الجزئيات، وحفظها عن الضياع بالأهواء وأهل الابتداع، فتعذر الانتفاع به في الأول لأمته؛ لعصمته، ولا من الله، بل لأُمور خارجة لا يوجب عدمه وزوال لطفيته في الثاني، فهو الحافظ لقولنا، العارف بأحكامها، فبقاؤه موجب لبقائها وحفظها عن الزوال والتغيير.

وهذا هو الأصل المحوج إلىٰ وجود الإمام - باعتبار الأُصول - ووجوب نصبه في الحكمة الإلهية، وامتناع إنفادها لعارض خارجي كتقيّة الظَلَمة لا يوجب زوال ولا يته في نفسه، ولا تعذرها بالاعتبار الآخر، والانتفاع به حينئذ كالانتفاع بالشمس دونها سحاب، فكما أن هذا لا يمنع الانتفاع بها، وإن تفاوت مع ظهورها، فكذا الإمام عليه السلام، فمنافعه حينئذ واصلة لجميع الأُنفس المستعدة لقبول فيضه ونورانيته، متصلة لأوليائه، بالإعانة علىٰ مطالبهم والإمداد، بل وإلىٰ الأعداء بالضرب علىٰ أيديهم وحجبهم عن أكثر خواطرهم الشيطانية من حيث لا يشعرون، لسريان نوريتهم واتصالها بالكل وينتفع بها، بل الكل قائم به، فقيام العوالم السفلية بضوء الشمس وإن حجبها الغيم.

ولهذا تقرر في الحكمة الإشراقية أن قوام الدنيا وبقاء الأنواع متعلق بالقطب الكلي، الذي عليه مدار الأرض، وبه بقاء الكل؛ لأنه النفس الكلية باعتبار عالم النفس، وعقل الكل باعتبار عالم العقل، وجرم الكل باعتبار عالم الجرم، فهو كل العالم، وصاحب الفيض الكلي علىٰ الكل، فهو آلته الكبرىٰ، ومظهر أسرار الربوبية، الظاهر بسرّ العبودية لسائر الأشخاص، والكل يستمد به، فالأعلام لولاه طامسة، والأديان لولا وجوده دارسة، فقواعد الدين مشيدة بوجوده، وأعلام الهدىٰ منتشرة بجوده، بل وكل الجود والوجود الفائض عن الوجود المطلق فائح بوجوده.

فليتفطن لهذه الرموز أُولو الأفهام، فإنها من الأُمور العظام، بها ينجلي ما يرد علىٰ أهل الولاية من الشكوك والأوهام» انتهى.

توضيح المؤلف

ولمّا كانت هذه المسألة مبنىٰ الدين فلنوضح البيان بوجه أعلىٰ وأبسط، لإيضاح الحق المستبين، فنقول: طريق الاهتداء والهداية ظاهرة للطالب، ومشرب الحق منصرح الورود للشارب، وعلل المكلفين الكلية والجزئية مزاحة عن المطالب، وأبىٰ الله أن يبلي أحداً

بمسألة إلّا وفي الأرض من يزيحها عنه ويبيّن بيانها، وإلّا فلينقطع عنه [معرفتها][١] ويسدّ عنه [بابها][٢]، فهو تكليف بالمحال لِما استحال، وما لمحال المسألة جواب في المقال، بل علىٰ الله قصد السبيل وإرائته، فيقبل الطائع باختياره، وينبو الغوي عن خبث استمداده وغلبة شقاوته.

وكيف ندّعي هذا بالإمام، ويكون له الحجة علينا في القعود والقيام، ويكون الأمر وصراحته بالنسبة لنا كسائر الأمم والأيام، في غابر الأزمان ومستقبل الأعوام، ويكون هو الهادي في عسكر الظلام، وحكم الله في الكلي والجزئي مطلوب من الخاص والامام، ثم يمنعنا عن تحصيله؟! فإن منع الظالم نفسه وقصر بحظه فلا يجري ذلك علىٰ الطالب المسترشد والمستوضح للحق الطالب، وللزم نسبة القبيح إلىٰ الله تعالى، والتكليف بالمحال، وإضاعة من في الأصلاب إلىٰ يوم القيام، إذن لفسدت السماوات والأرض، وفات الفرض، وجاء الإهمال في الصنع والتدبير.

بل حاله عليه السلام بالنسبة إلىٰ الأمة، وتبليغ ما ينزل عليه ليلة القدر في السنة، التي لا انقطاع لها، وكذا في الآنات، كحال آبائه من غير فرق، فيؤلف بينهم في الحكم تارة، ويفرّق أخرىٰ؛ لأنه أذن للإمام في ذلك علىٰ قدر ما يعلم من المصلحة، كحال الظهور.

ولا يمنع ذلك غيبته، لأنه مطّلع علىٰ مافي نفوس الأمة، وينظر في أعمال شيعته، واتصال النفوس بنفسه أشد من اتصال الأشعة بالشمس، وهي من فاضل نورية جسده.

ولا إخلال منه بالحسبة بوجه، ولا تجري التقية فيه، فإن نقصوا شيئاً أتمه لهم، وإن أزادوا ردّهم، أو جهلوا بيّنه لهم، فهو في جميع ذلك ينفي عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. وقد سبق ذلك في الجزء الثاني[٣]، والروايات بذلك منّا طافحة، وكذا الآيات والبراهين العقلية.

وكيف يسلّمون للشيطان التسلط علىٰ الوسوسة، وأنه يجري مجرىٰ الدم من العروق[٤]،

---

(١) في الأصل: «بابها».　　(٢) في الأصل: «معرفتها».

(٣) «هدي العقول ج١، ص٩٠، الباب الثاني، ح٢؛ وانظر: «الكافي» ج١، ص٣٢، باب صفة العلم وفضله ... ح٢، ص١٧٨، باب أن الأرض لا تخلو من حجة، ح٢.

(٤) «تفسير العياشي» ج١، ص٣٣٩، ح٧٨؛ «مسند أحمد بن حنبل» ج٣، ص١٥٦، ٢٨٥.

ولعزرائيل تصفّح الوجوه، ودخول البيوت كل يوم خمس مرات[1]، ولا يثبتون مثله وأشد لولي الله، الذي الكل في قبضته، والملائكة في خدمته، والعوالم كلها، كالدرهم في كف أحدنا يقلبه كيف يشاء، أليس تقرير الإمام حجة كفعله وقوله؟ وما عسىٰ أن يرد هنا يرد في القول والفعل مثله، ومايجاب به قائم في التقرير، بل هو فيه أبعد، كماهو ظاهر للفطن المؤيَّد.

ولمّا وجب النظر لتحصيل الحكم التكليفي المستمر، مع علم الإمام بذلك، وقيام الجسم، وتوجه روح القدس له مطلقاً، ورجوع التدبير إليه كذلك، فمتىٰ حصّل الناظر حكماً جهده، وتبع الراجح كذلك، والإمام عالم به، فمتىٰ سكت فهو راضٍ به، فهو كقوله وفعله، وإلّا فليصرفه عنه بإلقاء في روعه بإشارة، أو في عبارة، أو علىٰ لسان إنسان.

وكم حكم ظهر لناظر لم يسبقه إليه أحد، من إجماع، أو خلاف في آية أو رواية، وهذا ظاهر مستمر، قد عرف الناظر بحسن السكينة ولحن الخطاب ـ المنبّه ـ أنه الحق، وإلّا لزم بطلان التكليف، وليس هو الفرض، أو تكليف ما لا يطاق.

فإن عمّ بنا بلاء الظَّلَمة، وانقطعت الملاقاة الحسية، فلا تنقطع الغيبية، بل هي حينئذ أتمّ وأقوىٰ، ولا يعجز الإمام عن إيصال الحكم للطالب في حسن الاستيضاح، فليس تحصيل الحكم موقوفاً علىٰ المشاهدة الحسية خاصة، وبدونه لا يرد شيء من تلك الشبهات، ولا يعدل عن الأُصول المجتهدات.

أليس من المقرر استمرار دراية: (انظروا)[2] و (اعرفوا)[3] واعتبروا وتدبّروا؟ فليست الرواية القولية وحدها كافية، وإن صحّت سنداً، فقصاراه يوجب صدورها عن الإمام، وهو خاصةً ليس بكاف في تحصيل الأُحكام، والكلمة تصدر منهم علىٰ وجوه، والنقل بالمعنىٰ معمول به عند الثقات، إلىٰ غير هذه الإحتمالات.

فإذا شرّع النظر بحسن الاستيضاح واللطيفة الربانية للسالك الرّاد إليهم عليهم السلام، فما لم تنته إلىٰ التقرير من الإمام ـ صاحب هذا العصر والزمان ـ لم يصحّ العمل بما يظهر للناظر فيها بنظره، ولم يخرج الحكم من القوة إلىٰ الفعل، ومن الإمكان للوجوب؛ إذ بعض آحاد

---

(١) «الكافي» ج ٣، ص ٢٥٦، ح ٢٢.

(٢) «الكافي» ج ٧، ص ٤١٢، ح ٥، وفيه: (انظروا إلىٰ من كان منكم قد روىٰ حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فارضوا به حَكَماً)...

(٣) «بحار الأنوار» ج ٢، ص ١٤٨، ح ٢٠، وفيه: (اعرفوا منازل شيعتنا علىٰ قدر روايتهم عنّا وفهمهم منّا).

السلسلة لا تكون لها علة موجودة، فلابد من علة خارجة محقّقة ظاهرة الفعلية.

ومما لا خلاف فيها أنّ الرواية جزء دليل، لاهي وحدها الدليل، وإلّا لعمل بكل رواية علىٰ أي نحو، ولا قائل به.

فاتضح من ذلك أنه لا يمكن تحصيل الحكم حتىٰ من الرواية الجزئية المنقولة، إلّا بالانتهاء للتقرير، فلا غنىً عن الإمام في حكم من الأحكام.

وأيضاً، أليس تحصيل الحكم بحسن النظر في الأدلة جارياً حال الظهور، فإن ظهر عمل به، وإلّا عمل بالاحتياط جهده حتىٰ [يكاتب][1]؛ لتفرق العلماء في البقاع، وعموم التكليف، وما كان كل فرد يأخذ الأحكام وما يتجدد شفاهاً، ولهذا سئلوا عن كيفية النظر والعمل بالروايات المتنافية، وأمروا بالعرض علىٰ الكتاب وغير ذلك، كما اقترّ في موضعه، ومرّ بعضه في الجزء الثاني[2]. مع المنع بالعمل بالرأي والقياس، بل كل ما لم يخرج عنهم عليهم السلام باطل، من النار وإليها.

فلابد من القول بالتقرير حينئذ، وأنه إذا بلغ النظر مبلغه، مع علم الإمام به وعدم الصرف عنه، مع قدرته له وعدم المانع، فإنه أذن في الحكم.

ولا ينافي الاختلاف ولا التردد تارة عدم الظهور أخرىٰ، في وقت دون آخر، لقيام مثله قبله، ووجه عدم المنافاة ظاهر، بل يصدق بالنسبة الىٰ الغائب الناظر حال الظهور أنه أخذ عن الإمام مع غيبته، فكذا هنا، بل يجري بنوع تقريب بالنسبة إلىٰ زمن النبي صلى الله عليه وآله، فكيف يجري هناك ويصحّ ولا يصحّ أخيراً؟ بل هو هنا أحق وأولىٰ؛ لقوة القرب حينئذ.

هذا، والأخذ عنه حساً لا غنىً له عن الاعتبار والتدبر، ولو فيما يقوله، دون العكس، فالأخذ الغيبي وحسن الاستعداد شرط فيه، دون العكس، فكما حصل الإهداء والاعتبار بالطريق الثاني حال الظهور فكذا هنا، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإنَّ اللهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ ﴾[3].

فتأمّل في ذلك، فإنه ينصرح لك به عدة مسائل غير ما نحن بصدده، كحجيّة الإجماع، ووجه كشفه عن قول الحجة واستمراره، وقد بينّا ذلك في المجلد الثاني[4].

---

(١) في الأصل: «تكاتب».

(٢) «هدي العقول» ج ٢، ص ٣٠٠، ح ١٠؛ ص ٣٤٥، ح ٢.

(٣) «العنكبوت» الآية: ٦٩.

(٤) انظر: «هدي العقول» ج ٢، ص ٢٧ وما بعدها.

أما قول بعض متأخري المتأخرين في هذه الأعصار: «إنه لا يمكن الأخذ من الإمام إلّا مع ظهوره وتشخصه عياناً للكل، أو أن فائدته حينئذ ولطفيته حفظ جرم الأرض، أو أنّ العاصي إذا سمع بوجوده واعتقده يمنعه عن ارتكاب المعاصي، بخلاف ما لم يكن كذلك».

فهو ساقط، أُصول المذهب ومتواترات النصوص والأدلة تبطله، وفي الإشارة بما مرّ كفاية. كيف وجرم الأرض مع ضياع الدين وخفائه علىٰ الطالب لا حفظ له؟ والعاصي لم يرتدع حال الظهور، فكيف حال الغيبة؟ وبداهة البطلان كافية عن التطويل، والإنسان محل السهو والغلط والنسيان.

ومن شك في ذلك؛ فإن كان من أهل التقليد والمعاندين المحجوبين فلا كلام معهم إلّا بطريق الإلزام ودفع الشبه، وإلّا فآثار ذلك يجده في لحظات نفسه وبوارق نظره.

أما العامة لو خوطب معهم في إبطال هذه الشبهة فنقول لهم:

أولاً: إنا نجد خلاف ذلك، وأنتم لم تجدوه؛ لما علىٰ قلوبكم من الرين، لنص: ﴿ بَلْ رَانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[1] وغيرها، وإنما يعرف أقوال الرئيس من أقرّ به واتبع أوامره ونواهيه.

وثانياً: إنه بعد [صراحة][2] الدليل عقلاً ونقلاً من وجوه ـ كما عرفت ـ لو خفيت مسألة ولم يدرك ردّ شبهة فذلك لا يوجب العدول عن المقطوع به الجزمي لغيره، بل ولا يجوّزه، وإلّا لم تسلم مسألة في توحيد أو عدل أو نبوة. نعم، ردّ الشبهة واجب كفائي، فإذا خفيت علىٰ بعض لم تخفَ علىٰ آخر، وهكذا ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

وثالثاً: إنّ ما قلناه، صريحُ أحاديثكم المقبولة عندكم في صحاحكم وكتب درايتكم، وكذا محكم القرآن، يحقق ذلك ويثبته، لكن عدم التفطن واتّباع من ضل وغوىٰ يوجب التكذيب للبديهي، ﴿ وَكَأَيِّن مِنْ آيَةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾[4]، ﴿ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَىٰ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[5]، لا لمن لم يستضئ بنور العلم ولم يرجع إلىٰ ركن وثيق، بل تبع للشيطان فباء بالضلالة والخسران.

---

(١) «المطففين» الآية: ١٤.
(٢) في الأصل: «صلاحه».
(٣) «يوسف» الآية: ٧٦.
(٤) «يوسف» الآية: ١٠٥.
(٥) «ق» الآية: ٣٧.

بيـان ذلك ـ وإن أختصر بالبيان ـ: أنهم رووا ـ كما سمعت ـ حديث الثقلين[١]، وأنّ أهل بيته أمان لأهل الأرض[٢]، وأنهم كسفينة نوح[٣]، وأمثال ذلك مما ملأ كتبهم، ولا يتمّ ذلك إلّا بالاستمرار. والأمان يشمل حتىٰ السلامة من الغواية، بل هي الأصل.

فإذا لم يكن الموصوف بهذه الصفة ظاهراً مستمراً فلابد من كونه مخفياً مستتراً، وما علّق عليه الرسول من الصفات والأحكام، وجعله منوطاً بها، وكذا مثل: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٤] لابد وأن يوصله، وإن عجزت الأمة عن الوصول فالله وخليفته لا يعجز، وإلّا لزم تكذيب الله ورسوله، وذلك يوجب الخروج عن الملّة، فيعود البحث معهم الىٰ مسألة أُخرىٰ هو إثبات النبوة والشريعة والخلافة، حتىٰ يأتي إلىٰ إثباتها.

ومن عرف الإمام ونسبته من العالم ومحلته، وماهو عليه من الجامعية ومرتبة الخلافة الإلهية، لا يخفىٰ عليه، بل يجده بديهياً وأنه لابد من ثبوته له، لا من يجوّز كونه مفضولاً، وأنه كإمام الجماعة أو القافلة، وينفي عنه العصمة، فهو كسائر الأُمة. واكتف بقليل العبارة.

ورابعاً: أليس النبي ﷺ المفتقَر إليه قد سكت بعض الأحيان، كمدة كونه في الغار؟ فإن قيل باستغناء العالم عن الهداية والاهتداء حينئذ، فهو باطل، وإن قيل: لهم ذلك وإن لم يدركه، فليجز هنا، ولا فرق بين الأُسبوع والشهر، ولا الشهر والسنة. وكما أنّ ذلك لا يوجب نسبة قبيح للرسول، بل للأُمة المحاربين له، فكذا هنا.

[الشبهة الثالثة][٥]: سلّمنا الانتفاع به وعدم تفويت الهداية واللطفية بغيبته، فما الفائدة فيها والحكمة، وفيها تفويت ما كان يتحصل بآبائه؟

قلنا: أمّا التفويت فلا، كما يظهر للفطن فيما مرّ، وكما بالأمس يجري بالحكم الاضطراري كذا هنا. وهذا في الحقيقة ليس بشبهة، فإنه بعد وضوح ذلك وسلامة ساحته

---

(١) «مسند أحمد بن حنبل» ج ٥، ص ١٨٢، ١٨٩؛ «سنن الترمذي» ج ٥، ص ٦٦٢، ح ٣٧٨٦؛ ص ٦٦٣، ح ٣٧٨٨؛ «المعجم الكبير» ج ٣، ص ٦٥، ح ٢٦٧٨، ٢٦٧٩، ص ٦٦، ح ٢٦٨٠، ٢٦٨١؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج ٣، ص ١٤٨.

(٢) «ذخائر العقبىٰ» ص ١٧؛ «الصواعق المحرقة» ص ١٣٥.

(٣) «المعجم الكبير» ج ٣، ص ٤٥، ح ٢٦٣٦، ص ٤٦، ح ٢٦٣٧؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج ٢، ص ٣٤٣؛ «مناقب علي بن أبي طالب» لابن المغازلي ص ١٣٢ – ١٣٤، ح ١٧٣ – ١٧٧.

(٤) «الرعد» الآية: ٧.

(٥) في الأصل: «ومنها».

من النقص والتقصير، لا يوجب عدم ظهور الحكمة في الغيبة ـ لو لم تظهر ـ إنكاره، ولا ثبوت التقصير له، وقد أشرنا لك إلىٰ وقوع مثلها زمن الظهور، بل ليست الغيبة خاصة به، بل لجميع الأنبياء، من غير لزوم قبح لهم، ومن أراد ذلك فليراجع غيبة الصدوق[1] وغيره، وسيأتيك شطر من ذلك في باب الغيبة، مع بيان أسباب الغيبة مما ظهر لنا، والله الموفق والمعين.

[الشبهة الرابعة:][2] أنّ إثبات وجوده واستمراره يوجب الخروج عن مجرىٰ العمر الطبيعي، ونهايته مائة وعشرون، وقد مضىٰ له إلىٰ الآن ـ العام الحاضر، وهو عام أحد وعشرين بعد المائتين والألف ـ من ولادته ألف [وخمس][3] وثلاثون، أو ست وثلاثون سنة، فكيف يبقىٰ كذلك؟

قلنا: يالله العجب! بعد إخبار الرسول ﷺ به وقيام الدليل لامساغ للتكذيب والاستبعاد، وليس ذلك بخاص به، بل التعمير جرىٰ لكثير من الأخيار والأشرار، علىٰ أنّ آثار وجوده والدلالة علىٰ ثبوته مستمرة، فكيف ينكر أو يستبعد؟

علىٰ أنّ الرسول في إخباره بحاله وسيرته لم يقل: إنه يعمّر قبل الظهور ألف سنة أو أكثر، نعم، قال: **(لا تمضي الأيام والليالي حتىٰ يملك رجل من)**[4] كذا وكذا.

والعامة أنكروه وردّوا علىٰ الله ورسوله قبل أن يمضي له عشر سنين، بل أقل، ولم يظهر الإنكار بعد مضي سنين وأعوام كثيرة، فليس هذا بالسبب، [مع أنه ليس بالسبب]. نعم، ذلك يدل علىٰ أنّ الأصل تكذيب الرسول وعدم التصديق له.

هذا، ولا دليل علىٰ عدم مجاوزة العمر مائة وعشرين سنة، بل صريح قول الفضلاء بخلافه.

قال العلّامة الشيرازي ـ وهو من فضلاء العامة ـ **في شرح القانون لابن سينا:** «اعلم أن منتهىٰ عمر سكان وسط المعمورة في زماننا هذا مائة وعشرون سنة، والمعوّل عليه فيه الإستقراء والمشاهدة. وذكروا له وجهين:

---

(١) «كمال الدين» ص١٢٧ ـ ١٤٥.

(٢) في الأصل: «ومنها».

(٣) في الأصل: «وخمسون».

(٤) «الكامل في الضعفاء» ج٤، ص١٩٧، الرقم ١٠٠٨/٤١؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج٤، ص٤٤٢، بتفاوت يسير.

أحدهما: طبي ـ وقد مرّ ـ وهو أنّ زمان الفساد يجب كونه ضعف زمان الكون، وعرفت مافيه.

والثاني: نجومي، وهو أنّ قوام العالم بالشمس، وسنوّها الكبرىٰ مائة وعشرون سنة.

ومما يجب أن يعلم مع ما علمت مما ذكره الأطباء من وجوب النهاية لهذه الحياة، لكن الحجة لا تفيد أنّ العمر لابد وأن يتقدر بقدر معيّن. ولقد جاء في الكتب الإلهية إثبات الأعمار الطويلة للأمم السالفة، وإثبات الأجساد العظيمة لهم، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً ﴾[1].

وإذا لم تكن حجة للأطباء علىٰ قولهم كان الإصرار علىٰ إنكار الأعمار الطويلة دليلاً علىٰ الجهل.

قال الأستاذ أبو ريحان البيروني[2] ـ في الكتاب المسمّىٰ بـ «الآثار الباقية عن القرون الخالية» ـ: وقد أنكر بعض الحشوية ونَوْكىٰ[3] الدهرية طول الأعمار الخالية، وخاصة ماذكره فيما وراء إبراهيم عليه السلام.

قال: وإنما عوّلوا في ذلك علىٰ ما أخذوه من أصحاب الأحكام، من أنّ أكثر عطيات الكواكب في المواليد أن تكون الشمس فيها هيلاجاً، وكذا خداها، يعني تكون في بيتها وشرفها، وفي وتد التربيع ومركز موافق، فتعطي سنيّها الكبر، أو هي مائة وعشرون سنة، ومرتدهما القمر خمسة وعشرون سنة، وعطارد عشرون سنة، والزهرة ثمان، والمشتري اثنا عشر، وهي سنو كل واحد من سنيّها الصغرىٰ، إذ لا يكون زيادتها أكثر من ذلك إذا انضمّت نظر موافقة وسقط التحتاني منها، فلا ينقصان شيئاً، ويكون الرأس معها في البروج بعد أنّها في الحدود الفوقية، فإنه إذا كان كذلك زادها ربع عطيتها وهو ثلاثون سنة، فيكون المجتمع من ذلك مائتي سنة وخمسة عشر سنة. قالوا: وهذا أقصىٰ ما يبلغه الإنسان من العمر إن لم يقطع عليه قاطع.

---

(١) «العنكبوت» الآية: ١٤.

(٢) محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، أبو الريحان، حكيم، رياضي، فلكي، طبيب، أديب، لغوي، مؤرخ من أهل خوارزم، أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده سنة (٤٤٠هـ)، له تصانيف كثيرة. انظر: «معجم المؤلفين» ج٨، ص٢٤١؛ «الأعلام» ج٥، ص٣١٤.

(٣) الأنوك: الأحمق، وقيل: العاجز الجاهل. انظر: «لسان العرب» ج١٤، ص٣٣٤ – ٣٣٥، مادة «نوك».

ثم إنّ الأُستاذ أبا ريحان ردّ عليهم وحكىٰ عن ما شاء الله، أنه قال في أول كتابه في المواليد: يمكن أن يعيش الإنسان بسن القران الأوسط إذا اتفق الميلاد عند تحويل القران من مثله، والطالع أحد بيتي زحل أو المشتري، والهيلاج الشمس بالنهار، والقمر بالليل علىٰ غاية القوة، ويمكن إذا اتفق ذلك تحويل القران إلىٰ محمل، والدلالات كانت علىٰ مثل ما ذكرنا، أن يبقىٰ المولود سني القران الأعظم، وهو سبعمائة وستون سنة ـ بالتقريب ـ حتىٰ يعود القران إلىٰ موضعه.

وحكىٰ أيضاً عن أبي سعيد بن شاذان، في كتاب مذاكرته مع أبي معشر في الأسرار، أنه أنفد إلىٰ أبي معشر مولد لابن ملك سرنديب، وكان طالعه الجوزاء قد حل في السرطان، والشمس في الجدي، فحكم أبو معشر بأنه يعيش بعد زحل الأوسط. قال: وهذا أهل الإقليم قد يفيدهم الحكم بطول الأعمار.

ثم قال أبو معشر: وبلغني أنّ الإنسان إذا مات فيهم قبل أن يبلغ دور زحل الأوسط تعجبوا من سرعة موته.

قال أبو ريحان: فدلت هذه الأقاويل علىٰ اعتراف هؤلاء المنجمين بإمكان وجود هذه الأعمار الطويلة، ثم إنّ التوراة والإنجيل والقرآن متطابقة علىٰ الإخبار عن طول أعمار أُولئك القدماء، فوجب الاعتراف به. أقصىٰ مافي الباب أنه لم يوجد ذلك في زماننا، فعلم قطعاً أن أحوال هذا العالم تختلف باختلاف الأمزجة والأمكنة، ومن البيّن أن من لا يوجد عندنا لا يمكن الحكم عليه بالامتناع» انتهىٰ.

لكن قوله: «أقصىٰ مافي الباب» فيه مالا يخفىٰ؛ فإن مقتضىٰ الدليل الصحة، ومن أين له ذلك مع عدم إحاطته بعمر أهل صقعه، فضلاً عن غيرهم؟

ونحن في هذا الزمان المتأخر عنه وقد يصل بعضّ المائة، وسمعنا عمن تجاوز العمر الطبيعي في إحدىٰ قرىٰ جزيرة أُوال وغيرها، فيصح جريان الزيادة، فكيف فيما مزاجه أعدل الأمزجة وأعلىٰ من مزاج السماوات، وإرادة الله لبقائه؟

وقد سبق لك في المقدمة الرابعة ردّ هذه الشبهة من كلام الشامي الشافعي في «مطالب السؤول».

« ***وقال شيخهم أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي*** الشافعي في كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان، وهو خمسة وعشرون باباً، قال في آخر الكتاب:

الباب الخامس والعشرون: في الدلالة على كون المهدي عليه السلام حياً باقياً مذ غيبته إلى الآن

ولا امتناع في بقائه؛ بدليل بقاء عيسىٰ والخضر وإلياس، من أولياء الله تعالىٰ، وبقاء الدجّال وإبليس الملعونين، من أعداء الله تعالىٰ، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنّة، وقد اتفقوا علىٰ ذلك، ثم أنكروا بقاءه، من وجهين: أحدهما: طول الزمان، والثاني أنه في سرداب من غير أن يقوم أحد بطعامه وشرابه، وهذا ممتنع عادة.

قال مؤلف هذا الكتاب ـ محمد بن يوسف الكنجي ـ: بعون الله نبتدئ، أمّا عيسىٰ عليه السلام فالدليل علىٰ بقائه قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾[1]، ولم يؤمن به أحد مذ نزول هذه الآية إلىٰ هذا ـ وفي نسخة أُخرىٰ: ولم يؤمن به قبل نزول هذه الآية إلىٰ يومنا هذا ـ ولابد أن يكون ذلك في آخر الزمان.

وأما السنّة فما رواه مسلم في صحيحه، عن النواس بن سمعان، في حديث طويل في قصة الدجّال، قال: (**فينزل عيسىٰ بن مريم عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشق بين مَهرودَتين، واضعاً كفيه علىٰ أجنحة مَلَكين**)[2].

وأيضاً ما تقدم من قوله صلى الله عليه وآله: (**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم**)[3].

وأما الخضر وإلياس عليهما السلام، فقد قال ابن جرير الطبري: الخضر وإلياس باقيان يسيران في الأرض.

وأيضاً ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري، قال: حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً حديثاً طويلاً عن الدجّال، فكان فيما حدّثنا قال: (**يأتي وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلىٰ بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس ـ أو: من خير الناس ـ فيقول له: أشهد أنك الدجّال الذي حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وآله حديثه، فيقول الدجّال: أرايتم إن قتلت هذا ثم أحييته، أتشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ماكنت فيك قط أشد بصيرة منّي الآن**). قال: (**فيريد الدجّال أن يقتله فلا يسلّط عليه**)[4].

---

(١) «النساء» الآية: ١٥٩.

(٢) «صحيح مسلم» ج ٤، ص ١٧٨٣، ح ٢٩٣٧، بتفاوت يسير.

(٣) «صحيح البخاري» ج ٣، ص ١٢٧٢، ح ٣٢٦٥؛ «صحيح مسلم» ج ١، ص ١٢٣، ح ١٥٥/٢٤٤.

(٤) «صحيح مسلم» ج ٤، ص ١٧٨٤، ح ٢٩٣٨.

قال أبو إسحاق ـ وهو إبراهيم بن محمد بن سعد* ـ: يقال: إنّ هذا الرجل هو الخضر عليه السلام.

قال**: هذا لفظ مسلم في صحيحه كما سقناه سواء.

وأما الدليل علىٰ بقاء الدجّال فإنه أورد حديث تميم الداري والجسّاسة، الدابة التي كلّمتهم، وهو حديث صحيح ذكره مسلم في صحيحه[1].

وقال: صحيح صريح في بقاء الدجّال.

قال: وأمّا الدليل علىٰ بقاء إبليس اللعين، فآي الكتاب، نحو قوله تعالىٰ: ﴿ قالَ رَبِّ فأنظِرْني إلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُون * قالَ فإنّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ ﴾[2].

فأما بقاء المهدي فقد جاء في الكتاب والسنّة:

أمّا الكتاب فقد قال سعيد بن جبير، في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ ﴾[3]، قال: هو المهدي من عترة فاطمة. وأمّا من قال: إنه عيسىٰ، فلا تنافي بين القولين؛ إذ هو مساعد للإمام، علىٰ ما تقدم.

وقد قال مقاتل بن سليمان ـ ومن شايعه من المفسّرين ـ في تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسّاعَةِ ﴾[4]، قال: هو المهدي يكون في آخر الزمان، وبعد خروجه قيام الساعة وأماراتها.

وأمّا السنّة فما تقدم في كتابنا هذا من الأحاديث الصريحة الصحيحة.

وأمّا الجواب عن طول الزمان فمن حيث النص والمعنىٰ.

أمّا النص فما تقدم من الأخبار علىٰ أنه لابد من وجود الثلاثة في آخر الزمان، وأنهم ليس فيهم متبوع غير المهدي عليه السلام، بدليل أنه إمام الأُمة في آخر الزمان، وأن عيسىٰ يصلّي خلفه ـ كما ورد في الصحاح ـ ويصدّقه في دعواه. والثالث هو الدجّال اللعين، وقد ثبت أنه حي موجود.

وأمّا المعنىٰ في بقائهم فلا يخلو من أحد قسمين: إمّا أن يكون بقاؤهم في مقدور الله تعالىٰ، أو لا يكون، ومستحيل أن يخرج عن مقدور الله ؛ لأن من بدأ الخلق من غير شيء

(*) وهو أحد مشايخ الحافظ أبي عبد الله الكنجي.

(**) أي الحافظ الكنجي، واللفظ لصاحب «كشف الغمة».

(١) «صحيح مسلم» ج٤، ص١٧٨٨، ح٢٩٤٢. (٢) «الحجر» الآية: ٣٦ – ٣٧.

(٣) «التوبة» الآية: ٣٣؛ «الصف» الآية: ٩. (٤) «الزخرف» الآية: ٦١.

وأفناه، ثم يعيده بعد الفناء، لابد أن يكون البقاء في مقدوره.

وإذا اثبت أنّ البقاء في مقدوره تعالىٰ، فلا يخلو من قسمين: إمّا أن يكون راجعاً إلىٰ اختيار الله تعالىٰ، أو إلىٰ اختيار الأمة، ولا يجوز أن يكون راجعاً إلىٰ اختيار الأمة؛ لأنه لو صحّ ذلك منهم لصحّ من أحدنا أن يختار البقاء لنفسه ولولده، وذلك غير حاصل لنا، وغير داخل تحت مقدورنا، فلابد أن يكون راجعاً إلىٰ اختياره تعالىٰ.

ثم لا يخلو بقاء هؤلاء الثلاثة من قسمين أيضاً: إمّا أن يكون لسبب، أو لا يكون لسبب، فإن كان لا لسبب كان خارجاً عن وجه الحكمة، وما خرج عن وجه الحكمة لا يدخل في أفعال الله، فلابد أن يكون لسبب تقتضيه حكمة الله تعالىٰ.

قال: وسنذكر سبب بقاء كل واحد منهم علىٰ حدة.

فأمّا بقاء عيسىٰ لسبب، وهو قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾، ولم يؤمن به ـ منذ نزول هذه الآية إلىٰ يومنا هذا ـ أحد، فلابد من أن يكون هذا في آخر الزمان.

وأمّا الدجّال اللعين، لم يحدث حدثاً منذ عهد إلينا رسول الله ﷺ أنه خارج فيكم الأعور الدجّال، وأن معه جبال من خبز تسير معه، إلىٰ غير ذلك من آياته، فلابد من أن يكون ذلك في آخر الزمان لا محالة.

وأمّا الإمام المهدي عليه السلام منذ غيبته عن الأبصار إلىٰ يومنا هذا لم يملأ الأض قسطاً وعدلاً، كما تقدمت الأخبار في ذلك، فلابد أن يكون ذلك مشروطاً بآخر الزمان.

فقد صارت هذه الأسباب لاستيفاء الأجل المعلوم، فعلىٰ هذا اتفقت الأسباب لبقاء الثلاثة، لصحة أمر معلوم في وقت معلوم، وهما صالحان، نبي وإمام، وطالح عدو الله، وهو الدجّال.

وقد تقدمت الأخبار من الصحاح ـ بما ذكرناه ـ في صحة بقاء الدجّال، مع صحة بقاء عيسىٰ، فما المانع من بقاء المهدي عليه السلام ؟ مع كون بقائه باختيار الله تعالىٰ وداخلاً تحت مقدوره تعالىٰ، وهو آية الرسول ﷺ، فعلىٰ هذا هو أولىٰ بالبقاء من الاثنين الآخرين، لأنه إذا بقي المهدي كان إمام آخر الزمان، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، علىٰ ما تقدمت الأخبار، فيكون بقاؤه مصلحة للمكلفين ولطفاً لهم في بقائه من الله تعالىٰ.

والدجّال إذا بقي فبقاؤه مفسدة للعالمين، لِما ذكر من أدعائه الربوبية وفتكه بالأمة،

ولكن في بقائه ابتلاءً من الله تعالىٰ، ليعلم المطيع منهم من العاصي، والمحسن من المسيء، والمصلح من المفسد، وهذا هو الحكمة في بقاء الدجّال.

وأمّا بقاء عيسىٰ فهو سبب إيمان أهل الكتاب به؛ للآية، والتصديق بنبوة سيد الأنبياء وخاتمهم، ويكون تبياناً لدعوىٰ الإمام عند أهل الايمان، ومصدّقاً لما دعا إليه عند أهل الطغيان، بدليل صلاته خلفه ونصرته إياه، ودعائه إلىٰ الملّة المحمدية التي هو إمام فيها.

فصار بقاء المهدي عليه السلام أصلاً، وبقاء الاثنين فرعاً علىٰ بقائه، فكيف يصح بقاء الفرعين مع عدم بقاء الأصل لهما؟ ولو صح ذلك لصح وجود المسبَّب من دون وجود السبب، وذلك مستحيل في العقول.

وإنما قلنا: إن بقاء المهدي أصل لبقاء الاثنين؛ لأنه لا يصح وجود عيسىٰ بانفراده، غير ناصر لملة الإسلام، وغير مصدّق للإمام، لأنه لو صح ذلك لكان منفرداً بدولة ودعوة، وذلك يبطل دعوة الإسلام، من حيث أراد أن يكون تبعاً فصار متبوعاً، وأراد أن يكون فرعاً فصار أصلاً.

والنبي صلى الله عليه وآله قال: (لا نبي بعدي) وقال: (الحلال ما أحلّ الله علىٰ لساني إلىٰ يوم القيامة، والحرام ما حرّم الله علىٰ لساني إلىٰ يوم القيامة).

فلابد أن يكون عوناً وناصراً ومصدّقاً، وإذا لم يجد من يكون له عوناً ومصدّقاً لم يكن لوجوده تأثير. فثبت أنّ وجود المهدي عليه السلام أصل لوجوده.

وكذلك الدجّال اللعين، لا يصح وجوده في آخر الزمان ولا يكون للأُمة إمام يرجعون إليه، ووزير يعوّلون عليه؛ لأنه لو كان كذلك لم يزل الإسلام مقهوراً، ودعوته باطلة، فصار وجود الإمام أصلا لوجوده، علىٰ ما قلناه.

وأما الجواب عن إنكارهم بقاءه في السرداب من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه، فعنه جوابان:

أحدهما: بقاء عيسىٰ عليه السلام في السماء من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه، وهو بشر مثل المهدي عليه السلام، فكما جاز بقاؤه في السماء والحالة هذه، فكذلك المهدي في السرداب.

فإن قلت: إنّ عيسىٰ عليه السلام يغذّيه ربّ العالمين من خزانة غيبه.

قلت: لا تفنىٰ خزائنه بانضمام المهدي عليه السلام إليه في غذائه.

فإن قلت: إنّ عيسىٰ خرج من طبيعة البشرية.

قلت: هذه دعوىٰ باطلة، لأنه تعالىٰ قال لأشرف الأنبياء: ﴿ قُلْ إِنَّما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾[1].

فإن قلت: اكتسب ذلك من العالم العلوي.

قلت: هذا يحتاج إلىٰ توقيف، ولا سبيل إليه.

والثاني: بقاء الدجّال في الدير ـ علىٰ ما تقدم ـ بأشد وثاق، مجموعة يداه إلىٰ عنقه مابين ركبتيه إلىٰ كعبيه بالحديد، وفي رواية: (في بئر موثوق)، وإذاكان بقاء الدجّال ممكناً علىٰ الوجه المذكور من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه، فما المانع من بقاء المهدي عليه السلام مكرماً من غير وثاق، إذ الكل في مقدور الله، فثبت أنه غير ممتنع شرعاً ولا عادة[2].

ثم ذكر بعد هذه الأبحاث خبر سطيح[3]، وأنا أذكر منه موضع الحاجة إليه، ومقتضاه أنه يذكر لذي جدن الملك وقائع وحوادث تجري، وزلازل من فتن، ثم إنه يذكر خروج المهدي، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وتطيب الدنيا وأهلها في أيام دولته.

وروىٰ عن الحافظ محمد بن النجار أنه قال: هذا حديث من طوالات المشاهير الذي ذكره الحفاظ في كتبهم، ولم يخرّج في الصحيح آخر البيان في أخبار صاحب الزمان»[4] انتهىٰ كلام أبي عبد الله الكنجي الشافعي.

وبالجملة، فمن أنكره وشبّه بطول العمر وأمثاله؛ إمّا من حزب الشيطان، أو الرحمن، فيلزمه القول به وعدم إنكار ذلك. والفرقة المحقّة لا يقولون بأنه محصور في السرداب، بل لا يمنعه الحجاب والأبواب، بل يرىٰ الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه، ومَن الأرض في ملكه وجابلقا[5] وجابرسا[6]، والكل في خدمته، وفواكه الجنان حسب شهوته وطَلِبته، كيف يقال: من أيّ طعامه وشرابه؟ علىٰ أنه يظهر متىٰ أراد.

---

(١) «الكهف» الآية: ١١٠.

(٢) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص ٥٢١ - ٥٣٢، بتصرف. وقال محقق الكتاب بعد هذا الكلام: «إلىٰ هنا تمّ ما هو مطبوع من كتاب البيان، ويظهر من كلام تلميذ المؤلف الشيخ الجليل علي بن عيسىٰ الإربلي رحمه الله أن هناك أخباراً ذكرها المؤلف بعد هذا الكلام، فقد قال»... ثم ذكر الزيادة الآتية.

(٣) «مشارق أنوار اليقين» ص ١٣٠؛ «بحار الأنوار» ج ٥١، ص ١٦٢.

(٤) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٩٠ - ٢٩٦، باختصار، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) جابَلْق: مدينة بأقصىٰ المغرب. «معجم البلدان» ج ٢، ص ٩١.

(٦) جابَرْس: مدينة بأقصىٰ المشرق. «معجم البلدان» ج ٢، ص ٩٠.

ولو فكر المعاند لوجد أنّ الملائكة طعامهم التسبيح ويكتفون به، فهم مدة وجودهم كذلك، وكيف لا يجري مثله فيمن هو أعلىٰ منهم وأفضل، وإن كان مركباً إنسانياً لا غنىً له عن الطعام والشراب، فيجوز ذلك فيه معجزة كسائر أحواله ووجوده. فعلىٰ التقديرين يندفع التشبيه بذلك.

والحاصل أنّ من ركن إلىٰ هذا الظن التخميني، ونفىٰ به محكم النص والبرهان، فقد ركن إلىٰ سراب يحسبه الظمآن ماءً، ودخل في سبيل شيطان، ونفىٰ الفاعل المختار وحكم الوجود في الخفاء والظهور.

علىٰ أنه إذا قامت الأدلة ـ كما عرفت ـ علىٰ عدم خلوّ الزمان من معصوم، وقد مضىٰ الإمام الحادي عشر، فلا مناص من القول بطول عمره حتىٰ يظهره الله ؛ وإلّا لزم خلوّ الزمان عن إمام معصوم، والأدلة تحيله.

علىٰ أنا نقول: لا يحسن المخاطبة مع من يشبّه بهذه الشبهة، فإنه إن كان ممن لا يقرّ بالشريعة فالخطاب معه في أمر آخر حتىٰ يقرّ، فإذا أقرّ لا يحسن منه أيضاً؛ لتصريح الشريعة ـ كتاباً وسنّة ـ علىٰ تراخي الأعمار وطولها، فإن الفاعل المختار يفعل ما يشاء ويريد؛ وإن نافىٰ مقتضىٰ الشريعة [وتشبّث][1] بكلام بعض أهل الطبيعة أو المنجمين، فذلك مضي وركون إلىٰ الظن والتخمين ـ وقد عرفت بعض كلامهم ممّا يبطله ـ و[عدول][2] عن مقتضىٰ ملته. فإن رجع إلىٰ الأمور العادية فسيتضح لك أنها بخلاف ذلك، بل انقلبت العادة بعدُ إلىٰ خلاف ذلك، كما سينصرح لك بتمام الكلام.

وإن قال: ثبوته لمثل نوح والخضر وعيسىٰ معجزة.

قلنا: فكذا هنا، بل ذلك لأجل عدم استبعاد الجهّال، علىٰ أنه جار لمثل إبليس من المبعدين الكفار.

فاتضح أنّ ذلك لمصلحة وأنه يجري، بل إذا اقتضت لبقاء مثل إبليس فغيره بطريق أولىٰ، بل لا يمكن الحكم باستمرار إبليس والاعتراف به مع إنكار استمرار المعصوم، هذا مما تحيله الحكمة وتبطله الأدلة، كيف ووجود ما بالعرض ـ وهو الشيطان ـ فرع وجود ما بالذات، وهو ولي الرحمن؟!

---

(١) في الأصل: «وتثبت».

(٢) في الأصل: «عدل».

وإن أنكر[وا] وجود إبليس وأمثاله، والمعمرين من حزب الله، طولب بالدليل، مع تصريحه بخلافه ولا دليل له، وحينئذ لم يبق له سبيل إلّا ارتكاب العناد، وتنكب الرشاد، واتّباع الهوىٰ، وسلوك طريق من ضلّ وغوىٰ، وسلوك التعصب والهوىٰ، وهذه جملة كافية.

أخبار المعمّرين

ومما تضمنته التوراة مما لا نزاع فيه، كما نقل في كنز الفوائد للكراجكي وغيره: «أنّ آدم عاش تسعمائة وثلاثين سنة، وعاش شيث تسعمائة واثنتي عشرة سنة، وعاش أنوش تسعمائة وخمساً وستين سنة، وعاش قينان تسعمائة سنة، وعاش مهلائيل ثمانمائة وخمساً وتسعين سنة، وعاش برد تسعمائة واثنتين وستين سنة، وعاش أخنوخ - وهو إدريس - تسعمائة وخمساً وستين سنة، وعاش متوشلح تسعمائة وتسعاً وستين سنة، وعاش ملك سبعمائة وسبعاً وستين سنة، وعاش نوح تسعمائة وخمسين سنة، وعاش سام ستمائة سنة، وعاش أرفخشاد أربعمائة وثماني وتسعين سنة، وعاش شالخ أربعمائة وثلاثاً وتسعين سنة، وعاش غابر ثمانمائة وسبعين سنة، وعاش فالغ مائتين وتسعاً وتسعين سنة، وعاش ارغو مائتين وستين سنة، وعاش باحور مائة وستاً وأربعين سنة، وعاش تارخ مائتين وثمانين سنة، وعاش إبراهيم مائة وخمساً وسبعين سنة، وعاش إسماعيل مائة وسبعاً وثلاثين سنة، وعاش إسحاق مائة وثمانين سنة.

فهذا ما تضمنته التوراة، مما ليس فيه اختلاف بين اليهود والنصارىٰ، وقد تضمنت نظيره الشريعة الحقة، ولم نجد أحداً من علماء الإسلام يخالف في ذلك»[1].

وستستمع أيضاً تعمير جماعة بقرب الإسلام وبعد ظهوره.

فإن قال المعاند: إن التعمير قد كان في سالف الزمان، وكلّما قربت الأعصار تقاصرت الأعمار.

فيقال له: إن التعمير جرىٰ بعدُ، ومنهم من تعميره مستمر. علىٰ أنّ الزمان لا يوجب النقصان دائماً، بل يجري علىٰ مقتضىٰ الحكمة من القادر المختار، فالعمر ليس إلّا اتصال كون الحي بدوام الحياة من الفاعل المختار، فكما جاز أن يفعله الله من طول العمر يجوز أن يفعل مثله في دوام الصحة والقوة وعدم الضعف والهرم.

---

(١) «كنز الفوائد» ج ٢، ص ١١٧، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

وأيّ استبعاد عقلي يحكم بعدم اقتضاء وضع فلكي أو إلٰهي بقاء الشخص، وإمداد قواه الطبيعية، وحفظ بنيته العنصرية؟ بل كيف تقتضي العادة ويسلّم بقاء السماوات علىٰ ممر الأوقات، وهي مخلوقة من العنصريات، وتخليد بعض المدائن، واستمرار مثل الدجّال من أهل الغوايات، وبقاء مثل حَبابة الوالبية زمن الأئمة بما تجاوز ما ركن إليه المعاند من العادات، وحفظ أجساد الأنبياء والأولياء بعد الممات، بإقرار من نازعنا في هذه المسألة من أهل العداوة، بل بقاء غيرهم بحسب العوارض والأمكنة متجاوز الحد ـ وإن تفاوت ـ واقع ومتفاوت، فكيف يصحّ ذلك ويصدّق به وينكر بقاء الإمام وتعميره، مع تواتر الأدلة عليه؟!

ولقد ذكر العلّامة الكراجكي في كنز الفوائد[1]، والصدوق في إكمال الدين[2]، والإربلي في كشف الغمة[3]، والسيد المرتضىٰ في الغرر والدرر[4]، والشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي في معين المعين، وكذا غيرهم من علماء الإمامية، وهو ثابت عند العامة أيضاً، عدة أُناس عمّروا، ونقلوا لكثير منهم أشعاراً، ونذكر لك بعضهم مما يناسب المقام:

«فعبيد بن شرية الجرهمي، وهو معروف، عاش ثلاثمائة وخمسين سنة، وأدرك النبي فأسلم وحسن إسلامه، وعمّر بعدما قُبض النبي صلى الله عليه وآله، حتىٰ قدم علىٰ معاوية أيام تغلبه، فقال له: أخبرني يا عبيد عما رأيت وسمعت، ومن أدركت، وكيف رأيت الدهر؟ فمما أخبره قال: أدركت من قد عاش ألف سنة وحدّثني عمّن عاش قبله ألفي سنة، وسمعت من ملك من ملوك حِمْير أن بعض ملوك التبابعة مما دانت له البلاد، وحسن التدبير، فكان فيهم مطاعاً، ملكهم سبعمائة سنة، كثيراً ما يخرج إلىٰ الصيد»... إلىٰ آخره القصة[5].

وممّن قدم علىٰ عبد الملك بن مروان: الربيع بن ضبع، ومعه ابن ابنه وهب بن عبد الله بن الربيع، فبعد التخاطب وإنشاده من شعره قال له: فصّل لي عمرك، فقال: عشت مائتي سنة في الفترة بين عيسىٰ ومحمد صلى الله عليه وآله، ومائة وعشرين سنة في الجاهلية، وستين سنة في الإسلام[6].

---

(١) «كنز الفوائد» ج ٢، ص ١٢١.
(٢) «كمال الدين» ص ٥٥٥.
(٣) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٣٥٢.
(٤) «أمالي السيد المرتضىٰ» ج ١، ص ١٦٧.
(٥) «كمال الدين» ص ٥٤٧، ح ١، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.
(٦) انظر: «كمال الدين» ص ٥٤٩، ح ١؛ «أمالي السيد المرتضي» ج ١، ص ١٨٣، بإيجاز.

وعاش شقّ الكاهن ثلاثمائة سنة، وله عدة وصايا من الحكم، أوصىٰ بها عند موته[١].

وعمّر شدّاد بن عاد بن إرم ذات العماد تسعمائة سنة[٢].

«وعاش أبو زبيد بن حرملة الطائي ـ وكان نصرانياً ـ مائة وخمسين سنة.

وعاش نصر بن دهمان بن بصار بن بكر بن سليم بن أشجع بن الرَّيث بن غطفان مائة وتسعين سنة.

وعاش سويد بن حذّاق العبدي مائتي سنة، وكذا ثعلبة بن كعب بن زيد بن عبد الأشهل الأوسي.

وعاش رداءة بن كعب بن ذهل بن قيس النخعي ثلاثمائة سنة، وأنشد شعراً.

وعاش اماباة بن قيس بن الحارث بن شيبان الكندي مائة وستين سنة.

وعاش عميرة بن هاجر بن عمير بن عبد العزّىٰ بن قُمير سبعين ومائة سنة... وعاش العرّام بن منذر بن زُبيد بن قيس بن حارثة بن لَأم دهراً طويلاً في الجاهلية، وأدرك عمر بن عبد العزيز ودخل عليه.

وعاش سيف بن وهب بن جذيمة الطائي مائتي سنة.

وعاش عبيد بن الأبرص ثلاثمائة سنة، ثم أخذه النعمان بن المنذر يوماً فقتله.

وعاش لقمان العاديّ الكبير خمسمائة وستين سنة، وهذا أُعطي عمر سبعة أنسر، وورد له أحاديث كثيرة.

وعاش زهير بن حباب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيدالله بن رفيدة بن ثور بن كلب الكلبي ثلاثمائة سنة.

وعاش مزيقيا واسمه عمر بن عامر ـ وهو ماء السماء، لأنه كان حياة أينما نزل، كمثل ماء السماء ـ ثمانمائة سنة أربعمائة سوقة، وأربعمائة ملكاً، وكان يلبس كل يوم حلّتين، ويأمر بهما فيمزقان، حتىٰ لا يلبسهما أحد غيره.

وعاش هبل بن عبد الله بن كنانة ستمائة سنة.

وعاش المستوغر بن ربيعة بن كعب بن زيد مناة بن تميم ثلاثمائة وثلاثين سنة، وأدرك الإسلام ولم يسلم، وله شعر معروف.

---

(١) انظر: «كمال الدين» ص ٥٥١، ح ١. (٢) انظر: «كمال الدين» ص ٥٥٤، ح ١.

وعاش دويد بن زيد بن نهد أربعمائة وخمسين سنة.

وعاش تيم‌الله بن ثعلبة بن عُكاية مائتي سنة.

وعاش ربيع بن ضبع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فزارة مائتين وأربعين سنة، وأدرك الإسلام ولم يسلم.

وعاش معدي كرب الحميري، من آل ذي يزن، مائتين وخمسين سنة.

وعاش شرية بن عبد الله الجعفي ثلاثمائة سنة، وقدم علىٰ عمر بن الخطاب بالمدينة.

وعاش ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم القرشي مائة وثمانين سنة.

وعاش ذو الأُصبع العدواني ـ واسمه حرثان بن الحارث بن محرّث بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن الظرب بن عثمان ـ ثلاثمائة سنة.

وعاش جعفر بن قيط ثلاثمائة سنة، وأدرك الإسلام.

وعاش عامر بن الظرب العدواني ثلاثمائة سنة، وكذا عوف بن كنانة الكلبي.

وعاش صيفي بن رياح بن أكثم ـ أحد بني أسد ـ بن عمرو بن تميم مائتين وسبعين سنة.

وعاش أكثم بن صيفي ـ أحد بني أسد ـ بن عمرو بن تميم، ثلاثمائة وستين سنة، وأدرك الإسلام، واختلف في إسلامه.

وعاش فروة بن ثعلبة بن نفاثة السلولي مائة وثلاثين سنة في الجاهلية، وأدرك الإسلام فأسلم.

وعاش قس بن ساعدة الأيادي ستمائة سنة»[1].

إلىٰ غير ما ذكرناه، اكتفاءً بالإشارة.

فأين العادة وما ركنت له النفوس الجامدة؟ فظهر تجاوزه الطبيعي وأضعافه في سائر الناس، فكيف في حجة الله؟

وهذه الأُمة أيضاً تحذو حذو مَن سبق، كما روي عند الفريقين[2]، فكما صحّ التعمير فليصحّ هنا، علىٰ أنه قد صحّ استمرار سبيله. وما ذكرناه كاف في إبطال ما ادعوه من العادة، بل من تتبع وجد أنّ العادة بخلافِ ذلك، فتدبّر.

---

(١) «كمال الدين» ص ٥٥٥ – ٥٧٥، نقله بإيجاز، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٤٤٠؛ «سنن الترمذي» ج ٥، ص ٢٦، ح ٢٦٤١؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج ١، ص ١٢٩.

ومن أراد الوقوف علىٰ بسط حال من نقلناه، وقصص بعضهم وأشعارهم مع زيادة، فليراجع ما أشرنا له من الكتب وغيرها.

[الشبهة الخامسة:][1] إذا كان أولياؤه المتعرضون لقوله المتعطشون للقائه كثيرين، لِمَ [لَمْ] يظهر لهم [لأنه][2] منهم، ولا شك أن الحكم المحصّل لهم أوثق؟

قلنا: أمّا تحصيل الوثاقة فتحصل بدونه أيضاً، وقد عرفت سبيله، وأمّا ظهوره كذلك لأوليائه فهو وإن كان في أمن منهم، بل ولو قصده المريد له في حرز منيع عنهم، لكن إذا ظهر وعُرف خيف علىٰ أتباعه من أعدائهم، والتطلب الذي كان عليه بعدُ لم يرتفع، ولم يبلغ أجله والأمر بالخروج، فيعود ثانياً، فلابد له من الصبر، وأعداؤه يريدون قتله، وهو آخر الأئمة، فلابد من غيبته، لأن ذلك غير ممكن. علىٰ أنّ هذا التشبيه يزاح بمعرفة ما في الغيبة من الحكم الموجبة لها، وسيأتيك في بابها إن شاء الله تعالىٰ.

وأيضاً، غيبته عن أوليائه لمّا لم ينقطع تأييده لهم وتسديده كلا غيبة، ولا كذلك غيبته عن أعدائه.

وأيضاً، لا قطع بأنه لا يظهر لأحد من أوليائه، فإن كلاً إنما يعرف نفسه، ولا يلزمه أنه إذا ظهر لفرد أنه يخبر به ويذيعه. إلىٰ غير ذلك من الوجوه.

[الشبهة السادسة:][3] أنه إذا كان غائباً وسيظهر فبما يُعرف، وهو إنما شوهد لبعض وقتاً ما؟

وهذا من السقوط بوضوح لا يخفىٰ علىٰ أُولي الأفهام، وإلّا لزم عدم معرفة النبي ﷺ لأكثر العالم.

وأيضاً، إذا كان تسديده وهداه حاصلاً لشيعته زمن الغيبة منه عليه السلام [وبوجوده]، فكذا معرفته بعد ظهوره.

وأيضاً، إنّ للإمام علامات لازمة لا تتحقّق في المدّعي، ولا يجري فيها الحيل والتخيل السحري، وكل من اعتقده يعرفها، وبذلك يميّز الصادق من الكاذب، علىٰ أنّ الشمس ليس دونها حجاب لا تخفىٰ علىٰ أحد.

وأيضاً، له في العالم الآفاقي أمارات ودلالات، بعضها محتوم، وبعضها مما يجري فيه

---

(١) في الأصل: ومنها. (٢) في الأصل: «لانهم».

(٣) في الأصل: «ومنها».

البداء، وسيأتيك إن شاء الله إن استدعاه المقام وناسب ذكرها. وهذا في الحقيقة يرجع إلىٰ القول بأنّ في غيبة الإمام قبحاً.

[المقدمة السابعة:][١] من جهل العامة ومن خالفنا في أمر الإمام، خصوصاً بعد الإمام الحادي عشر، ينازع في أشياء، ويشنّع علينا بأباطيل لا تلزمنا ولا نقول بها، وهي بزيادة تلزمهم، ولا محيص لهم عنها. فهل سمعت أيّها الفطن أو رأيت ملّة أو أهل عادة كذلك؟ فاستمع:

إنّا نقول للمخالف: هل أمر الله تعالىٰ والرسول بمتابعة شخص بعد الحسن العسكري؟

فإن قالوا: لم يأمر الله ورسوله، كذّبهم حديث الثقلين[٢] والأمان[٣]، و (من مات ولم يعرف إمام الزمان)[٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾[٥]، ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[٦]، ﴿ وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ ﴾[٧]، ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ ﴾[٨] وغير هذه الآيات. وكذّبهم أيضاً عدم الاستغناء عنه قبل.

فإن قالوا: بل الحسن باقٍ، فالنقل المتواتر يثبت موته، علىٰ أنه مع الغيبة كالعدم، فقد تمسكتم بمن لا تهتدون به، ولا ترون شخصه، ولا تعرفون رسمه. ومع الاستغناء عنه أخيراً دلالة واضحة علىٰ إبطال أصل إمامته، وهكذا.

فإن قالوا: بل فرد آخر غيره.

قلنا: لابد من معرفته وتشخصه وكونه الأعلم وأفضل الكل؛ لوضوح أنه ليس مراد الرسول صلى الله عليه وآله بالعترة الجهّال، ولا أيّ فرد، بل الأعلم الذي [...][٩] به. ويدل عليه أيضاً أمر

---

(١) في الأصل: «السادسة».

(٢) «مسند أحمد بن حنبل» ج ٥، ص ١٨٢، ١٨٩؛ «سنن الترمذي» ج ٥، ص ٦٦٣، ح ٣٧٨٨؛ «المعجم الكبير» ج ٣، ص ٦٥، ح ٢٦٧٨، ٢٦٧٩؛ ص ٦٦، ح ٢٦٨٠، ٢٦٨١؛ «جواهر العقدين» ص ٢٤٠.

(٣) «المعجم الكبير» ج٧، ص٢٢، ح ٦٢٦٠؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج ٢، ص٤٤٨؛ «ذخائر العقبىٰ» ص١٧؛ «الصواعق المحرقة» ص٢٣٥.

(٤) انظر: «رسائل في الغَيبة» الرسالة الأُولىٰ، ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج٧، ص١١؛ «شرح المقاصد» ج٥، ص٢٣٩، بتفاوت يسير.

(٥) «النحل» الآية: ٤٣.

(٦) «التوبة» الآية: ١١٩.

(٧) «آل عمران» الآية: ١٠٤.

(٨) «النساء» الآية: ٥٩.

(٩) فراغ في الأصل.

العترة في الكتاب بالدعاء إلىٰ الخير، ووصف سنن السابقين منهم، وأمرهم بالقسط، وجعلهم شهداء وهداة، وغير هذه الصفات. ومعلوم عدم جمع فرد لها من العلماء، فضلاً عن الجهّال، ولا فرد قائم بها، لا حاضراً ولا غائباً. ولا يخفىٰ أن الله ورسوله لا يأمران بالرجوع لأهل الجهل والجهّال، فهو رجوع لضلال.

فإن قالوا: الشخص كل من تغلّب بالسيف وقام بالجهاد.

قلنا: وهذه لا تكفي مع الخلوّ من باقي الصفات العلمية والعملية، المشار لبعضهما، وكل من رأيناه، أو نقل لنا حاله بالنقل المتواتر، يدل علىٰ أنه مرتكب المعاصي، عارٍ من الصفات المحمودة، جاهل حتىٰ بأنواع السياسة المدنية، وحينئذ فالسيف المسلول منه لا شيء، بل ما يفسد به أكثر مما يصلح، فقد تعرّىٰ حتىٰ من القيام بالسيف.

علىٰ أنّ القيام به ليس هو المعتاد دائماً، بل إن دعت الحاجة، وحضرت الأسباب، وزالت الموانع؛ لأنه مما تختلف فيه الأفراد والأوقات، بخلاف إمامة الرجل وصفاته، فإنه بحسب ذاته وحسن استعداده التام لمعرفة ما يصلح ويفسد، إلىٰ غير هذه.

فإذن لا مناص لهم من إبطال جميع الآي والبراهين، أو إثبات مالا يغني ولا يكفي.

وفيما حصل من المقدمات كفاية للفطن في إثبات إمامة الإمام الثاني عشر، وإبطال شبهة المعاندين وأعداء الدين، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ ﴾[1].

[**المقدمة الثامنة:**][2] ما أشدّ غور العامة في الجهالة، | و | صريح العقل والنقل - حتىٰ منهم - يوجب استمرار المعصوم وعدم جواز خلوّ الزمان منه، ثمّ يقولون: إنّ الحسن لا عقب له[3]، فرجع الزمان بعده جاهلية. ويؤول إليه في الحقيقة قول من قال [باختفاء][4] الحسن، وإنّما غاب ولم يمت[5]، أو أنّ خلافة الله الموصوف القائم بها - بما وصفه الله في كتابه - هم سلاطين الدنيا، من كل [مُتعنّت][6] جاهل ظالم، ﴿ فَمَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[7]؟!

---

(١) «التوبة» الآية: ٣٢.

(٢) في الأصل: «السابعة».

(٣) انظر: «الصواعق المحرقة» ص١٦٨.

(٤) في الأصل: «باكتفاء».

(٥) انظر: «الملل والنحل» ج١، ص٢٠٠.

(٦) في الأصل: «متعذر».

(٧) «يونس» الآية: ٣٥.

مع ما رووه من ظهور القائم، بالنص المتواتر، ووصفه بدولته وصفته، فما المانع من إثباته وغيبته؟ ولو أثرت شبههم في مثل هذا المقام لأُبطل الدين ولم يبق حق مستبين، بل علىٰ مقتضىٰ أُصولهم وما وصفته لهم أهواؤهم لا يلزم منه شيء مما شبهوا به علىٰ غيرهم، وإن كان وقع، فالحق يعلو ولا يعلىٰ عليه، لأنهم لا يشترطون في الإمام العصمة ولا الأفضلية، وأدخلوا الرأي والقياس وغيرهما في تحصيل الأحكام.

وممّا يثبته منهم ـ زيادة علىٰ ما عرّفناه ـ ما روىٰ إمامهم المقدّم أبو المؤيد أخطب خوارزم، موفّق بن أحمد، في كتابه، قال: «حدّثني فخر القضاة نجم الدين أبو منصور محمد بن الحسين بن محمد البغدادي، فيما كتب إليّ من همدان، قال: أنبأنا الإمام الشريف نور الهدىٰ أبو طالب الحسن بن محمد الزينبي، قال: أخبرنا إمام الأئمة محمد بن أحمد بن شاذان، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدّثنا علي بن سنان الموصلي، عن أحمد بن محمد بن صالح، عن سلمان بن محمد، عن زياد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سلامة، عن أبي سلمىٰ راعي إبل رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (ليلة أُسري بي إلىٰ السماء قال لي الجليل جلّ جلاله: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾، فقلت: ﴿ والمُؤْمِنُونَ ﴾[1]، قال: صدقت.

قال: من خلّفت في أُمتك؟ قلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قلت: نعم يارب.

قال: يا محمد، إني اطلعت إلىٰ الأرض اطلاعة فاخترتك منها، فشققت لك اسماً من أسمائي، فلا أُذكر في موضع إلّا ذكرت معي، فأنا المحمود، وأنت محمد. ثمّ اطلعت الثانية فاخترت منها علياً عليه السلام، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلىٰ، وهو علي.

يا محمد، إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نور من نوري، وعرضت ولايتكم علىٰ أهل السماوات والأرض، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين.

يا محمد، لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني، حتىٰ ينقطع، أو يصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتكم، ما غفرت له حتىٰ يقرَّ بولايتكم.

يا محمد، أتحب أن تراهم؟ قلت: نعم يارب، فقال: التفت عن يمين العرش، فالتفت فإذا أنا

---

(١) «البقرة» الآية: ٢٨٥.

بعلي، وفاطمة، والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسىٰ بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والمهدي، في ضحضاح من نور، قياماً يصلّون، وهو في وسطهم - يعني المهدي - كأنه كوكب دريّ.

قال: يا محمد، هؤلاء الحجج، وهو الثائر من عترتك، وعزّتي وجلالي إنه الحجة الواجبة لأوليائي، والمنتقم من أعدائي)»[١].

وروىٰ أيضاً بالإسناد السابق، عن الإمام محمد بن أحمد بن علي بن شاذان، قال: حدّثنا محمد بن علي بن الفضل، عن محمد بن القاسم، عن عبّاد بن يعقوب، عن موسىٰ بن عثمان، عن الأعمش، قال: حدّثني أبو إسحاق، عن الحارث وسعيد بن بشير*، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا واردكم علىٰ الحوض، وأنت يا علي الساقي، والحسن الذائد، والحسين الآمر، وعلي بن الحسين الفارط[٢]، ومحمد بن علي الناشر، وجعفر بن محمد السائق، وموسىٰ بن جعفر محصي المحبين والمبغضين، وقامع المنافقين، وعلي بن موسىٰ مزيّن المؤمنين، ومحمد بن علي منزل أهل الجنة في درجاتهم، وعلي بن محمد خطيب شيعته ومزوّجهم الحور العين، والحسن بن علي سراج أهل الجنة يستضيؤون به، والمهدي شفيعهم يوم القيامة، حيث لا يأذن الله إلّا لمن يشاء ويرضىٰ)[٣].

وروىٰ بالإسناد، قال: أخبرنا إمام الأئمة محمد بن أحمد بن شاذان، قال: حدّثنا أبو محمد الحسن بن علي العلوي الطبري، عن أحمد بن عبد الله، قال: حدّثني جدي أحمد بن محمد، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسىٰ، عن عمر بن أُذينة، قال: حدّثني أبان بن أبي عياش، عن سُلَيم بن قيس الهلالي، عن سلمان المحمدي، قال: دخلت علىٰ النبي صلى الله عليه وآله،

---

(١) «مقتل الحسين» للخوارزمي ج١، ص١٤٦، ح٢٣، ولم يذكر فيه طريقه إلىٰ ابن شاذان، وأخرج الحديث العلاّمة هاشم البحراني في: «حلية الأبرار» ج٥، ص ٤٩٠، عن الخوارزمي، وذكر الطريق إلىٰ ابن شاذان كما هنا، وأخرجه ابن شاذان في «مائة منقبة» ص٦٤، المنقبة: ١٧، بتفاوت، صححناه علىٰ المصدر.

(*) في «مقتل الحسين»: «الحرث» بدل: «الحارث»، وفي «مائة منقبة»: «قيس» بدل: «بشير».

(٢) الفارط: السابق إلىٰ الماء. انظر: «الصحاح» ج٣، ص١١٤٨، مادة «فرط».

(٣) «مقتل الحسين» للخوارزمي، ج١، ص ١٤٤، ح٢١، وأخرجه ابن شاذان في: «مائة منقبة» ص ٤٧، المنقبة: ٥.

وإذا الحسين علىٰ فخذه، وهو يقبّل عينيه ويلثم فاه، وهو يقول: (أنت سيد، ابن سيد، أبو سادة، أنت إمام، ابن إمام، أبو أئمة، أنت حجة، ابن حجة، أبو حجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم)[١]. وهذا متكرر عند الفريقين[٢].

«***وقال أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الشافعي*** ـ صاحب «كفاية الطالب» وكتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان» ـ: إني جمعت هذا الكتاب وعرّيته من طرق الشيعة؛ ليكون الاحتجاج به آكد. وهو أبواب:

الباب الأول: في ذكر خروجه في آخر الزمان.

عن زر، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **(لا تذهب الدنيا حتىٰ يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي).**

وفي رواية قال: **(يلي رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي).** رواه الترمذي في جامعه[٣].

وقال عليه السلام: **(لا تذهب الدنيا حتىٰ يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي).** أخرجه أبو داود في سننه[٤].

وعن علي، عن النبي صلى الله عليه وآله: **(لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً).** هكذا أخرجه أبو داود في سننه[٥].

وعنه بسنده عن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الآبري، في كتاب مناقب الشافعي ذكر هذا الحديث، وقال فيه: وزاد زائدة في روايته: **(لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم لطوّل الله ذلك اليوم، حتىٰ يبعث الله رجلاً مني ـ أو من أهل بيتي ـ يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)».**

وقد سبق لك توجيه: (واسم أبيه اسم أبي) من كلام محمد بن طلحة الشامي[٦].

---

(١) «مقتل الحسين» للخوارزمي، ج١، ص٢١٢، ح٧، وأخرجه ابن شاذان في: «مائة منقبة» ص١١٧، المنقبة: ٥٨، بتفاوت، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «كمال الدين» ص٢٦٢، ح٩؛ «الخصال» للصدوق، ص٤٧٥، ح٣٨؛ «ينابيع المودة» ص٣٠٨.

(٣) «سنن الترمذي» ج٤، ص٥٠٥، ح٢٢٣١.

(٤) «سنن أبي داود» ج٤، ص١٠٧، ذيل ح٤٢٨٢.

(٥) «سنن أبي داود» ج٤، ص١٠٧، ح٤٢٨٣.

(٦) انظر: أوائل هذا المجلد، المقدمة الرابعة.

«وقال الكنجي: وقد ذكر الترمذي الحديث في جامعه[١]، ولم يذكر (واسم أبيه اسم أبي)، وذكره أبو داود[٢]. وفي معظم روايات الحفّاظ والثقات من نقلة الأخبار: (اسمه اسمي) فقط، والذي روىٰ (واسم أبيه اسم أبي) فهو زائدة، وهو يزيد في الحديث، وإن صحّ فمعناه: واسم أبيه اسم أبي، أي الحسين، وكنيته أبو عبد الله، فجعل الكنية اسماً، كناية عنه أنه من ولد الحسين، دون الحسن. ويحتمل أن يكون الراوي توهم قوله: (ابني) فصحّفه فقال: (أبي)، فوجب حمله علىٰ هذا جمعاً بين الروايات[٣]»[٤].

وقد ذكر السيد هاشم مائة وثمانية وعشرين حديثاً في كتاب حلية الأبرار[٥]، كلها من طرق العامة، وأشار إلىٰ جمل غيرها،قد ذكرنا بعضها، وهي متضمنة لصفته ودولته وظهوره وتعيينه.

فانظر، يروون ذلك وأنه الإمام، أو يذكرون الصفة التي لا تكون إلّا للإمام، ثم ينكرونه، ومع ذلك كله فليس فيها حديث متضمن أنّه غير موجود وإنما يوجد، وإنّما فيها (يبعث)، أو (لو لم يبق إلّا يوم من الدنيا لطوّل الله ذلك اليوم، حتىٰ يبعث رجل من أهل بيتي)، أو (يملك)، وأشباه ذلك، بل لم يرد حديث يدل عليه.

ومنه يظهر أن زعمهم من إفكهم، بل عند التأمل ظاهرها يعطي وجوده، وإنما المتأخر بعثته وظهوره، فيطلب حينئذ الحكمة في غيبته ماهي؟ وستأتيك إن شاء الله تعالىٰ، فتدبّر.

وفي كتاب الطرائف: «وكان بعض علماء الشيعة قد صنّف كتاباً وجدته ووقفت عليه، وقد سمّاه: الكشف المخفي في مناقب المهدي، روىٰ فيه مائة وعشرة أحاديث من طرق رجال الأربعة المذاهب، وفي نقلها بأسنادها تطويل، مع أنه قد تقدمت الإشارات إلىٰ مضمونها، فلنعيّن الكتب المأخوذة منها:

من صحيح البخاري ثلاثة أحاديث.

ومن صحيح مسلم أحد عشر حديثاً.

ومن الجمع بين الصحيحين ـ للحميدي ـ حديثان.

---

(١) «سنن الترمذي» ج ٤، ص ٥٠٥، ح ٢٢٣١. (٢) «سنن أبي داود» ج ٤، ص ١٠٦، ح ٤٢٨٢.

(٣) «البيان في أخبار صاحب الزمان» ضمن «كفاية الطالب» ص ٤٧٦، ٤٨١ - ٤٨٣، أخذه بتصرف.

(٤) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٧٦ - ٢٧٧، بتفاوت، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «حلية الأبرار» ج ٥، ص ٤٢٧ - ٤٩٣، وقد ذكر فيه مائة وثلاثين حديثاً.

ومن الجمع بين الصحاح الستة أحد عشر حديثاً.

ومن كتاب فضائل الصحابة، مما أخرجه الحافظ عبد العزيز العكبري من مسند أحمد بن حنبل، سبعة أحاديث.

ومن تفسير الثعلبي خمسة أحاديث.

ومن غريب الحديث، لابن قتيبة الدينوري، ستة أحاديث.

ومن كتاب الفردوس، لابن شيرويه الديلمي، أربعة أحاديث.

ومن كتاب مسند سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، تأليف الحافظ أبي الحسن الدارقطني، ستة أحاديث.

ومن كتاب الحافظ أيضاً، من مسند أمير المؤمنين، ثلاثة أحاديث.

ومن كتاب المبتدأ للكسائي حديثان يشتملان أيضاً علىٰ ذكر المهدي وذكر خروج السفياني والدجّال.

ومن كتاب المصابيح، لأبي الحسين بن مسعود الفرّاء، خمسة أحاديث.

ومن كتاب الملاحم أربعة وثلاثون.

ومن كتاب الحافظ محمد بن عبد الله الخضرمي ثلاثة أحاديث.

ومن كتاب الرعاية لأهل الرواية، لأبي الفتح محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الفرغاني، ثلاثة أحاديث.

ومنها: خبر سطيح، رواية الحميدي أيضاً.

ومن كتاب الإستيعاب، لأبي عمر يوسف بن عبد البرّ، حديثان»[1].

❑ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن محمد بن علي بن بلال، قال: خرج إليّ من أبي محمد عليه السلام قبل مضيّه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده، ثمّ خرج إليّ من قبل مضيّه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده﴾.

---

(١) الكتاب غير متوفر لدينا، انظر: «بحار الأنوار» ج٥١، ص١٠٥، عنه باختصار، صححناه علىٰ المصدر.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن أبي هاشم الجعفريّ، قال: قلت لأبي محمد عليه السلام : جلالتك تمنعني من مسألتك، فتأذن لي أن أسألك ؟ فقال: سل، قلت: يا سيدي، هل لك ولد ؟ فقال: نعم، فقلت: فإن حدث بك حدث فأين أسأل عنه ؟ قال: بالمدينة﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن عمرو الأهوازيّ، قال: أراني أبو محمد ابنه، وقال: هذا صاحبكم [من] بعدي﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن حمدان القلانسيّ، قال: قلت للعمريّ: قد مضىٰ أبو محمّد ؟ فقال لي: قد مضىٰ، ولكن قد خلّف فيكم مَن رقبته مثل هذه ـ وأشار بيده﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿عن أحمد بن محمد بن عبد الله، قال: خرج عن أبي محمد عليه السلام حين قُتل الزبيري لعنه الله: هذا جزاء مَن اجترأ علىٰ الله في أوليائه، يزعم أنه يقتلني وليس لي عقبٌ، فكيف رأىٰ قدرة الله فيه؟! وولد له ولد سمّاه «م ح م د» في سنة ست وخمسين ومائتين﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن علي بن عبد الرحمن العبدي ـ من عبد قيس ـ عن ضوء بن علي العجليّ، عن رجل من أهل فارس، سمّاه، قال: أتيت سامرّا ولزمت باب أبي محمد عليه السلام، فدعاني فدخلت عليه وسلّمت، فقال: ما الذي أقدمك؟ قال: قلت: رغبة في خدمتك، قال: فقال لي: فالزم الباب .

قال: فكنت في الدار مع الخدم، ثمّ صرت أشتري لهم الحوائج من السوق، وكنت أدخل عليهم من غير إذن، إذا كان في الدار رجال. قال: فدخلت عليه يوماً وهو في دار الرجال، فسمعت حركة في البيت، فناداني: مكانك لا تبرح، فلم أجسر [أن] أدخل ولا أخرج، فخرجتْ عليَّ جاريةٌ معها شيء مغطّىً، ثمّ ناداني: ادخل، فدخلت، ونادىٰ الجارية فرجعت إليه، فقال لها: اكشفي عمّا معك، فكشفت عن غلام أبيض، حسن الوجه، وكشف عن بطنه فإذا شعر نابت من لبّته إلىٰ سرّته، أخضر ليس بأسود، فقال: هذا صاحبكم، ثم أمرها فحملته، فما رأيته بعد ذلك حتّىٰ مضىٰ أبو محمد عليه السلام ﴾.

أقول: «سُرَّ من رأىٰ ـ بضم السين والراء ـ أي سرور، وبفتحهما، وبفتح الأول وضم الثاني. وسامَرّا ـ ومدّه البُحتري في الشعر، أو كلاهما لحن، وساء من رأىٰ ـ: بلد، لمّا شرع في بنائه المعتصم ثقل ذلك علىٰ عسكره، فلمّا انتقل بهم إليها سُرّ كل منهم برؤيتها، فلزمها هذا الاسم». كذا عن القاموس[1].

وفيه أيضاً: «اللَّبَبُ: المَنحَرُ ـ كاللبّة ـ وموضعُ القلادة من الصدر»[2].

وسيأتي الحديث الأخير وما قبله في مولد الصاحب عليه السلام من أبواب التواريخ[3]، وأكثر أحاديثه كان المناسب إيرادها هنا؛ لتضمنها إمامته وحال الغيبة.

والذي ذكر الكلينيُّ في التواريخ أنّ مولده عليه السلام النصف من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين[4]، وهذا الذي ذكره المفيد[5] والطبرسي[6] وعلي بن عيسىٰ الإربلي[7].

---

(١) «القاموس المحيط» ج ٢، ص ٦٨، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «القاموس المحيط» ج ١، ص ٢٨٨.

(٣) انظر: «الكافي» ج ١، ص ٥١٤، ح ١، ٢.

(٤) «الكافي» ج ١، ص ٥١٤.

(٥) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١١ / ٢، ص ٣٣٩.

(٦) «إعلام الورىٰ» ج ٢، ص ٢١٤.

(٧) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٤٣، حكىٰ فيه قول الشيخ المفيد في «الإرشاد».

وبعض[١] ذهب لما تضمنته هذه الرواية.

وما في الأحاديث ظاهر، وقد مرّ بعض النصوص الناصة علىٰ إمامته، وهي كثيرة جداً، وكذا ظهور المعاجز منه من آن كونه حملاً ـ كما نقل عن عمته حكيمة[٢] وغيرها ـ إلىٰ الغيبة الكبرىٰ وزمانها.

❋ ❋ ❋

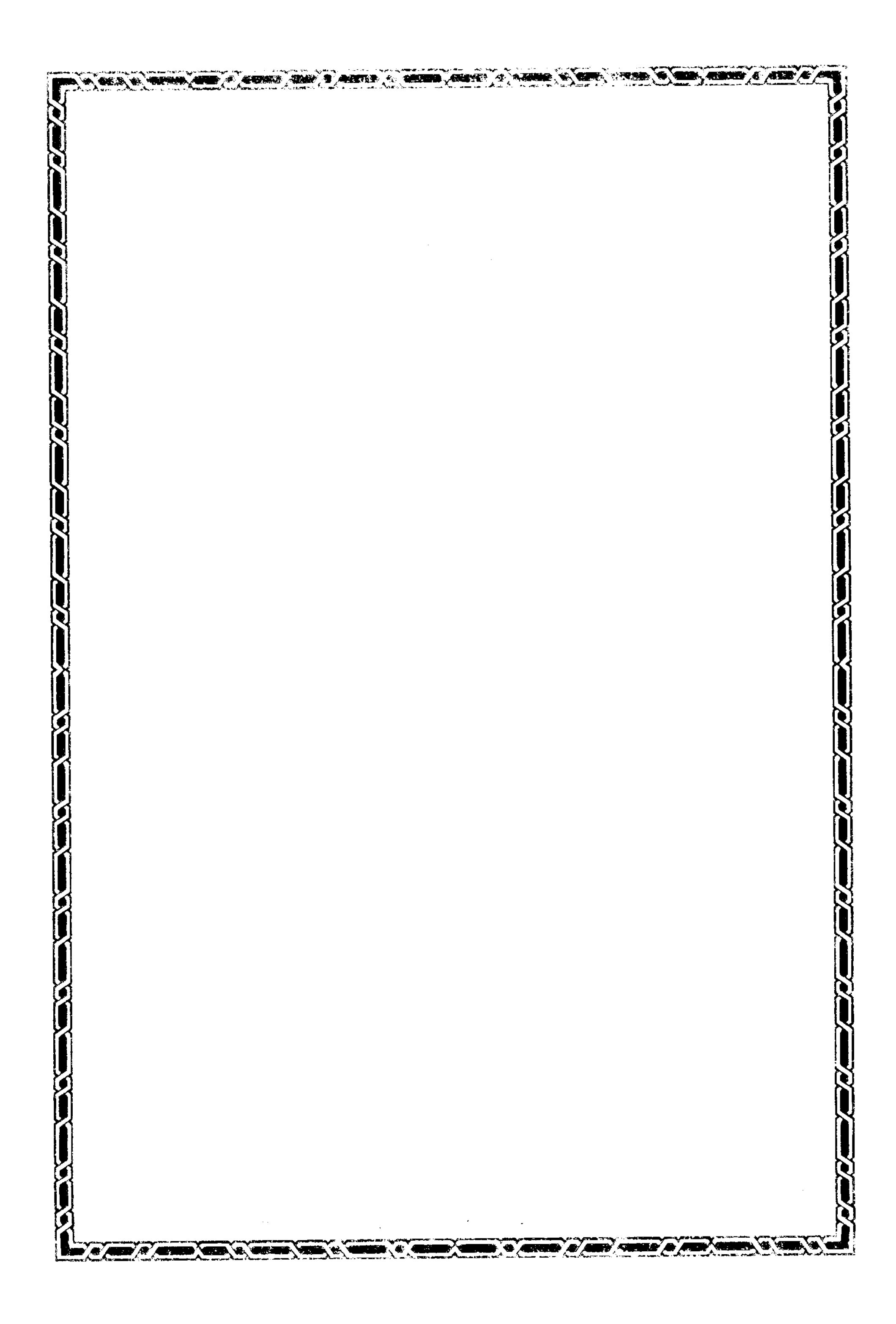
---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» ج ٤، ص١٧٦، الرقم: ٥٦٢.

(٢) «كمال الدين» ص٤٢٧، ح ٢.

الباب السابع والسبعون

في تسمية من رآه عليه السلام



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب [خمسة][1] عشر، وقد مرّ في مقدّمات الباب السابق ذكر من رآه، ويأتي في باب المولد.

وعنون الصدوق في الإكمال[2] باباً له أيضاً، ذكر فيه جملة أحاديث ـ وكذا في الكشف[3] وغيبة الشيخ[4] وسائر كتب الإمامية[5] ـ وقال فيه: «حدثنا محمد بن محمد الخزاعي ﷺ، قال: حدّثنا أبو علي الأسدي، عن أبيه، عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي، أنه ذكر عدد من انتهىٰ إليه ممن وقف علىٰ معجزات صاحب الزمان ورآه:

من الوكلاء ببغداد: العمري وابنه، وحاجز، والبلالي، والعطار. ومن الكوفة: العاصمي. ومن أهل الأهواز: محمد بن إبراهيم بن مهزيار. ومن أهل قم: أحمد بن إسحاق. ومن أهل همدان: محمد بن صالح. ومن أهل الري: البسّامي، والأسدي، يعني نفسه. ومن أهل أذربيجان: القاسم بن العلاء، ومن أهل نيسابور: محمد بن شاذان.

ومن غير الوكلاء، من أهل بغداد: أبو القاسم بن أبي حليس، وأبو عبد الله الكندي، وأبو عبد الله الجنيدي، وهارون القزّاز، والنيلي، وأبو القاسم بن دبيس، وأبو عبد الله بن

---

(١) في الأصل: «سبعة».

(٢) «كمال الدين» ص ٤٣٤.

(٣) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٤٧.

(٤) «الغيبة» للشيخ الطوسي، ص ٢٥٣.

(٥) «بحار الأنوار» ج ٥٢، ص ١.

فرّوخ، ومسرور الطباخ مولىٰ أبي الحسن عليه السلام، وأحمد ومحمد ابنا الحسن، وإسحاق الكاتب من بني نيبخت، وصاحب النواء، وصاحب الصرّة المختومة.

ومن همدان: محمد بن كشمرد، وجعفر بن حمدان، ومحمد بن هارون بن عمران.

ومن الدينور: حسن بن هارون، وأحمد بن أُخيّة، وأبو الحسن. ومن أصفهان: ابن باذشالة. ومن الصيمرة: زيدان. ومن قم: الحسن بن النضر، ومحمد بن محمد، وعلي بن محمد بن إسحاق، وأبوه، والحسن بن يعقوب.

ومن أهل الري: القاسم بن موسىٰ، وابنه، وأبو محمد بن هارون، وصاحب الحصاة، وعلي بن محمد، ومحمد بن محمد الكليني، وأبو جعفر الرفاء.

ومن قزوين: مرداس، وعلي بن أحمد، ومن فاقتر رجلان. ومن شهرزور: ابن الخال. ومن فارس: المحروج. ومن مرو: صاحب الألف دينار، وصاحب المال والرقعة البيضاء، وأبو ثابت.

ومن نيسابور: محمد بن شعيب بن صالح. ومن اليمن: الفضل بن يزيد، والحسن ابنه، والجعفري، وابن الأعجمي، والشمشاطي.

ومن مصر: صاحب المولودين، وصاحب المال بمكة، وأبو رجاء. ومن نصيبين: أبو محمد بن الوجناء. ومن الأهواز: الحصيني»[١].

وذكر قصة جملة منهم، وفي التوقيعات وغيرها غيرهم أيضاً.

فإذا ثبت متواتراً وجوده، وظهور المعجزة منه حال وجود أبيه وبعده، واستمرارها، وعدم جواز خلوّ الوقت عن إمام معصوم، بطل القول بعدم نسل الحسن بعد، أو أنّه لم يَمُت، أو لم يدرَ بأي وادٍ سلك، أو هلك، إلىٰ مثل هذه التوهمات الشيطانية.

وروىٰ **الصدوق في الفقيه**: «وروي عن عبد الله بن جعفر الحميري أنه قال: سألت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه فقلت له: رأيت صاحب هذا الأمر؟ فقال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام، وهو يقول: (**اللهم أنجز لي ما وعدتني**).

قال محمد بن عثمان رضي الله عنه وأرضاه: ورأيته صلوات الله عليه متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار، وهو يقول: (**اللهم انتقم لي من أعدائك**)»[٢].

---

(١) «كمال الدين» ص ٤٤٢، ح ١٦، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «الفقيه» ج ٢، ص ٣٠٧، ح ١٥٢٦، صححناه علىٰ المصدر.

والحاصل أنّ الذي رآه غير واحد من الناس، قبل الغيبة وفي الغيبة الصغرىٰ، ولهم قصص وحكايات، وشاهدوا منه معجزات وتوقيعات، وروىٰ شطراً منها الصدوق في الإكمال[1]، والشيخ في الغيبة[2]، والطبرسي في الاحتجاج[3]، وغائص بحار الأنوار[4]، وغيرهم[5].

أما حال الغيبة الكبرىٰ ففي الحكايات أيضاً إثبات الرؤية، إلّا إن الذي في أحد التواقيع وغيرها قطع الرؤية بعد وقوع الغيبة الكبرىٰ، وفيها: (من جاءكم يدّعي الرؤية قبل السفياني فكذّبوه)[6].

وفي حديث المفضّل الطويل، وقد أورده الشيخ حسن بن سليمان الحلّي في رسالة الرجعة: (إذا رأته عين رأته أعين)[7].

وروي عنهم في غير كتاب ـ كما ستسمعه ـ: (يحضر الموسم كل سنة، ويراهم، ويرونه ولا يعرفونه)[8].

وفي آخر: (يراهم ولا يرونه)[9].

ووجه دفع ما عسىٰ أن يتوهم من التنافي بينها: بأنه قد يراه بعض، ولو عرف أنه من الأولياء، ولكن لا يحصل له القطع بأنه هو الإمام إلّا بعد غيبته عنه وقضائه لحاجته، فهو يراه لا عن معرفة وإن انتفع بها، وحال معرفته لا رؤية له.

أمّا ما يحكىٰ[10] من أنه في جزيرة من الأرض تسمىٰ الخضراء، وأن بعضاً قصده فيها واجتمع به وسأله، فحكاية لم تثبت، وصحيح النقل والعقل يأباه، بل هو حيث ماذكر وجد، بل ذلك ينافي الغيبة.

---

(١) «كمال الدين» ص ٤٣٤ – ٤٧٩.
(٢) «الغيبة» للشيخ الطوسي، ص ٢٥٣ وما بعدها.
(٣) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٥٣٥ – ٦٠٠.
(٤) «بحار الأنوار» ج ٥٢، ص ١ وما بعدها.
(٥) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٤٧.
(٦) «كمال الدين» ص ٥١٦، ح ٤٤، بالمعنىٰ.
(٧) «مختصر بصائر الدرجات» ص ١٨١، ١٨٢، بالمعنىٰ.
(٨) «الفقيه» ج ٢، ص ٣٠٧، ح ١٥٢٥، «كمال الدين» ص ٤٤٠، ح ٨، بتفاوت.
(٩) «الكافي» ج ١، ص ٣٣٨، باب في الغيبة، ح ٦، بتفاوت يسير.
(١٠) «بحار الأنوار» ج ٥٢، ص ١٥٩.

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الله بن جعفر الحِمْيري، قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو رحمه الله عند أحمد بن إسحاق، فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن الخَلَف، فقلت له: يا أبا عمرو، إنّي أُريد أن أسألك عن شيء، وما أنا بشاكّ فيما أُريد أن أسألك عنه، فإنّ اعتقادي وديني أنّ الأرض لا تخلو من حجّة، إلّا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يوماً، فإذا كان ذلك رُفعت الحجّة وأُغلق باب التوبة، فلم يك ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً، فأُولئك أشرار من خلق الله عزّ وجلّ، وهم الذين تقوم عليهم القيامة، ولكنّي أحببت أن أزداد يقيناً، وإنّ إبراهيم عليه السلام سأل ربّه عزّ وجلّ أن يريه كيف يحيي الموتىٰ، ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[1].

وقد أخبرني أبو عليّ أحمد بن إسحاق، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سألته وقلت: من أعامل ؟ أو عمّن آخذ ؟ وقول من أقبل ؟ فقال له: العمري ثقتي، فما أدّىٰ إليك عنّي فعنّي يؤدّي، وما قال لك عنّي فعنّي يقول، فاسمع له وأطع، فإنّه الثقة المأمون.

وأخبرني أبو علي أنّه سأل أبا محمد عليه السلام عن مثل ذلك، فقال له: العمريّ وابنه ثقتان، فما أدّيا إليك عنّي فعنّي يؤدّيان، وما قالا لك فعنّي يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فإنّهما الثقتان المأمونان. فهذا قول إمامين قد مضيا فيك.

قال: فخرّ أبو عمرو ساجداً وبكىٰ، ثمّ قال: سل حاجتك، فقلت له: أنت رأيت الخَلَف من بعد أبي محمد عليه السلام ؟ فقال: إي والله، ورقبته مثل ذا ـ وأومأ بيده ـ.

---

(١) «البقرة» الآية: ٢٦٠.

فقلت له: فبقيت واحدة، فقال لي: هات، قلت: فالاسم؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أن أُحلّل ولا أُحرّم، ولكن عنه عليه السلام، فإنّ الأمر عند السلطان [أنّ] أبا محمّد عليه السلام مضىٰ ولم يخلّف ولداً، وقسّم ميراثه وأخذه من لاحقّ له فيه، وهو ذا، عياله يجولون ليس أحدٌ يجسر أن يتعرّف إليهم أو ينيلهم شيئاً، وإذا وقع الاسم وقع الطلب، فاتّقوا الله وأمسكوا عن ذلك.

قال الكلينيُّ رحمه الله : وحدّثني شيخ من أصحابنا ـ ذهب عنّي اسمه ـ أنّ أباعمرو سُئل عن أحمد بن إسحاق عن مثل هذا، فأجاب بمثل هذا ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن إسماعيل بن موسىٰ بن جعفر عليه السلام، وكان أسنّ شيخ من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله بالعراق، فقال: رأيته بين المسجدين وهو غلام عليه السلام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن [الحسين بن رزق الله أبو* عبد الله، قال: حدثني] موسىٰ بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسىٰ بن جعفر، قال: حدّثتني حكيمة ابنة محمد بن عليّ ـ وهي عمّة أبيه ـ أنّها رأته ليلة مولده وبعد ذلك ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن حمدان القلانسيّ، قال: قلت للعمريّ: قد مضىٰ أبو محمد عليه السلام ؟ فقال: قد مضىٰ، ولكن قد خلّف فيكم من رقبته مثل هذا ـ وأشار بيده ـ ﴾.

(*) كذا في المصدر.

❑ الحديث رقم ﴿٥﴾

قوله: ﴿عن فتح مولىٰ الزراري، قال: سمعت أبا عليّ بن مطهّر يذكر أنّه قد رآه، ووصف له قدّه﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٦﴾

قوله: ﴿عن محمد بن شاذان بن نعيم، عن خادمة[1] لإبراهيم بن عبدة النيسابوري، أنّها قالت: كنت واقفة مع إبراهيم علىٰ الصفا، فجاء عليه السلام حتّىٰ وقف علىٰ إبراهيم، وقبض علىٰ كتاب مناسكه، وحدّثه بأشياء﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٧﴾

قوله: ﴿عن أبي عبد الله بن صالح، أنّه رآه عند الحجر الأسود، والناس يتجاذبون عليه، وهو يقول: ما بهذا أُمروا﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٨﴾

قوله: ﴿عن أبي عليّ أحمد بن إبراهيم بن إدريس، عن أبيه، أنّه قال: رأيته عليه السلام بعد مضي أبي محمد عليه السلام حين أيفع، وقبّلت يديه ورأسه﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٩﴾

قوله: ﴿عن القنبريّ ـ رجلٌ من وُلد قنبر الكبير ـ مولىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: جرىٰ حديث جعفر بن عليّ فذمّه، فقلت له: فليس غيره، فهل رأيته؟ فقال: لم أره، ولكن رآه غيري، قلت: ومن رآه؟ قال: قد رآه جعفرٌ مرّتين، وله حديثٌ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿١٠﴾

قوله: ﴿عليُّ بن محمد، عن أبي محمد الوجنانيّ، أنّه أخبرني عمّن رآه:

---

(١) في المصدر: «خادم».

أنّه خرج من الدار قبل الحادث بعشرة أيّام، وهو يقول: اللّهمّ إنّك تعلم أنّها من أحبّ البقاع لولا الطرد ـ أو كلام هذا نحوه ـ ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١١ ﴾

قوله: ﴿عن عليّ بن قيس، عن بعض جلاوزة السواد، قال: شاهدت سيماء آنفاً بسرّ من رأىٰ، وقد كسر باب الدار، فخرج عليه وبيده طبرزين، فقال له: ما تصنع في داري؟ فقال سيماء: إنّ جعفراً زعم أنّ أباك مضىٰ ولا ولد له، فإن كانت دارك فقد انصرفت عنك، فخرج عن الدار.

قال عليُّ بن قيس: فخرج علينا خادم من خدم الدار. فسألته عن هذا الخبر، فقال لي: من حدّثك بهذا؟ فقلت له: حدّثني بعض جلاوزة السواد، فقال لي: لا يكاد يخفىٰ علىٰ الناس شيء ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٢ ﴾

قوله: ﴿عن جعفر بن محمد المكفوف، عن عمرو الأهوازيّ، قال: أرانيه أبو محمد عليه السلام وقال: هذا صاحبكم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٣ ﴾

قوله: ﴿ عن أبي نصر ظريف الخادم أنّه رآه ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٤ ﴾

قوله: ﴿علي بن محمد، عن محمد والحسن ابني علي بن إبراهيم، أنّهما حدّثاه في سنة تسع وسبعين ومائتين، عن محمد بن عبد الرحمن العبديّ، عن ضوء بن عليّ العجليّ، عن رجل من أهل فارس ـ سمّاه ـ أنّ أبا محمد أراه إيّاه ﴾.

الحديث رقم ﴿ ١٥ ﴾

قوله: ﴿عن بعض أهل المدائن، قال: كنت حاجّاً مع رفيق لي، فوافينا إلىٰ الموقف، فإذا شابٌ قاعد عليه إزار ورداء، وفي رجليه نعلٌ صفراء، قوّمت الإزار والرداء بمائة وخمسين ديناراً، وليس عليه أثر السفر، فدنا منّا سائل فرددناه، فدنا من الشابّ فسأله، فحمل شيئاً من الأرض وناوله، فدعا له السائل واجتهد في الدعاء وأطال، فقام الشابّ وغاب عنّا، فدنونا من السائل فقلنا له: ويحك، ما أعطاك؟ فأرانا حصاة ذهب مضرّسة، قدّرناها عشرين مثقالاً، فقلت لصاحبي: مولانا عندنا ونحن لا ندري، ثمّ ذهبنا في طلبه، فدرنا الموقف كلّه، فلم نقدر عليه، فسألنا كلّ من كان حوله من أهل مكّة والمدينة، فقالوا: شابٌ علويٌّ يحجُّ في كل سنة ماشياً﴾.

أقول: وفي كتب الغيبة للإمامية وتواريخهم نقل جملة ممن رآه في الغيبة، إمّا في الغيبة الصغرىٰ، أو في الكبرىٰ، لكن لا يستيقن أنه هو إلّا بعد غيبته عنه، وحين يراه مع الدلالة ليس كذلك، تركنا نقلها للاختصار واكتفاءً باشتهارها في الكتب.

وما تضمنه الحديث الأول من تحريم التسمية سيأتي بيانه في الباب اللاحق إن شاء الله.

ولمّا كان القرآن لا يفارق الحجّة الناطقة، بل كل منهم دليل علىٰ الآخر ومعه، صحّ تفسير الحجّة في الحديث الأول بالقرآن أو الإمام، وهذه الأربعون بمقدار الآن ـ والحجّة قد علت ولزمت من تقوم عليه الساعة، وكذا العالم الآفاقي حينئذ ـ بمنزلة آخر دقيقة من عمر الإنسان.

فلا منافاة لما صحّ عقلاً ونقلاً أنّ الأرض لا تبقىٰ بغير حجة، وأنه لو بقي في الأرض اثنان لكان أحدهما الحجّة علىٰ الآخر، كما مرّ في الجزء السابق[1].

---

(١) انظر: «الكافي» ج ١، ص١٧٨، باب أن الأرض لا تخلو من حجة؛ ص١٧٩، باب أنه لو لم يبق في الأرض إلّا رجلان لكان أحدهما الحجة.

أمّا تخصيص ذلك بما سوىٰ من تقوم عليه الساعة ـ كما قيل[١] ـ فساقط جداً.

والمراد بالمسجدين في الحديث الثاني: مسجد الكوفة والسهلة.

وقال محمد صالح: «مسجد مكة والمدينة»[٢].

و (يحولون) ـ بالمهملة ـ بأن حال عليه الحول، وبالجيم ـ أي: (يجولون) ـ من الدوران والتردد.

أيفعَ الغلام: ارتفع[٣].

والمراد بالحادث: وفاة أبي [محمد] الحسن العسكري عليه السلام.

وما تضمنته هذه الأحاديث من رؤية الثقات للصاحب، حال وجود أبيه وبعده، ممّا هو متواتر في كتب الإمامية وتواريخهم، مرّ بعض من ذلك، ولم [نستقصِ][٤] لأنا في مقام الاضطرار، حتىٰ إنه صُنّف فيمن رآه مصنفات، ومنها: «تبصرة الولي فيمن رأىٰ القائم المهدي» للسيد هاشم بن سليمان البحراني، عدّ فيه جملة ممن رآه حال الولادة وبعدها، حال وجود أبيه، وفي الغيبة الصّغرىٰ، وفي الغيبة الكبرىٰ، لكن الرؤية الأخيرة لم تتضمن نقل استيقان الرائي بأنه هو حال الرؤية، وإنما يرجح أنها له بعد مفارقته؛ لخارق وعلامة، فلا منافاة لما مرّ من نفي الرؤية قبل ظهور السفياني، ولما في الحديث: (المنتظر)[٥].

ولنورد لك ما أورده بحذفنا الأسانيد والقصص؛ حذراً من التطويل:

فممن رآه: «حكيمة بنت الإمام أبي جعفر الثاني، كما رواه ابن بابويه[٦] بعدة طرق، ومحمد بن جرير الطبري في مسند فاطمة[٧] كذلك، والشيخ أبوجعفر الطوسي في الغيبة[٨]،

---

(١) «شرح المازندراني» ج٦، ص٢١١. (٢) «شرح المازندراني» ج٦، ص٢١٣.

(٣) «الصحاح» ج٣، ص١٣١٠، مادة «يفع»؛ وفي «النهاية» ج٥، ص٢٩٩: «أيفع الغلام فهو يافع، إذا شارف الاحتلام ولمّا يحتلم». (٤) في الأصل: «ينقص».

(٥) «الكافي» ج١، ص٣٣٧، ح٥. (٦) «كمال الدين» ص٤٢٤، ح١؛ ص٤٢٦، ح٢.

(٧) عدّه المحدّث محمد بن شهرآشوب في المعالم من الكتب المجهولة المؤلف. استظهر سيدنا أبي محمد صدر الدين أنه كتاب الدلائل لابن جرير الإمامي. كذا في «الذريعة» ج٢١، ص٢٨، الرقم: ٣٧٩٠. وقد عثرنا علىٰ الحديثين اللذين أوردهما السيد هاشم البحراني عن المسند في: «دلائل الإمامة» ص٤٩٧، ح٤٨٩؛ ص٤٩٩، ح٤٩٠.

(٨) «الغيبة» للشيخ الطوسي، ص٢٣٤ - ٢٣٩، ح٢٠٤ - ٢٠٧.

والحسين بن حمدان الحضيني[١]، والراوندي في الخرائج[٢].

والعجوز القابلة، كما في غيبة الطوسي[٣].

ونسيم الخادم ومارية، كما رواه ابن بابويه[٤] وغيره[٥].

والجارية، وأبو غانم الخادم، وأبو هارون، ومعاوية بن حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح، ومحمد بن عثمان العمري، تمام أربعين رجلاً.

وعمر الأهوازي، والرجل الفارسي، وأبو عمرو، وإبراهيم بن عبدة النيسابوري، ورشيق صاحب المادراي، وكامل بن إبراهيم، وأبو عبد الله بن صالح، وإبراهيم بن إدريس، وجعفر بن علي، وأبو محمد الوجناني، عمّن رآه، وبعض جلاوزة السواد، وظريف الخادم، وبعض أهل المدائن وغيره، ويعقوب بن منفوس، وغانم أبو سعيد الهندي، ومحمد بن شاذان الكابلي، ومحمد بن عثمان العمري، وظريف أبو نصر، وعبد الله السوري، والعمري، وجعفر الكذّاب، والجماعة الذين رأوه من وكلائه ببغداد ـ وعدّ* ما سبق أول الباب[٦] ـ.

والحسن بن وجناء النصيبي، والأزدي، وإبراهيم بن مهزيار، والهمداني الحاج، وأحمد بن إسحاق الوكيل، وسعد بن عبد الله القمي، وعلي بن إبراهيم بن مهزيار، وأبو نعيم الأنصاري، في جملة ثلاثين رجلاً، وجدّ أبي الحسن بن وجناء، وأبو الأديان، وأبو العباس محمد بن جعفر الحميري، ووفد قم، وأبو القاسم الروحي، وأحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري، وأبو علي محمد بن أحمد المحمودي وجماعة، وعلي بن إبراهيم بن مهزيار، وإبراهيم بن محمد بن أحمد الأنصاري، في جملة ثلاثين رجلاً.

ومحمد بن أحمد بن خلف، ويوسف بن أحمد الجعفري، وأحمد بن عبد الله الهاشمي، في جملة تسعة وثلاثين رجلاً، وعلي بن إبراهيم بن مهزيار، والحسن بن عبد الله التميمي، والزهري، والعمري، وإسماعيل بن علي النوبختي، ويعقوب بن يوسف، والعجوز، وصاحب الصرة ابن أبي سورة.

---

(١) «الهداية الكبرىٰ» ص٣٥٦. (٢) «الخرائج والجرائح» ج١، ص٤٥٥، ح١.

(٣) «الغيبة» للشيخ الطوسي، ص٢٤٠، ح٢٠٨. (٤) «كمال الدين» ص٤٣٠، ح٥.

(٥) «الغيبة» للشيخ الطوسي، ص٢٤٤، ح٢١١. (*) أي السيد هاشم البحراني في التبصرة.

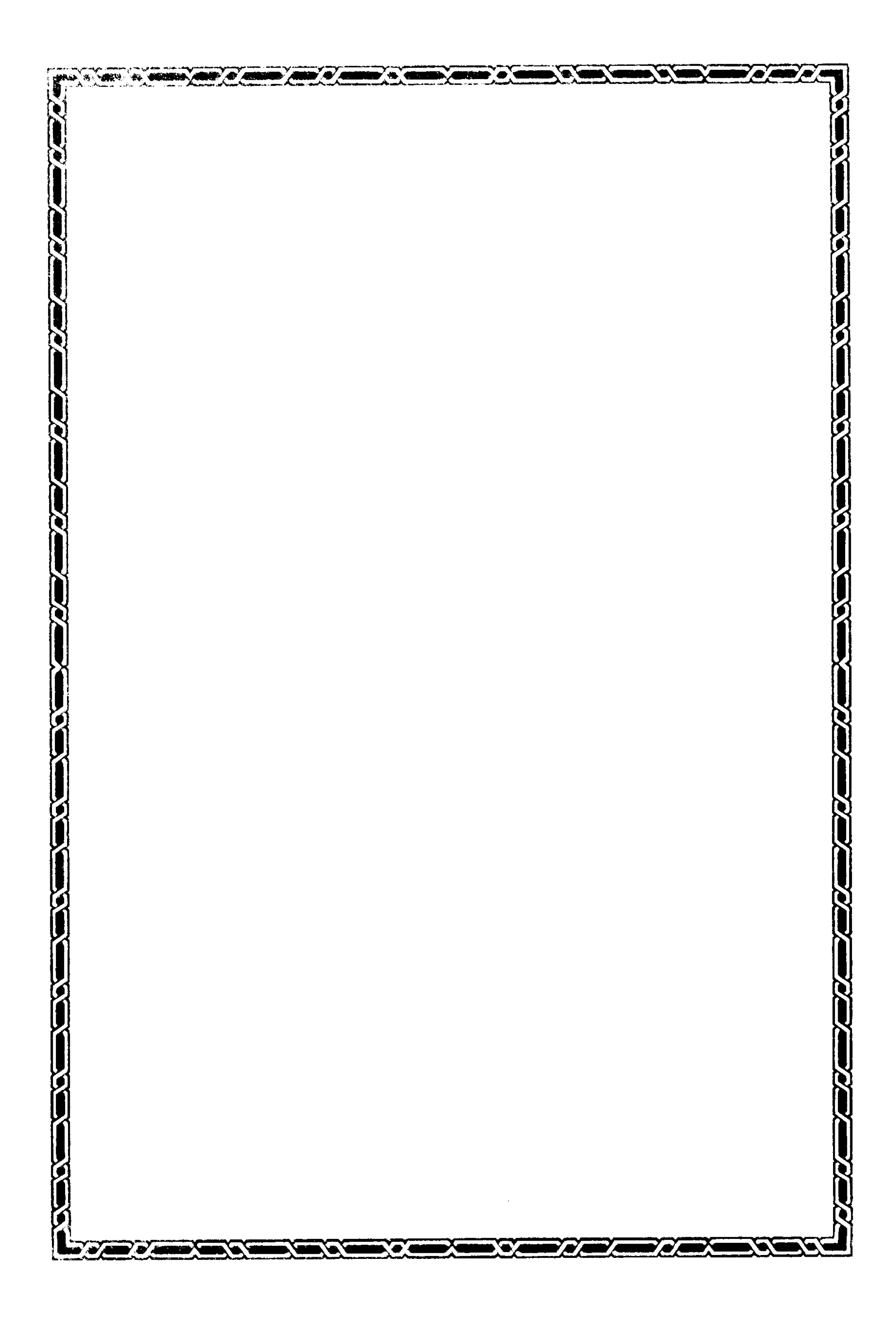
(٦) أي ما نقله عن الصدوق في: «كمال الدين» ص٤٤٢، ح١٦.

وأبو عمرو العمري الوكيل، وعلي بن بلال، في جماعة، ومحمد بن عثمان العمري، والحسين بن روح، وجعفر بن محمد بن عمرو وجماعة، وأبو طاهر بن بلال، وحكيمة بنت محمد الجواد، وأبو الحسين بن أبي العلاء الكاتب، وابن جعفر القيم، وعيسىٰ بن مهدي الجوهري، والحسين والي قم، وهشام رسول أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه».

إلىٰ غير ذلك من العلماء والأخيار الذين رأوه، ممن ذكره في التبصرة[1].

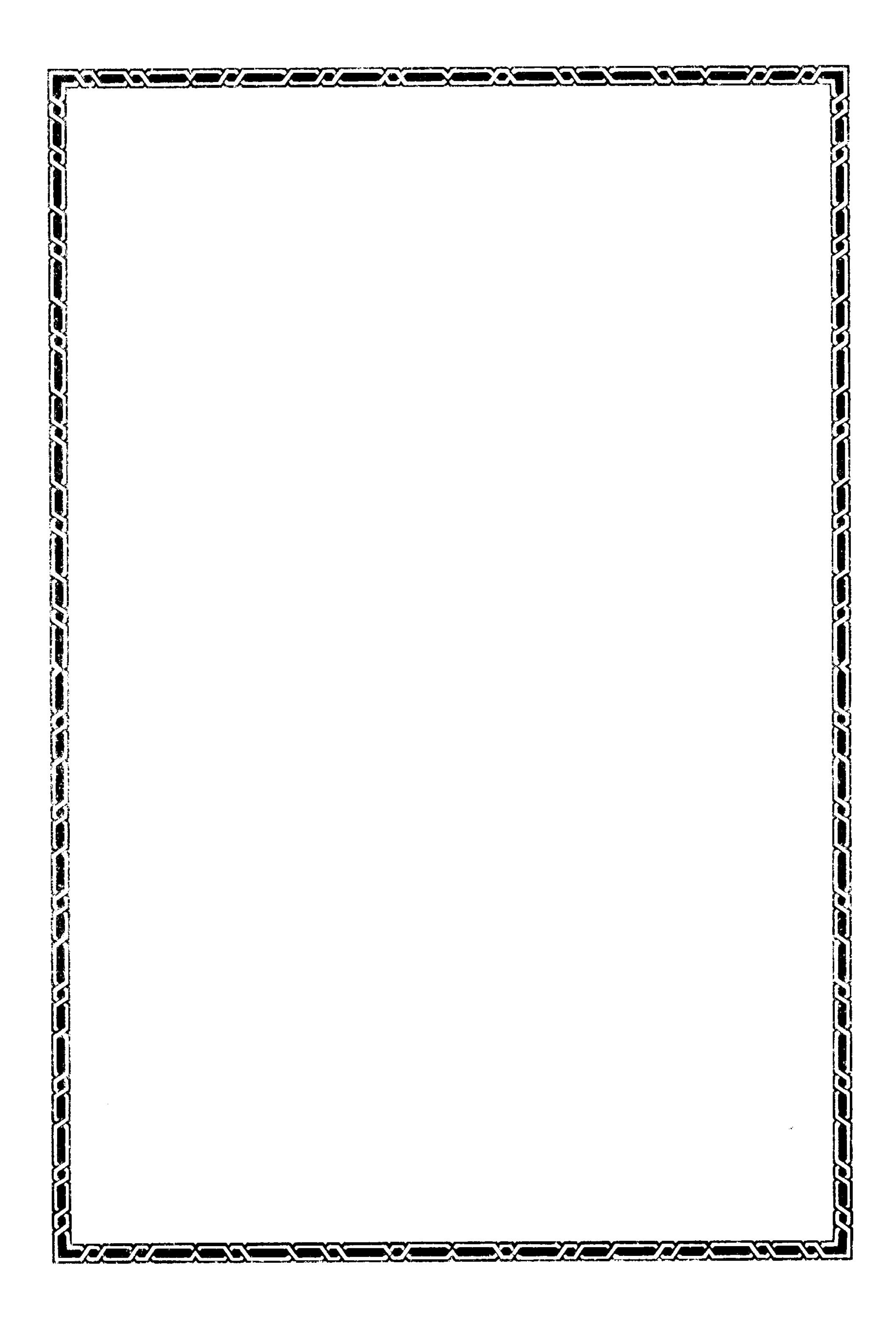
* * *

(١) «تبصرة الولي فيمن رأىٰ القائم المهدي عليه السلام» ص ٥ - ١٠٢، صححناه علىٰ المصدر.



الباب الثامن والسبعون

في النهي عن الاسم



أقول أحاديث الباب أربعة.

خلاف العلماء في التسمية

واعلم أنّ ظاهر تصريح من وقع الخلاف بينهم في حلّ التسمية وتحريمها أنه لفظ «م ح م د» لا غيره من الأسماء والصفات والألقاب، أمّا هذا الاسم فوقع الخلاف فيه:

فبعضٌ إلىٰ التحريم مطلقاً؛ عملاً ببعض ما ستسمع من النص. ويخرج عن التسمية المحرّمة ما لو أتيت بالاسم مقطعاً.

وبعضٌ إلىٰ التخصيص بوقت الخوف عليه أو علىٰ أحد شيعته ولو بسبب، فهي محرّمة حينئذ، وبدونه لا يحرم، وهو ظاهر من علمائنا المتقدمين والمتأخرين، وعليه أكثر النصوص، وغيرها قابلة للتقييد، بل هي فيه ظاهرة كما ستعرفه.

قال الصدوق في الإكمال، في الباب [السابع والعشرين][1] ـ وفيه ذكر اسمه عليه السلام مقطّعاً في أكثر النسخ ـ: «جاء هذا الحديث هكذا بتسمية القائم، والذي أذهب إليه ما روي في النهي عن التسمية، وسأذكر ما رويته في ذلك من الأخبار في باب أضعه في هذا الكتاب لذلك إن شاء الله تعالىٰ ذكره»[2].

---

(١) في الأصل: «السابق».

(٢) «كمال الدين» ص٣٠٧، ذيل ح١، باختلاف بعض الألفاظ، صححناه علىٰ المصدر. وقد ذكر فيه الاسم موصولاً، إلّا إن السيد الداماد رحمه الله في «شرعة التسمية» ص٧٦، نقل حديث الإكمال، وفيه ذكر اسمه مقطعاً، وسيأتي كلام المؤلف حول هذا الاختلاف.

وما ذكره فيه[١] بعدُ لا يدل علىٰ المنع مطلقاً، إذا وقفت عليه، وكذا التوفيق بين أحاديث الباب.

قال الشيخ المفيد في الإرشاد، والطبرسي في الإعلام: «إنه هو المسمّىٰ باسم رسول الله، المكنّىٰ بكنيته»[٢].

وقال الشيخ علي بن عيسىٰ في كتاب كشف الغمة: «من العجب أنّ الشيخ الطبرسي والشيخ المفيد قالا: إنه لا يجوز ذكر اسمه ولا كنيته، ثمّ يقولان: اسمه اسم النبي، وكنيته كنيته، وهما يظنان أنهما لم يذكرا اسمه ولا كنيته، وهذا عجيب. والذي أراه أن المنع من ذلك إنما كان للتقية في وقت الخوف عليه، والطلب له، والسؤال عنه، وأما الآن فلا والله أعلم»[٣].

وإذا رجعت إلىٰ عبارة الطبرسي في الإعلام لم تجدها صريحة في تعميم التحريم.

قال: «ويلقّب عليه السلام بالحجة، والقائم، والمهدي، والخلف الصالح، وصاحب الزمان والصاحب. وكانت الشيعة في غيبته الأُولىٰ تعبر عنه وعن غيبته بالناحية المقدسة، وكان ذلك رمزاً بين الشيعة يعرفونه به، وكانوا يقولون أيضاً ـ علىٰ سبيل الرمز والتقية ـ: الغريم، يعنونه عليه السلام، وصاحب الأمر»[٤].

والصدوق صرّح باسمه في الاعتقاد[٥]، وهو دليل منه علىٰ عدم عموم التحريم، وأن النطق به مقطّع الحروف نطق بالاسم.

مختار المؤلف

والذي يقوىٰ في نفسي ويظهر من النص: التحليل، وأن ذكره كسائر ذكر أسماء آبائه، ما لم تكن تقية توجب طلباً له أو لأحد من شيعته، أو يوجب أن يُنال منه أو من أحد من

---

(١) أي في باب النهي عن تسمية القائم، الذي ذكره الصدوق في «كمال الدين» ص٦٤٨.

(٢) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج١١ / ٢، ص٣٣٩؛ «إعلام الورىٰ» ج٢، ص٢١٣، بتفاوت يسير.

(٣) «كشف الغمة» ج٣، ص٣٢٦، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «إعلام الورىٰ» ج٢، ص٢١٣، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «الاعتقادات» المطبوع ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج٥، ص٩٣.

شيعته، من غير تقييد بوقت، وجميع روايات الباب تدل عليه، لما اشتمل بعض منها علىٰ العلّة.

ويحتمل أن يراد بالاسم المحرّم وإنشائه: الكلمة التي يأخذها علىٰ أوليائه أول البيعة عند الركن فينفرون، وهذه يحرم إفشاؤها مطلقاً، إلّا إنه يأباه ذكر الاسم مقطّعاً، وذكر المكان.

ولننقل لك جملة من المصرّحين باسمه قديماً وحادثاً، لتعرف منه الإجماع:

منهم: السيد ابن طاووس في بعض المناسك[1].

والشيخ محمد بن أبي جمهور ذكره باسمه في المجلي[2] في موضعين منه.

والعلّامة ـ آية الله ـ في منهاج الكرامة[3] والباب الحادي عشر[4].

وشرّاحه ـ الذين وقفت عليهم ـ بين مصرّح [بالوفاة]، أو عدم متعرض للمنافاة، الذي ظاهره القبول.

والشهيد الأول في مزار الدروس[5].

وكذا الشيخ بهاء الدين[6]، وصنّف رسالة في الجواز معارضة لرسالة السيد الداماد، وستسمع ملخصها.

ونصير الملّة والدين الطوسي في رسالة له في الأصول الخمسة[7].

وظاهر الشيخ شاذان بن جبرئيل في كتاب المناقب.

وروىٰ فيه بالإسناد، يرفعه إلىٰ عبد الله بن أبي أوفىٰ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: (**لمّا خلق الله إبراهيم الخليل عليه السلام كشف الله عن بصره، فنظر إلىٰ جانب العرش فرأى نوراً، فقال: إلهي وسيدي، ماهذا النور ؟ قال: يا إبراهيم هذا محمد صفوتي، فقال: إلهي وسيدي، إني أرىٰ إلىٰ جانبه نوراً آخر؟ قال: يا إبراهيم، هذا علي ناصر ديني**).

---

(١) «إقبال الأعمال» ص٣٥٧، ٦٩٣. (٢) «المجلي» ص٣٠٨.

(٣) «شرح منهاج الكرامة» ص٢٣٦، (المتن).

(٤) «الباب الحادي عشر» ضمن «مصباح المتهجد»، ص٢٤.

(٥) «الدروس الشرعية» ج٢، ص١٦.

(٦) «الأربعون حديثاً» ص٤٣٠، ٤٣١؛ «مفتاح الفلاح» ص٢٢٣.

(٧) «المقنعة في أول الواجبات» المطبوعة ضمن «تلخيص المحصّل» ص٤٧٤.

إلىٰ أن وصل إلىٰ التسعة. (فقال إبراهيم: وبمن يعرفون؟ قال: يا إبراهيم، أولهم علي بن الحسين، ومحمد ولد علي، وجعفر ولد محمد، وموسىٰ ولد جعفر، وعلي ولد موسىٰ، ومحمد ولد علي، وعلي ولد محمد، والحسن ولد علي، ومحمد ـ ولد الحسن ـ القائم المهدي عليه السلام.

قال إبراهيم: إلهي وسيدي، فأرىٰ أنواراً حولهم لا يحصي عددهم إلّا أنت؟ قال: يا إبراهيم، هؤلاء شيعتهم ومحبّوهم، قال: بمَ يعرفون؟ قال: بصلاة الإحدىٰ والخمسين، والجهر ببسم الله الرَّحمن الرَّحيم، والقنوت قبل الركوع، وسجدة الشكر، والتختم باليمين)[1]... الحديث.

وبالإسناد، يرفعه إلىٰ الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله أخي: من أحبّ أن يلقىٰ الله عزّ وجلّ وهو من الفائزين فليوال الحسن العسكري، ومن أحبّ أن يلقىٰ الله وقد كمل إيمانه وحسن إسلامه فليوال الحجة، صاحب الزمان، [القائم][2] المنتظر، [محمد بن الحسن][3]، فهؤلاء مصابيح الدجىٰ وأئمة الهدىٰ)... الحديث[4].

وروىٰ الشيخ حسن بن سليمان الحلي ـ تلميذ الشهيد الأول ـ في رسالة الرجعة، قال: «أخبرنا جماعة، عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن سفيان البزوفري، عن علي بن سنان الموصلي العدل، عن علي بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن الخليل، عن جعفر بن محمد المصري، عن عمه الحسن بن علي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن محمد الباقر عليه السلام، عن أبيه عليه السلام ذي الثفنات، عن الحسين عليه السلام، عن أبيه أميرالمؤمنين عليه السلام، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ في الليلة التي كانت فيها وفاته ـ لعلي: عليه السلام يا أبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة.

فأملىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وصيته حتىٰ انتهىٰ إلىٰ هذا الموضع، فقال: يا علي، إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً، ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، فأنت يا علي أول الاثني عشر الإمام، سمّاك الله في سمائه علياً المرتضىٰ، وأمير المؤمنين، والصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، والمأمون، والمهدي، فلا تصلح هذه الأسماء لأحد غيرك.

يا علي، أنت وصيي علىٰ أهل بيتي، حيّهم وميّتهم، وعلىٰ نسائي، فمن ثبّتّها لقيتْني غداً، ومن طلّقتها فأنا بريء منها، لم ترني ولم أرها في عرصات القيامة. وأنت خليفتي علىٰ أُمتي من بعدي، فإذا حضرتك الوفاة فسلّمها إلىٰ ابني الحسن البرّ الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها

---

(١) «الفضائل» غير متوفر لدينا. انظر: «بحار الأنوار» ج٣٦، ص٢١٣، ح١٥، عنه، بتفاوت، صححناه علىٰ المصدر.

(٢)، (٣) «ليست في المصدر.

(٤) انظر: «بحار الأنوار» ج٣٦، ص٢٩٦، ح١٢٥، بتفاوت يسير.

إلىٰ ابني الحسين الشهيد المقتول، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلىٰ ابنه سيد العابدين ذي الثفنات علي، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلىٰ ابنه محمد الباقر).

ثمّ أخذ في العدّ كذلك إلىٰ العسكري، وقال: (فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلىٰ ابنه محمد، المستحفظ من آل محمد، فذلك اثنا عشر إماماً، ثمّ يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلىٰ ابنه أوّل المهديين، له ثلاثة أسامٍ، اسم كاسمي واسم أبي، وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث المهدي، وهو أول المؤمنين)»[١].

أقول: الاثنا عشر الذين يكونون بعده هداة وليسوا بأئمة، كما يدل عليه حديث الإكمال[٢]، ولعل ذلك في الرجعة، [و] الذي يدفع له الوصاية الحسين عليه السلام، أو المراد بالاثني عشر بعده: الأئمة في الرجعة، والأمر حينئذ للرسول، فهم هداة وليسوا بأئمة، أي ناطقين، لأنهم بحكم الرسول عاملون، وله تابعون، وهو المرجع.

وسيأتيك في الكافي، في باب ما جاء في الأئمة الاثني عشر والنص عليهم عليهم السلام: «عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخلت علىٰ فاطمة، وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر، آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمد، وثلاثة منهم علي»[٣].

ولا يخفىٰ صراحته في كتابته موصولاً، والنطق به كذلك، ولا ينافيه ضمّه مع غيره. وتعيّن من هذا أن حديثه الآخر[٤] المذكور فيه الاسم مقطعاً «م ح م د» إمّا من النسّاخ، أو أنها بعد تسميته أيضاً، ويدل عليه كلام الصدوق السابق.

وورد في كتب الصدوق وغيره في غير حديث: (أولنا محمد، وأوسطنا محمد، وآخرنا محمد)[٥].

ولا ينافي أن فيها بعدُ: (وكلّنا محمد)[٦]، فإن معناه: مشتركون في المحمدة والحمد،

---

(١) «مختصر بصائر الدرجات» ص٣٩ - ٤٠. (٢) «كمال الدين» ص٣٥٨، ح٥٦.

(٣) «الكافي» ج١، ص٥٣٢، باب ما جاء في الاثني عشر... ح٩.

(٤) «الكافي» ج١، ص٣٢٩، باب الاشارة والنص إلىٰ صاحب الدار، ح٥. وقد تقدم الحديث في الباب الأول من هذا المجلد.

(٥) لم نعثر عليه في كتب الصدوق، وورد في غيرها.

انظر: «الغيبة» للنعماني، ص٥٤؛ «المختصر» ص١٦٠؛ «بحار الأنوار» ج٢٥، ص٣٦٣، ح٢٣؛ ج٢٦، ص٣، ٦، ح١. (٦) «بحار الأنوار» ج٢٦، ص٦، ح١.

فلو كان المراد أولاً ذلك لما قال: (أولنا... وأوسطنا... وآخرنا)، بل أشار أولاً في أنّ اسم محمد [أولاً ووسطاً][(١)] وآخراً، ثمّ دفع بقوله: (وكلّنا) ما عسىٰ أن يتوهم من قصور الباقي عن المحمدة.

وفي غير نسخة من نسخ «مفتاح الفلاح» المعتمدة، في دعاء تعقيب الصبح: (وعليّ والحسن، ومحمد، صلواتك عليهم أجمعين)[(٢)].

وفي غيره أيضاً من الأدعية، كما يظهر للمتتبع.

وممن ذكره باسمه: السيد الفاضل السيد هاشم التوبلي البحراني، في مختصره لكتابه المسمىٰ بـ«حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار».

قال: «الفصل الخامس عشر: في نص أبي محمد الحسن علىٰ ابنه القائم المنتظر المهدي.

الشيخ الطوسي في الغيبة، عن أحمد بن علي الرازي، عن محمد بن علي، عن عبد الله بن محمد بن خاقان الدهقان، عن أبي سليمان داود بن غسان البحراني، قال: قرأت علىٰ أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي، قال: مولد محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا بن موسىٰ بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين.

ولد عليه السلام بسرّ من رأىٰ سنة مائتين وست وخمسين. أمه صقيل، ويكنّىٰ أبا القاسم، بهذه الكنية أوصىٰ النبي أنه قال: (اسمه كاسمي، وكنيته كنيتي). لقبه المهدي، وهو الحجة، وهو المنتظر، وهو صاحب الزمان.

قال إسماعيل بن علي: دخلت علىٰ أبي محمد الحسن بن علي في المرضة التي توفي فيها...

إلىٰ أن قال أبو محمد: (أبشر يا بني، فأنت صاحب الزمان، وأنت المهدي، وأنت حجة الله في أرضه، وأنت ولدي ووصيي، وأنا ولدتك، وأنت محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب)[(٣)]... الحديث».

وقال رحمه الله في موضع آخر منها: «قال مؤلف هذا الكتاب: و[أمّا] الروايات من أصحابنا الإمامية فهي لا تحصىٰ في الإخبار في القائم، من ميلاده وظهوره ونسبه، وأنه محمد بن

---

(١) في الأصل: «اووسطا».

(٢) «مفتاح الفلاح» ص٢٢٢، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «الغيبة» ص٢٧١ – ٢٧٢، ح٢٣٧، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

الحسن بن علي العسكري، فهي لا تحصىٰ عن النبي ﷺ، مذكور في مصنفات كثيرة، وإجماع الإمامية علىٰ ذلك ».

إلىٰ أن قال: «فإن قلت: في بعضها تكرار.

قلت: الغرض الداعي إلىٰ ذلك ذكره وميلاده، وأنه محمد بن الحسن، وأنه حي»[١] انتهى.

وقال في تبصرة الولي فيمن رأىٰ القائم المهدي: «عن أبي غانم الخادم، قال: ولد لأبي محمد مولود فسمّاه محمداً، فعرضه علىٰ أصحابه يوم الثالث»[٢]... إلىٰ آخره.

وذكره في فصل غيره أيضاً، وفي رواية بسطام المفرّقة أسماءهم علىٰ الأيام تصريح باسمه عليه السلام أيضاً.

وقد سمّاه ملّا محسن باسمه في غير كتاب من الحكمة.

وقال الشيخ الأعظم محمد بن محمد بن النعمان، الملقب بالمفيد، في مسارّ الشيعة، في شهر شعبان: «وفي ليلة النصف منه، سنة أربع وخمسين ومائتين من الهجرة، كان مولد سيدنا محمد بن الحسن، صاحب الزمان»[٣] انتهى.

وروىٰ السيد الجليل حسن بن كبش، بإسناده عن سلمان الفارسي، قال: دخلت علىٰ رسول الله ﷺ، فلما نظر إلي قال لي: (يا سلمان، إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلّا جعل له اثني عشر نقيباً)، قال: قلت: يا رسول الله، قد عرفت هذا من الكتابين.

قال: (يا سلمان، فهل علمت نقبائي الاثني عشر، الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟) فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال: (يا سلمان، خلقني الله من صفاء نوره، فدعاني فأطعته، وخلق من نوري علياً، فدعاه فأطاعه، وخلق من نوري ونور علي فاطمة، فدعاها فأطاعته، وخلق منّي ومن علي ومن فاطمة الحسن والحسين، فدعاهما فأطاعاه).

إلىٰ أن قال: (ثمّ خلق من نور الحسين تسعة أئمة، فدعاهم فأطاعوه، قبل أن يخلق الله سماءً

---

(١) «بهجة النظر في إثبات الوصاية والإمامة للائمة الاثني عشر» غير متوفر لدينا.

(٢) «تبصرة الولي» ص٤٧، ح١٣، عن «كمال الدين» ص٤٣١، ح٨.

(٣) «مسارّ الشيعة» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج٧، ص٦١، ولم يرد التصريح باسم الإمام في النسخة الحاضرة، إلّا إنه أُشير في هامش المصدر إلىٰ ورود اسمه في نسختين أُخريين.

مبنية، أو أرضاً مدحية، أو هواءً، أو ماءً، أو ملكاً، أو بشراً، وكنّا بعلمه أنواراً نسبّحه ونسمع له ونطيع).

فقال سلمان: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأُمي، ما لمن عرف هؤلاء؟

فقال: (يا سلمان، من عرفهم حق معرفتهم، واقتدىٰ بهم، فوالىٰ وليهم، وتبرأ من عدوّهم، فهو والله منّا، يرد حيث نرد، ويسكن حيث نسكن).

قلت: يا رسول الله، يكون إيمان بهم بغير معرفتهم بأسمائهم وأنسابهم؟ فقال: (لا يا سلمان).

فقلت: يا رسول الله، فأنّىٰ لي بهم؟

فقال رسول الله ﷺ معدداً، إلىٰ أن وصل إلىٰ الهادي، ثمّ قال: (ثمّ الحسن بن علي الصامت الأمين العسكري، ثمّ ابنه محمد بن الحسن، المهدي، الناطق، القائم بحق الله).

ثمّ قال: (يا سلمان، إنك مدركهم وأمثالك ومن تولاّهم بحقيقة المعرفة)[١]... الحديث.

وسبق في مقدمات الباب الأول[٢] في النص أن له عليه السلام اسمين، اسم يُعلن به، وهو محمد |واسم يخفىٰ، وهو أحمد|.

تأمّل في قوله: (يعلن) في الاسم الذي هو محل البحث، فيخص غيره بوقت الخوف، وهو ما عليه المشهور، كما صرّح به علماؤنا المعاصرون وغيرهم، وهو اختيار أساتيذنا أيضاً.

وروىٰ الصدوق في الباب السابع والعشرين من الإكمال[٣]، وهو باب ما روي عن سيدة النساء من حديث الصحيفة، في رواية جابر ذكره عليه السلام باسمه. وهذه نقلها السيّد الداماد في الرسالة[٤] مقطّعاً فيها الاسم.

والذي رأيناه في ثلاث نسخ معتمدة من نسخ الإكمال ذكر الاسم موصولاً، وهذه أقوىٰ وأصح؛ بدليل قول الصدوق عقيبه: «جاء هذا الحديث هكذا بتسمية القائم عليه السلام، والذي أذهب إليه ما روي في النهي عن تسميته، وسأذكر ما رويته في ذلك من الأخبار في باب

---

(١) «دلائل الإمامة» ص٤٤٧، ح٤٢٤؛ «المحتضر» ص١٥٢؛ «بحار الأنوار» ج٢٥، ص٦، ح٩، باختلاف بعض الألفاظ، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) انظر: المقدمة الخامسة، الحديث المنقول عن: «كمال الدين» ص٦٥٣، ح١٧.

(٣) «كمال الدين» ص٣٠٧، ح١. (٤) «شرعة التسمية» ص٧٦.

أضعه في هذا الكتاب لذلك إن شاء الله تعالىٰ ذكره»[١].

ومرّ بيان التوفيق، فإذا أحاديث الباب المشار إليه لا يدل علىٰ التعميم مطلقاً، وكذا أحاديث المنع، فيحمل علىٰ ما سوى التقية. ويدل عليه أيضاً تصريحه باسمه في الاعتقاد.

قال في اعتقاده في عدد الأنبياء والأوصياء: «ثمّ محمد بن الحسن، الحجة، القائم، صاحب الزمان».

إلىٰ أن قال: «ونعتقد أنّ حجة الله في أرضه وخليفته علىٰ عباده ـ في زماننا هذا ـ المنتظر القائم، محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام»[٢].

وقال فيها أيضاً، في الحديثين المختلفين: «وروي عن سليم بن قيس الهلالي، أنه قال: قلت لأمير المؤمنين عليه السلام» ... إلىٰ أن قال علي: (قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، سمّهم لي، قال: أنت يا علي، ثمّ ابني هذا، ووضع يده علىٰ رأس الحسن عليه السلام، ثمّ ابني هذا، ووضع يده علىٰ رأس الحسين عليه السلام، ثمّ ابنه سميُّك يا أخي سيد العابدين، ثمّ ابنه، يسمىٰ محمداً، باقر علمي، وخازن وحي الله، وسيولد في زمانك يا أخي، فأقرئه منّي السلام، ثمّ تكملة اثني عشر إماماً من ولدك إلىٰ مهديٍّ اسمه محمد، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً) ... الحديث[٣].

فقد انصرح لك أنّ اختيار الصدوق ليس كما يحكىٰ عنه من المنع مطلقاً.

وممن ذكره باسمه الكفعمي[٤]، إلىٰ غيره من العلماء مما لم ننقله.

وغير خفي إفادة ذلك أنّ الشهرة بل الإجماع ـ لشذوذ المخالف ـ علىٰ جواز التسمية وشرعتها حال الغيبة، وإن تقيّدت.

وفي الباب الثامن والعشرين من الإكمال: «عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: دخلت علىٰ مولاتي فاطمة، وقدّامها لوح يكاد ضوؤه يغشي الأبصار، فيه اثنا عشر اسماً، ثلاثة في

---

(١) «كمال الدين» ص٣٠٧، ذيل ح١، باختلاف بعض الألفاظ.

(٢) «الاعتقادات» المطبوعة ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج٥، ص٩٣، ٩٥، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «الاعتقادات» المطبوعة ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج٥، ص١١٨، ١٢٢، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «البلد الأمين» نسخة حجرية ص٣٣٦، ص٣٥٧، ص٣٦٦.

ظاهره، وثلاثة في باطنه، وثلاثة أسماء في آخره، وثلاثة أسماء في طرفه، فعددتها فإذا هي اثنا عشر اسماً، فقلت: أسماء مَن هؤلاء؟ فقالت: (أسماء الأوصياء، أولهم ابن عمي، وأحد عشر مَن ولدي، آخرهم القائم عليه السلام).

قال جابر: فرأيت فيها محمداً محمداً محمداً، في ثلاثة مواضع، وعلياً وعلياً وعلياً وعلياً، في أربعة مواضع»[1].

وفي حديث آخر في الباب، عنه أيضاً: «فعددت اثني عشر، آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمد، وأربعة منهم علي»[2].

وروي فيه أيضاً عنه مثله[3].

فقد انصرح أنّ الألواح السماوية، والصحف النبوية، والألسن المعصومية، ومَن لهم بهم زيادة الاختصاص والتبعية، علىٰ وقوع التسمية.

ومثل هذه الأحاديث كثير، مع موافقتها للأصل، وهو الجواز، أو داخل في الأسماء التي أمر بالتوجه بها في قوله: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[4]، وهم أسماؤه تعالىٰ[5]. فقد ظهرت موافقتها للأصل والقرآن، وصريح العقل شاهد عليه أيضاً.

أمّا دليل من حرّم التسمية فبعض ما سمعت، وسيأتيك أيضاً، مما دلّت علىٰ المنع من التسمية قبل ظهوره عليه السلام، وفي بعضها[6] الحكم بالكفر علىٰ من سمّاه، وفي بعضها[7] اللعن لمن يسميه في محفل.

وغير خفي أنّ مقتضىٰ القواعد بناء العام علىٰ الخاص مع التكافؤ، وهو هنا حاصل من وجوه سمعتها، فتعيّن حمل المطلق والعام علىٰ الخاص أو [المقيّد][8]. وأمّا إلغاء القيد أصلاً، فمع أنه خلاف التحقيق، يوجب اطّراحَ تلك الروايات الموافقة للاعتبار والقرآن، وتركَ الجمع بينها بما هو منصرح الدلالة علىٰ الجمع، وهو حينئذ متعيّن لا مناص عنه؛ لأنه اطراح الدليل. وغير خفي أنّ في ذلك خروجاً عن الاستقامة، وعدولاً عن الدلالة، وهو غير جائز، فتفطّن.

---

(١) «كمال الدين» ص ٣١١، ح ٢، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «كمال الدين» ص ٣١٢، ح ٣.

(٣) «كمال الدين» ص ٣١٣، ح ٤.

(٤) «الأعراف» الآية: ١٨٠.

(٥) «الكافي» ج ١، ص ١٤٤، ح ٤.

(٦) «الكافي» ج ١، ص ٣٣٣، باب في النهي عن الاسم، ح ٤.

(٧) «كمال الدين» ص ٤٨٢، ح ١.

(٨) في الأصل: «المبين».

ومن نوادر الحكمة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (إنّ الله عزّ وجلّ خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته، قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا).

فقيل له: يابن رسول الله، فمن هؤلاء الأربعة عشر نوراً؟

فقال: (محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وتسعة من ولد الحسين، تاسعهم قائمهم)، ثمّ عدّهم بأسمائهم ... الحديث[1].

فانظر كيف يصرّحون عليهم السلام بالاسم مع خواصهم.

ومما نقله السيد الجليل حسن بن كبش في كتابه، عن الشيخ المفيد، يرفعه إلىٰ الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أُسري بي إلىٰ السماء أوحىٰ إليّ ربي جلّ جلاله فقال: يا محمد، إنّي اطلعت إلىٰ الأرض اطلاعة فاخترتك منها، فجعلتك نبياً، وشققت لك اسماً من أسمائي، فأنا المحمود، وأنت محمد، ثمّ اطلعت الثانية فاخترت منها علياً، وجعلته خليفتك ووصيك، وزوج ابنتك، وأبا ذرّيتك، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا العلي الأعلىٰ، وهو علي).

إلىٰ أن قال صلى الله عليه وآله: (فرفعت رأسي، فإذا أنا بأنوار علي عليه السلام، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسىٰ بن جعفر، وعلي بن موسىٰ، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، ومحمد بن الحسن القائم في وسطهم، كأنه كوكب دري) ... الحديث[2].

وفي باب علامات خروجه، من كتاب الإكمال للصدوق، بسنده عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو علىٰ المنبر: (يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان، أبيض اللون، مُشرَب بالحمرة، مبدح البطن).

---

(١) الكتاب غير متوفر لدينا، انظر: «علم اليقين» ج٢، ص٥٩٧، عنه، وأخرجه العلاّمة المجلسي في: «بحار الأنوار» ج٢٥، ص٤، ح٧، عن «المحتضر» ص١٢٩، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) الكتاب غير متوفر لدينا. انظر: «بحار الأنوار» ج٣٦، ص٢٤٥، ح٥٨، عن «كمال الدين» ص٢٥٢، ح٢؛ «عيون أخبار الرضا» ج١، ص٥٨، ح٢٧، وذكر المجلسي في ذيل الحديث أن الشيخ حسن بن سليمان في كتاب المحتضر أخرج مثله من كتاب السيد حسن بن كبش، لكننا بعد الرجوع لكتاب «المحتضر» ص٩٠، وجدنا مثله منقولاً عن العيون. وفيما عدا «كمال الدين»: (والحجّة بن الحسن) بدل: (ومحمد بن الحسن)، مع تفاوت يسير.

إلىٰ أن قال عليه السلام: (له اسمان، اسم يخفىٰ، واسم يعلن ، فأمّا الذي يخفىٰ فأحمد، وأمّا الذي يعلن فمحمد، إذا هزّ رايته أضاء لها مابين المشرق والمغرب) ... الحديث[١].

ولا ينافي تقييدنا بالأمن قوله عليه السلام بذلك علىٰ المنبر، وأنه [أعلن][٢] به في المجامع؛ فجاز أن يكون بعضها لا يوجب ذلك، ويدل عليه قوله عليه السلام ولمّا لم يُعرف إلّا بمحمد، لأنه أظهر أسماء محمد، فلا يظهر الثاني إلّا بعدُ وإن عرف قبلُ وسمّي به.

وسيأتيك في باب الغيبة في حديث المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إيّاكم والتنويه، أما والله ليغيبن إمامكم) ... الحديث[٣].

ويقال: نوّهت باسم فلان، إذا رفعت ذكره وشهّرت به[٤].

ومعلوم أنّ النهي إذا خصّ بها لا يوجب غيرها، بل يرجع إلىٰ الجواز، والمطلق يُحمل عليه.

وفي بعض الأدعية المتكررة في أعمال رمضان، كما في الإقبال وغيره، ونقله من إقبال السيد : (اللهمّ كُن لِوليّكَ القائمِ بأمركَ، الحجّةِ محمدِ بن الحسنِ المهديّ، عليه وعلىٰ آبائه أفضلُ الصلاةِ والسلام)[٥] ... إلىٰ آخر الدعاء.

وفي مصباح الكفعمي، في دعاء العبرات: «مما يدعىٰ به في المهمات، مروي عن القائم عليه السلام »[٦]. وذُكر ذلك أيضاً في مهج الدعوات[٧]، بتغييرٍ ما في غير موضع الحاجة.

وفي حواشي الكفعمي له ما لفظه: «ورأيت في بعض كتب الأدعية أنه مروي عن الإمام الحجّة الحسين عليه السلام ».

وفيه في وصفه عليه السلام : (الّذي يَظْهَرُ فِي بيَتِ اللهِ ذِي الأَسْتارِ، العالمِ المُطَهَّرِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ، عَلَيهِمْ أفضلُ التَحِيّاتِ، وأعْظَمُ البَرَكاتِ، وأتَمُّ الصَّلواتِ)[٨].

---

(١) «كمال الدين» ص ٦٥٣، ح ١٧، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) في الأصل: «اعلى».

(٣) انظر: باب في الغيبة، الآتي في هذا المجلد، ح ٣.

(٤) انظر: «لسان العرب» ج ١٤، ص ٣٤٢، مادة «نوه».

(٥) «إقبال الأعمال» ص ٣٥٧، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) لم نعثر في «المصباح» علىٰ الدعاء المذكور، لكن في «البلد الأمين» ص ٣٣٣، قال المؤلف: «دعاء العبرات، عظيم، مروي عن القائم عليه السلام ، يدعىٰ به في المهمات العظام».

(٧) «مهج الدعوات» ص ٤٠٧، أورد فيها دعاء العبرات دون الإشارة إلىٰ كونه مروياً عن القائم عليه السلام أو غيره.

(٨) «البلد الأمين» ص ٣٣٦؛ «مهج الدعوات» ص ٤١١، صححناه علىٰ المصدر.

وفي دعاء كنز العرش، المروي عن النبي ﷺ، كما فيه أيضاً، بعد تفصيل أسماء المعصومين، (وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ القائِمِ بِأَمْرِكَ)[١].

وفيه في دعاء قاف، المروي عن النبي ﷺ ـ بعد تعداد الأئمة ـ: (بالإمامِ الخَلَفِ القائِمِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ، صَلَواتُ اللهِ عَلَيهِمْ أجْمَعِينَ)[٢].

وفيه في دعاء مروي عن الإمام الكاظم عليه السلام، وفي آخر تعداد الأسماء: (وَعَلىٰ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ المُنتَظِرِ لأَمْرِكَ)[٣]... إلىٰ آخره.

نقـل وتحقيق

قال السيد الداماد في رسالته ـ سمّاها: «شرعة التسمية في زمان الغيبة» ـ ما ملخصه: «شرعة الدين وسبيل المذهب عدم حلّ التسمية لأحد من الناس زمن الغيبة في محفل، مجاهراً باسمه الكريم، معالناً بكنيته الكريمة، حتىٰ يسطع نوره. وإنما الشريعة المشروعة في ذكرنا إياه ما دامت غيبته الكناية عن ذاته القدسية بألقابه المقدّسة كالخلَف الصالح، والإمام القائم، والمهدي المنتظر، والحجّة من آل محمد ﷺ. وغاية ما يجوز من ذكر الاسم والكنية أن يقال: سميّ رسول الله ﷺ وكنيته.

وعلىٰ ذلك إطباق أصحابنا السالفين، والروايات به متظافرة عن أئمتنا المعصومين، ولا يستنكره إلّا من قصر في الفقه، ولم يكن خبر بخفيات مراسم الشريعة. ولنورد جملة من النصوص»[٤].

أقول: غير خفي علىٰ من وقف علىٰ عبائر العلماء السابقة، ومالم ننقله، وقد يأتي زيادة أيضاً، ظاهر عبائر الخلف والسلف شرعية [التسمية] لا المنع مطلقاً، وإنّما لم نكتف بالنقل المختصر تقريباً لتحصيل الإجماع للناظر الفطن.

أمّا النص فمرّ لك بعضٌ، صريحة في وقوعها، وموافقة للقرآن والاعتبار، فتعيّن عدم اطراحها، والجمع بينها وبين ما ستسمعه من الدليل الآتي بما لا ينافي.

---

(١) لم نعثر عليه في المصباح، أورده في «البلد الأمين» ص٣٥٧.

(٢) لم نعثر عليه في المصباح، أورده في «البلد الأمين» ص٣٦٦.

(٣) لم نعثر عليه في المصباح، أورده في «البلد الأمين» ص٣٩١.

(٤) «شرعة التسمية» ص٢٤، نقله بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

قال: «فمنها: ما رواه الكليني في باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم، من كتاب الحجة، في الصحيح، في حديث الخضر ... إلىٰ أن قال: (أشهد أن لا إله إلّا الله، ولم أزل أشهد بها)، إلىٰ أن قال: (وأشهد علىٰ رجل من ولد الحسن، لا يكنّىٰ ولا يسمّىٰ حتىٰ يظهر أمره، فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته)[١].

ورواه الصدوق في الباب السادس من كتاب عيون الأخبار[٢]، وفي الباب التاسع والعشرين من كتابه إكمال الدين[٣].

وروىٰ الصدوق في الباب الثاني من كتاب التوحيد، وفي أول الباب السابع والثلاثين من كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة، في الحسن، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: دخلت علىٰ سيدي علي بن محمد الهادي عليه السلام ... إلىٰ أن قال عليه السلام: (فكيف للناس بالخلف من بعده؟) قال: فقلت: وكيف ذاك يا مولاي؟ قال: (لأنه لا يرى شخصه، ولا يحلّ ذكره باسمه، حتىٰ يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً)[٤].

وهو كذلك في طريق شيخنا المفيد، وشيخ الطائفة الطوسي، والمفسّر الثقة الطبرسي[٥]، وفي طريق غيرهم من أفاخم الأصحاب. وقد حوىٰ أصول الحكمة، ومعاقد العلم، وحقائق الايمان»[٦].

ثمّ تكلم علىٰ بعض ما تضمنه الحديث، لكنه خارج عن موضوع الرسالة.

ثم قال: «وروىٰ الكليني في باب النهي عن الاسم، والصدوق في الإكمال، في الصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (صاحب هذا الأمر لا يسمّيه باسمه إلّا كافر)[٧].

وفي آخر: (الذي يخفىٰ علىٰ الناس ولادته، ولا يحلّ لهم تسميته حتىٰ يظهره الله عزّ وجلّ)[٨].

---

(١) «الكافي» ج١، ص٥٢٦، ح١. (٢) «عيون أخبار الرضا» ج١، ص٦٧، ح٣٥.

(٣) «كمال الدين» ص٣١٥، ح١.

(٤) «التوحيد» ص٨١، ح٣٧؛ «كمال الدين» ص٣٧٩، ح١.

(٥) «إعلام الورىٰ» ج٢، ص٢٤٤.

(٦) «شرعة التسمية» ص٢٥ – ٣٠، ٤٦ – ٥٠، بتصرف.

(٧) «الكافي» ج١، ص٣٣٣، ح٤؛ «كمال الدين» ص٦٤٨، ح١، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٨) «كمال الدين» ص٣٦٩، ح٦.

وفي كتاب إعلام الورى للطبرسي، ورواه الصدوق في الإكمال، عن الصادق عليه السلام: (يغيب عنكم شخصه، ولا يحلّ لكم تسميته)[١].

وفي الإكمال مسنداً عن علي بن عاصم الكوفي، في التوقيع عنه عليه السلام: (ملعون ملعون من سمّاني في محفل من الناس)[٢].

وفيه، عن العمري، عنه عليه السلام: (من سمّاني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله)[٣].

ورواها الشيخ الطوسي والطبرسي[٤] والمفيد بأسانيدهم.

وفي باب النهي عن الاسم، من الكافي: (لا يرى جسمه، ولا يسمّىٰ اسمه)[٥].

وفي آخر: (ولا يحلّ لكم ذكره باسمه)، فقلت: فكيف نذكره ؟ فقال: (قولوا: الحجّة من آل محمد صلوات الله عليه وسلامه)[٦].

وفي باب الإشارة والنص علىٰ أبي محمد عليه السلام ـ منه ـ: (إنكم لا ترون شخصه، ولا يحلّ لكم ذكره باسمه)، فقلت: فكيف نذكره؟ ... الحديث[٧]، مثله.

وفي الإكمال: سأل عمر علياً عن اسم المهدي، فقال عليه السلام: (أمّا اسمه فلا؛ فإنّ حبيبي وخليلي عهد إليّ أن لا أحدّث باسمه حتىٰ يبعثه الله عزّ وجلّ)[٨].

ورواه المفيد في الإرشاد[٩].

وفيه أيضاً، والإكمال: (لا ترون شخصه، ولا يحلّ لكم ذكره باسمه)[١٠]. ومن طريق آخر في ربيع الشيعة لابن طاووس بهذه الألفاظ: وفي كتاب أبي عبد الله بن عيّاش: (ترون شخصه ولا يحلّ لكم تسميته، ولا ذكره باسمه)[١١] ...»[١٢].

---

(١) «كمال الدين» ص٣٣٣، ح١؛ ص٣٣٨، ح١٢؛ «إعلام الورىٰ» ج٢، ص٢٣٤.

(٢) «كمال الدين» ص٤٨٢، ح١.

(٣) «كمال الدين» ص٤٨٣، ح٣.

(٤) «إعلام الورىٰ» ج٢، ص٢٧٠.

(٥) «الكافي» ج١، ص٣٣٣، ح٣.

(٦) «الكافي» ج١، ص٣٣٣، ح١.

(٧) «الكافي» ج١، ص٣٢٨، ح١٣.

(٨) «كمال الدين» ص٦٤٨، ح٣.

(٩) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج١١/٢، ص٣٨٢، وفيه: (أما اسمه فإن حبيبي عليه السلام عهد إليّ ألّا أُحدّث به حتىٰ)...

(١٠) «كمال الدين» ص٦٤٨، ح٤، «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج١١/٢، ص٣٢٠.

(١١) انظر: «إعلام الورىٰ» ج٢، ص١٣٦.

(١٢) «شرعة التسمية» ص٥٣ – ٦٥، بتصرف.

وذكر خمسة[١] أحاديث حسان من الإكمال وغيره، متضمنة لفظ: (لا يحلّ لكم تسميته)، ثمّ التوقيع المتكرر الناهي عن السؤال عن الاسم.

| ثمّ قال: | «فهذه جملة من الأخبار، وغيرها أيضاً من مراسيل وأسانيد متفرقة، ولم نظفر إلىٰ الآن بخبر يعارض حكمه حكم هذه الأخبار، لا مسند ولا مرسل، لا بسند وثيق ولا ضعيف، فالنص متواتر عن النبي ﷺ، ثم أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ثم عن الأئمة ﷺ، بذكر صفته، والإخبار عنه بدون ذكر الاسم، وفي أكثرها المنع منه، وإن لم يظهر علته وسرّه، وهو مختار مشايخنا المتقدمين، حتىٰ إنّ الصدوقين الأقدمَينِ إذا رويا حديثاً فيه ذكر التسمية صريحاً، قالا: هكذا ورد الخبر، ولكن سبيل المذهب عدم التصريح بالاسم.

ومن المطابقة للنص أنّ ما يقع لنا الآن من نسخ الكافي والإكمال والعيون وغيرها، فكل ما فيها من حديث مشتمل علىٰ اسمه ﷺ صريحاً إنّما يكتب فيه بحروف مقطعة هكذا: م ح م د؛ لئلا يسبق صريح الاسم إلىٰ الألسنة في القراءة والرواية»[٢].

أقول: قد سمعت المعارض من صحاح الأخبار وغيرها، ماهو مشهور روايةً ودرايةً، وليته حيٌّ فأهديها له. وغير خفي معارضة حكمها حكم الأخبار التي استدل بها، الناهية عن التسمية حتىٰ الظهور، وحقيقة في التحريم، بل ما نقل مثل: (ملعون ملعون من سمّاني في محفل)، وما رواه الكليني في هذا الباب، ومثل: (إن وقع الاسم وقع الطلب)[٣]، صريح في تقييد النهي بالمحافل.

وقد سبق لك أنّ التحقيق يعطي أنّ مذهب الصدوق والكليني ذلك، ولا ينافي روايته الروايات المطلقة؛ لأنه روىٰ المقيّدَ، ولتصريحه بالاسم في روايات أُخر، وفي الاعتقاد[٤]،

---

(١) في «شرعة التسمية» ص٦٥ - ٧٠، ذكر السيد الداماد خمسة أحاديث، ثلاثة منها متضمنة حرمة التسمية، نقلها من «كمال الدين» ص٤١٠، ح٤؛ ص٤١١، ح٥؛ ص٣٧٧، ح١. ونقل حديثاً آخر من «كمال الدين» ص٣٧٨، ح٣، ليس فيه مضمون الحرمة. والحديث الخامس نقله من «الكافي» ج١، ص٣٢٩، ح١؛ ومن «الغيبة» للمفيد، ومن «إعلام الورىٰ» ج٢، ص٢١٨، وقد تضمن التوقيع المشار له هنا.

(٢) «شرعة التسمية» ص٧١ - ٧٢، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «الكافي» ج١، ص٣٣٠، باب في تسمية من رآه ﷺ، ذيل ح١، بتفاوت يسير.

(٤) «الاعتقادات» للصدوق، ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج٥، ص٩٣.

ولا ينافيه قوله في بعض الروايات في الإكمال: «هكذا وردت»[١]؛ فإن مضمونها عام، ولا قائل بمشروعية التسمية مطلقاً، بل مع الأمن.

ومما يوافق ما قلنا |ما| سمعت نقله من الكافي والإكمال وغيره، متضمناً لذكر الاسم موصولاً.

فقول السيد أخيراً: «ومن المطابقة للنص»[٢] إلىٰ آخره، ليس بالمطابقة، بل الحديث المتضمن لذكر الاسم مقطّع الحروف مذكور |فيه| الاسم أيضاً.

هذا، وقد عرفت ظاهر فتوىٰ المتقدم والمتأخر، والقرآن، فتعيّن العمل بما قلناه سابقاً، بل التحريم مقيّد بمحل الخوف، وحينئذ لا يتقيّد باسم دون آخر، وإن كان باسم محمد أظهر؛ لاشتهاره [وقرب الإيهام وقبول لا شرك في غيره]، فكثيراً ما يقع التستر بتغيير الاسم، كلفظ «عالم » أو «العبد الصالح» وأمثال ذلك، كما وقع مع آبائه. وكذا في محافل الشيعة العامة، إذا خيف منها الاشتهار والانجرار إلىٰ محل المنع والأخطار، آناء الليل وأطراف النهار، وإلّا فذكره من المندوب إليه والمتبرّك به، كآبائه. هذا ما يقتضيه حسن النظر بعد كمال التتبع.

هذا، والاسم الذي هو محل الخلاف ليس بكل؛ لصراحته من النصوص، وإن كان الظاهر أنه اسم «محمد»؛ لما بيّناه لك، فيحتمل أنّ الاسم الممنوع به ما يشترطه علىٰ أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشر، فينفرون ولا يقولون، ثمّ يرجعون، وهكذا، وفي الثالثة يبايعونه، كما في حديث الإكمال[٣] وغيره[٤].

فإن أُريد، فالنهي حينئذ عامّ في جميع المحافل، فإنه من أعظم أسرارهم المحرّم إفشاؤها [حتىٰ][٥] عند الشيعة وفي مجامعهم، فإنه حرف من باطن الباطن. جعلنا الله من العارفين به، التابعين له.

قال ﷺ: «**تشييد:** أما تتبصر فيما ورد عنهم عليهم السلام من الأدعية، إنما ذكرهم فيها بالأسماء

---

(١) «كمال الدين» ص٣٠٧، ذيل ح١، نحوه.

(٢) معنىٰ قول السيد الداماد ﷺ: «ومن المبالغة في عدم مجاوزة موقف النص وعدم مخالفة مقتضاه...». «شرعة التسمية» ص٧٢. وقد اختصره المؤلف هنا وعند نقله عبارة السيد السابقة أيضاً.

(٣) «كمال الدين» ص٦٧٢، ح٢٥، نحوه. (٤) «بحار الأنوار» ج٥٢، ص٣٢٦، ح٤٢، نحوه.

(٥) في الأصل: «حقا».

والكنىٰ، وذكر القائم ﷺ بالنسب واللقب، لا بالاسم والكنية، وهذه سنتهم في الروايات والأدعية.

ومما يستغرب منه دعاء الوسائل المجرّب، رواه الصدوق، والعلّامة في منهاج الصلاح، صرّح فيه بأسمائهم ﷺ وكناهم، إلّا القائم، لم يذكر فيه بالاسم والكنية، بل إنما ذكر بالنسب واللقب والوصف(١). وكذا دعاء الصلاة علىٰ النبي وأوصيائه عليه وعليهم السلام، المروي في مصباح الشيخ بطريقين(٢)، وكذا أدعية الساعات فيه(٣) وفي منهاج الصلاح للعلّامة.

ومما يستغرب منه أنّ حديث اللوح والصحيفة، الذي رواه جابر، وفيه أسماء أوصياء النبي الاثني عشر وكناهم، كلما أورده الصدوق(٤) أردفه بالنهي عن التسمية والتكنية، مع الاحتياج إليهما هناك للتعين وللاحتجاج، ولتمام الإيمان.

وفي الكافي(٥) أيضاً في رواية جابر تصريح بالاسم، لكن مكتوب بحروفه المقطعة؛ تنبيهاً علىٰ عدم الإجهار به في القراءة والرواية إلّا بالرمز والكناية.

ومن المستغرب أنّ الصدوق في الأمالي(٦)، في بيان مذهب الإمامية، لم يذكره بالاسم والكنية، بل باللقب والنسب، علىٰ خلاف الأمر في ذكر الأئمة من قبله، والمقام يقتضي ذكره، وذلك في مجلس يوم الجمعة، الثاني عشر من شعبان، من سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وقد اجتمع مع الشيخ أبي جعفر أهلُ مجلسه والمشايخ، فسألوه أن يصف لهم دين الإمامية علىٰ الإيجاز والاختصار»(٧).

ثم قال: «حكم التحريم من النص خاص بالنطق به في المحاورات والمقالات، ولا يشمل الكتابه من غير نطق؛ فإنه لا يعدّ تسمية ولا تكنية، لا عرفاً ولا لغة، ولذا أتىٰ به بعض العلماء في بعض المصنفات في أُصول الاعتقادات، للتعيين والتعليم.

---

(١) انظر: «بحار الأنوار» ج٩٩، ص٢٤٩. (٢) «مصباح المتهجد» ص٣٦٢، ٣٦٤.

(٣) «مصباح المتهجد» ص٤٦٥، دعاء الساعة الثانية عشرة.

(٤) «عيون أخبار الرضا» ج١، ص٤٠، ح١؛ «كمال الدين» ص٣٠٥، ح١.

(٥) «الكافي» ج١، ص٥٢٨، باب ما جاء في الاثني عشر، ح٣.

(٦) «أمالي الشيخ الصدوق» ص٥١٠.

(٧) «شرعة التسمية» ص٧٢ – ٨٧، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

ومن ذلك الباب ما في النسخ المصححة المعوّل عليها من الدروس[١] للشهيد، في كتاب المزار من ذكر الكنية فقط، دون الاسم، ولكن الأولىٰ، بل الأحوط، بل المحكوم عليه بالوجوب ـ وعلىٰ ضده بالتحريم ـ كِتبة الاسم بحروف مقطّعة متفاصلة، محافظة علىٰ حق العمل بما جرت به نصوص حملة الوحي وحفظة الدين، ومراعاة للسنّة المسلوكة في عصور العلماء السابقين، ومتابعة للتعليم المعهود في اللوح السماوي»[٢].

أقول: قد عرفت صراحة الروايات المتكاثرة بالتسمية، وكذا رواية جابر، حتىٰ في اللوح ذكر موصولاً ومفصولاً، حتىٰ في الكافي، وورد في بعض الأدعية غير ما مرّ. وعدم وروده في أكثر الأدعية لأنها كثيرة الدوران والاشتهار عند الخواص والعوام، وكثيراً ما تقرأ في المحافل، فقد يحصل من ذلك شيوع، بخلاف ما إذا ذكر بلفظ: «الخلف» و «المهدي»، فأكثر العامة لا ينكر، بل يقرّ بظهوره، وإن خالفنا في صفاته وبقائه.

علىٰ أنه قد يؤول الأمر إلىٰ المنع من ذكره مطلقاً، وكذا آباؤه عليهم السلام، فيحرم الذكر حينئذ، ولهذا ترىٰ في الروايات المنقولة عنهم تارة: سألته، وتارة: [القائم][٣]، وتارة: العبد الصالح، وأمثال ذلك، وتارة ينكر السائل سؤاله، وكله ظاهر للمتتبع.

علىٰ أنّ عدم ذكره في كل الأدعية أعمّ من الدلالة علىٰ التحريم، بل لا يدل عليه بوجه.

وحينئذ يظهر الوجه في عدم ذكر الصدوق له في بيانه لمذهب الإمامية، علىٰ أنه ذكره في الاعتقادات، وعرفت بيان معتقده، وعدم منافاة كلامه الذي استند إليه السيد في الدلالة علىٰ المنع مطلقاً.

وقد عرفت [أن] الذي أتىٰ به كلُّ العلماء، ومن لم يأت شاذ، في أُصول العقائد وغيرها.

ثمّ وإذا كان محرّماً إظهاره مطلقاً، لا يجوز لأجل التعيين والتعليم، وإلّا جاز علىٰ وجه وحال، فلا يصحّ العمل بعموم ما استدل به مطلقاً من النص.

والحاصل أنّك قد عرفت وروده موصولاً، وأن الوارد منه مفصولاً يصدق عليه الذكر

---

(١) «الدروس الشرعية» ج٢، ص١٦ وفيه: «الثاني عشر: الإمام المهدي الحجّة، صاحب الزمان، أبو القاسم، محمد بن الإمام أبي محمد الحسن العسكري عجّل الله فرجه». وقد عدّ المؤلفُ سابقاً في جملة المصرّحين بالاسم الشهيدَ الأول في مزار الدروس.

(٢) «شرعة التسمية» ص٩٠ - ٩١، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) في الأصل: «القاسم».

والتلفظ به، فمن [يهجو][1] لفظ الاسم يصدق عليه ذلك، وأنّ عمل العلماء بخلافه. وكذا في اللوح السماوي.

قال: «ليست التسمية والتكنية المحرّمان إلّا ذكر صراح الاسم وصراح الكنية، فأما قولنا: سميّ الرسول وكنيّه، أو المسمّىٰ باسم رسول والمكنّىٰ بكنيته، فكناية عن الاسم والكنية، وليس من التسمية والتكنية في شيء، وكذا النطق بحروفه موصولة. ولذلك قد شاع ذلك بين الأصحاب، واستمرت عليه طريقتهم، في تعيين الاسم والكنية بالكناية، من دون التسمية والتكنية؛ اقتداءً بالنبي وأوصيائه المعصومين صلىٰ الله عليه وعليهم أجمعين، حيث لم يسمّوا ولم يكنّوا، وكنّوا عن الاسم والكنية كناية»[2].

ثمّ نقل[3] كلام الإربلي في كشف الغمة[4] - وقد مرّ - وردّه بتصريح الروايات به، وتعجّبَ[5] من تعجبه؛ من عدم الفرق بين التسمية والكناية عنها، وكذا الكناية، وأنّ النص معلن بتأقيت المنع حتىٰ يظهر، فالتوقيت للخوف تبع للهوىٰ.

أقول: لقائل أن يقول: إن الورود دليل علىٰ جواز التسمية وإن تقيّدت، لا أنه [دليل] علىٰ الفرق وعدم عدّه تسميةً أصلاً، فتعجبه منه كما ترىٰ.

وليس التقييد بالخوف محض هوىً، بل هو المتعيّن من النصوص، كما عرفت، وسيأتي منه الإشارة لبعضه.

---

(١) في الأصل: «يهجر».

(٢) «شرعة التسمية» ص٩٣، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «شرعة التسمية» ص١٠٢.

(٤) «كشف الغمة» ج٣، ص٣٢٦. وقد مرّت عبارة الإربلي في أوائل هذا الباب، عند ذكر خلاف العلماء في التسمية، بقوله: «من العجب أن الشيخ الطبرسي والشيخ المفيد».. إلىٰ آخره.

(٥) قال السيد الداماد بعد نقله كلام الإربلي: «ونحن نقول: إن هذا ليس بعجيب ولا هو من العجب في شيء أصلاً، بل الشيء العجيب عدم الفرق بين التسمية والتكنية، والكناية عن الاسم والكنية، وحسبان أن الكناية عن الاسم والكنية هي ذكر الاسم والكنية علىٰ التصريح ...
ومن أعجب العجب تأقيت المنع بالوقت الذي كان فيه الخوف عليه والطلب له والسؤال عنه عليه السلام، دون هذه الأوقات، والنصوص الناطقة بالنهي - التي منها ينبعث المنع - منادية بأعلىٰ الصوت، ومعالنة بأجهر القول: إنّ الناس محرّم عليهم ذكر الاسم والكنية إلىٰ أن يظهر عليه السلام بشخصه ... فرفع هذا التحريم عنهم في هذه الأوقات تشريع آخر بمجرد الأهواء والآراء»، «شرعة التسمية» ص١٠٢ - ١٠٣.

وعرفت عدم منافاة النص الحاكم بتأقيت المنع حتىٰ يظهر إلىٰ الجواز قبلُ مع زوال المانع ؛ لأن ذلك لغاية في الجملة، وبعدها جائز حتىٰ في جميع المحافل والمجامع؛ لرفع حجاب التقية ، بل ذكره الله لأنه وليه.

قال: «ثمّ ما معنىٰ الخوف عليه في صدر زمن الغيبة، وهو زمن الطلب له والسؤال عنه، دون هذا الزمان ؟ أكان مكانه معلوماً للطالبين ؟ وكان لهم أن يظفروا بـه زمـن غـيبته إذا أرادوه، وأن يبصروه بأبصارهم إذا قصدوه؟ وما الفرق في عدم الظفر به بين زمن الغـيبة الصغرىٰ والكبرىٰ ؟ وما معنىٰ ارتفاع هذا الخـوف بـمجرد تـحريم ذكـر صـريح الاسـم والكنية، مع جواز ذكر القائم والحجّة وأمثاله؟

ثمّ مـا حـقيقة ذلك الخـوف وتـلك التـقية مـن قـبل ولادتـه بـدهور، حـتىٰ إنّ آبـاءه الطاهرين عليهم السلام من قبلُ واحداً قبل واحد يـنهون عـن تـسميته وتكـنيته بـالتصريح، وهـم يعبّرون عن اسمه وكنيته بالكناية، وهكذا إلىٰ جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وحتىٰ إنّ الله ينزل علىٰ رسوله لوحاً مكتوباً فيه اسمه مقطّع الحروف دون أسماء آبائه؟»[١].

أقول: معناه ظاهر، فإن الطـلب أولاً كـان شـديداً، حـتىٰ قسّـم المـيراث وبـقي أهـله يجولون، وكلّ من ذكره أُخذ به، ووضعت حرّاس علىٰ البيت ورصد، ووقع ما وقـع مـن جعفر الكذّاب، كما تواتر نقله[٢]، مما لا يخفىٰ علىٰ أُولي الألباب. ولا كذلك بعد تمادي الزمان ووقوع الغيبة الكبرىٰ ؛ فإن الخوف حينئذ من وقوع سبٍّ به أو أذىً لذاكره في بعض المواضع دون بعض، فإن العامة تتألم من ذكره عليه السلام، زيادة علىٰ ذكر آبائه الكرام؛ لما سمعوا أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهم أهل الجور والطغيان.

وأما وجه عدم ارتفاع الخوف بذكر اسمه الخاص دون غيره، فوجهه ظاهر مما مرّ؛ لأن غيره كالعامّ، وأكثرهم لا يتبادر منه إلىٰ أنه محمد بن الحسن المولود، لزعمهم أنه لا ولد له، بل «سيظهر المهدي» وما ماثله لا ينكره أكثرهم. وظهور الاستدفاع والتـدرع بـدرع التقية ـ من الانتقال من اسم لآخر في أسماء آبـائه الكـرام ـ ظـاهر مـن النـصوص لأُولي الأفهام.

---

(١) «شرعة التسمية» ص١٠٣، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «الكافي» ج١، ص٥٠٤، ح١؛ «كمال الدين» ص٤٢؛ «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج١١/٢، ص٣٢٣ - ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٣٩.

وأيضاً، له في الغيبة الصغرىٰ سفراء، وقد يظهر، وبعدها انقطعوا لمّا خرج للسفير الأخير ماخرج[١]، وانقطعت الملاقاة الظاهرة، وبقيت الغيبة، [وفيها][٢] يؤخذ الحكم منه عليه السلام.

فنقول: في مبدأ الأمر لا فرق بين ذكره بأي اسم في المحافل والمجامع، وخفَّ الأمر بعدُ لخَفّ الطلب ويأسهم من الظفر، وأبىٰ الله ذلك.

ثمّ تقدّم الإخبار بذلك قبل ظهوره غير ضائر، بل لابد منه؛ لتحققه، كسائر النصوص في مثل هذه المسائل، وليربط علىٰ قلوب الشيعة. وكم مسألة أخبروا ببعض الصحابة بها بحكم التقية؛ ليعملوا بها في موردها إذا حلّت بهم.

وقد سمعت تصريح اللوح الإلٰهي واللسان النبوي باسمه، في المعراج وبعده، قبل ولادته.

قال رحمه الله : «ثمّ إنّ أصل غيبته من أسرار الله المطوية علتها عن عباده، فما خطبكم في هذا الحكم من أحكامها، وهذا الفرع من فروعها، وما لكم تخوضون فيما نهاكم الله عنه ورسوله وأوصياء رسوله عن الخوض فيه والفحص عن علته، وأنتم مؤمنون؟»[٣].

أقول: ستسمع من أبواب الغيبة تصريح الروايات ببعض أسبابها وحكمها، وإن أراد الإطلاع عليها كما هي من كل وجه فلا، ولا يضر، كسائر المسائل، ولا نصّ دال علىٰ المنع عن السؤال عن علة الغيبة، كيف وهم عليهم السلام قد بيّنوها، وعرّفوا أيضاً من النص علة عدم التسمية وأنها الخوف، كما مرّ وسيأتي، فمتىٰ زال بالنسبة إلىٰ كلٍّ جرت وجاز حكمها.

علىٰ أنّ كون التسمية من فروع الغيبة محل بحث بعدُ، فليس الخوض فيها خوضاً فيما نهىٰ الله عنه، بل بيان لما أمر الله ورسوله، وعرّف عباده من لحن خطابه.

قال: «ربّ غير متثبت في المعرفة يصادف ما رواه الكليني عن أبي الحسن الماضي، في سجدة الشكر، قال فيها: (ومحمداً نبيي، وعلياً، وفلاناً وفلاناً ـ إلىٰ آخرهم ـ ائمتي، بهم

---

(١) اشارة إلىٰ التوقيع الشريف الذي أخرجه السفيرُ الرابع ـ الشيخ علي بن محمد السَّمُريّ ـ إلىٰ الناس قبل وفاته بأيام، ونسخة هذا التوقيع أوردها الشيخ الصدوق في «كمال الدين» ص٥١٦، ح٤٤؛ والشيخ الطوسي في «الغيبة» ص٣٩٥، ح٣٦٥.

(٢) في الأصل: «ومنها».

(٣) «شرعة التسمية» ص١٠٣، صححناه علىٰ المصدر.

أتولىٰ)... الحديث[1]، فيتوهم من هذا الإجمال، ذكر القائم باسمه.

فإذا اعترىٰ إنساناً ما هذا الوهم فليتثبت، وليشعر أنّ معناه ذكرهم عليهم السلام علىٰ الطريقة المطّردة في سائر الأدعية، والسنّة المستمرة في سائر الأحاديث. ألم يتفرّغ هذا المتوهم لأن يتتبع الأحاديث، ولم يقع له أن يتصفح الكتب، كالفقيه[2]، ومصباح المتهجد[3]، ومنهاج الصلاح للعلاّمة، فقد ذكروا تفصيل هذا الإجمال، وفيها ذكر الحجّة بن الحسن، والخلف الصالح، والحجّة صاحب الزمان»[4].

أقول: قد مرّ لك الوجه في عدم الإعلان باسمه عليه السلام في كثير من الأدعية، وأنها في الدلالة علىٰ ما نقول أقرب، وليس الدليل هذا، بل سمعته، وعسىٰ أن تأتيك زيادة.

قال: «شكٌّ وإماطةٌ: لعلك تقول: بعض نصوص الكافي[5] دال علىٰ أنّ المنع من التسمية للخوف والتقية».

ثمّ ذكر أول روايات باب: في تسميته من رآه، والرواية الثانية من هذا الباب.

ثمّ أجاب عنه: «أما حديث التوقيع فليس منطوقه من التعرض لتحريم التسمية أو إباحتها في شيء، بل مدلوله النهي عن دلالتهم علىٰ الاسم وتعريفهم إياه بأي نحو كان، ولو بالكناية أو الكتابة؛ لأنهم لم يكونوا بحيث لو أحاطوا بالاسم علماً أكنّوه في صدورهم، علىٰ ماهو سبيل المذهب حال الغيبة، بل إنهم كانوا إذا عرفوه أعلنوه وأذاعوه، وهو غير سائغ مدة الغيبة.

وليس المراد بالمكان الذي كان أبو عبد الله الصالحي يُسأل أن يَسأل عنه، فخرج الجواب: (إنهم إن عرفوه دلّوا عليه)[6] هو مكانه عليه السلام الذي يكون عليه السلام فيه زمن غيبته؛ لأنه حين الغيبة ليس في مكان يظفر به القاصدون، ويهتدي إليه الطالبون، ويخاف عليه هناك من شرّ الصادر والوارد، ولم يكن الصالحي ممن يخفىٰ عليه ذلك، بل إنما المراد به المكان

---

(١) «الكافي ج٣، ص٣٢٥، باب السجود والتسبيح والدعاء. ح١٧.

(٢) «الفقيه» ج١، ص٢١٧، ح٩٦٦. (٣) «مصباح المتهجد» ص٢١٣.

(٤) «شرعة التسمية» ١٠٤ - ١٠٨، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «الكافي» ج١، ص٣٢٩، باب في تسمية من رآه عليه السلام، ح١؛ ص٣٣٣، باب في النهي عن الاسم، ح٢.

(٦) «الكافي» ج١، ص٣٣٣، باب في النهي عن الاسم، ح٢، نقل معناه، ولفظه: (إن دللتهم علىٰ الاسم أذاعوه، وإن عرفوا المكان دلّوا عليه).

الذي كان قد وقعت فيه الغيبة، ويختلف إليه السفراء، وتخرج منه التوقيعات.

وهناك بقية من عيال الماضي أبي محمد عليه السلام وأصحابه، وخرج الجواب بنهي أبي عبد الله بن صالح عن إيقاف السائلين علىٰ المكان وإعلامهم بالأمر، لأنهم لم يكونوا إذا علموا ذلك أخفوه في صدورهم، بل يفشونه، فيبلغ الخبر إلىٰ السلطان فيبالغ في التجسس، وتستضر بذلك بقية عيال الماضي.

فهذا النهي عن الاسم والمكان متعلّق بالاستعلام والإعلام مطلقاً، سواء كان بالتصريح أو بالتعريض، وسواء كان بالتنطق أو بالكِتْبة، بالنسبة إلىٰ طائفة بخصوصها ووقت بخصوصه، وذلك أمر آخر وراء ما نطقت به الروايات، من ذكره عليه السلام بالنسب واللقب، أو بالكناية عن الاسم والكنية، لا بالتصريح بصريح الاسم والكنية، إلىٰ زمن الظهور وأوان الفرج»[1].

أقول: قد انصرح الوجه في هذه الأحاديث، وما ارتكبه فيها غير ظاهر، ومعه لا ينفع، فيقول: مدلول الأول النّهي عن دلالتهم علىٰ الاسم، وتعريفهم إياه بأي نحو، فإنهم لو أُخبروا به لم يقتصروا به علىٰ الخواص وموضع الأمر، بل يذيعوه فيقع الضرر، فإن الثابت عند السلطان أنه لا ولد لأبي محمد عليه السلام، وهذا أهله يجولون، فلو أُخبروا به ذاعوه ولم يقتصروا به، فيقع ما يقع.

وهذا صريح في الدلالة علىٰ تحريم التسمية لما ذكر، لا أنّ المراد من ستره في قلوبهم وعدم النطق به ولو في الكتابة أو الكناية، فليس سبيل المذهب ذلك، بل علىٰ خلافه، كما مرّ.

وحينئذ فالمراد بالاسم ما يعم اللقب والكنية مطلقاً؛ لأنه مطلقاً كان محل الخوف، وإن اختلف الزمان بعدُ بالنسبة لذلك، والمقابل للإذاعة ذكره في أماكن خاصة، لا في الصدر ليس إلّا.

والمكان المراد به هو مكان السفراء في الغيبة الصغرىٰ، فإذا عمّ تعريفه عمّ البلاء، فأُخذت أهله وخواصه، وغير خفي أنّ خواصه تعرف هذا المكان، وينالون منه عليه السلام الجواب بواسطة السفراء، وكثير منهم يشاهده مدة الغيبة الصغرىٰ.

---

(١) «شرعة التسمية» ص١١٨ – ١٢١، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

ولم يذهب ذاهب إلىٰ أنّ المراد بإخفاء المكان والنهي عن الدلالة عليه التحريم مطلقاً، بل حدّه في الصدور ليس إلّا، بل علىٰ نحو ما قلت. فمتىٰ خيف من السائل رجوع الأمر إلىٰ ذلك، سواء كان مخالفاً أو مؤالفاً، لم يعيّن له، ويقال له: لا أعلم، أو: لا مكان له، وأمثال ذلك، فكذا السبيل في الاسم، حرفاً بحرف.

فمدة تعيين مكانه للخواص ـ وهو زمن الغيبة الصغرىٰ ـ لا يُخبر به السائل إن خيف منه الإذاعة، فيقع بأهلها العطب، ويشتد الطلب، وكذا سائر الأزمان وإن كان زمنه زيادة، فإنه بعد الغيبة الصغرىٰ لا مكان له مخصوص يطلب، بل حيث ذُكر وُجد.

فقد اتضح أنّ النهي متعلق بالاسم؛ حذراً من الوقوع في ذلك، لا مطلقاً، فقد نُهي عن الإعلام به واستعلامه بأي اسم كان، ولكن لا مطلقاً، بل لأنهم أهل إذاعة لا تستّر، كما هو المطلوب فيما تجري فيه التقية، من لزومها إذا حضر سببها، وعدمها إذا عدم. أمّا لو كانوا أهل تستّر وخوف فلا يخبِرون بإخبارهم، كما دلّوا عليه وأخبروا به في تلك الروايات المتكاثرة، أمّا دلالتها علىٰ ماذكره السيد فلا، بل فيه إهمال لقيود النص وباقي النصوص وماهو الأظهر منه، بل المتعيّن. والله المعين.

قال: «وأمّا قول أبي عمر العَمْري ﷺ فصريح منطوقه ردع أصحابه عن ذكر القائم عليه السلام باسمه النَسَبي الوارد ذكره في الأخبار ما دامت الغيبة، وهو ابن الحسن بن علي عليهما السلام، أو ما يجري مجراه، سواء كان بالتصريح أو بالكناية، باللفظ أو بالكتابة، وعدّ ذلك تسمية، علىٰ وفق ما في دعائهم في مهج الدعوات[1]، وقد نقلناه، وقال: (إنّ الأمر عند السلطان أن أبا محمد مضىٰ ولم يخلّف ولداً)[2]... إلىٰ آخره»[3].

أقول: مافيه ظاهر مما مرّ، فلا حاجة إلىٰ التطويل.

قال: «علىٰ أنك إن كنت قد تحققت علم الأُصول كان لك سبيل آخر مستبين من القول، وهو أنّ اختصاص علة الحكم ببعض أفراد الموضوع ليس مما يوجب تخصيص الحكم بذلك الفرد، بل إن تعميم الحكم المعلل بعلة بالنسبة إلىٰ أفراد الموضوع علىٰ العموم

---

(١) «مهج الدعوات» ص٣٩٢، دعاء السارای، وفيه: (والتسميةِ بالسبطين الحسن والحسين.... وبابن الحسن المبارك)... إلىٰ آخره. وقد نقله السيد الداماد في «شرعة التسمية» ص١١٦.

(٢) «الكافي» ج١، ص٣٣٠، باب في تسمية من رآه عليه السلام، ح١، بتفاوت يسير.

(٣) «شرعة التسمية» ص١٢١، بتفاوت يسير، صححناه الیٰ المصدر.

يكفي فيه وجود العلة في بعض الأفراد، ولا يتخصص الحكم بذلك. اللهم إلّا أن يرد نصّ آخر يخصص الحكم بذلك الفرد، الموجودة فيه العلة بخصوصه لا غير، وما لم يرد نصّ كذلك مخصص يحمل ذلك الحكم علىٰ الجنس أو النوع بالعموم.

وذلك كما حكم التحريم علىٰ الخمر، فإنه معلل بالإسكار، والإسكار إنّما هو في قدر يعتد به، والحكم يعمّ جميع الأفراد والأقدار، ويستوعب القليل والكثير، والخالص والممزوج بشيء، مطلقاً.

وأيضاً، الفرد لا يعارض الطبيعة، بل يحققها، والمقيّد لا يعارض المطلق، بل يحققه. وربما يكون الحكم المستوعب للطبيعة في بعض الأفراد بخصوصه آكد، وهذا لا يرفع استيعاب الحكم عن الطبيعة، إلّا أن يكون هناك ما يعارض استيعاب الحكم ويدافعه؛ لتعارض المدارك وتدافعها، فيخصص الحكم بذلك الفرد الخاص بخصوصه، توفيقاً بين المدارك وجمعاً بين الأدلة، أمّا إذا لم توجد أدلة متدافعة فلا يسوغ لأحد تخصيص الحكم أصلاً.

مثلاً إذا قال الشارع: لا تصلّ في مكان مغصوب، ثمّ قال: لا تصلّ في مكان غصب من يتيم. فهذا القول الأخير لا يخصص الحكم بالمكان المغصوب من اليتيم؛ إذ لا معارضة، بل يكون حكم النهي فيه آكد»[1].

أقول: مما استقر في الأصول وانتهىٰ إليه التحقيق، ومقتضىٰ الدليل من الأخبار وصحيح الاعتبار ـ من جهة رعاية مقتضىٰ العليّة والسببية، وصون الكلام الإلهي والمحمدي عن اللغو والزيادة، لا لفائدة في الحكم معتبرة، عليها يدور الحكم ويحققها بحسب المنطوق في تحققه، وأنه من ذاتياته [دايراته]، إلىٰ غير هذه الأدلة، والبسط موكول لعلم الأصول وسائر مصنفاتنا، وفي الجزء الثاني كفاية فراجعه ـ هو أنّ منصوص الحكم حجة، فمتىٰ اختصت علة الحكم ببعض أفراد الماهية ـ الموضوع ـ فلابد من تخصيص الموضوع بهذا البعض، وإلّا فلا تخصص، وأوجب ورود ما سبق، وحسن الاستيضاح يأباه.

ولا يكفي عمومَ الموضوع وجودُ العلة في بعض، وإلّا كانت أخص، ووجد المسبَّب بدون السبب، والمعلول بدون علة.

لكن نقول: لا تكون العلة علة للحكم في بعض تلك الأفراد خاصة إلّا بسبب يحصل

---

(١) «شرعة التسمية» ص١٢٢ - ١٢٣، باختلاف بعض الألفاظ، صححناه علىٰ المصدر.

منه الحصر؛ إمّا باستقراء ونفي الحكم عن غير تلك العلة التي في البعض، أو مع ظهور نص، وإلّا فلا علة. والدليل هنا قائم علىٰ الجواز نصاً واعتباراً، وقد مرّ. فوجب اختصاص الحكم بالخوف والتقية، فمتىٰ زالت زال المنع.

علىٰ أنا نقول: مع عدم ورود النص أيضاً، ولكن بعد كمال التتبع، فإنه يسقط اعتباره، إذ الأصل براءة الذمة منه، ولا تكليف إلّا بعد البيان، و (**الناس في سعة ما لم يعلموا**)[1]، وغير ذلك.

وغير خفي أن مع ظهور نص بالتخصيص لا مناص عنه ولا يُعدَل، فكان المناسب أن يعبر بالجزم لا بـ«اللهم».

أمّا مثاله الذي مثّل به، وهو الخمر، فالإسكار يحصل في كل قدر منه وإن اختلفت بالنسبة إلىٰ الشارب، فليس العلة أخص.

أو نقول: ذلك مع عدم قيام الدليل علىٰ إرادة العموم، وذلك يصلح كون العلة في ذلك الفرد هي مدار الحكم، وهو هنا قائم، وهو أنّ كلّ ما أسكر كثيره فقليله حرام.

أو نقول: العلة حينئذ هي أو غيرها ؟ فالعلة أحدهما فلا نقض، أو أنّ كل فرد فرض في الخمر فهو مسكر في الجملة، وهو كاف.

وأيضاً، قوله: «الفرد لا يعارض الطبيعة» ليس علىٰ إطلاقه، بل قد وقد، وإلّا لم يجرِ الإخراج بالتخصيص والتقييد، كما في: أعتق رقبة، أعتق رقبة مؤمنة، فغيرها غير كافية ومخرجة من العهدة.

والحكم النوعي ذو الأفراد؛ تارة يكون في بعضها آكد ودالاً علىٰ زيادة الاعتناء، مثل: أكرم علماء البلد، أكرم زيداً العالم، وأمثاله، وقد يكون مقصوراً عليه لا يتجاوزه، مثل: (**خلق الله الماء طهوراً لا ينجسه شيء**)[2]، وقوله ﷺ: (**إذا كان الماء قدر كرٍّ لم ينجسه شيء**)[3]، وكذا المثال السابق.

---

(١) «غوالي اللآلئ» ج ١، ص ٤٢٤، ح ١٠٩؛ وفي «الكافي» ج ٦، ص ٢٩٧، باب النوادر من كتاب الأطعمة، ح ٢، بلفظ: (هم في سعة حتىٰ يعلموا).

(٢) «غوالي اللآلئ» ج ٢، ص ١٥، ح ٢٩، بتفاوت يسير؛ «مستدرك الوسائل» ج ١، ص ٢٠٢، باب ١٣ من أبواب الماء المطلق، ح ٤.

(٣) «الكافي» ج ٣، ص ٢، باب الماء الذي لا ينجسه شيء، ح ٢،١.

وحينئذ فحكم الفرد يعارض الطبيعة، وهو ظاهر، فإن تقاوما خُصص أو قُيِّد به، فاندفع التناقض، وإلّا فلا.

فدلّ عموم النص أو إطلاقه علىٰ المنع من التسمية حتىٰ يظهر القائم، ودل نصّ آخر علىٰ تقيّد المنع بغيبته بالخوف. ومعلوم موافاة ذلك لذلك الحكم أو رافعاً له، فورد إرادة المطلق أو العام من الخاص أو [المقيّد][1]، وهو قد اشتمل علىٰ قيد مغاير، وإلّا فلا مقيّد ومخصص، فهو كالفصل، بل فصل؛ لتحقق ماهو كالجنس، وهو العام والفرد الغير المبيّن في المطلق. ولمّا كان الدليلان في نفس الأمر واحداً فباقي البيان السابق آتٍ هنا.

وليس ما مثّل به أخيراً ـ وهو المكان المغصوب ـ من قبيل المسألة المبحوث عنها، بل إذا قيل: لا تصلّ في المكان المغصوب، ثمّ قال: لا تصلّ في المكان المغصوب مع عدم رضا المالك، فكما هنا أن لا غصب أصلاً مع الإذن، فكذا هنا لا منع من التسمية بدون الخوف.

والحاصل أنّ مخالفة حكم المقيّد هنا والمطلق ـ أو الخاص والعام ـ ظاهر، وكذا المقاومة، وهي من وجوه مرّت، فوجب العمل بمقتضاه، وأن لا يراد جميع أفراد الماهيّة. وكذا ظاهر كون العلة الخوف والتقية. وكذا الغيبة، لما سيأتي، وهذه فرع من فروعها، وقد مرّ منه، فلا وجه للتوقف في نفي الحكم عما سوىٰ موضوع العلة، وإجراء حكم الأصل في الفرع. ومن الظاهر أنّ الحكم في الكلام إنما يتوجه إلىٰ القيد، كما اقترّ في موضعه.

قال: «ولا يتوهمنّ ذو وهم تعارض الأدلة؛ إذ الأصل جواز التسمية بذكر صريح الاسم علىٰ التصريح كأسماء آبائه، فيسوغ لنا تخصيص النصوص الناطقة بالنهي؛ فإن النص الناطق بالنهي ناقل عن الأصل ورافع لحكمة. والأصل أضعف الأدلة، وليس في قوته أن يعارض نصاً، بل منتهاه تأييد بعض النصوص المتدافعة وترجيحها. وفي مسألتنا هذه نصوص ناصّة علىٰ التحريم عامة الحكم، مؤكدة بتعيين ما يقال في ذكره عليه السلام عوضاً عن صريح الاسم والكنية وبدلاً عنهما، غير معارضة بما يدافعها من الأدلة أصلاً، فلا مساغ للتخصيص، ولا محيص عن الامتثال»[2].

أقول: [الأصل][3] دليلٌ، ودلالته ظاهرة عقلاً ونقلاً، كما بيّن في أصول الفقه، فهو قد

---

(١) في الأصل: «المبين».

(٢) «شرعة التسمية» ص ١٢٣، نقله بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) في الأصل: «النص الاصلي».

يكون مرجحاً، وقد يكون مؤسساً، فكم حديث في الطهارة والميراث وغيرهما لمّا ضعف عن [مقاومة][1] الأصل اطّرح ولم يخرج به، وعمل بمقتضىٰ الأصل، من طهارة أو إباحة أو غيرهما.

وأيضاً النصوص هنا متدافعة، وكذا العمومات والاعتبار، مع المبيحة، مع ظاهر القرآن، ومرّ نقلهما لك، فلا معدل عن العمل بها، ولا محيص عن تخصيصها بها؛ جمعاً بين الدليلين، وهو ظاهر.

قال: «هنالك أخبار جمّة، قضيتها أنّ غيبته عليه السلام من الأسرار المختفية علتها، المستورة حكمتها، كأنا قد أوردنا شيئاً منها، فلنورد الآن طرفاً مستطرفاً»[2] ثمّ أخذ في نقلها من كتب الصدوق وغيره.

أقول: هذا ملخص الرسالة، ومافي كلامه هنا أشرنا لما فيه، بل هو رحمه الله ذكر فيما نقله من النص بعض العلل.

وستسمع من بعض النصوص: (تمييز طينتين)[3]، ومن آخر: حكم الكتاب المنزل، المأمور كل معصوم بفضّه والعمل بمقتضاه. ومن آخر: (لأجل انقضاء بيعة الطاغوت)[4]، ومن آخر: (إنّه يخاف)[5]. وسيأتيك عدم تنافيها.

والحاصل أنّ الذي يقتضيه النظر والجمع بين الروايات هو تخصيص المنع من تسميته في المجامع والمحال الخطرة؛ حذراً من وقوع ضرر من المسمي، أو يُنال منه عليه السلام، وكذا حال آبائه عليهم السلام الكرام، أمّا إذا زال فلا.

ولا تخصيص باسم دون آخر حال الخطر، بل بما يوجبه، وقد عرفت أنه قد يوجبه اسم دون آخر، كما هو السنّة في أسماء آبائه عليهم السلام، لكن لما كان الجاري أولاً عدم ذكره؛ من شدة الطلب، والعامة تنكر وجود المعصوم وتنبو أسماعهم من سماع إثباته، خصوصاً الثاني عشر المطهّر للأرض من الكفر والشرك، كان الشائع علىٰ ألسنة الفرقة المحقّة ذكره

---

(١) في الأصل: «مقاومته». صححناه علىٰ المصدر.
(٢) «شرعة التسمية» ص١٢٣.
(٣) انظر باب التمحيص والامتحان، ح٢، ٣، ٦، بالمعنىٰ.
(٤) انظر باب: في الغيبة، ح٢٧، ونقل المؤلف مثله في نفس الباب عن «كمال الدين» ص٤٨٠، ح٢، ٣، ٤.
(٥) انظر باب: في الغيبة، ح٩، ١٨، ونقله المؤلف في نفس الباب عن «كمال الدين» ص٤٨١، ح٩، بتفاوت يسير.

باللقب أو اسم غيره، وإن خفّ الحال بالنسبة إلىٰ ما مضىٰ، فتدبّر.

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: «عن داود بن القاسم الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام يقول: الخَلَف من بعدي الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟ فقلت: ولِمَ، جعلني الله فداك؟ قال: إنّكم لا ترون شخصه، ولا يحلُّ لكم ذكره باسمه، فقلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجّة من آل محمد صلوات الله عليه وسلامه».

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: «عن أبي عبد الله الصالحيّ، قال: سألني أصحابنا بعد مضيّ أبي محمد عليه السلام أن أسأل عن الاسم والمكان، فخرج الجواب: إن دللتهم علىٰ الاسم أذاعوه، وإن عرفوا المكان دلّوا عليه».

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: «عن الريّان بن الصلت، قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول - [وقد][1] سئل عن القائم عليه السلام - فقال: لا يُرىٰ جسمه، ولا يسمّىٰ اسمه».

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: «عن ابن رئاب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صاحب هذا الأمر لا يسمّيه باسمه إلّا كافر».

أقول: أمّا الكلام علىٰ الاسم من جهة جواز التسمية به أو التحريم، وأنّ الاسم ما هو، فقد عرفته مبيّناً. ثمّ وعلىٰ تقدير التحريم، فلو تركه تارك، وحكم بخلاف مقتضىٰ التقية،

---

(١) ليست في المصدر.

فقد فعل محرماً ولم يخرج عن الإيمان، وقد يسمىٰ فاعل المعصية كافراً، مع أنّ الكفر علىٰ أقسام، إلّا أن توجب التسمية قتل أحد من أهل البيت عليهم السلام - إمام - أو التابعين، فإنّ ذلك كفر ومخرج عن الإيمان.

والمراد بقوله عليه السلام: (لا يرىٰ جسمه) زمن الغيبة الكبرىٰ. والمراد بالرؤية المنفية هي مع المعرفة، لا مطلق الرؤية؛ فقد ورد: (ترونه ولا تعرفونه)[1].

أمّا في الغيبة الصغرىٰ فقد سمعت تعداد جماعة ممن رآه وعرفه، وجماعة أيضاً قد رأوه في الغيبة الكبرىٰ، وتحققوه بعدها.

ويومئ إلىٰ ما قلناه - من [لهم][2] تقييد المنع بالتقية - قوله عليه السلام في الحديث الأول: (قولوا: الحجّة من آل محمد)، فعامة العامة لا ينكرون هذا، إلّا الشذّاذ منهم، وهم القائلون ببقاء أبي محمد وعدم موته، علىٰ أنه لا ينكر هذا القول حينئذ أيضاً، وإلّا فالإجماع قائم علىٰ جواز ذكره بغير هذا القول، مثل: بقية الله، وسميّ محمد، وصاحب الزمان، وغير ذلك.

وغاية المنع في تحريم ذكره عليه السلام باسمه ظهوره عليه السلام، فإن حكم التقية لا يرتفع من جميع بقاع الأرض إلّا به، أمّا قبلُ فجارية، وإن اختلفت الأزمان والبقاع في ذلك. وسيأتي التصريح في صحيحة أُخرىٰ فيما بعد مولد الصاحب عليه السلام - في باب: ما جاء في الاثني عشر عليهم السلام - أنّ الصاحب عليه السلام لا يسمّىٰ ولا يكنّىٰ حتىٰ يظهر أمره[3].

وعلىٰ ما بيّناه سقط الاستدلال به علىٰ التحريم مطلقاً حتىٰ يظهر أمره، واندفع التدافع.

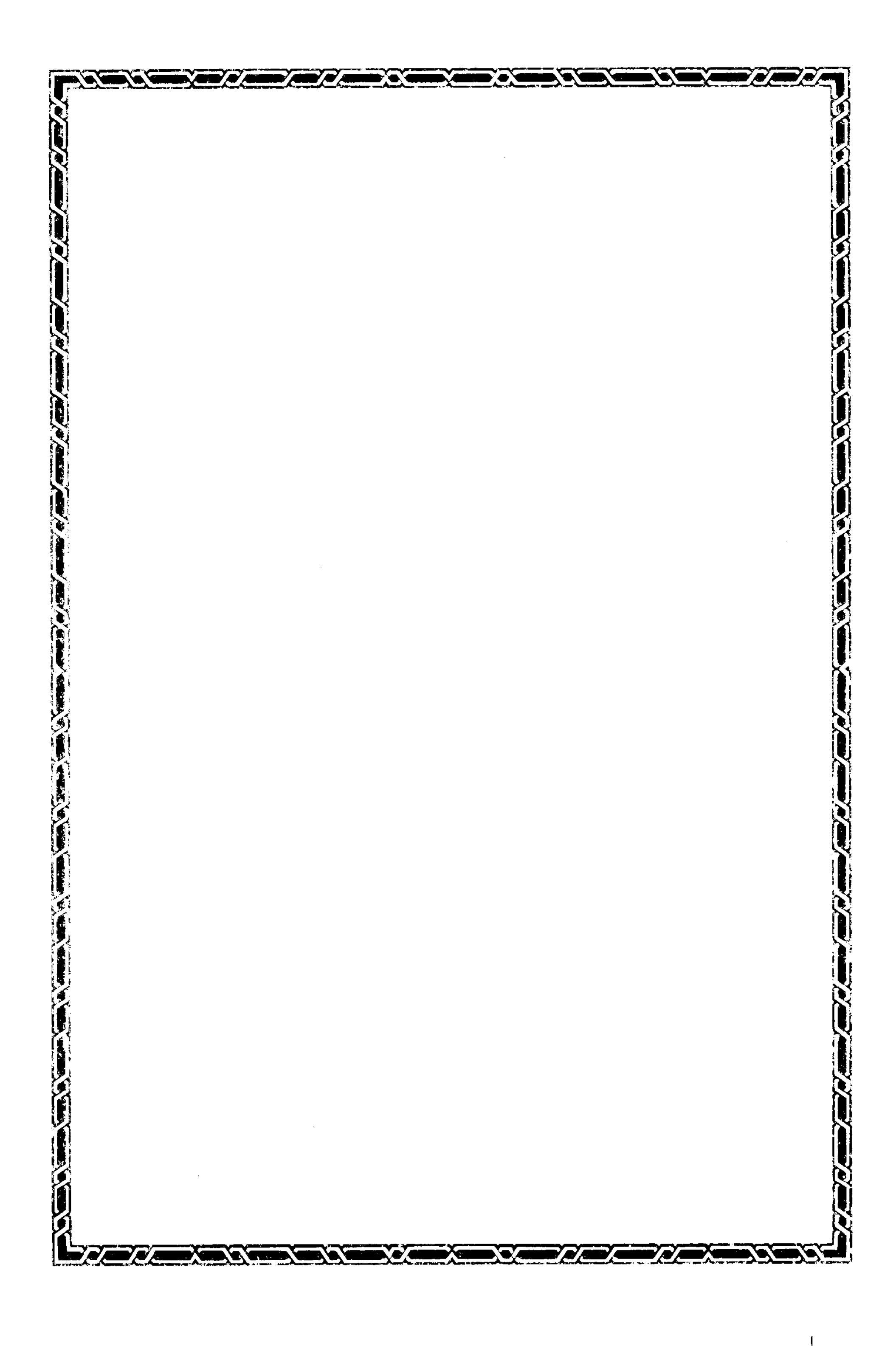
* * *

---

(١) «كمال الدين» ص٣٥١، ح٤٦، ص٤٤٠، ح٨، وفيهما: (يرونه ولا يعرفونه).

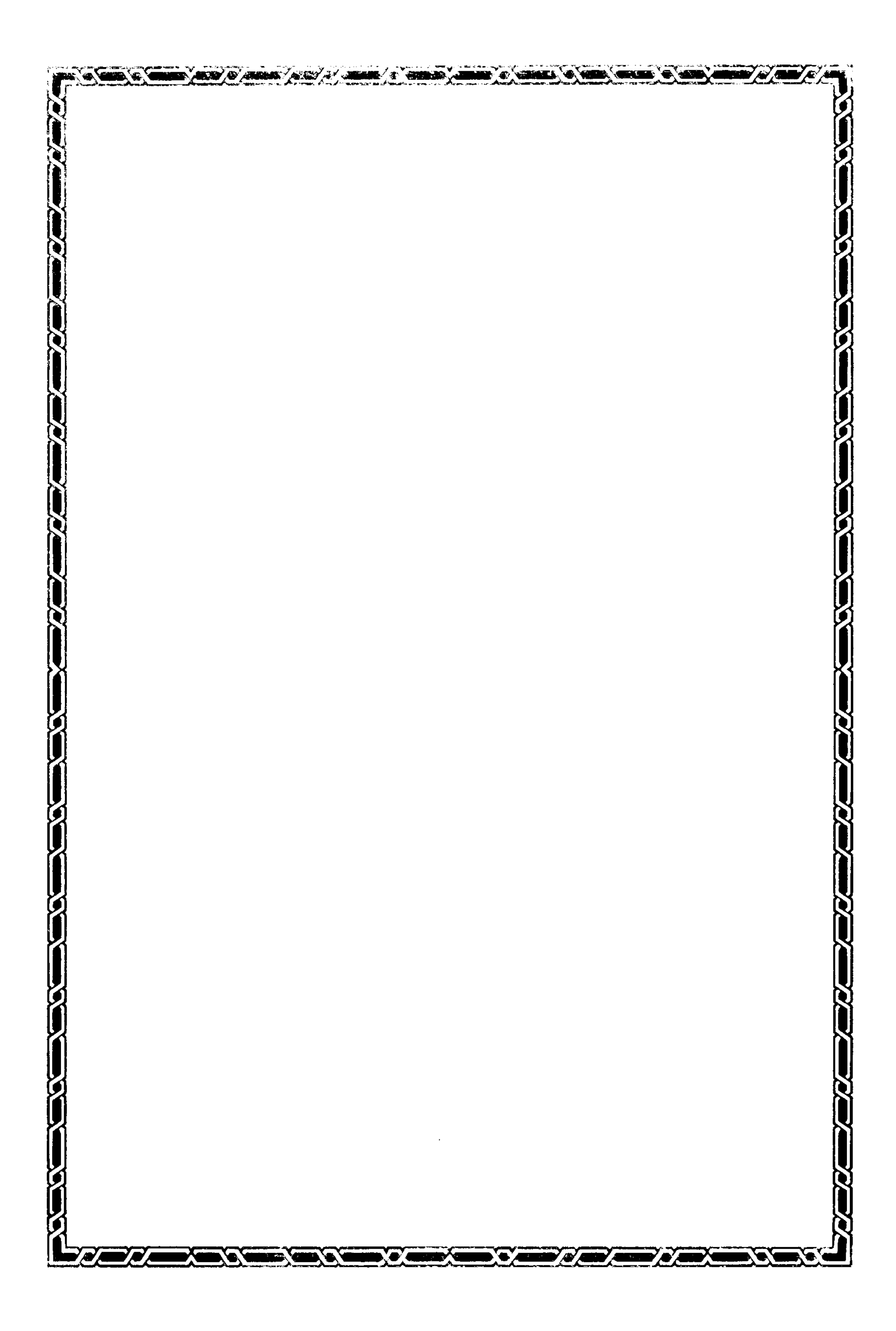
(٢) كذا في الأصل، والظاهر أنها زائدة.

(٣) «الكافي» ج١، ص٥٢٦، ح١، وفيه: (وأشهد علىٰ رجل من ولد الحسن، لا يكنّىٰ ولا يسمّىٰ حتىٰ يظهر أمره).



الباب التاسع والسبعون

نادر في حال الغيبة



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب ثلاثة.

الغرض من هذا الباب بيان فضل زمن الغيبة وانتظار ظهور الدولة علىٰ زمن الظهور، ولكن إذا قيم بحقه ووفّي نصيبه، ولأنه كلّما كانت العبادة أشد وأشق كان الثواب أشد.

ولا شك أنّ معرفة الحكم من الإمام والرد إليه في الأحكام، الواجب ذلك في كل زمان، ومنه هذا، إنما يكون بطريق الرد بحسن النظر في الكتاب والسنّة، وبلطيفة الناظر الربانيّة، ومعلوم أشقيته.

وأيضاً، وقوع الاختبار بدولة الأشرار كلما تأخر زمانها كان أشد، ولهذا لا يظهر الإمام إلّا بعد ظهور الفجار وخفاء الأخيار، علىٰ حين فترة من الأئمة، واعوجاج من الأُمة، إلّا من كمل بنيته، وقويت بصيرته، واستعان بوليّه في حسن بليته، لأن منار الحق والهدىٰ في كل وقت ظاهر لقاصده، والحق متىٰ طُلب وُجد.

ولو علم الله أن أولياءه يداخلهم شك في غيبته، أو ينقطع عنهم سبيل هدايته، ما غيّبه عنهم حساً، ﴿ وَما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوماً بَعْدَ إذْ هَداهُمْ ﴾[1].

---

(١) «التوبة» الآية: ١١٥.

وروىٰ الصدوق في إكمال الدين، بإسناده عن العلاء بن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (من مات منكم علىٰ هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان في فسطاط القائم عليه السلام)[1].

وبإسناده عن عبد الحميد الواسطي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: قلت له: أصلحك الله، لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر، فقال عليه السلام: (يا عبد الحميد، أترىٰ من حبس نفسه علىٰ طاعة الله عزّ وجلّ لا يجعل الله له مخرجاً؟ بلىٰ والله ليجعلن الله له مخرجاً. رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحيىٰ أمرنا).

قال: قلت: فإن متّ قبل أن أدرك القائم؟ قال: (القائل منكم: إن أدركت قائم آل محمد صلى الله عليه وآله نصرته، كالمقارع بين يديه بسيفه، لا بل كالشهيد معه)[2].

وبإسناده عن أبي الحسن عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله)[3].

وبإسناده عن الرضا عليه السلام، قال: (ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَارتقبوا إنّي مَعَكُمْ رَقيبٌ ﴾[4]، ﴿ فَانْتَظِرُوا إِنّي مَعَكُم مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾[5] فعليكم بالصبر، فإنه إنّما يجيء الفرج علىٰ اليأس، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم)[6].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: (المنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه في سبيل الله)[7].

وفي كشف الغمة، عن علي بن الحسين عليه السلام: (من ثبت علىٰ موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأُحد)[8].

وعنه عليه السلام: (طوبىٰ لشيعتنا المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين علىٰ ولايتنا والبراءة من أعدائنا، أُولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، فطوبىٰ لهم، ثمّ طوبىٰ

---

(١) «كمال الدين» ص ٦٤٤، ح ١، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «كمال الدين» ص ٦٤٤، ح ٢، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «كمال الدين» ص ٦٤٤، ح ٣، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «هود» الآية: ٩٣. (٥) «يونس» الآية: ٢٠.

(٦) «كمال الدين» ص ٦٤٥، ح ٥، صححناه علىٰ المصدر.

(٧) «كمال الدين» ص ٦٤٥، ح ٦. (٨) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٣٢٩، بتفاوت يسير.

لهم، هم والله معنا في درجتنا يوم القيامة)[1].

ومعلوم مرتبة الصبر عظيمة، وكلّما اشتد اشتد الأجر، فظاهرٌ شدته ووجوب ملازمته زمن الغيبة، من جهة دولة الباطل ومداراتها وتحمّل ضرها، وانتظار الفرج، والمرابطة لدفع الشبه، ونصرة الدين للقادر عليه.

واشكر نعم الله أيها الموالي، وتحمّل الضرّ، واصبر علىٰ المرّ؛ لتنال الأجر والفوز والنصر، ولا تكونوا ﴿ كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ ﴾ أرض العلوم والحرث، ﴿ بَعْدَ مَوْتِها ﴾ بظهور القائم، ﴿ قَدْ بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2].

الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أقرب ما يكون العباد من الله جلّ ذكره وأرضىٰ ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجّة لله جلّ وعزّ، ولم يظهر لهم، ولم يعلموا مكانه، وهم في ذلك يعلمون أنّه لم تبطل حجة الله جلّ ذكره ولا ميثاقه، فعندها فتوقّعوا الفرج صباحاً ومساءً، فإنّ أشدّ ما يكون غضب الله تعالىٰ علىٰ أعدائه إذا افتقدوا حجّته ولم يظهر لهم، وقد علم أنّ أولياءه لا يرتابون، ولو علم أنّهم يرتابون ما غيّب حجّته عنهم طرفة عين، ولا يكون ذلك إلّا علىٰ رأس شرار الناس﴾.

الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن عمّار الساباطيّ، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّما أفضل، العبادة في السرّ مع الإمام منكم المستتر في دولة الباطل، أو العبادة في ظهور الحقّ ودولته مع الإمام منكم الظاهر؟ فقال: يا عمّار، الصدقة في

---

(١) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٣٣١ عن الكاظم عليه السلام، بتفاوت يسير.

(٢) «الحديد» الآية: ١٦ ـ ١٧.

السرّ والله أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك والله عبادتكم في السرّ مع إمامكم المستتر في دولة الباطل، وتخوّفكم من عدوّكم في دولة الباطل، وحال الهدنة، أفضل ممّن يعبد الله عزّ وجلّ ذكره في ظهور الحقّ مع إمام الحقّ الظاهر في دولة الحقّ، وليست العبادة مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة والأمن في دولة الحقّ.

واعلموا أنّ من صلّىٰ منكم اليوم صلاة فريضة في جماعة، مستتراً بها من عدوّه في وقتها فأتمها، كتب الله له خمسين صلاة فريضة في جماعة، ومن صلّىٰ منكم صلاة فريضة وحده، مستتراً بها من عدوّه، في وقتها فأتمها، كتب الله عزّ وجلّ بها له خمساً وعشرين صلاة فريضة وحدانيّة، ومن صلّىٰ منكم صلاة نافلة لوقتها فأتمها، كتب الله له بها عشر صلوات نوافل، ومن عمل منكم حسنة، كتب الله عزّ وجلّ له بها عشرين حسنة، ويضاعف الله عزّ وجلّ حسنات المؤمن منكم، إذا أحسن أعماله، ودان بالتقيّة علىٰ دينه وإمامه ونفسه، وأمسك من لسانه، أضعافاً مضاعفة، إنّ الله عزّ وجلّ كريم.

قلت: جعلت فداك، قد والله رغّبتني في العمل، وحثثتني عليه، ولكن أُحبُّ أن أعلم كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام الظاهر منكم في دولة الحقّ، ونحن علىٰ دين واحد؟

فقال: إنّكم سبقتموهم إلىٰ الدخول في دين الله عزّ وجلّ، وإلىٰ الصلاة والصوم والحجّ، وإلىٰ كلّ خير وفقه، وإلىٰ عبادة الله عزّ ذكره، سرّاً من عدوّكم، مع إمامكم المستتر، مطيعين له، صابرين معه، منتظرين لدولة الحقّ، خائفين علىٰ إمامكم وأنفسكم من الملوك الظلمة، تنظرون[1] إلىٰ

---

(١) في المصدر: «تنتظرون».

حقّ إمامكم وحقوقكم في أيدي الظلمة، قد منعوكم ذلك، واضطرّوكم إلىٰ حرث الدنيا وطلب المعاش، مع الصبر علىٰ دينكم وعبادتكم، وطاعة إمامكم، والخوف مع عدوّكم، فبذلك ضاعف الله عزَّ وجلَّ لكم الأعمال، فهنيئاً لكم.

قلت: جعلت فداك، فما ترىٰ إذاً أن نكون من أصحاب القائم ويظهر الحقُّ، ونحن اليوم في إمامتك وطاعتك أفضل أعمالاً من أصحاب دولة الحقّ والعدل؟

فقال: سبحان الله! أما تحبّون أن يُظهر الله تبارك وتعالىٰ الحقَّ والعدل في البلاد، ويجمع الله الكلمة، ويؤلّف الله بين قلوب مختلفة، ولا يعصون الله عزَّ وجلَّ في أرضه، وتقام حدوده في خلقه، ويردَّ الله الحقَّ إلىٰ أهله فيظهر، حتّىٰ لا يستخفي بشيء من الحقّ مخافة أحد من الخلق؟

أما والله يا عمّار لا يموت منكم ميّت علىٰ الحالة الّتي أنتم عليها إلّا كان أفضل عند الله من كثير من شهداء بدر وأُحد، فأبشروا».

❑ الحديث رقم «٣»

قوله: «عن أبي إسحاق، قال: حدّثني الثقة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أنّهم سمعوا أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبة له: اللّهمَّ وإنّي لأعلم أنّ العلم لا يأرز كلّه، ولا ينقطع موادُّه، وإنّك لا تخلي أرضك من حجّة لك علىٰ خلقك، ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور، كيلا تبطل حججك، ولا يضلَّ أولياؤك بعد إذ هديتهم، بل أين هم وكم؟ أُولئك الأقلّون عدداً، والأعظمون عند الله جلَّ ذكره قدراً، المتّبعون لقادة الدين: الأئمّة الهادين، الّذين يتأدبون بآدابهم، وينهجون نهجهم، فعند ذلك يهجم بهم العلم علىٰ حقيقة الإيمان، فتستجيب أرواحهم لقادة العلم،

ويستلينون من حديثهم ما استوعر علىٰ غيرهم، ويأنسون بما استوحش منه المكذّبون، [وأباه][1] المسرفون، أولئك أتباع العلماء، صحبوا أهل الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالىٰ وأوليائه، ودانوا بالتقيّة عن دينهم والخوف من عدوّهم، فأرواحهم معلّقة بالمحلّ الأعلىٰ، فعلماؤهم وأتباعهم خرسٌ صمتٌ في دولة الباطل، منتظرون لدولة الحقّ، وسيحقُّ الله الحقّ بكلماته ويمحق الباطل. ها، ها، طوبىٰ لهم علىٰ صبرهم علىٰ دينهم في حال هدنتهم، وياشوقاه إلىٰ رؤيتهم في حال ظهور دولتهم، وسيجمعنا الله وإيّاهم في جنّات عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّيّاتهم».

أقول: ورواها الصدوق[2] أيضاً.

وإنما كانت العباد حال فقدهم إمامهم وحجة الله ـ مع علمهم بأن حججه لم تبطل ـ أقرب، وهو أيضاً أعظم؛ لإيمانهم بالغيب، وزيادة الثبات، وشدة اليقين؛ لأنه لم تقطعهم المشاهدة الحسية، ولم تضلهم الشبه الشيطانية عن الاهتداء بهداه، والتلقي الغيبي منه، وارتباط نفوسهم به، ولهذا لا يرتابون ولا يشكّون، بخلاف من لم يكن كذلك.

وفي الحديث الثاني أجاب الإمام عمّا يشتمل علىٰ نوع من الدليل بقوله: (الصدقة في السرّ أفضل)، فإنه مما لا نزاع فيه. ولا ينافي عموم فضيلة صدقة السرّ استحباب الجهر بها في بعض الموارد، كما هو ظاهر.

والمراد فيه بالإمام الظاهر: أي مع ظهور أمره وانقياد السياسة له، وهو زمان ظهور الإمام الثاني عشر، فما سبق عليه حتىٰ زمن آبائه يصدق الاستتار في الجملة؛ للتقية وظهور الحكم مختلفاً، فيصدق علىٰ جميعها زمن غيبة واستتار، وهو الظاهر من الحديث.

ثمّ لمّا بيّن له الإمام الأفضلية وتضاعف الثواب فيها قال السائل: فلا يجب أن [نكون][3]

---

(١) في الأصل: «وأبىٰ عنه».

(٢) «كمال الدين» ص٣٠٢، ح١٠، ص٣٣٧، ح١٠؛ ص٣٣٩، ح١٦؛ ص٦٤٥، ح٧ وقد روىٰ فيها الحديث الأول والثاني وصدر الثالث من أحاديث هذا الباب، بتفاوت.

(٣) في الأصل: «يكون».

من أهل ولده القائم، ولا [نسألها][١]، فإن هذه أرجح علىٰ جوابك، وتلك مرجوحة ؟

فأجابه الإمام بالاستنكار والتعجب من قوله هذا؛ فإن الأفضلية من هذا الوجه لا تنافي طلب تلك والرغبة فيها، وأنها إذا وقعت كانت راجحة؛ لأن الحق فيها يكون ظاهراً، بحيث لا يعصىٰ الله في أرضه، ويرتفع الحكم الذي فيه اختلاف، وتجتمع الكلمة ـ كما مرّت الإشارة له في شأن ليلة القدر، من الجزء السابق[٢] ـ ويؤالف بين قلوب الأمة، لكمال عقولهم، وحسن أحلامهم، فلا [نفع] فيها، فكيف لا يرغب عاقل في ذلك؟!

اللهم عجّل فرجه ومخرجه، وأحينا في دولته، واقتل بنا أعداءه.

ويقال: أرز العلم ـ بتقديم الراء المهملة، ثمّ الزاء المعجمة ـ إذا اجتمع[٣].

وقد علم من قوله عليه السلام: (أنّ العلم لا يأرز كله، ولا ينقطع موادّه) شدة الحاجة إلىٰ المعصوم، وأنّ وصول البيان منه لأمته لا ينقطع، ومنه يعلم حجية الإجماع وعدم الاستغناء عن الإمام.

وعلم من قوله: (المتّبعون) إلىٰ قوله: (أولئك) كيفية النظر، وأنّ ما يحصل منه باللطيفة الربانية هو العلم، وهو حكم الله، وهو الاجتهاد الذي تعنيه فقهاؤنا، وهو استخراج الحكم الشرعي من الأدلة الشرعية، وتحصيله باللطيفة الربانية، وبذل جهده في ذلك، لا أنه الحكم بالرأي وما يظهر للمجتهد بهواه ـ ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ ﴾[٤] ـ كما هو مراد العامة واللازم لهم وإن لم يصرّحوا بذلك لفظاً جميعاً، وقد سبق بيان ذلك في الجزء الثاني.

وأشار بقوله عليه السلام: (كي لا تبطل حججك، ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهم) إلىٰ استمرار العلم النازل من السماء، والمعصوم الحامل له المبيِّن المسدَّد، فإنه لو ارتفع وانقطع بطلت حجته علىٰ خلقه، بل تعلو حجتهم عليه، وبطلت النبوات، لعدم كفاية العلماء، وأين هم ولا علم ولا مدد منه تعالىٰ ولا حامل ولا أثر؟! وكذا الكتاب والسنّة، علىٰ أن جميعها غير كافٍ ودافع، كما بيّناه في غير موضع من الأجزاء السابقة.

---

(١) في الأصل: «تسئلها». (٢) «هدي العقول» ج٨، الباب الأول، شرح ح١.

(٣) انظر: «لسان العرب» ج١، ص١١٥، مادة «أرز».

(٤) «القصص» الآية: ٥٠.

ويقال: هجم به الأمر، إذا وصل له من حيث لا يشعر[١].

و (هاه)*كلمة توجّع، والهاء الأُولىٰ مبدلة من همزة (آه)[٢].

ومضمون هذا الحديث متواتر، ومعناه ظاهر، بعد الإحاطة بما سبق، فلا حاجة إلىٰ التطويل.

* * *

(١) انظر: «لسان العرب» ج١٥، ص٤٠: وفيه: «هَجَم علىٰ القوم، يَهْجمُ هُجوماً، انتهىٰ إليهم بغتةً ... واستعاره عليٌّ كرّم الله وجهه للعلم فقال: (هجم بهم العلم) ...».

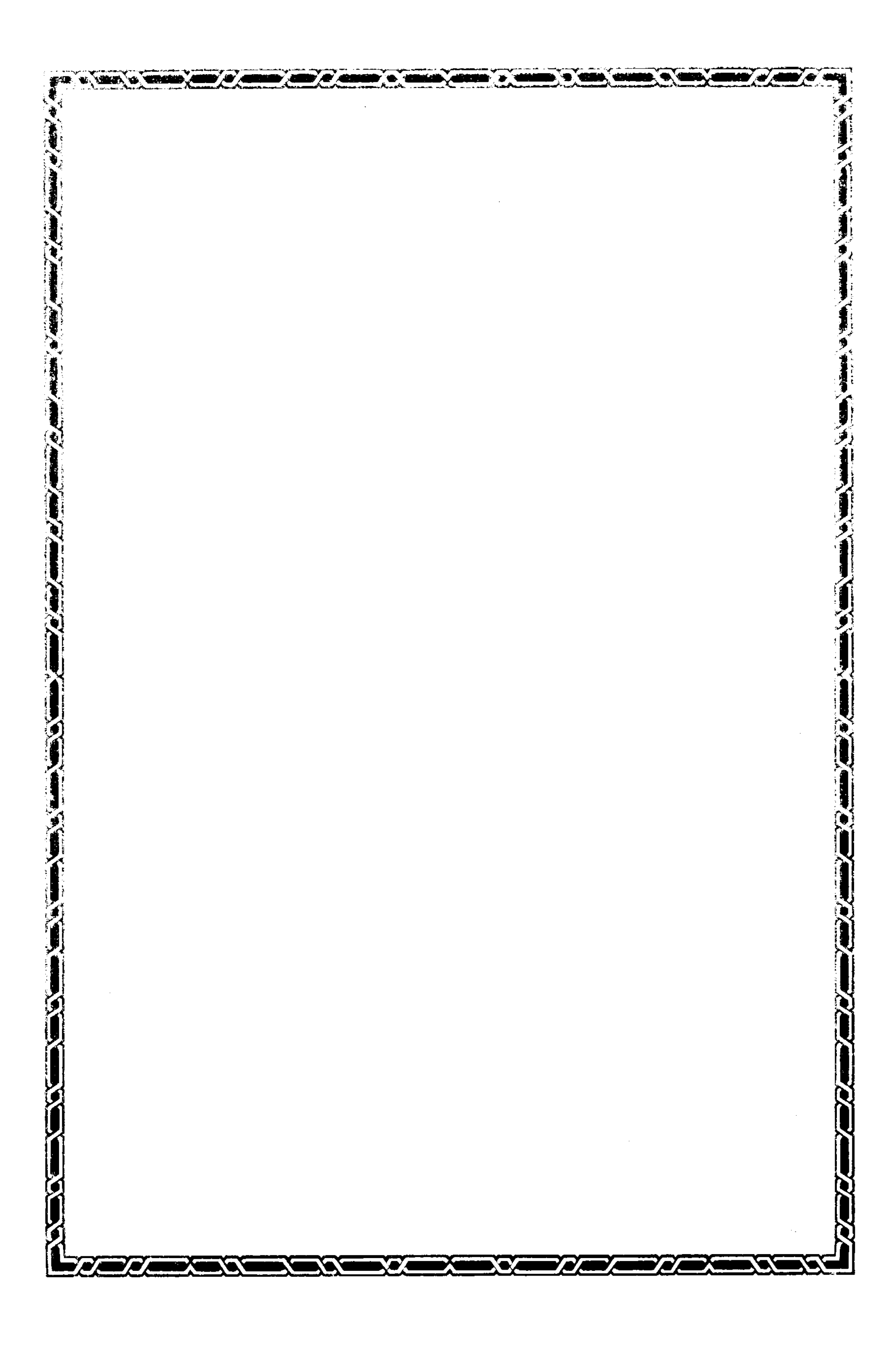
(*) في قوله عليه السلام في ح ٣: (هاه، هاه، طوبىٰ لهم) بدل: (ها، ها..)، التي وردت هكذا في الأصل والمصدر، ووردت باللفظ الأول في: «الوافي» المجلد٢، ص٤١٠، عن «الكافي» في نفس الحديث.

(٢) انظر: «المحيط في اللغة» ج٤، ص٩١؛ «لسان العرب» ج١٥، ص١٨٤، مادة «هيه».



الباب الثمانون

في الغيبة



أقول أي بيان علتها وأقسامها وكثير من أحكامها. أحاديث الباب | واحد و | ثلاثون.
ولنقـدّم فوائـد:

الفائدة الأُولىٰ: في علّة الغيبة

اعلم أنّ الله عزّ وجلّ لا يفعل إلّا بمقتضىٰ العدل الذي لا يجور فيه، وبما فيه صلاح العالم، وما يشتمل علىٰ العلل الحكمية والمقتضيات الوجودية، ومنها غيبة القائم بالأمر، عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه. وعلم العالم بالعلم وقوّته في نفسه لا يكفي في بروز ذلك، بل لابد من انضمام حضور الوقت، واستجماع الشرائط، وزوال الموانع.

والقائم عليه السلام لمّا كان خاتم الولاية الخاصة؛ لأنه الثاني عشر، وليس بعده إلّا استمرار دولة جدّه وخلوص الدين لله تعالىٰ، بحيث لا يعصىٰ في الأرض، وانقطاع الدولة المجتثة، لوجوب تقديمها أولاً، وهم لعنهم الله علموا بأنّ زوال دولتهم تقع علىٰ يده، وجب بحسب اللطف وكمال الاستعداد غيبته حساً، وإن فاتت بعض المنافع الجزئيّة بما لا يفوت به الدين ويعمىٰ طريق الحق عن طالبه، كما كان زمن آبائه عليهم السلام، فإنهم عليهم السلام وإن لم يُسلَبوا الدولة الحقية من النبوة والإمامة الإلهية، لكنهم مُنعوا من إجراء السياسة الظاهرة كملاً علىٰ مقتضاها، فتحملوا ضرّها، وصبروا علىٰ مضضها، حفظاً للدين، وحذراً من استيلاء دولة الكافرين والمعاندين، ووجب غيبته.

وقد صرحت الروايات المتعددة بالوجه في غيبته، فإنه من المكنون، إلّا عن أهله، ولهذا تارة يجيبون السائل، وتارة يعرضون عنه، وجوابهم أيضاً مختلف في بيان العلة، كما ستسمعه، ومرجعها لعلة واحدة، أو أن العلة مركبة من وجوه، وستسمع النصوص. وأبىٰ الله أن يجري الأشياء إلّا بالأسباب، حتىٰ يبرز كل شيء مستجمعاً لأسبابه التامة والكاملة.

وسنّة الله لا تغيير فيها، وتجري هنا كما جرت سابقاً، فلابد من استيفائه غيبات الأنبياء السابقين؛ لحديث: (تحذو)[١]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا ﴾[٢]. ولله المشيئة في الزيادة، بل لله البداء في الأشياء قبل بروزها.

ومنها: خوف القتل لو ظهر وقصدوه به، ولم يقتلهم؛ لمنعه منه، لعلو الحجّة عليهم، وللمزج، ولعدم انقضاء دولتهم، ولغير ذلك، وليميّز بها الخبيث من الطيب، ويختبر الكل بها، فجميع تكاليفه [اختبارٌ][٣].

قال الله تعالىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمّا يَعْلَمِ اللهُ ﴾ أي يميّز، أو يعلم أولياءه ﴿ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُم ﴾ الآية[٤]، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُم ﴾ الآية[٥]، ﴿ سُنَّةَ اللهِ الَّتي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾[٦]، ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾[٧].

وظهوره عليه السلام أول دور، فغاب وجرىٰ بأمته زمنها بحكم الظاهر، [وصَحّت][٨] هذه الحِكم، مع ما فيها من جزيل المواهب للمؤمنين، وزيادة ثوابٍ بها وبعبادتها.

ومعلوم قطعية الجزم بحكمة الله، وأنه لا يفعل إلّا الأصلح، فمتىٰ علمنا ذلك وصدّقنا به فلا يشكّ متدين في حكمتها، وأنها لازم الوجود لا غنىً له عنها.

وأقوىٰ أسبابها التزييل المشار له في قوله تعالىٰ: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أليماً ﴾[٩].

ولذلك لم يقتل الحسين وعليٌّ عليهما السلام كلّ من يقاتلهما في الحرب، وإنما يقتل من علم أنه

---

(١) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٤٤٠؛ «المستدرك على الصحيحين» ج ١، ص ١٢٩، بالمعنىٰ.

(٢) «التوبة» الآية: ٦٩.

(٣) في الأصل: «اختيارا».

(٤) «التوبة» الآية: ١٦.

(٥) «البقرة» الآية: ٢١٤.

(٦) «الفتح» الآية: ٢٣.

(٧) «العنكبوت» الآية: ١ ـ ٢.

(٨) في الأصل: «وصحة».

(٩) «الفتح» الآية: ٢٥.

لا يخرج من صلبه مؤمن، لأنه ينظر في الأصلاب بنور التوسم والإمامة، فلو قتل من يعلم بخروجه منه، كأن يكون في صلبه قطرة من شجرة المزن، التي تقع على النباتات، فمن أكلها خرج المؤمن من صلبه ولو كان كافراً، وبيان حقيقة ذلك ليس هنا موضعه، فلذا في قتالهم يقتل بعضاً ويترك آخر وإن قصده واجترئ عليه، وإلّا لقتل المؤمن، وحاشاه.

ومتىٰ نظر في الطين ورأىٰ خلوص أصلابهم من طينة المؤمن ظهر وقاتل، وقتل كلّ من قصده، ولا يصيبه هو ولا من يقاتل معه إثم.

ولك أن تفسر القتل الآتي في بعض الأحاديث: (إنه يخاف ـ وأومىٰ بيده إلىٰ بطنه، يعني القتل ـ)[1] بقتله، أو بقتله للمؤمن في الأصلاب، والأول أقرب؛ لقوله: «وأومىٰ بيده إلىٰ بطنه» ولا تنافي بينهما. ولم يغرق الله قوم نوح إلّا بعد أن أعقم نساءهم، وبلغت الأطفال كملاً[2].

فارتفع التنافي بين الأحاديث الآتية، الدال بعضٌ[3] علىٰ عدم الجواب منهم، وأنه من أحاديثهم الصعبة، وهو مع ذلك كذلك، لأنه يرجع إلىٰ سرّ القدر، ولا يعرفه إلّا خواص الخواص، ويرجع إلىٰ ما يحرم إبرازه، ولا يعرفه إلّا محمد ﷺ، ومع ذلك يطلب الزيادة.

وبعضٌ علىٰ أنّ علتها التقية.

وفي آخر: (حتىٰ لا يكون لأحد في عنقه بيعة)[4] وفي آخر: (لتميز الطينتين وتخلص ذي من ذي)[5].

لأنه إنما يبعث بالسيف، فإذا كان هو الإمام الثاني عشر، ودولة هؤلاء بعدُ لها مدة، وكذا لحكم التقية، حتىٰ يتم حكم: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾، فقد تقصده الكفّار والفجّار ـ جزماً ـ بالقتل، كما كان لو ظهر، فإن سكت قُتل وخلت الأرض من الحجة، ولزم بعثة نبي آخر وهو ﷺ الخاتم، وإن قاتلهم لزم قتله لهم، والطين بعدُ لم تتميز، ونهاية الدولة بعدُ لم تنقضِ.

فوجبت الغيبة لذلك، ومع ذلك لم تبطل حجته بغيبته، ولا هداه وتسديده، كما مرّ مبيّناً.

---

(١) انظر ح ٩، ١٨، من هذا الباب؛ «كمال الدين» ص ٤٨١، ح ٩.

(٢) انظر: «التوحيد» ص ٣٩٢، ح ٢.

(٣) «كمال الدين» ص ٤٨٢، ح ١١.

(٤) معنىٰ الحديث ٢٧، من هذا الباب. ونقل المؤلف مثله في نفس الباب، عن «كمال الدين ص ٤٨٠، ح ٢، ٣، ٤.

(٥) انظر باب التمحيص والامتحان، ح ٢، ٣، ٦، نحوه.

وروىٰ الصدوق في إكمال الدين، بسنده عن محمد بن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل مخالفيه في الأول؟ فقال: (لآية في كتاب الله: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً ﴾[١]).

قال: قلت: وما يعنىٰ بتزايلهم؟ قال: (ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، وكذلك القائم عليه السلام لن يظهر أبداً حتىٰ تخرج ودائع الله، فإذا خرجت ظهر علىٰ من ظهر من أعداء الله عزّ وجلّ فقتلهم)[٢].

وبسنده عن إبراهيم الكرخي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام - أو قال له رجل -: أصلحك الله، ألم يكن عليٌّ قوياً في دين الله عزّ وجلّ؟ قال: (بلىٰ)، قال: فكيف ظهر عليه القوم؟ وكيف لم يمنعهم؟ وما منعه من ذلك؟ قال: (آية في كتاب الله منعته). قال: قلت: وماهي؟ فقال: (﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أليماً ﴾، إنه كان لله عزّ وجلّ ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن عليٌّ ليقتل الآباء حتىٰ تخرج الودائع، فلما خرجت ظهر علىٰ من ظهر فقتله)[٣].

وبسنده عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال - في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنا الّذين كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أليماً ﴾ -: (لو أخرج الله عزّ وجلّ ما في أصلاب المؤمنين من الكافرين، ومافي أصلاب الكافرين من المؤمنين لعذّب الذين كفروا)[٤].

ومعلوم أن مجاهدة القادر ليست القدرة وحدها كافية، بل لابد من زوال المانع وحضور الوقت، فلو قتل الإمام من يخرج عليه، أو طلب فلم يمتثل أمره ويقتله، مع علمه بأنّ في صلبه مؤمناً، قتله وهو محرّم. وجري دولة الباطل من أهون الأشياء، فبقيت مرادة بالعرض؛ لتمام الإرادة الذاتية، وتقوية لإبليس فيما وعده من النظرة، ولتعلو الحجّة علىٰ الكافر والمنافق بزيادة المهلة.

ومن المشاهد مستمراً خروج المؤمن من صلب الكافر وبالعكس، وارتداد المؤمن، وإيمان الكافر.

---

(١) «الفتح» الآية: ٢٥.

(٢) «كمال الدين» ص٦٤١، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «كمال الدين» ص٦٤٢، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «كمال الدين» ص٦٤٢، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

وحال قوم نوح غير خفي، فلم يهلكهم بالغرق حتىٰ حصحص الحق وتميّز، فرجع من في قلبه نفاق ولم يثبت لمّا اختبر، ولم يخرج من صلبهم مؤمن، فلا يلدوا إلّا فاجراً كفّاراً، يعلم الله بما يقع عليه اختيار الطفل لو بلغ، وإن كان لا يعذّبه بالنار يوم القيامة إلّا بعد كمال الاختيار له؛ حتىٰ تنقطع حجته.

وكذا حال غيرهم، وهو مقتضىٰ العدل وكمال الرأفة، فكذا الحال في القائم عليه السلام. ومع هذا كله فليس ضرر علىٰ المؤمن من جهة دينه، ولا في تحصيل يقينه، كما مرّ.

وروىٰ الصدوق أيضاً فيه، بسنده عن جميل بن صالح، عن أبي عبد الله عليه السلام، وبسنده عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال عليه السلام: (**يقوم القائم وليس لأحد في عنقه بيعة**)[1].

وبسنده عن ابن فضّال، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام، أنه قال: (**كأني بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي كالغنم، يطلبون المرعىٰ فلا يجدونه**). قلت له: ولمَ ذاك يابن رسول الله؟ قال (**لأن إمامهم يغيب عنهم**)، فقلت: ولمَ؟ قال: (**لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف**)[2].

وروىٰ هذا المضمون أيضاً بسنده عن حنان بن سَدير، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (**إن للقائم منّا غيبة يطول أمدها**)، فقلت له: يابن رسول الله، ولمَ ذلك؟ قال: (**لأن الله عزّ وجلّ أبىٰ إلّا أن تجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم، وإنه لابد له ـ يا سدير ـ من استيفاء مدد غيباتهم؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾[3]، أي سنن من كان قبلكم**)[4].

وبسنده عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، وعنه عن أبي جعفر عليه السلام بسندين، وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً، قالا عليهما السلام: (**إنّ للقائم غيبة قبل أن يقوم**)، قال: قلت: ولمَ؟ قال: (**يخاف**) ـ وأومىٰ بيده إلىٰ بطنه ـ[5].

وفي آخر: قال زرارة: يعني القتل[6].

وفي آخر: (**للقائم غيبة قبل قيامه**)، قلت: ولمَ؟ قال: (**يخاف علىٰ نفسه الذبح**)[7].

---

(١) «كمال الدين» ص ٤٨٠، ح ٢، بتفاوت يسير، ح ٣.
(٢) «كمال الدين» ص ٤٨٠، ح ٤.
(٣) «الانشقاق» الآية: ١٩.
(٤) «كمال الدين» ص ٤٨٠، ح ٦.
(٥) «كمال الدين» ص ٤٨١، ح ٧، ٨، ٩، ١٠، بتفاوت.
(٦) «كمال الدين» ص ٤٨١، ح ٩.
(٧) «كمال الدين» ص ٤٨١، ح ١٠.

وبسنده عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: (**إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابد منها، يرتاب فيها كل مبطل**)، فقلت له: ولمَ ـ جعلت فداك ـ؟ قال: (**لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم**).

قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: (**وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالىٰ ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما آتاه الخضر، من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسىٰ، إلّا وقت افتراقهما. يابن الفضل، إنّ هذا الأمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيبه، ومتىٰ علمنا أنّ الله عزَّ وجلّ حكيم صدّقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وأن وجهها غير منكشف**)[1].

قال الشيخ محمد بن أبي جمهور الأحسائي في المجلي: «فإن قلت: فما السبب في الغيبة؟

قلت: قد ذكر العلماء له وجهين.

أحدهما: أن يكون ذلك من الأعداء والخصوم؛ لأن تمام الإمامة وحصول الانتفاع بها بالنسبة إلىٰ الأمور الجزئية إنّما يتم بثلاثة أحوال:

ألف: إيجاده ونصبه وإظهاره، وقيام الحجّة علىٰ وجوده، ونصب الدلالة علىٰ عينه، وإعطاؤه جميع آلات الإمامة وشرائطها. وذلك هو الواجب علىٰ الله تعالىٰ، وقد فعله.

باء: قبول الإمام لها، والسعي في الذب عنها، والقيام بمهماتها، وحفظ جانبها، وسياسة الرعية والقيام عليهم بما يصلحهم. وذلك من فعل الإمام، والواجب علىٰ الله تعالىٰ فيه إنّما هو إعلامه بذلك وإيجابه عليه، وقد فعله.

جيم: متابعة الخلق وقيامهم بنصرته، والدفع لأعدائه عنه، وفعلهم لما يصلحه، وطاعتهم لأوامره ونواهيه. وذلك من فعلهم، والواجب علىٰ الله تعالىٰ فيه إعلامهم به وإيجابه عليهم، وقد فعله.

فالحق تعالىٰ قد فعل ما وجب عليه من تتميم أحوال اللطف، وكذلك الإمام، وما وجب علىٰ الخلق فقد أعلمهم به وأوجب عليهم القيام به، وأوعدهم عليه الثواب، وتوعدهم

---

(١) «كمال الدين» ص ٤٨٢، ح ١١، بتفاوت يسير.

علىٰ تركه العقاب، وأبلغ في الإعذار والإنذار، وبقي ماهو باختيارهم مما هو مناط التكليف، فما فعلوه ولا قاموا به، ولا قبلوا ما أُمروا به، من فرض طاعته، والقيام بخدمته، والدفاع عنه، والجهاد بين يديه، بل أخافوه وأعانوا أعداءه عليه، ولم يقبلوا أوامره، بل توثبوا علىٰ مقامه فغصبوه منه، وتغلبوا علىٰ سلطانه بالعساكر والخزائن والسلاح، وتابعهم الخلق وقاموا معهم عليه. فلما خاف علىٰ نفسه وعلىٰ أوليائه من القتل والنهب واستباحة الأموال والذراري، كما وقع لبعضهم، استتر منهم اتقاءً علىٰ نفسه حتىٰ تزول الموانع، فما لم يزل السبب لم تزل الغيبة.

الثاني: لما تحقق أنّ الله حكيم، وأفعاله موافقة للمصالح وتكميل الخلق، وأنّ الإمام معصوم لا يميل عن مركز الاعتدال، وحصلت هذه الغيبة منه، ولم يُعلم الوجه فيها ولا السبب الداعي إليها علىٰ وجه القطع والجزم، وجب الرجوع فيها إلىٰ الأُصول والقواعد المضبوطة في العلوم الكلامية والحكمية.

فنقول حينئذ: جاز استناد هذه الغيبة إلىٰ فعل الله، وأنه اختاره وارتضاه؛ لحكمة خفية ومصلحة كلية، فلا يجوز الاعتراض فيها، لأن أفعاله مشتملة علىٰ الحكم والمصالح والكمالات، فنعلمه ونتحققه فيها علىٰ وجه الإجمال، فجاز اشتمال هذه الغيبة علىٰ حكمة ومصلحة لا نعلم وجهها ولا نحققه تفصيلاً، وما دام ذلك السبب المصلحي باقياً في علم الله دامت الغيبة، ولا تزول حتىٰ يزول، ويكون حكمها حكم خلق سائر الحيوانات وكثير من المركبات العنصرية التي لا نعلم الوجه في مصلحتها وبيان وجه الكمال فيها علىٰ التفصيل، ولا يلزم من ذلك قبحها، ولا يصحّ لأُحد لا يعلم الوجه في خلقها أن يقول: لمَ خلقها؟ ولأيّ شيء أوجدها؟

وقال بعض الأصحاب: السبب استخلاص النطف التي يحصل منها أهل الايمان من أصلاب أهل النفاق؛ خوفاً أنّ بسط اليد يقتضي القيام بالسيف، الموجب لقتل أهل الخلاف، فيفوت بقتلهم وجود تلك الذراري من أصلابهم، فأخّر ذلك واختفىٰ الإمام؛ لاستخلاصهم من تلك الظهور، وذلك أمر مطلوب في الحكمة الإلهية. وبهذا أجاب بعضهم عن ترك علي عليه السلام الجهاد مع الثلاثة؛ لعلمه أنّ في ظهورهم من النطف الصالحة للقيام بالولاية والنصرة والاتصاف بالايمان.

وروي عن الحسين عليه السلام أنه كان يوم الطف إذا حمل علىٰ عسكر بن زياد يقتل بعضاً

ويترك بعضاً مع تمكنه من قتلهم، فقيل له في ذلك، فقال ﷺ: (**كشف عن بصري فأبصرت النطف التي في أصلابهم، فعرفت من يخرج من نطفته من هو من أهل الإيمان، فتركته عن القتل؛ لاستخلاص تلك الذرّية، ورأيت من لم يخرج من نطفته من هو صالح فقتلته**).

وهذا شأن أهل الولاية في تدبيرهم أُمور الخلق من حيث لا يشعرون، فلا يجوز الاعتراض علىٰ شيء من أفعالهم»[1] انتهىٰ باختصارٍ ما.

وأجاب المرتضىٰ[2] عن وجه الحكمة بما لا يخرج عن هذا الجواب.

وما تضمنه آخر الأحاديث[3] ـ من عدم الإذن لهم: في كشفها ـ لا يدل علىٰ أنهم لم يظهروا العلة، كيف وباقي الأحاديث متضمنة بها؟ فإنه منزّل علىٰ مانع يمنع من البيان، فما كلّ ما يقال حضر وقته، أو أنّ المراد بكشفها بحيث تعرف من كل وجه، وهذا مما لم يعرفه أكثر العالم، إن لم نقل: جميعه.

ثمّ إنك إذا تأملت في علل الغيبة وجدتها متطابقة لا تخالف بينها، فالخوف لتكليفه ﷺ بالسكوت حتىٰ يبلغ الكتاب أجله، لتميّز الطينتين حينئذ، ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ أي اختباراً ﴿ وَإلينا تُرْجَعُونَ ﴾[4].

والعامة يقولون: إنّ قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَولا رِجالٌ مُؤمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤمِناتٌ ﴾ الآية[5]، نزلت عام الصلح، في صلح الرسول لأهل مكة ووفاقه علىٰ صلحهم ورجوعه[6].

وإذا قيل لهم: لذا أيضاً غاب الإمام، نكروا عناداً وكفراً، ولقد نالهم ممن يسعىٰ في قتله، وكذا غيبات الأنبياء السابقين، مما صرّح بها القرآن ويشهد بها النقل. فإن كان هذا قبحاً فهناك أيضاً، مع أنهم لا يثبتونه هناك، فكذا هنا. مع أنه تواتر عندهم الحذو هنا حذو الأُمم السابقة[7]، فلابد أن تجري سنن الأنبياء هنا.

---

(١) «الجلي» طبعة حجرية، ص٤٦٧ ـ ٤٦٨، باختصار، صحبحناه علىٰ المصدر.

(٢) انظر: «رسائل الشريف المرتضىٰ» المجموعة الأُولىٰ، ص ٣٢١ – ٣٢٣؛ «الذخيرة» ص ٤١٥ ومابعدها.

(٣) أي الحديث الذي نقله آنفاً من «كمال الدين» ص ٤٨٢، ح ١١.

(٤) «الأنبياء» الآية: ٣٥. (٥) «الفتح» الآية: ٢٥.

(٦) انظر: «تفسير الكشاف» ج ٤، ص ٣٤٤؛ «تفسير البيضاوي» ج ٢، ص ٤١٢، في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ إذ جَعَلَ الَّذينَ كَفَروا في قُلوبِهِم الحَمِيَّةَ ﴾.. «الفتح» الآية: ٢٦.

(٧) «سنن الترمذي» ج ٥، ص ٢٦، ح ٢٦٤١؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج ١، ص ١٢٩.

الفائدة الثانية:

لمّا انصرح لك مما أوضحناه قبلُ وفي الجزء الثاني، من بيان لطيفة الإمام بحسب وجوده وإهدائه والاهتداء به، واستدعاء الوجود والحكمة لغيبته، وعدم الضلالة والحيرة عن طلب الهداية زمن الغيبة، بطل التشبيه بأن الغيبة توجب القبح؛ لوقوع الناس في حيرة، [ولرفع][1] الاهتداء والهداية، أو منافاة ذلك لإمامته عليه السلام وعصمته، وأمثال ذلك من الشبه الشيطانية والأهواء الفهمية السردية، والله يحقّ الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون.

الفائدة الثالثة: في ذكر وقوع الغيبة في غير الحجّة الثاني عشر

وصحتها في شأنه عليه السلام، وإن كان غير متوقف على جريانها في غيره، ولا هي الدليل في صحتها، فلو لم تقع، هي صحيحة واقعة اقتضتها الحكمة، لكن في ذلك تخميد لشبه العامة واستبعادهم، وتشبثهم علينا بما الواقع بخلافه، فإنهم يقرّون بغيرها وينكرونها، ومابه ينكرون ويجحدون لازم لهم في غيرها، ولكن هذه سنّة أهل الضلالة والغواية.

فأول الغيبات غيبة إدريس، حتىٰ آل الأمر بشيعته أنّ القوت تعذّر عليهم، وقتل الجبار منهم من قتل، ثمّ ظهر فوعد شيعته بالفرج وبقيام القائم من ولده، وهو نوح[2] عليه السلام.

وروىٰ الصدوق مسنداً عن علي بن سالم، عن أبيه، قال: قال الصادق عليه السلام: (لمّا حضرت نوحاً الوفاة دعا الشيعة فقال لهم: اعلموا أنه ستكون من بعدي غيبة يظهر فيها الطواغيت، وأن الله يفرّج عنكم بالقائم من ولدي، اسمه هود، له سمت وسكينة ووقار، يشبهني في خَلقي وخُلقي، وسيهلك الله أعداءكم عند ظهوره بالريح. فلم يزالوا يترقبون هوداً عليه السلام وينتظرون ظهوره، حتىٰ طال عليهم الأمد وقست قلوب أكثرهم، فأظهر الله ـ تعالىٰ ذكره ـ نبيّه هوداً عند اليأس منه وتناهي البلاء بهم، وأهلك الأعداء بالريح العقيم التي وصفها الله تعالىٰ ذكره فقال: ﴿ما تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾[3]. ثمّ وقعت الغيبة به بعد ذلك إلىٰ أن ظهر صالح)[4].

وبسنده عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إنّ صالحاً غاب عن قومه زماناً، وكان يوم غاب عنهم كهلاً، مبدح البطن، حسن الجسم، وافر اللحية، خميص البطن، خفيف

---

(١) في الأصل: «وترفع».

(٢) «كمال الدين» ص١٢٧.

(٣) «الذاريات» الآية: ٤٢.

(٤) «كمال الدين» ص١٣٥، ح٤، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

العارضين مجتمعاً، رَبْعة من الرجال. فلمّا رجع إلىٰ قومه لم يعرفوه بصورته، فرجع إليهم وهم علىٰ ثلاث طبقات: طبقة جاحدة لا ترجع أبداً، وأُخرىٰ شاكّة فيه، وأُخرىٰ علىٰ يقين.

فبدأ حيث رجع بالطبقة الشاكة، فقال لهم: أنا صالح، فكذّبوه وشتموه وزجروه، وقالوا: برئ الله منك، إنّ صالحاً كان في غير صورتك.

فأتىٰ الجحّاد فلم يسمعوا منه القول، ونفروا منه أشد النفور.

ثم انطلق إلىٰ الطبقة الثالثة وهم أهل اليقين فقال لهم: أنا صالح، فقالوا: أخبرنا خبراً لا نشكّ فيك معه أنك صالح، فإنا لا نمتري أنّ الله تبارك وتعالىٰ الخالق ينقل ويحوّل في أي صورة شاء، وقد أُخبرنا وتدارسنا فيما بيننا بعلامات القائم إذا جاء، وإنّما يصح عندنا إذا أتىٰ الخبر من السماء.

فقال لهم: أنا صالح الذي أتيتكم بالناقة.

فقالوا: صدقت، وهي التي نتدارس، فما علامتها؟

فقال: لها شِربٌ ولكم شِرب يوم معلوم، قالوا: آمنا بالله وبما جئتنا به.

فعند ذلك قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ فقال أهل اليقين: ﴿ إِنّا بِما أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾ وهم الشكّاك والجحّاد ﴿ إِنّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كافِرُونَ ﴾[1]).

قلت: هل كان فيهم ذلك اليوم عالم به؟

قال: (الله أعدل من أن يترك الأرض بغير عالم يدل علىٰ الله)... الحديث[2].

وغيبة إبراهيم عليه السلام وخفاء ولادته مدة، حتىٰ ظهر فصدع، ثمّ غاب الغيبة الثانية، حين نفاه الطاغية من مصر، فقال: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ وأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلّا أَكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي شَقِيّاً ﴾[3]، ظاهر ذلك[4] بغير خفاء.

وغيبة يوسف عشرون سنة، في الجب ثلاثة أيام، وفي السجن بضع سنين، والباقي بمصر[5]. وما لحقه من الضر بالبيع وغيره مدتها غير خفي.

---

(١) «الأعراف» الآية: ٧٥ ـ ٧٦.

(٢) «كمال الدين» ص١٣٦، ح٦، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «مريم» الآية: ٤٨.

(٤) انظر: «كمال الدين» ص١٣٩، ح٧.

(٥) انظر: «كمال الدين» ص١٤١.

وروىٰ الصدوق بسنده عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إنّ يوسف بن يعقوب حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب، وهم ثمانون رجلاً، فقال: إنّ هؤلاء القبط سيظهرون عليكم ويسومونكم سوء العذاب، وإنّما ينجيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب، اسمه موسىٰ بن عمران، غلام طويل جعد آدم. فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمي ابنه عمران، ويسمي عمران ابنه موسىٰ).

فذكر أبان بن عثمان، عن أبي الحصين، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، أنه قال: (ما خرج موسىٰ حتىٰ خرج قبله خمسون كذّاباً من بني إسرائيل، كلهم يدّعي أنه موسىٰ بن عمران.

فبلغ فرعون أنّهم يرجفون به ويطلبون هذا الغلام، وقال له كهنته وسحرته: إنّ هلاك دينك وقومك علىٰ يدي هذا الغلام الذي يولد العام من بني إسرائيل، فوضع القوابل علىٰ النساء، وقال: لا يولد العام ولد إلّا ذبح. ووضع علىٰ أم موسىٰ قابلة.

فلما رأىٰ ذلك بنو إسرائيل قالوا: إذا ذبح الأطفال واستحييٰ النساء هلكنا فلم نبق، فتعالوا لا نقرب النساء، فقال عمران أبو موسى: بل باشروهنّ، فإنّ أمر الله واقع ولو كره المشركون، اللهم من حرّمه فإني لا أحرّمه، ومن تركه فإني لا أتركه. وباشر أمّ موسىٰ فحملت به، فوضع عليها قابلة تحرسها لا تفارقها أبداً، فلمّا حملت به وقعت عليها المحبة، وكذلك حجج الله.

فقالت لها القابلة: مالك تصفرّين وتذوبين؟ فقالت: لا تلوميني، فإني إذا ولدت أخذ ولدي فذُبح، فقالت: لا تحزني فإني سأكتم عليك، فلم تصدّقها.

فلما ولدت التفتت إليها وهي مقبلة، فقالت: ما شاء الله، فقالت لها: ألم أقل: إني سوف أكتم عليك؟ ثمّ حملته فأدخلته المخدع وأصلحت أمره، ثمّ خرجت إلىٰ الحرس فقالت: انصرفوا - وكانوا علىٰ الباب - فإنه خرج دم منقطع. فانصرفوا، فأرضعته. فلمّا خافت عليه الصوت أوحىٰ الله إليها أن اعملي التابوت، ثم اجعليه فيه، ثم اخرجي به ليلاً واطرحيه في نيل مصر. ففعلت، فجعل يرجع إليها، وجعلت تدفعه في الغمر فأخذته الريح، فلما رأته قد ذهب به الماء همّت أن تصيح، فربط الله علىٰ قلبها.

وكانت المرأة الصالحة امرأة فرعون، قالت له: إنها أيام الربيع فأخرجني واضرب لي قبّة علىٰ شط النيل حتىٰ أتنزّه هذه الأيام. ففعل، فإذا التابوت مقبل يريدها، فقالت: هل ترون ما أرىٰ علىٰ الماء؟ فقالوا: إي والله يا سيدتنا إنا لنرىٰ شيئاً، فلما دنا منها ثارت إلىٰ الماء فجذبته، فأخرجته ووضعته في حجرها، فإذا هو غلام أجمل الناس وأبشرهم، فوقع عليها محبته، فقالت: هذا ابني، فقالوا لها: نعم يا سيدتنا، ما لك ولد ولا للملك، فاتخذي هذا ولداً، فقامت لفرعون

وقالت له: إني أصبت غلاماً طيّباً حلواً، نتخذه ولداً وقرّة عين لي ولك، فلا تقتله. قال: ومن أين هذا الغلام؟ قالت: والله ما أدري، إلّا أنّ الماء جاء به. ولم تزل به حتىٰ رضي.

فلمّا سمع الناس بذلك لم يبق أحد من رؤوس من كان مع فرعون إلّا بعث امرأته إليه لتحضنه وتكون له ظئراً، فأبىٰ أن يأخذ من امرأة منهنّ ثدياً، فقالت امرأة فرعون: اطلبوا لابني ظئراً ولا تحقّروا أحداً، وهو لا يقبل من امرأة منهنّ.

فقالت أم موسىٰ لأُخته: انظري أترين له أثراً، فأتت باب الملك وقالت: قد بلغني أنكم تطلبون ظئراً، وها هنا امرأة صالحة تكفله لكم، فقالت: أدخلوها، فلما دخلت قالت لها امرأة فرعون: ممن أنت؟ فقالت: من بني إسرائيل، فقالت لها: اذهبي يا بُنية فليس لنا فيك حاجة، فقالت النساء لها: انظري عافاك الله يقبل أو لا يقبل، فقالت: لو قبل هل يرضىٰ فرعون أن يكون الغلام من بني إسرائيل والمرأة من بني إسرائيل، فقلن لها: انظري يقبل أو لا يقبل، فقالت لها: أحضريها، فرجعت لها وقالت: إن امرأة الملك تدعوك، فدخلت عليها، فدُفع إليها موسىٰ، فوضعته في حجرها ثم ألقمته ثديها، فازدحم اللبن في حلقه.

فلمّا رأت ذلك امرأة فرعون قامت إلىٰ فرعون وأخبرته، فقال: ممن هي؟ قالت: من بني إسرائيل، قال: هذا مما لا يكون أبداً. فلم تزل تكلمه فيه حتىٰ قلبته عن رأيه.

فنشأ موسىٰ عليه السلام في آل فرعون، وأمه وأُخته والقابلة كتموا أمره، حتىٰ ماتت أُمه والقابلة، وكانت بنو إسرائيل تطلبه، وإذا بلغ فرعون أنهم يطلبونه زادهم العذابَ. فخرج بنو اسرائيل ذات ليلة مقمرة لشيخ لهم عنده علم، فقالوا: قد كنا نستريح بالأحاديث، فحتىٰ متىٰ نحن في هذا البلاء؟ فقال: والله إنكم لا تزالون فيه حتىٰ يجيء الله عزّ ذكره بغلام من ولد لاوي بن يعقوب، اسمه موسىٰ بن عمران، غلام طويل جعد.

فبينما هم كذلك إذ أقبل موسىٰ يسير علىٰ بغلة، حتىٰ وقف عليهم، فرفع الشيخ رأسه فعرفه بالصفة، فقال له: ما اسمك يرحمك الله؟ قال: موسىٰ بن عمران. فوثب إليه الشيخ فأخذ بيده فقبّلها، وثاروا إلىٰ رجله يقبّلونها، فعرفهم وعرفوه، فاتخذهم شيعة.

فمكث بعد ذلك ما شاء الله، ثمّ خرج فدخل مدينة لفرعون، فيها رجل من شيعته يقاتل رجلاً من آل فرعون من القبط، ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذي مِن عَدِوِّه ﴾ القبطي ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسىٰ فَقَضىٰ عَلَيهِ ﴾[1].

---

(١) «القصص» الآية: ١٥.

فشاع أمره، ﴿ فأصْبَحَ في المَدِينةِ خَائفاً يَتَرَقَّبُ ﴾، فلما أصبحوا من الغد ﴿ فإذا الَّذي استَنصَرَهُ بالأمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ علىٰ آخر، فقال له موسىٰ: ﴿ إنَّكَ لَغَويٌّ مُبينٌ ﴾ ؛ بالأمس رجل واليوم رجل، ﴿ فَلَمَّا أرادَ أنْ يَبْطِشَ بالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قَالَ يامُوسىٰ أتُريدُ أن تَقْتُلَني كَما قَتَلْتَ نَفساً بالأمْسِ إن تُريدُ إلّا أنْ تَكُونَ جَبَّاراً في الأرْضِ وَما تُريدُ أنْ تَكُونَ مِنَ المُصْلِحينَ * وَجاءَ رَجُلٌ مِن أقْصَىٰ المَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يا مُوسَىٰ إنَّ المَلأَ يأتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إنّي لَكَ مِن النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنها خائفاً يَتَرَقَّبُ ﴾[1].

فخرج من مصر بغير ظهر وخادم ودابة، إلىٰ أن انتهىٰ إلىٰ شجرة بأرض مدين، فنزل بها، فإذا تحتها بئر عليه أُمة من الناس يسقون، وإذا جاريتان ضعيفتان معهما غُنيمة لهما، فقال لهما: ما خطبكما؟ قالتا: أبونا شيخ كبير ونحن جاريتان ضعيفتان لا نقدر أن نزاحم الرجال حتىٰ يسقوا، فإذا سقىٰ الناس سقينا، فرقّ لهما وقال: قدّما الغنم، فسقىٰ لهما ورجعتا بكرة قبل الناس، ورجع هو تحت الشجرة. فأخبرتا أباهما بالخبر، فقال لإحديهما: ارجعي وادعيه لي، فرجعت، ثمّ دعته. فقال لها: وجهيني إلىٰ الطريق وامشي خلفي) ... الحديث[2].

وما وقع من الغيبة بعد موسىٰ بالأوصياء حتىٰ ظهر المسيح غير خفي، فقام بالأمر بعد موسىٰ وصيه يوشع بن نون، صابراً علىٰ أذىٰ الطواغيت وضرّهم وبلائهم، حتىٰ مضىٰ منهم ثلاثة طواغيت، فقوي بعدهم أمره، فخرج عليه رجلان من منافقي قوم موسىٰ بصفراء بنت شعيب امرأة موسىٰ، في مائة ألف رجل، فقاتلوه، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وانهزم الباقون، وأسرت صفراء بنت شعيب، وقال لها: عفوت عنك في الدنيا.

فاستتر الأئمة بعد يوشع إلىٰ زمن داود أربعمائة سنة،، وكانوا أحد عشر، وكان قوم كل واحد منهم يختلفون إليه في وقته ويأخذون عنه معالم دينهم، حتىٰ انتهىٰ الأمر إلىٰ آخرهم، فغاب عنهم ثمّ ظهر وبشّرهم بداود، وأخبرهم أنّ داود هو الذي يطهّر الأرض من جالوت وجنوده، وبه يكون فرجهم، فبقوا ينتظرونه.

وكان لداود أربعة إخوه، ولهم أب كبير، وكان داود أصغرهم، وكانت الشيعة يعلمون أنه قد ولد وبلغ أشدّه، وكانوا يرونه ويشاهدونه ولا يعلمون أنه النبي ... إلىٰ آخر القصة[3].

---

(١) «القصص» الآية: ١٨ ـ ٢١.

(٢) «كمال الدين» ص١٤٧، ح١٣، باختلاف، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «كمال الدين» ص١٥٤، ح١٧، باختصار، صححناه علىٰ المصدر.

وبسنده عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (كان بين عيسىٰ وبين محمد خمسمائة عام، منها مائتين وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر)، قلت: فما كانوا؟ قال: (كانوا متمسكين بدين عيسىٰ)، قلت: فما كانوا؟ قال: (كانوا مؤمنين)، ثمّ قال عليه السلام: (ولا تكون الأرض إلّا وفيها عالم)[1].

وذو القرنين ظهر في قومه فدعاهم، فضربوه علىٰ قرنه فغاب، ثمّ ظهر ودعا، فضُرب علىٰ الآخر[2].

والرسول بقي مدة بمكة لم يظهر ثمّ ظهر، وغاب بالغار زمناً، ثمّ ظهر، إلىٰ غير ذلك.
وتفاصيل هذه القصص مع ما جرىٰ مجراها يطلب من الإكمال[3] وغيره من المطوّلات.

فقد اتضح لك وانصرح أنّ الغيبات تقع بالأنبياء والأوصياء، ولم ينقطع بذلك الهادي من الأرض [زمن][4] الغيبة، بل العلماء التابعون لمناره يهتدون بهداه، ولم تنقطع عنهم مواد العلم، ولا يشكّون فيه، وإلّا لم يغيّبه عنهم، فاستيقن وتدبّر.

الفائدة الرابعة: في ذكر علامات الظهور

لمّا كان الموجب للغيبة ذلك، وهو عليه السلام إنما يظهر بالسيف، وبحكم آل داود يحكم، بمعنىٰ بحكم التأويل وبعلمه، لا أنهم عليهم السلام تبع لهم، فهو دور ابتدائي، فالعالم قبل ظهور الدولة في انتقاص، والمعاصي منتشرة، فإذن لابد من ظهور أمارات وعلامات في العالم الآفاقي، وقد أخبرت الأئمة عليهم السلام بذلك، شيء منها محتوم، وآخر لله فيه البداء.

وقد وقع طائفة من الأمارات، كانتقاص بركات الأرض، وفشو المعاصي، وظهور الدجّالين، ورايات تدعو بالباطل في الهند وخراسان ونجد، غير ما وقع قبل هذا الزمان.

وقد ذكر ثقة الإسلام بعضاً منها في هذا الباب، وبعضاً آخر في الروضة، عن عمر بن حنظلة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة، والسفياني، والخسف، وقتل النفس الزكية، واليماني)، فقلت: جعلت فداك، إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات أنخرج معه؟ قال: (لا). فلمّا كان من الغد تلوت هذه الآية:

---

(١) «كمال الدين» ص ١٦١، ح ٢٠.

(٢) انظر: «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٤٠؛ «تفسير الكشاف» ج ٢، ص ٧٤٣.

(٣) «كمال الدين» ص ١٢٧ وما بعدها.

(٤) في الأصل: «من».

﴿ إن نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ ﴾[١] فقلت له: أهي الصيحة؟ فقال: (أما لو كانت، خضعت أعناق أعداء الله عزّ وجلّ)[٢].

ثمّ اعلم أنّ هذه الصيحة هي التي تأتي من السماء، وذكرت في حديث آخر[٣] بأنه مصوّت يصيح بأن الحق فلان بن فلان، وأخرىٰ بالعكس، فهي صيحتان.

والخسف: خسف جيش السفياني بالبيداء، موضع بين مكة والمدينة.

وفي بعض الروايات: (خسف بالبيداء، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب)[٤].

والنفس الزكية: غلام من آل محمد، يقتل بين الركن والمقام، اسمه محمد بن الحسن.

وفي بعض الأخبار: (لابد من قتل غلام بالمدينة)[٥].

وفي بعضها: (قتل نفس زكية بظهر الكوفة، في سبعين من الصالحين)[٦].

ورویٰ الصدوق بإسناده عن ميمون البان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (خمس قبل قيام القائم: اليماني، والسفياني، والمنادي ينادي من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية)[٧].

وبإسناده عن عمر بن حنظلة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (قبل قيام القائم خمس علامات محتومات)... الحديث[٨]، وفيه: (والصيحة) بدل (والمنادي).

وبإسناده عن صالح مولیٰ بني العذراء، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (ليس بين

---

(١) «الشعراء» الآية: ٤.

(٢) «الكافي» ج٨، ص٢٥٨، ح٤٨٣، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «كمال الدين» ص٦٥٢، ح١٤، وفيه: (ينادي منادٍ من السماء أول النهار: ألا إن الحق في علي وشيعته، ثم ينادي إبليس لعنه الله في آخر النهار: ألا إن الحق في السفياني وشيعته).

(٤) «كمال الدين» ص٢٥١، ح١، وفيه: (خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب). وفي «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج٢/١١، ص٣٦٨، أورده في سياق تعداد علامات قيام القائم عليه السلام، بتفاوت يسير.

(٥) «الكافي» ج١، ص٣٣٧، باب في الغيبة، ح٥؛ «كمال الدين» ص٣٤٣، ح٢٤.

(٦) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج٢/١١، ص٣٦٨؛ «بحار الأنوار» ج٥٢، ص٢٧٣، ح١٦٧، بتفاوت.

(٧) «كمال الدين ص٦٤٩، ح١.

(٨) «كمال الدين» ص٦٥٠، ح٧، صححناه علىٰ المصدر.

قيام القائم وبين قتل النفس الزكية إلّا خمسة عشر ليلة)[١].

وعن المعلّىٰ بن خنيس، عنه عليه السلام: (إنّ أمر السفياني من الأمر المحتوم، وخروجه في رجب)[٢].

وروىٰ الكليني عن محمد بن علي الحلبي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (اختلاف بني العباس من المحتوم، والنداء من المحتوم، وخروج القائم من المحتوم) . قلت: وكيف النداء؟ قال: (ينادي منادٍ من السماء أول النهار: ألا إنّ علياً وشيعته هم الفائزون) . قال: (وينادىٰ منادٍ آخر النهار: ألا إنّ عثمان وشيعته هم الفائزون)[٣].

وقد وقع الاختلاف في بني العباس من بعد هارون الرشيد من ولديه، حتىٰ إنّ أحدهما قتل الآخر واستمر[٤].

وغير خفي أنه لا اشتباه من المناديين علىٰ الحق، فعلىٰ كل حق حقيقة، فمن عرفه وصدّق به ـ النداء [بعلي] ـ لا يضرّه النداء بعثمان؛ فالنداء به قبلُ أيضاً مدةَ دولتهم، ومن لم يعرفه ويصدّق به قبل لا ينفعه نداء الحق، إلّا ماشاءالله، وقال الله: ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ﴾[٥].

وروىٰ الصدوق بإسناده عن ميمون البان، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: (ينادي منادٍ من السماء: فلان بن فلان هو الإمام، باسمه، وينادي إبليس لعنه الله من الأرض كما نادىٰ برسول الله ليلة العقبة)[٦].

وبإسناده عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (ينادي منادٍ باسم القائم عليه السلام)، قلت: خاص أو عام؟ قال: (عامّ، يسمع كل قوم بلسانهم)، قلت: فمن يخالف القائم وقد نودي باسمه؟ قال: (لا يدعهم إبليس حتىٰ ينادي فيشكك الناس)[٧].

وعثمان الذي ينادي باسمه يحتمل الثالث، أو كناية عن دولة أهل الباطل، أو السفياني، فإنّ اسمه عثمان بن عنبسة[٨].

---

(١) «كمال الدين» ص٦٤٩، ح ٢، بتفاوت يسير. (٢) «كمال الدين» ص ٦٥٠، ح ٥.
(٣) «الكافي» ج٨، ص٢٥٨، ح ٤٨٤، صححناه علىٰ المصدر.
(٤) انظر: «مروج الذهب» ج ٣، ص٤٥١. (٥) «يونس» الآية: ٣٥.
(٦) «كمال الدين» ص ٦٥٠، ح ٤، مسنداً عن أبي جعفر.
(٧) «كمال الدين» ص ٦٥٠، ح ٨، بتفاوت يسير. (٨) انظر: «كمال الدين» ص ٦٥١، ح ٩.

وبإسناده عن المعلّىٰ بن خنيس، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: (صوت جبرئيل ﷺ من السماء، وصوت إبليس من الأرض، فاتبعوا الصوت الأول، وإياكم والأخير أن تفتتنوا به)[١].

وفي كشف الغمة: «عن أبي حمزة، قال: قلت لأبي جعفر ﷺ: خروج السفياني من المحتوم؟ قال: (نعم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من مغربها محتوم، واختلاف بني العباس في الدولة محتوم، وقتل النفس الزكية محتوم، وخروج القائم من آل محمد ﷺ محتوم). قلت: وكيف يكون النداء؟ قال: (ينادي منادٍ من السماء أول النهار: ألا إن الحق مع علي وشيعته، ثمّ ينادي إبليس آخر النهار من الأرض: ألا إن الحق مع عثمان وشيعته، فعند ذلك يرتاب المبطلون).

قلت*: لا يرتاب إلّا الجاهل؛ لأن منادي السماء أولىٰ أن يُقبَل من منادي الأرض»[٢].

قال ملّا محسن في الوافي: «وكأنه كنّىٰ بطلوع الشمس من مغربها في الحديث عن ظهوره ﷺ، كما يظهر من بعض الأخبار»[٣].

أقول: استبعاده إرادة الظاهر لا معنىٰ له، علىٰ أنّ احتماله لا يدفعه، فكلٌّ بحسب مقامه. ولا يُفهم من الأخبار ما احتمل أصلاً، علىٰ أنه لو فُهم من بعضٍ فلا يدل علىٰ إرادته من آخر، كيف وفي النص أنها علامات القائم، ومعدود خروجه معه؟!

فبطل احتمال هذه الكناية، وقد طلعت الشمس من مغربها قبلُ لعلي ﷺ مراراً[٤]، وليوشع[٥]. ويقع خسوف وكسوف قبل قيامه علىٰ خلاف مقتضىٰ الحساب[٦]، لأن ذلك من آيات الله، وهذا مجراها.

وفي الكافي، مسنداً عن عبد الرحمن بن مسلمة الجريري، قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: يوبّخونا ويكذّبونا أنّا نقول: إن صيحتين تكونان؛ يقولون: من أين تعرف المحقّة من المبطلة إذا كانتا؟ قال: (فماذا تردّون عليهم؟) قلت: ما نردّ عليهم شيئاً، قال: (قولوا:

---

(١) «كمال الدين» ص٦٥٢، ح١٣.
(*) أي العلاّمة الإربلي ﷺ.
(٢) «كشف الغمة» ج٣، ص٢٥٧، عن المفيد في: «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج١١/٢، ص٣٧١، بتفاوت يسير.
(٣) «الوافي» المجلد٢، ص٤٤٦.
(٤) «مناقب علي بن أبي طالب» لابن المغازلي، ص٩٦ - ٩٨، ح١٤٠ - ١٤١؛ «كفاية الطالب» ص٣٨١ - ٣٨٨.
(٥) «الكامل في التاريخ» ج١، ص٢٠٢.
(٦) انظر: «الكافي» ج٨، ص١٧٩، ح٢٥٨؛ «كمال الدين» ص٦٥٥، ح٢٥.

يصدّق بها ـ إذا كانت ـ مَن كان يؤمن بها من قبل، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَىٰ الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّن لا يهدي إلّا أن يُهدىٰ فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[(١)])[(٢)].

وروىٰ الصدوق بإسناده عن الصادق عليه السلام، أنه قال: (قال أبي: قال أمير المؤمنين عليه السلام: يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، وهو رجل رَبْعة، وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر جدري، إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان، وأبوه عنبسة، وهو من ولد أبي سفيان، حين يأتي أرضاً ذات قرار ومعين فيستوي علىٰ منبرها)[(٣)].

وبإسناده عن عمر بن يزيد، قال: قال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام: (إنك لو رأيت السفياني لرأيت أخبث الناس، أشقر أحمر أزرق، يقول: يا رب ثاري ثاري ثمّ النار، ولقد بلغ من خبثه أنه يدفن أُم ولد له وهي حية، مخافة أن تدلّ عليه)[(٤)].

وبإسناده عنه عليه السلام، أنه سئل عن اسم السفياني، فقال: (وما تصنع باسمه؟ إذا ملك كُوَر الشام الخمس ـ دمشق وحمص وفلسطين والأُردن وقِنَّسرين ـ فتوقعوا عند ذلك الفرج)، قلت: يملك تسعة أشهر؟ قال: (لا، ولكن يملك ثمانية أشهر، لا يزيد يوماً)[(٥)].

أقول: الكُورَة: المدينة، والجمع: الكُوَر[(٦)].

في الكافي، بإسناده عن يعقوب السرّاج، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متىٰ فرج شيعتكم؟ قال: فقال: (إذا اختلف ولد العباس، ووهىٰ سلطانهم، وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم، وخلعت العرب أعنّتها، ورفع كل ذي صيصية صيصيته، وظهر الشامي، وأقبل اليماني، وتحرك الحسني، وخرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلىٰ مكة بتراث رسول الله).

فقلت: ما تراثه؟ قال: (سيف رسول الله ودرعه وعمامته وبرده وقضيبه ورايته ولامته وسرجه. حتىٰ ينزل مكة، فيخرج السيف من غمده، ويلبس الدرع، وينشر الراية والبُردة والعمامة، ويتناول القضيب بيده، ويستأذن الله في ظهوره، فيطلع علىٰ ذلك بعض مواليه، فيأتي الحسني فيخبره الخبر، فيبتدر الحسني الىٰ الخروج، فيثب عليه أهل مكة فيقتلونه ويبعثون برأسه إلىٰ الشامي، فيظهر عند ذلك صاحب هذا الأمر، فيبايعه الناس ويتبعونه.

---

(١) «يونس» الآية: ٣٥.

(٢) «الكافي» ج٨، ص١٧٧، ح٢٥٢، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «كمال الدين» ص٦٥١، ح٩.

(٤) «كمال الدين» ص٦٥١، ح١٠، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «كمال الدين» ص٦٥١، ح١١.

(٦) انظر: «الصحاح» ج٢، ص٨١٠، مادة «كور».

ويبعث الشامي عند ذلك جيشاً إلىٰ المدينة، فيهلكهم الله عزّ وجلّ دونها، فيهرب يومئذ من كان بالمدينة من ولد علي عليه السلام إلىٰ مكة، فيلحقون بصاحب هذا الأمر. ويقبل صاحب هذا الأمر نحو العراق، ويبعث جيشاً إلىٰ المدينة، فيأمن أهلها ويرجعون إليها)[١].

أقول: الوَهْي: الشق في الشيء والخرق فيه، واسترخاء الرباط[٢].

والصِّيصِية ـ بالكسر ـ: «الحِصْنُ وكل ما امتُنِع به»[٣].

والشامي: السفياني. واليماني: رجل يخرج من اليمن يدعو باسم القائم. والمقتول بمكة: النفس الزكية.

واللّامة: نوع من الدرع[٤].

وباسناده عن الفضل الكاتب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه كتاب أبي مسلم، فقال: **(ليس لكتابك جواب، اخرج عنّا)**. فجعلنا يسارّ بعضنا بعضنا، فقال: **(أيّ شيء تسارّون يا فضل؟! إنّ الله تعالىٰ لا يعجل لعجلة العباد، ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال مُلك لم ينقض أجله)**. ثمّ قال: **(إنّ فلان بن فلان)**، حتّىٰ بلغ السابع من ولد فلان.

قلت: فما العلامة فيما بيننا وبينك، جعلت فداك؟ قال: **(لا تبرح الأرض يا فضل حتىٰ يخرج السفياني، فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا ـ يقولها ثلاثاً ـ وهو من المحتوم)**[٥].

أقول: أبو مسلم هذا هو الخراساني الذي قتل بني اُمية وأزالهم عن سلطانهم، ومهّد الأمر لبني العباس، بعد أن عرضه علىٰ أبي عبد الله عليه السلام وعبد الله بن الحسن فامتنعا، لعلم الإمام بالعاقبة وحاله، ولو كان لكان الإمام أحق وأقدر وأقهر.

وبسنده عن بدر بن الخليل الأزدي، قال: كنت جالساً عند أبي جعفر عليه السلام، فقال: **(آيتان تكونان قبل قيام القائم عليه السلام، لم تكونا منذ هبط آدم إلىٰ الأرض، تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان، والقمر في آخره)**. فقال رجل: يابن رسول الله، تنكسف الشمس في آخر الشهر، والقمر في النصف؟! فقال أبو جعفر عليه السلام: **(إني أعلم ما تقول ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام)**[٦].

---

(١) «الكافي» ج٨، ص١٨٨، ح٢٨٥، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) انظر: «لسان العرب» ج١٥، ص٤١٩، مادة «وهي».

(٣) «القاموس المحيط» ج٢، ص٤٥١.

(٤) انظر: «لسان العرب» ج١٢، ص٢١٣، مادة «لأم».

(٥) «الكافي» ج٨، ص٢٢٩، ح٤١٢، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) «الكافي» ج٨، ص١٧٩، ح٢٥٨.

أقول: وفيه دليل علىٰ صدق مقالة أهل الهيئة من سبب الخسوف والكسوف؛ لقوله عليه السلام: (إنّي أعلم)، ولم ينفه عنه، بل أقرّه.

ورواه الصدوق هكذا: قال: (آيتان بين يدي هذا الأمر: خسوف القمر لخمس، وكسوف الشمس لخمسة عشر، ولم يكن ذلك منذ هبط آدم عليه السلام إلىٰ الأرض، وعند ذلك يسقط حساب المنجمين)[1].

وقال الشيخ محمد بن محمد بن النعمان ـ الملقب بالمفيد ـ في كتاب الإرشاد: «قد جاءت الآثار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي، وحوادث تكون أمام قيامه، وآيات ودلالات.

فمنها: خروج السفياني، وقتل الحسني، واختلاف بني العباس في الملك، وكسوف الشمس في النصف من رمضان، وخسوف القمر في آخره، علىٰ خلاف العادات، وخسف بالبيداء، وخسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وركود الشمس من عند الزوال إلىٰ وسط أوقات العصر، وطلوعها من المغرب.

وقتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام، وهدم حائط مسجد الكوفة، وإقبال رايات سود من قبل خراسان، وخروج اليماني، وظهور المغربي بمصر وتملّكه للشامات، ونزول الترك الجزيرة، ونزول الروم الرملة.

وطلوع نجم بالمشرق، يضيء كما يضيء القمر، ثمّ ينعطف حتىٰ يكاد يلتقي طرفاه، وحُمرة تظهر في السماء وتنتشر في آفاقها، ونار تظهر بالمشرق طولاً وتبقىٰ في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيام.

وخلع العرب أعنّتها، وتملّكها البلاد، وخروجها علىٰ سلطان العجم، وقتل أهل مصر أميرهم، وخراب الشام، واختلاف ثلاث رايات فيه، ودخول رايات قيس والعرب إلىٰ مصر، ورايات كندة إلىٰ خراسان، وورود خيل من قبل المغرب حتىٰ تربط بفناء الحيرة، وإقبال رايات سود من المشرق نحوها، وبَثْق في الفرات حتىٰ يدخل الماء أزقة الكوفة.

وخروج ستين كذّاباً كلهم يدّعي النبوة، وخروج اثني عشر من آل أبي طالب كلهم

---

(١) «كمال الدين» ص ٦٥٥، ح ٢٥، وفيه: (اثنان) بدل: (آيتان).

يدّعي الإمامة لنفسه، وإحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولاء وخانقين، وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد، وارتفاع ريح سوداء بها في أول النهار، وزلزلة حتىٰ ينخسف كثير منها.

وخوف يشمل أهل العراق، وموت ذريع فيه، ونقص من الأنفس والأموال والثمرات، وجراد يظهر في أوانه وفي غير أوانه، حتىٰ يأتي علىٰ الزرع والغلات، وقلة ريع ما يزرعه الناس، واختلاف صنفين من العجم، وسفك دماء كثيرة فيما بينهم، وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقتلهم مواليهم، ومسخ لقوم من أهل البدع حتىٰ يصيروا قردة وخنازير، وغلبة العبيد علىٰ بلاد السادات.

ونداء من السماء يسمعه أهل الأرض، كل أهل لغة بلغتهم، ووجهٌ وصدرٌ يظهران من السماء للناس في عين الشمس، وأموات ينشرون من القبور، حتىٰ يرجعون إلىٰ الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون.

ثمّ يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل، فتحييٰ بها الأرض بعد موتها، وتعرف بركاتها، وتزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي عليه السلام، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة، فيتوجهون نحوه لنصرته، كما جاءت بذلك الأخبار.

ومن جملة هذه الأحداث محتومة، ومنها مشترَطة، والله أعلم بما يكون، وإنما ذكرناها علىٰ حسب مافي الأصول، وتضمنها الأثر المنقول»[١].

وقال صاحب كشف الغمّة بعد إيرادها: «ولا ريب أنّ هذه الحوادث فيها ما يحيله العقل، وفيها ما يحيله المنجمون، ولهذا اعتذر الشيخ المفيد رحمه الله في آخر إيراده لها. والذي أراه إذا صحّت طرقات نقلها، وكانت منقولة عن النبي أو الإمام عليه السلام، فحقها أن تتلقىٰ بالقبول؛ لأنها معجزات، والمعجزات خوارق للعادات، كانشقاق القمر وانقلاب العصا ثعباناً»[٢] انتهىٰ.

أقول: وليس فيها ما يحيله العقل، وما هو مخالف لقاعدة الفلك قد أتىٰ الإمام بجوابه، فاستبصر.

وروىٰ الصدوق بإسناده عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (الصيحة

---

(١) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ٢/١١، ص٣٦٨، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٥٦، صححناه علىٰ المصدر.

التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة، لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان)[١].

وبإسناده عن أبي الصلت الهروي، قال: قلت للرضا عليه السلام : ما علامات القائم منكم إذا خرج؟ قال: (علامته أن يكون شيخ السن، شاب المنظر، حتىٰ إن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإن من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي حتىٰ يأتيه أجله)[٢].

وبإسناده عن أبي بصير ومحمد بن مسلم، قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: (لا يكون هذا الأمر حتىٰ يذهب ثلثا الناس)، فقيل له: إذا ذهب ثلثا الناس فما يبقىٰ؟ فقال: (أما ترضون أن تكونوا الثلث الباقي؟)[٣].

قال الصدوق: «وقد أخرجت ماروي في علامات خروج القائم عليه السلام ـ وسيرته وما يخرج في أيامه ـ في كتاب السرّ المكتوم إلىٰ الوقت المعلوم»[٤].

وفي حديث أبي عبد الله عليه السلام مع المنصور في موكبه كثير من علامات آخر الزمان، وهو طويل، وقد أورده المصنف في روضة الكافي[٥].

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن يمان التمّار، قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام جلوساً، فقال لنا: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة، المتمسّك فيها بدينه كالخارط للقتاد، ثمّ قال ـ هكذا بيده ـ فأيّكم يمسك شوك القتاد بيده ؟ ثمّ أطرق مليّاً، ثمّ قال: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتّق الله عبد وليتمسّك بدينه﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن عليّ بن جعفر، عن أخيه موسىٰ بن جعفر عليه السلام ، قال: إذا فُقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم، لا يزيلكم عنها أحد. يا بنيّ،

---

(١) «كمال الدين» ص ٦٥٠، ح ٦.

(٢) «كمال الدين» ص ٦٥٢، ح ١٢، صحّحناه علىٰ المصدر.

(٣) «كمال الدين» ص ٦٥٥، ح ٢٩، وفيه: (ثلث) بدل: (ثلثا).

(٤) «كمال الدين» ص ٦٥٦، بتفاوت يسير.

(٥) «الكافي» ج ٨، ص ٣١، ح ٧.

إنّه لابدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة، حتّىٰ يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنّما هي محنة من الله عزَّ وجلَّ امتحن بها خلقه، لو علم آباؤكم وأجدادكم ديناً أصحّ من هذا لاتّبعوه.

قال: فقلت: يا سيّدي، من الخامس من ولد السابع؟ فقال: يا بنيّ، عقولكم تصغر عن هذا، وأحلامكم تضيق عن حمله، ولكن إن تعيشوا فسوف تدركونه ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٣﴾

قوله: ﴿عن المفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إيّاكم والتنويه، أما والله ليغيبنّ إمامكم سنيناً من دهركم، ولتمحصنّ، حتّىٰ يقال: مات، قتل، هلك، بأي وادٍ سلك؟ ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين، ولتكفأنّ كما تكفأ السفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلّا من أخـذ الله [له][1] ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيده بروح منه، ولترفعن اثنتا عشرة راية مشتبهة، لا يُدرىٰ أيّ من أي.

قال: فبكيت، ثمّ قلت: فكيف نصنع؟ [قال][2]: فنظر إلىٰ شمس داخلة في الصفة فقال: يا أبا عبد الله، ترىٰ هذه الشمس؟ قلت: نعم، فقال: والله لأمرنا أبين من هذه الشمس﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٤﴾

قوله: ﴿عن سَدير الصيرفي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ في صاحب هذا الأمر شبهاً من يوسف عليه السلام، قال: قلت له: كأنّك تذكره، حياته أو غيبته؟ [قال:] فقال لي: وما ينكر من ذلك هذه الأمة أشباه

---

(١) ليست في المصدر.

(٢) ليست في المصدر.

الخنازير؟! إنّ إخوة يوسف عليه السلام كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء، تاجروا يوسف وبايعوه وخاطبوه، وهم إخوته وهو أخوهم، فلم يعرفوه حتّىٰ قال: أنا يوسف وهذا أخي.

فما تنكر هذه الأمّة الملعونة أن يفعل الله عزّ وجلّ بحجّته ـ في وقت من الأوقات ـ كما فعل بيوسف؟! إنّ يوسف عليه السلام كان إليه ملك مصر، وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يعلمه لقدر علىٰ ذلك، لقد سار يعقوب عليه السلام وولده عند البشارة تسعة أيّام من بدوهم إلىٰ مصر.

فما تنكر هذه الأمة أن يفعل الله جلّ وعزّ بحجّته كما فعل بيوسف، أن يمشي في أسواقهم، ويطأ بسطهم، حتّىٰ يأذن الله في ذلك [له] كما أذن ليوسف، قالوا: ﴿ أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ ﴾[1] ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿ عن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ للغلام غيبة قبل أن يقوم، قال: قلت: ولمَ؟ قال: يخاف ـ وأومأ بيده إلىٰ بطنه ـ ثمّ قال: يا زرارة، وهو المنتظر، وهو الذي يشكّ في ولادته، منهم من يقول: مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول: حملٌ، ومنهم من يقول: إنّه ولد قبل موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر، غير أنّ الله عزّ وجلّ يحبُّ أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون يا زرارة.

قال: قلت: جعلت فداك، إن أدركت ذلك الزمان أيّ شيء أعمل؟ قال: يا زرارة، إذا أدركت ذلك[2] الزمان فادع بهذا الدعاء: اللّهم عرّفني نفسك، فإنك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك، اللّهم عرّفني رسولك، فإنك إن

---

(١) «يوسف» الآية: ٩٠.

(٢) في المصدر: «هذا».

لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجتك، اللّهم عرّفني حجتك، فإنك إن لم تعرّفني حجتك ضللت عن ديني.

ثمّ قال: يا زرارة، لابدّ من قتل غلام بالمدينة، قلت: جعلت فداك، أليس يقتله جيش السفياني؟ قال: لا، ولكن يقتله جيش آل بني فلان، يجيء حتىٰ يدخل المدينة فيأخذ الغلام فيقتله، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لا يمهلون، فعند ذلك توقّع الفرج إن شاء الله ﴾.

أقول: وقد تضمن الحديث الثاني أنّ من حِكَم الغيبة أنها محنة امتحن الله بها خلقه، ليميّز الخبيث من الطيب، ومن هو صادق في دعواه أو كاذب، كسائر التكاليف.

وليس قوله عليه السلام: (لو علم آباؤكم وأجدادكم) إلىٰ آخره، استدلالاً بمجرد قول الآباء والأجداد علىٰ صدق الدين، فإنّ الله قد ذم من كان كذلك بقوله: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا ﴾[1] إلىٰ آخره، ﴿ قَالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا ﴾[2] الآية، لكن آباءهم لمّا كانوا معروفين عندهم بالصلاح وشدة التحفظ وطلب السلامة، استدل عليهم باعتقادهم علىٰ صدق الدين؛ من باب الموعظة، وليس كذلك الوجدانيون المذمومون في القرآن، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿ وإذا فَعَلُوا فاحِشةً قَالُوا وَجَدْنا عَلَيها آباءَنا وَاللهُ أَمَرَنا بِهَا ﴾[3].

ولمّا كانت التقية مستمرة، وهي بعد الغيبة شديدة، نهىٰ الإمام عليه السلام عن التنويه به، فإنه يوجب سخرية به عليه السلام، وقد يُنال منه، ويقع ضرر بمن يذكره وينوّه به من العامة، خذلهم الله وعجّل الله بذهابهم بظهوره.

وعلل عليه السلام تحريم التنويه به بأنه: (ليغيبنّ) الإمام عليه السلام (سنيناً)، وليقع بها التمحيص، حتىٰ يرجع عن إمامته بعض من يقول بها، ﴿ كَالَّذِينَ أُوْتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[4]، كما قال الله تعالىٰ في كتابه. وبعض يقول: قتل، وآخر: لا يدرىٰ أين هو. وقد سبق[5] نقل الخلاف فيه.

فكأن السائل توهم من ذلك خفاء السبيل وطريق معرفته، حال ظهور هذه الاختلافات

---

(١) «الزخرف» الآية: ٢٢.
(٢)، (٣) «الأعراف» الآية: ٢٨.
(٤) «الحديد» الآية: ١٦.
(٥) انظر: الباب الأول من هذا المجلد، المقدمة الأولىٰ.

والشبه، فقال: كيف نصنع؟ فأجابه عليه السلام بالنظر إلىٰ الشمس، فكما أن نورها ظاهر لاشك فيه كذلك هو حينئذ، فطريق الحق مستمر ظهوره، ولا يبطله شبه الأباطيل وحزب الشيطان، ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيا ﴾[١]، بل أمرهم عليهم السلام أبين من ظهور الشمس؛ فإنه مشرق علىٰ العقول، وهو الباطن وباطنه، والظاهر وظاهره، فهو أشد وضوحاً من هذه الشمس الحسية، المقصور نورها ظاهراً علىٰ عالم الأجسام وظاهر الحواس.

ثمّ لمّا كان الإمام الثاني عشر أفضل من أنبياء أُولي العزم، ما سوىٰ محمد صلى الله عليه وآله، كان [ما] فيهم من صفات الكمال ففيه مثلها وزيادة، فهو الأصل لهم، وهذا ظاهر من صحيح الأخبار وصريح الاعتبار، فما فيهم من حسن الابتلاء وغيره فيه مثله.

والعامة يسلّمون ذلك إذا تلي عليهم في الأنبياء السابقين، وإذا قيل لهم بمثله في الإمام أنكروه وخرجوا إلىٰ الاستهزاء بآيات الله واللعب بها. مثلاً: يسلّمون أنّ يوسف بقي مدة في مصر، وبالنسبة لإخوانه هو يعرفهم وهم له منكرون. وإن قيل لهم: القائم عليه السلام يحضر المحافل، ويرىٰ الخلق ويعرفهم، وهم يرونه ولا يعرفونه، قالوا: افتراء.

فكيف تنكر هذه الأُمة ـ الملعونة في قوله تعالىٰ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ إلىٰ: ﴿ أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ ﴾[٢] وفي غيرها كثير، وكذا النصوص ـ أمرَ القائم، وفعلَ الله الذي لا يعجزه شيء، والمدبّر لخلقه كمال التدبير ولخليفته، كما فعل بمن سبق؟!

وكذا الكلام في خفاء الولادة في الجملة، والخلاف في موته أو بقائه، فموسىٰ عليه السلام كان مخفي الولادة، وعيسىٰ اختُلف فيه؛ قُتل أو صُلب، ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[٣].

وروىٰ الصدوق في الإكمال بسنده عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: (في القائم عليه السلام سنّة من موسىٰ بن عمران)، فقلت: وما سنّة موسىٰ بن عمران؟ قال: (خفاء مولده، وغيبته عن قومه)، فقلت: وكم غاب موسىٰ عن قومه وأهله؟ قال: (ثماني وعشرين سنة)[٤].

---

(١) «التوبة» الآية: ٤٠. (٢) «محمد» الآية: ٢٢ – ٢٣.

(٣) «النساء» الآية: ١٥٧.

(٤) «كمال الدين» ص١٥٢، ح١٤؛ ص٣٤٠، ح١٨، بتفاوت يسير.

وبسنده عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله ﵇: (إنّ في صاحب هذا الأمر سنناً من الأنبياء، سنّة من موسىٰ بن عمران، وسنّة من عيسىٰ، وسنّة من يوسف، وسنّة من محمد، صلوات الله عليهم. فأمّا سنّة من موسىٰ فخائف يترقب، وأمّا سنّة من عيسىٰ فيقال فيه ما قيل في عيسىٰ، وأمّا سنّة من يوسف فالستر، يجعل الله بينه وبين الخلق حجاباً، يرونه ولا يعرفونه. وأمّا سنة من محمد ﷺ فيهتدي بهداه ويسير بسيرته)[1].

وبسنده عن سدير الصيرفي، قال: دخلت أنا والمفضّل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب علىٰ أبي عبد الله الصادق ﵇ فرأيناه جالساً علىٰ التراب وعليه مِسْح خيبري...، وهو يبكي بكاء الواله الثكلىٰ...، إلىٰ أن قال ﵇ بعد كلام طويل: (إنّ الله تبارك وتعالىٰ أدار في القائم منّا ثلاثة أدارها في ثلاث من الرسل، قدّر مولده تقدير مولد موسىٰ، وقدّر غيبته تقدير غيبة عيسىٰ، وقدّر إبطاءه تقدير إبطاء نوح، وجعل له من بعد ذلك عمر العبد الصالح ـ أعني الخضر ـ دليلاً علىٰ عمره).

فقلنا: اكشف لنا يابن رسول الله عن وجوه هذه المعاني.

فقال: (أمّا مولد موسىٰ فإن فرعون لمّا وقف علىٰ أنّ زوال ملكه علىٰ يده أمر بإحضار الكهنة، فدلّوه علىٰ نسبه وأنه يكون من بني إسرائيل، ولم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل، حتىٰ قتل في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود، ولم يصل لموسىٰ؛ لحفظ الله له. وكذلك بنو أمية وبنو العباس لمّا وقفوا علىٰ أنّ زوال ملكهم علىٰ يد القائم منّا ناصبونا العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل أهل البيت وإبادة نسلهم؛ طمعاً منهم في الوصول إلىٰ قتل القائم، ويأبىٰ الله أن يكشف أمره لواحد من الظلمة، إلّا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

وأمّا غيبة عيسىٰ، فإنّ اليهود والنصارىٰ اتفقوا علىٰ أنه قُتل، وكذّبهم الله تعالىٰ بقوله: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[2]. كذلك غيبة القائم، فإنّ الأمة ستنكرها لطولها، فمن قائل بغير هدىً: إنه لم يولد، وقائل: ولد ومات، وقائل يكفر بقوله: إنّ حادي عشرنا كان عقيماً، وقائل يمرق بقوله: إنه يتعدىٰ إلىٰ ثلاثة عشر فصاعداً، وقائل يعصي الله بقوله: إنّ روح القائم ينطق في هيكل غيره.

وأمّا إبطاء نوح، فإنه لمّا استنزلت العقوبة علىٰ قومه من السماء بعث الله الروح الأمين بسبع

---

(١) «كمال الدين» ص ٣٥٠، ح ٤٦، بتفاوت يسير.

(٢) «النساء» الآية: ١٥٧.

نويّات، فقال: يا نبي الله، إنّ الله تبارك وتعالىٰ يقول لك: إنّ هؤلاء خلائقي وعبادي، ولست أبيدهم بصاعقة من صواعقي إلّا بعد تأكيد الدعوة وإلزام الحجّة، فعاود اجتهادك في الدعوة لقومك فإني مثيبك عليه، واغرس هذه النوىٰ، فإنّ لك في نباتها وبلوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرجَ والخلاص، فبشّر بذلك من اتبعك من المؤمنين.

فلمّا نبتت الأشجار وأثمرت ومضىٰ زمن استنجز من الله سبحانه وتعالىٰ العدة، فأمره الله أن يغرس من نوىٰ تلك الأشجار، ويعاود الصبر والاجتهاد، ويؤكد الحجّة علىٰ قومه، فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به، فارتد منهم ثلاثمائة رجل، وقالوا: لو كان ما يدّعيه نوح حقاً لما وقع في وعد ربه خُلفٌ.

ثمّ إنّ الله تبارك وتعالىٰ لم يزل يأمره عند كل مرة أن يغرسها تارة بعد أُخرىٰ، إلىٰ أن غرسها سبع مرات، فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين ترتد منهم طائفة بعد أُخرىٰ، إلىٰ أن عاد إلىٰ نيف وسبعين رجلاً، فأوحىٰ الله إليه عند ذلك وقال: يا نوح، الآن أسفر الصبح عن الليل لعينك، حين صرح الحق عن محضه وصفا من الكدر، بارتداد كل من كانت طينته خبيثة، فلو أني أهلكت الكفار وأبقيت من قد ارتد من الطوائف التي كانت آمنت بك لما كنت صدّقت وعدي السابق للمؤمنين، الذين أخلصوا التوحيد من قومك، واعتصموا بحبل نبوتك، بأن أستخلفهم في الأرض، وأمكّن لهم دينهم، وأبدل خوفهم بالأمن، لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشرك من قلوبهم.

وكيف يكون الاستخلاف والتمكين وبدل الخوف بالأمن منّي لهم، مع ماكنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدّوا، وخبث طينتهم، وسوء سرائرهم، التي كانت نتائج النفاق وسنوح الضلالة، فلو أنهم تنسموا مني الملك الذي أُوتي المؤمنين وقت الاستخلاف إذا أهلكت أعداءهم لنشقوا روائح صفاته، ولاستحكمت سرائر نفاقهم، وتأبّدت حبال ضلالة قلوبهم، وكاشفوا إخوانهم بالعداوة، وحاربوهم علىٰ طلب الرئاسة والتفرد بالأمر والنهي.

وكيف يكون التمكين في الدين وانتشار الأمر في المؤمنين مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب، كلّا، فاصنع الفلك بأعيننا ووحينا).

قال الصادق عليه السلام: (وكذلك القائم عليه السلام فإنه تمتد أيام غيبته، ليصرح الحق عن محضه، ويصفو الإيمان من الكدر، بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة، الذين يخشىٰ عليهم النفاق إذا أحسّوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم عليه السلام).

قال المفضّل: فقلت: يابن رسول الله، إن النواصب تزعم أنّ هـذه الآيـة نـزلت فـي... وعلي.

قال: (لا يهدي الله قلوب الناصبة، متىٰ كان الدين الذي ارتضاه الله ورسوله متمكناً، بانتشار الأمن في الأمة، وذهاب الخوف من قلوبها، وارتفاع الشك من صدورها، في عهد أحد من هؤلاء وفي عهد علي عليه السلام، مع ارتداد المسلمين، والفتن التي كانت تثور في أيامهم، والحروب التـي كانت تنشب بين الكفار وبينهم؟!). ثمّ تلا الصادق عليه السلام: (﴿ حَتَّىٰ إذا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا ﴾[١].

وأمّا العبد الصالح ـ أعني الخضر عليه السلام ـ فإنّ الله تبارك وتعالىٰ ما طوّل عمره لنبوة قدّرها له، ولا لكتاب ينزل عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبله من الأنبياء، ولا لإمامة يـلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له. بلىٰ، إنّ الله تبارك وتعالىٰ لمّا كان في سابق علمه أن يقدّر من عمر القائم في أيام غيبته ما يقدّر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طوّل عمر العبد الصالح، من غير سبب أوجب ذلك إلّا لعلة الاستدلال بـه عـلىٰ عـمر القائم عليه السلام، وليقطع بذلك حجة المعاندين؛ لئلا يكون للناس علىٰ الله حجة)[٢].

وما رووه العامة[٣] من حديث حذو |هذه| الأمة حذو تلك الأُمم يوجب [أن يقع][٤] هنا ما وقع هناك، من المحن والفتن والردة وغير ذلك.

وهذا الغلام المقتول من جيش آل بني فلان[٥] ـ أي بني أُمية ـ غير الغلام الوارد قتله في الكوفة وفي مكة أيضاً، كما ورد بذلك بعض النصوص[٦].

---

(١) «يوسف» الآية: ١١٠.

(٢) «كمال الدين» ص٣٥٢، ح٥٠؛ وعنه في: «بحار الأنوار» ج٥١، ص٢١٩، ح٩، باختلاف بعض الألفاظ، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «سنن الترمذي» ج٥، ص٢٦، ح٢٦٤١؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج١، ص١٢٩.

(٤) في الأصل: «وقوع».

(٥) إشارة إلىٰ قوله عليه السلام في ح٥: (ولكن يقتله جيش آل بني فلان). فـ«مِن» في قول المؤلف: «من جيش» سببية.

(٦) «بحار الأنوار» ج٥٢، ص٢٧٣، ح١٦٧، وفيه: (وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة... والمذبوح بين الركن والمقام).

رَجْعٌ

إلىٰ شرح الأحاديث

الشِّبْهُ ـ بالكسر والسكون ـ: التشابه والتماثل[١]. والقَتادُ: شجر ذو شوك[٢]، والخَرْط: انتزاع الورق والشوك باليد اجتذاباً عن أعلىٰ الغصن[٣]، عكس المَرْط[٤]. وخَرْطُ القَتاد ـ وخارطه ـ: مَثَلٌ يُضرب لكل أمر صعب ومرتكب له.

وروىٰ الصدوق هذه الأحاديث في الإكمال[٥].

وإنّما كان المتمسك بدينه زمن الغيبة كخارط القتاد لما فيها من غيبة الإمام وظهور الشُّبه والظلام، المقتضي ذلك للاحتياج إلىٰ زيادة الصبر والمرابطة وغير ذلك.

والمراد بـ(الخامس) في الحديث الثاني: المهدي عليه السلام، والسابع: موسىٰ الكاظم الإمام. و(يا بني) يصح قراءتها بالجمع، فيدخل* فيهم تغليباً، أو تصغير (ابن)، تعظيماً [وترحّماً][٦].

ولما كانت الغيبة مما يقع بها الامتحان والاختبار [للناس، والتخليص][٧] فيه قائم حتىٰ الظهور، كان منهم من يرجع عن دينه ممن كان يقرّ به، وقد شاهدناه ولا شكّ فيه. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾[٨]، وكذا وقع زمن تأخير الطوفان تلك المدة، فقد تبيّن وجه الامتحان بها.

ولا شكّ في حسن التكليف، كما كلّف واختبر بتغيير القبلة، وعدد الزبانية وغيرها، فاستنطق بها الحقائق.

ولمّا كانت حقيقة الإمام ما عرفت ـ في الجزء السابق ـ كانت العقول في قصور عن إدراكه، والأحلام في ضيق عن تحمّل وصفه، بل لا يعرف حقيقته إلّا الله ورسوله، ولو اطلع

---

(١) في «لسان العرب» ج٧، ص٢٣، مادة «شبه»: «الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبيهُ: المِثْل».

(٢) انظر: «القاموس المحيط» ج١، ص٦١٧. (٣) انظر: «لسان العرب» ج٤، ص٦٤، مادة «خرط».

(٤) المَرْطُ: نتف الشعر والريش والصوف عن الجسد، «لسان العرب» ج١٣، ص٨١، مادة «مرط».

(٥) «كمال الدين» ص٣٤١، ح٢١، ص٣٤٢، ح٢٤؛ ص٣٤٦، ح٣٤؛ ص٣٤٧، ح٣٥؛ ص٣٥٩، ح١.

(*) أي علي بن جعفر أخو الإمام الكاظم عليه السلام. (٦) في الأصل: «وترحما».

(٧) في الأصل: «والناس والخلص». (٨) «الأنعام» الآية: ٩٨.

عليه كذلك غيرهم كان أفضل، وليس كذلك.

ولمّا كان لله المشيئة في زيادة الأجل ونقصه قال لهم: (إن تعيشوا فسوف تدركونه).

والتَّمْحيصُ. «الابتلاء والاختبار والتنقيص»[1].

وفي بعض النسخ: (ولتمخض) بالخاء والضاد المعجمتين.

يقال: «مَخَضَ اللَّبنَ، يَمْخُضُهُ، أخَذَ زُبْدَه»[2].

وفي بعض النسخ أيضاً: (ولتمحض) بالحاء المهملة ثمّ الضاد المعجمة.

والمَحْضُ: «اللبن الخالص ... وأمحَضَهُ الودَّ: أخلَصَه،، كمَحَضَهُ»[3].

ويقال: «كَفَأتُ الإناءَ كَبَبْتُهُ وَقَلَبْتُهُ، فهو مَكْفوءٌ»[4].

ولمّا كانت معرفة الله كما هي توجب معرفة النبي ﷺ نفىٰ معرفة النبي مع عدم معرفة الله، وكذا في معرفة الحجّة.

وأدعية الغيبة كثيرة، كدعاء الندبة، وغيره، من أرادها فليراجع كتب الدعاء والمزارات.

ومافي الأحاديث من البيان ظاهر.

❑ الحديث رقم ﴿٦﴾

قوله: ﴿عن عبيد بن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: يفقد الناس إمامهم، يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٧﴾

قوله: ﴿عن الأصبغ بن نباتة، قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته متفكّراً ينكت في الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين، مالي أراك متفكراً تنكت في الأرض، أرغبة منك فيها؟ فقال: لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوماً قط، ولكنّي فكّرت في مولود يكون من ظهري، الحادي عشر من ولدي، هو المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً

---

(١) «القاموس المحيط» ج٢، ص٤٦٦.

(٢) «القاموس المحيط» ج٢، ص٥٠٦، بتفاوت يسير.

(٣) «القاموس المحيط» ج٢، ص٥٠٦.

(٤) «الصحاح» ج١، ص٦٨، مادة «كفأ».

وظلماً، تكون له غيبةٌ وحيرةٌ، يضلّ فيها أقوام، ويهتدي فيها آخرون.

فقلت: يا أمير المؤمنين، وكم تكون الحيرة والغيبة ؟ قال: ستّة أيام، أو ستّة أشهر، أو ستُّ سنين. قلت: وإنّ هذا لكائن ؟ فقال: نعم، كما أنه مخلوق، وأنّىٰ لك بهذا الأمر يا أصبغ! أولئك خيار هذه الأمة مع خيار أبرار هذه العترة.

فقلت: [ثمّ] ما يكون بعد ذلك؟ فقال: ثمّ يفعل الله ما يشاء، فإنّ له بداءات وإرادات وغايات ونهايات ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٨﴾

قوله: ﴿عن معروف بن خَرَّبوذ، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّما نحن كنجوم السماء، كلّما غاب نجمٌ طلع نجمٌ، حتىٰ إذا أشرتم بأصابعكم وملتم بأعناقكم غيّب الله عنكم نجمكم، فاستوت بنو عبد المطلب، فلم يُعرف أيّ من أيّ، فإذا طلع نجمكم فاحمدوا ربكم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٩﴾

قوله: ﴿عن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ للقائم عليه السلام غيبة قبل أن يقوم، قلت: ولمَ؟ قال: إنّه يخاف ـ وأومأ بيده إلىٰ بطنه، يعني القتل ـ ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿١٠﴾

قوله: ﴿عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن بلغكم عن صاحب هذا الأمر غيبة فلا تنكروها ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿١١﴾

قوله: ﴿عن مفضّل بن عمر، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، وعنده في البيت أُناس، فظننت أنّه إنّما أراد بذلك غيري، فقال: أما والله ليغيبنّ

عنكم صاحب هذا الأمر، وليخملنّ [هذا] حتّىٰ يقال: مات، هلك، في أيّ وادٍ سلك، ولتكفأن كما تكفأ السفينة في أمواج البحر، لا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه، وكتب الإيمان في قلبه، وأيده بروح منه، ولتُرفعنّ اثنتا عشرة راية مشتبهة، لا يدرىٰ أيّ من أيّ.

قال: فبكيت، فقال: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ فقلت: جعلت فداك، كيف لا أبكي وأنت تقول: اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يدرىٰ أيٌّ من أيّ! قال ـ وفي مجلسه كوّة تدخل فيها الشمس، فقال ـ: أبيّنة هذه [الشمس][1]؟ فقلت: نعم، قال: أمرنا أبينُ من هذه الشمس ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٢ ﴾

قوله: ﴿ عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: للقائم غيبتان، يشهد في إحداهما المواسم، يرىٰ الناس ولا يرونه ﴾.

النَّكْتُ: الضرب في الأرض بقضيب ونحوه[2].

وقوله: (ستة أيام، أو ستة أشهر، أو ست سنين)؛ إما تشكيك من الراوي، أو أنّ اللفظ من الإمام، وهو لا ينافي ماورد من تحريم التوقيت كما سيأتي في باب كراهية التوقيت، فإنّ لله بداءات، (يفعل الله ما يشاء)، كما في آخر الحديث، فوقع عدمه بعدُ؛ أو أنّ الغاية الأُولىٰ مشروطة بعدم وقوع أمر من الأُمة، فإن وقع [أمر][3] وقع، وهكذا، وبعدُ ارتفع.

وقال الفاضل الشارح محمد صالح: «لعل القائل سأل عن مقدار زمان الغيبة والحيرة معاً، فأجاب عليه السلام بأن زمان مجموعهما أحد الأزمنة المذكورة، وبعد ذلك ترتفع الحيرة وتبقىٰ الغيبة. والترديد بالنسبة إلىٰ تفاوت مراتب الأشخاص، فقد ترتفع حيرة شخص بعد ستة أيام، وترتفع حيرة الآخر بعد ستة أشهر، أو ست سنين»[4]. ثمّ ذكر ما قلناه، انتهىٰ.

وفي احتمال هذا ما لا يخفىٰ، ويحتمل أنه عليه السلام قال بهذا الترديد ليبيّن للسائل عدم

---

(١) ليست في المصدر.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» ج١، ص٣٤٣.

(٣) في الأصل: «اخر».

(٤) انظر: «شرح المازندراني» ج٦، ص٢٣٧، صححناه علىٰ المصدر.

الجزم بشيء، فهي تدل علىٰ عدم التوقيت.

وقال الفاضل الأمين الاسترآبادي ـ كما نقل عنه ـ: «المراد أنّ آحاد مدة الغيبة ذلك القدر، فيكون ظهوره في السابع لا يوافق الأحاديث الدالة علىٰ أن ظهوره في فرد من السنين، ولمّا تجاوز مدة الآحاد، ومدة الآحاد مع العشرات، بقيت الآحاد مع المئات ومدة الآحاد مع الألوف، فيمكن أن يكون زمان الغيبة ثمانمائة وستة أيام، أو ثمانمائة وستة أشهر، أو ثمانمائة وست سنين، أو ألفاً وستة أيام، أو ألفاً وستة أشهر، أو ألفاً وست سنين»[1] انتهىٰ.

وبقي أيضاً احتمال تسعمائة معها أيضاً، أو ألف ومائة، أو مائتين، وغيرهما؛ إذ نحن الآن في سنة الحادية والعشرين بعد المائتين والألف. وسيأتيك زيادة بيان في باب كراهية التوقيت.

واعلم أنه كما أنك ترىٰ الآن جند الشيطان يشتبه بجند الرحمن ولا تمحو طريقه، فكذا راياته المضلّة. وعلىٰ الحق حفظة مبيّنة، وقد بيّن الله ما يميّز به بين المحقّ والمبطل في الإمامة وغيرها، فمدعيها الكذاب تجده عارياً من صفات الإمامة، من العصمة وغيرها، يدعو إلىٰ الضلال. فالحق أظهر من الشمس؛ لرسوخه في النفس وانطواء البواطن عليه، والإمام شمس النفوس والعقول، فنوره فيها أبين من نور الشمس المحسوسة، كما أن تلك الشمس أقوىٰ إشراقاً وبياناً وبقاءً.

والكَوَّة: ثقب في البيت[2].

والمراد بالغيبة التي يحضر فيها المواسم في الحديث الأخير: الغيبة الكبرىٰ.

والمراد بالموسم في الحديث [السادس][3]: الجنس، أو موسم الحج، ولا ينافي حضوره في غيره من المواسم والمجامع، فإنه يحضر أيضاً، بدليل الحديث الأخير، وغيره أيضاً.

وفي الفقيه: «روي عن محمد بن عثمان العمري أنه قال: والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة، يرىٰ الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه»[4].

---

(١) انظر: «شرح المازندراني» ج٦، ص٢٣٧، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) انظر: «لسان العرب» ج ١٢، ص ١٩٨، مادة «كوي».

(٣) في الأصل: «الأول».

(٤) «الفقيه» ج٢، ص٣٠٧، ح١٥٢٥.

واحتمل بعض[1] أن يراد بالغيبة التي يحضرها: الصغرىٰ، ويراد بالناس: العامة، فهم يرونه ولا يعرفونه، أما شيعته فقد يراه بعض فيها ويعرفه، أو تعمّ الشيعة ويراد منها بحسب الأغلب، فأكثرهم لا يراه.

وحينئذ، ففي الغيبة الثانية إمّا يقال: إنه يدل بحسب المفهوم أنه لا يحضر الموسم أصلاً، أو يحضر ولا يرونه، أو يرونه ولا يحضر الموسم.

والمعروف من حديث المفضّل[2] وغيره ـ وسيأتي ـ أنّ في الغيبة الكبرىٰ لا تراه عين حتىٰ تراه كل عين. وما نقل عن بعضٍ رؤيته زمن الغيبة الكبرىٰ، علىٰ تقدير صحته، يحمل علىٰ [رؤيته][3] من غير [معرفته][4]، وهي تحصل بعدُ، فلا منافاة.

وبعض حملها علىٰ مقارب الغيبة الصغرىٰ.

وفيه مالايخفىٰ؛ لمنافاة مافي التوقيع[5] وغيره لذلك، فإنه معيّن البداية بعد موت السفير الرابع، ويمكن عدم المنافاة.

والظاهر من النصوص أنه يحضر الموسم كل سنة، ومتىٰ حضر الموسم ـ وكذا في كل موضع ـ فإبليس لا يحضر في مكان حضوره[6]، لإقباله عليه السلام حينئذ وانطراد الشيطان عنه حتىٰ ظاهراً، فهو ينطرد عنه ويحضر غير ذلك المكان ولو من عرفة.

والحج لا يتركه سنة، ويدل عليه ما رواه الصدوق[7]، ويمكن حمله علىٰ الأغلب؛ لما [روي][8] عن أبي عبد الله عليه السلام: (**العام الذي لا يشهد صاحب هذا الأمر الموسم لا يُقبل من الناس حجّهم**)[9].

والوجه حينئذ دخول الشيطان وجنده في عمومهم فيفسد عليهم الحج، فيحتمل الوقوع أو البيان.

---

(١) انظر: «مرآة العقول» ج ٤، ص٤٧.

(٢) «مختصر بصائر الدرجات» ص١٨١، وفيه: (لا تراه عين في وقت ظهوره إلّا رأته كل عين). وسيأتي الحديث في هذا الباب، تحت عنوان: خاتمة.

(٣) في الأصل: «رؤية».

(٤) في الأصل: «معرفة».

(٥) «كمال الدين» ص٥١٦، ح٤٤، وفيه: (ألا فمن ادعىٰ المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفترٍ).

(٦) انظر: «حلية الأبرار» ج ٥، ص٢٨٣.

(٧) «الفقيه» ج ٢، ص٣٠٧، ح١٥٢٥.

(٨) في الأصل: «رواه».

(٩) «دلائل الإمامة» ص٤٨٧، ح٤٨٥؛ «حلية الأبرار» ج ٥، ص٢٨٣، ح٧.

وليس المراد أنه من حضوره يُقبل من الكل، بل ممن يقبل عليه من شيعته، فإنه ينطرد عنه جزماً، فيقبل حجه.

وما تضمنه الحديث [السابع][1] من تفضيل أهل زمن الغيبة مرّ بيانه في الباب السابق[2]، وسبق في مقدمات الباب[3] بيان ما تضمنه حديث زرارة[4]، من أن علة الغيبة خوفه عليه السلام علىٰ نفسه القتل، وليس عن عجز منه، لكن مأمور بالصبر والإمهال، ومن رُفعت إليه الأمور منهم عليهم السلام قُصد بالقتل حتماً، فكيف الثاني عشر؟! هو بذلك أحق، فلذا غاب.

والمراد بعدم رؤيتنا له للتقية وحضوره في الموسم هي مع المعرفة، وفي بعض أحاديث الإكمال[5] تصريح به، فقد يُرىٰ ولا يُعرف، وهو عليه السلام يَرىٰ ويَعرِف.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٣ ﴾

قوله: ﴿عن أبي إسحاق السبيعيّ، عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ممّن يوثق به، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تكلّم بهذا الكلام، وحفظ عنه، وخطب به علىٰ منبر الكوفة: اللّهمّ إنّه لابدّ لك من حجج في أرضك، حجّة بعد حجّة علىٰ خلقك، يهدونهم إلىٰ دينك، ويعلّمونهم علمك، كي لا يتفرّق أتباع أوليائك، ظاهر غير مطاع، أو مكتتم يترقّب، إن غاب عن الناس شخصهم في حال هدنتهم فلم يغب عنهم قديم مبثوث علمهم، وآدابهم في قلوب المؤمنين مثبتة، فهم بها عاملون.

ويقول عليه السلام في هذه الخطبة في موضع آخر: فيمن هذا؟ ولهذا يأرز العلم إذا لم يوجد له حملة يحفظونه، ويروونه كما سمعوه من العلماء، ويصدّقون عليهم فيه. اللّهم فإنّي لأعلم أنّ العلم لا يأرز كلّه، ولا ينقطع

---

(١) في الأصل: «الثاني».
(٢) انظر: باب نادر في حال الغيبة، ح٢.
(٣) انظر الفائدة الأُولىٰ.
(٤) وهو الحديث رقم: ٩.
(٥) «كمال الدين» ص٤٤٠، ح٨.

مواده، وإنّك لا تخلي أرضك من حجّة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور، كي لا تبطل حجّتك، ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهم، بل أين هم؟ وكم هم؟ أولئك الأقلّون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً ﴾.

الحديث رقم ﴿ ١٤ ﴾

قوله: ﴿ عن علي بن جعفر، عن أخيه موسىٰ بن جعفر عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يأتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ ﴾[1]، قال: إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد ؟ ﴾.

الحديث رقم ﴿ ١٥ ﴾

قوله: ﴿ عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن بلغكم عن صاحبكم غيبة فلا تنكروها ﴾.

قد سبق بعض الحديث [الثالث عشر][2] في الباب السابق[3] مبيّناً، ومضمونه متواتر، وهو صريح الدلالة في استمرار الهدىٰ حتىٰ من الثاني عشر، فلابد من استمرار حجية تقريره، [واستمرار][4] حجية الإجماع، وهو يبطل ما يشكّك به عليه، وأنّ لطفيته ليس في وجوده خاصة، بل مع البيان، بل لا يتم بدونه، إلىٰ غير هذه المسائل التي نازع فيها بعض الشيعة من غير محض تدبّر، وقد أوضحنا سبيلها في الجزء الثاني وغيره.

وفي بعض النسخ: (يأزر) بتقديم الزاء المعجمة، في المواضع.

وقد سبق في الجزء الخامس[5] إطلاق الماء علىٰ الإمام، ولا شك أنه الماء العذب. وأمّا غيبته، بعد نص الله ورسوله والأئمة عليهم السلام عليها، واقتضاء الدليل لها، بل إيجابه لها، لا ينكرها إلّا معاند أفاك.

---

(١) «الملك» الآية: ٣٠.

(٢) في الأصل: «الأول».

(٣) انظر: باب نادر في حال الغيبة، ح٣.

(٤) في الأصل: «ومستمر».

(٥) انظر: «الكافي» ج١، ص٢٠٠، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، ح١.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٦ ﴾

قوله: ﴿عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولابد له في غيبته من عزلة، ونعمَ المنزل طَيبة، وما بثلاثين من وحشة ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٧ ﴾

قوله: ﴿عن أبان بن تغلب، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كيف أنت إذا وقعت البطشة بين المسجدين، فيأرز العلم كما تأرز الحيّة في جحرها، واختلفت الشيعة، وسمّىٰ بعضهم بعضاً كذّابين، وتفل بعضهم في وجوه بعض ؟ قلت: جعلت فداك، ما عند ذلك من خير، فقال لي: الخير كله عند ذلك ـ ثلاثاً ـ ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٨ ﴾

قوله: ﴿عن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن للقائم غيبة قبل أن يقوم، إنه يخاف ـ وأومأ بيده إلىٰ بطنه، يعني القتل ـ ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٩ ﴾

قوله: ﴿عن إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: للقائم غيبتان، إحداهما قصيرة، والأُخرىٰ طويلة، الغيبة الأُولىٰ لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصة شيعته، والأُخرىٰ لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصة مواليه ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٠ ﴾

قوله: ﴿عن مفضّل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لصاحب هذا الأمر غيبتان، إحداهما يرجع منها إلىٰ أهله، والأُخرىٰ يقال: هلك، في أيّ وادٍ سلك. قلت: كيف نصنع إذا كان كذلك؟ قال: إذا ادّعاها مدّعٍ فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢١ ﴾

قوله: «عن أبي حمزة، قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: لا، فقلت: فولدك؟ فقال: لا، فقلت: فولد ولدك هو؟ قال: لا، فقلت: فولد ولد ولدك؟ فقال: لا، قلت: من هو؟ قال: الذي يملؤها عدلاً [وقسطاً][1] كما ملئت ظلماً وجوراً، علىٰ فترة من الأئمة، كما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بُعث علىٰ فترة من الرسل».

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٢ ﴾

قوله: «عن أُم هاني، قالت: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام عن قول الله تعالىٰ: ﴿ فلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ * الجَوَارِ الكُنَّسِ ﴾[2]، قالت: فقال: إمام يخنس سنة ستين ومائتين، ثمّ يظهر كالشهاب يتوقد في الليلة الظلماء، فإن أدركت زمانه قرّت عينك».

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٣ ﴾

قوله: «عن أُم هاني، قالت: لقيت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام فسألته عن هذه الآية: ﴿ فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ * الجَوارِ الكُنَّسِ ﴾، قال: الخنّس إمام يخنس في زمانه عند انقطاع من علمه عند الناس سنة ستين ومائتين، ثمّ يبدو كالشهاب الواقد في ظلمة الليل، فإن أدركت ذلك قرّت عينك».

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٤ ﴾

قوله: «عن أيوب بن نوح، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، قال: إذا رفع علمكم من بين أظهركم فتوقعوا الفرج من تحت أقدامكم».

---

(١) ليست في المصدر.

(٢) «التكوير» الآية: ١٥ – ١٦.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٥ ﴾

قوله: ﴿عن أيوب بن نوح، قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إني أرجو أن تكون صاحب هذا الأمر، وأن يسوقه الله إليك بغير سيف، فقد بويع لك، وضُربت الدراهم باسمك، فقال: ما منّا أحد اختلفت إليه الكتب، وأُشير إليه بالأصابع، وسئل عن المسائل، وحُملت إليه الأموال، إلّا اغتيل أو مات علىٰ فراشه، حتىٰ يبعث الله لهذا الأمر غلاماً منّا، خفيّ الولادة والمنشأ، غير خفي في نسبه﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٦ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الله بن عطاء، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: إنّ شيعتك بالعراق كثيرة، والله مافي أهل بيتك مثلك، فكيف لا تخرج؟ قال: فقال: يا عبد الله بن عطاء، قد أخذت تفرش أُذنيك للنَوْكىٰ، إي والله ما أنا بصاحبكم. قال: قلت له: فمن صاحبنا؟ قال: انظروا مَن عَمِيَ علىٰ الناس ولادته فذاك صاحبكم، إنه ليس منّا أحد يشار إليه بالأصبع ويمضغ بالألسن إلّا مات غيظاً أو رغم أنفه﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٧ ﴾

قوله: ﴿عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: يقوم القائم وليس لأحد في عنقه عهد ولا عقد ولا بيعة﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٨ ﴾

قوله: ﴿عن منصور، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: إذا أصبحت وأمسيت لا أرىٰ إماماً أأتم به ما أصنع؟ قال: فأحبَّ من كنت تحب، وأبغض من كنت تبغض، حتىٰ يظهره الله عزّ وجلّ﴾.

أمّا وجوب وقوع الغيبة بالإمام الثاني عشر فقد عرفت وجهها عقلاً ونقلاً، وأنها من

المحتوم. والغيبة غيبتان: صغرىٰ وكبرىٰ، الأُولىٰ فيها السفارة الظاهرة، وكثير من شيعته يشاهده ويظهر له في سرّ من رأىٰ أو المدينة؛ لأنه بقي بعد موت أبيه العسكري ـ وهو ليلة ثمان من ربيع الأول، سنة ستين ومائتين ـ ست سنين أو إحدىٰ عشرة، هذا نهاية ما قيل، ثمّ بعدُ انتقل إلىٰ المدينة، وهي تسمىٰ بطَيْبة أيضاً، كما في الحديث [السادس عشر][1].

ومدة زمن الأُولىٰ سبعون سنة، وله فيها سفراء، وخرجت علىٰ أيديهم عدة توقيعات، ذكرت في الاحتجاج[2] والإكمال[3] وغيبة الشيخ[4] والبحار[5]، وغيرها من كتب الإمامية.

وكانت السفراء بمحل من الورع والزهد والعلم، ونصّ الإمام علىٰ كل شخص بعينه، قائماً وظاهراً لأهل وقته، وأولهم أبو عمرو عثمان بن سعيد العَمْري، وهو أول من نصّب من أبي محمد الحسن بن علي العسكري، فلمّا مات نصّ ـ بأمر الصاحب ـ علىٰ ابنه أبي جعفر محمد بن عثمان، ونص عليه العسكري، فلمّا حضرته الوفاة نص بأمر الصاحب عليه السلام علىٰ أبي القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي، فلمّا حضرته الوفاة نص بأمر الصاحب علىٰ أبي الحسن علي بن محمد السمري، فلمّا حضرته الوفاة سئل أن يوصىٰ فقال: «لله أمر هو بالغه»، ومات سنة تسع وعشرين وثلاثمائة[6].

والمراد بـ (طَيْبة) في الحديث [السادس عشر][7]: المدينة[8]، كما سبق، وهذا في الغيبة الكبرىٰ أيضاً، ولا ينافي حضوره في غيرها، أو أنّ المراد بها عالم المثال.

والمراد بالثلاثين: الأبدال، وفي رواية جابر ـ المروية في أنيس السمراء ـ ذكروا أيضاً، والأكثر يعدّهم أربعين، ودونهم النقباء سبعون، ودونهم الصلحاء ثلاثمائة وستون، وفوق الكل الأركان أربعة، وفوقهم القطب.

«وكان لصاحب الأمر غيبتان: الصغرىٰ والكبرىٰ.

أمّا الصغرىٰ فهي التي كانت فيها سفراؤه موجودين، وأبوابه معروفين، لا تختلف

---

(١) في الأصل: «الأول».
(٢) «الاحتجاج» ج ٢، ص ٥٣٦، وما بعدها.
(٣) «كمال الدين» ص ٤٨٢، باب ٤٥.
(٤) «الغيبة» للشيخ الطوسي، ص ٢٨٥ – ٣٢٧، ح ٢٤٥ ـ ٢٧٣.
(٥) «بحار الأنوار» ج ٥٣، ص ١٥٠، باب ٣١.
(٦) انظر: «الغيبة» للشيخ الطوسي، ص ٣٥٣، ٣٥٩، ٣٦٧، ٣٩٣، ح ٣٦٢؛ ص ٣٩٤، ح ٣٦٣.
(٧) في الأصل: «الأول».
(٨) انظر: «معجم البلدان» ج ٤، ص ٥٣.

الإمامية القائلون بإمامة الحسن عليه السلام فيهم، فمنهم: أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، ومحمد بن علي بن بلال، وأبو عمرو عثمان بن سعيد السمّان، وابنه أبو جعفر محمد بن عثمان، وعمر الأهوازي، وأحمد بن إسحاق، وأبو محمد الوجناني، وإبراهيم بن مهزيار، ومحمد بن إبراهيم، في جماعة أُخر، ربما يأتي ذكرهم عند الحاجة إليهم في الرواية عنهم.

وكانت مدة هذه الغيبة أربعاً وسبعين سنة، وكان أبو عمرو عثمان بن سعيد رحمه الله باباً لأبيه وجده عليهما السلام من قبل، وثقة لهما، ثمّ تولىٰ البابية من قبله، وظهرت المعجزات علىٰ يده.

ولمّا مضىٰ لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمد مقامه بنصّه عليه، ومضىٰ علىٰ منهاج أبيه في آخر جمادىٰ الآخرة، سنة أربع أو خمس وثلاثمائة.

وقام مقامه أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر، من بني نو بخت، بنص أبي جعفر محمد بن عثمان عليه وأقامه مقام نفسه، ومات رحمه الله في شعبان، سنة ست وعشرين وثلاثمائة.

وقام مقامه أبو الحسن علي بن محمد السمري، بنص أبي القاسم عليه، وتوفي في النصف من شعبان، سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، ثمّ نقل حديث انقطاع السفارة، ثمّ قال: لله أمر هو بالغه، فهذا آخر كلام سُمع منه.

ثمّ حصلت الغيبة الكبرىٰ التي نحن في زمنها، والفرج يكون في آخرها بمشيئة الله تعالىٰ»[1].

وكذلك كلام سائر علماء الإمامية لا يختلفون في ذلك، ولا سفراء فيها ظاهراً كالسابقة وإن كانت لا تنقطع، ولكن رجعت إلىٰ طور آخر، ولهذا حكم في بعض أحاديث الباب بمشاهدة بعض للصاحب في الغيبتين، لكن معنىٰ المشاهدة مختلف بالنسبة إلىٰ الأُولىٰ والثانية، وإلّا فمواد العلم لا يجوز انقطاعه عن أهل الأرض، ولو علم الله أنّ شيعته الخلّص يشكّون فيه، أو تنقطع الأبواب، وهم القرىٰ الظاهرة التي هي السبيل إلىٰ القرىٰ التي بارك الله فيها، وهم الأئمة عليهم السلام، ما غيّبه عنهم ولا حجبه، بل هو الحجّة عليهم، فلابد من بيانه لهم.

ولهذا ورد في أحد التوقيعات: (وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلىٰ رواة حديثنا،

---

(١) «كشف الغمة» ج ٣، ص ٣٣٧ – ٣٣٨، نقلاً عن: «إعلام الورىٰ» ج ٢، ص ٢٥٩ – ٢٦٠، أخذه بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم)[1].

فلابد من بيانه لهم وتسديده، بما يراه من مصلحتهم، عن أمر الله، إمّا بجمعهم علىٰ الحكم، أو بتفريقهم بما يعلم به بقاءهم، حتىٰ يأتي الفرج.

والأحاديث الواردة بنفي الرؤية له بعدُ وتكذيب مدّعيها كثيرة، ففي حديث المفضّل، المروي في رسالة الشيخ حسن بن سليمان في الرجعة ـ وعسىٰ أن يأتيك ـ ما معناه: (إذا رأته عين في وقت ظهوره رأته أعين)[2].

وفي الحديث: (من ادعىٰ الرؤية قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفترٍ)[3].

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٩ ﴾

قوله: ﴿ عن زرارة بن أعين، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لابدّ للغلام من غيبة، قلت: ولمَ ؟ قال: يخاف ـ وأومأ بيده إلىٰ بطنه ـ وهو المنتظر، وهو الذي يشكّ الناس في ولادته، فمنهم من يقول: حملٌ، ومنهم من يقول: مات أبوه ولم يخلّف، ومنهم من يقول: ولد قبل موت أبيه بسنتين.

قال زرارة: فقلت: وما تأمرني لو أدركت ذلك الزمان؟ قال: ادع الله بهذا الدعاء: اللهم عرّفني نفسك، فإنك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرفك، اللهم عرّفني نبيّك، فإنك إن لم تعرّفني نبيك لم أعرفه قطّ، اللهم عرّفني حجتك، فإنك إن لم تعرّفني حجتك ضللت عن ديني.

قال أحمد بن هلال[4]: سمعت هذا الحديث منذ ست وخمسين سنة ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣٠ ﴾

قوله: ﴿ عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ:

---

(١) «كمال الدين» ص٤٨٤، ح٤، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «مختصر بصائر الدرجات» ص١٨١.

(٣) «كمال الدين» ص٥١٦، ح٤٤، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) في المصدر: «الهلال».

﴿ فَإذا نُقِرَ في النَّاقُورِ ﴾[١]، قال: إنّ منّا إماماً مظفراً مستتراً[٢]، فإذا أراد الله عزّ ذكره إظهار أمره نكت في قلبه نكتة، فظهر فقام بأمر الله تبارك وتعالىٰ ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٣١ ﴾

قوله: ﴿ عن محمد بن الفرج، قال: كتب إليّ أبو جعفر عليه السلام: إذا غضب الله تبارك وتعالىٰ علىٰ خلقه نحّانا عن جوارهم ﴾.

قد مرّ لك الدعاء بغير هذه العبارة[٣]، فإمّا أنه دعاء آخر، أو يجوز قراءته بالروايتين، وهذا الدعاء مشتمل علىٰ طلب معرفته والاسترشاد به، مع تضمنه طلب الفرج. ووردت عدة أدعية في ذلك، مطوّلة ومختصرة.

منها: ما رواه الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد، عن يونس بن عبد الرحمن، أن الرضا عليه السلام كان يأمر بالدعاء لصاحب الأمر عليه السلام بهذا: (اللهُمَّ ادْفَعْ عَن وَلِيِّكَ وَخَليفَتِكَ وَحُجَّتِكَ) ثمّ ساق الدعاء، وقال: (اللهُمَّ صَلِّ علىٰ مُحَمَّدٍ وَوُلاةِ عَهْدِهِ والأئمَّةِ مِن بَعْدِهِ)[٤]... إلىٰ آخره. وهذا يدعىٰ به أيضاً لكل إمام في زمانه.

وروىٰ الشيخ المفيد بسنده عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنه سئل عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ فإذا نُقِرَ في النَّاقُورِ ﴾، قال: (إنّ منّا إماماً يكون مستتراً، فإذا أراد الله إظهار أمره نكت في قلبه نكتة، فظهر وقام بأمر الله عزّ وجلّ)[٥].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام، قال: (إذا نقر في أُذن القائم عليه السلام أُذنَ له في القيام)[٦].

وروىٰ عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قوله تعالىٰ: ﴿ فَإذا نُقِرَ في النَّاقُورِ ﴾، قال: (الناقور هو النداء من السماء: ألا إنّ وليكم فلان بن فلان، القائم بالحق، ينادي به جبرئيل في ثلاث ساعات من ذلك اليوم، ﴿ فَذلِكَ يَومَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَىٰ الكافِرِينَ

---

(١) «المدثر» الآية: ٨.
(٢) في المصدر: «مستطراً».
(٣) انظر: ح ٥ من هذا الباب.
(٤) «مصباح المتهجد» ص٣٦٦، ٣٦٨.
(٥) حكاه السيد شرف الدين في: «تأويل الآيات الظاهرة» ص٧٠٨، عن الشيخ المفيد.
(٦) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٧٠٨.

غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾[1]، يعني بالكافرين المرجئة، الذين كفروا بنعمة الله وبولاية علي بن أبي طالب عليه السلام)[2].

روىٰ الصدوق ابن بابويه بسنده عن المفضّل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تفسير جابر، فقال: (لا تحدّث به السفلة فيذيعوه، أما تقرأ في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ إنّ منّا إماماً مستتراً، فإذا أراد الله إظهار أمره نكت في قلبه نكتة، فظهر وأمر بأمر الله عزّ وجلّ)[3].

وما تضمنه الحديث [التاسع والعشرون][4] من أن علة الغيبة التقية وخوفه من القتل قد مرّ بيانه، وغير خفي أنّ سبب ذلك خبث الناس وظهور الفجور، مع انضمام أسباب توجب إمهالهم واستمرار النظرة بهم. فإذا كان كذلك نجّىٰ الله الإمام منهم، وأخفىٰ شخصه عن أعينهم، وأمدّ الطالب له منه بعلمه وهداه، وقد تضمن [الحديث الأخير][5] ذلك. كما أنه إذا غضب عليهم، واستحقوا تعجيل العذاب، ولم يمهلوا لغيرهم، نجّي الصالح وعباده المكرمون، كما في قوم لوط ونوح وغيرهما.

وغير خفي فعل العامة القبائح والمناكر بالرسول وآله، فهم مغضوب عليهم أشد غضب وإن أُخروا للعلل. فلو ظهر وأشارت إليه الأيدي، وظهرت إفادته عياناً، [و] فعل به كآبائه، وهو الخاتم، فنجّي بالخفاء حتىٰ يبلغ الكتاب أجله.

خاتمة في نقل جملة من الأحاديث

تشتمل علىٰ بعض علامات الظهور والوقائع، وبعض سيرته، من رسالة الرجعة، للشيخ حسن بن سليمان الحلي، وغيرها، وأجمعها حديث المفضّل، ومضمونه متفرق في الروايات في كتاب الحُضَيني[6] وغيره، وذلك شاهد صدق له.

---

(١) «المدّثر» الآية: ٩ - ١٠. (٢) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٧٠٨، بتفاوت يسير.

(٣) «كمال الدين» ص٣٤٩، ح٤٢، بتفاوت يسير. (٤) في الأصل: «الأول».

(٥) في الأصل: «اخر الحديث».

(٦) الشيخ أبو عبد الله الحسين بن حمدان الحُضَيني، أو الخَصيبي الجُنْبُلاني فاضل عالم، محدّث من القدماء. له من المؤلفات كتاب «الهداية الكبرىٰ» في الفضائل. توفي سنة ٣٥٨هـ.انظر: «إيضاح الاشتباه» ص١٦٠، الرقم: ٢١٧؛ «رياض العلماء» ج٢، ص٥٠؛ «منتهىٰ المقال» ج٣، ص٣٣، الرقم: ٨٦٣.

روىٰ فيها بسنده عن المفضّل بن عمر، قال: سألت سيدي الصادق عليه السلام: هل للمأمول المنتظر المهدي عليه السلام من وقت موقّت يعلمه الناس؟ قال: (حاشَ لله أن يوقّت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا)، قلت: يا سدي، ولمَ ذلك؟ قال: (لأنه هو الساعة التي قال الله تعالىٰ فيها: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْساها قُلْ إِنَّما عِلْمُها عَنْدَ رَبّي لا يُجَلّيها لِوَقْتِها إِلّا هُوَ ثَقُلَتْ في السَّمٰواتِ والأرضِ ﴾ الآية[١]، وقال: ﴿ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾[٢]، ولم يقل: إنها عند أحد، وقال: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلّا السَّاعَةَ أن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها ﴾ الآية[٣]، وقال: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ ﴾[٤]، وقال: ﴿ وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بها الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنها وَيَعْلَمُونَ أَنَّها الحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ في السَّاعَةِ لَفي ضَلالٍ بَعيدٍ ﴾[٥]).

قلت: فما معنىٰ: ﴿ يُمارُونَ ﴾؟ قال: (يقولون: متىٰ ولد؟ ومن رأه؟ وأين يكون؟ ومتىٰ يظهر؟ وكل ذلك استعجالاً لأمر الله وشكّاً في قضائه، ودخولاً في قدرته، أولئك الذين خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة، وإنّ للكافرين لشرّ مآب).

قلت: أفلا يوقّت له وقت؟

قال: (يا مفضّل، لا أُوقت له وقتاً، ولا يوقّت له وقت، إنّ من وقّت لمهدينا وقتاً فقد شارك الله تعالىٰ في علمه وادّعىٰ أنه ظهر علىٰ سره، وما لله من سرّ إلّا وقد وقع إلىٰ هذا الخلق المنكوس، الضال عن الله، الراغب عن أوليائه، وما لله من خزانة هي أحصن لسرّه عندهم أكبر من جهلهم به، وإنما ألقىٰ قوله إليهم لتكون لله الحجّة عليهم).

قال المفضّل: يامولاي، فكيف يدرىٰ ظهور المهدي عليه السلام وأنّ إليه التسليم؟

قال عليه السلام: (يا مفضّل، يظهر في شبهة ليستبين، فيعلو ذكره، ويظهر أمره، وينادىٰ باسمه وكنيته ونسبه، ويكثر ذلك علىٰ أفواه المحقين والمبطلين، والموافقين والمخالفين، لتلزمهم الحجّة لمعرفتهم به، علىٰ أنه قد قصصنا ودللنا عليه، ونسبناه وسميناه وكنيناه، وقلنا: سميّ جده رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيّه؛ لئلا يقول الناس: ما عرفنا له اسماً ولا كنية ولا نسباً. والله ليحققنّ الإفصاح به وباسمه ونسبه وكنيته علىٰ ألسنتهم، حتىٰ ليسميه بعضهم لبعض، كل ذلك للزوم الحجّة

(١) «الأعراف» الآية: ١٨٧.
(٢) «لقمان» الآية: ٣٤.
(٣) «محمد» الآية: ١٨.
(٤) «القمر» الآية: ١.
(٥) «الشورىٰ» الآية: ١٧ – ١٨.

عليهم، ثمّ يظهره الله كما وعد به جده ﷺ في قوله عزّ وجلّ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[1]).

قال المفضّل: يا مولاي، فما تأويل قوله تعالىٰ: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾؟

قال عليه السلام: (هو قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ ﴾[2]. فوالله يا مفضّل، ليرفع عن الملل والأديان الاختلاف، ويكون الدين كلّه واحداً، كما قال جلّ ذكره: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾[3] وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾[4]).

قال المفضّل: قلت: يا سدي ومولاي، والدين الذي أتىٰ به آدم ونوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمّد ﷺ هو الإسلام؟

قال: (نعم يا مفضّل، هو الإسلام لا غير).

قلت: يا مولاي، أتجده في كتاب الله؟

قال: (نعم، من أوله إلىٰ آخره، وهذه الآية منه: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[5].

ومنه قوله تعالىٰ في قصة إبراهيم وإسماعيل: ﴿ وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً ﴾[6].

وقوله تعالىٰ في قصة فرعون: ﴿ حَتَّىٰ إذا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قالَ آمَنتُ أَنَّه لا إِلٰه إِلَّا الَّذي آمَنَتْ بِهِ بَنو إِسْرائيلَ وأنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[7].

وفي قصة سليمان وبلقيس: ﴿ قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[8]، وقولها: ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيمانَ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾[9].

وقول عيسىٰ عليه السلام: ﴿ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللهِ قَالَ الحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنصارُ اللهِ آمَنَّا باللهِ واشْهَدْ بِأَنَّا

---

(١) «التوبة» الآية: ٣٣؛ «الصف» الآية: ٩.
(٢) «الأنفال» الآية: ٣٩.
(٣) «آل عمران» الاية: ١٩.
(٤) «آل عمران» الآية: ٨٥.
(٥) «الحج» الآية: ٧٨.
(٦) «البقرة» الآية: ١٢٨.
(٧) «يونس» الآية: ٩٠.
(٨) «النمل» الآية: ٣٨.
(٩) «النمل» الآية: ٤٤.

مُسْلِمُونَ ﴾[١]. وقوله جلّ وعزّ: ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ في السَّمٰواتِ وَالأرضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾[٢].

وقوله في قصة لوط: ﴿ فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ﴾[٣]، ولوط قبل إبراهيم.

وقوله: ﴿ قُولُوا آمَنَّا باللهِ وَما أُنْزِلَ إلَيْنا ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَـدٍ مِـنْهُمْ وَنَـحْنُ لَـهُ مُسْلِمُونَ ﴾[٤].

وقوله: ﴿ أمْ كُنْتُم شهداءَ إذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[٥]).

قلت: يا سدي، كم الملل؟ قال: (أربعة، وهي الشرائع).

قال المفضّل: قلت: يا سيدي، المجوس لمَ سمّوا المجوس؟

قال: (لأنهم تمجّسوا في السريانية، وادعوا علىٰ آدم وعلىٰ شيث ـ وهو هبة الله ـ أنهما أطلقا لهم نكاح الأمهات والأخوات والبنات والخالات والعمات والمحرّمات مـن النسـاء، وأنـهما أمراهم أن يصلّوا للشمس حيث وقفت في السماء، ولم يجعل لصلاتهم وقتاً، وإنّما هو افتراء علىٰ الله الكذب، وعلىٰ آدم وشيث).

قال المفضّل: يا مولاي وسيدي، لمَ سمّي قوم موسىٰ اليهود؟

قال عليه السلام: (لقول الله عزّ وجلّ: ﴿ إنَّا هُدْنا إلَيْكَ ﴾[٦] أي اهتدينا إليك).

قال: فالنصارىٰ؟ قال: (لقول عيسىٰ عليه السلام: ﴿ مَنْ أنـصاري إلىٰ اللهِ ﴾[٧] ـ وتـلا الآيـة إلىٰ آخرها ـ فسمّوا النصارىٰ؛ لنصرة دين الله).

قال المفضّل: فقلت: يا مولاي، فلم سمّي الصابئون الصابئين؟

فقال عليه السلام: (إنهم صبوا إلىٰ تعطيل الأنبياء والرسل والملل والشرائع، وقالوا: كلّ ما جاؤوا به باطل، فجحدوا توحيد الله تعالىٰ، ونبوة الأنبياء، ورسالة المرسلين، ووصيّة الأوصياء، فهم بلا شريعة ولا كتاب ولا رسول، وهم معطلة العالم).

قال المفضّل: سبحان الله، ما أجلّ هذا من علم! قال عليه السلام: (نعم يا مـفضّل، فألقـه إلىٰ شيعتنا لئلا يشكّوا في الدين).

قال المفضّل: يا سيدي، ففي أي بقعة يظهر المهدي عليه السلام؟

---

(١) «آل عمران» الآية: ٥٢.
(٢) «آل عمران» الآية: ٨٣.
(٣) «الذاريات» الآية: ٣٦.
(٤) «البقرة» الآية: ١٣٦.
(٥) «البقرة» الآية: ١٣٣.
(٦) «الأعراف» الآية: ١٥٦.
(٧) «آل عمران» الآية: ٥٢.

قال عليه السلام: (لا تراه عين في وقت ظهوره إلّا رأته كلّ عين، فمن قال لكم غير هذا فكذّبوه).

قال المفضّل: يا سيدي، ولا يُرىٰ وقت ولادته؟

قال: (بلىٰ والله، ليُرىٰ من ساعة ولادته إلىٰ ساعة وفاة أبيه سنتين وتسعة أشهر، أول ولادته وقت الفجر من ليلة الجمعة، لثمان خلون من شعبان، سنة سبع وخمسين ومائتين، إلىٰ يوم الجمعة، لثماني ليال خلون من ربيع الأول، سنة ستين ومائتين، وهو يوم وفاة أبيه بالمدينة التي بشاطئ دجلة، يبنيها المتكبر الجبار المسمّىٰ باسم جعفر الضال، الملقب بالمتوكل، وهو المتأكل لعنه الله تعالىٰ، وهي مدينة تدعىٰ بسرّ من رأىٰ وهي ساء من رأىٰ، يرىٰ شخصه المؤمن المحقّ سنة ستين ومائتين، ولا يراه المشكك المرتاب، وينفذ فيها أمره ونهيه، ويغيب عنها، فيظهر في القصر بصابر بجانب المدينة في حرم جده رسول الله صلى الله عليه وآله، فيلقاه هناك من يسعده الله بالنظر إليه، ثمّ يغيب في آخر يوم من سنة ست وستين ومائتين، فلا تراه عين أحد حتىٰ يراه كل أحد وكل عين).

أقول: أصحّ الروايات[1] والذي عليه العمل أنّ مولده النصف من شعبان، سنة ست [وخمسين][2] ومائتين، وفي بعض الروايات[3]: سنة خمس [وخمسين][4]، وسمعت مدة غيبته الصغرىٰ. فإذن المراد مدة معرفته بالمدينة وظهوره إلىٰ ست.

قال المفضّل: قلت: يا سيدي، فمن يخاطبه، ولمن يخاطب؟

قال الصادق عليه السلام: (تخاطبه الملائكة والمؤمنون من الجن، ويخرج أمره ونهيه إلىٰ ثقاته وولاته ووكلائه، ويقعد ببابه محمد بن نصير النميري في يوم غيبته بصابر، ثم يظهر بمكة. والله يا مفضّل، كأني أنظر إليه دخل مكة وعليه بُردة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلىٰ رأسه عمامة صفراء، وفي رجليه نعلا رسول الله صلى الله عليه وآله المخصوفة، وفي يده هراوته عليه السلام، يسوق بين يديه أعنزاً عجافاً، حتىٰ يصل بها نحو البيت، ليس ثَمَّ أحد يعرفه، ويظهر وهو شاب).

قال المفضّل: يا سيدي، يعود شاباً أو يظهر في شيبته؟

فقال عليه السلام: (سبحان الله! وهل يعرف ذلك؟ يظهر كيف شاء، وبأي صورة شاء، إذا جاءه الأمر من الله تعالىٰ).

قال المفضّل: يا سيدي، فمن أين يظهر، وكيف يظهر؟

---

(١) «الكافي» ج ١، ص ٣٢٩، ح ٥؛ ص ٥١٤، ح ١. (٢) في الأصل: «وستين».

(٣) «كمال الدين» ص ٤٣٠، ح ٤. (٤) في الأصل: «وستين».

قال عليه السلام: (يا مفضّل، يظهر وحده، ويأتي البيت وحده، ويلج الكعبة وحده، ويجنّ عليه الليل وحده، فإذا نامت العيون وغسق الليل نزل إليه جبرئيل وميكائيل والملائكة صفوفاً، فيقول له جبرئيل: يا سيدي، قولك مقبول وأمرك جائز، فيمسح بيده علىٰ وجهه عليه السلام ويقول: ﴿ الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وأَوْرَثَنا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العامِلِينَ ﴾[1].

ويقف بين الركن والمقام، فيصرخ صرخة فيقول: يا معشر نقبائي وأهل خاصتي، ومن ذخرهم الله لنصرتي قبل ظهوري علىٰ وجه الأرض، ائتوني طائعين. فترد صيحته عليه السلام عليهم وهم في مَحاريبهم وعلىٰ فرشهم، في شرق الأرض وغربها، فيسمعونه في صيحة واحدة في أُذن كل رجل، فيجيئون نحوها، ولا يمضي لهم إلّا كلمح البصر حتىٰ يكون كلهم بين يديه عليه السلام بين الركن والمقام.

فيأمر الله عزَّ وجلَّ النور فيصير عموداً من الأرض إلىٰ السماء، فيستضيء به كل مؤمن علىٰ وجه الأرض، ويدخل عليه نور من جوف بيته، فتفرح نفوس المؤمنين بذلك النور، وهم لا يعلمون بظهور قائمنا أهل البيت، ثمّ يصبحون وقوفاً بين يديه، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، بعدّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر).

قال المفضّل: يا مولاي ويا سيدي، فالاثنان وسبعون رجلاً الذين قتلوا مع الحسين بن علي عليه السلام يظهرون معهم؟

قال: (يظهر منهم أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام في اثني عشر ألف صدّيق من شيعته عليه السلام، وعليه عمامة سوداء).

قال المفضّل: يا سيدي، فبغير سنّة القائم عليه السلام بايعوا له قبل ظهوره وقبل قيامه؟ فقال عليه السلام: (يا مفضّل كل بيعة قبل ظهور القائم فبيعة كفر ونفاق وخديعة، لعن الله المبايع لها والمبايع له. يا مفضّل، يسند القائم عليه السلام ظهره إلىٰ البيت الحرام، ويمدّ يده فترىٰ بيضاء من غير سوء، ويقول: هذه يد الله وعن الله وبأمر الله، ثمّ يتلو هذه الآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَكَثَ فَإِنَّما يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ الآية[2].

فيكون أول من يقبّل يده جبرئيل، ثمّ يبايعه وتبايعه الملائكة ونجباء الجن، ثمّ النقباء، ويصبح الناس بمكة فيقولون: من هذا الرجل الذي بجانب الكعبة؟ وما هذا الخلق الذين معه؟

---

(١) «الزمر» الآية: ٧٤. (٢) «الفتح» الآية: ١٠.

وما هذه الآية التي رأيناها الليلة ولم نرَ مثلها؟ فيقول بعضهم لبعض: هذا الرجل هو صاحب العنيزات.

فيقول بعضهم لبعض: انظروا هل تعرفون أحداً ممن معه؟ فيقولون: لا نعرف أحداً منهم إلّا أربعة من أهل مكة، وأربعة من أهل المدينة، وهم فلان وفلان، يعدّونهم بأسمائهم.

ويكون هذا أول طلوع الشمس في ذلك اليوم، فإذا طلعت وأضاءت صاح صائح بالخلائق من عين الشمس، بلسان عربي مبين ـ يسمع من في السماوات والأرضين ـ: يا معشر الخلائق، هذا مهدي آل محمد ﷺ، ويسميه باسم جده رسول الله ﷺ ويكنيه بكنيته، وينسبه إلىٰ أبيه الحسن الحادي عشر، إلىٰ الحسين بن علي، صلوات الله عليهم أجمعين، بايعوه تهتدوا، ولا تخالفوا أمره فتضلّوا.

فأول من يقبّل يده الملائكة، ثمّ الجن، ثمّ النقباء، ويقولون: سمعنا وأطعنا. ولا يبقىٰ ذو أُذن من الخلائق إلّا سمع ذلك النداء، وتقبل الخلائق من البدو والحضر والبر والبحر، يحدّث بعضهم بعضاً، ويستفهم بعضهم بعضاً ما سمعوا بآذانهم.

فإذا دنت الشمس للغروب صرخ صارخ من مغربها: يا معشر الخلائق، قد ظهر ربكم بوادي اليابس من أرض فلسطين، وهو عثمان بن عنبسة الأموي، من ولد يزيد بن معاوية ـ لعنهم الله ـ فبايعوه تهتدوا، ولا تخالفوا عليه فتضلّوا. فتردّ عليه الملائكة والجن والنقباء قوله، ويكذّبونه ويقولون: سمعنا وعصينا، ولا يبقىٰ ذو شك ولا مرتاب ولا منافق ولاكافر إلّا ضلّ بالنداء الأخير.

وسيدنا القائم مسند ظهره إلىٰ الكعبة ويقول: يا معشر الخلائق، ألا ومن أراد أن ينظر إلىٰ آدم وشيث فها أنا ذا آدم وشيث، ألا ومن أراد أن ينظر إلىٰ نوح وولده سام فها أنا ذا نوح وسام، ألا ومن أراد أن ينظر إلىٰ إبراهيم وإسماعيل فها أنا ذا إبراهيم وإسماعيل، ألا ومن أراد أن ينظر إلىٰ موسىٰ ويوشع فها أنا ذا موسىٰ ويوشع، ألا ومن أراد أن ينظر إلىٰ عيسىٰ وشمعون فها أنا ذا عيسىٰ وشمعون، ألا ومن أراد أن ينظر إلىٰ محمد وأمير المؤمنين فها أنا ذا محمد وأمير المؤمنين، ألا ومن أراد أن ينظر إلىٰ الحسن والحسين فها أنا ذا الحسن والحسين، ألا ومن أراد أن ينظر إلىٰ الأئمة من ولد الحسين فها أنا ذا الأئمة ﭺ، أجيبوا إلىٰ مسألتي، فإني أُنبئكم بما نبئتم به وما لم تنبؤوا به، ومن كان يقرأ الكتب والصحف فليسمع مني.

ثمّ يبتدئ بالصحف التي أنزلها الله عزَّ وجلَّ علىٰ آدم وشيث، وتقول أُمة آدم وشيث: هذه والله هي الصحف حقاً، ولقد أرانا ما لم نكن نعلمه فيها وما كان خفي علينا، وما كان أُسقط منها وبدّل وحرّف.

ثمّ يقرأ صحف نوح، وصحف إبراهيم، والتوراة، والإنجيل، والزبور، فيقول أهل التوراة والإنجيل والزبور: هذه والله صحف نوح وإبراهيم حقاً، وما أُسقط منها وبدّل وحرّف منها، هذه والله التوراة الجامعة، والزبور التام، والإنجيل الكامل، وإنها أضعاف ما قرأنا منها.

ثمّ يتلو القرآن، فيقول المسلمون: هذا والله القرآن حقاً، الذي أنزله الله علىٰ محمد ﷺ، وما أُسقط منه وحرّف وبدّل.

ثمّ تظهر الدابة بين الركن والمقام، فتكتب في وجه المؤمن: مؤمن، وفي وجه الكافر: كافر.

ثمّ يظهر السفياني، ويسير جيشه إلىٰ العراق، فيخربه ويخرب الزوراء ويتركهما جماء، ويخرب الكوفة والمدينة، وتروث بغالهم في مسجد رسول الله ﷺ. وجيش السفياني يومئذ ثلاثمائة ألف رجل، بعد أن خرب الدنيا، ثمّ يخرج إلىٰ البيداء يريد مكة وخراب البيت، فلمّا صار بالبيداء وعرّس[1] فيها صاح بهم صائح: يا بيداء أبيدي بهم، فتبتلعهم الأرض بخيلهم، فيبقىٰ اثنان، فينزل ملك فيحوّل وجوههما إلىٰ ورائهما، ويقول: يا بشير امض إلىٰ المهدي وبشّره بهلاك جيش السفياني، وقال للذي اسمه نذير: امض إلىٰ السفياني فعرّفه بظهور المهدي، مهدي آل محمد، فيمضي مبشّراً إلىٰ المهدي ويعرّفه بهلاك جيش السفياني وأنّ الأرض انفجرت ولم يبق من الجيش عقال ناقة، فإذا بات مسح المهدي علىٰ وجهه وردّه خلقاً سوياً، ويبايعه ويكون معه.

وتظهر الملائكة والجن وتخالط الناس، ويسيرون معه، ولينزلن أرض الهجرة، وينزلون مابين الكوفة والنجف، ويكون حينئذ عدة أصحابه ستة وأربعون ألفاً من الملائكة، ومثلها من الجن، ثمّ ينصره الله، ويفتح الله علىٰ يديه).

وقال عن الكوفة: (لا يبقىٰ مؤمن إلّا كان بها أو حواليها، وليبلغن مجالة فرس منها ألفي درهم، وليودنّ أكثر الناس أنه اشترىٰ شبراً من أرض السبع بشبر من ذهب، والسبع خطة من خطط همدان، ولتصيرن الكوفة أربعة وخمسين ميلاً، وليجاورن قصورها كربلاء، وليصيّرن الله كربلاء معقلاً ومقاماً تختلف فيها الملائكة والمؤمنون، وليكونن لها شأن عظيم، وليكونن فيها من البركات ما لو وقف مؤمن ودعا ربه بدعوة لأعطاه بدعوته الواحدة مثل تلك الدنيا ألف مرة).

ثمّ تنفس أبو عبد الله عليه السلام وقال: (يا مفضّل، إنّ بقاع الأرض تفاخرت فافتخرت كعبة البيت الحرام علىٰ بقعة كربلاء، فأوحىٰ الله إليها أن اسكني كعبة البيت الحرام ولا تفتخري علىٰ

---

(١) التعريس: نزول القوم في السفر من آخر الليل، يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم يرتحلون. «الصحاح» ج ٣، ص ٩٤٨، مادة «عرس».

كربلاء، فإنها البقعة المباركة التي نودي موسىٰ منها من الشجرة، وإنها الربوة التي أوت إليها مريم والمسيح عليهما السلام، وإنها الدالية التي غسّل فيها رأس الحسين عليه السلام وفيها غسّلت مريم عيسىٰ، واغتسلت من ولادتها، وإنها خير بقعة عرج رسول الله صلى الله عليه وآله منها وقت غيبته، وليكونن لشيعتنا فيها حياة إلىٰ ظهور قائمنا عليه السلام).

قال المفضّل: يا سيدي، ثمّ يسير المهدي إلىٰ أين؟

قال: (إلىٰ مدينة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا وردها كان له فيها مقام عجيب، يظهر فيه سرور المؤمنين وخزي الكافرين).

قال المفضّل: يا سيدي، ماهو ذاك؟

قال: (يرد إلىٰ قبر جده صلى الله عليه وآله فيقول: يا معشر الخلائق، هذا قبر جدي رسول الله؟ فيقولون: نعم يا مهدي آل محمد، فيقول)... إلىٰ آخر خبر قدومه مدينة جدّه صلى الله عليه وآله [ـ].

(... ثمّ يسير المهدي عليه السلام إلىٰ الكوفة، وينزل مابين الكوفة والنجف، وعدة أصحابه ذلك اليوم ستة وأربعون ألفاً من الملائكة، ومثلها من الجن، والنقباء ثلاثمائة وثلاثة عشر نفساً).

قال المفضّل: يا سيدي، كيف تكون دار الفاسقين في ذلك الوقت؟

قال: (في لعنة الله وسخطه، تخربها الفتن وتتركها جمّاء، فالويل لها ولمن بها ـ كل الويل ـ من الرايات الصفر ورايات المغرب، ومن كلب الجزيرة، ومن الرايات التي تسير إليها من كل قريب وبعيد. والله لينزلن بها من صنوف من العذاب ما نزل بسائر الأُمم المتمردة، من أول الدهر إلىٰ آخره، ولينزلن بها من العذاب ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت بمثله، ولا يكون طوفان أهلها إلّا بالسيف، فالويل لمن اتخذها مسكناً، فإنّ المقيم يبقىٰ بشقائه، والخارج منها برحمة الله.

والله يا مفضّل، ليبقىٰ من أهلها في الدنيا حتىٰ يقال: إنها هي الدنيا، وإنّ دورها وقصورها هي الجنة، وإنّ بناتها هنّ الحور العين، وإنّ ولدانها هم الولدان، وليظنن الناس أنّ الله لم يقسم رزق العباد إلّا بها، وليظهرن فيها من الافتراء علىٰ الله وعلىٰ رسوله صلى الله عليه وآله، والحكم بغير كتابه، ومن شهادة الزور، وشرب الخمور، والفجور، وأكل السحت، وسفك الدماء، ما لا يكون في الدنيا كلها إلّا دونه، ثمّ ليخربها الله بتلك الفتن وتلك الرايات، حتىٰ ليمرّ عليها المار فيقول: هاهنا كانت الزوراء).

قال المفضّل: ثم يكون ماذا يا سيدي؟

فقال: (ثمّ يخرج الحسني الفتىٰ الصبيح من نحو الديلم، فيصيح بصوت له فصيح: يا آل

أحمد، أجيبوا الملهوف والمنادي من حول الضريح، فتجيبه كنوز الله بالطالقان، كنوز وأيّ كنوز، ليست من فضة ولا ذهب، بل هي رجال كزبر الحديد، لكأني أنظر لهم على البراذين الشهب، بأيديهم الحراب، يتعاوون شوقاً إلى الحرب كما تتعاوى الذئاب، أميرهم رجل من تميم، يقال له: شعيب بن صالح. فيقبل الحسني إليهم، وجهه كدائرة القمر، يروع الناس جمالاً، ولم يزل يقتل الظلمة، حتى يرد الكوفة ـ وقد صفا أكثر الأرض ـ فيجعلها له معقلاً.

فيتصل به وبأصحابه خبر المهدي عليه السلام، ويقولون: يابن رسول الله، من هذا الذي نزل بساحتنا؟ فيقول: اخرجوا بنا إليه حتى ننظر من هو وما يريد. وهو والله يعلم أنه المهدي عليه السلام، وإنه ليعرفه، ولم يرد بذلك الأمر إلّا ليعرّف أصحابه من هو.

فيخرج الحسني في أمر عظيم، بين يديه أربعة آلاف رجل، في أعناقهم المصاحف، وعليهم المسوح، مقلدين بسيوفهم. فيقبل الحسني حتى ينزل بالقرب من المهدي عليه السلام، ثمّ يقول لأصحابه: اسألوا عن هذا الرجل من هو؟ وماذا يريد؟

فيخرج بعض أصحاب الحسني إلى عسكر المهدي عليه السلام، فيقول: أيها العسكر الجائل، من أنتم حيّاكم الله؟ ومن صاحبكم هذا وماذا يريد؟

فيقول أصحاب المهدي: هذا مهدي آل محمد، ونحن أنصاره من الجن والإنس والملائكة.

ثمّ يقول الحسني: خلّوا بيني وبين هذا، فيخرج إليه المهدي فيقفان بين العسكرين، فيقول له الحسني: إن كنت مهدي آل محمد فأين هراوة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله، وخاتمه وبُردته، ودرعه الفاضل، وعمامته السحاب، وفرسه اليربوع، وناقته العضباء، وبغلته دلدل، وحماره اليعفور، ونجيبه البراق، ومصحف أمير المؤمنين عليه السلام بغير تغيير ولا تبديل؟ فيخرج له ذلك).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: (إنه كان كلّه في السفط، وتركات جميع النبيين، حتى عصا آدم عليه السلام ونوح عليه السلام، وتركة هود وصالح عليهما السلام، ومجموع إبراهيم عليه السلام، وصاع يوسف عليه السلام، ومكيال شعيب عليه السلام وميزانه، وعصا موسى وتابوته الذي فيه بقية ما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، ودرع داود عليه السلام وخاتمه، وخاتم سليمان عليه السلام وتاجه، ورحل عيسى عليه السلام، وميراث النبيين والمرسلين في ذلك السفط.

فعند ذلك يقول الحسني: يابن رسول الله، اقض ما قد رأيته، والذي أسألك أن تغرز هراوة رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحجر الصلب، وتسأل الله أن ينبتها فيه، ولم يرد بذلك إلّا أن يري أصحابه فضل المهدي عليه السلام حتى يبايعوه، فيأخذ المهدي الهرواة فيغرزها فتنبت، فتعلو وتفرع

وتورق، حتىٰ تُظل عسكر الحسني.

فيقول الحسني: الله أكبر، يابن رسول الله، مدّ يدك حتىٰ أُبايعك، فيمدّ يده فيبايعه، ويبايعه سائر العسكر الذي مع الحسني، إلّا الأربعة آلاف أصحاب المصاحف والمسوح الشعر المعروفين بالزيدية، فإنهم يقولون: ما هذا إلّا سحر عظيم.

فيختلط العسكران، ويقبل المهدي علىٰ الطائفة المنحرفة، فيعظهم ويدعوهم ثلاثة أيام، فلا يزدادون إلّا طغياناً وكفراً، فيأمر بقتلهم فيُقتلون جميعاً، فكأني أنظر إليهم قد ذُبحوا علىٰ مصاحفهم، كلهم يتمرغون في دمائهم، وتتمرغ المصاحف، فيقبل بعض أصحاب المهدي عليه السلام فيأخذ تلك المصاحف، فيقول المهدي لأصحابه: دعوها تكون عليهم حسرة، كما بدّلوها وغيّروها وحرّفوها ولم يعملوا بما فيها).

قال المفضّل: يا مولاي، ثمّ ماذا يصنع المهدي عليه السلام؟

قال: (ثمّ يثوّر سراياه علىٰ السفياني إلىٰ دمشق، فيأخذونه ويذبحونه علىٰ الصخرة.

ثمّ يظهر الحسين عليه السلام في اثني عشر ألف صدّيق، واثنين وسبعين رجلاً أصحابه يوم كربلاء، فيالك عندها من كرّة زهراء ورجعة بيضاء.

ثمّ يخرج الصدّيق الأكبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وتنصب له القبة بالنجف، فتقام أركانها: ركن بالنجف، وركن بهجر، وركن بصنعاء اليمن، وركن بأرض طيبة، فكأني أنظر إلىٰ مصابيحها تشرق في السماء والأرض كأضواء من الشمس والقمر، فعندها تبلىٰ السرائر، و ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ إلىٰ آخر الآية[1].

ثمّ يخرج السيّد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، في أنصاره والمهاجرين إليه ومن آمن به وصدّقه واستشهد معه، ويحضر مكذّبوه والشاكون فيه، والرادون عليه، والقائلون فيه: إنه ساحر وكاهن ومجنون ومعلم وشاعر وناطق عن الهوىٰ، ومن حاربه وقاتله، حتىٰ يقتص منهم بالحقّ، ويجازون بأفعالهم منذ وقت ظهور رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ ظهور المهدي، مع كل إمام إمام، ووقت وقت، ويحق تأويل هذه الآية: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ في الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُم ما كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[2]).

---

(١) «الحج» الآية: ٢.

(٢) «القصص» الآية: ٥ – ٦.

قال المفضّل يا سيدي، ومن فرعون وهامان؟

قال: (...).

قال المفضّل: يا سيدي، ورسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما يكونان معه؟

فقال: (لابد أن يطأ الأرض، حتىٰ ما وراء القاف[1]، إي والله، ومافي الظلمات ومافي قعر البحار، حتىٰ لا يبقىٰ موضع قدم إلّا وطآه وأقاما فيه الدين الواجب لله تعالىٰ.

ثمّ لكأني أنظر إلينا معاشر الأئمة ونحن بين يدي جدنا رسول الله ﷺ، نشكو إليه ما نزل بنا من الأمة بعده، وما نالنا من التكذيب والردّ علينا، وسبنا ولعننا، وتخويفنا بالقتل، وقصد طواغيتهم الولاة لأمورهم إيّانامن دون الأمة، بترحلينا من حرمه إلىٰ دار ملكهم، وقتلهم إيانا بالسم والحبس. فيبكي رسول الله ﷺ ويقول: يا بني، ما نزل بكم إلّا ما نزل بجدكم قبلكم.

ثمّ تبتدئ فاطمة عليها السلام فتشكو ما نالها من...، وأخذ فدك منها، ومشيها إليه في مجمع من المهاجرين والأنصار، وخطابها له في أمر فدك، وما ردّ عليها من قوله: إنّ الأنبياء لا تورّث، واحتجاجها بقول زكريا ويحيىٰ عليهما السلام، وقول...: هاتي صحيفتك التي ذكرتِ أنّ أباك كتبها لك، وإخراجها الصحيفة، وأخذه إياها منها، ونشره لها علىٰ رؤوس الأشهاد من قريش وسائر المهاجرين والأنصار وسائر العرب، وتفله فيها وتمزيقه إياها، وبكاؤها ورجوعها الىٰ قبر أبيها رسول الله ﷺ، باكية حزينة، تمشي علىٰ الرمضاء، قد أقلقتها، واستغاثتها بالله وبأبيها رسول الله ﷺ، وتمثّلها بقول رقية بنت صفي[2]:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب
أبدىٰ رجالٌ لنا فحوىٰ صدورهم	لما نأيت وحالت دونك الحجب
وكل قوم لهم قربىٰ ومنزلة	عند الإله علىٰ الأدنين مقترب
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا	وغاب عنّا فكل الخير محتجب
تهضمتنا رجال واستخف بنا	لمّا مضيت وحالت دونك الكتب

---

(١) كذا في «مختصر بصائر الدرجات»، وفي الأصل: «اللحاف»؛ وفي «بحار الأنوار» و«حلية الأبرار»: «الخاف».

(٢) في «أُسد الغابة» ج٦، ص١١٥، الرقم: ٦٩١٩، عنونها: رُقيقة بنت صيفي. وفي «الإصابة» ج٤، ص٣٠٢، عنونها: رقيقة بنت أبي صيفي.

يــا ســيدي يــا رسـول الله لو نـظرت | عــيناك مـا فـعلت فـي آلك الصحب
يــاليت قـبلك كـان المـوت حـلّ بـنا | أمــلوا أنــاس فــفازوا بــالذي طـلبوا

وتقصّ عليه قصة...، وإنفاذه خالد بن الوليد وقنفذاً و...، وجمع الناس لإخـراج أمـير المؤمنين عليه السلام من بيته إلىٰ البيعة في سقيفة بني ساعدة، واشتغال أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفـاة رسول الله صلى الله عليه وآله بضم أزواجه وتعزيتهن، وجمع القرآن، وقضاء دينه، وإنجاز عداته، وهي ثمانون ألف درهم، باع فيها تليده وطارفه وقضاها عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقول ...: اخرج يا علي إلىٰ ما أجمع عليه المسلمون وإلّا قـتلناك، وقـول فـضة جـارية فاطمة عليها السلام: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام مشغول، والحق له إن أنصفتم من أنفسكم وأنصفتموه[1].

وجمعهم الحطب الجزل علىٰ الباب لإحراق بيت أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وفضة، وإضرامهم النار علىٰ الباب، وخروج فاطمة عليها السلام إليهم، وخطابها لهم من وراء الباب، وقولها: ويحك يا...، ما هذه الجرأة علىٰ الله وعلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله! تـريد أن تقطع نسله من الدنيا وتفنيه وتطفئ نور الله، والله متّم نوره. وانتهاره لها وقوله: كفّي يا فاطمة، فليس محمد حاضراً، ولا الملائكة آتية بالأمر والنهي والزجر من عند الله، وما عليٌّ إلّا كأحـد المسلمين، فاختاري إن شئت خروجه لبيعة أبي بكر أو إحراقكم جميعاً.

فقالت وهي باكية: اللهم إليك نشكو فقد نبيك ورسولك وصفيك، وارتداد أُمته علينا، ومنعهم إيانا حقنا الذي جعلته لنا في كتابك المنزل علىٰ نبيك المرسل.

فقال...: دعي عنك يا فاطمة حمقات النساء، فلم يكن الله ليجمع لكم النبوة والخـلافة. وأخذت النار في خشب الباب.

وإدخال قنفذ يده لعنه الله يروم فتح الباب، وضرب عمر لها بالسوط علىٰ عضدها حتىٰ صار كالدملج الأسود، وركل الباب برجله حتىٰ أصاب بطنها وهي حاملة بالمحسن لسـتة أشـهر، وإسقاطها إياه.

وهجوم... وقنفذ وخالد بن الوليد، وصفقه خدها حتىٰ بدا قرطاها تحت خمارها، وهي تجهر بالبكاء وتقول: وا أبتاه، وا رسول الله، ابنتك فاطمة تُكذَّب وتُضرَب ويقتل جـنين فـي بطنها.

---

(١) إلىٰ هنا ينتهي الحديث في «مختصر بصائر الدرجات» ص١٧٩ ـ ١٩٢، بتفاوت.

وخروج أمير المؤمنين عليه السلام من داخل الدار، محمرّ العين، حاسراً، حتىٰ ألقىٰ ملاءته عليها وضمها إلىٰ صدره، وقوله لها: يا بنت رسول الله، قد علمت أنّ الله بعث أباك رحمة للعالمين، فالله الله أن تكشفي خمارك وترفعي ناصيتك، فوالله يا فاطمة لئن فعلت ذلك لا أبقىٰ الله علىٰ الأرض من يشهد أنّ محمداً رسول الله، ولا موسىٰ، ولا عيسىٰ، ولا إبراهيم، ولا نوح، ولا آدم، ولا دابة تمشي علىٰ وجه الأرض، ولا طائراً في السماء إلّا أهلكه الله.

ثمّ قال: يابن ... ، لك الويل من يومك هذا وما بعده وما يليه، اخرج قبل أن أشهر سيفي فأفني غابر الأمة.

فخرج ... وخالد وقنفذ وعبد الرحمن بن أبي بكر، فصاروا من خارج الدار، وصاح أمير المؤمنين عليه السلام بفضة: يا فضة، مولاتك فأقبلي منها ما تقبله النساء، فقد جاءها المخاض من الرفسة وردّ الباب، فأسقطت محسناً عليه السلام، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فإنه لاحق بجده رسول الله صلى الله عليه وآله، فيشكو إليه.

وحمل أمير المؤمنين عليه السلام لها في سواد الليل، والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم، إلىٰ دور المهاجرين والأنصار، يذكّرهم بالله ورسوله، وعهده الذي بايعوا الله ورسوله وبايعوه عليه في أربعة مواطن، في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتسليمهم عليه بإمرة المؤمنين في جميعها، فكل يعده بالنصر في يومه المقبل، فإذا أصبح قعد جميعهم عنه.

ثمّ يشكو إليه أمير المؤمنين المحن العظيمة التي امتحن بها بعده، وقوله: لقد كانت قصتي مثل قصة هارون مع بني إسرائيل، وقولي كقوله لموسىٰ: ﴿ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[1]. فصبرت محتسباً، وسلّمت راضياً، وكانت الحجّة عليهم في خلافي ونقضهم عهدي الذي عاهدتهم عليه، يا رسول الله، واحتملت يا رسول الله ما لم يحتمله وصي نبي من سائر الأوصياء من سائر الأمم، حتىٰ قتلوني بضربة عبد الرحمن بن ملجم، وكان الله الرقيب عليهم في نقضهم بيعتي.

وخروج طلحة والزبير بعائشة إلىٰ مكة، يظهران الحج والعمرة، وسيرهم بها إلىٰ البصرة، وخروجي إليهم وتذكيري لهم الله وإيّاك، وما جئتَ به يا رسول الله، فلم يرجعا، حتىٰ نصرني الله عليهما، حتىٰ أهرقت دماء عشرين ألفاً من المسلمين، وقُطعت سبعون كفاً علىٰ زمام الجمل،

---

(١) «الأعراف» الآية: ١٥٠.

فما لقيت في غزواتك يا رسول الله وبعدك أصعب يوماً منه أبداً، لقد كان من أصعب الحروب التي لقيتها، وأهولها وأعظمها.

فصبرت كما أدّبني الله بما أدّبك به يا رسول الله في قوله تعالىٰ: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ ﴾[2]. وحق والله يا رسول الله تأويل هذه الآية التي أنزلها الله في الأمة من بعدك في قوله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[3].

ويقوم الحسن إلىٰ جده ﷺ فيقول: يا جداه، كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في دار هجرته بالكوفة، حتىٰ استشهد بضربة عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله، فوصاني بما وصّيته يا جداه، وبلغ اللعين معاوية قتل أبي، فأنفذ اللعين الدعي زياداً إلىٰ الكوفة في مائة ألف وخمسين ألف مقاتل، وأمر بالقبض عليّ وعلىٰ أخي الحسين عليه السلام، وسائر إخواني وأهل بيتي، وشيعتنا ومواليناء، وأن يأخذ علينا البيعة لمعاوية لعنه الله، فمن يأبىٰ منا ضرب عنقه، وسيّر إلىٰ معاوية رأسه.

فلمّا علمت ذلك من فعل معاوية خرجت من داري، فدخلت مسجد الكوفة للصلاة، ورقيت المنبر، واجتمع الناس، فحمدت الله وأثنيت عليه، وقلت: معاشر الناس، عفت الديار، ومحيت الآثار، وقل الاصطبار، فلا قرار علىٰ همزات الشياطين وحكم الخائنين، الساعة والله صحّت البراهين، وفصّلت الآيات، وبانت المشكلات، ولقد كنا نتوقع تمام هذه الآية بتأويلها، قال الله تعالىٰ: ﴿ وما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾.

فلقد مات والله جدي رسول الله ﷺ، وقُتل أبي عليه السلام، وصاح الوسواس الخناس في قلوب الناس، ونعق ناعق الفتنة، وخالفتم السنّة، فيالها من فتنة صمّاء عمياء، لا يسمع لداعيها، ولا يجاب مناديها، ولا يخالف واليها. ظهرت كلمة النفاق، وسُيّرت رايات أهل الشقاق، وتكالبت جيوش أهل المراق، من الشام والعراق. هلموا رحمكم الله إلىٰ الافتتاح، والنور الوضّاح، والعلم الجحجاح، والنور الذي لا يطفىٰ، والحق الذي لا يخفىٰ.

---

(١) «الأحقاف» الآية: ٣٥.
(٢) «النحل» الآية: ١٢٧.
(٣) «آل عمران» الآية: ١٤٤.

أيّها الناس، تيقضوا من رقدة الغفلة، ومن تكاثف الظلمة، فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، وتردّىٰ بالعظمة، لئن قام إليّ منكم عصبة، بقلوب صافية، ونيات مخلصة، لا يكون فيها شوب نفاق، ولا نية افتراق، لأجاهدن بالسيف قدماً قدماً، ولأصبغن من السيوف جوانبها، ومن الرماح أطرافها، ومن الخيل سنابكها، فتكلموا رحمكم الله.

فكأنما ألجموا بلجام الصمت عن إجابة الدعوة، إلّا عشرون رجلاً، فإنهم قاموا إليّ فقالوا: يابن رسول الله ﷺ، ما نملك إلّا أنفسنا وسيوفنا، فها نحن بين يديك، لأمرك طائعون، وعن رأيك صادرون، فمرنا بما شئت. فنظرت يمنة ويسرة، فلم أرَ أحداً غيرهم، فقلت: لي أسوة بجدي رسول الله ﷺ حين عبد الله سرّاً، وهو يومئذ في تسعة وثلاثين رجلاً، فلمّا أكمل الله له الأربعين صار في عدّة وأظهر أمر الله، فلو كان معي عدتهم جاهدت في الله حق جهاده.

ثمّ رفعت رأسي نحو السماء فقلت: اللهم إني قد دعوت وأنذرت، وأمرت ونهيت، وكانوا عن إجابة الداعي غافلين، وعن نصرته قاعدين، وعن طاعته مقصرين، ولأعدائه ناصرين. اللهم فأنزل عليهم رجزك وبأسك وعذابك الذي لا يردّ عن القوم الظالمين. ونزلت.

ثمّ خرجت من الكوفة راحلاً إلىٰ المدينة، فجاؤوني يقولون: إنّ معاوية أسرىٰ سراياه إلىٰ الأنبار والكوفة، وشنّ غاراته علىٰ المسلمين، وقتل من لم يقاتله، وقتل النساء والأطفال، فأعلمتهم أنه لا وفاء لهم، فأنفذت معهم رجالاً وجيوشاً، وعرّفتهم أنهم يستجيبون لمعاوية وينقضون عهدي وبيعتي، فلم يكن إلّا ما قلت لهم وأخبرتهم.

ثمّ يقوم الحسين عليه السلام مخضباً بدمه، هو وجميع من قُتل معه، فإذا رآه رسول الله ﷺ بكىٰ، وبكىٰ أهل السماوات والأرض لبكائه، وتصرخ فاطمة عليها السلام فتتزلزل الأرض ومن عليها، ويقف أمير المؤمنين عليه السلام، والحسن عن يمينه، وفاطمة عليها السلام عن شماله، ويقبل الحسين عليه السلام، فيضمّه رسول الله ﷺ إلىٰ صدره ويقول: يا حسين، فديتك، قرّت عيناك وعيناي فيك. وعن يمين الحسين عليه السلام حمزة أسد الله في أرضه، وعن شماله جعفر بن أبي طالب الطيّار.

ويأتي محسن، تحمله خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت أسد، أم أمير المؤمنين عليه السلام، وهن صارخات، وأمه فاطمة تقول: ﴿ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[١]، واليوم ﴿ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً ﴾[٢]).

---

(١) «الأنبياء» الآية: ١٠٣. (٢) «آل عمران» الآية: ٣٠.

قال: فبكىٰ الصادق عليه السلام حتىٰ اخضلت لحيته بالدموع، ثمّ قال: (لا قرّت عين لا تبكي عند هذا الذكر).

قال: وبكىٰ المفضّل بكاءً طويلاً، ثمّ قال: يا مولاي، ما في الدموع يا مولاي؟ فقال: (ما لا يحصىٰ إذا كان من محق).

ثمّ قال المفضّل: يا مولاي، ما تقول في قوله تعالىٰ: ﴿ وإذا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾[1]؟

قال: (يا مفضّل، والموءودة والله محسن؛ لأنه منّا لا غير، فمن قال غير هذا فكذّبوه).

قال المفضّل: يا مولاي، ثمّ ماذا؟

قال الصادق عليه السلام: (تقوم فاطمة بنت رسول الله صلىٰ الله عليهما وآلهما فتقول: اللهم أنجز وعدك وموعدك لي فيمن ظلمني وغصبني وضربني، وجزّعني ثكل أولادي. فتبكيها ملائكة السماوات السبع، وحملة العرش، وسكان الهواء، ومن في الدنيا، ومن تحت أطباق الثرىٰ، صائحين صارخين إلىٰ الله تعالىٰ.

فلا يبقىٰ أحد ممن قاتلنا وظلمنا ورضي بما جرىٰ علينا إلّا قُتل في ذلك اليوم ألف قتلة، دون من قتل في سبيل الله، فإنه لا يذوق الموت، وهو كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أمْوَاتاً بَلْ أحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِن خَلْفِهِمْ ألّا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2]).

قال المفضّل: يا مولاي، فإنّ من شيعتكم من لا يقول برجعتكم؟

فقال عليه السلام: (أما سمعوا قول جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن سائر الأئمة نقول: من لم يثبت إمامتنا، ويحلّ متعتنا، ويقول برجعتنا، فليس منا، وما سمعوا قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِنَ العَذَابِ الأدْنىٰ دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ ﴾[3]).

قال المفضّل: يا مولاي، ما العذاب الأدنىٰ؟ وما العذاب الأكبر؟

قال الصادق عليه السلام: (العذاب الأدنىٰ: عذاب الرجعة، والعذاب الأكبر: عذاب يوم القيامة، الذي تبدل فيه ﴿ الأرْضُ غَيْرَ الأرْضِ والسَّمٰوٰاتُ وَبَرَزُوا لِلّهِ الواحِدِ القَهّارِ ﴾[4]).

قال المفضّل: يا مولاي، فإمامتكم ثابتة عند شيعتكم، ونحن نعلم أنكم اختيار الله في

---

(١) «التكوير» الآية: ٨ - ٩.

(٢) «آل عمران» الآية: ١٦٩ - ١٧٠.

(٣) «السجدة» الآية: ٢١.

(٤) «إبراهيم» الآية: ٤٨.

قوله تعالىٰ: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ ﴾[١]، وقوله تعالىٰ: ﴿ اللهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ إنّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبْراهِيمَ وآلَ عِمْرانَ عَلَىٰ العالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣].

قال الصادق عليه السلام: (يا مفضل، فأين نحن في هذه الآية).

قال المفضّل: قول الله: ﴿ إنَّ أَوْلَىٰ النّاسِ بِإبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ المُؤْمِنينَ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ مِلَّةَ أبيكُمْ إبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ ﴾[٥]، وقوله عن إبراهيم: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أن نَعْبُدَ الأصْنامَ ﴾[٦]، وقد علمنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ما عبدا صنماً ولا وثناً، ولا أشركا بالله طرفة عين. وقوله: ﴿ وإذِ ابْتَلَىٰ إبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأتَمَّهُنَّ قالَ إنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمينَ ﴾[٧]، والعهد عهد الإمامة لا يناله ظالم.

قال: (يا مفضّل، وما علمك بأنّ الظالم لا ينال عهد الإمامة؟)

قال المفضّل: يا مولاي، لا تمتحني بما لا طاقة لي به، ولا تختبرني ولا تبتلني، فمن علمك علمت، ومن فضل الله عليكم أخذت.

قال الصادق عليه السلام: (صدقت يا مفضّل، ولولا اعترافك بنعمة الله عليك في ذلك لما كنت هكذا، فأين ـ يا مفضّل ـ الآيات من القرآن في أنّ الكافر ظالم؟).

قال: نعم يا مولاي، قوله تعالىٰ: ﴿ وَالكافِرُونَ هُمُ الظّالِمُونَ ﴾[٨]، والكافرون هم الفَاسِقُون، ومن كفر وفسق وظلم لا يجعله الله للناس إماماً.

قال الصادق عليه السلام: (أحسنت يا مفضّل، فمن أين قلت برجعتنا، ومقصّرة شيعتنا تقول: إنّ معنىٰ الرجعة أنّ الله يردّ إلينا ملك الدنيا وأن يجعله للمهدي عليه السلام، ويحهم متىٰ سُلبنا الملك حتىٰ يردّ علينا؟).

قال المفضّل: لا والله، ما سُلبتموه ولا تُسلَبونه، لأنه ملك النبوة والرسالة والوصية والإمامة.

---

(١) «الأنعام» الآية: ٨٣؛ «يوسف» الآية: ٧٦.
(٢) «الأنعام» الآية: ١٢٤.
(٣) «آل عمران» الآية: ٣٣ – ٣٤.
(٤) «آل عمران» الآية: ٦٨.
(٥) «الحج» الآية: ٧٨.
(٦) «إبراهيم» الآية: ٣٥.
(٧) «البقرة» الآية: ١٢٤.
(٨) «البقرة» الآية: ٢٥٤.

قال الصادق عليه السلام: (يا مفضّل لو تدبّر القرآنَ شيعتُنا لما شكّوا في فضلنا، أما سمعوا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُم ما كانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[١]؟ والله يا مفضّل إنّ تنزيل هذه الآية في بني إسرائيل، وتأويلها فينا، وإنّ فرعون وهامان تيم وعدي).

قال المفضّل: يا مولاي، فالمتعة؟

قال: (المتعة حلال طلق، والشاهد بها قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ولا جُناحَ عَلَيْكُم فِيما عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّساءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلكِنْ لا تُواعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلّا أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾[٢]، أيّ مشهوداً، والقول المعروف هو المشتهر بالولي والشهود، وإنما احتيج إلىٰ الولي والشهود في النكاح ليثبت النسل، ويصح النسب، ويستحق الميراث. وقوله: ﴿ وآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾[٣].

وجعل الطلاق في النساء المزوّجات غير جائز إلّا بشاهدين ذوَي عدل من المسلمين، وقال في سائر الشهادات ـ علىٰ الدماء والفروج والأموال والأملاك ـ: ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُم فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وامْرَأَتانِ مِمَّن تَرْضَونَ مِنَ الشُّهَداءِ ﴾[٤].

وبيّن الطلاق عزّ ذكره فقال: ﴿ يا أَيُّها النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ واتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ﴾، ولو كانت المطلقة تبين بثلاث تطليقات تجمعها كلمة واحدة، أو أكثر منها أو أقل، لما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَحْصُوا العِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً * فإذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أو فارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَي عَدْلٍ مِنْكُم وَأَقِيمُوا الشَّهادَةَ للهِ ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ﴾[٥].

وقوله: ﴿ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحدِثُ بَعْد ذلكَ أمْراً ﴾ هو نكر يقع بين الزوج وزوجته، فيطلق التطليقة الأُولىٰ بشهادة ذوي عدل، وحدّ وقت التطليق هو آخر القرء، والقرء هو الحيض، والطلاق يجب عند آخر نقطة بيضاء تنزل بعد الصفرة والحمرة، وإلىٰ التطليقة الثانية والثالثة

---

(١) «القصص» الآية: ٥ ـ ٦.
(٢) «البقرة» الآية: ٢٣٥.
(٣) «النساء» الآية: ٤.
(٤) «البقرة» الآية: ٢٨٢.
(٥) «الطلاق» الآية: ١ ـ ٢.

ما يحدث الله بينهما عطفاً أو زوال ما كرهاه، وهو قوله: ﴿ وَالمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُروءٍ ولا يَحِلّ لَهُنَّ أنْ يَكْتُمْنَ مَاخَلَقَ اللهُ في أَرْحامِهِنَّ إن كُنَّ يُؤمِنَّ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ في ذلكَ إنْ أرادُوا إصْلاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلِلْرِجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عزيزٌ حكيم ﴾[١].

هذا لقوله في أنّ للبعولة مراجعة النساء من تطليقة إلىٰ تطليقة إن أرادوا إصلاحاً، وللنساء مراجعة الرجال في مثل ذلك.

ثمّ بيّن تبارك وتعالىٰ فقال: ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْروفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإحْسانٍ ﴾[٢]، وفي الثالثة، فإنْ طلق الثالثة وبانت فهو قوله: ﴿ فَإِن طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتّىٰ تَنكِحَ زَوْجاً غَيرَهُ ﴾[٣] ثمّ يكون كسائر الخطّاب لها.

والمتعة التي أحلّها الله في كتابه، وأطلقها الرسول عن الله لسائر المسلمين، فهي قوله عزّ وجلّ: ﴿ والمُحْصَناتُ مِنَ النِّساءِ إلّا مَا مَلَكَتْ أيمانُكُمْ كِتابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وأُحِلّ لَكُم ماوَراءَ ذٰلكُمْ أنْ تَبْتَغُوا بِأمْوالِكُم مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فيما تَراضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الفَرِيضَةِ إنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾[٤]. والفرق بين المزوّجة والممتعة أن للمزوّجة صداقاً، وللممتعة أجرة.

فتمتع سائر المسلمين في عهد رسول الله ﷺ، في الحج وغيره، وفي أيام أبي بكر، وأربع سنين في أيام عمر، حتىٰ دخل علىٰ أُخته عفراء فوجد في حجرها طفلاً يرضع من ثديها، فنظر إلىٰ درة اللبن في فم الطفل، فأغضب وأرعد وأربد، وأخذ الطفل علىٰ يده، وخرج حتىٰ أتىٰ المسجد، ورقىٰ المنبر وقال: نادوا في الناس أنّ الصلاة جامعة، وكان غير وقت صلاة، فعلم الناس أنه لأمر يريده عمر.

فحضروا، فقال: معاشر الناس، من المهاجرين والأنصار وأولاد قحطان، من منكم من يحب أن يرىٰ المحرّمات عليه من النساء ولها مثل هذا الطفل قد خرج من أحشائها، وهو يرضع علىٰ ثديها، وهي غير متبعلة؟ فقال بعض القوم: ما نحب هذا، فقال: ألستم تعلمون أن أُختي عفراء ـ بنت حنتمة أمي وأبي الخطّاب ـ غير متبعلة ؟ قالوا: بلىٰ، قال: فإني دخلت عليها في هذه الساعة فوجدت هذا الطفل في حجرها، فناشدتها أنّىٰ لك هذا؟ فقالت: تمتعت.

---

(١) «البقرة» الآية: ٢٢٨.
(٢) «البقرة» الآية: ٢٢٩.
(٣) «البقرة» الآية: ٢٣٠.
(٤) «النساء» الآية: ٢٤.

فاعلموا سائر الناس أنّ هذه المتعة كانت حلالاً للمسلمين في عهد رسول الله ﷺ، وقد رأيت تحريمها، فمن أبىٰ ضربت جنبيه بالسوط.

فلم يكن في القوم منكر قوله ولا راد عليه، ولا قائل: لا يأتي رسول بعد رسول الله ﷺ، أو كتاب بعد كتاب الله، لا نقبل خلافك علىٰ الله وعلىٰ رسوله وكتابه، بل سلّموا ورضوا).

قال المفضّل: يا مولاي، فما شرائط المتعة؟

قال: (يا مفضّل، لها سبعون شرطاً، من خالف منها شرطاً واحداً ظلم نفسه).

قال: قلت: يا سيدي، قد أمرتمونا أن لا نتمتع ببغيّة ولا مشهورة بفساد ولا مجنونة، وأن ندعو المتعة إلىٰ الفاحشة، فإن أجابت فقد حرم الاستمتاع بها، وأن نسأل: أفارغة أم مشغولة ببعل أو حمل أو بعدّة؟

فإن شغلت بواحدة من الثلاث فلا تحلّ، وإن خلت فنقول لها: متعيني نفسك علىٰ كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيه ﷺ، نكاحاً غير سفاح، أجلاً معلوماً، بأجرة معلومة، وهي ساعة، أو يوم، أو يومان، أو شهر أو سنة، أو مادون ذلك، أو أكثر. والأُجرة ما تراضيا عليه، من حلقة خاتم، أو شسع نعل، أو شق تمرة، إلىٰ فوق ذلك من الدراهم والدنانير، أو عَرَض ترضىٰ به، فإن وهبت له حلّ، كالصداق الموهوب من النساء المزوّجات، الذين قال الله فيهن: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾[1].

ثمّ يقول لها: علىٰ ألّا ترثيني ولا أرثك، وعلىٰ أنّ الماء لي أضعه منك حيث أشاء، وعليك الاستبراء خمسة وأربعين يوماً، أو محيضاً واحداً. فإذا قالت: نعم، أعدت القول ثانيةً وعقدت النكاح، فإن أحببت وأحبت هي الاستزادة في الأجل زدتما، وفيه ما رويناه، فإن كانت تفعل فعليها ما تولت من الإخبار عن نفسها، ولا جناح عليك.

وقول أمير المؤمنين ﷺ: (... ابن الخطاب، فلولاه ما زنىٰ إلّا شقي أو شقية)؛ لأنه كان يكون للمسلمين غَناء في المتعة عن الزنىٰ. ثمّ تلا: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَياةِ الدُّنيا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَىٰ ما فِي قَلْبِهِ وَهوَ أَلَدُّ الخِصامِ * وإذا تَوَلّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فيها وَيُهلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ ﴾[2].

ثمّ قال: (إنّ من عزل بنطفته عن زوجته فدية النطفة عشرة دنانير كفارة، وإنّ من شرط

---

(١) «النساء» الآية: ٤.

(٢) «البقرة» الآية: ٢٠٤ – ٢٠٥.

المتعة أنّ ماء الرجل يضعه حيث شاء من المتمتع بها، فإذا وضعه في الرحم فخلق منه ولد كان لاحقاً بأبيه.

ثمّ يقوم جدي علي بن الحسين وأبي الباقر عليهما السلام، فيشكوان إلىٰ جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله ما فُعل بهما.

ثمّ أقوم أنا فأشكو إلىٰ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل المنصور بي.

ثمّ يقوم ابني موسىٰ فيشكو إلىٰ جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به الرشيد.

ثمّ يقوم علي بن موسىٰ فيشكو إلىٰ جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به المأمون.

ثمّ يقوم محمد بن علي فيشكو إلىٰ جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به المأمون.

ثمّ يقوم علي بن محمد فيشكو إلىٰ جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به المتوكل.

ثمّ يقوم الحسن بن علي فيشكو إلىٰ جده رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل به المعتز.

ثمّ يقوم المهدي، سميّ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليه قميص رسول الله صلى الله عليه وآله، مضرجاً بدم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم شجّ جبينه وكسرت رباعيته، والملائكة تحفه، حتىٰ يقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول: يا جداه، وصفتني ودللت علي، ونسبتني وسميتني وكنيتني، فجحدتني الأُمة وتمردت وقالت: ماولد، ولا كان، وأين هو؟ ومتىٰ كان؟ وأين يكون؟ وقد مات ولم يعقب، ولو كان صحيحاً ما أخره الله تعالىٰ إلىٰ هذا الوقت المعلوم. فصبرت محتسباً، وقد أذن الله لي فيها بإذنه يا جداه.

فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿ الحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ ﴾[1]، ويقول: جاء نصر الله والفتح، وحق قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ ﴾[2]. ويقرأ ﴿ إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً * وَيَنصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾[3]).

فقال المفضّل: يا مولاي، أي ذنب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقال الصادق عليه السلام : (يا مفضّل، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اللهم حمّلني ذنوب شيعة أخي وأولاده الأوصياء، ما تقدم منها وما تأخر، إلىٰ يوم القيامة، ولا تفضحني بين النبيين والمرسلين

---

(١) «الزمر» الآية: ٧٤.

(٢) «التوبة» الآية: ٣٣؛ «الصف» الآية: ٩.

(٣) «الفتح» الآية: ١ - ٣.

في شيعتنا، فحمّله الله إياها، وغفر جميعها).

قال المفضّل: فبكيت بكاء طويلاً، وقلت: يا سيدي، هذا بفضل الله علينا فيكم.

قال الصادق عليه السلام: (يا مفضّل، ماهو إلّا أنت وأمثالك، يا مفضّل، لا تحدّث بهذا الحديث أصحاب الرخص من شيعتنا فيتكلون على هذا الفضل ويتركون العمل، فلا يغني عنهم من الله شيئاً، لأنّا كما قال الله سبحانه فينا: ﴿ ولا يَشْفَعُونَ إلّا لِمَنِ ارْتَضىٰ وَهُمْ مِن خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[1]).

قال المفضّل: يا مولاي، فقوله: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾، ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ظهر علىٰ الدين كله؟

قال: (يا مفضّل، لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ظهر علىٰ الدين كله ما كانت مجوسية، ولا يهودية، ولا صابئية، ولا نصرانية، ولا فرقة ولا خلاف، ولا شك، ولا شرك، ولا عبدة أصنام، ولا أوثان ولا اللات والعزّىٰ، ولا عبدة الشمس ولا القمر ولا النجوم ولا النار ولا الحجارة، وإنما قوله: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ في هذا اليوم، وهذا المهدي، وهذه الرجعة، وهو قوله: ﴿ وقاتِلُوهُمْ حَتّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ ﴾[2]).

قال المفضّل: أشهد أنكم من علم الله علمتم، وبسلطانه وقدرته قدرتم، وبحكمته نطقتم، وبأمره تعملون.

ثمّ قال الصادق عليه السلام: (ثمّ يعود المهدي عليه السلام إلىٰ الكوفة، وتمطر السماء بها جراداً من ذهب، كما أمطرت في بني إسرائيل علىٰ أيوب، ويقسّم علىٰ أصحابه كنوز الأرض، من تبرها ولُجينها وجوهرها).

قال المفضّل: يامولاي، من مات من شيعتكم وعليه دين لإخوانه ولأضداده، كيف يكون؟

قال الصادق عليه السلام: (أول ما يبتدئ القائم أن ينادي في جميع العالم: ألا من له عن أحد من شيعتنا دَين فليذكره، حتىٰ يردّ الثومة والخردلة، فضلاً عن القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، فيوفيه إياه).

قال المفضّل: يا مولاي، ثمّ ماذا يكون؟

---

(١) «الأنبياء» الآية: ٢٨.

(٢) «الأنفال» الآية: ٣٩.

قال: (يأتي القائم ﷺ - بعد أن يطأ شرق الأرض وغربها - الكوفةَ ومسجدها، ويهدم المسجد الذي بناه يزيد بن معاوية لعنهما الله، لما قتل الحسين بن علي ﷺ، وهو مسجد ليس لله، ملعون ملعون من بناه).

قال المفضّل: يا مولاي، كم تكون مدة ملكه ﷺ ؟

فقال: (قال الله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وشَهيقٌ * خالِدِينَ فِيها ما دَامَتِ السَّمٰواتُ والأرضُ إلّا ما شَاءَ رَبُّكَ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُريدُ * وأمّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فيها مادَامَتِ السَّمٰواتُ والأرْضُ إلّا ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيرَ مجْذُوذٍ ﴾[1].

والمجذوذ: المقطوع، أي عطاء غير مقطوع عنهم، بل هو دائم أبداً، وملك لا ينفد، وحكم لا ينقطع، وأمر لا يبطل، إلّا باختيار الله ومشيئته وإرادته التي لا يعلمها إلّا هو، ثمّ يوم القيامة وما وصفه الله في كتابه.

والحمد لله رب العالمين وصلّىٰ الله علىٰ خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين، وسلّم تسليماً كثيراً)[2].

في كتاب العوالم: «أقول: روىٰ الشيخ حسن بن سليمان في كتاب مختصر البصائر هذا الخبر هكذا: حدَّثني الأخ الصالح الرشيد محمد بن إبراهيم بن محسن المطارآبادي، أنه وجد بخط أبيه الرجل الصالح إبراهيم بن محسن هذا الحديث الآتي ذكره، وأراني خطه وكتبته منه، وصورته: الحسين بن حمدان ... وساق الحديث كما مرّ، إلىٰ قوله: (لكأنّي أنظر إليهم علىٰ البراذين الشهب، بأيديهم الحراب، يتعاوون شوقاً إلىٰ الحرب، كما تتعاوىٰ الذئاب، أميرهم رجل من تميم، يقال له: شعيب بن صالح، فيقبل الحسني فيهم، وجهه كدائرة القمر، يروع الناس جمالاً، فيبقىٰ علىٰ أثر الظلمة، فيأخذ سيفه الصغير والكبير، والوضيع والعظيم.

ثمّ يسير بتلك الرايات كلها حتىٰ يرد الكوفة، وقد جمع بها أكثر أهل الأرض، ويجعلها له معقلاً، ثمّ يتصل به وبأصحابه خبر المهدي ﷺ، فيقولون له: يابن رسول الله، من هذا الذي نزل

---

(١) «هود» الآية: ١٠٥ - ١٠٨.

(٢) «الهداية الكبرىٰ» ص٣٩٢ - ٤٢٩؛ «حلية الأبرار» ج٥، ص٣٧١ - ٤٠١؛ «بحار الأنوار» ج٥٣، ص١ - ٣٥، بتفاوت، صححناه علىٰ المصدر.

بساحتنا؟ فيقول الحسني: اخرجوا بنا إليه لننظر من هو وما يريد، وهو يعلم والله أنه المهدي عليه السلام، وإنه ليعرفه، وإنه لم يرد بذلك الأمر إلّا الله.

فيخرج الحسني وبين يديه أربعة آلاف رجل، في أعناقهم المصاحف، وعليهم المسوح، مقلّدين بسيوفهم، فيقبل الحسني حتىٰ ينزل بقرب المهدي، فيقول: سائلوا عن هذا الرجل من هو وماذا يريد؟

فيخرج بعض أصحاب الحسني إلىٰ عسكر المهدي، فيقول: أيّها العسكر الجائل من أنتم حيّاكم الله؟ ومن صاحبكم هذا، وماذا يريد؟ فيقول أصحاب المهدي عليه السلام: هذا مهدي آل محمد صلوات الله عليهم، ونحن أنصاره من الجن والإنس والملائكة.

ثمّ يقول الحسني: خلّوا بيني وبين هذا، فيخرج إليه المهدي عليه السلام، فيقفان بين العسكرين، فيقول الحسني: إن كنت مهدي آل محمد فأين هراوة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وخاتمه وبُردته، ودرعه الفاضل، وعمامته السحاب، وفرسه وناقته العضباء، وبغلته دلدل، وحماره يعفور، ونجيبه البراق، وتاجه، والمصحف الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام بغير تغيير ولا تبديل؟

فيحضر له السفط الذي فيه جميع ما طلبه).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: (إنه كان كله في السفط، وتركات جميع النبيين عليهم السلام، حتىٰ عصا آدم ونوح عليهما السلام، وتركة هود وصالح عليهما السلام، ومجموع إبراهيم، وصاع يوسف عليه السلام، ومكيال شعيب وميزانه، وعصا موسىٰ وتابوته، الذي فيه بقية ما ترك آل موسىٰ وآل هارون، تحمله الملائكة، ودرع داود وخاتمه، وخاتم سليمان وتاجه، ورحل عيسىٰ، وميراث النبيين والمرسلين في ذلك السفط.

وعند ذلك يقول الحسني: يابن رسول الله، أسألك أن تغرز هراوة رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحجر الصلد، وتسأل الله أن ينبتها فيه، ولا يريد بذلك إلا أن يري أصحابه فضل المهدي عليه السلام حتىٰ يطيعوه ويبايعوه، ويأخذ المهدي الهراوة فيغرزها فتنبت، فتعلو وتفرع وتورق، حتىٰ تظل عسكر الحسني.

فيقول الحسني: الله أكبر، يابن رسول الله، مدّ يدك حتىٰ اُبايعك. فيبايعه الحسني وسائر عسكره، إلّا الأربعة آلاف أصحاب المصاحف، والمسوح الشعر، المعروفون بالزيدية، فإنهم يقولون: ما هذا إلّا سحر عظيم).

أقول: ثمّ ساق الحديث إلىٰ قوله: (إن أنصفتم من من أنفسكم وأنصفتموه)[1]، نحواً مما مرّ، ولم يذكر بعده شيئاً.

أقول: وجدت هذه الرواية في أصل كتاب الهداية[2] للحسين بن حمدان»[3] انتهىٰ.

قوله: (حاش لله أن يوقّت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا).

ربما يفهم منه أنهم عليهم السلام يعلمونه، وأنه خاص بهم، بل ظاهر عموم كثير يدل علىٰ ذلك وإن لم يظهر منهم، وقول أمير المؤمنين عليه السلام ـ لما سئل ـ: (والله ما المسؤول بأعلم من السائل)، كما تقدم، ويحمل علىٰ العلم الذي لا يجري فيه البداء.

ويدل علىٰ هذا قول الصادق عليه السلام: (لا تراه عين حتىٰ تراه كل عين)[4]، وقوله: (كذب الموقتون)[5] في غير حديث، وسيأتي.

وقول بعض علماء التفسير ـ كما روي ـ: «إنّ ما ذكره بالماضي مثل: ﴿ وما أدراك ﴾ فقد أخبر به، وما ذكره بالمضارع مثل: ﴿ يدريك ﴾، فإنه لم يخبر به»[6].

وقد ذكر الله سبحانه في وقت قيامه عليه السلام: ﴿ وما يدريك ﴾، فإذا لم يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله فغيره بالطريق الأولىٰ بعدم العلم، لكن لا يخفىٰ ما فيه.

وقول الصادق عليه السلام بعد ذلك: (يا مفضّل، لا أوقّت له وقتاً ... إنّ من وقّت لمهدينا وقتاً فقد شارك الله تعالىٰ في علمه، وادعىٰ أنه ظهر علىٰ سرّه) ... الحديث[7]، لا ينافي توقيته عندهم، مع خفاء الوقت، ولله البداء.

وقوله عليه السلام: (تدعىٰ بسرّ من رأىٰ، وهي ساء من رأىٰ).

المشهور أن سرّ من رأىٰ بناها المعتصم، ولعل المتوكل أتم بناءها وتعميرها، فلذا ينسب إليه.

وقال الفيروزآبادي: «سُرَّ من رأىٰ ـ بضم السين والراء ـ أي سرورٌ، وبفتحهما، وفتح الأول وضم الثاني، وسامرّا ـ ومدّه البُحتري في الشعر، أو كلاهما لحن، وساء من رأىٰ ـ:

---

(١) «مختصر بصائر الدرجات» ص١٧٨، ١٨٩، ١٩٢، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «الهداية الكبرىٰ» ص٣٩٢.

(٣) انظر: «بحار الأنوار» ج٥٣، ص٣٥ – ٣٦.

(٤) «مختصر بصائر الدرجات» ص١٨١، ١٨٢، باختلاف.

(٥) «الغيبة» للشيخ الطوسي، ص٤٢٦، ح٤١٢؛ «بحار الأنوار» ج٥٢، ص١٠٣، ح٦.

(٦) انظر: «التفسير الكبير» ج٣١، ص١١٥، نحوه.

(٧) «مختصر بصائر الدرجات» ص١٧٩.

بلد، لمّا شرع في بنائه المعتصم ثقل ذلك على عسكره، فلما انتقل بهم إليها سُرّ كلّ منهم برؤيتها، فلزمها هذا الاسم»[1] انتهىٰ.

أقول: ولعل قوله عليه السلام: (وهي ساء من رأىٰ) فيه نوع استخدام.

وقوله عليه السلام: (يأتي البيت وحده، ويلج الكعبة وحده).

يوم الجمعة يدخل المسجد، يسوق العنيزات وهي تسع، ويلج الكعبة وحده آخر النهار، بعد أن يقتل خطيبهم علىٰ المنبر يدخل الكعبة مستتراً عنهم، ولم يعلم به أحد، وتجنّ عليه ليلة السبت وحده، فإذا كان نصف الليل صعد علىٰ سطح الكعبة ونادىٰ أصحابه، فما أتم نداءه حتىٰ اجتمعوا عنده ـ علىٰ ما تقدم، وسيأتي ـ وهم الثلاثمائة والثلاثة عشر، وهم المعنيّون بقوله تعالىٰ: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً ﴾[2]، علىٰ التأويل.

وقوله: (ويقف بين الركن والمقام، فيصرخ صرخة).

يحتمل أنه في الأرض عند [الحجر][3]، ويحتمل أنه فوق السطح مما يلي جهة المقام، محاذياً للحجر الأسود؛ لما روي أنه ينادي علىٰ سطح الكعبة. والثاني أقرب، والله أعلم.

وقوله: ([فبغير][4] سنّة القائم عليه السلام).

لعل المعنىٰ أنّ الحسين عليه السلام كيف يظهر قبل قيام القائم عليه السلام، إذ لو ظهر لغيّر سنّته، فأجاب عليه السلام بأن ظهوره بعد القائم عليه السلام، إذ كل بيعة قبله ضلال. وتقدمت الإشارة إلىٰ البعدية، ويأتي إن شاء الله تعالىٰ.

وقوله: (ويلزمهما إياه، فيعترفان به).

قيل: «العلة والسبب في إلزامهما ماتأخر عنهما من الآثام ظاهر، لأنهما منعا أمير المؤمنين عليه السلام عن حقه ودفعاه عن مقامه، فصارا سببين لاختفاء سائر الأئمة ومغلوبيتهم، وتسلط أئمة الجور وغلبتهم إلىٰ زمان القائم، وصار ذلك سبباً لكفر من كفر، وضلال من ضل، وفسق من فسق، لأن الإمام مع اقتداره واستيلائه وبسط يده يمنع من جميع ذلك، وعدم تمكن أمير المؤمنين عليه السلام من بعض تلك الأمور في أيام خلافته إنّما كان لما

---

(١) «القاموس المحيط» ج ٢، ص٦٨، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «البقرة» الآية: ١٤٨.

(٣) في الأصل: «المعجن».

(٤) في الأصل: «فيغيّر».

أسساه من الظلم والجور.

وأمّا ما تقدم عليهما فلأنهما كانا راضيين بفعل من فعل مثل فعلهما، من دفع خلفاء الحق عن مقامهم، وما يترتب علىٰ ذلك من الفساد، ولو كانا منكرين لذلك لم يفعلا مثل فعلهم، وكل من رضي بفعل فهو كمن أتاه، كما دلت عليه الآيات الكثيرة، حيث نسب الله تعالىٰ أفعال آباء اليهود إليهم وذمهم عليها؛ لرضاهم بها، وغير ذلك، واستفاضت به أخبار الخاصة والعامة.

علىٰ أنه لا يبعد أن يكون لأرواحهم الخبيثة مدخلاً في صدور تلك الأمور عن الأشقياء، كما أن أرواح الطيبين من أهل بيت الرسالة كانت مؤيدة للأنبياء والرسل، معينة لهم في الخيرات، شفيعة لهم في رفع الكربات، كما مرّ في كتاب الإمامة.

ومع صرف النظر عن جميع ذلك، يمكن أن يؤول بأن المراد إلزام مثل فعال هؤلاء الأشقياء عليهما، وأنهما في الشقاوة مثل جميعهم؛ لصدور مثل أفعال الجميع عنهما» انتهىٰ كلام صاحب العوالم بزيادة ما، وأظنه نقله عن صاحب البحار[1]، ولم يحضرني.

وأقول: إنّ المعنىٰ المراد من ذلك له وجه ظاهر ووجه باطن، فالظاهر ما ذكره أولاً، والأخبار به متواترة معنىً؛ لأن الرضا عمل قلبي ويلزمه الجزاء، وهذا ظاهر. وأمّا الباطن فهو ما أشار إليه ثانياً في العلاوة، إلّا أن العبارة عنه باللفظ الذي ذكره لا تدل علىٰ حقيقة الحال؛ لأنه إنما جرىٰ علىٰ قلبه مجملاً.

والعبارة التي تدل علىٰ حقيقته علىٰ جهة الإشارة في الإجمال: أنهما في عالم الذر في تكليف الأرواح حين قال لهما: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ومحمد ﷺ نبيكم، وعلي وليكم وإمامكم، والخطاب لهما بالتثنية ـ بعد العموم ـ بالخصوص، كما دلت عليه الروايات ومجمل الكتاب، فقالا ـ عندما قال لهما: ألست بربكما؟ ـ: ﴿ بَلَىٰ ﴾[2]؛ اعترافاً بخصوص الصنع، وإنكاراً لما سواه من أحوال الربوبية. وعندما قال لهما: ومحمد نبيكما؟ بلىٰ؛ طمعاً في الولاية. وعندما قال لهما: وعلي وليكما وإمامكما؟ نعم، جحوداً واستكباراً.

وهما أول من فتح باب الإنكار والجحود والاستكبار، [ودعيا][3] إلىٰ ذلك كل من سواهما في عالم الأظلة إلىٰ إنكار الولاية التي هي جميع ما يريد الله من عباده من

---

(١) «بحار الأنوار» ج٥٣، ص٣٧، بتفاوت يسير. (٢) «الأعراف» الآية: ١٧٢.

(٣) في الأصل: «وداعيا».

التكاليف الاعتقادية والعملية والقولية، فأجاب كل عاص لله عزَّ وجلَّ بما دعياه إليه، من كلّ ما حرّم الله سبحانه ونهىٰ عنه.

فكل عاص لله تابع لهما بمعصيته، مجيب لدعوتهما بجرمه وجريرته، ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾[١]، فهما يدعوان إلىٰ النار، فأجابهما العاصون بمعاصيهم، من اعتقاداتهم الفاسدة، وأعمالهم الخبيثة، وأقوالهم المنكرة، فهما إماما هذا الخلق المتعوس منذ جرىٰ التكليف إلىٰ فناء العالم، فعليهما وزرهما ووزر كل عاص لله سبحانه، ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[٢]. فلمّا أحضرهما الحجّة وذكّرهما ذلك اعترفا به، وعرّفهما استحقاقهما العقوبة علىٰ ذلك فعرفاه.

وأيضاً، الكل من فاضل طينة سجّين محتدهما، ذاتاً وصفة وفعلاً، فجميع ما تقدم من فاضل ظلماتهم ودركاتهم، فيلزم أن يكون في أعناقهم وزر جميع المعاصي من زمن آدم إلىٰ يوم القيامة، حسية كانت أو خيالية أو نفسية، من غير أن ينقص من وزر العاملين شيء وإن كان أقل، لأنهم صفتهم ومنكراتهم.

وبذلك يظهر الوجه الحكمي في الأحاديث المتضمنة لذلك، عكس ما ورد في الرسول وآله ﷺ والأنبياء والشيعة والتابعين، فتدبّر.

وأمّا الوجه الثالث* فليس [ببيان][٣] لسبب [الإلزام][٤]، فهو مستغنٍ عنه، إلّا إنه لا بأس به، لأنه بيان لمقدار ما يحملانه، فهو كما قاله رسول الله ﷺ في علي عليه السلام في مقدار عمله يوم الخندق: (إنّ ضربة علي لعمرو بن عبد ودّ تعدل عمل الثقلين)[٥]، فافهم.

وقوله: (أجيبوا الملهوف والمنادي من حول الضريح).

القائل هو الحسني، يدعو إلىٰ إجابة المنادي من حول ضريح النبي ﷺ، وهو القائم عليه السلام، لأنه بعد انتقاله من القصر بصابر إلىٰ ضريح جده ﷺ خرج بالثلاثين الذين معه

---

(١) «القصص» الآية: ٤١. (٢) «العنكبوت» الآية: ١٣.

(*) أي الوجه الذي ذكره صاحب العوالم بقوله: «ومع صرف النظر عن جميع ذلك، يمكن أن يؤول»... إلىٰ آخره.

(٣) في الأصل: «يليان».

(٤) في الأصل: «الالتزام».

(٥) «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج٣، ص٣٢؛ «المناقب» للخوارزمي، ص١٠٧، ح١١٢، باختلاف.

ـكان يأنس بهم ـ من النقباء، كما ورد: (وما بثلاثين من وحشة)[١]، ونادىٰ الباقي وهو الخمسة عشر تمام الخمسة والأربعين من تسعة أحياء، كما تقدم. وهو الملهوف، وهو المضطر الذي قال الله سبحانه: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[٢].

وقوله: (والحاف) أي الجبل المطيف بالدنيا، يعني المحيط بها، و (الحاف) اسم فاعل من (حفَّ)، ويحتمل أن يكون تصحيف: (القاف)[٣].

وقوله: (ثمّ يظهر الحسين عليه السلام)، وهو أول من ينفض التراب عن رأسه من الأئمة عليهم السلام، كما روي[٤]، وروي أنه يظهر بعد أن يمضي من ملك القائم عليه السلام تسع وخمسون سنة، كما مرَّ، فيكون مع القائم عليه السلام قبل أن يقتل إحدىٰ عشرة سنة، علىٰ أرجح الروايات، فإذا قُتل عليه السلام جهزه الحسين عليه السلام وقام بالأمر.

وقوله: (ثمّ يخرج الصدّيق الأكبر أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب).

الظاهر أنّ هذا الخروج هو خروجه الثاني؛ لأنه عليه السلام يخرج بعد قيام ابنه الحسين عليه السلام بالأمر بثماني سنين؛ لنصرة ابنه، فبين موت القائم وبين خروجه تسع عشرة سنة، كما مرّ، ثمّ يُقتل صلوات الله عليه، ثمّ يمكث ما شاء الله.

والذي فهمت من بعض الأخبار: بين قتلته هذه وبين خروجه الثاني ـ المشار إليه ـ أربعة آلاف سنة، أو ستة آلاف، أو عشرة آلاف، علىٰ اختلاف الروايات، وهذا ـ علىٰ تقدير كونه مراداً ـ تقريبي. فقوله هنا: (ثمّ يخرج الصدّيق الأكبر) هو الخروج الثاني الذي يوافي قيام رسول الله صلى الله عليه وآله.

هذا، والحسين عليه السلام حي إلىٰ آخر الرجعات، إلىٰ أن يرفع الله محمداً وأهل بيته صلّىٰ الله عليهم، وليس بين رفعهم ونفخ إسرافيل في الصور نفخة الصعق إلّا أربعين يوماً.

وقوله: (ثمّ يخرج السيد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله)، فيوافي خروج أمير المؤمنين عليه السلام، بجميع أهل بيته وجميع شيعته، في الخروج الثاني، وهنا يكون تأويل قوله تعالىٰ: ﴿ هَل

---

(١) «الكافي» ج١، ص٣٤٠، باب في الغيبة، ح١٦.

(٢) «النمل» الآية: ٦٢.

(٣) وقد ورد بهذا اللفظ في «مختصر بصائر الدرجات» ص١٩١، كما نوّهنا به سابقاً.

(٤) «تفسير فرات الكوفي» ص٥٣٧؛ «بحار الأنوار» ج٥٣، ص١٠٦، ح١٣٤.

يَنظُرُونَ إلّا أن يأتِيَهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ وَالمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأمرُ ﴾[١]، فالغمام أمير المؤمنين عليه السلام[٢]، يظهر نصر الله لدينه وللمؤمنين، وقهره لأعداء الدين، وهلاك إبليس اللعين وجنوده وأتباعه أجمعين بعلي أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله.

﴿ وَقُضِيَ الأمرُ ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله، ينزل من السحاب في يده حربة من نار، فيقتل بها إبليس[٣].

وقوله: (وركل الباب برجله).

الرَّكْلُ: الضرب بالرجل، والرَّفْسُ كذلك[٤].

وقوله: (ويأتي محسن، تحمله خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام، وهنّ صارخات).

روىٰ ابن قولويه في كامل الزيارات، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **(لمّا أسري بالنبي صلى الله عليه وآله)** ـ والحديث طويل ـ إلىٰ أن قال: **(وأول من يحكم فيهم محسن بن علي عليه السلام وفي قاتله، ثمّ في قنفذ، فيؤتيان هو وصاحبه، فيُضربان بسياط من نار، لو وقع سوط منها علىٰ البحار لغلت من مشرقها إلىٰ مغربها، ولو وضعت علىٰ جبال الدنيا لذابت حتىٰ تصير رماداً)**... الحديث[٥].

وقوله: (قال الله تعالىٰ: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[٦]).

قيل: «لعله عليه السلام فسّر قوله تعالىٰ: ﴿ إلّا ما شاءَ رَبُّكَ ﴾[٧] بزمان الرجعة، بأن يكون المراد بالجنّة والنار في الآية ما يكون في عالم البرزخ»[٨].

قال علي بن إبراهيم ـ في تفسير هذه الآية: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾[٩]، والتي بعدها* ـ: «هذا في

---

(١) «البقرة» الآية: ٢١٠.

(٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج٢، ص١١٤، في تفسير قوله تعالىٰ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّماءُ بِالغَمامِ﴾. «الفرقان» الآية: ٢٥.

(٣) انظر: «مختصر بصائر الدرجات» ص٢٧؛ «بحار الأنوار» ج٥٣، ص٤٢، ح١٢.

(٤) انظر: «الصحاح» ج٣، ص٩٣٦، مادة «رفس»؛ ج٤، ص١٧١٢، مادة «ركل».

(٥) «كامل الزيارات» ص٥٤٨، ٥٥١، ح٨٤٠، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) «هود» الآية: ١٠٥.

(٧) «هود» الآية: ١٠٧، ١٠٨.

(٨) «بحار الأنوار ج٥٣، ص٣٨، صححناه علىٰ المصدر.

(٩) «هود» الآية: ١٠٥.

(*) إلىٰ الآية: ١٠٧.

نار الدنيا قبل يوم القيامة».

قال: «وأمّا قوله: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فيها ﴾، يعني في جنات الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين، ﴿ مَا دَامَتِ السَّمٰواتُ والأَرْضُ إلّا ما شَاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[١]، يعني غير مقطوع من نعيم الآخرة في الجنة، يكون متصلاً به»[٢].

وفيه وجوه أُخر في الآية، في معنىٰ الدوام، وفي معنىٰ الاستثناء، ذكرنا ذلك في رسالة مفردة.

ومعنىٰ الاستشهاد من قوله عليه السلام بالآية: (إنّ ملك القائم لا انقطاع له)[٣]، لأنه ملك الله سبحانه، ولأنه ولايتهم، وهي في الجنة، والجنة لا انقطاع ولا نفاد [لها]، وإنما الاستثناء جارٍ علىٰ أحد الوجوه المذكورة في الآية عند المفسرين، كذلك ملكه عليه السلام، فإنه اذا قُتل ـ لعن الله قاتله ـ قام الحسين عليه السلام وتقوم الأئمة ورسول الله صلوات الله عليهم، والملك متصل إلىٰ أن يرفعهم الله تعالىٰ إليه، وينفخ إسرافيل في الصور، والملك متصل، ويموت كل ذي روح، وتبطل كل حركة، والملك متصل، لأن الله عزَّ وجلَّ لم يكن خلواً من ملكه في رتبة الملك ـ أبداً ـ ولا يكون، وكل شيء فهو ملكهم؛ لأنهم عليهم السلام ملك الله عزَّ وجلَّ. وتبقىٰ السماوات والأرض بين النفختين عاطلات من جميع الحركات، والملك باقٍ لله، وما كان لله فقد جعله ملكاً لهم، والملك ولاية الله، وهي ولايتهم.

وقد حققنا هذا المعنىٰ في مواضع متعددة، في جواب مسائل وغيرها، علىٰ طريق الباطن والتأويل، بل وظاهر كثير من الأحاديث تدل عليه؛ لأن الله ملّكهم خلقه وولاهم أمره، من غير أن يرفع يده عنهم.

وإنما قال عليه السلام بدوام ملكه، مع أنه إنما يبقىٰ بعد خروجه سبعين سنة ثمّ يقتل؛ لأنه لابد أن يرجع حتىٰ يُقتل، ومن قُتل يرجع حتىٰ يموت، والحجّة عليه السلام لابد أن يرجع حتىٰ يموت، فيرجع هو ورسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة وفاطمة في آخر الرجعات، كما قال الحسين عليه السلام

---

(١) «هود» الآية: ١٠٨.

(٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج١، ص٣٦٦، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) معنىٰ قوله عليه السلام في حديث المفضّل: (أي عطاء غير مقطوع عنهم، بل هو دائم أبداً، وملك لا ينفد)... إلىٰ آخره.

لأصحابه يوم كربلاء: (لن تشذّ عن رسول الله ﷺ لُحمته*، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه)[1].

مع أن حكم التأويل لا ينقطع بموته، وكذا صفاء العالم، بل يزداد، وهم في الحكم سواء.

وقال الشيخ حسن في الرسالة ما لفظه: «وقفت على كتاب خطب لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وعليه خطب السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، ما صورته: هذا الكتاب ذكر كاتبه رجلين بعد الصادق عليه السلام، فيمكن أن يكون تاريخ كتابته بعد المائتين من الهجرة؛ لأنه عليه السلام انتقل بعد سنة مائة وأربعين من الهجرة. وقد روى بعض مافيه عن أبي روح فرج بن فروة، عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، وبعض ما فيه عن غيرهما.

ذكر في الكتاب المشار إليه خطبة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام تسمى المخزون، وهي: (الحمد لله الأحد المحمود، الذي توحّد بملكه، وعلا بقدرته)».

ثمّ أخذ عليه السلام في الثناء على الله ورسوله وغيرهما، من أفعال الحكمة وغيرها، في كلام طويل، تركناه للاختصار.

إلى أن قال الإمام عليه السلام فيها: «(يا عجباً كل العجب بين جمادى ورجب).

فقال رجل من شرطة الخميس: ماهذا العجب يا أمير المؤمنين؟

فقال: (وما لي لا أعجب وقد سبق القضاء فيكم، وما تفقهون الحديث إلّا صوتات بينهن موتات، حصد نبات، ونشر أموات، يا عجباً كل العجب بين جمادى ورجب).

قال أيضاً رجل: يا أمير المؤمنين، ما هذا العجب الذي لا تزال تعجب منه؟

فقال: (ثكلت الآخر أمه، وأيّ عجب يكون أعجب من أموات يضربون هامات الأحياء؟!).

قال: أنّى يكون ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، كأني أنظر إليهم قد تخللوا سكك الكوفة، قد شهروا سيوفهم على مناكبهم، يضربون كل عدو لله ولرسوله وللمؤمنين، وذلك قول الله عزّ وجلّ:

(*) اللُّحْمَةُ: القرابة. «الصحاح» ج ٥، ص ٢٠٢٧، مادة «لحم».

(١) «اللهوف» ص ٣٨؛ «بحار الأنوار» ج ٤٤، ص ٣٦٧.

﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كما يَئِسَ الكُفّارُ مِنْ أصْحابِ القُبُورِ ﴾[١].

أيُّها الناس، سَلُوني قبل أن تفقدوني، لأنا بطرق السماء أعلم من العالم بطرق الأرض، أنا يعسوب المؤمنين، وغاية السابقين، ولسان المتقين، وخاتم الوصيين، ووارث النبيين، وخليفة رب العالمين، أنا قسيم النار، وخازن الجنان، وصاحب الحوض، وصاحب الأعراف، فليس منا أهل البيت إمام إلّا وهو عارف بجميع أهل ولايته، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ إنَّما أنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ ﴾[٢].

ألا أيّها الناس، سلوني قبل أن تشغر برجلها فتنة شرقية، وتطأ في خطامها بعد موت وحياة، أو تشب نار بالحطب الجزل غربي الأرض، رافعة ذيلها، تدعو يا ويلها بذَحْلَة[٣] أو مثلها. فإذا استدار الفلك قلت: مات أو هلك، بأي واد سلك، فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأمْدَدْناكُمْ بِأمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أكْثَرَ نَفِيراً ﴾[٤].

ولذلك آيات وعلامات، أولهن: إحصار الكوفة بالرصد والخندق، وتخريق الزوايا في سكك الكوفة، وتعطيل المساجد أربعين ليلة، وتخفق رايات ثلاث حول المسجد الأكبر يشبّهن بالهدىٰ، القاتل والمقتول في النار، وقتل كثير، وموت ذريع، وقتل النفس الزكية بظهر الكوفة في سبعين، والمذبوح بين الركن والمقام، وقتل الأسبغ المظفر صبراً في بيعة الأصنام مع كثير من شياطين الإنس، وخروج السفياني براية خضراء وصليب من ذهب، أميرها رجل من كلب، واثني عشر ألف عنان من خيل يحمل السفياني متوجهاً إلىٰ مكة والمدينة، أميرها أحد من بني أمية، يقال له: خزيمة، أطمس العين الشمال، علىٰ عينه طرفة، يميل بالدنيا فلا ترد له راية، حتىٰ ينزل المدينة فيجمع رجالاً ونساءً من آل محمد ﷺ، فيحبسهم في دار بالمدينة، يقال لها: دار أبي الحسن الأموي، ويبعث خيلاً في طلب رجل من آل محمد ﷺ، قد اجتمع عليه رجال من المستضعفين بمكة، أميرهم رجل من غطفان، حتىٰ إذا توسطوا الصفائح البيض بالبيداء يخسف بهم، فلا ينجو منهم إلّا رجل واحد، يحوّل الله وجهه في قفاه، لينذرهم وليكون آية لمن خلفه، فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ ﴾[٥].

---

(١) «الممتحنة» الآية: ١٣. (٢) «الرعد» الآية: ٧.

(٣) الذَحْلُ: الحقد والعداوة، يقال: طلب بذَحْلِهِ، أي بثأره. «الصحاح» ج ٤، ص ١٧٠١، «ذحل».

(٤) «الإسراء» الآية: ٦. (٥) «سبأ» الآية: ٥١.

ويبعث السفياني مائة وثلاثين ألفاً إلىٰ الكوفة، فينزلون بالروحاء والفاروق وموضع مريم وعيسىٰ عليهما السلام بالقادسية، ويسير منهم ثمانون ألفاً حتىٰ ينزلوا الكوفة، موضع قبر هود بالنخيلة، فيهجموا عليه يوم زينة، وأمير الناس جبار عنيد، يقال له: الكاهن الساحر، فيخرج من مدينة يقال لها: الزوراء، في خمسة آلاف من الكهنة،، ويقتل علىٰ جسرها سبعين ألفاً، حتىٰ يحتمي الناس الفرات ثلاثة أيام من الدماء ونتن الأجسام، ويسبي من الكوفة أبكاراً، لا يكشف عنها كف ولا قناع، حتىٰ يوضعن في المحامل، يزلف بهن الثوية، وهي الغريين.

ثمّ يخرج عن الكوفة مائة ألف، بين مشرك ومنافق، حتىٰ يضربوا دمشق، لا يصدهم عنهم صاد، وهي إرم ذات العماد.

وتقبل رايات شرقي الأرض، ليست بقطن ولاكتان ولا حرير، مختمة في رؤوس القنا بخاتم السيد الأكبر، يسوقها رجل من آل محمد صلى الله عليه وآله، يوم تطير بالمشرق يوجد ريحها بالمغرب كالمسك الأذفر، يسير الرعب أمامها شهراً.

ويخلف أبناء سعد السقّاء بالكوفة طالبين بدماء آبائهم، وهم أبناء الفسقة، حتىٰ تهجم عليهم خيل الحسين عليه السلام، يستبقان كأنهما فرسا رهان، شعث غبر، أصحاب بواكي وقوارح، إذ يضرب أحدهم برجله باكية، يقول: لا خير في مجلس بعد يومنا هذا، اللهم فإنا التائبون الخاشعون الراكعون الساجدون. فهم الذين وصفهم الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[1] والمطهرون نظراؤهم من آل محمد صلى الله عليه وآله.

ويخرج رجل من أهل نجران، راهب مستجيب للإمام، فيكون أول النصارىٰ إجابة، ويهدم صومعته ويدق صليبها، ويخرج بالموالي وضعفاء الناس والخيل، فيسيرون إلىٰ النخيلة بأعلام هدىً، فيكون مجتمع الناس جميعاً من الأرض كلها بالفاروق، وهي محجة أمير المؤمنين، وهي ما بين البرس والفرات، فيقتل يومئذ فيما بين المشرق والمغرب ثلاثة آلاف من اليهود والنصارىٰ، يقتل بعضهم بعضاً، فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿ فَما زَالَت تِلْكَ دَعْواهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْناهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ ﴾[2]، بالسيف وتحت ظل السيف.

ويخلف من بني الأشهب الزاجر اللحظ في أناس من غير أبيه هراباً، حتىٰ يأتوا سبطرى عوذاً بالشجر، فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّواْ بأْسَنَا إذا هُمْ مِنْها يَرْكُضُونَ * لا تَرْكُضُوا

---

(١) «البقرة» الآية: ٢٢٢.
(٢) «الأنبياء» الآية: ١٥.

وارْجِعُوا إلىٰ ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾(١)، ومساكنهم الكنوز التي غلبوا عليها من أموال المسلمين.

ويأتيهم يومئذ الخسف والقذف والمسخ، فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾(٢).

وينادي منادٍ في شهر رمضان من ناحية المشرق عندما تطلع الشمس: يا أهل الهدىٰ اجتمعوا، وينادي من ناحية المغرب ـ بعدما تغيب الشمس ـ: يا أهل الضلالة اجتمعوا. ومن الغد عند الظهر تكوّر الشمس، فتكون سوداء مظلمة، واليوم الثالث يفرّق بين الحق والباطل، بخروج دابة الأرض.

وتقبل الروم إلىٰ قرية بساحل البحر عند كهف الفتية، ويبعث الله الفتية من كهفهم إليهم، منهم رجل يقال له: مليخا، والآخر كمسلمينا: وهما الشاهدان المسلمان للقائم، فيبعث أحد الفتية إلىٰ الروم، فيرجع بغير حاجة، ويبعث الآخر فيرجع بالفتح، فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾(٣).

ثمّ يبعث الله من كل أمة فوجاً ليريهم ما كانوا يوعدون، فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾(٤)، والوزع: خفقان افئدتهم.

ويسير الصدّيق الأكبر براية الهدىٰ والسيف ذو الفقار والمخصرة، حتىٰ ينزل أرض الهجرة مرتين، وهي الكوفة، فيهدم مسجدها، ويبنيه علىٰ بنائه الأول، ويهدم ما دونه من دور الجبابرة، ويسير إلىٰ البصرة حتىٰ يشرف علىٰ بحرها، ومعه التابوت وعصا موسىٰ، فيعزم عليه، فيزفر في البصرة زفرة فتصير بحراً لجّياً، لا يبقىٰ فيها غير مسجدها، كجؤجؤ السفينة علىٰ ظهر الماء.

ثمّ يسير إلىٰ حروراء، ثمّ يحرقها، ويسير من باب بني أسد، حتىٰ يزفر زفرة في ثقيف، وهم زرع فرعون.

ثمّ يسير إلىٰ مصر، فيعلو منبره ويخطب الناس، فتستبشر الأرض بالعدل، وتعطي السماء قطرها، والشجر ثمرها، والأرض نباتها، وتتزين لأهلها، وتأمن الوحوش حتىٰ ترتعي في طرف الأرض كأنعامهم، ويقذف في قلوب المؤمنين العلم، فلا يحتاج مؤمن الىٰ ما عند أخيه من علم،

---

(١) «الأنبياء» الآية: ١٢ـ١٣.
(٢) «هود» الآية: ٨٣.
(٣) «آل عمران» الآية: ٨٣.
(٤) «النمل» الآية: ٨٣.

فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿ يُغْنِ اللهُ كُلّاً مِن سَعَتِهِ ﴾[1].

وتخرج لهم الأرض كنوزها، ويقول القائم عليه السلام: كلوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية. فالمسلمون يومئذ أهل صواب للدين، أُذن لهم في الكلام، فيومئذ تأويل هذه الاية: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾[2].

فلا يقبل الله يومئذ إلّا دينه الحق، ﴿ ألا لِلهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾[3]، فيومئذ تأويل هذه الآية: ﴿ أوَلَمْ يَرَوْا أنّا نَسُوقُ الماءَ إلىٰ الأرْضِ الجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأكُلُ مِنْهُ أنعامُهُمْ وَأنْفُسُهُمْ أفَلا يُبْصِرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذا الفَتْحُ إنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إيمانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ * فَأعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إنَّهُمْ مُنتَظِرُونَ ﴾[4].

فيمكث فيما بين خروجه إلىٰ يوم موته ثلاثمائة سنة ونيفاً، وعدّة أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر، منهم تسعة من بني إسرائيل، وسبعون من الجن، ومائتان وأربعة وثلاثون، فيهم سبعون الذين غضبوا للنبي إذ هجته مشركو قريش، فطلبوا من نبي الله أن يأذن لهم في إجابتهم، فأذن لهم، حيث نزلت هذه الآية: ﴿ إلّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[5].

وعشرون من أهل اليمن، منهم المقداد بن الأسود، ومائتان وأربعة عشر الذين كانوا بساحل البحر مما يلي عدن، فبعث إليهم نبي الله برسالة فأتوا مسلمين. وتسعة من بني إسرائيل، ومن أفناء الناس ألفان وثمانمائة وسبعة عشر، ومن الملائكة أربعون ألفاً من ذلك، من المسوّمين ثلاثة آلاف، ومن المردفين خمسة آلاف.

فجميع أصحابه سبعة وأربعون ألفاً ومائة وثلاثون، من ذلك تسعة رؤوس، مع كل رأس من الملائكة أربعة آلاف من الجن والإنس، عدّة يوم بدر، فبهم يقاتل، وإياهم ينصر الله، وبهم ينتصر، وبهم يقدم النصر، ومنهم نضرة الأرض).

كتبتها كما وجدتها، وفيها نقص حروف»[6] انتهىٰ، وأنا كتبتها كذلك.

---

(١) «النساء» الآية: ١٣٠.
(٢) «الفجر» الآية: ٢٢.
(٣) «الزمر» الآية: ٣.
(٤) «السجدة» الآية: ٢٧ـ٣٠.
(٥) «الشعراء» الآية: ٢٢٧.
(٦) «مختصر بصائر الدرجات» ص١٩٥، ١٩٨ـ٢٠٢؛ وعنه في: «بحار الأنوار» ج٥٣، ص٧٧، ح٨٦، باختلاف بعض الألفاظ. صححناه علىٰ المصدر.

وروى الرئيس محمد بن يعقوب في الكافي، بسنده عن سلام بن المستنير، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدّث: (إذا قام القائم عرض الإيمان على كل ناصب، فإن دخل فيه بحقيقة، وإلّا ضرب عنقه، أو يؤدي الجزية كما يؤديها اليوم أهل الذمة، ويشدّ على وسطه الهميان، ويخرجهم من الأمصار إلى السواد)[١].

وبسنده عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إذا تمنى أحدكم القائم فليتمنه في عافية، فإنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمة، ويبعث القائم نقمة)[٢].

وبسنده عن أبي الربيع الشامي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (إنّ قائمنا إذا قام مدّ الله عزّ وجلّ لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم، حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلّمهم فيسمعون، وينظرون إليه وهو في مكانه)[٣].

وبسنده عن عبد الملك بن أعين، قال: قمت من عند أبي جعفر عليه السلام فاعتمدت على يدي فبكيت، فقال: (ما لك؟) فقلت: كنت أرجو أن أدرك هذا الأمر وبي قوة، فقال: (أما ترضون أنّ عدوكم يقتل بعضهم بعضاً وأنتم آمنون في بيوتكم، إنّه لو قد كان ذلك أُعطي الرجل منكم قوة أربعين رجلاً، وجعلت قلوبكم كزبر الحديد، لو قذف بها الجبال لقلعتها، وكنتم قوامّ الأرض وخزّانها)[٤].

وبسنده عن مولىً لبني شيبان، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، وكملت به أحلامهم)[٥].

وقد مرّ الكلام على هذا الحديث في الجزء الأول.

وبسنده عن أبي خالد، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾[٦]، قال: (الخيرات: الولاية، وقوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ﴾، يعني أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً)، قال: (وهم - والله - الأمة المعدودة). قال: (يجتمعون والله في ساعة واحدة، قزع كقزع الخريف)[٧].

---

(١) «الكافي» ج٨، ص١٩٠، ح٢٨٨.
(٢) «الكافي» ج٨، ص١٩٥، ح٣٠٦.
(٣) «الكافي» ج٨، ص٢٠١، ح٣٢٩.
(٤) «الكافي» ج٨، ص٢٤٥، ح٤٤٩.
(٥) «الكافي» ج١، ص٢٥، كتاب العقل والجهل، ح٢١.
(٦) «البقرة» الآية: ١٤٨.
(٧) «الكافي» ج٨، ص٢٦٠، ح٤٨٧.

والقَزَعُ: قِطَع السحاب[١].

وروىٰ الصدوق في الإكمال، بسنده عن أبي خالد الكابلي، عن سيد العابدين عليه السلام، قال: (المفقودون عن فرشهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدّة أهل بدر، فيصبحون بمكة، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿ أيْنَما تكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً ﴾، وهم أصحاب القائم عليه السلام)[٢].

وبإسناده عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : (لقد نزلت هذه الآية في المفتقدين من أصحاب القائم عليه السلام، قوله تعالىٰ: ﴿ أينما تَكُونُوا يأتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً ﴾ إنهم ليفتقدون من فرشهم ليلاً، فيصبحون بمكة، وبعضهم يسير في السحاب، يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه). قال: فقلت: جعلت فداك، أيّهم أعظم إيماناً؟ قال: (الذي يسير في السحاب نهاراً)[٣].

وبإسناده عن أبان بن تغلب، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : (سيأتي في مسجدكم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ـ يعني مسجد مكة ـ يعلم أهل مكة أنه لم يلدهم آباؤهم ولا أجدادهم، عليهم السيوف، مكتوب علىٰ كل سيف كلمة، تفتح ألف كلمة، فيبعث الله تبارك وتعالىٰ ريحاً، فتنادي بكل واد: هذا المهدي، يقضي بقضاء داود عليه السلام وسليمان عليه السلام، لا يريد علىٰ ذلك بيّنة)[٤].

وفي بعض الأخبار: (أنهم أصحاب الألوية، وهم حكام الله في أرضه علىٰ خلقه)[٥].

وفي الكافي، بسنده عن ميسر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (يا ميسر، كم بينكم وبين قَرْقيسيا؟) قلت: هي قريب علىٰ شاطئ الفرات، قال: (أما إنه سيكون بها وقعة لم يكن مثلها منذ خلق الله عزّ وجلّ السماوات والأرض، ولا يكون مثلها مادامت السماوات والأرض، مأدبة للطير، تشبع منها سباع الأرض وطيور السماء، يهلك فيها قيس ولا يدعو لها داعية).

قال: وروىٰ غير واحد، وزاد فيه: (وينادي منادٍ: هلمّوا إلىٰ لحوم الجبارين)[٦].

وبسنده عن الحسن بن محبوب، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: (كأني

---

(١) انظر: «لسان العرب» ج ١١، ص ١٥٢، مادة «قزع».

(٢) «كمال الدين» ص ٦٥٤، ح ٢١.

(٣) «كمال الدين» ص ٦٧٢، ح ٢٤، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «كمال الدين» ص ٦٧١، ح ١٩، بتفاوت يسير.

(٥) «كمال الدين» ص ٦٧٢، ح ٢٥، بتفاوت يسير.

(٦) «الكافي» ج ٨، ص ٢٤٥، ح ٤٥١، بتفاوت يسير.

بالقائم عليه السلام علىٰ منبر الكوفة، عليه قباء، فيخرج من وريان قبائه* كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب، فيفكه ويقرأه علىٰ الناس، فيجفلون عنه إجفال الغنم، فلم يبق إلّا النقباء، فيتكلم بكلام، فلا يلحقون ملجأ حتىٰ يرجعوا إليه، وإني لأعرف الكلام الذي يتكلم به)[1].

وفي الإكمال للصدوق، بسنده عن المفضّل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : (كأني أنظر إلىٰ القائم علىٰ منبر الكوفة، وحوله أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدّة أصحاب بدر، وهم أصحاب الألوية، وهم حكام الله في أرضه علىٰ خلقه، حتىٰ يُخرج من قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب، عهد معهود من رسول الله صلى الله عليه وآله، فيجفلون عنه إجفال الغنم البكم، فلا يبقىٰ منهم إلّا الوزير وأحد عشر نقيباً، كما بقوا مع موسىٰ بن عمران عليه السلام، فيجولون في الأرض فلا يجدون عنه مذهباً، فيرجعون إليه، فو الله إني لأعرف الكلام الذي يقوله لهم فيكفرون به)[2].

وبسنده عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (كأني بأصحاب القائم وقد أحاطوا بما بين الخافقين، فليس من شيء إلّا وهو مطيع لهم، حتىٰ سباع الأرض وسباع الطير، يطلب رضاهم في كل شيء، حتىٰ تفخر الأرض علىٰ الأرض، وتقول: مرّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم عليه السلام)[3].

وبسنده عن أبي بصير ، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : (ما كان قول لوط عليه السلام لقومه: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[4] إلّا تمنياً لقوة القائم عليه السلام، ولا ذكر إلّا شدة أصحابه ، وإن الرجل منهم ليعطىٰ قوة أربعين رجلاً، وإنّ قلبه لأشد من زبر الحديد، لو مرّوا بجبال الحديد لقلعوها، لا يكفّون سيوفهم حتىٰ يرضىٰ الله عزَّ وجلّ)[5].

وبسنده عن أبي الجارود، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: (إذا خرج القائم من مكة ينادي مناديه: ألا لا يحملنّ أحد طعاماً ولا شراباً، وحمل معه حجر موسىٰ بن عمران عليه السلام، وهو وقر بعير، فلا

(*) في «مرآة العقول» ج٢٦، ص٣٦: «وريان قبائه: أي من جيبه. كما ذكره المُطَرِّزي».

(١) «الكافي» ج٨، ص١٤٧، ح١٨٥، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «كمال الدين» ص٦٧٢، ح٢٥، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «كمال الدين» ص٦٧٣، ح٢٥، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «هود» الآية: ٨٠.

(٥) «كمال الدين» ص٦٧٣، ح٢٦، صححناه علىٰ المصدر.

ينزل منزلاً إلّا انفجرت منه عيون، فمن كان جائعاً شبع، ومن كان ظمآناً روي، ورويت دوابهم، حتىٰ ينزلوا النجف من ظهر الكوفة)[١].

وبسنده عن أبان بن تغلب، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (أول من يبايع القائمَ جبرئيلُ، ينزل في صورة طير أبيض، فيبايعه، ثمّ يضع رجلاً علىٰ بيت الله الحرام، ورجلاً علىٰ بيت المقدس، ثمّ ينادي بصوت طلق تسمعه الخلائق: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾[٢])[٣].

وبسنده عن أبي بصير، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: (يخرج القائم عليه السلام يوم السبت، يوم عاشوراء، اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام)[٤].

وفي حديث آخر: (في يوم الجمعة، يوم عاشر)[٥].

ولعله أول دخوله بالعنزات، ونداؤه بأصحابه ليلة السبت، وابتداؤه مع أهل مكة يوم السبت، فلا تنافي.

وبسنده عن أبي بصير، قال: سأل رجل من أهل الكوفة أبا عبد الله عليه السلام: كم يخرج مع القائم، فإنهم يقولون: إنه يخرج معه مثل عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً؟ قال: (ما يخرج إلّا في أولي قوة، وما يكون أولو قوة أقل من عشرة آلاف)[٦].

ومراده بالخروج هنا خروجه من مكة للمدينة؛ فإنه لا يخرج إلّا بعد تكامل العشرة. أمّا خروجه علىٰ مكة فبالثلاثمائة والثلاثة عشر، فلا تنافي بين الروايات.

وبسنده عن عبد الله بن عجلان، قال: ذكرنا خروج القائم عند أبي عبد الله عليه السلام، فقلت له: كيف لنا أن نعلم ذلك؟ فقال: (يصبح أحدكم وتحت رأسه صحيفة عليها مكتوب: ﴿ طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ﴾[٧]).

وروي أنه يكون في راية القائم عليه السلام: (البيعة لله عزّ وجلّ)[٨].

وروىٰ الصدوق في علل الشرائع، بسنده عن عبد الرحيم القصير، قال: قال لي أبو

---

(١) «كمال الدين» ص ٦٧٠، ح ١٧، بتفاوت يسير. (٢) «النحل» الآية: ١.

(٣) «كمال الدين» ص ٦٧١، ح ١٨، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «كمال الدين» ص ٦٥٤، ح ١٩، بتفاوت يسير.

(٥) «الخصال» ص ٣٩٤، ح ١٠١، وفيه: (ويخرج قائمنا أهل البيت يوم الجمعة).

(٦) «كمال الدين» ص ٦٥٤، ح ٢٠، بتفاوت يسير. (٧) «النور» الآية: ٥٣.

(٨) «كمال الدين» ص ٦٥٤، ح ٢٢، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

جعفر عليه السلام: (أما لو قام قائمنا لقد ردّت إليه الحميراء حتىٰ يجلدها الحدّ، وحتىٰ ينتقم لابنة محمدٍ فاطمة عليها السلام منها)، قلت: جعلت فداك، ولمَ يجلدها الحدّ؟ قال: (لفريتها علىٰ أم إبراهيم)، قلت: فكيف أخره الله للقائم؟ فقال: (لأن الله تعالىٰ بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمة، ويبعث القائم عليه السلام نقمة)[1].

وسيأتي دفع مافيه من الإشكال في باب: [فيما جاء] أنّ حديثهم صعب مستصعب[2].

وروىٰ الصدوق، يرفعه إلىٰ الصادق عليه السلام، قال: (إنّ الله تبارك وتعالىٰ آخىٰ بين الأرواح في الأظلة قبل أن يخلق الأجساد بألفي عام، فلو قد قام قائمنا أهل البيت ورّث الأخ الذي آخىٰ بينهما في الأظلة، ولم يورّث الأخ في الولادة)[3].

وروىٰ الشيخ في التهذيب، بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (قال أبو جعفر عليه السلام: يخرج القائم يوم السبت، يوم عاشوراء، اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام، ويقطع أيدي بني شيبة ويعلقها في الكعبة)[4].

وفي كشف الغمة، بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (لا يخرج القائم إلّا في وتر من السنين، سنة إحدىٰ، أو ثلاث، أو خمس، أو سبع، أو تسع)[5].

وعنه عليه السلام، قال: (ينادىٰ باسم القائم عليه السلام في ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم في يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام. لكأني به في يوم السبت ـ العاشر من المحرم ـ قائماً بين الركن والمقام، جبرئيل عن يمينه ينادي: البيعة لله، فيصير إليه شيعته من أطراف الأرض، تطوىٰ لهم طيّاً حتىٰ يبايعوه، فيملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)[6].

وعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: (كأني بالقائم عليه السلام علىٰ نجف الكوفة، قد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة، جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن

---

(١) «علل الشرائع» ج٢، ص٣٠٣، ح١٠، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) انظر مقدمة الباب المذكور، الآتي في هذا المجلد.

(٣) «الفقيه» ج٤، ص٢٥٤، ح٨٢٠.

(٤) «تهذيب الأحكام» ج٤، ص٣٣٣، ح١٠٤٤.

(٥) «كشف الغمة» ج٣، ص٢٦١، نقلاً عن «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج١١/٢، ص٣٧٩.

(٦) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج١١/٢، ص٣٧٩؛ «كشف الغمة» ج٣، ص٢٦١، بتفاوت يسير.

شماله، والمؤمنون بين يديه، وهو يفرّق الجنود في البلاد)[١].

وفي رواية المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: (إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله بنىٰ في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب، واتصلت بيوت أهل الكوفة بنهري كربلاء)[٢].

ومثله روىٰ الصدوق.

وفي كتاب كشف الغمة للاربلي، والإكمال للصدوق، والكافي وغيبة المفيد، والأمالي، وغيرها، أحاديث غير هذه، في سيرته عليه السلام وظهوره.

ثمّ اعلم أنّك قد عرفت أنّ الثلاثمائة والثلاثة عشر أصحاب القائم ومن يبايعه أولاً، ثمّ الحكام والرؤساء، وفي ذلك الوقت موجود غيرهم من المؤمنين.

وفي رواية أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، في عدد أصحابه: قلت: جعلت فداك، ليس علىٰ الأرض يومئذ مؤمن غيرهم؟ قال: (بلىٰ، ولكن هذه التي يُخرج الله فيها القائم، وهم النجباء والقضاة والحكام والفقهاء في الدين، يمسح بطونهم وظهورهم فلا يشتبه عليهم حكم)[٣].

وعن يونس بن ظبيان، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فذكر أصحاب القائم عليه السلام فقال: (ثلاثمائة وثلاثة عشر، وكل واحد يرىٰ نفسه في ثلاثمائة)[٤].

ثمّ اعلم أنه قد وردت روايات عنهم عليهم السلام بتعيين أصحاب القائم، وذكر محمد بن جرير الطبري جملة منها، ورواها غيره، وفي بعض خطب علي عليه السلام، وإن اختلفت الروايات في ذلك وكان في بعضها سقط، ونحن نذكر بعضها مما رواه محمد بن جرير الطبري الإمامي في تاريخ الأربعة عشر، والنسخة كثيرة الغلط.

أصحاب صاحب الزمان

قال ما لفظه: «معرفة رجال مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه

حدّثني أبو الحسين محمد بن هارون، قال: حدّثنا أبي هارون بن موسىٰ بن أحمد رحمه الله،

---

(١) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١١/٢، ص ٣٧٩؛ «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٦١.

(٢) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١١/٢، ص ٣٨٠؛ «كشف الغمة» ج ٣، ص ٢٦٢.

(٣) «دلائل الإمامة» ص ٥٦٢، ح ٥٢٦، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «دلائل الإمامة» ص ٥٧٥، ح ٥٢٩.

قال: حدّثنا أبو علي الحسن بن محمد النهاوندي، قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن عبيد الله القمي القطان، المعروف بابن الخزّاز، قال: حدّثنا محمد بن زياد، عن أبي عبد الله الخراساني، قال: حدّثنا أبو الحسين عبد الله بن الحسن الزهري، قال: حدّثنا أبو حسان سعيد بن جناح، عن مَسعدة بن صدقة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك، هل كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم أصحاب القائم عليه السلام كما كان يعلم عدّتهم؟

قال أبو عبد الله: (حدّثني أبي عليه السلام، قال: والله لقد كان يعرفهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، وقبائلهم وحِلاهم*، ومواضع منازلهم، ومراتبهم، وكلّ ما عرفه أمير المؤمنين فقد عرفه الحسن، وكلّ ما عرفه الحسن فقد عرفه الحسين عليه السلام، وكلّ ما عرفه الحسين فقد علمه علي بن الحسين، وكلّ ما علمه علي بن الحسين فقد علمه محمد بن علي، وكلّ ما علمه محمد بن علي فقد علمه وعرفه صاحبكم)، يعني نفسه عليه السلام.

قال أبو بصير: قلت: مكتوب؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: (مكتوب في كتاب، محفوظ في القلب، مثبت في الذكر لا يُنسىٰ).

قال: قلت: جعلت فداك، أخبرني بعددهم وبلدانهم ومواضعهم، جعلت فداك، وكذا عن أسمائهم. قال: فقال عليه السلام: (إذا كان يوم الجمعة بعد الصلاة فائتني).

قال: فلمّا كان يوم الجمعة أتيته، فقال: (يا أبا بصير، أتيتنا لما سألتنا عنه؟) قلت: نعم، جعلت فداك، قال: (إنك لا تحفظ، فأين صاحبك الذي يكتب لك؟) فقلت: أظن شغله شاغل، وكرهت أن أتاخر عن وقت حاجتي.

فقال لرجل في مجلسه: (اكتب له: هذا ما أملاه رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ أمير المؤمنين، وأودعه إياه، من تسمية أصحاب المهدي وعدد من يوافيه من المفقودين عن فرشهم وقبائلهم، السائرين في ليلهم ونهارهم إلىٰ مكة، وذلك عند استماع الصوت في السنة التي يظهر فيها أمر الله، وهم النجباء والقضاة الحكّام علىٰ الناس:

من طارَبَند[1] الشرقي رجل، وهو المرابط السيّاح، ومن الصامَغَان[2] رجلان، ومن أهل

(*) الحِلية: الخلقة والصورة والصفة. «القاموس المحيط» ج ٤، ص ٤٦٢.

(١) طارَبَند: موضع ذكره المؤمل بن أميل المحاربي في شعره. «معجم البلدان» ج ٤، ص ٤.

(٢) الصامَغَان: كورة من كور الجبل في حدود طبرستان. «معجم البلدان» ج ٣، ص ٣٩٠.

فَرغانة[١] رجل، ومن أهل التَرْمُد[٢] رجلان، ومن الديلم[٣] أربعة رجال، ومن مَرْو الرُوذ[٤] رجلان، ومن مَرْو اثنا عشر رجلاً، ومن بيروت تسعة رجال، ومن طوس خمسة رجال، ومن الفارِياب[٥] رجلان، ومن سِجِستان[٦] ثلاثة رجال، ومن الطالقان[٧] أربعة وعشرون رجلاً، ومن جبال الغُور[٨] ثمانية رجال، ومن نيسابور ثمانية عشر رجلاً، ومن هَراة[٩] اثنا عشر رجلاً، ومن بُوسَنج[١٠] أربعة رجال، ومن الري سبعة رجال، ومن طَبَرستان[١١] تسعة رجال.

ومن قم ثمانية عشر رجلاً، ومن قُومِس[١٢] رجلان، ومن جُرجان[١٣] اثنا عشر رجلاً، ومن الرَّقة[١٤] ثلاثة رجال، ومن الرافِقة[١٥] رجلان، ومن حلب ثلاثة رجال، ومن سَلَمْية[١٦] خمسة

---

(١) فَرْغانة: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان. «معجم البلدان» ج ٤، ص ٢٥٣.

(٢) تَرْمُد: موضع في بلاد بني أسد، أقطعه النبيُّ ﷺ حصينَ بن نضلة الأسدي. «معجم البلدان ج ٢، ص ٢٦.

(٣) الدَّيْلَم: جيل سمّوا بأرضهم، وهم في جبال قرب جيلان. والديلم: ماء لبني عبس. «مراصد الاطلاع» ج ٢، ص ٥٨١.

(٤) مَرْوُ الرُّوذ: مدينة قريبة من مَرْو الشاهجان، وهذه أشهر مدن خراسان. انظر: «معجم البلدان» ج ٥، ص ١١٢.

(٥) فارِياب: مدينة مشهورة بخراسان من أعمال جوزجان. «معجم البلدان» ج ٤، ص ٢٢٩.

(٦) سِجِستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة، بينها وبين هراة ثمانون فرسخاً. انظر: «معجم البلدان» ج ٣، ص ١٩٠.

(٧) طالَقان: بلدتان، إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ، والأُخرىٰ بلدة وكورة بين قزوين وأبهر. انظر: «معجم البلدان» ج ٤، ص ٦.

(٨) غُور: جبال وولاية بين هراة وغزنة. والغَور: تهامة ومايلي اليمن: انظر: «معجم البلدان» ج ٤، ص ٢١٦، ٢١٨.

(٩) هَراة: مدينة عظيمة مشهورة من أُمهات مدن خراسان. «معجم البلدان» ج ٥، ص ٣٩٦.

(١٠) بُوسَنج: من قرىٰ ترمذ. «معجم البلدان» ج ١، ص ٥٠٨.

(١١) طَبَرستان: بلاد واسعة ومدن كثيرة مجاورة لجيلان ودَيلمان، وتسمىٰ بمازندران. انظر «مراصد الاطلاع» ج ٢، ص ٨٧٨.

(١٢) قُومِس: كورة كبيرة واسعة تشتمل علىٰ مدن وقرىٰ ومزارع، وهي في ذيل جبال طبرستان. «معجم البلدان» ج ٤، ص ٤١٤.

(١٣) جُرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان. «معجم البلدان» ج ٢، ص ١١٩.

(١٤) الرَّقة: مدينة في شمال سورية علىٰ الفرات. «المنجد في الأعلام» ص ٢٦٥.

(١٥) الرافِقة: بلد متصل البناء بالرَّقة. «معجم البلدان» ج ٣، ص ١٥.

(١٦) سَلَمْية: بليدة في ناحية البرية، من أعمال حماة، وكانت تعدّ من أعمال حِمص. انظر: «معجم البلدان» ج ٣، ص ٢٤٠.

رجال، ومن دمشق رجلان، ومن فلسطين رجل، ومن بَعْلَبك رجل، ومن طَبَرِية[1] رجل، ومن يافا رجل، ومن قُبْرُس رجل، ومن بِلْبيس[2] رجل، ومن دِمْياط رجل، ومن أُسوان رجل، ومن الفُسطاط[3] أربعة رجال، ومن القَيْروان[4] رجلان، ومن كور كرمان ثلاثة رجال.

ومن قَزوين رجلان، ومن همدان أربعة رجال، ومن مُوقان[5] رجل، ومن البدو رجل، ومن خِلاط[6] رجل، ومن جابَرْوان[7] ثلاثة رجال، ومن النَّوا[8] رجل، ومن سِنْجار[9] أربعة رجال، ومن قاليقَلا[10] رجل، ومن سُمَيْساط[11] رجل، ومن نَصيبِين[12] رجل.

ومن الموصل رجل، ومن تل مَوْزَن[13] رجلان، ومن الرُّها[14] رجل، ومن حَرّان[15] رجلان،

---

(١) طَبَرِيّة: مدينة مطلّة علىٰ بحيرة طبرية، وهي من أعمال الأردن. انظر: «معجم البلدان» ج ٤، ص ١٧.

(٢) بِلْبِيس: مدينة بينها وبين فُسطاط مصر عشرة فراسخ علىٰ طريق الشام، والعامة تقول: بِـلبَيس. انظر: «معجم البلدان» ج ١، ص ٤٧٩.

(٣) الفُسطاط: أول مدينة أسسها العرب في مصر علىٰ ضفة النيل الشرقية. انظر: «المنجد في الأعلام» ص ٤١٤.

(٤) القَيروان: مدينة تونسية مركز ولاية. «المنجد في الأعلام» ص ٤٤٤.

(٥) مُوقان: ولاية من أذربيجان فيها قرىً كثيرة. انظر: «معجم البلدان» ج ٥، ص ٢٢٥.

(٦) خِلاط: بلدة عامرة مشهورة، وهي قصبة أرمينية الوسطىٰ. انظر: «مراصد الاطلاع» ج ١، ص ٤٧٦.

(٧) جابَرْوان: مدينة بأذربيجان قرب تبريز. «مراصد الاطلاع» ج ١، ص ٣٠٤.

(٨) نَوا: بليدة من أعمال حوران، وقيل هي قصبتها، وتطلق علىٰ قرية من قرىٰ سمرقند. انظر: «معجم البلدان» ج ٥، ص ٣٠٦.

(٩) سِنجار: مدينة عراقية قرب الحدود السورية. «المنجد في الأعلام» ص ٣١٠.

(١٠) قاليقلا: بأرمينية العظمىٰ من نواحي خِلاط. «معجم البلدان» ج ٤، ص ٢٩٩.

(١١) سُمَيْساط: مدينة سورية قديمة علىٰ الفرات، موقعها اليوم في سمزاط جنوبي تركيا. «المنجد في الأعلام» ص ٣٠٩.

(١٢) نَصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة علىٰ جادة القوافل من الموصل إلىٰ الشام. «معجم البلدان» ج ٥، ص ٢٨٨.

(١٣) تَل مَوْزَن: بلد قديم بين رأس عين وسَروج. «معجم البلدان» ج ٢، ص ٤٥.

(١٤) الرُّها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام، بينهما ستة فراسخ، سمّيت باسم الذي استحدثها، وهو الرهاء بن البلندىٰ. «معجم البلدان» ج ٣، ص ١٠٦.

(١٥) حرّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، علىٰ طريق الموصل والشام والروم. وحرّان أيضاً: من قرىٰ حلب، وقرية بغوطة دمشق. انظر: «معجم البلدان» ج ٢، ص ٢٣٥، ٢٣٦.

ومن باغة[١] رجل، ومن قابِس[٢] رجل، ومن صنعاء رجلان، ومن مازِن رجل، ومن طَرابُلُس رجلان، ومن القُلْزُم[٣] رجلان، ومن القُبّة[٤] رجل، ومن وادي القرىٰ رجل، ومن خيبر رجل، ومن بَدا[٥] رجل، ومن الجار[٦] رجل.

ومن الكوفة أربعة عشر رجلاً، ومن المدينة رجلان، ومن الرَّبَذَة رجل، ومن خَيْوان[٧] رجل، ومن كُوثىٰ رَبّا[٨] رجل، ومن طِهْنَة[٩] رجل، ومن تَيرِم رجل.

ومن الأهواز رجلان، ومن إصْطَخر[١٠] رجلان، ومن مُولْتان[١١] رجلان، ومن الدَّبيل[١٢] رجل، ومن صيدائيل رجل، ومن المدائن ثمانية رجال، ومن عُكْبَرا[١٣] رجل، ومن حُلْوان[١٤] رجلان، ومن البصرة ثلاثة رجال.

---

(١) باغة: مدينة بالأندلس. «معجم البلدان» ج١، ص٣٢٦.

(٢) قابِس: مدينة بين طرابلس وسفاقُس ثمّ المهدية علىٰ ساحل بحر المغرب. «مراصد الاطلاع» ج٣، ص١٠٥٤.

(٣) القُلْزُم: مرفأ مصري قديم علىٰ البحر الأحمر، بُنيت علىٰ أنقاضه مدينة السويس. «المنجد في الأعلام» ص٤٤١.

(٤) قُبّة ـ البناء المعروف ـ: مواضع، منها: قبة الكوفة، وهي الرحبة بها. وقبة جالينوس بمصر، وقبة الرحمة بالاسكندرية. «مراصد الاطلاع» ج٣، ص١٠٦٥.

(٥) بدا: وادٍ قرب أيلة من ساحل البحر.وقيل: بوادي القرىٰ. وقيل: بوادي عُذرة.«معجم البلدان» ج١،ص٣٥٦.

(٦) الجار: مدينة علىٰ ساحل بحر القُلْزُم ـ البحر الأحمر ـ، والجار جزيرة في البحر يقال لها: قراف، وأيضاً هي من قرىٰ أصبهان، وقرية بالبحرين، وجبل شرقي الموصل. انظر: «مراصد الاطلاع» ج١، ص٣٠٥.

(٧) خَيوان: مخلاف باليمن ومدينة بها. «معجم البلدان» ج٢، ص٤١٥.

(٨) كوثىٰ رَبّا: قرية في العراق، فيها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام. انظر: «مراصد الاطلاع» ج٣، ص١١٨٥.

(٩) طِهنة: قرية بالصعيد شرقي النيل. «مراصد الاطلاع» ج٢، ص٨٩٩.

(١٠) إصْطَخْر: بلدة بفارس. «معجم البلدان» ج١، ص٢١١.

(١١) مُولْتان: بلد من بلاد الهند علىٰ سمت غزنة، ويسمىٰ فرج بيت الذهب. «مراصد الاطلاع» ج٣، ص١٣٣٦.

(١٢) دَبيل: موضع يتاخم أعراض اليمامة. وقيل: رمل بين اليمامة واليمن، وغير ذلك. انظر: «مراصد الاطلاع» ج٢، ص٥١٣.

(١٣) عُكْبَرا: بليدة من ناحية دُجيل، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ. «مراصد الاطلاع» ج٢، ص٩٥٣.

(١٤) حُلوان: في عدة مواضع، منها: حلوان العراق، وهي آخر حدود السواد. وقرية من قرىٰ مصر. وبليدة بنيسابور. انظر: «مراصد الاطلاع» ج١، ص٤١٨.

وأصحاب الكهف، وهم سبعة رجال، والتاجران الخارجان من عانة إلىٰ أنطاكية، وغلامهما، وهم ثلاثة نفر، والمستأمنون إلىٰ الروم من المسلمين، وهم أحد عشر رجلاً، والنازلان بسَرَنْديب[1] رجلان، ومن سَمَنْدَر[2] أربعة رجال، والمفقود من مركبه بشَلاهِط[3] رجل، ومن شيراز ـ أو قال: سيراف[4]، الشك من مسعدة ـ رجل، والهاربان إلىٰ سَرْدانية[5] من الشِّعب رجلان، والمتخلّي بِصقِلّيّة رجل، والطَّوّاف الطالب الحق من يخشب رجل، والهارب من عشيرته رجل، والمحتج بالكتاب علىٰ الناصب من سَرْخَس[6] رجل.

فذلك ثلاثماية وثلاثة عشر*، بعدد أهل بدر، يجمعهم الله إلىٰ مكة في ليلة واحدة، وهي ليلة الجمعة، فيتوافون في صبيحتها إلىٰ المسجد الحرام، لا يتخلف منهم رجل واحد، وينتشرون بمكة في أزقتها، يلتمسون منازل يسكنونها، فينكرهم أهل مكة، وذلك أنهم لم يعلموا برفقة دخلت من بلد من البلدان لحج أو عمرة ولا لتجارة، فيقول بعضهم لبعض: إنا لنرىٰ في يومنا هذا قوماً لم نكن نراهم قبل هذا اليوم، ليسوا من بلد واحد، ولا أهل بدو، ولا معهم إبل ولا دواب.

فبينما هم كذلك وقد ارتابوا بهم، إذ يقبل رجل من بني مخزوم، يتخطىٰ رقاب الناس، حتىٰ يأتي رئيسهم فيقول: لقد رأيت ليلتي هذه رؤيا عجيبة، وإني منها خائف، وقلبي منها وجل، فيقول له: اقصص رؤياك، فيقول: رأيت كَبّة[7] نار انقضّت من عنان السماء، فلم تزل تهوي، حتىٰ انحطت علىٰ الكعبة فدارت فيها، فإذا هي جراد ذوات أجنحة خضر كالملاحف، فأطافت بالكعبة ما شاء الله، ثمّ تطايرت شرقاً وغرباً، لا تمر ببلد إلّا أحرقته، ولا بحصن إلّا حطمته، فاستيقظت وأنا مذعور القلب وجل.

---

(١) سَرَنْديب: جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصىٰ بلاد الهند. «مراصد الاطلاع» ج ٢، ص ٧١٠.

(٢) سَمَنْدَر: مدينة خلف باب الأبواب بأرض خزر. «مراصد الاطلاع» ج ٢، ص ٧٣٧.

(٣) شَلاهِط: بحر عظيم بعد بحر هركند مشرقاً، فيه جزيرة سيلان. «معجم البلدان» ج ٣، ص ٣٥٧.

(٤) سيراف: بلدة قديمة في إيران علىٰ الخليج. «المنجد في الأعلام» ص ٣٢٠.

(٥) سَرْدانية: جزيرة كبيرة في بحر المغرب. انظر: «معجم البلدان» ج ٣، ص ٢٠٩.

(٦) سَرْخَس: مدينة قديمة من نواحي خراسان. «معجم البلدان» ج ٣، ص ٢٠٨.

(*) كذا في الأصل والمصدر، والمذكورون ثلاثمائة وسبعة رجال.

(٧) كَبَّةُ النار: صدمتها. «لسان العرب» ج ١٢، ص ٨، مادة «كبب».

فيقولون: لقد رأيت هؤلاء، فانطلق بنا إلىٰ الأُقيرع ليعبّرها، وهو رجل من ثقيف، فيقصّ عليه الرؤيا . فيقول الأُقيرع: لقد رأيت عجيباً، ولقد طرقكم في ليلتكم جند من جنود الله، لا قوة لكم بهم . فيقولون: لقد رأينا في يومنا هذا عجباً، ويحدّثونه بأمر القوم .

ثمّ ينهضون من عنده ويهمون بالوثوب عليهم، وقد ملأ الله قلوبهم رعباً وخوفاً، فيقول بعضهم لبعض ـ وهم يتآمرون بذلك ـ : يا قوم لا تعجلوا علىٰ القوم، إنهم لم يأتوكم بعد بمنكر، ولا أظهروا خلافاً، ولعل الرجل منهم يكون في القبيلة من قبائلكم، فإن بدا لكم منهم شرّ فأنتم حينئذ وهم، وأمّا القوم فإنا نراهم متنسكين، وسيماهم حسنة، وهم في حرم الله تعالىٰ، الذي لا يباح من دخله حتىٰ يحدث به حدثاً، ولم يحدث القوم حدثاً يوجب محاربتهم .

فيقول المخزومي ـ وهو رئيس القوم وعميدهم ـ : إنّا لا نأمن أن يكون وراءهم مادة لهم، فإذا التأمت إليهم كشف أمرهم وعظم شأنهم، فتهضّموهم وهم في قلة من العدد وغربة في البلد قبل أن تأتيهم المادة، فإن هؤلاء لم يأتوكم مكة إلّا وسيكون لهم شأن، وما أحسب تأويل رؤيا صاحبكم إلّا حقاً، فخلّوا لهم بلدكم وأجيلوا الرأي، والأمر ممكن .

فيقول قائلهم: إن كان من يأتيهم أمثالهم فلا خوف عليكم منهم، فإنه لا سلاح للقوم ولا كُراع[1]، ولا حصن يلجؤون إليه، وهم غرباء مُحتوون، فإن أتىٰ جيش لهم نهضتم إلىٰ هؤلاء أولاً، وكانوا كشربة الظمآن .

فلا يزالون في هذا الكلام ونحوه حتىٰ يحجز الليل بين الناس، ثمّ يضرب الله علىٰ آذانهم وعيونهم بالنوم، فلا يجتمعون بعد فراقهم إلىٰ أن يقوم القائم عليه السلام، وإنّ أصحاب القائم يلقىٰ بعضهم بعضاً كأنهم بنو أب وأم، وإن افترقوا عشاءً التقوا غدوة، وذلك تأويل هذه الآية: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أيْنَما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَميعاً ﴾[2]) .

قال أبو بصير: جعلت فداك، ليس علىٰ الأرض يومئذ مؤمن غيرهم»[3]... إلىٰ آخره، ومرّ .

قال أبو حسان سعيد بن جناح: حدّثنا محمد بن مروان الكرخي، قال: حدّثنا عبد الله بن داود الكوفي، عن سماعة بن مهران، قال: سأل أبو بصير الصادقَ عليه السلام عن عدّة أصحاب

---

(١) الكُراع: اسم يجمع الخيل نفسها. «الصحاح» ج٣، ص١٢٧٦، مادة «كرع» .

(٢) «البقرة» الآية: ١٤٨ .

(٣) «دلائل الإمامة» ص٥٥٤، ح٥٢٦، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر .

القائم، فأخبره بعدّتهم ومواضعهم، فلما كان العام القابل قال: عدت إليه فدخلت عليه، فقلت: ما قصة المرابط السائح؟ قال: (هو رجل من أصبهان من أبناء دهّاقينها، له عمود فيه سبعون منّاً لا يقلّه غيره، يخرج من بلده سيّاحاً في الأرض وطلب الحق، فلا يخلو بمخالف إلّا أراح منه، ثمّ إنه ينتهي إلىٰ الطارَبَند، وهو الحاكم بين أهل الإسلام والترك، فيصيب بها رجلاً من النصّاب يتناول أمير المؤمنين عليه السلام، ويقيم بها حتىٰ يُسرىٰ به.

وأمّا الطوّاف لطلب الحق، فهو رجل من أهل يخشب، قد كتب الحديث، وعرف الاختلاف بين الناس، فلا يزال يطوف في البلاد يطلب العلم، حتىٰ يعرف صاحب الحق، فلا يزال كذلك حتىٰ يأتيه الأمر، وهو يسير من الموصل إلىٰ الرُّها، حتىٰ يوافي مكة.

وأمّا الهارب من عشيرته ببَلْخ[1] فرجل من أهل المعرفة، لا يزال يعلن أمره، ويدعو الناس إليه وقومه وعشيرته، فلا يزال كذلك حتىٰ يهرب منهم إلىٰ الأهواز، فيقيم في بعض قراها، حتىٰ يأتيه أمر الله فيهرب منهم.

وأمّا المحتج بكتاب الله علىٰ الناصب من سَرْخَس فرجل عارف، يلهمه الله معرفة القرآن، فلا يلقىٰ أحداً من المخالفين إلّا حاجّه، فيُثبت أمرنا في كتاب الله.

وأمّا المتخلّي بصِقِلِّيَة فإنه رجل من أبناء الروم، من قرية يقال لها: قرية يسلم، فينبو من الروم، ولا يزال يخرج إلىٰ بلد الإسلام، يجول بلدانها، وينتقل من قرية إلىٰ قرية، ومن مقالة إلىٰ مقالة، حتىٰ يمنّ الله عليه بمعرفة الأمر الذي أنتم عليه، فإذا عرف ذلك وأيقنه أيقن أصحابه، فدخل صقلية وعبد الله حتىٰ يسمع الصوت فيجيب.

وأمّا الهاربان الىٰ السردانية من الشّعب رجلان، أحدهما من أهل مدائن العراق، والآخر من جَبانا[2]، يخرجان إلىٰ مكة، فلا يزالان يتّجران فيها ويعيشان، حتىٰ يتصل متجرهما بقرية يقال لها: الشّعب، فيصيران إليها، ويقيمان بها حيناً من الدهر، فإذا عرفهما أهل الشعب آذوهما وأفسدوا كثيراً من أمرهما، فيقول أحدهما لصاحبه: يا أخي، إنا قد أُوذينا في بلادنا حتىٰ فارقنا أهل مكة، ثمّ خرجنا إلىٰ الشّعب، ونحن نرىٰ أن أهلها ثائرة علينا من أهل مكة، وقد بلغوا بنا ما ترى، فلو سرنا في البلاد حتىٰ يأتي أمر الله من عدل أو فتح أو موت مريح. فيتجهزان ويخرجان إلىٰ بَرْقة، ثمّ يتجهزان ويخرجان الىٰ سردانية، ولا يزالان بها إلىٰ الليلة

---

(١) بَلْخ: مدينة مشهورة بخراسان. «معجم البلدان» ج١، ص٤٧٩.

(٢) جَبانا: ناحية بالسواد بين الأنبار وبغداد. «معجم البلدان» ج٢، ص٩٩.

التي يكون فيها أمر قائمنا عليه السلام.

وأمّا التاجران الخارجان من عانة إلىٰ أنطاكية فهما رجلان، يقال لأحدهما: مسلم، وللآخر: سليم، ولهما غلام أعجمي يقال له: سلمونة، يخرجون جميعاً في رفقة من التجار يريدون أنطاكية، فلا يزالون يسيرون في طريقهم، حتىٰ إذا كان بينهم وبين أنطكاية أميال يسمعون الصوت فينصتون نحوه، كأنهم لم يعرفوا شيئاً غير ما صاروا إليه من أمرهم ذلك الذي دُعوا إليه، ويذهلون عن تجاراتهم، ويصبح القوم الذين كانوا معهم من رفاقهم وقد دخلوا أنطاكية، فيفقدونهم، فلا يزالون يطلبونهم، فيرجعون ويسألون عنهم من يلقون من الناس، فلا يقعون لهم علىٰ أثر، ولا يعلمون لهم خبراً، فيقول القوم بعضهم لبعض: هل تعرفون منازلهم؟ فيقول بعضهم: نعم، ثمّ يبيعون ما كان معهم من التجارة ويحملونها إلىٰ أهاليهم، فيدفعون إليهم أمتعتهم ومالهم، ويخبرونهم خبرهم، ويعزي أهاليهم لهم، ويقتسمون مواريثهم. فلا يلبثون بعد ذلك إلّا ستة أشهر حتىٰ يوافون إلىٰ أهاليهم علىٰ مقدمة القائم، فكأنهم لم يفارقوهم.

وأمّا المستأمنة من المسلمين إلىٰ الروم، فهم قوم ينالهم أذىً شديد من جيرانهم وأهاليهم ومن السلطان، فلا يزال ذلك بهم حتىٰ أتوا ملك الروم، فيقصّون عليه قصتهم، ويخبرونه بما هم فيه من أذىٰ قومهم وأهل ملّتهم، فيؤمّنهم ويعطيهم أرضاً من أرض قُسطنطينة، فلا يزالون بها، حتىٰ إذا كانت الليلة التي يُسرىٰ بهم فيها، يصبح جيرانهم وأهل الأرض التي كانوا بها قد نقدوهم، فيسألون عنهم أهل البلاد، فلا يحسّون لهم أثراً، ولا يسمعون لهم خبراً، وحينئذ يخبرون ملك الروم بأمرهم وأنهم قد فقدوا، فيوجه في طلبهم، ويستقصي آثارهم وأخبارهم، فلا يعود مخبر لهم بخبر، فيغتم طاغية الروم لذلك غماً شديداً، ويطالب جيرانهم بهم، ويحبسهم ويلزمهم إحضارهم، ويقول: ما قدمتم علىٰ قوم آمنتهم وأوليتهم جميلاً؟ ويوعدهم القتل إن لم يؤتوا بهم ويخبرهم، وإلىٰ أين صاروا.

فلا يزال أهل مملكته في أذية ومطالبة، مابين معاقَب ومحبوس ومطلوب، حتىٰ يسمع بما هم فيه راهبٌ قد قرأ الكتب، فيقول لبعض من يحدّثه حديثهم إنه مابقي في الأرض أحد يعلم علم هؤلاء القوم غيري وغير رجل من يهود بابل. فيسألونه عن أحوالهم، فلا يخبر أحداً من الناس، حتىٰ يبلغ ذلك الطاغية، فيوجه في حمله إليه، فإذا حضره قال له الملك: قد بلغني ماقلت، وقد ترىٰ ما أنا فيه، فاصدقني، إن كانوا مرتابين قتلت بهم من قتلهم، ويخلص من سواهم من التهمة.

قال الراهب: لا تعجل أيّها الملك، ولا تحزن على القوم، فإنهم لن يُقتلوا ولن يموتوا، ولا حدث بهم حدث يكرهه الملك، ولا هم ممن يرتاب بأمرهم ونالتهم غيلة، ولكن هؤلاء قوم حُملوا من أرض المَلِك إلى أرض مكة، إلى مَلِك الأمم، وهو الأعظم الذي لم تزل الأنبياء تبشّر به وتحدّث عنه، وتعد بظهوره وعدله وإحسانه.

قال له الملك: ومن أين لك هذا؟ قال: ما كنت لأقول إلّا حقاً، فإنه عندي في كتاب قد أتى عليه أكثر من خمسمائة سنة، يتوارثه العلماء آخر عن أول.

فيقول له الملك: فإن كان ما تقوله حقاً، وكنت فيه صادقاً، فأحضر الكتاب. فيمضي في إحضاره، ويوجه الملك معه نفراً من ثقاته، فلا يلبث حتى يأتيه بالكتاب، فيقرأه، فإذا فيه صفة القائم واسمه واسم أبيه، وعدّة أصحابه وخروجهم، وأنهم سيظهرون على بلاده.

فقال له الملك: ويحك، أين كنت عن إخباري بهذا إلى اليوم؟ قال: لولا ما تخوفت أنه يدخل على الملك من الإثم في قتل قوم أبرياء ما أخبرته بهذا العلم حتى يراه بعينه ويشاهده بنفسه.

قال: أوَتراني أراه؟ قال: نعم، لا يحول الحول حتى تطأ خيله أواسط بلادك، ويكون هؤلاء القوم الأدلاء على مذهبكم. فيقول الملك: أفلا أوجه إليهم من يأتيني بخبر منهم، وأكتب إليهم كتاباً؟ قال الراهب: أنت صاحبه الذي تسلم إليه، وستتبعه وتموت، فيصلي عليك رجل من أصحابه.

والنازلون بسَرَنديب وسمندر أربعة رجال من تجار أهل فارس، يخرجون عن تجاراتهم فيستوطنون سرنديب وسمندر، حتى يسمعوا الصوت ويمضون إليه.

والمفقود من مركبه بشَلاهِط رجل من يهود أصبهان، تخرج من شلاهط قافلة فيها هو، فبينما تسير في البحر في جوف الليل إذ نودي، فيخرج من المركب على أرض أصلب من الحديد، وأوطأ من الحرير، فيمضي الربان إليه وينظر، فينادي: أدركوا صاحبكم فقد غرق، فيناديه الرجل: لا بأس عليَّ، إني على جَدَد[1]، فيحال بينهم وبينه، وتطوى له الأرض، فيوافي القوم حينئذ مكة لا يتخلف منهم أحد)[2].

وبالإسناد الأول: أنّ الصادق عليه السلام سمّى أصحاب القائم لأبي بصير فيما بعد، فقال عليه السلام:

---

(١) الجَدَد: الأرض الصلبة. «الصحاح» ج٢، ص٤٥٢، مادة «جدد».

(٢) «دلائل الإمامة» ص٥٦٢ – ٥٦٦، ح٥٢٧، بتفاوت، صححناه على المصدر.

(أمّا الذي في طارَبَند الشرقي: بُندار بن أحمد، من سكة تدعىٰ بازان، وهو السيّاح المرابط.

ومن أهل الشام رجلان يقال لهما: إبراهيم بن الصباح، ويوسف بن صريا. فيوسف عطار من أهل دمشق، وإبراهيم قصاب من قرية سويقان.

ومن الصامغان: أحمد بن عمر الخياط، من سكة بزيع، وعلي بن عبد الصمد التاجر، من سكة النجارين.

ومن أهل سيراف: سلم الكوسج البزّاز من سكة الباغ، وخالد بن سعيد بن كريم الدهقان، والكليب الشاهد من دانشاه.

ومن مَرْوَ رُوذ: جعفر الشاه الدقّاق، وجَوْر مولىٰ الخصيب.

ومن مَرْو اثنا عشر* رجلاً، وهم: بندار بن الخليل العطار، ومحمد بن عمر الصيدناني، وعريب بن عبد الله بن كامل، ومولىٰ قَحطبة، وسعد الرومي، وصالح بن الرحّال، ومُعاذ بن هاني، وكردوس الأزدي، ودُهيم بن جابر بن حميد، وطاشف بن علي القاجاني، وقرعان بن سويد، وجابر بن علي الأحمر، وحَوشَب بن جرير.

ومن باوَرْد[1] تسعة رجال: زياد بن عبد الرحمن بن جُحْدُب، والعباس بن الفضل بن قارب، وسحيق بن سليمان الحنّاط، وعلي بن خالد، وسلم بن سليم بن الفرات البزاز، ومَحْمُويه ابن عبد الرحمن بن علي، وجرير بن رُستم بن سعد الكيساني، وحرب بن صالح، وعمارة بن معمر.

ومن طوس أربعة رجال: شهمرد بن حمران، وموسىٰ بن مهدي، وسليمان بن طليق من الواد ـ وكان الواد موضع قبر الرضا عليه السلام ـ وعلي بن السندي الصيرفي.

ومن الفارياب: شاهويه بن حمزة، وعلي بن كلثوم، من سكة تدعىٰ باب الجبل.

ومن الطالقان أربعة وعشرون** رجلاً: المعروف بابن الرازي الجبلي، وعبد الله بن عمير، وإبراهيم بن عمر، وسهل بن رزق الله، وجبريل الحداد، وعلي بن أبي علي الورّاق، وعبادة بن جمهور، ومحمد بن جيهار، وزكريا بن حبة، وبهرام بن سرح، وجميل بن عامر بن خالد، وخالد وكثير مولىٰ جرير، وعبد الله بن قُرط بن سلّام، وفزارة بن بهرام، ومعاذ بن سالم بن

(*) كذا في الأصل والمصدر، والمذكورون ثلاثة عشر رجلاً.

(١) باوَرْد: بلد بخراسان. «معجم البلدان» ج١، ص٣٣٣.

(**) كذا في الأصل والمصدر، والمذكورون خمسة وعشرون رجلاً.

جليد التمار، وحميد بن إبراهيم بن جمعة الغزّال، وعُقبة بن وفر بن الربيع، وحمزة بن العباس ابن جنادة من دار الرزق، وكائن بن حنيذ الصائغ، وعلقمة بن مدرك، ومروان بن جميل بن ورقاء، وظهور مولىٰ زرارة بن إبراهيم، وجمهور بن الحسين الزجاج، ورياش بن سعد بن نعيم.

ومن سجستان: الخليل بن نصر من أهل زنج، وترك بن شبه، وإبراهيم بن علي.

ومن غُور ثمانية رجال. محمح بن خَرَّبوذ، وشاهد بن بندار، وداود بن جرير، وخالد بن عيسىٰ، وزياد بن صالح، وموسىٰ بن داود، وعرف الطويل، وابن كرد.

ومن نَيسابور ثمانية عشر* رجلاً: سمعان بن فاخر، وأبو لبابة بن مدرك، وإبراهيم بن يوسف القصير، ومالك بن حرب بن سُكين، وزرود بن سوكن، ويحيىٰ بن خالد، ومعاذ بن جبرئيل، وأحمد بن عمر بن زُفَر، وعيسىٰ بن موسىٰ السوّاق، ويزيد بن دُرُست، ومحمد بن حمّاد بن شيت، وجعفر بن طرخان، وعلّان ماهويه، وأبو مريم، وعمرو بن عمير بن مطرف، وبليل بن وهايد بن هومرديار.

ومن هراة اثنا عشر رجلاً: سعيد بن عثمان الورّاق، وماسحر بن عبد الله بن نيل، والمعروف بعلّام الكندي، وسمعان القصاب، وهارون بن عمران، وصالح بن جرير، والمبارك بن معمر بن خالد، وعبد الأعلىٰ بن إبراهيم بن عبده، ونزل بن حزم، وصالح بن نعيم، وآدم بن علي، وخالد القوّاس.

ومن أهل بوسنج أربعة رجال: طاهر بن عمرو بن طاهر، المعروف بالأصلع، وطلحة بن طلحة السائح، والحسن بن الحسن بن مسمار، وعمرو بن عمر بن هشام.

ومن الري سبعة رجال: إسرائيل القطان، وعلي بن جعفر بن خرّزاد، وعثمان بن علي بن درخت، ومسكان بن جبل بن مقاتل، وكردين بن شيبان، وحمدان بن كر، وسليمان بن الديلمي.

ومن طبرستان أربعة رجال: حرشاد بن كردم، وبهرام بن علي، والعباس بن هاشم، وعبد الله ابن يحيىٰ.

ومن قم ثمانية عشر** رجلاً: غسّان بن محمد غسّان، وعلي بن أحمد بن برة بن نعيم بن

(*) كذا في الأصل والمصدر، والمذكورون ستة عشر رجلاً.

(**) كذا في الأصل والمصدر، والمذكورون أربعة عشر رجلاً.

يعقوب بن بلال، وعمران بن خالد بن كليب، وسهل بن علي بن صاعد، وعبد العظيم بن عبد الله ابن الشاه، وحَسَكة بن هاشم بن الداية، والأخوص بن محمد بن إسماعيل بن نعيم بن طريف، وبلبل بن مالك بن سعد بن طلحة بن جعفر بن أحمد بن جرير، وموسىٰ بن عمران بن لاحق، والعباس بن زُفر بن سُليم، والحويد بن بشر بن بشير، ومروان بن علابة بن جرير، المعروف بابن رأس الزق، والصقر بن إسحاق بن إبراهيم، وكامل بن هشام.

ومن قُومِس رجلان: محمود بن محمد بن أبي الشعب، وعلي بن حمويه بن صدقة، من قرية الخَرقان.

ومن جُرجان اثنا عشر رجلاً: أحمد بن هارون بن عبد الله، وزرارة بن جعفر، والحسين بن علي بن مطر، وحميد بن نافع، ومحمد بن خالد بن قرّة بن حوية، وعلّان بن حميد بن جعفر بن حميد، وإبراهيم بن إسحاق بن عمرو، وعلي بن علقمة بن محمود، وسلمان بن يعقوب، والعُريان بن الخفّان، الملقب بحال روت، وشعبة بن علي، وموسىٰ بن كردويه.

ومن مُوقان رجل، وهو عبيد الله بن محمد بن ماجور.

ومن السِّند رجلان: سيّاب بن العباس بن محمد، ونصر بن منصور، يعرف بناقشت.

ومن همدان أربعة رجال: هارون بن عمران بن خالد، وطيفور بن محمد بن طيفور، وأبان بن محمد بن الضحاك، وعتاب بن مالك بن جمهور.

ومن جابَروان ثلاثة رجال: كُرد بن حنيف، وعاصم بن خليد الخياط، وزياد بن رزين.

ومن النوا رجل: لقيط بن الفرات.

ومن أهل خِلاط: وهب بن خربند بن سروين.

ومن تفليس[1] خمسة رجال: جَحدر بن الزيت، وهاني العطاردي، وجواد بن بدر، وسُليم ابن وحيد، والفضل بن عمير.

ومن باب الأبواب[2]: جعفر بن عبد الرحمن.

ومن سنجار أربعة رجال: عبيد الله بن زريق، وسُحيم بن مطر، وهبة الله بن زريق بن صدقة، وهُبل بن كامل.

ومن قاليقلا: كردوس بن جابر.

---

(١) تفْلِيس ـ بفتح أوله، ويكسر ـ: بلد بأرمينية الأُولىٰ. «معجم البلدان» ج ٢، ص ٣٥.

(٢) باب الأبواب: مدينة علىٰ بحر الخزر. انظر: «مراصد الاطلاع» ج ١، ص ١٤٣.

ومن سُمَيساط: موسىٰ بن زرقان.

ومن نصيبين رجلان: داود بن المحق، وحامد صاحب البواري.

ومن الموصل رجل، يقال له: سليمان بن صبيح من القرية الحديثة.

ومن تل مَوزن رجلان، يقال لهما: بادصنا بن سعد بن السحير، وأحمد بن حميد بن سوار.

ومن بلد رجل، يقال له: بور بن زائدة بن ثروان.

ومن الرُّها رجل، يقال له: كامل بن عفير.

ومن حرّان: زكريّا السعدي.

ومن الرقة ثلاثة رجال: أحمد بن سليمان بن سليم، ونوفل بن عمر، وأشعث بن مالك.

ومن الرافقة: عياض بن عاصم بن سمرة بن جحش، ومليح بن سعد.

ومن حلب أربعة رجال: يونس بن يوسف، وحميد بن قيس بن سحيم بن مدرك بن علي بن حرب بن صالح بن ميمون، ومهدي بن هند بن عطارد، ومسلم بن هوار مرد.

ومن دمشق ثلاثة رجال: نوح بن حرير، وشعيب بن موسىٰ، وحجر بن عبيد الله الفزاري.

ومن فلسطين: سويد بن يحيىٰ.

ومن بعلبك: المنزل بن عمران.

ومن طبرية: معاذ بن معاذ.

ومن يافا: صالح بن هارون.

ومن قَرْمَس[1]: رئاب بن الجلود، والخليل بن السيد.

ومن تِنِّيس[2]: يونس بن الصقر، وأحمد بن مسلم بن سلم.

ومن دمياط: علي بن زائدة.

ومن أُسوان: حمّاد بن جمهور.

ومن الفسطاط أربعة رجال: نصر بن حوّاس، وعلي بن موسىٰ الفزاري، وإبراهيم بن صفير، ويحيىٰ بن نعيم.

ومن القَيروان: علي بن موسىٰ بن الشيخ، وعنبرة بن قرطة.

---

(١) قَرْمَس: بلد من أعمال ماردة بالأندلس. «معجم البلدان» ج ٤، ص ٣٣٠.

(٢) التِّنِّيس: موضع بين الكوفة والشام. وتِنّيس أيضاً: جبل بالشام فيه عدّة حصون. «معجم البلدان» ج ٢، ص٦٦.

ومن باغة: شرحبيل السعدي.

ومن بلبيس: علي بن معاذ.

ومن بالِس[1]: همام بن الفرات.

ومن صنعاء: الفياض بن ضرار بن ثروان، وميسرة بن غُندر بن المباركي.

ومن مازن: عبد الكريم بن غندر.

ومن طرابلس: ذو النورين عبيدة بن علقمة.

ومن أُبُلَّة[2] رجلان: يحيىٰ بن بديل، وحواشة بن الفضل.

ومن وادي القرىٰ: الحر بن الزبرقان.

ومن خيبر رجل، يقال له: سليمان بن داود.

ومن ربدار: طلحة بن سعد بن بهرام.

ومن الجار: الحارث بن ميمون.

ومن المدينة رجلان: حمزة بن طاهر، وشرحبيل بن جميل.

ومن الربذة: حمّاد بن محمد بن نصير.

ومن الكوفة أربعة عشر رجلاً: ربيعة بن علي بن صالح، وتميم بن إلياس بن أسد، والعضرم ابن عيسىٰ بن عتيم، ومطرف بن عمر الكندي، وهارون بن صالح بن ميثم، ووكايا بن سعد، ومحمد بن رواية، والحر بن عبد الله بن ساسان، وقودة الأعلم، وخالد بن عبد القدوس، وإبراهيم بن مسعود بن عبدالحميد، وبكر بن سعد بن خالد، وأحمد بن ريحان بن حارث، وغرث الأعرابي.

ومن القُلزُم: المرجئة بن عمرو، وشبيب بن عبد الله.

ومن الحيرة: بكر بن عبد الله بن عبد الواحد.

ومن كُوثىٰ رَبّا: حفص بن مروان.

ومن طِهنة: الحباب بن سعيد، وصالح بن طيفور.

ومن الأهواز: عيسىٰ بن تمام، وجعفر بن سعيد الضرير، يعود بصيراً.

ومن الشام: علقمة بن إبراهيم.

---

(١) بالِس: بلدة بالشام بين حلب والرَّقة. «معجم البلدان» ج١، ص٣٢٨.

(٢) الأُبُلَّة: بلدة علىٰ شاطئ دجلة البصرة العظمىٰ. «معجم البلدان» ج١، ص٧٧.

ومن إصطخر: المتوكل بن عبيد الله، وهشام بن فاخر.

ومن المولتان: حيدر بن إبرهيم.

ومن النيل: شاكر بن عبدة.

ومن قَندابيل[1]: عمرو بن فروة.

ومن المدائن ثمانية نفر: الأخوين الصالحين محمد وأحمد ابني المنذر، وميمون بن الحارث، ومعاذ بن علي بن عامر بن عبد الرحمن بن معروف بن عبد الله، والحرسي بن سعيد، وزهير بن طلحة، ونصر، ومنصور.

ومن عُكبَرا: زائدة بن هبة.

ومن حُلوان: ماهان بن كثير، وإبراهيم بن محمد.

ومن البصرة: عبد الرحمن بن الأعطف بن سعد، وأحمد بن مليح، وحمّاد بن جابر.

وأصحاب الكهف سبعة نفر: مكسلمينا وأصحابه.

والتاجران الخارجان من أنطاكية: موسىٰ بن عون، وسليمان بن حرّ، وغلامهما الرومي.

والمستأمنة إلىٰ الروم أحد عشر* رجلاً: صهيب بن العباس، وجعفر بن حلال، وضرار بن سعيد، وحميد القدوس المناري، ومالك بن خليد، وبكر بن الحرّ، وحبيب بن حنان، وجابر بن سفيان.

والنازلان بسرنديب، وهما: جعفر بن زكريا، ودانيال بن داود.

ومن سندرا أربعة رجال: حور بن طرخان، وسعيد بن علي، وشاه بن بزرج، وحرّ بن جميل.

والمفقود من مركبه بشَلاهِط، اسمه: المنذر بن زيد.

ومن سيراف ـ وقيل: شيراز، الشك من مسعدة ـ: الحسين بن علوان.

والهاربان إلىٰ سردانية: السري بن الأغلب، وزيادة الله بن رزق الله.

والمتخلّي بصقلية: أبو داود الشعشاع.

والطوّاف لطلب الحق من يخشب، وهو عبد الله بن صاعد بن عقبة.

والهارب من بلخ من عشيرته: أوس بن محمد.

والمحتج بكتاب الله علىٰ الناصب من سرخس، نجم بن عقبة بن داود.

---

(١) قَندابيل: مدينة بالسند. «معجم البلدان» ج ٤، ص ٤٠٢.

(*) كذا في الأصل والمصدر، والمذكورون ثمانية رجال.

ومن فرغانة: أزدجاه بن الوابص.

ومن الترمد: صخر بن عبدالصمد القنابلي، ويزيد بن قادر.

فذلك ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، بعدد أهل بدر). انتهىٰ ماذكره الطبري في تاريخه[1].

وهذا العدد الظاهر أول الدعوة من الأحياء، وإلّا فكثير من الأموات من الأوصياء والخلفاء من هذه الأُمة وغيرها يُنشَر في وقته، كما أنه ينشر أيضاً من محض الكفر والإيمان، ويعمّر كثير، وبعض يحشر للقصاص منه أو له من سائر الناس، ويبقون ثلاثين شهراً، ثمّ يموتون في ليلة[2].

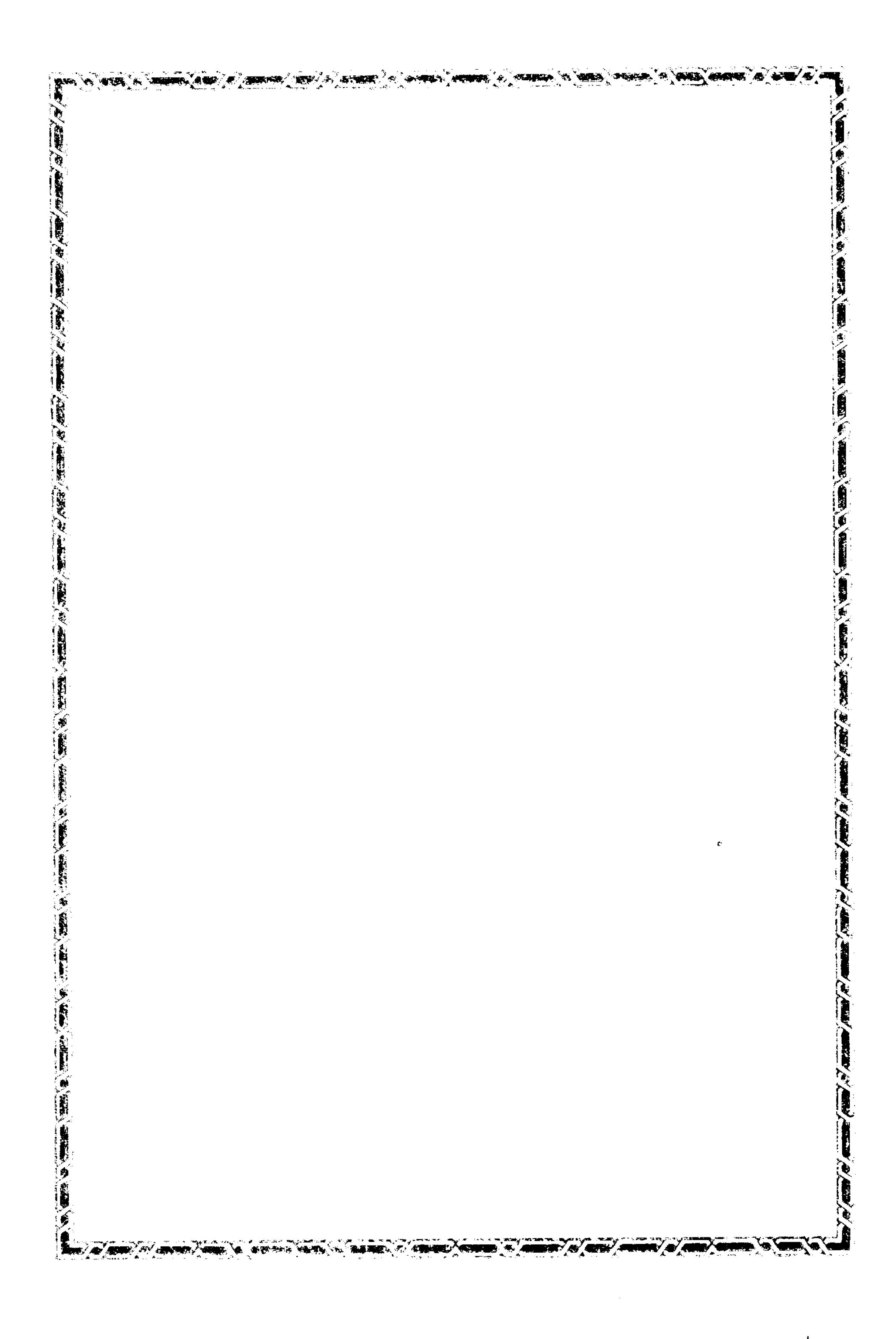
وماذكرناه استطرادٌ، وسيأتيك بعض في الرجعة، وسبق، ومن أراد الاستقصاء فليراجع المصنفات فيها، مفرداً أو مع غيرها، وهو كثير غني عن الإشارة إليه.

* * *

---

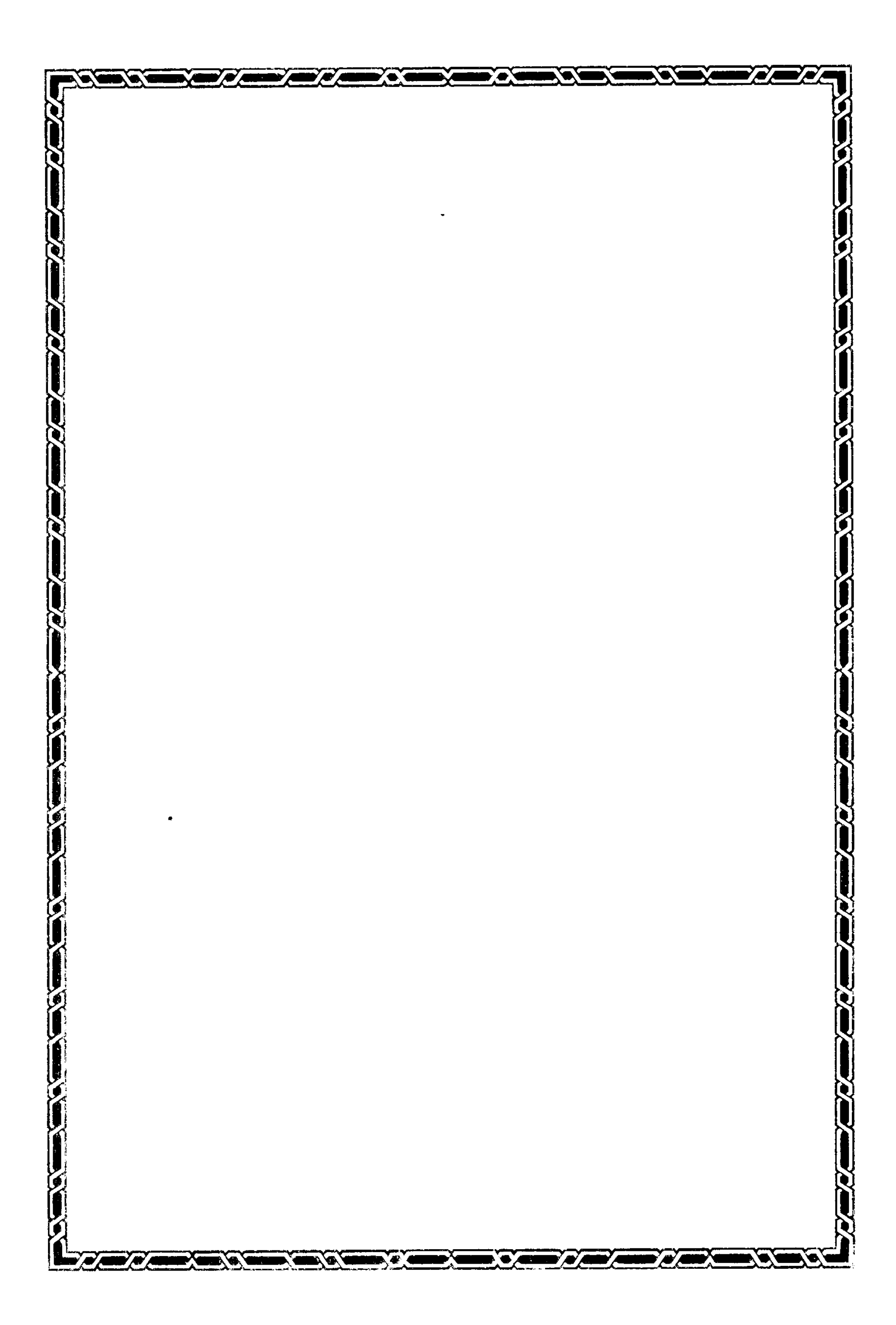
(١) «دلائل الإمامة» ص٥٦٦ – ٥٧٥، ح٥٢٨، بتفاوت، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) انظر: «مختصر بصائر الدرجات» ص٢٨.



الباب الحادي والثمانون

ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الإمامة



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب [تسعة عشر][1] حديثاً.

وغير خفي علىٰ من عرف صفات الإمامة والمحل المستحق لها الفرق بين المحقّ في دعواه والمبطل، ولا اشتباه علىٰ الفطن العارف بين النبي والمتنبي، وما بالشمس وصفاتها من خفاء، ولا اشتباه بالظلام. ومن قصر عقله عن ذلك وضعف حلمه فليرجع إلىٰ العالم والمميز؛ فإمّا أن يكون مستضيئاً بنور العلم، أو [يلجأ][2] إلىٰ ركن وثيق.

والعامة لمّا أهملوا شروط الإمامة التي أشار الله لها في القرآن، وبيّنها رسوله، ودلت عليها آياته في الآفاق [والأنفس][3]، من اشتراط العصمة اعتقاداً وفعلاً وقولاً مطلقاً، وظهور المعاجز منه، ونص الله ورسوله [عليه][4]، فهو أعلم الخلق وأفضلهم، كما مرّ مبيّناً، وأرجعوا أمر الإمامة إلىٰ الأُمة واختيارهم، كما هو رأي أكثرهم[5]، بل هو المعول عليه، ونص الأول علىٰ عمر لا يخرج عن الاختيار، بل هو أخسّه، وهو منه مكافاة لبيعته له أولاً، فأول ما وقعت له من عمر في السقيفة، وتسمية بعض للوصاية غير اختيار سفه ظاهر، فكذلك لا يمكنهم الفرق بين مدعي الإمامة ومن هو مُحقّ؛ لإهمال الشروط، ولجواز تعدد

---

(١) في الأصل: «احد وعشرون».
(٢) في الأصل: «ملجأ».
(٣) في الأصل: «والالسن».
(٤) في الأصل: «عليهم».
(٥) انظر: «شرح المواقف» ج٨، ص٣٥١؛ «شرح المقاصد» ج٥، ص٢٥٢.

الاختيار في الأصقاع، ولعدم اشتراط الأعلمية، وغير ذلك، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ ﴾[1]. فأيّ دين أخبث من هذا؟!

وغير خفي انقطاع حجة الله علىٰ هذا التقدير، وبطلان إراثة السبيلين، كما هو الواجب في كل وقت حتىٰ القيامة، لاستمرار التكليف وطريق الهدىٰ، ولا يكون إلّا بتمييزه عن طريق الردىٰ، ولا يكون إلّا بتمايز المحلّين والموضوعين، لتباين الصفات وتضاد الحالات.

ولمّا ارتكبت العامة ما ارتكبت من الضلالة، وتجنبوا الهداية وطريق السداد، كان ما أقاموه إماماً جامعاً لصفات المبطل في أمر الإمامة، متخل من صفاتها الحقة، وقد مرّ في الأجزاء السابقة بعض ذلك، وهو ظاهر للفطن.

وقد مرّ لك في الجزء السابق[2] والذي قبله بيان الدلالة علىٰ الحجية، من بيان صفات الإمام، وأن مثل السلاح فيهم مثل التابوت في بني إسرائيل، فحيثما كان السلاح كانت الإمامة، وهو لا يزايل العلم. وعرفت أن الإمام لابد وأن يكون أكبر الولد، وأولىٰ الناس بمن كان قبله، وأنه لا مغمز فيه بوجه، لا علماً ولا عملاً ولا سيرة ولا بيتاً، فلا يلهو ولا يزهو ولا غير ذلك، فهو لا ظلّ له، ولا [يجهل][3] شيئاً، وتكون العناصر طوعه، ويعلم بما في النفوس أو علىٰ وجه البسيطة، وغير ذلك، ويجمع الكل العصمة، فتفطن.

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن سلام بن عبدالله الهاشمي، قال محمد بن علي: وقد سمعته منه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: بعث طلحة والزبير رجلاً من عبد القيس ـ يقال له: خِداش ـ إلىٰ أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وقالا له: إنّا نبعثك إلىٰ رجل طالما كنّا نعرفه وأهل بيته بالسحر والكهانة، وأنت أوثق مَن

---

(١) «القصص» الآية: ٥٠.

(٢) انظر: «الكافي» ج١، ص٢٠١، ص٢٠٢، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، ح١؛ «هدي العقول» ج٨، باب الأمور التي توجب حجّة الإمام عليه السلام، ح١، ٢، ٤؛ باب الاشار والنص علىٰ أبي الحسن موسىٰ عليه السلام ح١٥، باب الاشارة والنص علىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام، ح١٤.

(٣) في الأصل: «يجعله».

بحضرتنا من أنفسنا من أن تمتنع من ذلك، وأن تحاجّه لنا حتىٰ تقفه علىٰ أمر معلوم، واعلم أنه أعظم الناس دعوىً، فلا يكسرنّك ذلك عنه، ومن الأبواب التي يخدع الناس بها الطعام والشراب والعسل والدهن، وأن يخالي الرجل، فلا تأكل له طعاماً، ولا تشرب له شراباً، ولا تمسّ له عسلاً ولا دهناً، ولا تخلُ معه، واحذر هذا كلّه منه، وانطلق علىٰ بركة الله . فإذا رأيته فاقرأ آية السَخَرة، وتعوّذ بالله من كيده وكيد الشيطان، فإذا جلست إليه فلا تمكّنه من بصرك كلّه، ولا تستأنس به، ثمّ قل له: إنّ أخويك في الدين وابني عمّك في القرابة يناشدانك القطيعة، ويقولان لك: أما تعلم أنّا تركنا الناس لك وخالفنا عشائرنا فيك منذ قبض الله عزّ وجلّ محمداً ﷺ، فلمّا نلت أدنىٰ منال ضيّعت حرمتنا وقطعت رجاءنا، ثمّ قد رأيت أفعالنا فيك، وقدرتنا علىٰ النأي عنك، وسعة البلاد دونك، وإنّ من كان يصرفك عنّا وعن صلتنا كان أقلّ لك نفعاً وأضعف عنك دفعاً منّا، وقد وضح الصبح لذي عينين، وقد بلغنا عنك انتهاك لنا ودعاء علينا، فما الذي يحملك علىٰ ذلك ؟! فقد كنّا نرىٰ أنّك أشجع فرسان العرب، أتتّخذ اللعن لنا ديناً، وترىٰ أنّ ذلك يكسرنا عنك ؟

فلمّا أتىٰ خداشٌ أميرَ المؤمنين عليه السلام صنع ما أمراه، فلمّا نظر إليه علي عليه السلام ـ وهو يناجي نفسه ـ ضحك وقال: هاهنا يا أخا عبد قيس ـ وأشار له إلىٰ مجلس قريب منه ـ فقال: ما أوسع المكان، أريد أن أُؤدّي إليك رسالة، قال: بل تطعم وتشرب وتحلّ ثيابك وتدهن، ثمّ تؤدّي رسالتك، قم يا قنبر فأنزله، قال: ما بي إلىٰ شيء ممّا ذكرت حاجة، قال: فأخلو بك ؟ قال: كلّ سرّ لي علانية.

قال: فأنشدك بالله الذي هو أقرب إليك من نفسك، الحائل بينك وبين قلبك، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أتقدّم إليك الزبير بما

عرضت عليك ؟ قال: اللّهم نعم، قال: لو كتمت بعدما سألتك ما ارتدّ إليك طرفك، فأنشدك الله، هل علّمك كلاماً تقوله إذا أتيتني؟ قال: اللّهم نعم، قال علي عليه السلام: آية السخرة ؟ قال: نعم، قال: فاقرأها. فقرأها، وجعل علي عليه السلام يكرّرها ويردّدها ويفتح عليه إذا أخطأ، حتىٰ إذا قرأها سبعين مرّة قال الرجل: ما يرىٰ أمير المؤمنين عليه السلام أمره بتردّدها سبعين مرة ؟ [ثم] قال له: أتجد قلبك اطمأنّ ؟ قال: إي والذي نفسي بيده، قال: فما قالا لك؟ فأخبره، فقال: قل لهما: كفىٰ بمنطقكما حجّة عليكما، ولكن الله لا يهدي القوم الظالمين، زعمتما أنّكما أخواي في الدين، وابنا عمّي في النسب.

فأمّا النسب فلا أنكره، وإن كان النسب مقطوعاً إلّا ما وصله الله بالإسلام.

وأمّا قولكما: إنكما أخواي في الدين، فإنْ كنتما صادقين فقد فارقتما كتاب الله عزّ وجلّ وعصيتما أمره بأفعالكما في أخيكما في الدين، وإلّا فقد كذبتما وافتريتما بادّعائكما أنكما أخواي في الدين.

وأمّا مفارقتكما الناس منذ قبض الله محمداً صلى الله عليه وآله، فإن كنتما فارقتماهم بحق فقد نقضتما ذلك الحق بفراقكما إياي أخيراً، وإن فارقتماهم بباطل فقد وقع إثم ذلك الباطل عليكما مع الحدث الذي أحدثتما، مع أنّ صفقتكما بمفارقتكما الناس لم تكن إلّا لطمع الدنيا. زعمتما وذلك قولكما: «فقطعت رجاءنا»، لا تعيبان بحمد الله من ديني شيئاً.

وأمّا الذي صرفني عن صلتكما فالذي صرفكما عن الحق وحملكما علىٰ خلعه من رقابكما، كما يخلع الحرون لجامه، وهو الله ربي لا أُشرك به شيئاً، فلا تقولا: «أقلّ نفعاً، وأضعف دفعاً»، فتستحقّا اسم الشرك مع النفاق.

وأمّا قولكما: إنّي أشجع فرسان العرب، وهربكما من لعني ودعائي، فإنّ

لكلّ موقف عملاً إذا اختلفت الأسنة وماجت لبود الخيل، وملأ سحَراكما أجوافكما، فثمّ يكفيني الله بكمال القلب، وأما إذا أبيتما بأنّي أدعو الله فلا تجزعا من أن يدعو عليكما رجل ساحر من قوم سحرة زعمتما؛ اللّهم أقعص الزبير بشرّ قتله، واسفك دمه علىٰ ضلالة، وعرّف طلحة المذلّة، وادّخر لهما في الآخرة شراً من ذلك، إن كانا ظلماني وافتريا عليّ وكتما شهادتهما وعصياك وعصيا رسولك فيّ، قل: آمين، قال خداش: آمين.

ثمّ قال خداش لنفسه: والله ما رأيت لحية قطُّ أبين خطأً منك؛ حامل حجّة ينقض بعضها بعضاً، لم يجعل الله لها مساكاً، أنا أبرأ إلىٰ الله منهما.

قال علي عليه السلام: ارجع إليهما وأعلمهما ما قلت، قال: لا والله حتىٰ تسأل الله أن يردّني إليك عاجلاً، وأن يوفّقني لرضاه فيك. ففعل، فلم يلبث أن انصرف، وقتل معه يوم الجمل رحمه الله ﴾.

☐ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن رافع بن سلمة، قال: كنت مع علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يوم النهروان، فبينا علي عليه السلام جالس إذ جاء فارس، فقال: السلام عليك يا علي، فقال له علي عليه السلام: وعليك السلام، مالك ـ ثكلتك أمّك ـ لم تسلّم عليّ بإمرة المؤمنين؟ قال: بلىٰ، سأخبرك عن ذلك، كنتُ إذ كنتَ علىٰ الحق بصفّين، فلمّا حكّمت الحكمين برئت منك وسمّيتك مشركاً، فأصبحت لا أدري إلىٰ أين أصرف ولايتي، والله لأنْ أعرف هداك من ضلالتك أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، فقال له علي عليه السلام: ثكلتك أمّك، قف منّي قريباً أريك علامات الهدىٰ من علامات الضلالة.

فوقف الرجل قريباً منه، فبينما هو كذلك إذ أقبل فارس يركض، حتىٰ أتىٰ علياً عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، أبشر بالفتح أقرّ الله عينك، قد ـ والله ـ قُتل القوم أجمعون، فقال له: من دون النهر أو من خلفه؟ قال: بل من

دونه، فقال: كذبت والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لا يعبرون أبداً حتىٰ يقتلوا، فقال الرجل: فازددت فيه بصيرة.

فجاء آخر يركض علىٰ فرس له، فقال له مثل ذلك، فردّ عليه أمير المؤمنين عليه السلام مثل الذي ردّ علىٰ صاحبه.

قال الرجل الشاكُّ: وهممت أن أحمل علىٰ علي عليه السلام فأفلق هامته بالسيف.

ثمّ جاء فارسان يركضان قد أعرقا فرسيهما، فقالا: أقر الله عينك يا أمير المؤمنين، أبشر بالفتح، قد ـ والله ـ قتل القوم أجمعون، فقال علي عليه السلام: أمن خلف النهر أو من دونه؟ قالا: لا، بل من خلفه، إنّهم لمّا اقتحموا خيلهم النهروان، وضرب الماء لبّات خيولهم، رجعوا فأُصيبوا، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: صدقتما.

فنزل الرجل عن فرسه فأخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام وبرجله فقبّلهما، فقال علي عليه السلام: هذه لك آية ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٣﴾

قوله: ﴿عن حَبابة الوالبية، قالت: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس ومعه درّة لها سبابتان، يضرب بها بيّاعي الجرّي والمارماهي والزمار، ويقول لهم: يا بيّاعي مسوخ بني إسرائيل وجند بني مروان، فقام إليه فرات بن أحنف فقال: يا أمير المؤمنين، وما جند بني مروان؟ قال: فقال له: أقوام حلقوا اللحىٰ وفتلوا الشوارب فمسخوا.

فلم أرَ ناطقاً أحسن نطقاً منه، ثمّ اتبعته، فلم أزل أقفو أثره حتىٰ قعد في رحبة المسجد، فقلت له: يا أمير المؤمنين، ما دلالة الإمامة يرحمك الله؟ قالت: فقال: ائتيني بتلك الحصاة ـ وأشار بيده إلىٰ حصاة ـ فأتيته بها، فطبع لي فيها بخاتمه، ثمّ قال لي: يا حبابة، إذ ادّعىٰ مدّع الإمامة، فقدر أن

يطبع كما رأيتِ فاعلمي أنه إمام مفترض الطاعة، والإمام لا يعزب عنه شيء يريده.

قالت: ثمّ انصرفت، حتىٰ قُبض أمير المؤمنين عليه السلام، فجئت إلىٰ الحسن عليه السلام وهو في [مجلس][١] أمير المؤمنين عليه السلام، والناس يسألونه، فقال: يا حبابة الوالبية، فقلت: نعم، [يا مولاي] فقال: هاتي ما معك، قالت: فأعطيته [الحصاة][٢]، فطبع فيها كما طبع أمير المؤمنين عليه السلام.

قالت: ثمّ أتيت الحسين عليه السلام وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقرّب ورحّب، ثمّ قال لي: إنّ في الدلالة دليلاً علىٰ ما تريدين، أفتريدين دلالة الإمامة ؟ فقلت: نعم يا سيدي، فقال: هاتي ما معك، فناولته الحصاة، فطبع لي فيها.

قالت: ثمّ أتيت علي بن الحسين عليهما السلام، وقد بلغ بي الكبر إلىٰ أن أرعشت، وأنا أعدّ يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيته راكعاً وساجداً ومشغولاً بالعبادة، فيئست من الدلالة، فأومأ إلي بالسبّابة، فعاد إليّ شبابي، قالت: فقلت: يا سيدي، كم مضىٰ من الدنيا وكم بقي؟ فقال: أمّا ما مضىٰ فنعم، وأمّا ما بقي فلا. قالت: ثمّ قال لي: هاتي ما معك، فأعطيته الحصاة، فطبع لي فيها.

ثمّ أتيت أبا جعفر عليه السلام، فطبع لي فيها، ثمّ أتيت أبا عبد الله عليه السلام، فطبع لي فيها، ثمّ أتيت أبا الحسن موسىٰ عليه السلام، فطبع لي فيها، ثمّ أتيت الرضا عليه السلام، فطبع لي فيها.

وعاشت حبابة بعد ذلك تسعة أشهر، علىٰ ما ذكر محمد بن هشام ﴾.

(خِداش) [ككِتاب][٣]. وانظر إلىٰ شدّة نفاق طلحة والزبير، المنبئ عن عدم تصديقهما

---

(١) في الأصل: «مسجد».　(٢) ليست في المصدر.
(٣) في الأصل: «الكتاب».

بالنبي، وأنهما كانا قبل منافقين، وهو كذلك. والظاهر أنّ الزبير من المتورعين.

والسَّحْر ـ ويحرك ويضم ـ الرئة، وانتفخ سَحْره: عدا طوره[١].

لا والله ما كان ولا أهل بيته عليه السلام أهل سحر وكهانة، بل وحي ومعجزة، وهم محل الوحي وحفظته.

ولمّا كان لين الجانب ولطفه، والطعام والشراب، والتوسعة على القادم، مما يوجب لين الجانب والانجذاب لمن قدم عليه الرجل، أمراه بعدم الأكل من طعامه وشرابه، وعدم الاختلاء به؛ لئلا يأخذه بسحره، ولا يمكّنه من بصره؛ لئلا يسحره، فإنّ منها يعمل الساحر السّحر أشد من غيرها، أو لئلا يُره هيبة وحسن سمته فيلين له، وأمراه بقراءة الآية ـ آية السخرة ـ وهي: ﴿ وإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية[٢]. وكل ذلك منهما له شدة تحريض؛ لينفّرانه منه عليه السلام، ويبلّغ ما أرسلوه به.

وما أكذبهم فيما قالاه! ومتى كان منهما الدفع عنه؟ والذي صرفه عنهما ماقاله عليه السلام.

[وأشار][٣] عليه السلام بقوله: (وإن كان النسب مقطوعاً إلّا ما وصله الله بالإسلام) إلى أنّ النسب الحسي وحده غير كافٍ، فكل نسب وسبب منقطع إلّا ما وصله الدين، فابن نوح نُفي عنه، وكذا ابن آدم، وغيرهما كثير. وهما وعلي يجتمع معهما بعد ارتفاع بطون.

أمّا طلحة فهو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مرّة بن كعب[٤]، ففي مُرّة يجتمع مع علي. وكان لمرّة ابن آخر غير تيم، هو كلاب بن مُرّة، وكلاب بن مُرّة كان من أجداد النبي صلى الله عليه وآله وعلي[٥] عليه السلام.

وأمّا الزبير فهو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصي بن كلاب بن مُرّة[٦]، وكلاب بن مُرّة من أجداد النبي وعلي عليهما السلام. وفي قصي يجتمع مع علي. وكان لقصي ابن آخر وهو عبد مناف بن قصي، وهو من أجداد النبي وعلي عليهما السلام.

وأمّا ادعاؤهما [أنهما أخواه][٧] في الدين، كما أخبر الله عن المؤمنين بأنهم إخوة[٨]،

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» ج ٢، ص ٦٦. (٢) «القلم» الآية: ٥١.

(٣) في الأصل: «ودفع». (٤) انظر: «الطبقات الكبرى» ج ٣، ص ١٦٠، الرقم: ٤٧.

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» ج ٣، ص ٤، الرقم: ١؛ «أُسد الغابة» ج ٣، ص ٥٨٧، الرقم: ٣٧٨٣.

(٦) انظر: «أُسد الغابة» ج ٢، ص ١٠٢، الرقم: ١٧٣٢.

(٧) في الأصل: «اخوانه». (٨) «الحجرات» الآية: ١٠.

فردّه عليه السلام بشِقّي المنفصلة، بأنه إن كانا صادقَين فقد خالفا كتاب الله ورسوله بأفعالهما فيه، ومنه ما قالاه لهذا الرسول، وهو يبطل هذه الدعوىٰ، (وإلّا فقد كذبتما وافتريتما) بهذه الدعوىٰ. وباقي ردّه عليه السلام لقولهما ظاهر.

ويقال: فرس حَرون، حيث لا ينقاد، إذا اشتد به الجري وقف[١].

(وماجت لبود الخيل) أي اضطربت لشدة الجري، و(اللُّبود) جمع (اللِّبْد)، وهو شعر متراكم بين كتفي الفرس.

و(السحر) ـ بالضم والفتح والتحريك ـ: الرئة.

ويقال: أقعَصه، إذا قتله قتلاً سريعاً[٢]. وقد استجاب الله دعوته عليه السلام فيهما في وقعة الجمل.

ثمّ انظر إلىٰ ضعف اليقين وما يوجب بصاحبه، كما وقع من رافع أولاً، والتوقيف للإنابة والرجوع ثانية.

(ثكلتك أمك) فقدتك[٣]، (لم تسلّم عليّ بإمرة المؤمنين) أي لم تقل: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

وقوله بعد تكذيب علي عليه السلام للرجل: «فازددت فيه بصيرة»، أي بالحكم عليه بما كنت أحكم عليه قبل بصفين؛ لتكذيبه لمدعي المشاهدة، أو «ازددت فيه بصيرة» أي طلب أمره ومعرفته، إذ تكذيبه [المخبر][٤] كذلك في مثل هذا الوقت والحال لابد وأن يكون عن أمر حاصل له.

والأول أرجح؛ لأنه لم يكن [عارفاً به قبل][٥]، ولهذا همّ بقتله بعد تكذيبه الثاني، لتكذيبه الأمر الثابت بالتواتر المفيد للقطع.

والضمير في: «كنتُ إذ كنت علىٰ الحق بصفين» علىٰ صيغة المتكلم فيهما، أي وقت كوني بصفين كنت علىٰ الحق، حتىٰ وقع التحكيم فأوجب لي الشك فيك، وتبرأت منك، وسميتك مشركاً. أو الأول علىٰ صيغة المتكلم، والثاني علىٰ صيغة الخطاب.

---

(١) انظر: «لسان العرب» ج٣، ص١٤٥، مادة «حرن».

(٢) انظر: «لسان العرب» ج١١، ص٢٤٥، مادة «قعص».

(٣) انظر: «النهاية» ج١، ص٢١٧، مادة «ثكل». (٤) في الأصل: «المحب».

(٥) في الأصل: «اعاد فانه قيل».

و (من دون النهر) أي من بعد تجاوز النهر والعبور عنه، و (من خلفه) أي قبل العبور.

و (فلق الحبة) بالإنبات، و (برأ النسمة) أوجدها.

و (الهامة) الرأس، والجمع: هام.

و (اقتحموا النهر) دخلوا فيه علىٰ غير بصيرة وروّية.

و (لَبَة الفرس) صدره، والجمع: لَبَات، مثل حَبَّة وحَبَّات، و(اللَّبَب) - بفتحتين - من سيور السرج: ما يقع علىٰ اللَّبَّة. كما في المصباح[1] وغيره[2].

والعجب من الخوارج كيف يعمل النفاق في صاحبه ويضل تابع الشيطان، يقولون: علي حكم، وهو طالما أبطل وقوع الإمامة بالاختيار، وقد خرج لهم يقاتلهم، فلو [كانوا][3] استقاموا علىٰ الكتاب ما قاتلهم، علىٰ أنه أعلم به وبمن يقاتل، ولو فرض - ولا يكون - أنه رضي بالتحكيم لا يوجب ذلك قدحاً فيه حتىٰ يشكّ في أمره، وهو أعلم بالمصلحة.

ولقد قال لهم - بعد أن رفع معاوية خمسمائة مصحف -: قاتلوهم، فإنها كلمة حق أرادوا بها باطلاً، والله لو عملوا به ما قاتلتهم، فقاتلوهم، فهذا كتاب الله الصامت، وأنا كتاب الله الناطق، قاتلوهم فقد أُخذ القوم. فارتد من قومه كل منافق، ومن يعبد الله علىٰ حرف، وأتباع الأطماع، وقالوا: كلّا، بل ابعث إلىٰ الأشتر بالرجوع والكف عن القتل، وإلّا قاتلناك، واختلفت كلمتهم، فكف. وعملوا برأيهم، ثمّ بعدُ خرج منهم بعض، ورجع وأناب من رجع[4].

وقد نُقل أنه سلم من الخوارج تسعة نفر، تفرقوا في البلاد، وانهزم منهم اثنان إلىٰ عمان، واثنان إلىٰ كرمان، واثنان إلىٰ سجستان، واثنان إلىٰ الجزيرة، وواحد إلىٰ تل مَوزَن، وظهرت بدعهم في أطراف البلاد بعده، وأُصيب من أصحابه ثمانية. وإليه أشار علي عليه السلام حين عزم علىٰ حرب الخوارج، وقيل له: إنهم عبروا النهروان، بقوله: (مصارعهم دون النطفة)، يعني بها ماء النهر، (والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة)[5]. فكان كما قال، وهذه آية أُخرىٰ دالة علىٰ إمامته، وكم آية ودلالة له![6].

---

(١) «المصباح المنير» ص٥٤٧.

(٢) «مجمع البحرين» ج ٢، ص ١٦٥، مادة «لبب»، نحوه.

(٣) في الأصل: «كان لو».

(٤) انظر: «وقعة صفين» ص٤٧٨، ٤٨٩؛ «تاريخ الطبري» ج ٣، ص ١٠١.

(٥) «نهج البلاغة» الرقم: ٥٩.

(٦) انظر: «شرح المازندراني» ج ٦، ص ٢٦٤، أخذه بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

و (حَبابة) بفتح المهملة والموحدتين والتشديد[١].

و (الشرطة) ـ بالضم، وكصُرَد ـ أول طائفة من الجيش تشهد الواقعة، وخيار جند السلطان ونخبة أصحابه، والجمع: شُرَط، مثل غُرْفة وغُرَف. والشرطي ـ بالسكون والحركة ـ منسوب إلىٰ الشرطة لا إلىٰ الشُرَط، لأنه جمع[٢].

و (الخميس) الجيش، سمّي به لأنه مقسوم خمسة أقسام: مقدمة، وساقة، وميمنة، وميسرة، وقلب. و قيل: لأنه تخمس فيه الغنائم[٣].

و (الدِّرَّة) ـ بالكسر ـ: التي يضرب بها[٤].

و (السبابة) الشقة[٥].

و (الرُّحب) ـ بالضم ـ: السعة، و (الرَّحبة) ـ بفتح الراء وتسكين الحاء، وتحريكها أحسن ـ: الصحراء بين أفنية القوم. و (رحبة المسجد) ساحته، وقد يسمىٰ بها ما يتخذ علىٰ أبواب بعض المساجد من حظيرة أو دكان[٦].

و (رَحَّبَ) ترحيباً، قال: مرحباً، أي أتيت سعة ولقيتها[٧].

وإنما كان الإمام لا يعزب عنه شيء يريده لأنه متىٰ شاء أن يعلم علم، ويعلم بما كان ويكون، كما سبق بيانه في الجزء السابق، ولا يريد علم مالا يمكن في شأنه العلم الواجب تعالىٰ، وإنه ـ طلب المستحيل وغير الممكن في شأن الإنسان ـ من نزغات الشيطان، وليس للشيطان مدخل فيهم.

وقوله: (أمّا ما مضىٰ) من الدنيا (فنعم)، لأنه وقع ولم يجرِ فيه البداء، فإمّا أنه أخبرها

---

(١) ضبطها العلّامة المامقاني بباءين موحدتين من غير تشديد، ثم قال: «والمشهور علىٰ الألسن عموماً هو تشديد الباء الأُولىٰ، والظاهر أنه من الأغلاط المشهورة؛ لصراحة عبارة القاموس في تخفيفها». انظر: «تنقيح المقال» ج٣، ص٧٤، فصل النساء؛ «القاموس المحيط» ج١، ص١٧٨.

(٢) انظر: «النهاية» ج٢، ص٤٦٠؛ «المغرّب» ص٢٤٨؛ «المصباح المنير» ص٣٠٩، مادة «شرط».

(٣) «النهاية» ج٢، ص٧٩، مادة «خمس»، بتفاوت يسير.

(٤) «لسان العرب» ج٤، ص٣٢٧، مادة «درر».

(٥) انظر: «لسان العرب» ج٦، ص١٣٨، وفيه: «والسِّبُّ والسَّبيبة: الشُّقّة»؛ «مجمع البحرين» ج٢، ص٨٠، وفيه: «السبابة الإصبع التي تلي الإبهام... وفي حديث علي عليه السلام: (كان معه درة لها سبابتان) أي طرفان».

(٦) «المغرّب» ص١٨٥، أخذه بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٧) انظر: «لسان العرب» ج٥، ص١٦٦، مادة «رحب».

وأهملته في النقل، أو منع مانع عن إخباره. وقوله: (فنعم) أي أُخبرك.

وقوله: (وأمّا ما بقي فلا) أي فلا أُخبرك به؛ لأنه لله فيه البداء، لا أنّ معناه: فلا معرفة لي به؛ لأنه داخل في علم الساعة المختص بها الله وحده، كما قيل[1]، وقد مرّ بيانه في الجزء السابق.

ونقل الشارح الفاضل محمد صالح[2] عن الاسترآبادي أنّ عمر حبابة الوالبية مائتا سنة.

وغير خفي أنّ علم مافي النفوس والإخبار بما غاب، كما تضمنه الحديث الأُول مع مافيه، وكذا الثاني والثالث، مع اشتماله علىٰ طوع الإمام له، دلائل واضحة علىٰ صدق إمامة صاحبها، وأنّ دعواه الحق لا مرية فيه.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: كنت عند أبي محمد عليه السلام، فاستؤذن لرجل من أهل اليمن عليه، فدخل رجل عَبْلٌ طويل جسيم، فسلّم عليه بالولاية، فردّ عليه بالقبول، وأمره بالجلوس، فجلس ملاصقاً لي، فقلت في نفسي: ليت شعري، من هذا؟ فقال أبو محمد عليه السلام: هذا من ولد الأعرابية صاحبة الحصاة التي طبع آبائي عليهم السلام فيها بخواتيمهم فانطبعت، وقد جاء بها معه يريد أن أطبع فيها. ثمّ قال: هاتها، فأخرج حصاة وفي جانب منها موضع أملس، فأخذها أبو محمد عليه السلام، ثمّ أخرج خاتمه فطبع فيها فانطبع، فكأنّي أرىٰ نقش خاتمه الساعة «الحسن بن عليّ»، فقلت لليماني: رأيته قبل هذا قطُّ؟ قال: لا والله، وإنّي لمنذ دهر حريص علىٰ رؤيته، حتىٰ كأنّ الساعة أتاني شابٌّ لست أراه، فقال لي: قم فادخل، فدخلت.

ثمّ نهض اليماني وهو يقول: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت، ذرّيّة

---

(١) «شرح المازندراني» ج٦، ص٢٦٧؛ «الوافي» الجلد ٢، ص ١٤٤.

(٢) «شرح المازندراني» ج٦، ص٢٦٧.

بعضها من بعض، أشهد بالله أنّ حقّك لواجب كوجوب حقّ أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده صلوات الله عليهم أجمعين. ثمّ مضىٰ فلم أره بعد ذلك.

قال إسحاق: قال أبو هاشم الجعفري: وسألته عن اسمه، فقال: اسمي مهجع بن الصلت بن عقبة بن سمعان بن غانم بن أُم غانم، وهي [الأعرابية] اليمانية، صاحبة الحصاة التي طبع فيها أمير المؤمنين عليه السلام والسبط إلىٰ وقت أبي الحسن عليه السلام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿عن أبي عبيدة وزرارة جميعاً، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لمّا قُتل الحسين عليه السلام أرسل محمد بن الحنفية إلىٰ علي بن الحسين عليهما السلام فخلا به، فقال له: يابن أخي، قد علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دفع الوصية والإمامة من بعده إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ إلىٰ الحسن عليه السلام، ثمّ إلىٰ الحسين عليه السلام، وقد قُتل أبوك رضي الله عنه وصُلّي علىٰ روحه ولم يوصِ، وأنا عمّك وصنو أبيك وولادتي من علي عليه السلام في سنّي وقديمي أحق بها منك في حداثتك، فلا تنازعني في الوصية والإمامة، ولا تحاجّني.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا عمّ اتق الله، ولا تدّع ما ليس لك بحق إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين، إنّ أبي يا عمّ صلوات الله عليه أوصىٰ إليّ قبل أن يتوجّه إلىٰ العراق، وعهد إليّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي، فلا تتعرّض لهذا، فإنّي أخاف عليك نقص العمر وتشتّت الحال، إنّ الله عزَّ وجلّ جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين عليه السلام، فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلىٰ الحجر الأسود حتىٰ نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك.

قال أبو جعفر عليه السلام: وكان الكلام بينهما بمكّة، فانطلقا حتىٰ أتيا الحجر

الأسود، فقال علي بن الحسين عليه السلام لمحمد بن الحنفية: ابدأ أنت فابتهل إلىٰ الله عزّ وجلّ وسله أن يُنطق لك الحجر ثمّ سل، [فابتهل] محمد في الدعاء وسأل الله، ثمّ دعا الحجر فلم يجبه، فقال علي بن الحسين عليهما السلام : يا عمّ، لو كنت وصيّاً وإماماً لأجابك، قال [له] محمد: فادع [الله] أنت يابن أخي وسله.

فدعا اللهَ عليُّ بن الحسين عليهما السلام بما أراد، ثمّ قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين، لمّا أخبرتنا مَن الوصي والإمام بعد الحسين [بن علي] عليه السلام ؟ قال: فتحرك الحجر حتىٰ كاد أن يزول عن موضعه، ثمّ أنطقه الله عزّ وجلّ بلسان عربي مبين، فقال: اللّهم إنّ الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي عليهما السلام إلىٰ عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال: فانصرف محمد بن علي عليه السلام وهو يتولّىٰ علي بن الحسين عليه السلام .

وعن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٦﴾

قوله: ﴿عن محمد بن علي، قال: أخبرني سماعة بن مهران، قال: أخبرني الكلبي النسّابة، قال: دخلت المدينة ولست أعرف شيئاً من هذا الأمر، فأتيت المسجد فإذا جماعة من قريش، فقلت: أخبروني عن عالم أهل هذا البيت، فقالوا: عبدالله بن الحسن، فأتيت منزله فاستأذنت، فخرج إليّ رجل ظننت أنه غلام له، فقلت له: استأذن لي علىٰ مولاك، فدخل ثمّ خرج فقال لي: ادخل، فدخلت فإذا [أنا] بشيخ معتكف شديد الاجتهاد، فسلّمت عليه، فقال لي: من أنت ؟ فقلت: أنا الكلبي النسّابة، فقال: ما حاجتك ؟ فقلت: جئت أسألك، فقال: أمررت بابني محمد ؟ قلت: بدأت بك، فقال: سل.

فقلت: أخبرني عن رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء، فقال: تبين برأس الجوزاء، والباقي وزرٌ عليه وعقوبة. فقلت في نفسي: واحدة.

فقلت: ما يقول الشيخ في المسح علىٰ الخفين ؟ فقال: قد مسح قوم صالحون، ونحن أهل البيت لا نمسح، فقلت في نفسي: ثنتان.

فقلت: ما تقول في أكل الجرّي، أحلال هو أم حرام؟ فقال: حلال، إلّا أنّا أهل البيت نعافه. فقلت في نفسي: ثلاث.

فقلت: فما تقول في شرب النبيذ ؟ فقال: حلال، إلّا أنّا أهل البيت لا نشربه.

فقمت فخرجت من عنده وأنا أقول: هذه العصابة تكذب علىٰ أهل هذا البيت ، فدخلت المسجد فنظرت إلىٰ جماعة من قريش وغيرهم من الناس، فسلّمت عليهم، [ثمّ] قلت لهم: من أعلم [أهل] هذا البيت ؟ فقالوا: عبدالله بن الحسن، فقلت: قد أتيته فلم أجد عنده شيئاً، فرفع رجل من القوم رأسه فقال: ائت جعفر بن محمد عليه السلام ، فهو أعلم أهل هذا البيت، فلامه بعض من كان بالحضرة ـ فقلت: إنّ القوم إنما منعهم من إرشادي إليه أوّل مرّة الحسد ـ فقلت له: ويحك، إيّاه أردت.

فمضيت حتىٰ صرت إلىٰ منزله، فقرعت الباب، فخرج غلام له فقال: ادخل يا أخا كلب، فوالله لقد أدهشني، فدخلت وأنا مضطرب، ونظرت فإذا شيخ علىٰ مصلّىً بلا مِرفقةٍ ولا بَرْدَعَةٍ، فابتدأني ـ بعد أن سلّمت عليه ـ فقال لي: من أنت ؟ فقلت في نفسي: يا سبحان الله ! غلامه يقول لي بالباب: ادخل يا أخا كلب، ويسألني المولىٰ من أنت ؟ فقلت له: أنـا الكلبي النسّابة، فضرب بيده علىٰ جبهته وقال: كذب العادلون بـالله، وضلّوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً، يا أخا كلب، إنّ الله عزّ وجلّ

يقول: ﴿ وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً ﴾[١] أفتنسبها أنت؟ فقلت: لا جعلت فداك، فقال لي: أفتنسب نفسك ؟ قلت: نعم، أنا فلان بن فلان بن فلان، حتىٰ ارتفعت، فقال لي: قف، ليس حيث تذهب، ويحك أتدري مَنْ فلان بن فلان ؟ قلت: نعم، [فلان] بن فلان. قال: إن فلان بن فلان ابنُ فلان الراعي الكردي، إنما كان فلان الراعي الكردي علىٰ جبل آل فلان، فنزل إلىٰ فلانة امرأة فلان من جبله الذي كان يرعىٰ غنمه عليه، فأطعمها شيئاً وغشيها، فولدت فلاناً، وفلان بن فلان من فلانة وفلان بن فلان.

ثمّ قال: أتعرف هذه الأسامي؟ قلت: لا والله، جعلت فداك، فإن رأيت أن تكفّ عن هذا فعلت، فقال: إنما قلتَ فقلتُ، [فقلتُ:] إني لا أعود، قال: لا نعود إذاً واسأل عما جئت له.

فقلت له: أخبرني عن رجل قال لامرأته: أنت طالق عدد نجوم السماء ؟ فقال: ويحك، أما تقرأ سورة الطلاق ؟ قلت: بلىٰ، قال: فاقرأ، فقرأت: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وأَحْصُوا العِدَّةَ ﴾[٢]، قال: أترىٰ هاهنا نجوم السماء ؟ قلت: لا.

قلت: فرجل قال لامرأته: أنت طالق ثلاثاً ؟ قال: تردّ إلىٰ كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ . ثمّ قال: لا طلاق إلّا علىٰ طهر، من غير جماع، بشاهدين مقبولين. فقلت في نفسي: واحدة.

ثمّ قال: سل، قلت: ما تقول في المسح علىٰ الخفين ؟ فتبسم ثمّ قال: إذا كان يوم القيامة وردّ الله كلّ شيء إلىٰ شيئه وردَّ الجلد إلىٰ الغنم، فترىٰ أصحاب المسح أين يذهب وضوؤهم. فقلت في نفسي: ثنتان.

ثمّ التفت إليّ فقال: سل، فقلت: أخبرني عن أكل الجرّي ؟ فقال: إنّ الله

---

(١) «الفرقان» الآية: ٣٨.

(٢) «الطلاق» الآية: ١.

عزّ وجلّ مسخ طائفة من بني إسرائيل، فما أخذ منهم بحراً فهو الجرّي والمارماهي والزمار وما سوىٰ ذلك، وما أخذ منهم برّاً فالقردة والخنازير والوَبْر والورك*، وما سوىٰ ذلك. فقلت في نفسي: ثلاث.

ثمّ التفت إليّ فقال: سل وقم، فقلت: ما تقول في النبيذ ؟ فقال: حلال، فقلت: إنّا ننبذ فنطرح فيه العَكَر ـ وما سوىٰ ذلك ـ ونشربه، فقال: شُه شُه، تلك الخمرة المنتنة.

فقلت: جعلت فداك، فأيّ نبيذ تعني؟ فقال: إن أهل المدينة شكوا إلىٰ رسول الله ﷺ تغيير الماء وفساد طبائعهم، فأمرهم أن ينبذوا، فكان الرجل يأمر خادمه أن ينبذ له، فيعمد إلىٰ كفّ من التمر فيقذف به في الشنّ، فمنه شربه ومنه طهوره.

فقلت: وكم كان عدد التمر الذي كان في الكف ؟ فقال: ما حمل الكفّ، فقلت: واحدة وثنتان؟ فقال: ربما كانت واحدة، وربما كانت ثنتين.

فقلت: وكم كان يسع الشنّ ؟ فقال: ما بين الأربعين إلىٰ الثمانين، إلىٰ ما فوق ذلك، فقلت: بالأرطال ؟ فقال: نعم، أرطال بمكيال العراق.

قال سماعة: قال الكلبي: ثمّ نهض عليه السلام، وقمت فخرجت وأنا أضرب بيدي علىٰ الأخرىٰ، وأنا أقول: إن كان شيء فهذا. فلم يزل الكلبي يدين الله بحبّ آل هذا البيت حتىٰ مات ﴾.

أقول: وجه الدلالة من هذه الأحاديث علىٰ الإمامة ظاهر لمن عرف خواص الإمامة وصفاتها. والكلام علىٰ بطلان الطلاق أصلاً بقول: أنتِ طالق ثلاثاً، أو وقوع واحدة، مذكور في الفقه فراجعه.

ولم يقصد محمد بن الحنفية بذلك إلّا إظهار قصد كونه الإمام عند الكل، وإلّا فهو ممن لا تأخذه فيه ريبة وشكّ.

(*) كذا في الأصل والمصدر، ولعله مصحّف: (الورل)، كما سيأتي تحقيقه عند بيان معنىٰ الكلمة في الشرح.

و (المِرْفَقَة) كالوسادة، وأصله من المرفق، كأنه استعمل مِرفقه واتكأ عليه[١].

(البَرْدَعة) ـ بالفتح ـ الحِلْس، وهو الكساء الرقيق الذي يلقىٰ تحت الرَّحل ويلي ظهر البعير تحت القَتَب[٢]. والمراد أنه ليس معه شيء من هذين.

وليس سؤالُ الإمامِ الكلبيَّ عن اسمه لجهله به، كما ظن، بل لتقرير دعواه بنفسه؛ ليترتب عليه ما رتب من أن علمه ليس بعلم؛ لأنه ليس آية محكمة، ولا فريضة عادلة، ولا سنّة جارية، وبيّن لذلك كمال جهله وأنه لا علم معه.

و (وَيْح) كلمة ترحّم وتوجّع، تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، وقد يقال بمعنىٰ المدح والتعجب[٣].

و (الوَبْر) ـ بالسكون ـ دُويبة علىٰ قدر السِّنَّور، غبراء أو بيضاء، حسنة العينين، شديدة الحياء، حجازية، والأُنثىٰ: وَبْرة، وجمعها: وُبُور ووِبار، كذا في النهاية[٤].

وقال الجوهري: «الوَبْرة ـ بالتسكين ـ دويبة أصغر من السِنّور، طحلاء اللون، لا ذنب لها، ترجن في البيوت، وجمعها: وَبْر ووِبار»[٥].

و (الورك) ـ محركة ـ قيل: «هي دويبة كالضب»[٦].

وفي المغرّب: «العَكَر ـ بفتحتين ـ دُرْدُيّ الزيت ودُرْدُيّ النبيذ»[٧].

وفي الصحاح: «العَكَر: دُرْدُيُّ الزيت وغيره»[٨].

---

(١) انظر: «لسان العرب» ج ٥، ص ٢٧٤، مادة «رفق».

(٢) انظر: «لسان العرب» ج ١، ص ٣٦٩، مادة «بردع»؛ ج ٣، ص ٢٨٢، مادة «حلس».

(٣) «النهاية» ج ٥، ص ٢٣٥، مادة «ويح».

(٤) «النهاية» ج ٥، ص ١٤٥، مادة «وبر» صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «الصحاح» ج ٢، ص ٨٤١، مادة «وبر» صححناه علىٰ المصدر.

(٦) انظر: «شرح المازندراني» ج ٦، ص ٢٧٥؛ «مرآة العقول» ج ٤، ص ٩٣. لكن العلّامة الكاشاني في: «الوافي» المجلد ٢، ص ١٦٧، ذكر هذا المعنىٰ في بيان كلمة «الورل» التي أوردها في الحديث بدل: «الورك»، وهو المناسب لما ذكروه في كتب اللغة. انظر: «مجمع البحرين» ج ٥، ص ٤٩١، وفيه: «في الحديث: (إنّ الله مسخ طائفة من بني إسرائيل). وذكر منها: (الورل) بفتح الواو والراء المهملة، وباللام، وهي دابة علىٰ خلقة الضب، إلّا أنه أعظم منه».

(٧) «المغرّب» ص ٣٢٤.

(٨) «الصحاح» ج ٢، ص ٧٥٦، مادة «عكر». ودُردُيُّ الزيت وغيره: ما يبقىٰ في أسفله. انظر: «الصحاح» ج ١، ص ٤٧٠، مادة «درد».

و (شه، شه) كلمة [زجر][1] واستقذار، ويحتمل أن يكون أمراً باتصاف المخاطَب - بالفتح - من: شاه، يشوه، إذا قبح[2].

و (الشّنان) الأسقية الخَلَقة، واحدها: شَنّ، وشَنّة - بفتح الشين - وهي أشد تبريداً للماء من الجُدُد[3].

والرطل العراقي مائة وثلاثون درهماً، تساوي أحداً وتسعين مثقالاً شرعياً، والمثقال الشرعي: الدينار، ولم يتغير، والرطل المدني مائة وخمسة وتسعون درهماً، قدر رطل ونصف عراقي، والرطل المكي برطلين عراقي[4].

الحديث رقم ﴿٧﴾

قوله: ﴿عن هشام بن سالم، قال: كنّا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام، أنا وصاحب الطاق، والناس مجتمعون علىٰ عبدالله بن جعفر أنه صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق والناس عنده، وذلك أنهم رووا عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: إنّ الأمر في الكبير ما لم تكن به عاهة. فدخلنا عليه نسأله عمّا كنّا نسأل عنه أباه، فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ فقال: في مائتين خمسة، فقلنا: ففي مائة؟ فقال: درهمان ونصف، فقلنا: والله ما تقول المرجئة هذا، قال: فرفع يده إلىٰ السماء فقال: والله ما أدري ما تقول المرجئة.

قال: فخرجنا من عنده ضلّالاً، لا ندري إلىٰ أين نتوجّه أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكين حيارىٰ، لا ندري إلىٰ أين نتوجّه ولا من نقصد، ونقول: إلىٰ المرجئة؟ إلىٰ القدرية؟ إلىٰ الزيدية؟ إلىٰ

---

(١) في الأصل: «خر»، وفي المصدر: «صجر».

(٢) انظر: «شرح المازندراني» ج٦، ص٢٧٥ - ٢٧٦، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) انظر: «النهاية» ج٢، ص٥٠٦، مادة «شنن».

(٤) انظر: «مجمع البحرين» ج٥، ص٣٨٤، مادة «رطل».

المعتزلة؟ إلىٰ الخوارج ؟ فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه، يُومي إليّ بيده، فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون إلىٰ من اتفقت شيعة جعفر عليه فيضربون عنقه، فخفت أن يكون منهم، فقلت للأحول: تَنَحَّ، فإنّي خائف علىٰ نفسي وعليك، وإنّما يريدني لا يريدك، فتنحَّ عني لا تهلك وتعين علىٰ نفسك، فتنحّىٰ غير بعيد، وتبعت الشيخ، وذلك أني ظننت [أني] لا أقدر علىٰ التخلّص منه، فما زلت أتبعه، وقد عزمت علىٰ الموت، حتىٰ ورد بي علىٰ باب أبي الحسن عليه السلام ثمّ خلّاني ومضىٰ، فإذا خادم بالباب، فقال لي: ادخل رحمك الله، فدخلت فإذا أبو الحسن موسىٰ عليه السلام، فقال لي - ابتداءً منه -: لا إلىٰ المرجئة، ولا إلىٰ القدرية، ولا إلىٰ الزيدية، ولا إلىٰ المعتزلة، ولا إلىٰ الخوارج، إليّ إليّ.

فقلت: جعلت فداك، مضىٰ أبوك ؟ قال: نعم، قلت: مضىٰ موتاً ؟ قال: نعم، قلت: فمن لنا من بعده؟ فقال: إن شاء الله أن يهديك هداك، قلت: جعلت فداك، إنّ عبد الله يزعم أنه من بعد أبيه، قال: يريد عبدالله أن لا يُعبد الله . قال: قلت: جعلت فداك، فمن لنا من بعده ؟ قال: إن شاء الله أن يهديك هداك . قال: قلت: جعلت فداك، فأنت هو ؟ قال: لا، [ما] أقول ذلك.

قال: فقلت في نفسي: لم أُصب طريق المسألة، ثمّ قلت له: جعلت فداك، عليك إمام؟ قال: لا. فداخلني شيء لا يعلمه[1] إلّا الله عزّ وجلّ، إعظاماً له وهيبة، أكثر ممّا كان يحلّ بي من أبيه إذا دخلت عليه، ثمّ قلت له: جعلت فداك، أسألك عمّا كنت أسأل أباك ؟ فقال: سل تُخبَر، ولا تُذِعْ، فإن أذَعْتَ فهو الذبح، فسألته فإذا هو بحرٌ لا ينزف، قلت: جعلت فداك، شيعتك وشيعة أبيك ضُلّال فَأُلقي إليهم وأدعوهم إليك، وقد أخذت عليّ

---

(١) في المصدر: «لا يعلم».

الكتمان ؟ قال: من آنست منه رشداً فألق إليه وخذ عليه الكتمان، فإن أذاعوا فهو الذبح ـ وأشار بيده إلىٰ حلقه ـ .

قال: فخرجت من عنده، فلقيت أبا جعفر الأحول، فقال لي: ما وراءك ؟ قلت: الهدىٰ، فحدّثته بالقصة.

قال: ثمّ لقينا الفضيل وأبا بصير، فدخلا عليه وسمعا كلامه وسألاه، وقطعا عليه بالإمامة، ثمّ لقينا الناس أفواجاً، فكل من دخل عليه قطع، إلّا طائفة عمار وأصحابه، وبقي عبدالله لا يدخل إليه إلّا قليل من الناس، فلمّا رأىٰ ذلك قال: ما حال الناس ؟ فأُخبر أنّ هشاماً صدّ عنك الناس. قال هشام: فأقعد لي بالمدينة غير واحد ليضربوني ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٨ ﴾

قوله: ﴿ عن محمد بن فلان الواقفي، قال: كان لي ابن عمّ يقال له: الحسن بن عبدالله، كان زاهداً وكان من أعبد أهل زمانه، وكان يتقيه السلطان لجدّه في الدين واجتهاده، وربما استقبل السلطان بكلام صعب يعظه ويأمره بالمعروف، وينهاه عن المنكر، وكان السلطان يحتمله لصلاحه، فلم تزل هذه حالته حتىٰ كان يوم من الأيام، إذ دخل عليه أبو الحسن موسىٰ عليه السلام وهو في المسجد، فرآه فأومأ إليه فأتاه، فقال له: يا أبا علي، ما أحب إليّ ما أنت فيه وأسرّني، إلّا أنه ليست لك معرفة، فاطلب المعرفة، قال: جعلت فداك، وما المعرفة ؟ قال: اذهب فتفقّه واطلب الحديث، قال عمّن ؟ قال: عن فقهاء أهل المدينة، ثمّ اعرض [عليّ] الحديث.

قال: فذهب فكتب، ثمّ جاءه فقرأه عليه، فأسقطه كلّه، ثمّ قال له: اذهب فاعرف المعرفة. وكان الرجل معنيّاً بدينه، [قال:][1] فلم يزل يترصّد

---

(١) ليست في المصدر.

أبا الحسن عليه السلام حتىٰ خرج إلىٰ ضيعة له، فلقيه في الطريق، فـقال له: جعلت فداك، إني أحتجُّ عليك بين يدي الله فدلّني علىٰ المعرفة.

قال: فأخبره بأمير المؤمنين عليه السلام وما كان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخبره بأمر الرجلين، فقبل منه، ثمّ قال له: فمن كان بعد أمير المؤمنين عليه السلام ؟

قال: الحسن عليه السلام، ثمّ الحسين عليه السلام، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ نفسه ثمّ سكت.

قال: فقال له: جعلت فداك، فمن هو اليوم ؟ قال: إن أخبرتك تقبل ؟ قال: بلىٰ جعلت فداك، قال: أنا هو، قال: فشيء أستدلُّ به ؟ قال: اذهب إلىٰ تلك الشجرة ـ وأشار [بيده] إلىٰ أمّ غَيلان ـ فقل لها: يقول لك موسىٰ بن جعفر: أقبلي. قال: فأتيتها فرأيتها والله تخدّ الأرض خدّاً، حتىٰ وقفت بين يديه، ثمّ أشار إليها فرجعت. قال: فأقرّ به، ثمّ لزم الصمت والعبادة، فكان لا يراه أحد يتكلّم بعد ذلك.

وعن محمد بن الحسن، عن إبراهيم بن هاشم، مثله ﴾.

☐ الحديث رقم ﴿ ٩ ﴾

قوله: ﴿ عن محمد بن أبي العلاء، قال: سمعت يحيىٰ بن أكثم قاضي سامراء، بعدما جهدت به وناظرته وحاورته وواصلته، وسألته عن علوم آل محمد، فقال: بينا أنا ذات يوم دخلت أطوف بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فرأيت محمد بن علي الرضا عليه السلام يطوف به، فناظرته في مسائل عندي، فأخرجها إليّ، فقلت له: والله إنّي أُريـد أن أسألك مسألة، وإنّـي والله لأستحيي من ذلك، فقال لي: أنا أُخبرك قبل أن تسألني، تسألني عن الإمام، فقلت: هو والله هذا، فقال: أنا هو، فقلت: علامة ؟ فكان في يده عصا، فنطقت وقالت: إنّ مولاي إمام هذا الزمان، وهو الحجّة ﴾.

أقول: ما تضمنه الحديث الأخير من جواز الطواف بقبر المعصوم عليه السلام ـ لفعل الإمام ـ لامرية فيه، وعليه عمل الفرقة أيضاً، ومن العلماء وغيرهم، والشيخ رجب ـ كما نقل عنه ـ

لمّا وصل المشهد الغروي وأتىٰ القبر فطاف به وفيه، وأنشأ يقول، والشعر مشهور[١]. لكن ليس هذا الطواف الجائز بقبورهم مثل الطواف الذي في الحج؛ فلا يشترط فيه عدد، ولا البدأة من موضع، ولا غير ذلك، بل يكفي ولو شوطاً، لأجل التعظيم لهم والتقرب والالتجاء.

ومما يدل علىٰ جواز الطواف أن الحِجر يجب إدخاله في الطواف وإن لم يكن من الكعبة، كما هو التحقيق، مع أنه مشتمل علىٰ قبر أم إسماعيل وبعض الأنبياء.

وفي بعض الزوائر: (وجعلني ممن يطوف بقبوركم).

وفي بعضها: (ثمّ در حول الضريح وقل)[٢].

وبالجملة، فلا توقف في جوازه، بل استحبابه، وله عمل خاص يطلب من كتب المزار.

والإذاعة: الإفشاء.

ويقال [للعالم][٣] المتبحّر في العلم: بحر، وعدم النزف عبارة عن عدم انتهائه، وفيه |استعارة| مكنية [وتخييلية][٤].

ويقال: عُنيت بديني ـ بضم أوله ـ أُعنىٰ به عناية، فأنا به معنيّ، وعَنيتُ به ـ بفتح أوله ـ فأنا به عانٍ، والأول أكثر، أي اهتممت به واشتغلت[٥].

و (أم غَيلان) شجر الطلح[٦].

❑ الحديث رقم ﴿١٠﴾

قوله: ﴿عن الحسين بن عمر بن يزيد، قال: دخلت علىٰ الرضا ﷺ، وأنا يومئذ واقف، وقد كان أبي سأل أباه عن سبع مسائل، فأجابه في ست،

---

(١) انظر: «مشارق أنوار اليقين» ص ٢٣٠؛ «المنتخب» للطريحي، ص ٢٥٥.

(٢) «بحار الأنوار» ج٩٨، ص٣٣٧، ح١، وفيه: «ودُر حول الضريح وقبّله من أربع جوانبه».

(٣) في الأصل: «للقائم». (٤) في الأصل: «ومخيلة».

(٥) انظر: «النهاية» ج٣، ص٣١٤، مادة «عنا».

(٦) انظر: «الصحاح» ج٥، ص١٧٨٨، مادة «غيل»، وفيه: «وأُم غَيلان: شجر السَمُر». وانظر: «الصحاح» ج٢، ص٦٨٩، مادة «سمر»، وفيه: «والسَمُرة ـ بضم الميم ـ من شجر الطلح».

وأمسك عن السابعة. فقلت: والله لأسألنّه عمّا سأل أبي أباه، فإن أجاب بمثل جواب أبيه كانت دلالة. فسألته فأجاب بمثل جواب أبيه أبي في المسائل الست، فلم يزد في الجواب واواً ولا ياءً، وأمسك عن السابعة. وقد كان أبي قال لأبيه: إني أحتجُّ عليك عند الله يوم القيامة أنك زعمت أنّ عبدالله لم يكن إماماً، فوضع يده علىٰ عنقه، ثمّ قال له: نعم، احتجّ عليَّ بذلك عند الله عزّ وجلّ، فما كان فيه من إثمٍ فهو في رقبتي، فلمّا ودّعته قال: إنه ليس أحد من شيعتنا يبتلي ببليّة أو يشتكي فيصبر علىٰ ذلك إلّا كتب الله له أجر ألف شهيد. فقلت في نفسي: والله ما كان لهذا ذكر. فلمّا مضيت وكنت في بعض الطريق: خرج بي عرق المديني، فلقيت منه شدة، فلمّا كان من قابل حججت، فدخلت عليه وقد بقي من وجعي بقيّة، فشكوت إليه وقلت له: جعلت فداك، عوّذ رجلي ـ وبسطتها بين يديه ـ فقال لي: ليس علىٰ رجلك هذه بأس، ولكن أرني رجلك الصحيحة، فبسطتها بين يديه فعوّذها، فلمّا خرجت لم ألبث إلّا يسيراً حتىٰ خرج بي العرق، وكان وجعه يسيراً ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١١ ﴾

قوله: ﴿ عن ابن قياما الواسطي، وكان من الواقفة، قال: دخلت علىٰ عليّ بن موسىٰ الرضا عليه السلام، فقلت له: يكون إمامان ؟ قال: لا، إلّا وأحدهما صامت، فقلت له: هو ذا أنت ليس لك صامت ـ ولم يكن ولد له أبو جعفر عليه السلام بعد ـ فقال لي: والله ليجعلنّ الله مني ما يثبت به الحقّ وأهله، ويمحق به الباطل وأهله. فولد له بعد سنة أبو جعفر عليه السلام، فقيل لابن قياما: ألا تقنعك هذه الآية ؟ فقال: أما والله إنها لآية عظيمة، ولكن كيف أصنع بما قال أبو عبدالله عليه السلام في ابنه ؟ ﴾.

الحديث رقم ﴿ ١٢ ﴾

قوله: ﴿عن الوشّاء، قال: أتيت خراسان ـ وأنا واقفٌ ـ فحملت معي متاعاً، وكان معي ثوب وشيّ في بعض الرزم، ولم أشعر به ولم أعرف مكانه، فلمّا قدمت مرو ونزلت في بعض منازلها، لم أشعر إلّا ورجل مدنيٌ من بعض مولّديها، فقال لي: إنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول لك: ابعث إليّ الثوب الوشيّ الذي عندك. قال: فقلت: ومن أخبر أبا الحسن بقدومي وأنا قدمت [آنفاً] وما عندي ثوبٌ وشيٌّ ؟! فرجع إليه، وعاد إليّ فقال: يقول لك: بلىٰ هو في موضع كذا وكذا، ورزمته كذا وكذا، فطلبته حيث قال، فوجدته في أسفل الرزمة، فبعثت به إليه﴾.

الحديث رقم ﴿ ١٣ ﴾

قوله: ﴿عن عبدالله بن المغيرة، قال: كنت واقفاً، وحججت علىٰ تلك الحال، فلمّا صرت بمكّة خلج في صدري شيء، فتعلّقت بالملتزم، ثمّ قلت: اللّهم قد علمت طلبتي وإرادتي، فأرشدني إلىٰ خير الأديان، فوقع في نفسي [أن] آتي الرضا عليه السلام، فأتيت المدينة، فوقفت ببابه وقلت للغلام: قل لمولاك: رجلٌ من أهل العراق بالباب. قال: فسمعت نداءه وهو يقول: أُدخل يا عبدالله بن المغيرة، أُدخل يا عبدالله بن المغيرة، فدخلت، فلمّا نظر إلي قال لي: قد أجاب الله دعاءك وهداك لدينه، فقلت: أشهد أنك حجّة الله وأمينه علىٰ خلقه﴾.

الحديث رقم ﴿ ١٤ ﴾

قوله: ﴿عن أحمد بن محمد بن عبدالله، قال: كان عبدالله بن هُليل يقول بعبدالله، فصار إلىٰ العسكر فرجع عن ذلك، فسألته عن سبب رجوعه، فقال: إنّي عرضت لأبي الحسن عليه السلام أن أسأله عن ذلك، فوافقني في طريق ضيّق فمال نحوي، حتىٰ إذا حاذاني أقبل نحوي بشيء من فيه،

فوقع علىٰ صدري، فأخذته فإذا هو رَقٌّ فيه مكتوب: ما كان هنالك ولا كذلك ﴾.

الحديث رقم ﴿ ١٥ ﴾

قوله: ﴿أخبرنا موسىٰ بن محمد بن إسماعيل بن [عبيد الله][1] بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: حدّثني جعفر بن زيد بن موسىٰ، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قالوا: جاءت أمّ أسلم يوماً إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في منزل أم سلمة، فسألتها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: [قد][2] خرج في بعض الحوائج، والساعة يجيء، فانتظرتْه عند أم سلمه حتىٰ جاء صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت أم أسلم: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، إني قد قرأت الكتب وعلمت كل نبي ووصي، فموسىٰ كان له وصي في حياته ووصي بعد موته، وكذلك عيسىٰ، فمن وصيك يا رسول الله؟ فقال لها: يا أم أسلم، وصيي في حياتي وبعد مماتي واحد، ثمّ قال لها: يا أم أسلم، من فعل فعلي هذا فهو وصيي، ثمّ ضرب بيده إلىٰ حصاة من الأرض، ففركها بإصبعه فجعلها شبه الدقيق، ثمّ عجنها، ثمّ طبعها بخاتمه، ثمّ قال: من فعل فعلي هذا فهو وصيي في حياتي وبعد مماتي.

فخرجت من عنده، فأتيت أمير المؤمنين عليه السلام، فقلت: بأبي أنت وأمي، أنت وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: نعم يا أم أسلم، ثمّ ضرب بيده إلىٰ حصاة، ففركها فجعلها كهيئة الدقيق، ثمّ عجنها وختمها بخاتمه، ثمّ قال: يا أم أسلم، من فعل فعلي [هذا] فهو وصيي.

فأتيت الحسن عليه السلام وهو غلام، فقلت له: يا سيدي، أنت وصي أبيك؟ فقال: نعم يا أم أسلم، وضرب بيده وأخذ حصاة، ففعل بها كفعلهما.

---

(١) في الأصل: «عبد الله».

(٢) ليست في المصدر.

فخرجت من عنده، فأتيت الحسين عليه السلام، وإني لمستصغرة لسنّه عليه السلام، فقلت له: بأبي [أنت] وأمي، أنت وصي أخيك؟ فقال: نعم يا أُم أسلم، ائتيني بحصاة، ثمّ فعل كفعلهم.

فعمّرت أم أسلم حتىٰ لحقت بعلي بن الحسين ـ بعد قتل الحسين عليه السلام ـ في منصرفه، فسألته: أنت وصي أبيك؟ فقال: نعم، ثمّ فعل كفعلهم صلوات الله عليهم أجمعين ﴾.

الحديث رقم ﴿١٦﴾

قوله: ﴿ عن موسىٰ بن بكر بن [داب][1]، عمّن حدّثه، عن أبي جعفر عليه السلام، أنّ زيد بن علي بن الحسين عليه السلام دخل علىٰ أبي جعفر محمد بن علي، ومعه كتب من أهل الكوفة، يدعونه فيها إلىٰ أنفسهم، ويخبرونه باجتماعهم، ويأمرونه بالخروج، فقال له أبو جعفر عليه السلام: هذه الكتب ابتداء منهم أو جواب ما كتبت به إليهم ودعوتهم إليه؟ فقال: بل ابتداء من القوم؛ لمعرفتهم بحقّنا وبقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولما يجدون في كتاب الله عزّ وجلّ من وجوب مودّتنا وفرض طاعتنا، ولما نحن فيه من الضيق والضنك والبلاء.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: إنّ الطاعة مفروضة من الله عزّ وجلّ، وسنّة أمضاها في الأولين، وكذلك يجريها في الآخرين، والطاعة لواحد منّا، والمودّة للجميع، وأمر الله يجري لأوليائه بحكم موصول، وقضاء مفصول، وحتم مقضيّ، وقدر مقدور، وأجل مسمّىً لوقت معلوم، فلا يستخفنّك الذين لا يوقنون، إنّهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، فلا تعجل، فإنّ الله لا يعجل لعجلة العباد، ولا تسبقنّ الله فتعجزك البلية فتصرعك.

---

(١) في الأصل: «رياب».

قال: فغضب زيد عند ذلك، ثمّ قال: ليس الإمام منّا من جلس في بيته وأرخىٰ ستره وثبّط عن الجهاد، ولكن الإمام منّا من منع حوزته، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، ودفع عن رعيّته، وذبّ عن حريمه.

قال أبو جعفر عليه السلام: هل تعرف يا أخي من نفسك شيئاً ممّا نسبتها إليه، فتجيء عليه بشاهد من كتاب الله أو حجّة من رسول الله صلى الله عليه وآله، أو تضرب به مثلاً؟ فإنّ الله عزّ وجلّ أحلّ حلالاً، وحرّم حراماً، وفرض فرائض، وضرب أمثالاً، وسنّ سنناً، ولم يجعل الإمام القائم بأمره [في][1] شبهة فيما فرض له من الطاعة أن يسبقه بأمر قبل محلّه، أو يجاهد فيه قبل [حلوله][2]، وقال الله عزّ وجلّ في الصيد: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾[3]، أفقتل الصيد أعظم أم قتل النفس التي حرّم الله عزّ وجلّ؟ وجعل لكل شيء محلاً، وقال [الله] عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[4]، وقال عزّ وجلّ: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾[5]، فجعل الشهور عدّة معلومة، فجعل منها أربعة حُرُماً، وقال: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ﴾[6]، ثمّ قال تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[7] فجعل لذلك محلاً، وقال: ﴿ولا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾[8]، فجعل لكل شيء أجلاً، ولكلّ أجل كتاباً. فإن كنت علىٰ بيّنة من ربّك، ويقين من أمرك، وتبيان من شأنك، فشأنك، وإلّا فلا ترومَنّ أمراً أنت منه في شكّ وشبهة، ولا تتعاط زوال

---

(١) ليست في المصدر.
(٢) في الأصل: «حلول وقته».
(٣) «المائدة» الآية: ٩٥.
(٤) «المائدة» الآية: ٢.
(٥) «المائدة» الآية: ٢.
(٦) «التوبة» الآية: ٢.
(٧) «التوبة» الآية: ٥.
(٨) «البقرة» الآية: ٢٣٥.

ملك لم ينقضِ[1] أُكُلُه، ولم ينقطع مداه، ولم يبلغ الكتاب أجله، فلو قد بلغ مداه، وانقطع أُكله، وبلغ الكتاب أجله، لانقطع الفصل، وتتابع النظام، ولأعقب الله في التابع والمتبوع الذُّل والصَّغار. أعوذ بالله من إمام ضلّ عن وقته، فكان التابع فيه أعلم من المتبوع، أتريد يا أخي أن تحيي ملّة قوم قد كفروا بآيات الله، وعصوا رسوله، واتبعوا أهواءهم بغير هدىً من الله، وادّعوا الخلافة بلا برهان من الله ولا عهد من رسوله ؟! أُعيذك بالله يا أخي أن تكون غداً المصلوب بالكناسة.

ثمّ ارفضّت عيناه وسالت دموعه، ثمّ قال: الله بيننا وبين من هتك سترنا، وجحدنا حقّنا، وأفشىٰ سرّنا، ونسبنا إلىٰ غير جدنا، وقال فينا ما لم نقله في أنفسنا ﴾.

أقول: (عرق المديني) قيل: «هو شيء يخرج في الرجل، ينمو مثل الشعر، إذا قطع يشد رأسه، لئلا يدخل وإن قطع من داخل بعد الخلاص منه»[2].

وغير خفي أن تفريع قوله: «هو ذا أنت ليس لك صامت» علىٰ قول الإمام: (لا) يكون إمامان في وقت (إلّا وأحدهما صامت) لا وجه له؛ إذ الإمام لم يقل: لا يكون الإمام إلّا ومعه آخر صامت مطلقاً، بل إذا كان إمامان موجودَين - والواقفة هم الواقفون علىٰ موسىٰ الكاظم عليه السلام - ولكنه استشعر من الإمام استمرار الإمامة، وأنه ليس الخاتم، فقال: لا صامت لك، أي لا عقب، فأخبره الإمام بإثباته وهو من الغائبات، فكان كما أخبر.

فانظر العناد كيف يعمل بصاحبه، لمّا [ظهر له][3] من الإمام علامة الإمامة رجع وقال: «كيف أصنع بما قال أبو عبدالله» أي الصادق عليه السلام في إخبار الكاظم، فرجع للظن والتخمين. [وما يروونه][4] فيه كذب، والذي صحّ عنه هو أنه الخليفة بعده، وبعده الرضا عليه السلام.

والوشّاء - وهو الحسن بن علي - كان واقفاً فرجع؛ لهذا الحديث، ولما رواه الصدوق في العيون في قصة الكتاب، إلىٰ أن قال: «فعند ذلك قطعت عليه وتركت الوقف»[5]. ولما رواه

---

(١) في المصدر: «تنقض».

(٢) انظر: «شرح المازندراني» ج٦، ص٢٨٢.

(٣) في الأصل: «ظهره».

(٤) في الأصل: «ويامرونه».

(٥) «عيون أخبار الرضا» ج٢، ص٢٢٩، ح١.

الشيخ في التهذيب[١] في آخر باب الخمس.

ومن الأصحاب من أنكر أصل وقفه، وقدح في الروايات الدالة عليه بضعف السند[٢].

و (الوَشْي) خلط لون بلون، ومنه: وشىٰ الثوب، يَشِيَه وَشْياً، إذا رَقَمَه ونَقَشَه. والوشىٰ: نوع من الثياب الموشية[٣].

و (الرُّزَم): جمع الرِّزْمة -بالكسر- وهي الثياب المجموعة وغيرها، والفتح لغةٌ. كذا في المغرّب[٤].

وفي الصحاح: «رَزَمتُ الشيء: جمعتُه، والرِزْمة: الكارة من الثياب، وقد رزمتها ترزيماً إذا شددتها»[٥].

و «الكارة: ما يحمل علىٰ الظهر من الثياب»[٦].

و (الرَّق) -بالفتح-: جلد رقيق يكتب فيه[٧].

و (الضيق والضنك والبلاء) متقاربة معنىً.

و (الكُناسة) -بضم الكاف-: موضع قريب من الكوفة[٨]، وبها صُلب زيد بن علي[٩]، كما أخبر الإمام عليه السلام.

و (ارفضّت عيناه)، ارفضاض الدمع: تَرَشُّشُه، وكل متفرق ذاهب مُرْفَض[١٠].

وغير خفي وضوح دلالة ما ذكر في الأحاديث علىٰ إمامة الصادرة منه.

وورد في الروضة[١١]، وفي عيون أخبار الرضا[١٢] للصدوق، وكتاب عرض المجالس[١٣]، ما يدل علىٰ حسن حال زيد بن علي، وأنه لم يدّع الإمامة لنفسه، ولو ظفر

---

(١) «تهذيب الأحكام» ج ٤، ص ١٥٠، ح ٤١٧. (٢) انظر: «شرح المازندراني» ج ٦، ص ٢٨٤.

(٣) انظر: «المغرّب» ص ٤٨٥؛ «لسان العرب» ج ١٥، ص ٣١٢، مادة «وشي».

(٤) «المغرّب» ص ١٨٨.

(٥) «الصحاح» ج ٥، ص ١٩٣١، مادة «رزم» صحححناه علىٰ المصدر.

(٦) «الصحاح» ج ٢، ص ٨١٠، مادة «كور». (٧) انظر: «لسان العرب» ج ٥، ص ٢٨٨، مادة «رقق».

(٨) انظر: «معجم البلدان» ج ٤، ص ٤٨١.

(٩) «أمالي الشيخ الصدوق» ص ٣٢١، ح ٣؛ «مروج الذهب» ج ٣، ص ٢٣١.

(١٠) «الصحاح» ج ٣، ص ١٠٧٩، مادة «رفض» صححناه علىٰ المصدر.

(١١) «الكافي» ج ٨، ص ٢٢٠، ح ٣٨١. (١٢) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ٢٤٨، ح ١.

(١٣) «أمالي الشيخ الصدوق» ص ٢٧٥، ح ١٠، ١١، ١٢؛ ص ٢٨٦، ح ١.

لوفىٰ. وقد كان الإمام ـ بعد أن خرج ـ يحثّ علىٰ الخروج معه.

وفي الكافي، بسنده عن الوشاء، عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إنّ الله تعالىٰ أذن في هلاك بني أمية بعد إحراقهم زيداً بسبعة أيام)[1].

والاختصار أوجب عدم التعرض لنقلها، فليراجعها من أرادها.

الحديث رقم ﴿١٧﴾

قوله: ﴿عن عبدالله بن إبراهيم بن محمد الجعفري، قال: أتينا خديجة بنت عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، نعزّيها بابن [بنتها]، فوجدنا عندها موسىٰ بن عبدالله بن الحسن، فإذا هي في ناحية قريباً من النساء، فعزّيناهم، ثمّ أقبلنا عليه، فإذا هو يقول لابنة أبي يشكر الرّاثية: قولي، فقالت:

اعدُد رسول الله واعدد بعده	أسد الإله وثالثاً عبّاسا
واعدد عليّ الخير واعدد جعفراً	واعدد عقيلاً بعده الرُّؤاسا

فقال: أحسنتِ وأطربتني، زيديني، فاندفعت تقول:

ومنّا إمام المتقين محمّد	وفارسه ذاك الإمام المطهّر
ومنّا عليٌّ صهره وابن عمّه	وحمزة منّا والمهذّب جعفر

فأقمنا عندها حتىٰ كاد الليل أن يجيء، ثمّ قالت خديجة: سمعت عمّي محمد بن علي صلوات الله عليه وهو يقول: إنما تحتاج المرأة في المأتم إلىٰ النوح لتسيل دمعتها، ولا ينبغي لها أن تقول هُجْراً، فإذا جاء الليل فلا تؤذي الملائكة بالنوح.

ثمّ خرجنا، فغدونا إليها غدوة، فتذاكرنا عندها اختزال منزلها من دار أبي عبدالله عليه السلام جعفر بن محمد، فقال: هذه دار تسمّىٰ دار السرقة، فقالت:

---

(١) «الكافي» ج٨، ص١٤٢، ح١٦٥، صححناه علىٰ المصدر.

هذا ما اصطفىٰ مهدينا، [تعني] محمد بن عبدالله بن الحسن، تمازحه بذلك، فقال موسىٰ بن عبدالله: والله لأخبرنكم بالعجب، رأيت أبي ﷺ لمّا أخذ في أمر محمد بن عبدالله وأجمع علىٰ لقاء أصحابه، فقال: لا أجد هذا الأمر يستقيم إلّا أن ألقىٰ أبا عبدالله جعفر بن محمد، فانطلق وهو متّكٍ عليّ، فانطلقت معه حتىٰ أتينا أبا عبدالله عليه السلام، فلقيناه خارجاً يريد المسجد، فاستوقفه أبي وكلّمه، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : ليس هذا موضع ذلك، نلتقي إن شاء الله، فرجع أبي مسروراً، ثمّ أقام، حتىٰ إذا كان الغد أو بعده بيوم انطلقنا حتىٰ أتيناه، فدخل عليه أبي وأنا معه، فابتدأ الكلام، ثمّ قال له فيما يقول: قد علمت ـ جعلت فداك ـ أنّ السنّ لي عليك، وأنّ في قومك من من هو أسنّ منك، ولكن الله عزّ وجلّ قد قدّم لك فضلاً ليس هو لأحد من قومك، وقد جئتك معتمداً لما أعلم من برّك، وأعلم ـ فديتك ـ إنّك إذا أجبتني لم يتخلّف عنّي أحد من أصحابك، ولم يختلف علي اثنان من قريش ولا غيرهم.

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: إنّك تجد غيري أطوع لك منّي، ولا حاجة لك فيّ، فوالله إنّك لتعلم أنّي أُريد البادية أو أهمّ بها فأثقل عنها، وأُريد الحج فما أُدركه إلّا بعد كدّ وتعب ومشقة علىٰ نفسي، فاطلب غيري وسله ذلك، ولا تُعلمهم أنك جئتني. فقال له: إنّ الناس مادّون أعناقهم إليك، وإن أجبتني لم يتخلّف عني أحد، ولك أن لا تكلّف قتالاً ولا مكروهاً.

قال: وهجم علينا ناس فدخلوا وقطعوا كلامنا، فقال أبي: جعلت فداك، ما تقول ؟ فقال: نلتقي إن شاء الله، فقال: أليس علىٰ ما أُحب ؟ فقال: علىٰ ما تحبّ إن شاء الله من إصلاحك.

ثمّ انصرف حتىٰ جاء البيت، فبعث رسولاً إلىٰ محمد في جبل بجهينة، يقال له: الأشقر، علىٰ ليلتين من المدينة، فبشّره وأعلمه أنه قد ظفر له

بوجه حاجته وما طلب، ثمّ عاد بعد ثلاثة أيام، فوقفنا بالباب ـ ولم نكن نُحجب إذا جئنا ـ فأبطأ الرسول، ثمّ أذن لنا فدخلنا عليه فجلست في ناحية الحجرة، ودنا أبي إليه فقبّل رأسه، ثمّ قال: جعلت فداك، قد عدت إليك راجياً مؤملاً، قد انبسط رجائي وأملي ورجوت الدرك لحاجتي، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: يابن عم، إني أُعيذك بالله من التعرض لهذا الأمر الذي أمسيت فيه، وإنّي لخائف عليك أن يكسبك شراً.

فجرىٰ الكلام بينهما حتىٰ أفضىٰ إلىٰ ما لم يكن يريد، وكان من قوله: بأي شيء كان الحسين عليه السلام أحق بها من الحسن؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام: رحم الله الحسن، ورحم [الله][1] الحسين عليه السلام، وكيف ذكرت هذا؟

قال: لأن الحسين عليه السلام كان ينبغي له إذا عدل أن يجعلها في الأسن من ولد الحسن.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالىٰ لمّا أن أوحىٰ إلىٰ محمد صلى الله عليه وآله أوحىٰ إليه بما شاء، ولم يؤامر أحداً من خلقه، وأمر محمد صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بما شاء ففعل ما أُمر به، ولسنا نقول فيه إلّا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله من تبجيله وتصديقه، فلو كان أمر الحسين عليه السلام أن يصيّرها في الأسن أو ينقلها في ولدهما ـ يعني الوصية ـ لفعل ذلك الحسين عليه السلام، وما هو بالمتّهم عندنا في الذخيرة لنفسه، ولقد ولي وترك ذلك، ولكنّه مضىٰ لما أُمر به، وهو جدّك وعمك، فإن قلت خيراً فما أولاك به، وإن قلت هجراً فيغفر الله لك. أطعني يابن عمّ واسمع كلامي، فوالله الذي لا إله إلّا هو لا آلوك نصحاً وحرصاً، فكيف ولا أراك تفعل، وما لأمر الله من مردّ.

فسُرّ أبي عند ذلك، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: والله إنك لتعلم أنه الأحول

(١) ليست في المصدر.

الأكشف الأخضر، المقتول بسدّة أشجع، عند بطن مسيلها.

فقال أبي: ليس هو ذلك، والله ليحاربن باليوم يوماً، وبالساعة ساعة، وبالسنة سنة، وليقومنّ بثار بني أبي طالب جميعاً.

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: يغفر الله لك، ما أخوفني أن يكون هذا البيت يلحق صاحبنا:

منّتك نفسك في الخلاء ضلالاً

لا والله لا يملك أكثر من حيطان المدينة، ولا يبلغ عمله الطائف إذا أحفل ـ يعني إذا أجهد نفسه ـ وما للأمر من بدّ أن يقع، فاتّق الله وارحم نفسك وبني أبيك، فوالله إني لأراه أشأم سَلْحةٍ أخرجتها أصلاب الرجال إلىٰ أرحام النساء، والله إنه المقتول بسدّة أشجع بين دورها، والله لكأنّي به صريعاً، مسلوباً بِزَّته، بين رجليه لبنة، ولا ينفع هذا الغلام ما يسمع ـ قال موسىٰ بن عبدالله: يعنيني ـ وليخرجن معه فيهزم ويقتل صاحبه، ثمّ يمضي فيخرج معه راية أُخرىٰ، فيقتل كبشها، ويتفرّق جيشها، فإن أطاعني فليطلب الأمان عند ذلك من بني العباس، حتىٰ يأتيه الله بالفرج. ولقد علمت بأنّ هذا الأمر لا يتم، وإنّك لتعلم ونعلم أنّ ابنك الأحول الأخضر الأكشف، المقتول بسدّة أشجع بين دورها، عند بطن مسيلها.

فقام أبي وهو يقول: بل يغني الله عنك ولتعودن، أو ليفي[1] الله بك وبغيرك، وما أردت بهذا إلّا امتناع غيرك، وأن تكون ذريعتهم إلىٰ ذلك.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: الله يعلم ما أُريد إلّا نصحك ورشدك، وما عليّ إلّا الجهد.

فقام أبي يجرّ ثوبه مغضباً، فلحقه أبو عبدالله عليه السلام فقال له: أُخبرك أنّي

---

(١) في المصدر: «ليقي».

سمعت عمّك ـ وهو خالك ـ يذكر أنك وبني أبيك ستقتلون، فإن أطعتني ورأيت أن تدفع بالّتي هي أحسن فافعل، فوالله الذي لا إله إلّا هو، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، الكبير المتعال علىٰ خلقه، لوددت أني فديتك بولدي وبأحبهّم إليّ، وبأحب أهل بيتي إليّ، وما يعدلك عندي شيء، فلا ترىٰ أني غششتك.

فخرج أبي من عنده مغضباً أسفاً.

قال: فما أقمنا بعد ذلك إلّا قليلاً ـ عشرين ليلة أو نحوها ـ حتىٰ قدمت رسل أبي جعفر فأخذوا أبي وعمومتي: سليمان بن حسن، وحسن بن حسن، وإبراهيم بن حسن، وداود بن حسن، وعلي بن حسن، وسليمان بن داود بن حسن، وعلي بن إبراهيم بن حسن، وحسن بن جعفر بن حسن، وطباطبا إبراهيم بن إسماعيل بن حسن، وعبدالله بن داود.

قال: فصُفِدوا في الحديد، ثمّ حُملوا في محامل أعراء لا وطاء فيها، ووقفوا بالمصلّىٰ لكي يشمتهم الناس، قال: فكفّ الناس عنهم ورقّوا لهم؛ للحال التي هم فيها، ثمّ انطلقوا بهم حتىٰ وقفوا عند باب مسجد رسول‌الله ﷺ.

قال عبدالله بن إبراهيم الجعفري: فحدّثتنا خديجة بنت عمر بن علي أنهم لمّا أُوقفوا عند باب المسجد ـ [الباب الذي] يقال له: باب جبرئيل ـ اطلع عليهم أبو عبدالله عليه‌السلام وعامة ردائه مطروح بالأرض، ثمّ اطلع من باب المسجد فقال: لعنكم الله يا معاشر الأنصار ـ ثلاثاً ـ ما علىٰ هذا عاهدتم رسول الله ﷺ ولا بايعتموه، أما والله إن كنت حريصاً، ولكني غُلبت، وليس للقضاء مدفع، ثمّ قام وأخذ إحدىٰ نعليه فأدخلها رجله، والأخرىٰ في يده، وعامة ردائه يجرّه في الأرض، ثمّ دخل بيته فحُمّ عشرين ليلة، لم يزل يبكي فيه الليل والنهار، حتىٰ خفنا عليه. فهذا حديث خديجة.

قال الجعفري: وحدّثنا موسىٰ بن عبدالله بن الحسن أنه لمّا طلع بالقوم في المحامل قام أبو عبدالله عليه السلام من المسجد، ثمّ أهوىٰ إلىٰ المحمل الذي فيه عبدالله بن الحسن يريد كلامه، فمُنع أشد المنع، وأهوىٰ إليه الحرسيّ فدفعه وقال: تنحَّ عن هذا، فإن الله سيكفيك ويكفي غيرك، ثمّ دخل بهم الزقاق، ورجع أبو عبدالله [عليه السلام إلىٰ] منزله، فلم يبلغ بهم البقيع حتىٰ ابتلي الحَرَسيّ ببلاء شديداً، رَمَحَته ناقتُه فدقّت وَرِكه، فمات فيها، ومُضي بالقوم. فأقمنا بعد ذلك حيناً، ثمّ أتىٰ محمد بن عبدالله بن حسن فأخبر أن أباه وعمومته قُتلوا ـ قتلهم أبو جعفر ـ إلّا حسن بن جعفر، وطباطبا، وعلي بن إبراهيم، وسليمان بن داود، وداود بن حسن، وعبدالله بن داود.

قال: فظهر محمد بن عبدالله عند ذلك، ودعا الناس لبيعته، قال: فكنت ثالث ثلاثة بايعوه، واستونق الناس لبيعته، ولم يختلف عليه قرشي ولا أنصاري ولا عربي.

قال: وشاور عيسىٰ بن زيد وكان من ثقاته، وكان علىٰ شرطه، فشاوره في البعثة إلىٰ وجوه قومه، فقال له عيسىٰ بن زيد: [إن] دعوتهم دعاء يسيراً لم يجيبوك، أو تغلظ عليهم، فخلّني وإياهم، فقال له محمد: امض إلي من أردت منهم، فقال: ابعث إلىٰ رئيسهم وكبيرهم ـ يعني أبا عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام ـ فإنك إذا أغلظت عليه علموا جميعاً أنك ستمرّهم علىٰ الطريق التي أمررت عليها أبا عبدالله عليه السلام.

قال: فوالله، ما لبثنا أن أُتي بأبي عبدالله، حتىٰ أُوقف بين يديه، فقال له عيسىٰ بن زيد: أسلم تسلم، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أحدثت نبوّة بعد محمد صلى الله عليه وآله؟ فقال له محمد: لا، ولكن بايع تأمن علىٰ نفسك ومالك وولدك، ولا تكلّفن حرباً.

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما فيّ حرب ولا قتال، ولقد تقدمت إلىٰ أبيك

وحذّرته الذي حاق به، ولكن لا ينفع حذر من قدر. يابن أخي، عليك بالشباب، ودع عنك الشيوخ.

فقال له محمد: ما أقرب ما بيني وبينك في السن، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: إني لم أعازك، ولم أجئ لأتقدم عليك في الذي أنت فيه، فقال له محمد: لا والله لابد من أن تبايع، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: ما فيّ يابن أخي طلب ولا حرب، وإني لأريد الخروج إلىٰ البادية فيصدّني ذلك ويثقل عليّ، حتىٰ تكلّمني في ذلك الأهل غير مرّة، ولا يمنعني منه إلّا الضعف، والله والرحم أن تدبر عنّا ونشقىٰ بك. فقال له: يا أبا عبدالله، قد والله مات أبو الدوانيق ـ يعني أبا جعفر ـ فقال له أبو عبدالله عليه السلام: وما تصنع بي وقد مات؟ قال: أريد الجمال بك، قال: ما إلىٰ ما تريد سبيل، لا والله، ما مات أبو الدوانيق، إلّا أن يكون مات موت النوم.

قال: والله لتبايعني طائعاً أو مكرهاً، ولا تحمد في بيعتك، فأبىٰ عليه إباءً شديداً، وأمر به إلىٰ الحبس. فقال له عيسىٰ بن زيد: أمّا إن طرحناه في السجن، وقد خرب السجن، وليس عليه اليوم غلق، خفنا أن يهرب منه. فضحك أبو عبدالله عليه السلام ثمّ قال: لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، أوتراك تسجنني؟ قال: نعم، والذي أكرم محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة لأسجننك ولأشددن عليك. فقال عيسىٰ بن زيد: احبسوه في المخبأ، وذلك دار ريطة اليوم.

فقال [له] أبو عبدالله عليه السلام: أما والله، إنّي سأقول ثمّ أصدق، فقال له عيسىٰ بن زيد: لو تكلّمت لكسرت فمك، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أما والله ـ يا أكشف يا أزرق ـ لكأنّي بك تطلب لنفسك جحراً تدخل فيه، وما أنت في المذكورين عند اللقاء، وإني لأظنك إذا صُفق خلفك طرت مثل الهَيْق النافر. فنفر عليه محمد بانتهار: احبسه وشدد عليه واغلظ عليه.

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أما والله لكأنّي بك خارجاً من سدّة أشجع إلىٰ بطن الوادي، وقد حمل عليك فارس معلم في يده طرّادة، نصفها أبيض، ونصفها أسود، علىٰ فرس كُمَيت أقرح، فطعنك فلم يصنع فيك شيئاً، وضربت خيشوم فرسه فطرحته، وحمل عليك آخر خارج من زقاق آل أبي عمار الدئليين، عليه غديرتان مضفورتان، وقد خرجتا من تحت بيضة، كثير شعر الشاربين، فهو والله صاحبك، فلا رحم الله رمّته.

فقال له محمد: يا أبا عبدالله، حسبت فأخطأت، وقام إليه السراقي بن سلخ الحوت، فدفع في ظهره حتىٰ أُدخل السجن، واصطفي ما كان له من مال وما كان لقومه ممّن لم يخرج مع محمد.

قال: فطُلع بإسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وهو شيخ كبير ضعيف، قد ذهبت إحدىٰ عينيه، وذهبت رجلاه، وهو يحمل حملاً، فدعاه إلىٰ البيعة، فقال له: يا [بن] أخي، إني شيخ كبير ضعيف، وأنا إلىٰ برّك وعونك أحوج، فقال له: لابد [من] أن تبايع، فقال له: وأي شيء تنتفع ببيعتي؟ والله إنّي لأُضيّق عليك مكان اسم رجلٍ إن كتبته، قال: لابد لك أن تفعل. وأغلظ له في القول، فقال له إسماعيل، ادع لي جعفر بن محمد، فلعلنا نبايع جميعاً.

قال: فدعا جعفراً عليه السلام، فقال له إسماعيل: جعلت فداك، إن رأيت أن تبيّن له فافعل، لعل الله يكفّه عنّا، قال: قد أجمعت ألّا أُكلمه، أفليرَ فيّ برأيه، فقال إسماعيل لأبي عبد الله عليه السلام: أنشدك الله، هل تذكر يوماً أتيت أباك محمد بن علي عليهما السلام وعليّ حلّتان صفراوان، فدام النظر إليّ فبكىٰ، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال لي: يبكيني أنّك تقتل عند كبر سنّك ضياعاً، لا ينتطح في دمك عنزان، قال: قلت: فمتىٰ ذاك؟ قال: إذا دُعيت إلىٰ الباطل فأبيته، وإذا نظرت إلىٰ الأحول ـ مشؤوم قومه، ينتمي من آل

الحسن ـ علىٰ منبر رسول الله ﷺ، يدعو إلىٰ نفسه، قد تَسمّىٰ بغير اسمه، فأحدث عهدك، واكتب وصيتك، فإنّك مقتول في يومك، أو من غد.

فقال [له] أبو عبدالله عليه السلام: نعم، وهذا ـ وربّ الكعبة ـ لا يصوم من شهر رمضان إلّا أقلّه، فأستودعك الله يا أبا الحسن، وأعظم الله أجرنا فيك، وأحسن الخلافة علىٰ من خلّفت، وإنّا لله وإنا إليه راجعون.

قال: ثمّ احتمل إسماعيل، وردّ جعفر عليه السلام إلىٰ الحبس. قال: فوالله ما أمسينا حتىٰ دخل عليه بنو أخيه، بنو معاوية بن عبدالله بن جعفر، فتوطّؤوه حتىٰ قتلوه، وبعث محمد بن عبدالله إلىٰ جعفر فخلّىٰ سبيله.

قال: وأقمنا بعد ذلك حتىٰ استهللنا شهر رمضان، فبلغنا خروج عيسىٰ بن موسىٰ يريد المدينة. قال: فتقدّم محمد بن عبدالله، علىٰ مقدّمته يزيد بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، وكان علىٰ مقدّمة عيسىٰ بن موسىٰ ولد الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن، وقاسم، ومحمد بن زيد، وعلي وإبراهيم، بنو الحسن بن زيد، فهزم يزيد بن معاوية، وقدم عيسىٰ بن موسىٰ المدينة، وصار القتال بالمدينة، فنزل بذباب، ودخلت علينا المسوّدة من خلفنا، وخرج محمد في أصحابه حتىٰ بلغ السوق، فأوصلهم ومضىٰ، ثمّ تبعهم حتىٰ انتهىٰ إلىٰ مسجد الخوّامين، فنظر إلىٰ ما هناك فضاء ليس فيه مسوّد ولا مبيّض، فاستقدم حتىٰ انتهىٰ إلىٰ شعب فزارة، ثمّ دخل هذيل، ثمّ مضىٰ إلىٰ أشجع، فخرج إليه الفارس ـ الذي قال أبو عبدالله عليه السلام ـ من خلفه، من سكّة هذيل، فطعنه فلم يصنع فيه شيئاً، وحمل علىٰ الفارس فضرب خيشوم فرسه بالسيف، فطعنه الفارس فأنفذه في الدرع، وانثنىٰ عليه محمد فضربه فأثخنه، وخرج عليه حميد بن قحطبة وهو مدبر علىٰ الفارس يضربه من زقاق العماريين، فطعنه طعنة أنفذ السنان فيه، فكسر الرمح، وحمل علىٰ حميد، فطعنه حميد

بزج الرمح فصرعه، ثمّ نزل إليه فضربه حتىٰ أثخنه، وقتله وأخذ رأسه، ودخل الجند من كل جانب، وأُخذت المدينة وأُجلينا هرباً في البلاد.

قال موسىٰ بن عبدالله: فانطلقت حتىٰ لحقت بإبراهيم بن عبدالله، فوجدت عيسىٰ بن زيد مكمناً عنده، فأخبرته بسوء تدبيره، وخرجنا معه حتىٰ أُصيب ﷺ، ثمّ مضيت مع ابن أخي الأشتر عبدالله بن محمد بن عبدالله بن حسن، حتىٰ أُصيب بالسند، ثمّ رجعت شريداً طريداً، تضيّق علي البلاد، فلمّا ضاقت علي الأرض واشتد [بي] الخوف ذكرت ما قال أبو عبدالله ﷺ، فجئت إلىٰ المهدي ـ وقد حج ـ وهو يخطب الناس في ظل الكعبة، فما شعر إلّا وإنّي قد قمت من تحت المنبر، فقلت: لي الأمان يا أمير المؤمنين وأدلّك علىٰ نصيحة لك عندي ؟ فقال: نعم، ما هي؟ قلت: أُدلّك علىٰ موسىٰ بن عبدالله بن حسن، فقال لي: نعم، لك الأمان، فقلت له: أعطني ما أثق به، فأخذت منه عهوداً ومواثيق ووثّقت لنفسي، ثمّ قلت: أنا موسىٰ بن عبدالله، فقال لي: إذن تكرم وتُحبا، فقلت له: أقطعني إلىٰ بعض أهل بيتك يقوم بأمري عندك، فقال لي: انظر [إلىٰ] من أردت، فقلت: عمّك العباس بن محمد، فقال العباس: لا حاجة لي فيك، فقلت: ولكن لي فيك الحاجة، أسألك بحق أمير المؤمنين إلّا قبلتني، فقبلني شاء أو أبىٰ.

وقال لي المهدي: من يعرفك ؟ ـ وحوله أصحابنا [أو أكثرهم] ـ فقلت: هذا الحسن بن زيد يعرفني، وهذا موسىٰ بن جعفر يعرفني، وهذا الحسن بن عبدالله بن العباس يعرفني. فقالوا: نعم يا أمير المؤمنين، كأنه لم يغب عنّا.

ثمّ قلت للمهدي: يا أمير المؤمنين، لقد أخبرني بهذا المقام أبو هذا الرجل، وأشرت إلىٰ موسىٰ بن جعفر. قال موسىٰ بن عبدالله: وكذبت

علىٰ جعفر كذبة، فقلت له: وأمرني أن أُقرئك السلام، وقال: إنه إمام عدل وسخاء.

قال: فأمر لموسىٰ بن جعفر بخمسة آلاف دينار، فأمر لي منها موسىٰ بألفي دينار، ووصل عامة أصحابه، ووصلني فأحسن صلتي، فحيث ما ذكر ولد محمد بن علي بن الحسين فقولوا: صلىٰ الله عليهم وملائكتُه وحملةُ عرشه والكرام الكاتبون، وخصّوا أبا عبدالله بأطيب ذلك، وجزىٰ موسىٰ بن جعفر عني خيراً، فأنا والله مولاهم بعد الله ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٨ ﴾

قوله: ﴿ عن عبدالله بن جعفر بن إبراهيم الجعفري، قال: حدّثنا عبدالله بن المفضّل، مولىٰ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، قال: لمّا خرج الحسين بن علي عليه السلام ـ المقتول بفخ ـ واحتوىٰ علىٰ المدينة، دعا موسىٰ بن جعفر عليه السلام إلىٰ البيعة، فأتاه فقال له: يابن عمّ، لا تكلّفني ما كلّف ابن عمّك [عمّك] أبا عبدالله، فيخرج منّي ما لا أُريد، كما خرج من أبي عبدالله عليه السلام ما لم يكن يريد.

فقال له الحسين: إنما عرضت عليك أمراً، فإن أردته دخلت فيه، وإن كرهته لم أحملك عليه، والله المستعان. ثمّ ودعه.

فقال له أبو الحسن موسىٰ بن جعفر حين ودّعه: يابن عمّ، إنّك مقتول، فأجدّ الضراب، فإن القوم فسّاق، يظهرون إيماناً ويسترون شركاً، وإنا لله وإنا إليه راجعون، أحتسبكم عند الله من عصبة.

ثمّ خرج الحسين، وكان من أمره ما كان، قتلوا كلّهم كما قال عليه السلام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٩ ﴾

قوله: ﴿ عن عبدالله بن إبراهيم الجعفري، قال: كتب يحيىٰ بن عبدالله بن الحسن إلىٰ موسىٰ بن جعفر عليه السلام : أمّا بعد، فإني أُوصي نفسي بتقوىٰ الله،

وبها أُوصيك، فإنها وصية الله في الأولين ووصيته في الآخرين، خبّرني من ورد عليّ من أعوان الله علىٰ دينه ونشر طاعته بما كان من تحنّنك مع خذلانك، وقد شاورت في الدعوة للرضا من آل محمد ﷺ، وقد احتجبتها واحتجبها أبوك من قبلك، وقديماً ادعيتم ما ليس لكم، وبسطتم آمالكم إلىٰ ما لم يعطكم الله، فاستهويتم وأضللتم، وأنا محذّرك ما حذّرك الله من نفسه.

فكتب إليه أبو الحسن [موسىٰ] بن جعفر عليه السلام: من موسىٰ بن [أبي] عبدالله جعفر، وعليّ [بن جعفر][1]، مشتركين في التذلل لله وطاعته، إلىٰ يحيىٰ بن عبدالله بن حسن، أمّا بعد، فإنّي أُحذرك الله ونفسي، وأُعلمك أليم عذابه، وشديد عقابه، وتكامل نقماته، وأُوصيك ونفسي بتقوىٰ الله، فإنّها زين الكلام وتثبيت النعم. أتاني كتابك تذكر فيه أني مدّع، وأبي من قبل، وما سمعت ذلك منّي، وستُكتب شهادتهم ويُسألون، ولم يدع حرصُ الدنيا ومطالبها لأهلها مطلباً لآخرتهم، حتىٰ يفسد عليهم مطلب آخرتهم في دنياهم.

وذكرتَ أني ثبّطت الناس عنك لرغبتي فيما في يديك، وما منعني من مدخلك الذي أنت فيه ـ لو كنت راغباً ـ ضعفٌ عن سنّة، ولا قلّة بصيرة بحجّة، ولكن الله تبارك وتعالىٰ خلق الناس أمشاجاً وغرائب وغرائز، فأخبرني عن حرفين أسألك عنهما: ما العترف في بدنك؟ وما الصهلج في الإنسان؟ ثمّ اكتب إليّ بخبر ذلك، وأنا متقدّم إليك أُحذّرك معصية الخليفة، وأحثك علىٰ برّه وطاعته، وأن تطلب لنفسك أماناً قبل أن تأخذك الأظفار ويلزمك الخناق من كل مكان، فتروّح إلىٰ النفس من كل مكان ولا تجده، حتىٰ يمنّ الله عليك بمنّه وفضله ورقّة الخليفة ـ أبقاه الله ـ

---

(١) ليست في المصدر.

فيؤمنك ويرحمك ويحفظ فيك أرحام رسول الله ﷺ. والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ، ﴿ إنّا قد أُوحيَ إلينا أنّ العذابَ علىٰ مَن كَذَّبَ وتولّىٰ ﴾[1].

قال الجعفري: فبلغني أنّ كتاب موسىٰ بن جعفر عليه السلام وقع في يدي هارون، فلمّا قرأه قال: الناس يحملوني علىٰ موسىٰ بن جعفر، وهو بريء ممّا يرمىٰ به عليه السلام.

«تم الجزء الثاني من كتاب الكافي، ويتلوه بمشيئة الله وعونه الجزء الثالث، وهو باب كراهية التوقيت.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ محمد وآله أجمعين»[2].

(الهُجْر) ـ بالضم ـ: الاسم من الإهجار، وهو الإفحاش في المنطق والخَنا وما لا طائل تحته[3].

و (اختزال منزلها): اقتطاعه[4]. والضمير في: «فقال»[5] يرجع إلىٰ موسىٰ، وكأنّ الدار ممّا صار في أيديهم ممن خالف أخاه محمداً، كما يظهر من جواب خديجة عليها السلام له حين مازحته، أو لوقوع السرقة ونهب الأموال فيها، لما سيجيء من أنّ محمد بن عبد الله بن الحسن [بن الحسن] بن علي بن أبي طالب عليه السلام لمّا حبسه في السجن اصطفىٰ ما كان له من مال وما كان لقومه، ممن لم يخرج مع محمد بن الحسن، ولم يبايعه.

و (أجمعَ) عزم[6]. وكون غير الإمام له أطوع ظاهر.

والترديد في: (إني أُريد البادية، أو أهمّ بها) من الراوي. و(الدَّرَك) ـ محركة ـ: اللحاق.

(لا آلوك نصحاً وحرصاً) أي لا أمنعك نصيحتي لك وحرصي علىٰ إصلاحك قدر الوسع، وإن وقع منك مثل هذا الكلام.

(والله إنك لتعلم أنه الأحول الأكشف الأخضر، المقتول بسدة أشجع، عند بطن مسيلها) أي

---

(١) «طه» الآية: ٤٨.

(٢) «الكافي» ج١، ص٣٦٧، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) انظر: «الصحاح» ج٢، ص٨٥١، مادة «هجر».

(٤) في الأصل: «انقطاعة»، والمناسب ما أثبتناه. انظر: «لسان العرب» ج٤، ص٨٤، مادة «خزل».

(٥) في قوله في الحديث رقم: ١٧: «فقال: هذه دار تسمىٰ دار السرقة».

(٦) في الأصل: «عدم»، والمناسب ما أثبتناه. انظر: «لسان العرب» ج٢، ص٣٥٨، مادة «جمع».

تعلم أن ابنك محمداً هذا الذي أخبر به الصادق أنه سيخرج بغير حق ويُقتل صاغراً.

والحَوَل: أن تميل إحدىٰ الحدقتين إلىٰ الأنف، والأُخرىٰ إلىٰ الصدغ[1].

و (الأُكشف) من به كَشَف، وهو الذي تنبت له شعرات في قُصاص ناصيته، دائرة، ولا تكاد تسترسل، والعرب تتشأم به[2].

وقيل: «الكَشَف: انقلاب في قصاص الشعر»[3].

و (الأخضر) يقال للأسود أيضاً[4]، ويحتمله هنا.

و (السُدّة) ـ بالضم ـ: باب الدار[5].

و (أشجع) قبيلة من غَطفان، سميت باسم أبيهم[6].

وبيّن الإمام بصفاته هذه الظاهره أنه ليس بإمام ولا بأهل للطوع، لأنها عيوب في الخلقة.

و (السَّلَح) ـ بالتحريك ـ: ماء السماء في الغدران[7]. وأراد هنا النطفة، علىٰ سبيل الاستعارة والتشبيه.

وإنما كان أشام نطفة أخرجتها الأُصلاب، لعصيان الإمام، وقتله جماعة من أهله، وادعاء الإمامة لنفسه.

و (البِزَّة): السلاح والثياب[8].

و (بين رجليه لِبْنة) كناية عن ستر عورته بها [قصا مجرد].

و (الكبش): أمير الجيش.

وفي بعض النسخ: (أو ليقي الله)[9] ـ بالقاف ـ من الوقاية.

(وصَفَده) ـ يَصفِده ـ: شَدَّه وأوثَقَه[10].

---

(١) «المغرّب» ص ١٣٤.

(٢) انظر: «النهاية» ج ٤، ص ١٧٩، مادة «كشف»؛ «القاموس المحيط» ج ٣، ص ٢٧٥.

(٣) انظر: «المغرّب» ص ٤٠٨.

(٤) انظر: «لسان العرب» ج ٤، ص ١٢١، مادة «خضر».

(٥) انظر: «لسان العرب» ج ٦، ص ٢١١، مادة «سدد».

(٦) انظر: «لسان العرب» ج ٧، ص ٣٨، مادة «شجع».

(٧) انظر: «لسان العرب» ج ٦، ص ٣٢٣، مادة «سلح».

(٨) انظر: «القاموس المحيط» ج ٢، ص ٢٣٦.

(٩) بدل قوله في ح ١٧: (أو ليفي الله).

(١٠) انظر: «السان العرب» ج ٧، ص ٣٥٧، مادة «صفد».

وفي المغرّب: «المحمل ـ بفتح الميم الأُولىٰ وكسر الثانية، أو علىٰ العكس ـ: الهودج الكبير»[١].

و (الأعْراء): جمع (عُرْيّ)، والمحمل عُرْيٌ: أي لا بساط فيه ولا عليه وِطاء وغطاء. والفرس عُرْيٌ: إذا لم يكن عليه جُلّ وسرج[٢].

طلعت علىٰ القوم: أتيتهم.

و (الحَرَسيّ): الحافظ للمحامل، والجمع: الحَرَس.

و (رَمَحَته ناقتُه) ضربته برجلها، وكذا: رَمَحَه الفرس والحمار والبغل[٣].

و (الوَرِك) ـ بالفتح والكسر، كـ (كَتِف) ـ: ما فوق الفخذ.

و (الشَّباب) جمع: الشاب، وكذلك الشُّبّان، والشباب أيضاً الحداثة[٤].

و (الهَيْق): الظَّليم أي الذكر من النعام[٥].

و (نَفَّرَ عليه) ـ تنفيراً ـ قضىٰ عليه الحكم بالغلبة[٦].

والكُمَيْتُ من الخيل يستوي فيه المذكر والمؤنث، ولونه الكُمْتة، وهي حُمرة يدخلها قُنُوء[٧].

و (الأقْرَح) من الفرس: «مافي جبهته قُرْحَة، وهي بياض يسير في وجه الفرس دون الغُرّة»[٨]. والغُرّة: «بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم»[٩].

وفي الحديث [التاسع عشر][١٠]: (استهويتم وأضللتم)، يقال: استهواه الشيطان: ذهب بهواه وعقله[١١].

---

(١) «المغرّب» ص١٢٩، صححناه علىٰ المصدر. (٢) انظر: «لسان العرب» ج٩، ص١٧٩، مادة «عرا».

(٣) انظر: «لسان العرب» ج٥، ص٣١٠، مادة «رمح».

(٤) «الصحاح» ج١، ص١٥١، مادة «شبب» بتفاوت يسير.

(٥) «مجمع البحرين» ج٥، ص٢٤٩، مادة «هيق»، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) انظر: «الصحاح» ج٢، ص٨٣٤؛ «مجمع البحرين» ج٣، ص٥٠٠، مادة «نفر».

(٧) انظر: «الصحاح» ج١، ص٢٦٣، مادة «كمت»، صححناه علىٰ المصدر.

(٨) «لسان العرب» ج١١، ص٩١ – ٩٢، مادة «قرح»، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٩) «الصحاح» ج٢، ص٧٦٧، مادة «غرر». (١٠) في الأصل: «الثالث».

(١١) انظر: «لسان العرب» ج١٥، ص١٦٩، مادة «هوا».

ويقال: «ثَبَطَه عن الأمر: عَوَّقه وبطّأ به عنه، كثَبَّطَه فيهما»[١].

مَشَجْتُ بينهما مَشْجاً: خَلَطْتُ[٢].

ورجلٌ عِتْريفٌ وعُتْروفٌ: أي خبيثٌ فاجرٌ[٣].

وقيل: «العِتْريف: الظالم الغاشم ... وقيل: هو مقلوب العِفريت»، كما في النهاية[٤].

و (الصهلج): الصخرة العظيمة، والناقة الشديدة، وعرق في البدن[٥].

و (الخَنِق): مصدر: خَنَقه خَنِقاً، وكذا خَنَّقه، ومنه: الخُنّاق[٦].

* * *

---

(١) «القاموس المحيط» ج ٢، ص ٥٢٠، صححناه على المصدر.

(٢) «لسان العرب» ج ١٣، ص ١١١، مادة «مشج». (٣) «الصحاح» ج ٤، ص ١٣٩٩، مادة «عترف».

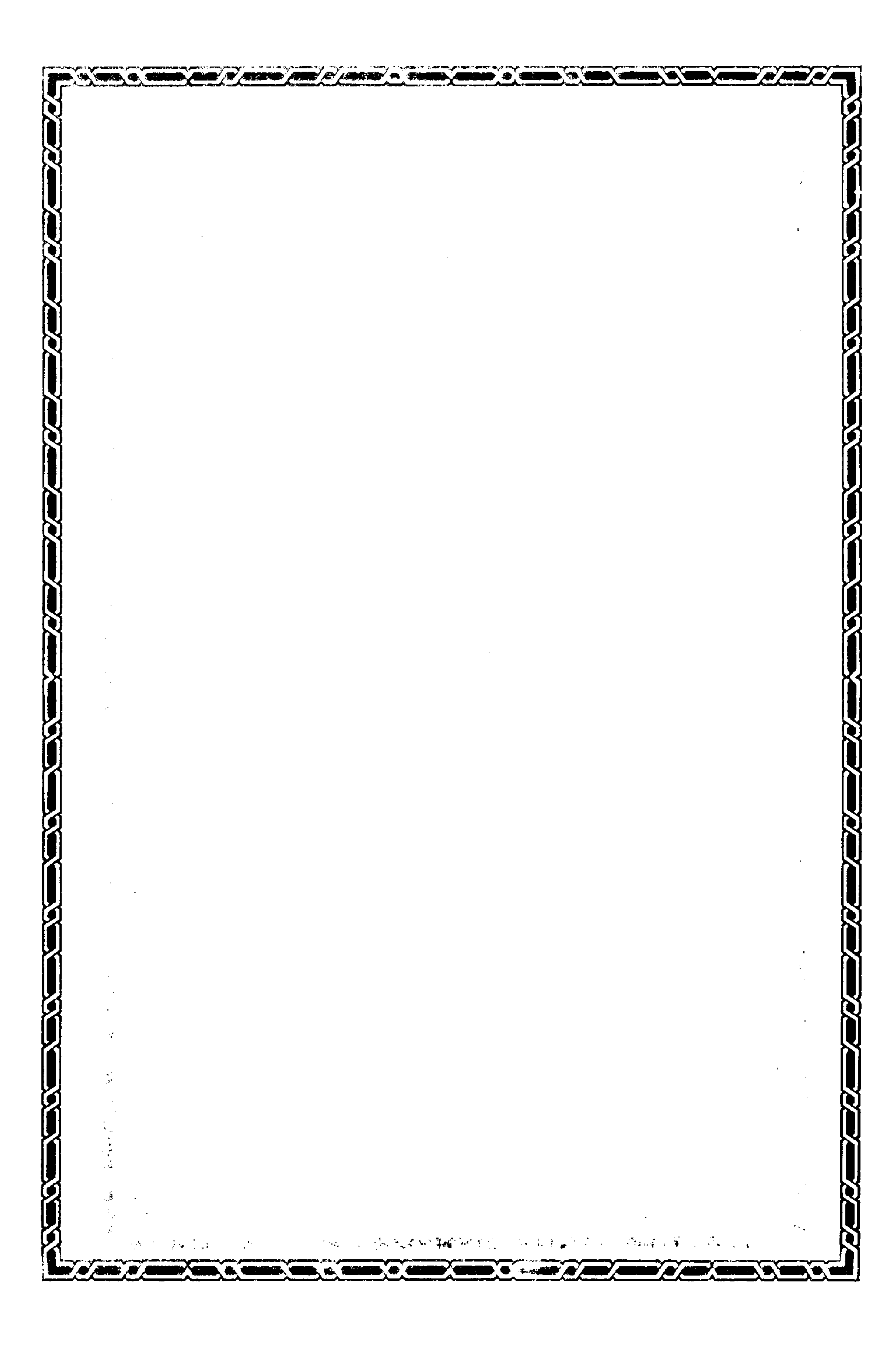
(٤) «النهاية» ج ٣، ص ١٧٨، مادة «عترف»، بتفاوت يسير.

(٥) انظر: «مجمع البحرين» ج ٢، ص ٣١٤، مادة «صهلج»؛ «القاموس المحيط» ج ١، ص ٤٠٩.

(٦) «الصحاح» ج ٤، ص ١٤٧٢، مادة «خنق» بتفاوت يسير، صححناه على المصدر.

الباب الثاني والثمانون

كراهـية التوقـيت



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب سبعة.

وروىٰ محمد بن يعقوب في الكافي، بسنده عن أبي المرهف، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (الغبرة علىٰ من أثارها، هلك المحاضير[1])، قلت: جعلت فداك، وما المحاضير[2]؟ قال: (المستعجلون، أما إنهم لن يريدوا إلّا من يعرض لهم) ـ ثمّ قال ـ: (يا أبا المرهف، أما إنهم لم يريدوكم بمجحفة إلّا عرض الله عز وجلّ لهم بشاغل). ثمّ نكت أبو جعفر عليه السلام في الأرض، ثمّ قال: (يا أبا المرهف)، قلت: لبيك، قال: (أترىٰ قوماً حبسوا أنفسهم علىٰ الله تعالىٰ لا يجعل الله لهم فرجاً؟! بلىٰ والله ليجعلن الله لهم فرجاً)[3].

و(الغُبْرة): الغبار، والإثارة: التهييج، كأنه مثل يضرب لمن يسعىٰ فيما يضرّه.

والمراد أن مايصيبهم [ليس] إلّا بسبب مبادرتهم إلىٰ التعرض لهم وعدم التمكن والصبر، ومع ذلك ماقصدوكم ببلاء عام مجحف إلّا رماهم الله بشغل، وهلك بعض الأعداء ببعض.

و(المحاضير)[4]: إمّا بالمهملات، من (الحَصَر)، بمعنىٰ ضيق الصدر[5]، وإمّا بالمعجمة

---

(١)، (٢) في الأصل: «المحاصير».

(٣) «الكافي» ج٨، ص٢٢٩، ح٤١١، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) في الأصل: «المحاصير».

(٥) انظر: «لسان العرب» ج٣، ص٢٠٠، مادة «حصر».

بين المهملتين، من (الحُضر) بمعنىٰ [العَدْو][١]. (المُجْحِفَة) - بتقديم الجيم علىٰ المهملة -: الداهية[٢] |.

أيّ نعمة أعظم من راحتنا وقتل الأعداء بالأعداء، وهو ظاهر للناظر في حال أهل قسطنطينية والافرنج، وغيرهم من الأعداء.

وقد عبّر في العنوان بلفظ: الكراهية، وكذا ملّا محسن[٣].

وقال محمد صالح في الشرح: «وحمل الكراهة علىٰ الظاهر ظاهرٌ، وعلىٰ التحريم محتملٌ»[٤].

وظاهر ذلك أن تعيّن وقتٍ لظهوره جائز، لكن ظاهر أحاديث الباب التحريم، وظاهر حديث المفضّل السابق المنقول من رسالة الشيخ حسن بن سليمان الحلي[٥]. وقد تضمن بعض الأحاديث[٦] أنه كالساعة، فلا توقيت لها.

وفي أول أحاديث الباب: (ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً)، فكذب الوقّاتون. وفي بعضها[٧] أنّ عدم التوقيت ألين للقلوب وتقريب للفرج، والتوقيت يفوّته؛ إذ من المعلوم أنّ المبتلىٰ بالمعصية والبلاء إذا كان راجياً للفرج كلّ آن كان أشد علىٰ الصبر، وحَمَله ذلك زيادة علىٰ تحمل الضر، بخلاف ما إذا قال: بعد مائتين، أو أكثر.

وكل ذلك صريح في التحريم، إلّا إنّ في بعض الأحاديث إشارة للتوقيت في الجملة، كأول أحاديث الباب، وحديث العياشي الذي تسمعه، وحديث الفضيل بن يسار[٨] وغيره.

فنقول: لا ينافي؛ فإنّ مادلّ علىٰ أنهم عليهم السلام أفشوه لبعض وبيّنوه بيانٌ لا علىٰ وجه الحتم،

---

(١) في الأصل: «الورود»، والمناسب ما أثبتناه. انظر: «الصحاح» ج ٢، ص ٦٣٢، مادة «حضر».

(٢) «القاموس المحيط ج ٣، ص ١٨٠.

(٣) «الوافي» المجلد ٢، ص ٤٢٦.

(٤) «شرح المازندراني» ج ٦، ص ٣١٤.

(٥) «مختصر بصائر الدرجات» ص ١٧٩، وفيه: (إن من وقّت لمهدينا وقتاً فقد شارك الله تعالىٰ في علمه)... وقد سبق الحديث في «باب في الغيبة»، تحت عنوان: خاتمة.

(٦) «مختصر بصائر الدرجات» ص ١٧٩، وفيه: (حاش الله أن يوقت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا... لأنه هو الساعة).

(٧) انظر: ح ٦ من هذا الباب، وفيه: (تألفاً لقلوب الناس، وتقريباً للفرج).

(٨) انظر: ح ٥ من هذا الباب.

كحال موسىٰ عليه السلام، فلو زاد ـ ولله المشيئة ـ لم يكن فيه تكذيب لهم، ومع ذلك [كان][1] فيه الإفشاء والاستعجال. وقد يكون بعضٌ كحال بعض قوم موسىٰ في ارتدادهم بعدُ [بسبب][2] التوقيت، فلم يُخبَروا به بعدُ؛ أنفع لنا وأرجىٰ، وحذراً من الإذاعة، ولئلا يفشي بعض ويرجع لو أظهر الوقت وجرىٰ فيه البداء، كقوم موسىٰ. علىٰ أنّ في العدم اختباراً وتمييزاً أيضاً، وروايات الباب متضمنة لهذه الحِكم، إلىٰ غيرها، فأُخفي بعدُ.

فـ(كذب الوقّاتون)[3] بعدُ مطلقاً، أو الموقّت حتماً، والأول أظهر، بل المتعيّن، فلا تنافي بين الأحاديث.

أمّا لو قيل: إنّه عليه السلام يخرج في سنة وتر، أو بعد مضي بعض الحروف المحتمِلة لوجوه عديدة، من بطون الحساب بحسب الجفر وغيره، فليس هذا بالتوقيت المحرّم والممنوع منه؛ إذ لا توقيت فيه في نفس الأمر، وإنّما هو إخبار عن بعض صفات أول ظهوره، أو [بوقت][4] مجمل فيه، لا إخبار فيه.

❑ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: يا ثابت، إنّ الله تبارك وتعالىٰ قد كان وقّت هذا الأمر في السبعين، فلمّا أن قُتل الحسين صلوات الله عليه اشتدّ غضب الله تعالىٰ علىٰ أهل الأرض، فأخّره إلىٰ أربعين ومائة، فحدّثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر، ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أمّ الكتاب.

قال أبو حمزة: فحدّثت بذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال: قد كان كذلك﴾.

---

(١) في الأصل: «فكان». (٢) في الأصل: «سبب».

(٣) «الكافي» ج ١، ص ٣٦٨، باب كراهية التوقيت، ح ٢، ٣، ٥.

(٤) في الأصل: «يوقت».

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الرحمن بن كثير، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذ دخل عليه مِهْزَم، فقال له: جعلت فداك، أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظر، متىٰ هو ؟ فقال: يا مهزم، كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألته عن القائم عليه السلام، فقال: كذب الوقّاتون، إنّا أهل بيت لا نوقّت﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿[عن][1] أحمد بإسناده، قال: قال [أبو عبدالله :][2] أبىٰ الله إلّا أن يخالف وقت الموقّتين﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿عن [الفضل][3] بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت: لهذا الأمر وقت ؟ فقال: كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، إنّ موسىٰ عليه السلام لمّا خرج وافداً إلىٰ ربه واعدهم ثلاثين يوماً، فلمّا زاده الله علىٰ الثلاثين عشراً قال قومه: قد أخلفنا موسىٰ، فصنعوا ما صنعوا، فإذا حدّثناكم الحديث فجاء علىٰ ما حدّثناكم به فقولوا: صدق الله، وإذا حدّثناكم الحديث فجاء علىٰ خلاف ما حدّثناكم به فقولوا: صدق الله، تؤجروا [به][4] مرتين﴾.

---

(١) ليست في المصدر.
(٢) ليست في المصدر.
(٣) في الأصل: «الفضيل».
(٤) ليست في المصدر.

الحديث رقم ﴿٦﴾

قوله: ﴿عن [الحسن بن علي بن يقطين، عن أخيه الحسين، عن أبيه] علي بن يقطين، قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: الشيعة تربّىٰ بالأماني منذ مائتي سنة.

قال: وقال يقطين لابنه علي بن يقطين: ما بالنا قيل لنا فكان، وقيل لكم فلم يكن؟ قال: فقال له علي: إنّ الذي قيل لنا ولكم كان من مخرج واحد، غير أنّ أمركم حضر، فأُعطيتم محضه، فكان كما قيل لكم، وإنّ أمرنا لم يحضر، فعلّلنا بالأماني، فلو قيل لنا: إنّ هذا الأمر لا يكون إلّا إلىٰ مائتي سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب، ولرجع عامّة الناس عن الإسلام، ولكن قالوا: ما أسرعه وما أقربه؛ تألّفاً لقلوب الناس، وتقريباً للفرج﴾.

الحديث رقم ﴿٧﴾

قوله: ﴿عن إبراهيم بن مِهْزَم، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: ذكرنا عنده ملوك آل فلان، فقال: إنّما هلك الناس من استعجالهم لهذا الأمر، إنّ الله لا يعجل لعجلة العباد، إنّ لهذا الأمر غاية ينتهي إليها، فلو قد بلغوها لم يستقدموا ساعة ولم يستأخروا﴾.

أقول: المراد بـ(السبعين) في الحديث الأول: السبعون من الغيبة، لامن الهجرة، وإنه لا يحتمل أصلاً؛ إذ لا يكون القائم علي بن الحسين عليه السلام، إلّا أن يقال: تستمر الأئمة الأحد عشر في مدة سبعين، وهو كما ترىٰ.

(فلما أن قتل الحسين عليه السلام) اشتد عصيان الأمة وكفرهم، فزيدوا إمهالاً وتخلية، فأوجب ذلك التأخيرَ؛ إذ ليس الإخبار بوقوعه في السبعين من المحتوم، بحيث لا بداء فيه، لأنه لم يقع بعد، و ﴿ يَمْحُو اللهُ مايَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتابِ ﴾[1].

---

(١) «الرعد» الآية: ٣٩.

ولله البداء في المشاء قبل قيام عينه، فأخره في مائة وأربعين من الهجرة، ولله البداء في ذلك، فليس هو توقيتاً حتمياً، فأذاعوا [سرّ][1] ذلك، وكشفوا قناع الستر، ويحرم إذاعة [السرّ][2]، خصوصاً هذا؛ لما يلحق الشيعة من الضر والأذىٰ من الأعداء. فلم (يجعل الله عزَّ وجلَّ له بعد ذلك وقتاً) بيّناً للناس، ولم يجعل (عندنا) وقتاً نخبر به، وأخبرنا به.

وأيضاً، إنّ المعلوم قبل بروزه مما يجري فيه البداء، وإذاعته والتحدّث به كذلك مما يُظهر وينبئ أنه مما لا بداء فيه، وهو تكذيب الله ورسوله.

قال ملّا محسن ـ مؤيداً احتمال كون السبعين من الهجرة ـ: «ويؤيد كون ابتداء المدة من الهجرة أنّ طلب أبي عبد الله الحسين عليه السلام حقه بحوالي السبعين من الهجرة، واستشراف ظهور أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام فيما بعد أربعين ومائة بقليل»[3] انتهىٰ.

وغير خفي أنّ مقتل الحسين عليه السلام سنة إحدىٰ وستين من الهجرة، فطلبه في عشر الستين، وكون طلب الرضا بعد الأربعين ـ ولو بقليل ـ يخرج كونه في الأربعين. علىٰ أنّ المراد بهذا الأمر وقت ظهور قائم آل محمد عليهم السلام، وهو المهدي الثاني عشر، لا مطلق ظهور الدلالة علىٰ أي إمام منهم وكون أحدهم القائم، وهذا ظاهر.

والقِناع والمِقْنَع والمِقْنَعَة ـ بالكسر في الجميع ـ: ما تُقَنِّع به المرأة رأسها، إلّا إنّ القناع أوسع[4].

و (السرّ)[5] واحد (الأسرار)، وهو ما يُكتم.

وغير خفي علىٰ أنّ قول الإمام عليه السلام في الحديث الثالث: (إنّا أهل بيت لا نوقّت)، وما في حديث علي بن يقطين من قوله: «وإنّ أمرنا لم يحضر، فعلّلنا بالأماني، فلو قيل»... إلىٰ آخره، وكذا حديث الفضيل بن يسار ـ فإنّ موسىٰ يعلم أنّ المدة أربعون، ولم يظهرها لهم، وإنما أظهر الثلاثين بما لا يوجب القطع حتماً ـ دالٌّ جميعه علىٰ أنهم يعلمون بالوقت، ولكن لم يذيعوه؛ لما ذكروا من الحِكم، ولما في إفشائه من الضرر.

---

(١) في الأصل: «ستر». (٢) في الأصل: «الستر».

(٣) «الوافي» المجلد ٢، ص٤٢٦، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) انظر: «الصحاح» ج ٣، ص١٢٧٣، مادة «قنع».

(٥) اللفظ الوارد في الحديث الأول هو: (الستر)، أما لفظ: (السرّ) فقد ورد في «الكافي» طبعة حجرية، ص١٤٤؛ «شرح المازندراني» ج٦، ص٣١٤، في متن نفس الحديث.

وهذا يعيّن أنّ المراد بقوله عليه السلام في الحديث الأول: (ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا) أي وقتاً عندنا نخبركم به؛ بدليل قوله فيه قبل أيضاً: (فحدّثناكم فأذعتم)، فالمناسب بعدُ عدم إخبار غيرهم عليهم السلام، لا عدم إخبارهم عليهم السلام به أيضاً أصلاً، لأنهم عليهم السلام ليسوا من أهل الإذاعة، بل حفظة، وأيُّ حفظة! ﴿ لا يَسْبِقُونَهُ بالقَوْلِ وَهُمْ بِأمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

فاحتمال أن يكون المراد فيه أيضاً: أنه لم يجعل لنا علماً بوقته بعد ذلك أصلاً باطلٌ، ينافيه باقي الأحاديث، وربط الحديث بعضه ببعض، فليس هو حملاً مستأنفاً.

ومعنىٰ الحديث الرابع أنّ وقت ظهور القائم عليه السلام ـ لمّا كان بعدُ مستوراً في خزانة الوحي ومعدن العلم ـ ممنوع من الإخبار به؛ حذر الإفشاء وغيره، فلا يطّلع أحد عليه، لعدم نيله منهم وإثباتهم العلم الموقَّت من بابه ومعدنه، فلابد من مخالفة ما يوقته الموقتون لذلك؛ لأن الموقِّت كاذب، فهو مخالف.

وفي الوافي هكذا السند: «أحمد، بإسناده، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (أبىٰ الله)»[2]... إلىٰ آخره.

وغير خفي أنّ إظهار كذب الكاذب إهانة له وتصديق لغيره، فلابد من مخالفة الله لوقت الموقِّت، وأبىٰ الله إلّا أن يكون كذلك، وهو مما لا بداء فيه.

وإنّما وجب التسليم لهم والتصديق متىٰ أخبروا، سواء وقع الخبر كما حدّثوا أو بخلافه؛ لوجوب التسليم لهم في كلّ ما يقولون. والمسلم مخبت، كما ورد[3] تفسير الإخبات بالتسليم.

والكلمة منهم تنصرف إلىٰ وجوه[4]، وبعض مخبراتهم مما فيه البداء، فيجوز محوه، وإثباته علىٰ وجه آخر، فلا يجوز إثبات الخُلف في إخبارهم لو تغيّر؛ فإنه لا نقص فيهم، فقد أخبروا بالجميع، فإن وقع خلاف الأول ضوعف الأجر مرتين؛ مقابل الخبرين، وليس فيه تكذيب. وضلّ الراد عليهم، كما ضل وكفر من سبّ موسىٰ وأنكره لمّا تأخر، ولا خُلف في وعده ولا في قوله.

ومعنىٰ كون الأماني تربّي الشيعة، وهي من التربية، وهي إصلاح الحال وتثبيت القلب

---

(١) «الأنبياء» الآية: ٢٧.　　(٢) «الوافي» الجلد ٢، ص ٤٢٧.

(٣) «بصائر الدرجات» ص ٥٢٥، ح ٢٨.

(٤) «بصائر الدرجات» ص ٣٢٨، باب الأئمة أنهم يتكلمون علىٰ سبعين وجهاً.

بالوعد القريب، فإن المنتظر لأمر لو قيل له: لا يقع إلّا بعد ألف سنة مثلاً، ربما أخذه اليأس، ويقسو قلبه، فيرجع أو يضطرب، أو يأخذه زيادة هَمّ، بخلاف ما إذا قيل له: الآن، غد، بعد غد، فإنه أروح لقلبه وأثبت له في تحمل الضر وتجرع ألم الانتظار والصبر.

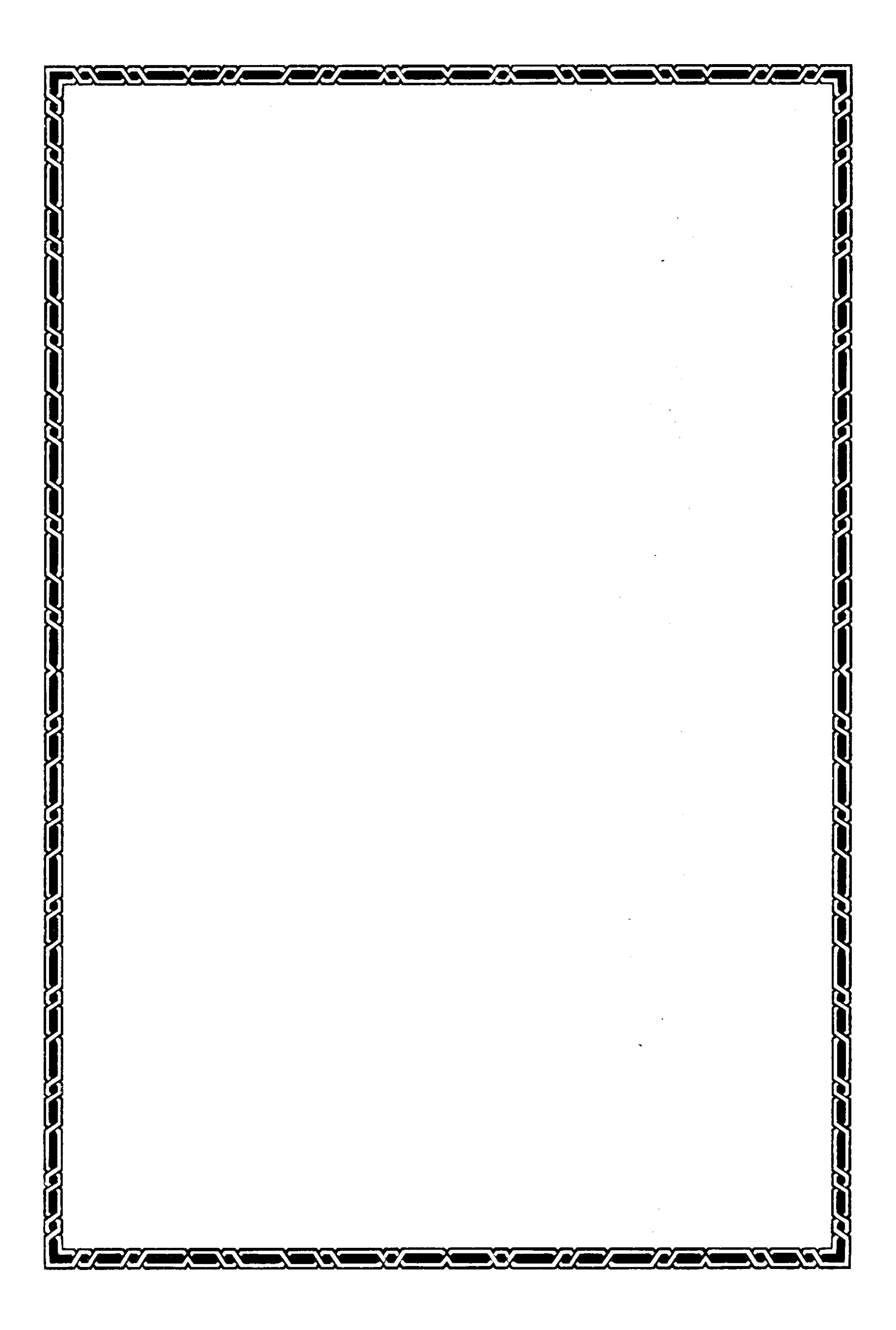
وسؤال يقطين لابنه علي وجوابه له ظاهر.

والحاصل أنه ليس إلّا ما أراد الله، ولا يعجل لعجلة خلقه؛ لأنه أعلم بمصلحتهم وبانقضاء دولتهم، ولا يستعجل لعجلة خلقه، فلو كشف الغطاء لاختاروا الواقع، والله ليس بمتهم في أفعاله. وسيتضح صريح ذلك، ويظهر حسنه ظهوراً عاماً، إذا انقضىٰ أجلهم وانتهت دولتهم.

* * *

الباب الثالث والثمانون

التمحيص والامتحان



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب ستة.

اعلم أنّ الله بعلمه الذاتي ـ الذي لا فرق بينه وذاته بوجه أصلا ـ عَلِم ما يصير إليه الخلق، وما ينتهي إليه كلٌّ باختياره، وعلم أنّ منهم من يعصي، ولله الحجة البالغة علىٰ خلقه، وقد طلب كلٌّ بلسان استعداده ومراداته ما يصلحه ويحصل به [مراد][1] إراداته ويصعد به إلىٰ كمالاته، فبعث لهم الرسل مبشرين ومنذرين، ووهبهم طريق معرفته وصفاته ومعرفتهم، وبيّن لهم التكاليف التي بها يحصّلون ذلك، إذ معلوماته تعالىٰ لا تمضي؛ لكمال عدله وعلمه، إلّا مبيّنة مشروحة، مشتملة علىٰ العلل، فقَبِل من قبل باختياره، فاستحق به الثواب، وعصىٰ من عصىٰ، فاستحق العقاب، ولو عذّبه بدون ذلك ـ وقوفاً علىٰ علمه ـ لم تنقطع حجته، بل كانت علىٰ الله، وتعالىٰ الجناب القدسي، ﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ ﴾ جبراً ﴿ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2].

فحقق التكليف حقيقة المحقّ، وأظهر بطلان المبطل ومن كان دعواه دعاوىٰ[3]، وأظهر ما في جوانح كلٍّ باختياره؛ إذ لا يكون إيمان إلّا ببيّنة من مدّعيه يدل علىٰ صدقه، ولا حكم

---

(١) في الأصل: «مواد». (٢) «الأنعام» الآية: ١٤٩.

(٣) اقتباس من قول الحسين عليه السلام في دعاء يوم عرفة: (ومن كانت حقائقه دعاوىٰ فكيف لا تكون دعاويه دعاوىٰ). «إقبال الأعمال» ص ٦٦٠.

علىٰ مضل بضلال إلّا بعد امتناعه عن البيّنة وعدم قبوله.

فكان بالتكليف حسن الاختبار والفتنة، والتمييز بين المحقّ وأهل الأغيار، وهذه سنّة الله الجارية مدىٰ التكليف، وهو مما اقتضته المصلحة الوجودية، وطلبه لسان القابلية.

نماذج من التمحيص

قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها ﴾ بعد أمرنا لك أخيراً بها ﴿ إلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ أي نميّز ﴿ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ ﴾ ويصدّقه فيما يأتي به وإن لم يظهر له مصلحته ﴿ ممَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[١]، ويأتي ويقول: لمَ غيّرت القبلة؟ وقد كانت الأُولىٰ مصلحة، فاستنطقهم وحقّ الحق، وأبطل الباطل ومن هو في إقراره [معاند][٢] بتغير القبلة.

فلولاه لزم إمّا إدخال الكل الجنة، ولا ظهور لكمال التصديق منهم وتصحيح الإقرار، مع علمه ـ الذي لا انقلاب فيه ـ بأن منهم من لم يكن كذلك، فلابد من استخلاص ذلك ومحضه بشيء لا يعلمونه؛ حتىٰ يظهر حقيّة [الحق][٣] وبطلان الباطل بذلك، فكان كذلك.

وقال تعالىٰ: ﴿ إنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإنَّهُ مِنِّي إلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إلَّا قَلِيلاً ﴾[٤]، وهو المحقّ الثابت، فلولا النهي عنه ما ظهر اتّباع الهوىٰ من البعض.

وأيضا، إنّ الله لمّا علم بأن في قوم موسىٰ من ينقلب أَمَرَه بالوقوف للمناجاة، وأن يعتزل قومه أربعين يوماً، لكن أمره بإخفاء عشرة عنهم، فأخبرهم بالثلاثين، وقال: (لله بعد المشيئة)، فلمّا استاك آخر شهر ذي القعدة أمره بإتمام الثلاثين بعشرة [ذي] الحجة، ﴿ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[٥]، وهي التي أمره بها أولاً. ولمّا تجاوز الثلاثين رجع من رجع، وقال: وقع الخُلف[٦].

---

(١) «البقرة» الآية: ١٤٣.

(٢) في الأصل: «معامل».

(٣) في الأصل: «الحق».

(٤) «البقرة» الآية: ٢٤٩.

(٥) «الأعراف» الآية: ١٤٢.

(٦) انظر: «التفسير المنسوب للإمام العسكري» ص٢٤٧ – ٢٥٢، ح١٢٢؛ «بحار الأنوار» ج١٣، ص٢٣٠، ح٤٢.

فقد كان إخفاؤها لأجل الاختبار، وفصل بها مَن داخَلَه الأغيار، وأشاد بها الثابت ومن لا يلبس عليه الغبار، ولهذا قال موسىٰ: ﴿ إنْ هِيَ إلّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بها مَنْ تَشاءُ وَتَهْدِي مَن تَشاءُ ﴾[1].

وكذا في ضربه المثل بالبعوضة فما فوقها، ضلّ به كثير، وقال: كيف يمثّل هذا المثل؟ فلو مثّل بالعظيم كان أولىٰ، وثبت به من ثبت، وازداد يقيناً وسلّم، وإن لم يعرف وجه الحكمة، أو قال: لا، بل لأجل الإشارة إلىٰ أنّ الجليل والحقير بالنسبة له تعالىٰ واحد، ولما فيها من الحِكم، حتىٰ إنّ فيها ما في الفيل وزيادة، إلىٰ غير ذلك. فلولا هذا التمثيل لما ظهر ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿ إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيي أنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ وَما يُضِلُّ بِهِ إلّا الفاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ ﴾[2].

وكذا في عدد الزبانية، ممن سمع من قال: لا، وهذا العدد قليل ونحن نغلبهم، فيطلق هوىٰ النفس لها: إن كان لقول محمد حق، وإلّا كفيناهم، والمؤمن ازداد بذلك وقال: يكون للواحد ما يزيد علىٰ الكل قوة، أو هذه عدد الرؤساء، أو ما لكل فرد، إلىٰ غير ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿ عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ كَذلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ ﴾ الآية[3].

وكذلك ما وقع من الإمهال والتخلية لدولة أهل الباطل، [من][4] أول موت الرسول إلىٰ هذا الوقت، مع قدرة إمام العصر علىٰ هلاكهم وإبادتهم، مع الحِكم العديدة المقتضية لذلك أيضاً، كتوفية نصيبهم؛ إذ لا خلاق لهم في الآخرة، وإتماماً للنظرة، واستظهاراً لكمال الحجة.

وقال زين العابدين عليه السلام: (وإنّما تأنيتَ بهم ليفيئوا إلىٰ أمرك، وأمهلتهم ثقةً بدوام ملكك)[5]... إلىٰ آخره.

ومن ذلك ـ ما وقع به التمييز والاختبار علىٰ أكمل وجه بغير اضطرار ـ: ما وقع زمن الإمام الثاني عشر، من الغيبة وعدم التوقيت، فكم ساقط من هذا الغربال، مولّي الأدبار،

---

(١) «الأعراف» الآية: ١٥٥.

(٢) «البقرة» الآية: ٢٦ – ٢٧.

(٣) «المدثر» الآية: ٣٠ – ٣١.

(٤) في الأصل: «لكن».

(٥) «الصحيفة السجّادية الكاملة» ص٢٠٣، من دعائه عليه السلام في يوم الفطر.

بعد أن كان واصفاً لهذا الأمر بالأقوال، غير كامن النفاق، حتىٰ إذا طال الأمد رجع، كأن لم يسمع ما تلي عليه وما وقع في سائر الشرائع: ﴿ أمْ حَسِبْتُمْ أن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ ﴾ أي يميّز ويظهر انطباق العلم منه تعالىٰ ـ الذي لا انقلاب فيه ـ علىٰ المعلوم، ﴿ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾[1]، ﴿ الم * أحَسِبَ النَّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ أي يُختبرون ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ ﴾[2].

ومعنىٰ العلم علىٰ ما قلنا لك؛ لسبق علمه تعالىٰ، وعدم احتياجه أيَّ مكمل له، وإنما الحاجة للقاصر المفتقر.

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن يعقوب السَّرّاج وعلي بن رئاب، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا بويع ـ بعد مقتل عثمان ـ صعد المنبر وخطب بخطبة ذكرها، يقول فيها: ألا إنَّ بَلِيَّتَكُم قد عادَتْ كَهَيئَتِها يَومَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله، وَالَّذي بَعَثَهُ بالحَقِّ، لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً، حتّىٰ يَعُود أسْفَلُكُم أعلاكُم، وأعلاكُم أسْفَلَكُم، ولَيَسْبِقَنَّ سَبّاقُونَ كـانوا قَـصَّروا، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبّاقُونَ كانُوا سَبَقُوا. وَاللهِ ما كَتَمْتُ وَسْمَةً، ولا كَذَبْتُ كِذْبَةً، وَلَقَدْ نُبِئْتُ بهذا المقامِ وهذا اليوم﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن ابن أبي [يعفور][3]، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ويل لطغاة العرب من أمر قد اقترب، قلت: جعلت فداك، كم مع القائم من العرب؟ قال: نفر يسير. قلت: والله إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير،

---

(١) «آل عمران» الآية: ١٤٢.　　(٢) «العنكبوت» الآية: ١ ـ ٣.

(٣) في الأصل: «يعقوب».

قال: لابدّ للناس من أن يُمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا، ويُستخرج في الغربال خلق كثير ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿ عن منصور، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا منصور، إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلّا بعد إياس، ولا والله حتىٰ تميّزوا، ولا والله حتىٰ تمحّصوا، ولا والله حتىٰ يشقىٰ من يشقىٰ، ويسعد من يسعد ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿ عن معمّر بن خلّاد، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾، ثمّ قال لي: ما الفتنة؟ قلت: جعلت فداك، الذي عندنا الفتنة في الدين، فقال: يفتنون كما يفتن الذهب، ثمّ قال: يخلصون كما يخلص الذهب ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿ عن سليمان بن صالح، رفعه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال: إنّ حديثكم هذا لتشمئز منه قلوب الرجال، فمن أقرّ به فزيدوه، ومن أنكره فذروه، إنه لابدّ من أن يكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليجة، حتىٰ يسقط فيها من يشقّ الشعرة بشعرتين، حتىٰ لا يبقىٰ إلّا نحن وشيعتنا ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦ ﴾

قوله: ﴿ عن محمد بن منصور الصيقل، عن أبيه، قال: كنت أنا والحارث بن المغيرة وجماعة من أصحابنا جلوساً، وأبو عبد الله عليه السلام يسمع كلامنا، فقال لنا: في أيّ شيء أنتم؟ هيهات هيهات، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتىٰ تغربلوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتىٰ تمحّصوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتىٰ تميّزوا، لا والله ما

يكون ما تمدّون إليه أعينكم إلّا بعد إياس، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتىٰ يشقىٰ من يشقىٰ، ويسعد من يسعد».

أقول: خطبة علي ـ المذكور بعضها في الحديث الأول ـ مذكورة في نهج البلاغة[1].

ولمّا كانت الآراء متشتتة، وسبل الضلال متظاهرة قبل بعثة محمد ﷺ، حتىٰ كاد الدين أن يمحق، ولما ينقطع، وظهر محمد ﷺ مبشراً ومنذراً، فوقع به التمييز والاختبار، وجرىٰ الناس علىٰ ذلك، لكن في المطيع له، [ظهر][2] المنافق والمستودع.

فلمّا قبضه الله إليه عادت البلية الأُولىٰ كهيئتها مذ قُبض، من جهة ظهور دولة هؤلاء، وسكوت الإمام؛ امتثالاً لأمر الله، واكتفاءً بإظهار التشكي والتظلم حتىٰ يبلغ الكتاب أجله، فمنهم من نكث، ومنهم من أوفىٰ، ﴿ فَمَن نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَن أَوْفىٰ بما عَاهَدَ عَلَيهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أجراً عَظِيماً ﴾[3].

وقد عرفت وقوع الابتلاء من الله تعالىٰ والاختبار إلىٰ عباده بجميع التكاليف؛ ليظهر صبر الصابر، ورجوع الآبق، وتذكّر المتذكر، وشكر الشاكر، ليحق الحق، ويبطل الباطل، وتعلو الحجة علىٰ الكل، ﴿ لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ ﴾ ظاهرة منه، مصححة لدعواه، ﴿ وَيَحْيىٰ مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾[4] منه، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[5]، و ﴿ إِنَّما تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ ﴾[6]، لا ليعلم الله ذلك من عباده؛ فإنه الذي لا يخفىٰ عليه خافية، وليس بالمستفيد من عباده.

وفي النهاية: «البَلابِل: الهموم والأحزان، وبَلْبَلَة الصدر: وسواسه... ومنه خطبة علي عليه السلام»[7].

والغربال معروف.

ووجه تشبيه اختبارهم وتمييزهم ـ بالبلايا والتكاليف ـ بالغربال ظاهر؛ فإنّ به التمييز

---

(١) «نهج البلاغة» الرقم: ١٦، من كلام له عليه السلام لما بويع في المدينة.

(٢) في الأصل: «ظاهر».

(٣) «الفتح» الآية: ١٠.

(٤) «الأنفال» الآية: ٤٢.

(٥) «فصلت» الآية: ٤٦.

(٦) «الطور» الآية: ١٦؛ «التحريم» الآية: ٧.

(٧) «النهاية» ج ١، ص ١٥٠، مادة «بلبل»، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

لبعض عن بعض، فترىٰ الحَب أو الدقيق مختلطاً بعضه ببعض، القوي والضعيف، فإذا وضع فيه يسقط منه كثير، إلّا القوي الكبير، حتىٰ إنك ترىٰ ما هو أسفل أعلىٰ في الغربال، وتراه في دوران فيه وجولان، كذلك الناس حال الاختبار والتمييز، بل غربالهم أشد من غربلة الدقيق، ولا ينافي التشبيه به، فهو وارد ومستعمل.

قال الفاضل الشارح محمد صالح، بعد أن ذكر معنىٰ الغربلة: ذهاب الأخيار وبقاء الأراذل، بتمييز بعض عن بعض، كالفعل بالدقيق ونحوه، قال: «ويحتمل أن يراد به خلط بعضهم ببعض ووقوع الاضطراب بينهم؛ لأن غربلة الدقيق بخلط بعضه ببعض. وهو الأنسب بقوله: (**حتىٰ يعود أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم**)، لتصريف أئمة الجور إياكم، وتقليبكم من حال إلىٰ حال، وإهانتكم وتغييركم من وضع إلىٰ وضع، ومن دين إلىٰ آخر.

ويحتمل أن يراد بقوله: (**حتىٰ يعود**)... إلىٰ آخره، أنه يصير عزيزكم ذليلاً، وذليلكم عزيزاً، وهو إخبار عمّا وقع في عهده مع القاسطين والمارقين، وبعد عهده من اُمراء بني اُمية وغيرهم»[1] انتهىٰ.

وهذا احتمال مرجوح، بل مراعًى في التشبيه التميز وسقوط كل وليجة وضعيف، وفي ذلك يعود الأسفل... إلىٰ آخره، فإنه يؤمن في يوم من ذلك بعض، ويرتد آخر. فهو لا يناسب الغربلة والغربال.

و(**الوشمة**) ـ بالشين المعجمة ـ: الكلمة، وبالمهملة: العلامة[2].

وهو كما قال، وأتبعه بالقسم ليبيّن أنه لم يكذب في ذلك، وقد وقع كما أخبر، ولا كتم علمه مما يمكن إظهاره وإدراؤه فيه، أو علامة يثبت بها المتثبت، فإنه أخبر عن الوقائع ورايات الضلال وبوقوع البلايا، وجعل لها علامات. وفي كل وقت من ولده إمام وهادٍ، ولا تشتبه عليه ضلالة، ولا تخفىٰ عليه هداية. ولقد أكّد أخباراً خفية ما أخبر به بقوله بعدُ أيضاً: (**ولقد نبّئت**).

ثمّ اعلم أنّ الله بيّن لخلقه وقوع الفتنة ـ أي الاختبار ـ حتىٰ يعركوا[3] بالشدائد واختلاف الأهواء، ويخلصوا كما يخلص الذهب بالنار، وبيّن وجه الحكمة فيها، بقوله تعالىٰ:

---

(١) «شرح المازندراني» ج٦، ص٢١٩ – ٢٢٠، بتفاوت يسير.

(٢) انظر: «لسان العرب» ج١٥، ص٣١١، مادة «وشم».

(٣) عَرَكَ الأديمَ وغيره، يَعْرُكه عَركاً: دَلَكه دلكاً. «لسان العرب» ج٩، ص١٦٨، مادة «عرك».

﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا ﴾ بمجرد دعواهم ﴿ أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[١] ويختبرون بما يظهر معه صدق قولهم: آمنا، أو كذبه؟! ذلك ظن سوء وجهالة، إذ لا تصح الدعوىٰ ويظهر ثبوت الصفة وزوالها إلّا بالاختبار بما لا يعلم المميّز به، أو بما يعلم، وفيه شدّة وصعوبة تحمّل. ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾[٢] مِن أُمة موسىٰ وغيرها من الأُمم، فما يقع هناك يقع هنا، بل فتنة هؤلاء أولىٰ وأشد؛ لأنهم أفضل الأمم، ومكلّفون بالإقرار [بأفضل][٣] الأنبياء والأوصياء، وبوجوب متابعتهم والتسليم لهم في جميع الحالات والمقالات، وبهم ختمت النبوات والشرائع، ومعرفتهم زيادة علىٰ ما سبق، ولقوة جانب العقل.

والعلم في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ﴾[٤]، بمعنىٰ التمييز والإظهار لخلقه، وإظهار لسان حقائقهم، لا ليستفيد الله منه علماً؛ لتعاليه، ولهذا قال أخيراً: ﴿ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾[٥]، ولو كان كذلك لم يكن غنياً.

وروىٰ محمد بن يعقوب في الكافي: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في خطبة ... إلىٰ أن قال: (ولكنّ الله عزّ وجلّ يختبر عبيده بأنواع الشدائد، ويتعبدهم بألوان المَجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره؛ إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلل في أنفسهم، وليجعل ذلك أبواباً فُتّحاً إلىٰ فضله، وأسبابا ذللاً لعفوه، وفتنته، كما قال: ﴿ ألم * احَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ ﴾[٦])[٧].

ورورىٰ محمد بن العباس، مسنداً عن الحسين بن علي، عن أبيه، قال: (لمّا نزلت: ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾، قال: قلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة؟ قال: يا علي، إنك مبتلىً بك، وإنك مخاصم، فأعد للخصومة)[٨].

وفي قوله عليه السلام: (إنّ هذا الأمر) - وهو ظهور الصاحب عليه السلام - (لا يأتيكم إلّا بعد إياس) [إشارة] إلىٰ أنّ مدة الغيبة طويلة، ولما يقع فيها أيضاً من تظاهر الفتن وأهل الضلال،

---

(١) «العنكبوت» الآية: ١ - ٢.
(٢) «العنكبوت» الآية: ٣.
(٣) في الأصل: «بالفضل».
(٤) «العنكبوت» الآية: ٣.
(٥) «العنكبوت» الآية: ٦.
(٦) «العنكبوت» الآية: ١ - ٣.
(٧) «الكافي» ج ٤، ص١٩٨، ٢٠٠، ح٢، صححناه علىٰ المصدر.
(٨) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٤١٩.

وانزواء أهل الحق وصبرهم على الضر، يوجب ذلك [لليأس][(١)] منها، بمعنىٰ شدة الضر من الغيبة، ويحسب ما يسمعون من الأفواه، وارتداد بعض بسببها، أو قول: أين ظهوره ومواعيدكم؟ لا أنّ المنتظِر له ييأس منه، فإنه لو أيس منه ونفىٰ ظهوره من طول الأمد والبلاء ارتد بذلك، بل كلما اشتد الأمر به اشتد رجاؤه وطلب الفرج بظهوره.

ولمّا كان في الغيبة الأسرار السابقة، واستخلاص طينة كلٍّ من الثانية، مع انجرار البحث فيها نهايةً إلىٰ مسألة القدر، ومن المتضح أنّ شرط الإخبار والتعليم القبول، وإذاعة الحكمة في غير أهلها ظلم [لها][(٢)] ومحرّم، فلذا كان شرط الإخبار بحال الغيبة الإقرار بالايمان، فمن أقرّ به اُخبر بها إجمالاً، ومن قبله زِيد.

وقوله ﷺ: (يشقّ الشعرة بشعرتين) كناية عن شدة ذكائه، ويعني: من شدة عظم الأمر وشدة وقوع الاختبار به والتمييز يقع به، ويرتد من يكون كذلك، فكيف غيره؟!

واشْمَأَزَّ من الأمر: «انقَبَضَ واقشعَرَّ، أو ذُعِرَ، والشيءَ: كَرِهَهُ»[(٣)].

وبِطانَة الرجل: صاحب سرّه وداخِلة أمره، الذي يشاوره في أحواله[(٤)].

والوَليجة: الدخيلة وخاصتك من الرجال، أو من تتخذه معتمداً عليه من غير أهلك[(٥)].

[وباقي][(٦)] أحاديث الباب ظاهر معنىً.

* * *

---

(١) في الأصل: «للناس».

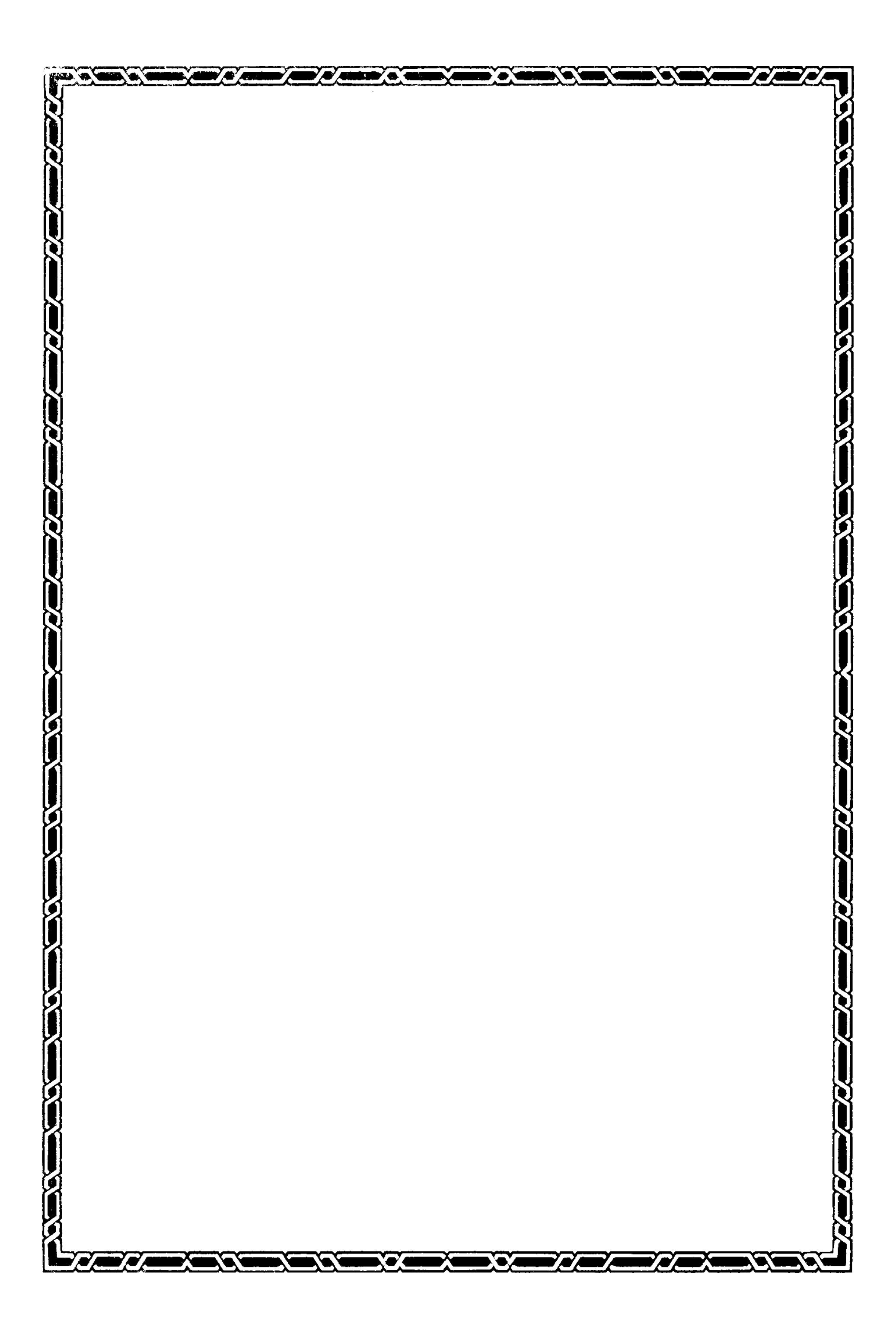
(٢) في الأصل: «بها».

(٣) «القاموس المحيط» ج ٢، ص ٢٥٦.

(٤) «لسان العرب» ج ١، ص ٤٣٤، مادة «بطن».

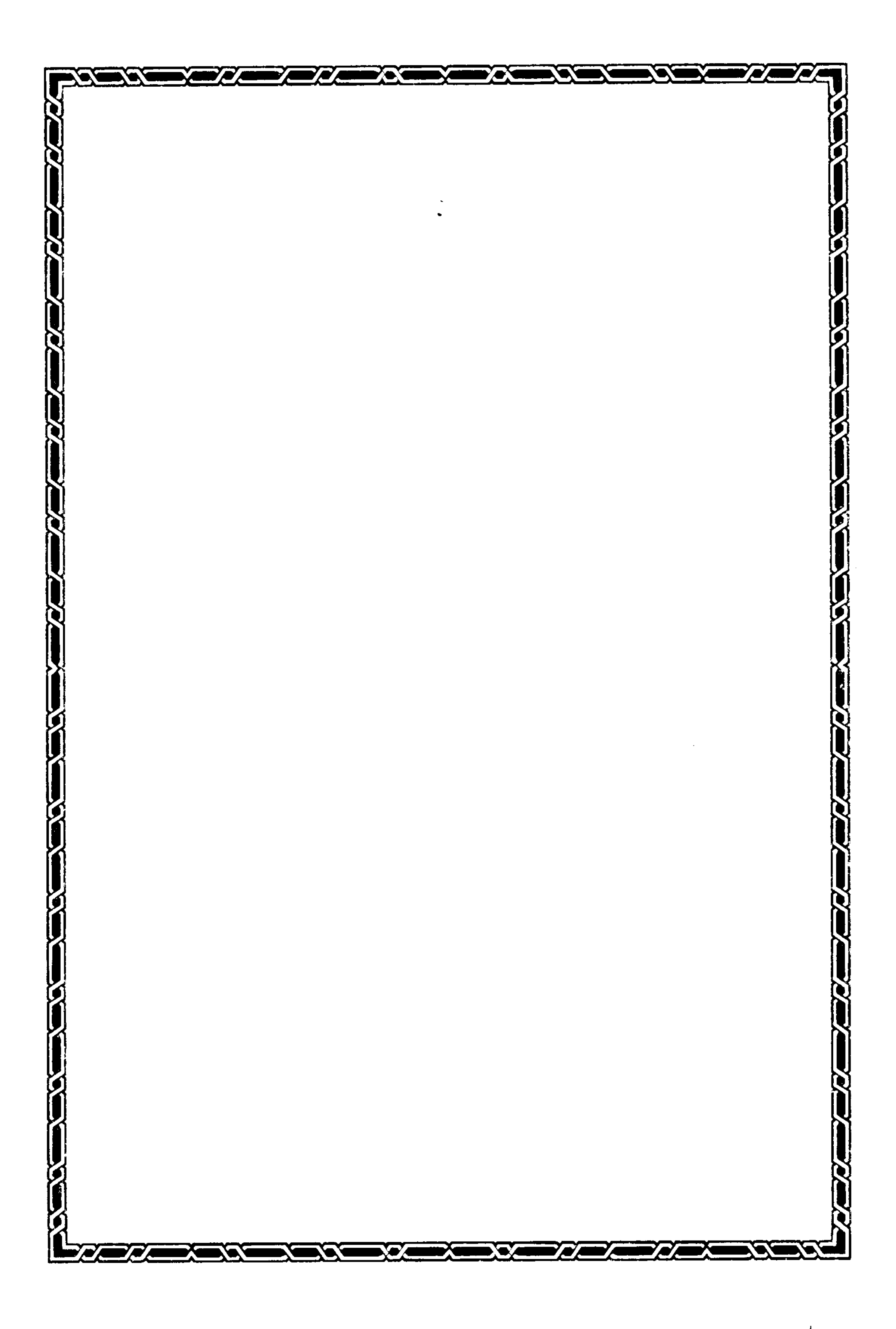
(٥) «القاموس المحيط» ج ١، ص ٤٣٣.

(٦) في الأصل: «فباقي».



الباب الرابع والثمانون

أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر



أضواء حول الباب

أقول: أحاديث الباب سبعة.

والمراد بـ«الأمر» هو ظهور الصاحب عجّل الله فرجه، ووجه ذلك ظاهر؛ لأن معرفة إمام الزمان واجبة عيناً، وبها يحصل السلامة، مع معرفة باقي الأُصول، فإذا عرفه سلم من الشرك وعذاب الخلد، فلو مات كذلك ولم يدركه لم يضرّه؛ لموته على الايمان، وقد يرجع، مع كونه له اتصال بالقرىٰ الظاهرة الآخذة عنهم، إن لم يكن منها، بخلاف ما لو أدركه بغير هذه الصفة، فإنه وبال عليه.

وأيضاً، إذا عرفه [و] استضاء بنوره، لم تلتبس عليه مدلهمة، ولم تأخذه شبهة، ويكون صابراً محتسباً، متحملاً للبلاء، فلا يضره تأخر أو تقدم، مع أنه في انتظار الفرج كل آن، ولعله يكون ممن يعود في دولته، ويسترّ بطلعته، وكم مَن أدرك آباءه وجدّه الكرام فكان عليهم وبالاً وعذاباً وعاراً.

وأيضاً، من قام بشروط الانتظار ورابط بنفسه في الجهة حسب طاقته، يوجب له ذلك ـ بحسن معرفته وسعة نفسه ـ أنه لا يضره ذلك، ومن لم يكن كذلك لا يحسن منه الاستعجال، فإنه من جهله، مع أنّ لكلّ أجل وقتاً وحدّاً، ولا يستعجل الله لعجلة خلقه، فإنه أعلم بالمصلحة والعاقبة، فلو كشف الغطاء لاختار المستعجل الواقع، ولرأىٰ استعجاله خطأً.

هذا، وفي الصبر وعدم الاستعجال وتحمل الضر ـ بعد المعرفة ـ من الفضل وعلو الدرجة ما لا يخفىٰ وجهه، عقلاً ونقلاً، كما مرّ.

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن زرارة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: اعرف إمامك، فإنّك إذا عرفته[1] لم يضرّك، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[2]، فقال: يا فضيل، اعرف إمامك، فإنّك إذا عرفت إمامك لم يضرّك، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، ومن عرف إمامه ثمّ مات قبل أن يقوم صاحب هذا الأمر كان بمنزلة مَن كان قاعداً في عسكره، لا، بل بمنزلة من قعد تحت لوائه.

قال: وقال بعض أصحابه: بمنزلة من استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، متىٰ الفرج؟ فقال: يا أبا بصير، وأنت ممن يريد الدنيا؟! من عرف هذا الأمر فقد فُرّج عنه؛ لانتظاره ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن إسماعيل بن محمد الخزاعيّ، قال: سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام، وأنا أسمع، فقال: تراني أُدرك القائم عليه السلام؟ فقال: يا أبا بصير، ألست تعرف إمامك؟ فقال: إي والله، وأنت هو ـ وتناول يده ـ فقال: والله ما تبالي يا أبا بصير ألّا تكون محتبياً بسيفك في ظلّ رواق القائم صلوات الله عليه ﴾.

---

(١) في المصدر: «عرفت».

(٢) «الإسراء» الآية: ٧١.

الحديث رقم ﴿٥﴾

قوله: «عن فضيل بن يسار، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهليّة، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضرّه، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه».

الحديث رقم ﴿٦﴾

قوله: «عن عليّ بن هاشم، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ما ضرّ من مات منتظراً لأمرنا ألّا يموت في وسط فسطاط المهدي وعسكره».

الحديث رقم ﴿٧﴾

قوله: «عن عمر بن أبان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اعـرف العلامة، فإذا عرفته لم يضرّك، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، إنّ الله عزَّ وجلّ يقول: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾، فمن عرف إمامه كان كمن كان في فسطاط المنتظر عليه السلام».

أقول: لقد أوضح الإمامُ المقصودَ من عدم التضرر لمن عرف الإمام وعلامات الإمامة بحسب الشخص، وعلامات الظهور أيضاً، فسواء تقدم الظهور أو تأخر.

بيانه: أنّ غير العارف [بالإمام][1] والمعتقد له لا نفع له في الفرج، بل عليه، وهذا مفروغ منه ظاهراً. والعارف به، المسلّم لأمره، المنتظر لدولته، إمّا أن يكون استعجاله لتحصيل الفرج الأُخروي والسلامة فيها، وهذا حاصل له بمعرفته به وتسليمه لأمره، فيكون معه وفي دولته وتحت لوائه، وقد يكون ممن يحشر معه لو مات قبل. علىٰ أنه إن كان للآخرة فمنه التسليم لهم دنياً، وقد أمروا به بالنسبة لهذا الأمر وغيره.

وأيضاً، قد قال الله تعالىٰ في أحوال يوم القيامة: ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾، فمن عرفه وأقرّ به مدعو به غداً، فهو معه وتحت ظل لوائه، فلا شيء يفوته. علىٰ أنّ الإمام قد

(١) في الأصل: «بالاعوام».

أخبر أن من مات كذلك فهو كمن في فسطاطه ويفرّج عنه، ولهذا قال الإمام لأبي بصير: (من عرف هذا الأمر فقد فرّج عنه؛ لانتظاره).

فإن كان لما يلحق من التعب، فمع أنّ فيه جزيل الثواب وعظم الصبر علىٰ جليل المصاب، وبعد ظهوره فيه أيضاً شدة الجهاد وهجر الوطن والأولاد.

وإن كان الاستعجال لفوات مسألة أو طريق هدىً فطريقه واضح لاخفاء فيه، ونور هداه منصرح لقاصديه، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا ﴾[1]، وهم السبل، ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[2]، إلىٰ غير ذلك، وقد مرّ في غير جزء مبيّناً عقلاً ونقلاً.

وإن كان استعجال العارف لأجل الظفر الدنيوي ورغدتها ـ فمع أنه لا يحسن ذلك، وهذا طلب لغير وجهه تعالىٰ، وهو مذموم، ولهذا قال الإمام لأبي بصير: (وأنت ممن يريد الدنيا؟) ـ هو أمر سهل، لا يستحق الحزن عليه وتحمل الهمّ، مع حصول الفرج الأُخروي؛ من حيث المعرفة به والتصديق له وانتظاره.

إشكال وردّ

ولا يرد: كيف يساوي الإمام بين غير المجاهد ـ وهو العارف المنتظر ـ مع المجاهد مع القائم، حيث قال: (كمن كان في فسطاطه)[3] أو (كمن استشهد)[4]، والله قد فضّل المجاهد علىٰ القاعد؟

لأن ذلك مع القدرة في الجملة، وليس المنتظر بمتمكن، بل معذور، فله ثواب مثل ذلك، وقامت نيّته وانتظاره له ـ وربط نفسه علىٰ الجهاد معه والخروج متىٰ ظهر ـ مقام العمل، واستحق ثوابه. علىٰ أنه يجوز أن يكون ممن يحشر معه، فيحوز الفضيلتين.

وأيضاً، هو زمن الانتظار وعدم تقوي القوىٰ لوقت ظهوره في جهاد؛ بسبب البيان، ومرابطة النفس علىٰ تحمل الضر، واستنقاذ الجهّال من شرك شبههم، أو رجوعه إلىٰ ركن وثيق إذا سمعها، فهو من المجاهدين في وقته، فاستحق ذلك، وكان كمن [كان] في فسطاطه، وهذا ظاهر.

---

(١) «العنكبوت» الآية: ٦٩. (٢) «الرعد» الآية: ٧.

(٣) يعني قوله عليه السلام في ح ٥: (كان كمن هو مع القائم في فسطاطه)، وقوله في ح ٧: (كان كمن كان في فسطاط المنتظر عليه السلام).

(٤) يعني قوله الإمام عليه السلام في ح ٢ ـ علىٰ لسان بعض أصحابه ـ: (بمنزلة من استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله).

ثمّ لا يقال: إنّ في الحديث الأوّل نفىٰ الإمام الضرر ـ حال تقدم هذا الأمر وتأخره ـ عن العارف بالإمامة، والضرر إنما يتصور مع التأخر لا التقدم، فإن فيه الفرج.

فنقول: يتصور فيهما بوجه؛ فإن غير العارف إن تقدّم تسارع إليه الضرر والعذاب، وإن تأخر ازداد عذابه وغوايته، والعارف لا يضره ذلك، فإنه سالم. أو المراد: لا يضرك شيء في الحالتين، فإن في أول ظهور القائم شدة جهاد، ويبعث معه بعض، فالمراد دفع الضرر مطلقاً.

قال الفاضل الشارح محمد صالح: «قوله: (فإنك إذا عرفته لم يضرّك، تقدم هذا الأمر أو تأخر)، الجملة فاعل باعتبار مضمونها، أو بتقدير (أن)، والمقصود الحكم بالمساواة بين الأمرين. فلا يرد: أن الضرر لا يتصور في صورة التقدم، أو ذكر التقدم تبعاً أو استطراداً»[١] انتهىٰ.

و(العلامة) في آخر [حديث][٢] احتُمل ما مرّ، وأن يكون الإمام، ولا ينافي فيهما تلاوة.

وورد عنهم عليهم السلام في: ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[٣]، أنّ العلامات: الأئمة، والنجم: رسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

وفي الوافي: «أنَّ في نسخة الشهيد الثاني زين الدين العاملي: (اعرف الغلام) ـ بالغين المعجمة ـ يعني المهدي عليه السلام، فإنه قد مضىٰ ذكره بهذا العنوان. والفسطاط: الخيمة.

وفي بعض النسخ: (المهدي) بدل: (المنتظر)، وفي بعضها: (فسطاطه) بالإضمار»[٥].

والاحتباء ـ بالمهملة ـ: الاشتمال، واحتبىٰ الرجلُ: إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته، وقد يحتبي بيديه[٦].

* * *

(١) «شرح المازندراني» ج٦، ص٣٢٣، صححناه علىٰ المصدر.

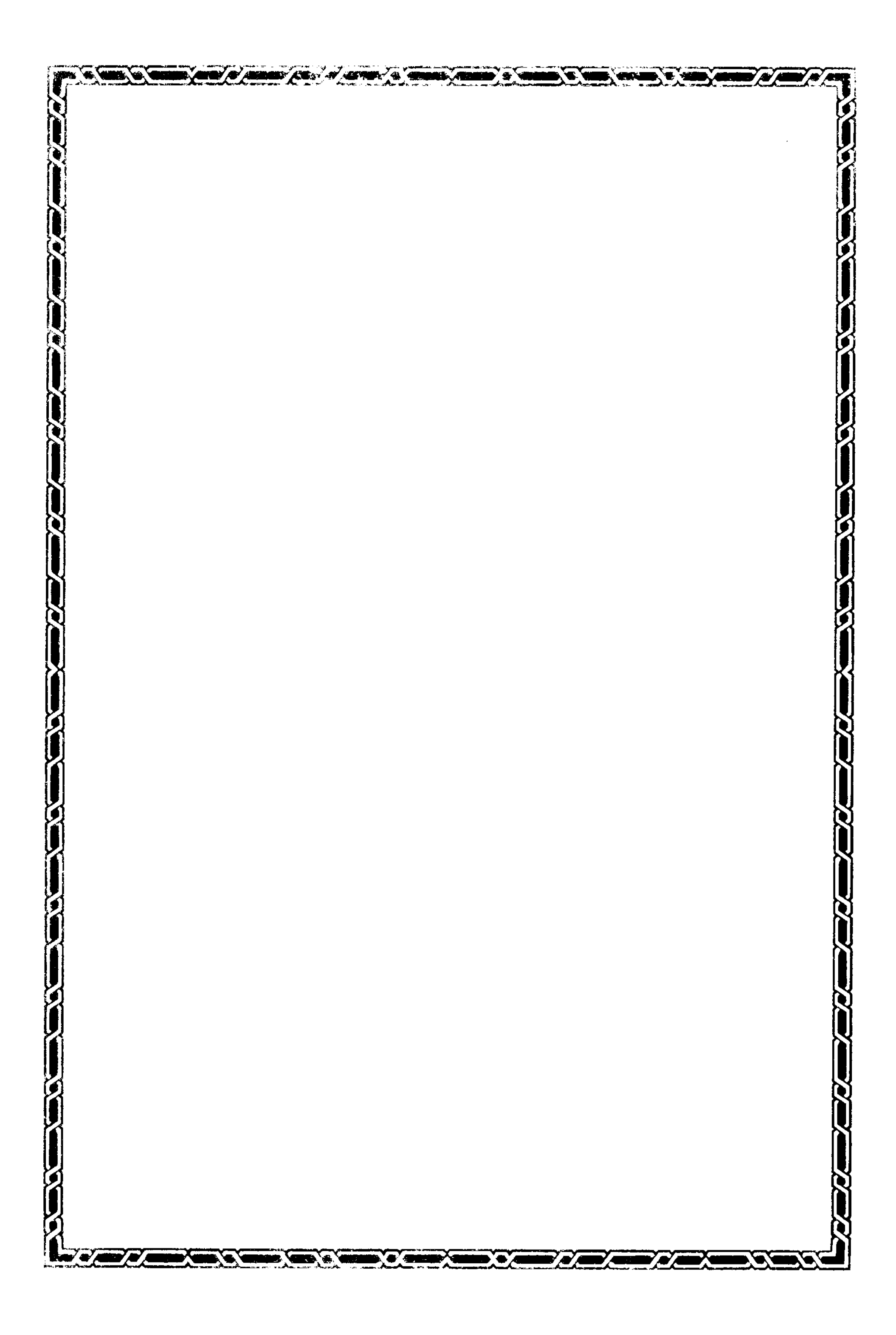
(٢) في الأصل: «الحديث».

(٣) «النحل» الآية: ١٦.

(٤) «الكافي» ج١، ص٢٠٦، باب أن الأئمة عليهم السلام هم العلامات ... .

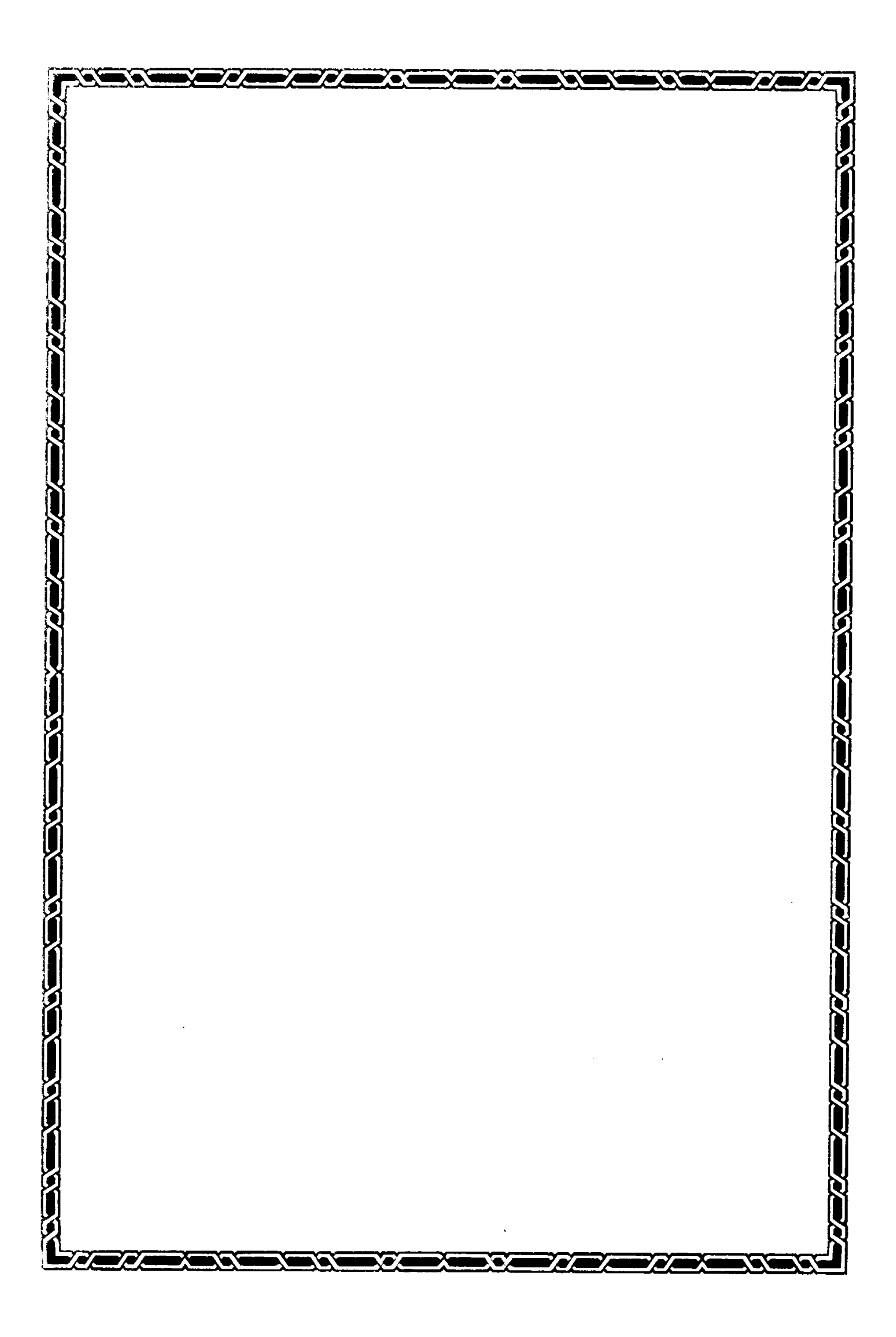
(٥) «الوافي» المجلد ٢، ص٤٣٦.

(٦) انظر: «لسان العرب» ج٣، ص٣٦، مادة «حبا».



الباب الخامس والثمانون

من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ومن جحد الأئمة أو بعضهم ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب اثنا عشر، وما تضمنه ظاهر وجهه عقلاً ونقلاً، وفي الأبواب السابقة دليل عليه أيضاً، وهو في كتب الحديث متواتر، وفي القرآن أيضاً، غير ما ستسمع من الآي.

فمن كان كذلك فهو ضال مضل، [كجعله واسطة بينه وجعل غيره له]، ودعواه ثبات سببه، وافترائه على الله أعظم افتراء، وزعمه أنه ينطق عن الله، وهو ينطق عن الشيطان، لا يسمع ولا يبصر ولا يملك دفعاً ولا طلباً، بل يعبد من دون الله.

وأيضاً، من كان كذلك - أو أقيم وليس هو كذلك - منكر لله ورادّ عليه وإن قال بلسانه خلاف ذلك؛ بدعواه على الله الكذب، وإنكاره صفات الإمامة والنبوة، وإثباته الإهمال والخلل في صنع الله وشرائعه وأحكامه، فكيف يصحّ له دعوىٰ أنه إمام من الله، أو يُجعل واسطة [يُقتدىٰ][1] به في الكل والجزء، دنياً وديناً، ويدعىٰ باسمه غداً، وإليه مردّه.

وكما أنّ من جحد الإمامة ونفىٰ صفاتها فقد جحد النبوة وجحد الله؛ لأنه منكر لهما، كما هو لازم من هذا الجحود، إذ لا يعرفه بل لا يمكن، فكذا من جحد واحداً منهم، ومن جحد باقي الأئمة، وجحد النبي والله تعالىٰ؛ لنص الله ورسوله علىٰ الأئمة جملة وتفصيلاً،

---

(١) في الأصل: «تقتدي».

وظهور كل إمام بالدعوىٰ، مع بيّنة منه شاهدة علىٰ صدقه، كما ظهرت من آبائه والرسول وسائر أنبياء الله. فإن كان كاذباً فكذا باقي أنبياء الله تعالىٰ، وإن كانوا صادقين فهو صادق، إلىٰ غير هذه البراهين التي يضيق النطاق عن إثباتها.

أمّا العامة فقد وقعوا في جميع ذلك، وكفرهم أشد من؛ لجعلهم الخلافة باختيار الناس، وعدم اشتراط العصمة، وجوّزوا عليه المراجعة والخطأ والاستعانة بالأُمة، بل من نصبوه وقع منهم ذلك وزيادة باعترافهم، وقد مرّ بيان بعض ذلك متفرقاً في الجزء السابق وغيره، وله مصنفات للإمامية مفردات، شكر الله جهادهم وعظّم ثوابهم.

هذا، والقرآن يناديهم ـ لو عقلوا ـ يقول: ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إلىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾[1]، ﴿ وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ﴾ الآيــة[2]، ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إلىٰ الحَقِّ ﴾ الآية[3]، ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ الآية[4]، ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ﴾ الآية[5]، ﴿ إنّي جاعِلٌ في الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآيـة[6]، ﴿ وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بأَمْرِنا ﴾ الآيـة[7]، إلىٰ غير ذلك. وقد مرّ بيان الاستدلال بهذه الآي وغيرها متفرقاً في الأجزاء السابقة.

وروىٰ الصفار في البصائر، مسنداً عن محمد بن منصور، قال: سألته عن قول الله تعالىٰ: ﴿ وَإذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا ﴾ إلىٰ ﴿ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾[8]... الحديث[9]، كما سيأتي في أحاديث الباب[10].

وروىٰ العياشي، مسنداً عن محمد بن منصور، عن عبدٍ صالح عليه السلام، قال: سألته عن قول الله تعالىٰ: ﴿ وإذا فَعَلُوا فاحِشَةً ﴾ الآية، مثله[11] بتفاوت ما.

وفي العياشي[12] والبصائر[13] وغيرهما أيضاً تفسير في آيات الباب كما في الكافي.

---

(١) «هود» الآية: ١١٣.
(٢) «الأنعام» الآية: ١٥٣.
(٣) «يونس» الآية: ٣٥.
(٤) «التوبة» الآية: ١١٩.
(٥) «القصص» الآية: ٦٨.
(٦) «البقرة» الآية: ٣٠.
(٧) «الأنبياء» الآية: ٧٣.
(٨) «الأعراف» الآية: ٢٨.
(٩) «بصائر الدرجات» ص ٣٤، ح ٤.
(١٠) انظر: الحديث رقم: ٩.
(١١) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ١٥، ح ١٥.
(١٢) «تفسير العياشي» ج ١، ص ٩١، ح ١٤٣؛ ج ٢، ص ٢٠، ح ٣٦.
(١٣) «بصائر الدرجات» ص ٣٣، ح ٢.

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن سَوْرَة بن كُلَيب، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وَجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ ﴾[1]، قال: من قال: إنّي إمام وليس بإمام. [قال:] قلت: وإن كان علوياً؟ قال: وإن كان علوياً. قلت: وإن كان من ولد عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: وإن كان﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن الفضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن الحسين بن المختار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ ﴾؟ قال: كلّ من زعم أنّه إمام وليس بإمام، قلت: وإن كان فاطمياً علوياً؟ قال: وإن كان فاطمياً علوياً﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من ادعى إمامةً من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً﴾.

---

(١) «الزمر» الآية: ٦٠.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿عن الوليد بن صبيح، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ هذا الأمر لا يدّعيه غير صاحبه إلّا تبر الله عمره﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦ ﴾

قوله: ﴿عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من أشرك مع إمام إمامته من عند الله مَن ليست إمامته من الله، كان مشركاً بالله﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٧ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن مسلم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل قال لي: اعرف الآخر من الأئمة ولا يضرُّك أن لا تعرف الأول، قال: فقال: لعن الله هذا، فإنّي أبغضه ولا أعرفه، وهل عُرف الآخر إلّا بالأول؟﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٨ ﴾

قوله: ﴿عن ابن مسكان، قال: سألت الشيخ عن الأئمة عليهم السلام، قال: من أنكر واحداً من الأحياء فقد أنكر الأموات﴾.

أقول: أما كون من ادعىٰ الإمامة وليس بإمام كافراً ومشركاً بالله؛ لتبعه هواه وسبيل الشيطان، فهو جبت وطاغوت يُعبد من دون الله، ومفترٍ علىٰ الله افتراء ليس فوقه افتراء، فوجهه مسودّ غداً سواداً لا يرجىٰ زواله، فظاهر. وكذا من نصب إماماً كذلك وتبعه، بخلاف مطلق الكذب بغير داعٍ يجوّزه، وحينئذ إمّا يخرج عن الصفة، أو من باب ارتكاب أقل القبيحين، فإنّ مرتكبه يُصفّىٰ منه؛ لصحة اعتقاده وتحفظه ببعض الأعمال الصالحة.

والمراد بالضمير في (لهما ... نصيباً) الأُول والثاني، وغير خفي انسلاخهما حتىٰ من ظاهر الإسلام وإن أقرّا بلفظ: الله، ومحمد رسوله، فإنما هو ظاهر خاصة، ودأبهما في تحريف الشريعة وردّهما الناس علىٰ أعقابهم القهقرىٰ. وبما قررناه سابقاً في مثل هذه المسائل نكتفي به عن البسط، هذا علىٰ أنه ظاهر المنار.

ولمّا كان الإقرار بواحد لا يصح إلّا بالباقي؛ للنص، ووجوب تصديق كلٍّ فيما يقول، لا

يكفي الايمان ببعض دون آخر، فلا الايمان بالسابق مع إنكار اللاحق بكافٍ في الايمان، ولا بالعكس، بل كلا الصنفين كفّار، ليسا على شيء، ولا على استقامة على السبيل، ولهذا تبرأ الإمام من الرجل ولعنه.

والمراد بـ (الشيخ) في الحديث الأخير: موسى الكاظم عليه السلام، والتستر أوجب التعبير بمثل هذه العبارة.

❑ الحديث رقم ﴿٩﴾

قوله: ﴿عن محمد بن منصور، قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وإذا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا واللهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إنَّ اللهَ لاَ يأمُرُ بالفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، قال: فقال: هل رأيت أحداً زعم أنّ الله أمر بالزنا وشرب الخمر أو شيء من هذه المحارم؟ فقلت: لا، فقال: ما هذه الفاحشة الّتي يدّعون أنّ الله أمرهم بها؟ قلت: الله أعلم ووليّه، قال: فإنّ هذا في أئمّة الجور، ادّعوا أنّ الله أمرهم بالائتمام بقوم لم يأمرهم الله بالائتمام بهم، فردّ الله ذلك عليهم، فأخبر أنّهم قد قالوا عليه الكذب، وسمّى ذلك منهم فاحشة﴾.

❑ الحديث رقم ﴿١٠﴾

قوله: ﴿عن محمد بن منصور، قال: سألت عبداً صالحاً عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلْ إنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الفَواحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْها وَمَا بَطَنَ ﴾[2] قال: [فقال:] إنّ القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرّم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمّة الجور، وجميع ما أحلّ الله تعالىٰ في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمّة الحق﴾.

---

(١) «الأعراف» الآية: ٢٨.

(٢) «الأعراف» الآية: ٣٣.

❑ الحديث رقم ﴿١١﴾

قوله: «عن جابر، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أنداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ ﴾[١]، قال: هم والله أولياء فلان وفلان، اتّخذوهم أئمة دون الإمام الّذي جعله الله للناس إماماً، فلذلك قال: ﴿ وَلَوْ يَرَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا إذ يَرَوْنَ العَذابَ أنَّ القُوَّةَ للهِ جَمِيعاً وأنَّ اللهَ شَدِيدُ العَذابِ * إذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا العَذابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأسْبابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبرَّؤُوا مِنّا كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾[٢].
ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: هم والله يا جابر أئمة الظلمة وأشياعهم».

❑ الحديث رقم ﴿١٢﴾

قوله: «عن ابن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذابٌ أليمٌ: من ادّعىٰ إمامةً من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيباً».

أقول: اعلم ـ وفقنا الله وإياك لحسن التفكر والتدبر ـ أنّ القرآن له ظاهر وباطن، وحدّ ومطلع[٣]، وتأويل وتنزيل، وقد روي عن الفريقين أيضاً.

وروي في البصائر[٤] والمحاسن وغيرهما[٥] أنّ المراد بجميع المحرمات في ظاهر القرآنِ الظاهرُ، وهذا ظاهر، وفي الباطن أعداؤهم وأئمة الجور، وبجميع المحاسن وما أمر الله به ظاهر التكاليف، وباطناً أئمة الحق.

---

(١) «البقرة» الآية: ١٦٥. (٢) «البقرة» الآية: ١٦٥ – ١٦٧.
(٣) «إحياء علوم الدين» ج١، ص٩٩، ٢٨٩؛ «التفسير الصافي» ج١، ص٥٩.
(٤) «بصائر الدرجات» ص٣٣، ح٢. (٥) «تفسير العياشي» ج٢، ص٢٠، ح٣٦.

ولا تنافي بين التفسيرين؛ فالقرآن بحسب الباطن فيهم وفي أعدائهم، ولا يجوز إرادة أحدهما وإحالة الآخر، إذ التكاليف مثلاً صفة، سواء كانت فعلاً أو تركاً، فتحتاج إلىٰ موصوف ومبيّن، فلا يمكن معرفتها ولا القيام بوظائفها بدون معرفته والتسليم له، فهو أصل كل خير ومنشؤه، وأفعال الخير فرعه وطريق هدايته، والاستنان بسنّته، وكذا لا يكفي معرفته بدون معرفتها والقيام بها، كيف وهي صفته؟ وكيف يعرف من لا يطاع ولا يمتثل بيانه، أو يعرف الموصوف بدون الصفة؟ إلىٰ غير ذلك.

ولا يصحّ إرادة أئمة الحق والجور من جميع مثل الفاحشة والزنا والعدل والإحسان وغير ذلك، ليس إلّا، وإلّا لزم بطلان الشرائع، وكون الصفة ذاتاً، ومعرفة الذات بغير الآثار الدالة منها والصفات، إلىٰ غير ذلك، وكلّه محال.

فمن قصر المحاسن والمآثم علىٰ معرفة الأشخاص، وجعلها هم ليس إلّا، واكتفىٰ بالباطن، وكذب بالظاهر أو بالعكس، فقد ضلّ وكفر.

وفي بصائر الأشعري، عن الصادق عليه السلام: (إنّ قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن، فلم ينفعهم إيمانهم)[1].

ولا ظاهر إلّا بباطن، ولا باطن إلّا بظاهر، مثلاً: لما أمر الله تعالىٰ بالعدل والإحسان بقوله: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي القُرْبىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشاءِ وَالمُنْكَرِ ﴾[2]، وغير خفي دخول معرفة مبيّن العدل فيه وأنه العدل، وكذا في الفحشاء والمنكر، فيقتدىٰ به، كيف وقد أوجب طاعة أُولي الأمر الهادين بأمره، الموحىٰ لهم، الداعين إلىٰ سبيله، وحذّر عن أئمة الجور الداعين إلىٰ النار، المخذولين دنياً وفي دار البوار؟ فاللعن تابع لهم ولأتباعهم دنياً وعقبىٰ.

وهذه الجملة كافية لذي الأفئدة في تحقق هذه المسألة، ودفع ما شكك به ممن مال عن الاستقامة فيها، إفراطاً أو تفريطاً. وإذا عرفت ذلك ظهر لك أمرهم من القرآن زيادة، وتنكبت الفتن.

ولننقل بعض الروايات كما في المتن - وإن كانت كالشمس ظهوراً، وأظهر -:

منها: ما رواه الشيخ بإسناده عن داود بن كثير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة

---

(١) «مختصر بصائر الدرجات» ص٧٨، بتفاوت يسير.

(٢) «النحل» الآية: ٩٠.

في كتاب الله عزّ وجلّ، وأنتم الزكاة، وأنتم الصيام وأنتم الحج؟ فقال: (يا داود، نحن الصلاة في كتاب الله عزّ وجلّ، ونحن الزكاة، ونحن الصيام، ونحن الحج، ونحن الشهر الحرام، ونحن البلد الحرام، ونحن كعبة الله، ونحن قبلة الله، ونحن وجه الله، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[1]، ونحن الآيات، ونحن البيّنات. وعدوّنا في كتاب الله: الفحشاء والمنكر والبغي، والخمر والميسر، والأنصاب والأزلام، والأصنام والأوثان، والجبت والطّاغوت، والميتة والدم ولحم الخنزير.

يا داود، إنّ الله خلقنا فأكرم خلقنا وفضّلنا، وجعلنا أمناءه وحفظته وخزّانه علىٰ ما في السماوات وما في الأرض، وجعل لنا أضداداً وأعداءً، فسمّانا في كتابه، وكنّىٰ عن أسمائنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه تكنية عن العدوّ، وسمّىٰ أضدادنا وأعداءنا في كتابه، وكنّىٰ عن أسمائهم، وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلىٰ عباده المتقين)[2].

وروىٰ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (نحن أصل كلّ خير، ومن فروعنا كل برّ، ومن البرّ التوحيد، والصلاة والصيام، وكظم الغيظ، والعفو عن المسيء، ورحمة الفقير، وتعاهد الجار، والإقرار بالفضل لأهله. وعدوّنا أصل كل شر، ومن فروعهم كل قبيح وفاحشة، فمنهم الكذب والنميمة، والبخل والقطيعة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم بغير حق، وتعدي الحدود التي أمر الله عزّ وجلّ، وركوب الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من الزنا والسرقة، وكل ما وافق ذلك من القبيح. وكذب من قال: إنه معنا، وهو متعلق بفرع غيرنا)[3].

وروىٰ سعد بن عبد الله في البصائر، بسنده عن حفص المؤذن، قال: كتب أبو عبد الله عليه السلام إلىٰ أبي الخطاب: (بلغني أنك تزعم أنّ الخمر رجل، وأنّ الزنا رجل، وأنّ الصلاة رجل، وأنّ الصوم رجل، وليس كما تقول، نحن أصل الخير، وفروعه طاعة الله، وعدونا أصل الشر، وفروعه معصية الله). ثمّ كتب: (كيف يطاع من لا يُعرف، وكيف يعرف من لا يطاع؟)[4].

واستمع الملخّص: جاء في البصائر، عن المفضّل بن عمر، عن الصادق عليه السلام، مكاتبة،

---

(١) «البقرة» الآية: ١١٥.

(٢) لم نعثر عليه في كتب الشيخ. انظر: «تأويل الآيات الظاهرة» ص٢١، عنه، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) انظر: «تأويل الآيات الظاهرة» ص٢٢، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «مختصر بصائر الدرجات» ص٧٨، صححناه علىٰ المصدر.

قال: (كتبتَ تذكر أنّ قوماً تزعم أنّ الدين معرفة رجال، فإذا عرفتهم فاعمل ما شئت، فكل فريضة افترضها الله رجل، إذا عرفته سقطتْ، وكفىٰ علمه من غير عمل. ويزعمون أنّ لهذا ظهراً وبطناً، فالظاهر ما يتناهون عنه، يأخذون به مدافعة عنهم، والباطن هو الذي يطلبون ويه أمروا بزعمهم.

أخبرك أنّ من هذه صفته فهو مشرك شركاً بيّناً، وهؤلاء قوم سمعوا ما لم يعقلوه عن أهله، ولم يعطوا فهمَ ذلك، فوضعوا حدود تلك الأشياء مقايسة بهواهم، لا كما أمروا وحُدّت لهم، فضلّوا وأضلّوا.

وحقيقة الأمر أنّ الله اختار الإسلام لنفسه ديناً، وبه بعث الرسل، فلا يقبل من أحد إلّا به، وأحلّ حلالاً وحرّم حراماً ليوم القيامة، فمعرفة الرسل وطاعتهم هي الحلال، فالمحلّل ما أحلّوه، والمحرّم ما حرّموه، ومنهم الفروع الحلال، وذلك سعيهم، ومن فروعهم أمرهم الحلال، من الصلاة وغيرها. قال تعالىٰ: ﴿ إنَّ اللهَ يَأمُر بالعَدْلِ ﴾ إلىٰ ﴿ تَذَكَّرُون ﴾[1].

فعدوّهم الحرام المحرّم، وأولياؤهم الداخلون في أمرهم إلىٰ يوم القيامة، فهم الفواحش، ما ظهر منها ومابطن، ومنهم فروع الشر كالزنا وشرب الخمر وغير ذلك.

فلو قلت لك: الخمر رجل، وأنا أعلم أنّ الله حرّم هذا الأصل وفرعه، ونهىٰ عنه، وجعل ولايته كمن أقام وثناً من دون الله، صدقت.

ثمّ إنّ أصل الدين رجل، هو اليقين وهو الإيمان، وهو إمام أُمته وأهل زمانه، فمن عرفه عرف الله، ومن أنكره أنكر الله. هذا معنىٰ أنّ معرفة الرجال دين الله.

فلو قلت: الصلاة ـ مثلاً ـ وكل فريضة كان ذلك هو النبي، صدقت؛ إذ لا يعرف إلّا به، والإيمان به، والتسليم له، وهو دعاني إليه ودلّني عليه، ولا يسعني جهله، لأنه بيني وبين الله، وكيف لا يكون ذلك معرفة الرجل وهو الذي جاء به عن الله ؟

فمن قال: إنّ الفريضة رجل، وهو يعرف حدّ ما يتكلّم به، فقد صدق، ومن قال علىٰ الصّفة التي ذكرتَ بغير الطاعة، فلا يغني التمسك بالأصل دون الفروع، كما لا تغني شهادة أن لا إله إلّا الله بترك شهادة أن محمداً رسول الله، ولم يبعث الله نبياً إلّا بالبر ومحاسن الأخلاق والأعمال، والنهي عن الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، فالباطن منه ولاية أهل الباطل، والظاهر منه فروعهم.

---

(١) «النحل» الآية: ٩٠.

ولم يبعث الله نبياً يدعو إلىٰ معرفة ليس معها طاعة في أمر ونهي، فإنما يقبل الله من العباد ما افترض عليهم، مع معرفة من جاءهم من عنده ودعاهم إليه، فأول ذلك معرفة من دعا إليه، ثمّ طاعته فيما يقرّ به من الطاعة له، فمن عرف أطاع، ومن أطاع حرّم الحرام ظاهره وباطنه.

ولا يصح تحريم الباطن واستحلال الظاهر، وإنما حرّم الباطن بالظاهر، والظاهر بالباطن، معاً جميعاً، ولا يكون الباطن حراماً والظاهر حلالاً. وكذا لا يستقيم مثلاً أن يعرف صلاة الباطن ولا يعرف صلاة الظاهر مع ترك معرفة الباطن.

فمن زعم أنّ ذلك إنما هي المعرفة ليس إلّا، فقد كذب وأشرك ولم يعرف ويطع)... الخبر[١].

وممن يقول بذلك الخطابية[٢] من العامة، وقريب منهم الإباحية[٣] وأهل التصوف.

والحاصل أنه قد انصرح لك ما في رواية محمد بن منصور[٤]، وأمثالها، مما نقلناه وسيأتي أيضاً، من غير أن يكون فيه إبطال الظاهر، بل تصحيح له، إذ لابد من دلالة علىٰ الذات، ومتابعة وظهور نور وضياء من حسن اليقين، فلا غنىً وكفاية بأحدهما عن الآخر، والروح بلا جسم لا ظهور لها وشعور وإشعار، كيف وهي بعد في هذه الدار؟! والجسم بلا روح موات لا حراك به، كسراب بالفلوات.

رَجْعٌ إلىٰ شرح الأحاديث

غير خفي أنّ العامة لمّا أقاموا خليفة من عندهم افتروا زيادة، وقالوا: قد أمرنا الله باتّباع ما عليه الآباء، وهذا منصوب لآبائنا، فنحن تبع لهم. وكذا كثير من الصدر الأول، أهل النفاق، تبع لدين الجاهلية، فهم وجدانيون، علىٰ طريق ضلال آبائهم يهرعون، وهذا أصل الفواحش.

وتعالىٰ الله أن يأمر بعمل الضلال والفحشاء، كما هو صريح العقل والنقل، بل حذّر كمال التحذير عنه، فكذا عن أهله، فلا يجوز تبع الآباء علىٰ ضلالهم، بل | يجب | النظر

(١) «بصائر الدرجات» ص٥٢٦، ح١؛ وعنه في: «بحار الأنوار» ج٢٤، ص٢٨٦، ح١، نقله بالمعنىٰ، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) انظر: «فرق الشيعة» ص٥٧.

(٣) انظر: «الفرق بين الفرق» ص٢٣٩.

(٤) يعني الحديثين: ٩، ١٠، من هذا الباب.

والمعرفة، وأمر بالقسط وإقامة الوجه مخلصاً له تعالىٰ عند كل مسجد[١].

وتسمية ما فعلوا فاحشة إمّا لكونها في نفس الأمر كذلك، وكذلك عند الإيضاح بواضح البرهان، بل تصريح لشأنهم، فإنهم يحكمون بقبح كثير ونقصه ولا يتركونه؛ تبعاً لآبائهم، وهذا ظاهر في أحوال الإمامة وغيرها.

قال الشارح محمد صالح في كلامه علىٰ الحديث [التاسع][٢]: «فيه مناقشة من وجهين:

أحدهما: أنّ هذا دال علىٰ أنّ أحداً لم يزعم أنّ الله أمر بالفحشاء، وقد مرّ في باب الجبر والقدر أنّ الأشاعرة[٣] -القائلين بأن أفعال العباد مخلوقة له تعالىٰ- قائلون بأن الله تعالىٰ أمر بالفحشاء.

وثانيهما: أنّ هذا دال علىٰ أنّ التابعين لأئمة الجور يقولون: إنّ الله أمر باتّباعهم، وأن النص دال علىٰ ذلك، وهذا خلاف المعروف عندهم من أنّ خلافة الثلاثة غير مستفادة من النص.

ويمكن دفع الأُولىٰ بأن الأشاعرة لم يقولوا صريحاً بأن الله يأمر بالفحشاء، وإنما يلزمهم ذلك بناءً علىٰ مذهبهم، فإن الأمر تابع للإرادة، وإرادة الفحشاء متحققة عندهم، فيلزمهم تحقق الأمر أيضاً، والفرق بين الأمرين واضح.

ويمكن دفع الثانية أيضاً بأنهم وإن لم يقولوا بأن ثبوت أصل الخلافة بالنص صريحاً، لكنهم قالوا بأنه تعالىٰ رضي بمتابعتهم، وأمر بها في ضمن القواعد الكلية، ومثل آية وجوب متابعة الإجماع وغيرها»[٤] انتهىٰ.

أقول: الذي عليه الأشاعرة -كما مرّ في موضعه- أنّ الله جبر العباد علىٰ المعاصي، ومعنىٰ الأمر الوارد في بعض أحاديث الباب -كما مرّ- هو الطاعة، إلّا إنه يتعلق بالمستحيل، وباتباع الآباء مطلقاً، لا أنّ الله أمر بالزنا مثلاً، بل يقولون: هو بمشيئة الله وإرادته وتقديره الحتمي، وإن لم يرض به ويعذّب عليه، ولا يُسأل عما يفعل، لا أنه أمر بها صريحاً، فليس فيمن يدعي الإسلام من يقول: إنّ الله أمر بالزنا. فالإشكال الأول مندفع عن

---

(١) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾. «الأعراف» الآية: ٢٩.

(٢) في الأصل: «الأول».

(٣) انظر: «شرح المواقف» ج٨، ص١٤٥؛ «شرح المقاصد» ج٤، ص٢٢٣.

(٤) «شرح المازندراني» ج٦، ص٣٢٨، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

الحديث، ولا حاجة إلا الاعتذار الأول.

وليس عندهم الأمر تابع للإرادة، بل قد يأمر شخصاً بما لا يريده منه حقاً، ومطلقاً جوّزوا تكليف ما لا يطاق[١]. وكذا افتراؤهم علىٰ الله بأنه أمر باتّباع من نصبوا من دون الله لا ينافي، لكن المعروف منهم من أنّ خلافة الثلاثة لا عن نص من الله ورسوله، فإنهم يقولون: لم يوصِ النبيّ، ولا أخبره الله، وتركنا واختيارنا، فكلّ ما نختاره راضٍ به الله، وقد صدق إجماعنا ببعض النصوص، وهو حاصل، هذا بزعم بعضهم فلا تنافي. وقد مرّ في غير موضع من الشرح إبطال شبههم.

وما تضمنه حديث جابر من كون إمام الجور معبوداً من دون الله، ومتخذه متخذاً لذلك وموجباً له؛ لكون حبّه كحب الله، وهو ليس كذلك، ظاهر وجهه نقلاً وعقلاً؛ لجعله واسطة، و (من أصغىٰ إلىٰ ناطق فقد عبده) ... الحديث[٢]. ولجعل الله طاعته طاعة رسوله وطاعته، وقوله تعالىٰ: ﴿ وأطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية[٣]، وكذا في الردّ[٤]، وكذا المبايعة، قال: ﴿ إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إنَّما يُبايِعُونَ اللهَ ﴾ الآية[٥]، وجعل متابعته محبّة الله وكاشفة، و ﴿ قُلْ إنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُوني ﴾ الآية[٦]، وغيرها كثير.

والند: مِثل المخالف له، وغير خفي أنّ إمام الجور يدعو إلىٰ سبيل الطاغوت وخلاف سبيل الله، كما وصف الله حاله في كتابه[٧] وعلىٰ لسان نبيه، فهو ندّ، بخلاف إمام الحق، وإنه بعكس ذلك، فأمره من الله، وكذا النهي، بل لا يسبقونه بالقول، ﴿ وَما تشاؤُون إلّا أن يَشاء اللهُ ﴾[٨]، فإرادتهم الاختيارية ـ اعتقاداً وفعلاً وقولاً ـ مطابقة لإرادة الله الخيرية الذاتية الثابتة، لا تخالفها بوجه أصلاً، فهي هي، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ أأنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوني وَأُمّيَ إلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾[٩]، فأتىٰ بقيد: ﴿ مِن دُونِ اللهِ ﴾، فالطلب منهم طلب من الله، إلىٰ غير ذلك. وقد مرّ بيان هذه الجملة في الجزء الثالث والخامس وغيرهما.

وملخص جميع ذلك: أنّ الولي خزانة الله، ومظهر أمره ومشيئته، وباب غيبه المطلق،

---

(١) انظر: «شرح المواقف» ج٨، ص٢٠٠؛ «شرح المقاصد» ج٤، ص٢٩٦.

(٢) «عيون أخبار الرضا» ج١، ص٣٠٤، ح٦٣.

(٣) «الأنفال» الآية: ١؛ «المجادلة» الآية: ١٣.

(٤) «النساء» الآية: ٥٩، ٨٣.

(٥) «الفتح» الآية: ١٠.

(٦) «آل عمران» الآية: ٣١.

(٧) «القصص» الآية: ٤١.

(٨) «الانسان» الآية: ٣٠.

(٩) «المائدة» الآية: ١١٦.

فمن كان جامعاً ومستحقاً لهذا المقام كان كما قلناه، وكان التوسل له و[طلبه][(١)] وغير ذلك طلب الله؛ لأنه أقامه مقامه في التبليغ في جميع العوالم، وهو مَثَله وآيته العظمىٰ، لكن إذا نظر له بهذه الجهة كالنظر لضوء القمر، [فإنه][(٢)] مضيء لكن من الشمس. وإذا لم يكن كذلك كان نِدّاً أو معبوداً من دونه. فالدعوة والتوسل لغيره كحال من يتقيد بصفة المظهر عن الظاهر، ويخرج للغلو فيهم.

وعدم [نظر][(٣)] الله [لمن][(٤)] أقام ولياً من دونه ـ أو ادعاها وليست له ـ كناية عن عدم [...][(٥)] ونجاته، متقطع أسبابه؛ لاجتثاثها ووقوع التزييل والتفرقة ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[(٦)] من الشرك بالله وإقامة من لم يجعله وليه مقامه، فهو وثن يُعبد من دون الله.

* * *

(١) في الأصل: «طلابه».

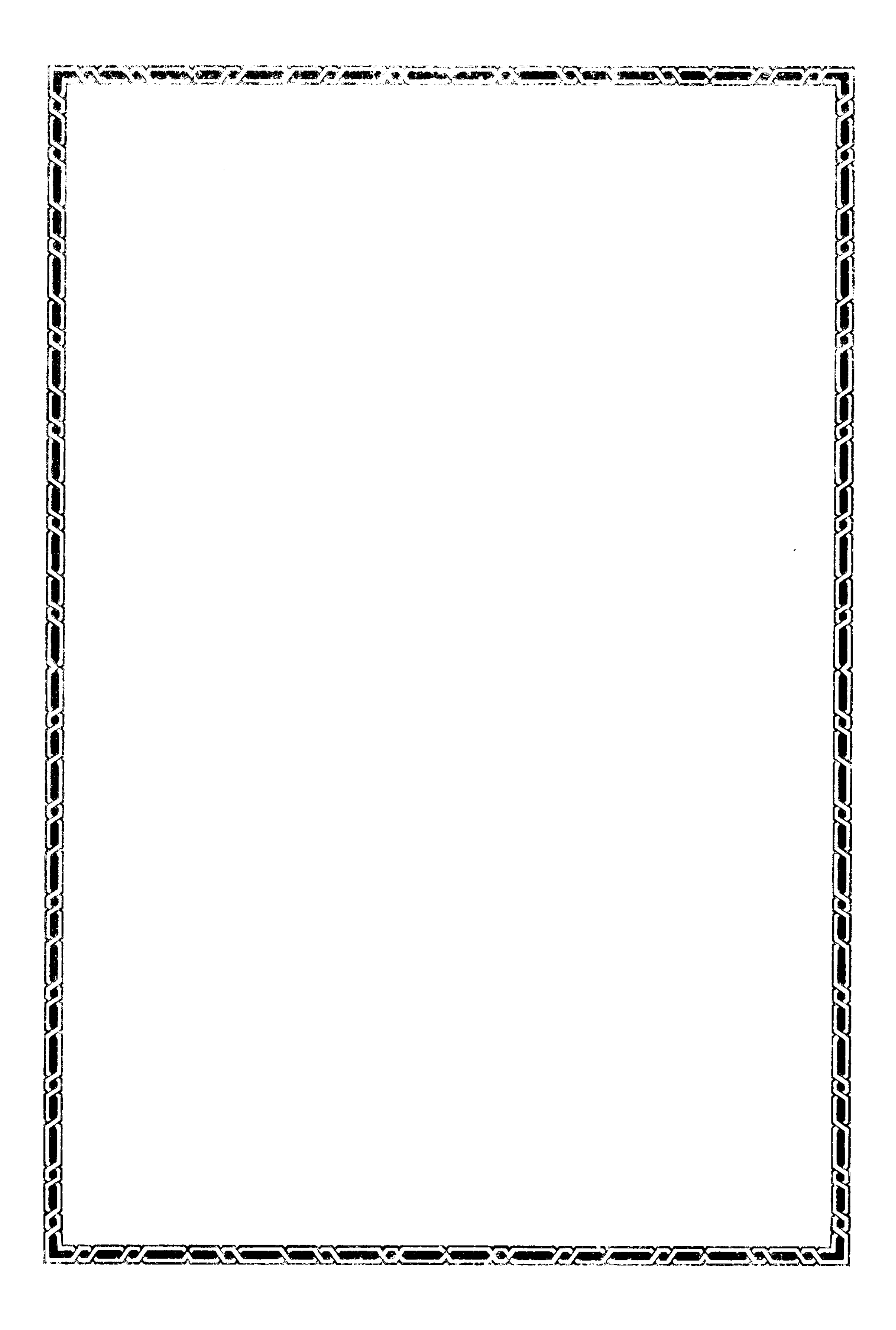
(٢) في الأصل: «وانه».

(٣) في الأصل: «نظير».

(٤) في الأصل: «كمن».

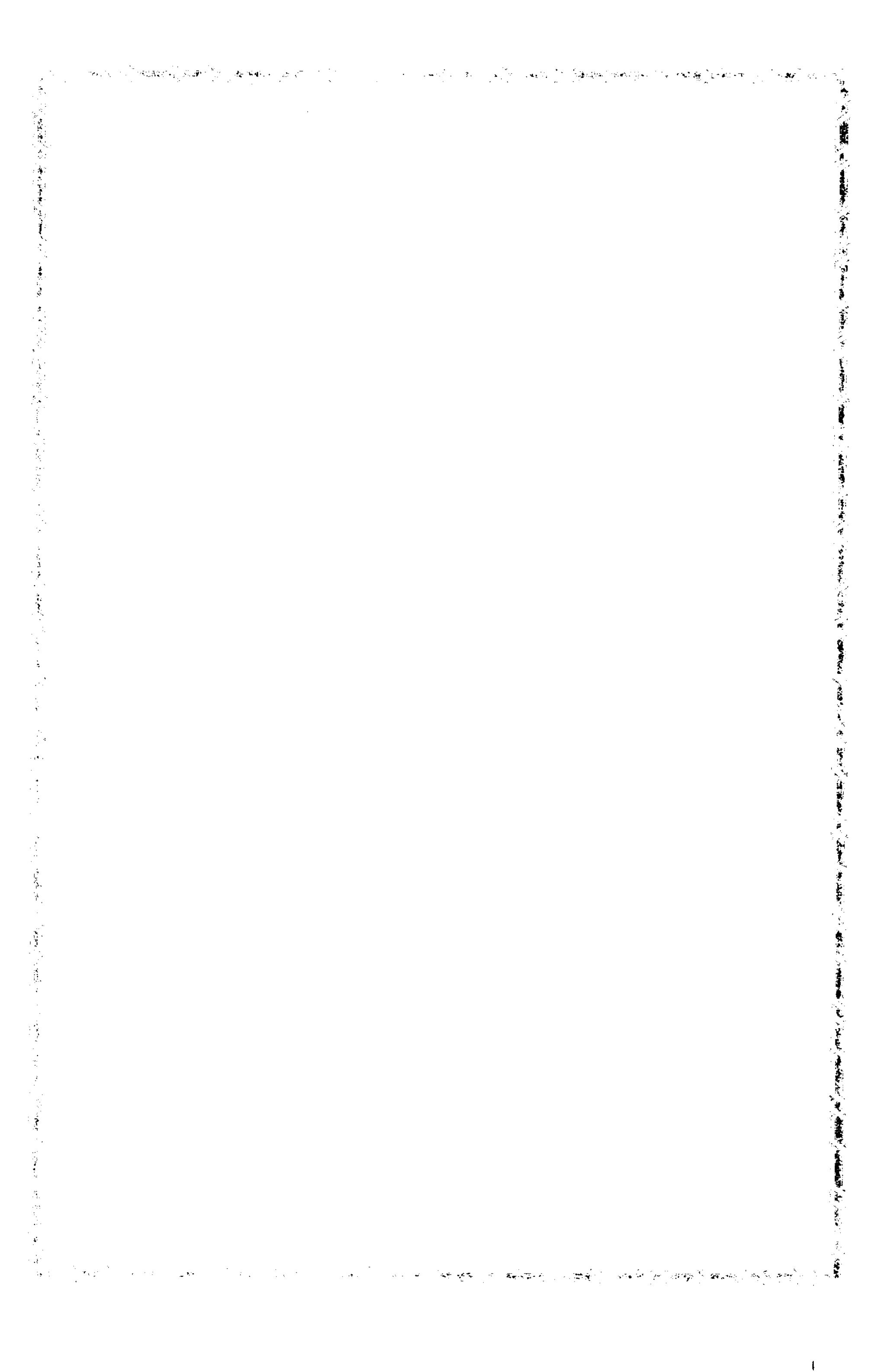
(٥) فراغ في الأصل.

(٦) «الشعراء» الآية: ٨٨ – ٨٩.



الباب السادس والثمانون

فيمن دان الله عزّ وجلّ
بغير إمام من الله جلّ جلاله



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب خمسة، ومضمونه متضح عقلاً ونقلاً؛ لأن العبادة لا تكون عبادة مقبولة إلّا إذا كانت كما يريد الله، ومنهم مأخوذة، وعن علم بالمعبود؛ لأنه لابد وأن تكون مطابقة لما في نفس المشيئة وما يناسبنا بحسب ذكرنا الأول، فلابد من معرفة المبلّغ لذلك والحافظ له المبيّن بعد النبي؛ لاستحالة معرفة ذلك بدونهما، ولم تتم بدون معرفة الواسطة، وإلّا لم تكن عبادة ولا معبود، فوجب معرفته والواسطة، بل لابد منها.

ومن يعبد بغير إمام من الله تابعٌ لهواه، وليست عبادته من الله، فلا قبول لها، ولا وزن لها، فمن يكون كذلك ما يفسد أكثر مما يصلح، بل لا صلاح له؛ لعدم معرفته به، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ ﴾[1] ـ وهم هداه ـ فهو تائه حيران، وبغيّه سكران.

وغير خفي على الفطن أن عبادة العامة كملاً بغير إمام من الله؛ إذ من أقاموه أولاً ليس من الله، ولا أمر الله باتباعه، وأخيراً نفوه وجعلوا الأمر راجعاً للأمراء والسلاطين، أهل الجور والظلم والعدوان، فلا هادي لهم، ولا نور لهم من الله. وإن زعموا أنّ الإمام القرآن، فمع أنه بديهي البطلان، القرآن منصرح الإعلان بالبيان أنه مشخّص معصوم، وهو مفتقر له في الايضاح والبيان.

---

(١) «القصص» الآية: ٥٠.

وكذا حديث: (إنّي تارك)[١]، و(أهل بيتي أمان)[٢] و(كسفينة نوح)[٣]، وأمثال ذلك ما هو مستفيض، بل متواتر عندهم، منصرح الدلالة علىٰ استمرار معصوم هو الإمام، إلّا إن الكفر وتبع الآباء وشدة الحسد توجب ذلك، ويزيد الخلف علىٰ السلف، فأعمالهم ﴿ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾[٤] و﴿ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ ﴾[٥].

فليستمسك الناظر بعروة الله، وحبله المتين، ولسانه الناطق الذي لا غنىً للصامت عنه، وليسلك سبيل محمد وآله الطاهرين، فهو سبيل الله الحق المستنير.

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن ابن أبي نصر، عن أبي الحسن عليه السلام، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ ﴾[٦]، قال: يعني من اتّخذ دينه رأيه، بغير إمام من أئمة الهدىٰ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كلُّ من دان الله عزَّ وجلَّ بعبادة يجهد فيها نفسه، ولا إمام له من الله، فسعيه غير مقبول، وهو ضالٌّ متحيّرٌ، والله شانئٌ لأعماله، ومثله كمثل شاة ضلّت عن راعيها وقطيعها، فهجمت ذاهبة وجائية يومها، فلمّا جنّها الليل بصرت بقطيع من غير راعيها، فحنّت إليها واغترّت بها، فباتت معها في ربضتها، فلمّا أن ساق الراعي قطيعه أنكرت راعيها وقطيعها، فهجمت متحيّرة

---

(١) «مسند أحمد بن حنبل» ج ٥، ص ١٨٢، ١٨٩؛ «المعجم الكبير» ج ٣، ص ٦٥، ح ٢٦٧٨؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج ٣، ص ١٤٨.

(٢) «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج ٢، ص ٤٤٨؛ ج ٣، ص ١٤٩.

(٣) «المعجم الكبير» ج ٣، ص ٤٥، ح ٢٦٣٦، ٢٦٣٧؛ ص ٤٦، ح ٢٦٣٨؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج ٢، ص ٣٤٣؛ ج ٣، ص ١٥١، باختلاف يسير.

(٤) «إبراهيم» الآية: ١٨.

(٥) «النور» الآية: ٣٩.

(٦) «القصص» الآية: ٥٠.

تطلب راعيها وقطيعها، فبصرت بغنم مع راعيها، فحنّت إليها واغترت بها، فصاح بها الراعي: ألحقي براعيك وقطيعك، فإنك تائهة متحيّرة عن راعيك وقطيعك، فهجمت ذَعِرةً متحيّرة نادّة، لا راعي لها يرشدها إلىٰ مرعاها أو يردّها، فبينا هي كذلك إذا اغتنم الذئب ضيعتها فأكلها.

وكذلك والله يا محمد، من أصبح من هذه الأُمّة لا إمام له من الله جلّ وعزّ ظاهراً عادلاً، أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات علىٰ هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق.

واعلم يا محمّد أنّ أئمّة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلّوا وأضلّوا، فأعمالهم الّتي يعملونها ﴿كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ﴾[1]﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٣﴾

قوله: ﴿عن [عبد الله] بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: إنّي أخالط النّاس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولّونكم، ويتولّون فلاناً وفلاناً، لهم أمانةٌ وصدقٌ ووفاءٌ، وأقوام يتولّونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق؟

قال: فاستوىٰ أبو عبد الله ﷺ جالساً، فأقبل [عليّ] كالغضبان، ثمّ قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب علىٰ من دان [الله][2] بولاية إمام عادل من الله. قلت: لا دين لأولئك، ولا عتب علىٰ هؤلاء؟ قال: نعم، لا دين لأولئك، ولا عتب علىٰ هؤلاء.

ثمّ قال: ألا تسمع لقول الله عزّ وجلّ: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ إلىٰ النُّورِ﴾، يعني [من] ظلمات الذنوب إلىٰ نور التوبة والمغفرة؛ لولايتهم كلّ إمام عادل من الله، وقال: ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) «إبراهيم» الآية: ١٨. (٢) ليست في المصدر.

أوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إلىٰ الظُّلُماتِ ﴾، إنّما عنىٰ بهذا أنّهم كانوا علىٰ نور الإسلام، فلمّا [أن] تولّوا كلّ إمام جائر ليس من الله عزّ وجلّ خرجوا بولايتهم [إيّاه] من نور الإسلام إلىٰ ظلمات الكفر، فأوجب الله تعالىٰ لهم النار مع الكفار، فـ﴿ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خَالِدُونَ ﴾[1] ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن حبيب السجستانيّ، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال الله تبارك وتعالىٰ: لأعذّبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام جائر ليس من الله وإن كانت الرعية في أعمالها برّة تقية، ولأعفونّ عن كلّ رعيّة في الإسلام دانت بولاية كلّ إمام عادل من الله وإن كانت الرعيّة في أنفسها ظالمة مسيئة ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال: إنّ الله لا يستحيي أن يعذّب أُمّة دانت بإمام ليس من الله وإن كانت في أعمالها برّة تقيّة، وإنّ الله ليستحيي أن يعذّب أُمّة دانت بإمام من الله وإن كانت في أعمالها ظالمة مسيئة ﴾.

روىٰ الحديث الأول محمد بن إبراهيم النعماني في كتاب الغيبة[2].

وروىٰ محمد بن الحسن الصفار، بسنده عن المعلّىٰ بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ ﴾[3]، (يعني من يتخذ دينه رأيه بغير إمام من أئمة الهدىٰ)[4].

---

(١) «البقرة» الآية: ٢٥٧.
(٢) «الغيبة» للنعماني، ص٨٢.
(٣) «القصص» الآية: ٥٠.
(٤) «بصائر الدرجات» ص١٣، ح١، وفيه: (هدىٰ أئمّة) بدل: (إمام).

وبسنده عن محمد بن فضيل، عن أبي الحسن عليه السلام، في هذه الآية، (يعني اتخذ دينه هواه بغير هدىً من أئمة الهدىٰ)[١].

علي بن إبراهيم، بسنده عن المعلّىٰ بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام ... الحديث[٢].

والحديث الثاني قد مرّ في باب معرفة الإمام والردّ إليه[٣]، من الجزء السابق، ومرّ شرحه أيضاً، وهو ظاهر. والحديث الثالث سيتضح وجهه كمال الوضوح في أحاديث الطينة[٤].

والوجه في ظهور بعض الأعمال الحسنة منهم ظاهر، والإمام بيّن له الأهم له وما عنه سأل، بأن مجرد العمل غير كافٍ، بل لابد من استجماعه الشروط، فلو فات واحد بطل، فكيف الفاقد لجميعها، وهو الذي لا دين له؟! فعمله هباء منثور، وإنّما القبول والعمل ممن دان بإمام حق وأخذ عنه، فلو وقع منه بعض التقصير فسيخفف عنه، ولا يفيده ويسلم من العتب إن خرج دنياً، وقد يخفىٰ عليه بعض مثلاً مما يبليه الله دنياً [ويصفيه][٥] وما يلحق ذلك.

قال الله تعالىٰ: ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلىٰ النُّورِ ﴾، كما فسّره الإمام، بخلاف الكفار الذين لا دين لهم، كالبعض وأمثالهم، فوليّهم الشيطان يخرجهم من النور إلىٰ الظلمات؛ لتولّيهم إماماً جائراً يأمر بالفحشاء والمنكر وأنواع الكفر، فهو يخرجهم من نور الايمان وصفاته إلىٰ ظلمات الجهل والضلال، فلا علم لهم ولا عمل وإن جهدوا وخشعوا، وستكون عليهم حسرة، فعملهم كالميت الذي لا روح له.

وليس المراد بالتقوىٰ وعمل البرّ الواقع ممن أقام إماماً جائراً: الحقيقي، المستحق صاحبه ثوابه؛ وإلّا لقبح تعذيبه، ولم يكن إمامه جائراً، لكن السرّ الخلط وتمكين كل من الداعيَين، وأصله في الوجود الاختيار الذي فطر عليه الكل، وعمّ التكليف، وظهر المزج في بعض مراتبه، ووقع من بعض صورة العمل في بعض الأحيان، خيراً وبرّاً، بحسب

---

(١) «بصائر الدرجات» ص١٣، ح٥.

(٢) انظر: «تأويل الآيات الظاهرة» ص٤١٣، عن علي بن إبراهيم، وفيه في تفسير الآية: قال: «هو من يتخذ دينه برأيه بغير هدىٰ إمام من الله من أئمة الهدىٰ صلوات الله عليهم».

(٣) «الكافي» ج١، ص١٨٣، ح٨.

(٤) «الكافي» ج٢، ص٢، باب طينة المؤمن والكافر.

(٥) في الأصل: «ويصفه».

الصورة، وبحسب أصل حقيقته وأصل منشئه ليس منهم، وسيخالفهم ويرجع كلٌّ لأصله.

وقد سبق لك في الجزء الثالث أنّ الله يحبّ الرجل ويبغض عمله، ويحب عمله ويبغضه[1]، فراجعه، فبه ينكشف مما يرد هنا من الإشكال الظاهر، علىٰ أنا أشرنا لك في دفعه، وسيأتي مبسوطاً أول جزء الإيمان والكفر، إن شاء الله تعالىٰ.

ولمّا كان تعذيب الكافر إنّما هو بعمله، وتخليده بنيّته ونتائج عمله غير المنقطعة، بعد البيان له وإعطائه وإبائه، والمؤمن المطيع بالعكس، والله عدل رحيم لا يظلم، فلا يستحي من تعذيب من ائتم بأئمة الجور وخذلانهم، ويستحي من تعذيب أتباع أئمة الهدىٰ، وإن وقع من هذه بعض الأعمال الخبيثة فسيغفر؛ لقوة السبب وتأصله، ولا تُغلب هذه الجهة، ولهذا لا ينفع السابقة صورة العمل الحسن لو وقع منهم؛ إذ إمامهم يخرجهم من النور، فلا تأصل لهم، وحقيقته من غيرهم، وإنما لهم مظهر الصورة الدنيوية، فثواب ذلك فيها بعد رجوع الأمانة لصاحبها، وهذا ظاهر للفطن.

* * *

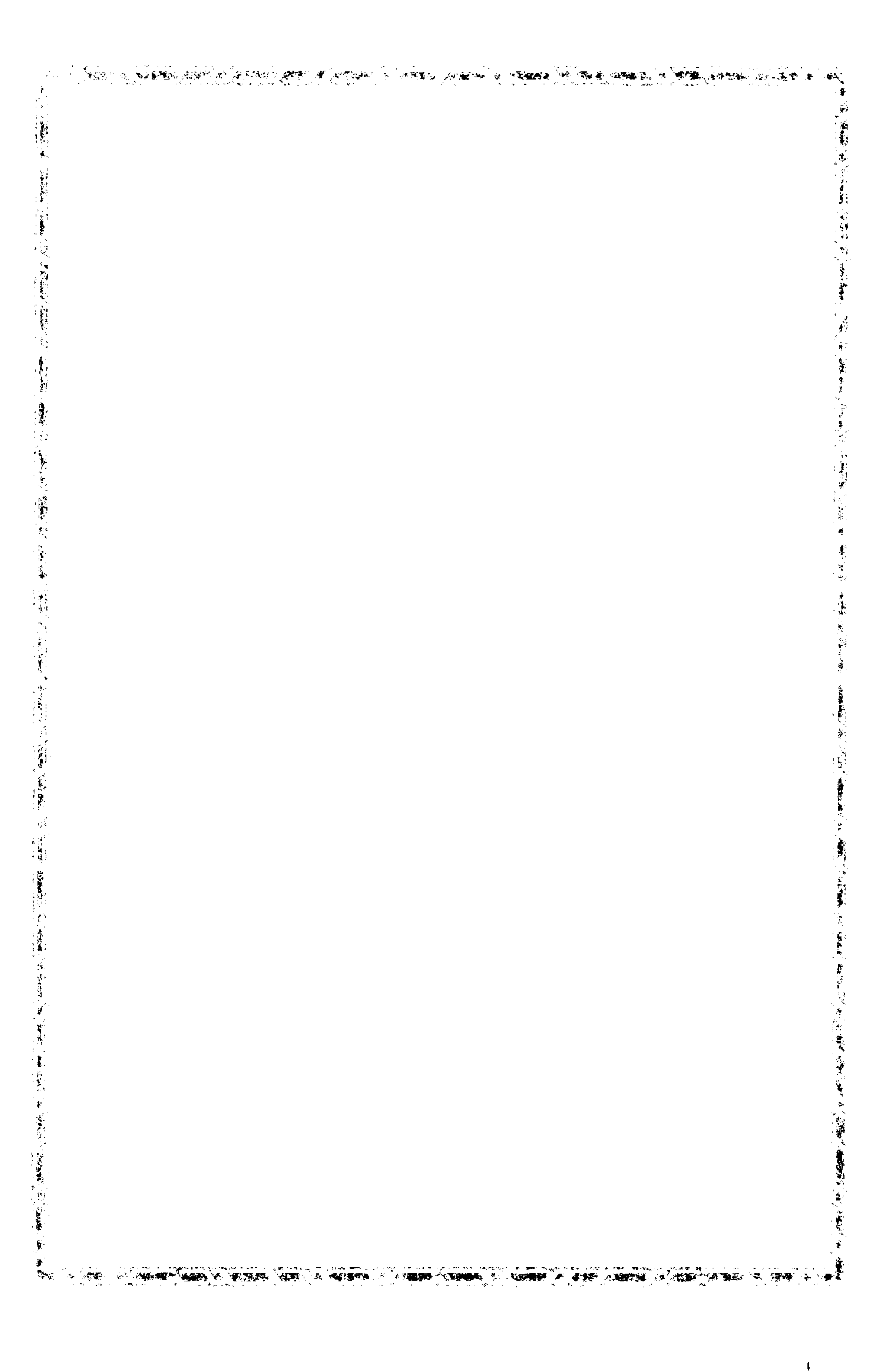
---

(١) «أمالي الشيخ الطوسي» ص ٤١١، ح ٩٢٣.

الباب السابع والثمانون

فمن مات وليس له إمام من أئمة الهدى

وهو من الباب الأول



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب أربعة، | و | مآل هذا الباب والسابق واحد، ولهذا قال المصنف: «وهو من الباب الأول»[1]؛ إذ من مات وليس له إمام هدًى فميتته جاهلية، فهو ضال لا عمل له أصلاً، وكذا من دان الله بغير إمام، ميتته ميتة كفر وجاهلية جهلاء. وسيأتيك معنىٰ المعرفة التي من جهلها فميتته ميتة كفر وضلال.

وهذا المضمون وارد عند العامة في الجمع بين الصحيحين، وفي الصحاح[2] أيضاً.

ومن المتضح أنّ الإمام لا يراد به القرآن ولا السلاطين، بل المطاع مطلقاً، فلابد من كونه أفضل وأعلم الكل، ولا يكون إلّا معصوماً، فوجب من ذلك وجوب وجود معصوم مستمر مدة عمارة الدنيا.

ومضمون هذا الباب وما قبله مروي في المحاسن[3] وغيرها[4] من أُصول الحديث.

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن الفضيل بن يسار، قال: ابتدأنا أبو عبد الله عليه السلام يوماً وقال: قال

---

(١) «الكافي» ج١، ص٣٧٦.

(٢) «المعجم الكبير» ج١٠، ص٢٨٩، ح١٠٦٨٧؛ ج١٩، ص٣٣٥، ح٧٦٩؛ ص٣٨٨، ح٩١٠؛ «كنز العمال» ج١، ص١٠٣، ح٤٦٤؛ ج٦، ص٦٥، ح١٤٨٦٣.

(٣) «المحاسن» ج١، ص٢٥١، باب ٢٢.

(٤) «بحار الأنوار» ج٢٣، ص٧٦، باب ٤.

رسول الله ﷺ: من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية. فقلت: قال ذلك رسول الله ﷺ؟ فقال: إي والله قد قال. قلت: فكل من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟ قال: نعم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿ عن ابن أبي [يعفور][1]، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول رسول الله ﷺ: من مات وليس له إمامٌ فميتته ميتة جاهليّة، قال: قلت: ميتة كفر؟ قال: ميتة ضلال. قلت: فمن مات اليوم وليس له إمام فميتته ميتة جاهليّة؟ فقال: نعم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿ عن الحارث بن المغيرة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة؟ قال: نعم. قلت: جاهليّة جَهْلاء أو جاهليّة لا يعرف إمامه؟ قال: جاهليّة كفر ونفاق وضلال ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿ عن المفضّل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من دان الله بغير سماع عن صادق ألزمه الله ـ البتة ـ إلىٰ العناء، ومن ادّعىٰ سماعاً من غير الباب الذي فتحه الله فهو مشركٌ، وذلك الباب المأمون علىٰ سرّ الله المكنون ﴾.

أقول: (جَهْلاء) ـ في (جاهلية جهلاء) ـ توكيد للجاهلية، أي ليست جاهلية في الجملة، بحيث يعبد في الجملة، بل جاهلية كفر ونفاق وضلال، فميتته ميتة هؤلاء. اشتق للجاهلية من اسمه ما يؤكد به، كما يقال: وَتَدٌ واتِدٌ، وهَمَجٌ هامِجٌ، وليلة ليلاءُ، ويَومٌ أيْوَمُ[2].

---

(١) في الأصل: «يعقوب».

(٢) انظر: «الصحاح» ج ٤، ص ١٦٦٤، مادة «جهل».

وفي بعض النسخ: (ألزمه الله التيه إلىٰ العناء)[1] بتقديم المثناة من فوق علىٰ المثناة من تحت، بمعنىٰ الحيرة.

وعلىٰ التقديرين، مضمَّن مايتعدىٰ بـ«إلىٰ»، أو تقديره كالوصول في الأول، [والموصل][2] في الثاني، وما يقرب منهما.

و(العناء) المشقة الشديدة دنياً وآخرة وإن وجد التوسعة الدنيوية حيناً، وفي لفظ (البتة) إشعار بأن هذه المشقة مقطوع بها لا تفارقه.

والمراد بالمعرفة التي من جهلها مات ميتة جاهلية: المعنىٰ الأخص، التي هي ضد الإنكار، كما قال تعالىٰ: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾[3]، ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الكَافِرُونَ ﴾[4].

وقد مرّ في حديث العقل وجنوده[5] في الجزء الأول مقابلتها بالإنكار، والعلم بالجهل، أي عدم المعرفة. وليس المراد بها المعرفة المرادفة للعلم، فإن استعمالها فيه مجاز، ولا قرينة.

ويدل علىٰ ذلك أنّ مطلق الجهل في الجملة قد لا يوجب التكفير والضلال، فليست ميتة كذلك؛ لتأخر تكليفه كالمستضعف.

وروىٰ القمي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ ذَلِكُمْ بماكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾[6] ـ من سورة المؤمن ـ مسنداً عن ضريس الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك، ما حال الموحدين المقرين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله، من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام، ولا يعرفون ولايتكم؟ فقال: (أمّا هؤلاء فإنهم في حفرهم لا يخرجون منها، فمن كان له عمل صالح ولم تظهر منه عداوة فإنه يخدّ له خدّاً إلىٰ الجنة التي خلقها الله في المغرب، فيدخل عليه الروح في حفرته إلىٰ يوم القيامة، حتىٰ يلقىٰ الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته، فإما إلىٰ الجنة، وإما إلىٰ النار، فهؤلاء الموقوفون لأمر الله). قال: (وكذلك

---

(١) بدل قوله عليه السلام: (ألزمه الله ـ البتة ـ إلىٰ العناء). (٢) في الأصل: «والوصل».

(٣) «المؤمنون» الآية: ٦٩. (٤) «النحل» الآية: ٨٣.

(٥) «الكافي» ج ١، ص ٢١، ٢٢، كتاب العقل والجهل، ح ١٤، وفيه: (والعلم وضده الجهل... والمعرفة وضدها الإنكار). (٦) «غافر» الآية: ٧٥.

يفعل بالمستضعفين والبُلْه والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحُلم) ... الحديث[1].

فقوله: «ولا يعرفون ولايتكم»، المراد بنفي المعرفة: الجهل، لأن المراد بها هنا العلم.

وفي توحيد ابن بابويه[2] وغيره عدّ من مات بين النبيين والمستضعف ممن يكلفون غداً، فليست ميتتهم ميتة ضلال وكفر وجاهلية جهلاء، نعم موتة جهل، والله يبلي أعذار كلٍّ بميزان الاختبار والعدل، بحيث لا يبقىٰ لأحد تعلل ولا تشبّه.

والمِيتة ـ تلك ـ مصدر للحال والهيئة، ومنه: مات ميتة حسنة، وميتة السَّوء، بفتح السين.

و (مات ميتة جاهلية) أي كموت أهل الجاهلية.

* * *

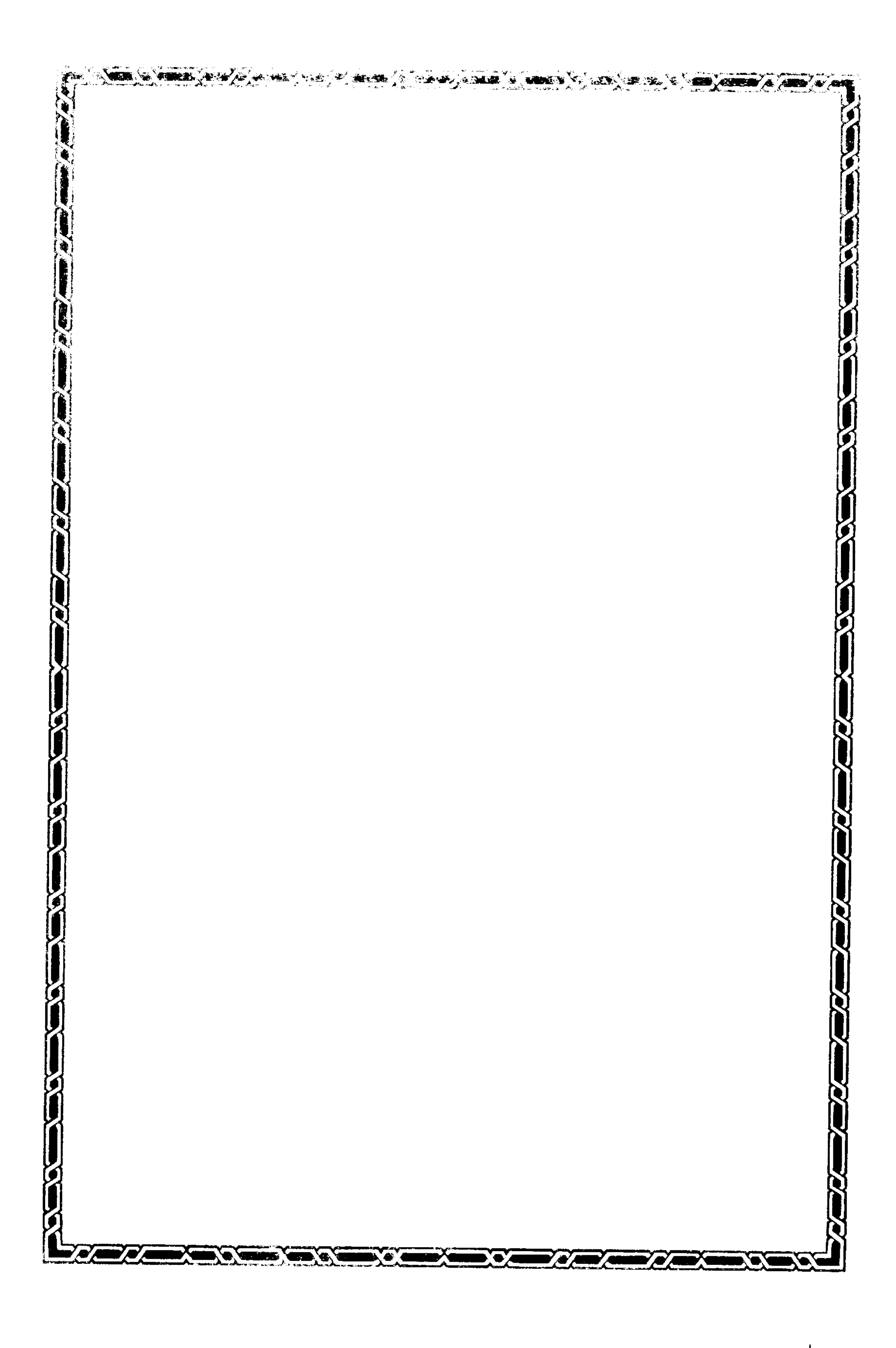
---

(١) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٢٦٤، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «التوحيد» ص ٣٩٢، ح ٤؛ ص ٣٩٣، ح ٥.

الباب الثامن والثمانون

فيمن عرف الحق من أهل البيت ومن أنكر



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب أربعة.

ثمّ اعلم أنّ الثواب والعقاب درجات ودركات، فكلّما قوي العمل والعلم ـ بسبب قوة المعرفة والعمل ـ أعلت الدرجات، وكلّما [ضعف][1] أسفلت الدركات. وغير خفي أنّ من عرف محمّداً وآله صلوات الله عليهم، وأقرّ بهم ولم ينكرهم، ليس سبيله سبيل غيره؛ لفوزه بالقرابة، وشدّة تحمله الأذىٰ زيادة، فيضاعف له الثواب بلا حدّ، ﴿ وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَن يَشاءُ ﴾[2]، ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾[3].

وكذا عقاب المنكر منهم لهم ـ وهو ضد المعرفة، ولهذا قابل المصنّفُ المعرفةَ بالإنكار ـ أشدّ وأضعاف عقاب غيره؛ لشدة حسده وسعيه في إخفاء نور قرابته النسبية، وحرصه علىٰ إهلاكهم، وهذا ظاهر من بني أُمية وبني العباس وسائر الأرجاس، وفعلهم بآل الرسول المطهرين من الأدناس.

قال الله تعالىٰ: ﴿ يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ﴾[4]، ﴿ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَها العَذابُ ضِعْفَيْنِ ﴾[5].

---

(١) في الأصل: «خبث».
(٢) «البقرة» الآية: ٢٦١.
(٣) «الأنعام» الآية: ١٣٢.
(٤) «الأحزاب» الآية: ٣٢.
(٥) «الأحزاب» الآية: ٣٠.

الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن سليمان بن جعفر، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إنّ علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وامرأته وبنيه من أهل الجنة، ثمّ قال: من عرف هذا الأمر من ولد علي وفاطمة عليهما السلام لم يكن كالناس﴾.

الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿حدثنا أحمد بن عمر الحلّال، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عمن عاندك ولم يعرف حقك من ولد فاطمة، هو وسائر الناس سواء في العقاب؟ فقال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: عليهم ضعفا العقاب﴾.

الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن [الحسن بن راشد، قال: حدّثنا علي بن إسماعيل الميثمي، قال: حدّثنا] ربعي بن عبد الله، قال: قال لي عبد الرحمن بن أبي عبد الله: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المنكر لهذا الأمر من بني هاشم وغيرهم سواء؟ فقال لي: لا تقل: المنكر، ولكن قل: الجاحد من بني هاشم وغيرهم.
قال أبو الحسن: فتفكرت فيه فذكرت قول الله عزّ وجلّ في إخوة يوسف: ﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾[1]﴾.

الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن ابن أبي نصر، قال: سألت الرضا عليه السلام، قلت له: الجاحد منكم ومن غيركم سواء؟ فقال: الجاحد منّا له ذنبان، والمحسن له حسنتان﴾.

---

(١) «يوسف» الآية: ٥٨.

أقول: قد عرفت الوجه في تضاعف حسنات وسيئات القريب؛ لأن أسباب البغض والحسد في ذوي القربىٰ أكثر وأحكم وأشد، فمن نفىٰ عن نفسه ذلك منهم مع ذلك كان لنفسه أشد قهراً وأكمل في الفتوة والمروة.

«وضِعْفُ الشيء ـ بالكسر ـ: مِثله، وضِعفاه: مِثلاه، أو الضعف: المِثل إلىٰ ما زاد. ويقال: لك ضِعفه، يريدون: مِثلَيه وثلاثة أمثاله؛ لأنه زيادة غير محصورة»[1].

وقوله تعالىٰ: ﴿ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ أي ثلاثة أعذبة، وضعفا العذاب: مثلاه، أو من: أضعَف، بمعنىٰ |جعله| مثليه، والمثل مراد فما زاد؛ لأنهم متفاوتون في تضاعف العذاب، فبعض ضعفين فأكثر.

وفي الصحاح: «الجُحُود: الإنكار مع العلم»[2].

ولمّا كانوا يعرفون فضل أهل البيت وينكرونه قال الإمام: **(لا تقل: المنكر، ولكن قل: الجاحد)**، فالجحود بفعلهم أوفق، كما قال تعالىٰ في الجاهل بالآخر: ﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾، أي إخوته، وقال في المنكر مع علمه: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا ﴾ الآية[3]. وقد يطلق الإنكار علىٰ الجحود أيضاً، وهذا كفر العناد.

والمراد بقوله: «قال أبو الحسن: فتفكرت فيه فذكرت قول الله عزَّ وجلَّ في إخوة يوسف» الراوي.

وقال علي بن إبراهيم ـ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ يانِساءَ النَّبِيِّ مَن يأتِ مِنكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَها العَذابُ ضِعفينِ ﴾ إلىٰ ﴿ نُؤتِها أجرها مَرَّتين وأعْتَدْنا لَها رِزقاً كَريماً ﴾[4] ـ: «وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: **(أجرها مرتين، وعذابها ضعفين، كل هذا في الآخرة، حيث يكون الأجر يكون العذاب)**»[5].

وروىٰ الطبرسي بسنده عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، أنه قال له رجل: إنكم أهل بيت مغفور لكم، قال: فغضب وقال: **(نحن أحرىٰ أن يجري فينا ما أجرىٰ الله في أزواج النبي صلى الله عليه وآله من أن نكون كما تقول، إنا نرىٰ لمحسننا ضعفين من الأجر، ولمسيئنا ضعفين**

---

(١) «القاموس المحيط» ج٣، ص٢٤٠، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «الصحاح» ج٢، ص٤٥١، مادة «جحد». (٣) «النمل» الآية: ١٤.

(٤) «الأحزاب» الآية: ٣٠ – ٣١.

(٥) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج٢، ص١٩٣، بتفاوت يسير.

من العـذاب) ثمّ قـرأ الآيتين[١].

وظاهرهما أنّ مطلق المسيء والمحسن منهم يضاعف ثوابه وعقابه، والمعصية تقع عن عناد ومطلق الإنكار وغير ذلك، وظاهر النص السابق أنّ ذلك في الجاحد منهم، ففي رواية الحلّال[٢] ذكر المعاند، وفي رواية ربعي[٣]: (لا تقل المنكر، ولكن قل: الجاحد)، ونهيه عن لفظ الإنكار أعم، فإمّا أن يقال: إنّ كل من يقع منه ذلك من القرابة لا يكون، أو تخصيص ظاهر النص بالجاحد، أمّا غيره منهم فحالهم كغيرهم في الإساءة، وهو الظاهر الموافق للعدل، وجزاء كل بعمله.

ثمّ اعلم أن في ذلك زيادة تحذير للكل وإخافة؛ فإنه إذا كان ذو القرابة الحسية السيء العمل لا تنفعه القرابة الحسية خاصة، لتقطّعها وعدم الكفاية بها، كما في امرأتي نوح ولوط ومحمّد ﷺ، وابن نوح، وجعفر الكذاب، وغيرهم، فكيف غيرهم؟ فـ ﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمْ واخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والِدٌ عَن وَلَدِهِ ولا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والِدِهِ شيئاً ﴾[٤]، بل يفرّ كل عن الآخر وتقع التفرقة، ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إلّا مَن أتَىٰ اللهَ بقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٥]، فإذا كان هذا الحال فكيف من سعىٰ في هلاكهم وأنكرهم وحرّف دينهم؟!

* * *

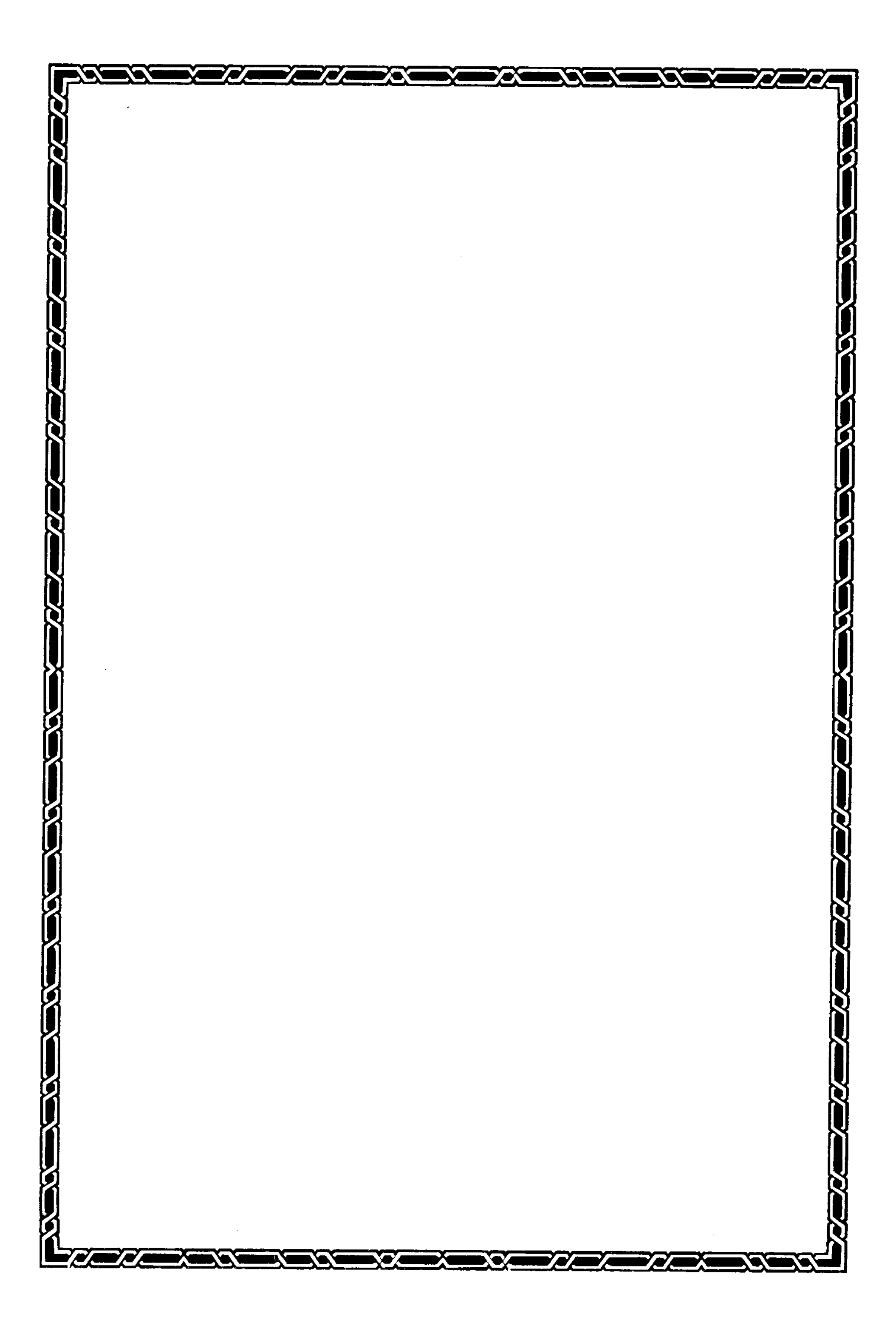
(١) «مجمع البيان» ج٨، ص٤٦٠. (٢) يعني الحديث الثاني من هذا الباب.

(٣) يعني الحديث الثالث من هذا الباب. وفي الأصل: (لا تقل الا عن جحود).

(٤) «لقمان» الآية: ٣٣. (٥) «الشعراء» الآية: ٨٨ – ٨٩.

الباب التاسع والثمانون

ما يجب على الناس عند مضي الإمام



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب ثلاثة، ولمّا كان الاضطرار إلىٰ الحجة واجباً عقلاً ونقلاً، ولا غنىً عنها وقتاً ما، وغير جائز خلوّ وقت منها أصلاً، فمتىٰ مات الإمام وجب علىٰ الأُمة معرفة الشخص القائم بعده علىٰ القاصي والداني، والسعي في معرفتهم، ليعرفوا منه ما يحتاجون إليه في أمر دينهم ودنياهم، وليعتقدوا إمامته، كما هو واجب علىٰ الناس ذلك بعد موت النبي. وليس هذا وجوباً لأجل التعيين، فإنه معيّن ومشخص من الله والمعصوم السابق، ولكن لمعرفة الشخص ومَن القائم بعده.

وغير خفي أنّ قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ ﴾ الآية[1]، مع ما ستسمع فيها من الروايات، صريح الدلالة علىٰ أنّ التفقه الاجتهادي واجب كفايةً، لا عيناً، كما قيل، وإلّا لما وجب علىٰ طائفة من الفرقة، بل عليها جميعاً، ولما جاز لهم العمل بما يفتونهم به بعد رجوعهم؛ إذ ظاهر ﴿ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ ﴾ الآية[2]، أي بالفتوىٰ.

وإن قيل: بل بنقل الرواية.

قلنا: وحدها غير كافٍ، فتكون الفرقة الغير النافرة هي [الراوية][3] والناظرة العارفة للحكم، فعلىٰ النافر إذن الأخذ، فلا مشاحة.

---

(١) «التوبة» الآية: ١٢٢.

(٢) «التوبة» الآية: ١٢٢.

(٣) في الأصل: «الرواية».

ولا دلالة في الآية على قبول خبر الواحد العدل الخالي من القرائن، اذ مع الطائفة قرائن، مع ما هم فيه من شدة الحاجة وحضور وقتها وظهور الإمام عليه السلام. وفي الآية كلام بسطناه في أصول الفقه.

وروى ابن بابويه في العلل، مسنداً عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: إذا هلك الإمام فبلغ قوماً ليسوا بحضرته؟ قال: (يخرجون في الطلب، فإنهم لا يزالون في عذر ماداموا في الطلب)، قلت: يخرجون كلهم أو يكفيهم أن يخرج بعضهم؟ قال: (إنّ الله جلّ وعزّ يقول: ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنهُمْ طائفةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِروا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعوا إليهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرونَ ﴾ - قال -: هؤلاء المقيمون في السعة حتىٰ يرجع إليهم أصحابهم)[1].

وبسنده عن عبد الأعلىٰ، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن بلغنا وفاة الإمام كيف نصنع؟ قال: (عليكم النفير)، قلت: النفير جميعاً؟ قال: (إنّ الله يقول: ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرقَةٍ ﴾ الآية)، قلت: نفرنا فمات بعضهم في الطريق؟ قال: فقال: (إنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿ وَمَنْ يَخرُجْ مِن بَيتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوتُ فَقَد وَقَعَ أَجرُهُ عَلَى اللهِ ﴾[2])[3].

وبسنده عن عبد المؤمن الأنصاري، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ قوماً يروون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (اختلاف أُمتي رحمة)، فقال: (صدقوا)، قلت: إن كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب؟ قال: (ليس حيث ذهبت وذهبوا، وإنما أراد قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ من كُلِّ فِرْقَةٍ مِنهُمْ طائفةٌ لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّينِ وَلِيُنذِروا قومَهُمْ إذا رَجَعُوا إليهم لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾، فأمرهم أن ينفروا إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ويختلفوا إليه فيتعلموا، ثمّ يرجعوا إلىٰ قومهم فيعلّموهم، إنما أراد اختلافهم من البلدان، لا اختلافهم في دين الله، إنّما الدين واحد، إنما الدين واحد)[4].

العياشي، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: إذا حدث للإمام حدث كيف يصنع الناس؟ قال: (يكونون كما قال الله تعالىٰ: ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ ﴾ إلىٰ: ﴿ يَحْذَرُونَ ﴾).

---

(١) «علل الشرائع» ج ٢، ص ٣١٦، ح ٤١، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.
(٢) «النساء» الآية: ١٠٠.
(٣) «علل الشرائع» ج ٢، ص ٣١٦، ح ٤٢، بتفاوت يسير.
(٤) «علل الشرائع» ج ١، ص ١٠٧، ح ٤، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

قال: قلت: فما حالهم ؟ قال: (هم في عذر)[١].

الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: «عن يعقوب بن شعيب، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إذا حدث على الإمام حدث كيف يصنع الناس؟ قال: أين قول الله عزّ وجلّ ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُوا إليهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾، قال: هم في عذر ما داموا في الطلب، وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذر حتى يرجع إليهم أصحابهم».

الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: «عن عبد الأعلى، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول العامّة: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن مات وليس له إمام مات ميتة جاهليّة، فقال: الحق والله، قلت: فإنّ إماماً هلك، ورجل بخراسان لا يعلم مَن وصيّه، لم يسعه ذلك؟ قال: لا يسعه، إنّ الإمام إذا هلك وقعت حجّة وصيّه على من هو معه في البلد، وحقّ النفر على من ليس بحضرته إذا بلغهم، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنهُمْ طائفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُوا إليهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.

قلت: فنفر قوم، فهلك بعضهم قبل أن يصل فيعلم؟ قال: إنّ الله جلّ وعزّ يقول: ﴿ وَمَنْ يَخرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجراً إلى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أجْرُهُ عَلَى اللهِ ﴾.

قلت: فبلغ البلد بعضهم، فوجدك مغلقاً عليك بابك، ومرخىً عليك سترك، لا تدعوهم إلى نفسك، ولا يكون من يدلّهم عليك، فبما يعرفون ذلك؟ قال: بكتاب الله المنزل، قلت: فيقول الله جلّ وعزّ كيف؟ قال: أراك قد

---

(١) «تفسير العياشي» ج٢، ص١٢٣، ح١٥٨، بتفاوت يسير.

تكلّمت في هذا قبل اليوم، قلت: أجل، قال: فذكّر ما أنزل الله في علي عليه السلام، [وما] قال له رسول الله صلى الله عليه وآله في حسن وحسين عليهما السلام، وما خصّ الله به علياً عليه السلام، وما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، من وصيته إليه، ونصبه إيّاه، وما يصيبهم، وإقرار الحسن والحسين عليهما السلام بذلك، ووصيّته إلىٰ الحسن، وتسليم الحسين له، بقول الله: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾[1].

قلت: فإنّ الناس تكلّموا في أبي جعفر عليه السلام، ويقولون: كيف تخطّت من ولد أبيه من له مثل قرابته ومن هو أسنُّ منه، وقصرت عمّن هو أصغر منه؟ فقال: يُعرف صاحب هذا الأمر بثلاث خصال لا تكون في غيره: هو أولىٰ الناس بالذي قبله، وهو وصيّه، وعنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيّته، وذلك عندي لا أُنازع فيه.

قلت: إنّ ذلك مستورٌ؛ مخافة السلطان، قال: لا يكون في ستر إلّا و[يكون][2] له حجّة ظاهرة، إنّ أبي استودعني ما هناك، فلمّا حضرته الوفاة قال: ادع لي شهوداً، فدعوت أربعة من قريش، فيهم نافع مولىٰ عبد الله بن عمر، قال: اكتب: هذا ما أوصىٰ به يعقوب بنيه ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[3]، وأوصىٰ محمّد بن عليّ [إلىٰ ابنه] جعفر بن محمّد، وأمره أن يكفّنه في برده الذي كان يصلّي فيه الجُمع، وأن يعمّمه بعمامته، وأن يربّع قبره ويرفعه أربع أصابع، ثمّ يخلّي عنه. فقال: اطووه، ثمّ قال للشهود: انصرفوا رحمكم الله.

فقلت بعدما انصرفوا: ما كان في هذا يا أبتِ أن تُشهد عليه؟ فقال: إنّي

---

(١) «الأحزاب» الآية: ٦.
(٢) ليست في المصدر.
(٣) «البقرة» الآية: ١٣٢.

كرهت أن تغلب وأن يقال: إنّه لم يوصِ، فأردت أن تكون لك حجّة، فهو الّذي إذا قدم الرّجل البلد قال: مَن وصيُّ فلان؟ قيل: فلان.

قلت: فإن أُشرك في الوصيّة؟ قال: تسألونه فإنّه سيبيّن لكم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن محمّد بن مسلم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أصلحك الله، بلغنا شكواك وأشفقنا، فلو أعلمتنا أو علّمتنا [مَن]، قال: إنّ علياً عليه السلام كان عالماً، والعلم يتوارث، فلا يهلك عالمٌ إلّا بقي من بعده من يعلم مثله علمه أو ما شاء الله.

قلت: أفيسع النّاس إذا مات العالم ألّا يعرفوا الّذي بعده؟ فقال: أمّا أهل هذه البلدة فلا ـ يعني المدينة ـ وأمّا غيرها من البلدان فبقدر مسيرهم، إنّ الله يقول: ﴿ وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنهُمْ طائفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُم إِذَا رَجَعُوا إليهِمْ لَعَلَّهُم يَحْذَرُونَ ﴾[١].

قال: قلت: أرأيت من مات في ذلك؟ فقال: هو بمنزلة من خرج من بيته مهاجراً إلىٰ الله ورسوله ثمّ يدركه الموت، فقد وقع أجره علىٰ الله.

قال: قلت: فإذا قدموا بأي شيء يعرفون صاحبهم؟ قال: يعطىٰ السكينة والوقار والهيبة ﴾.

أقول: السِّتر ـ بالكسر ـ: ما يُستر به، و (مغلقاً) و (مرخىً) علىٰ صيغة المفعول، من: أغلقت الباب، وأرخيت الستر، أي أرسلته. ويحتمل أيضاً علىٰ صيغة اسم الفاعل، فإن الإغلاق للباب ـ سواء كان المراد به الحقيقة، أو كناية عن تستره وعمله بالتقية مدة حضور السبب ـ عن أمره أو رضاه؛ طاعة لله وامتثالاً لأمره.

ونفي الشارح[٢] لاحتمال صيغة اسم الفاعل، كما ترىٰ.

---

(١) «التوبة» الآية: ١٢٢.

(٢) «شرح المازندراني» ج٦، ص٣٣٨ - ٣٣٩.

وكون الثلاث الخصال علامة للوصي بحسب الجملة والفرادىٰ، فإن الوصاية وحدها و [ولاية][1] الأمر لا تكون إلّا له، وهي وإن لم يتمكن إظهارها من الإمام لمن بعده ظهوراً عاماً، لكن لابد من جعله حجة للذي بعده، بأن يجمع بعض أصحابه ويوصيه ببعض الوصايا، مما يتعلق بموته وغيره، مما لا ينازع فيه ظاهراً، ويكون له الحجة بها علىٰ غيره أيضاً، كما تضمنه بعض أحاديث الباب، وكذا السلاح ووصية رسول الله، وقد سبق هذا المضمون في الجزء السابق.

قال الفاضل الشارح محمد صالح: «(يعرف صاحب هذا الأمر بثلاث خصال لا تكون في غيره)، أي لا يوجد مجموع تلك الخصال ـ من حيث المجموع ـ في غيره، أو لا يوجد كل واحدة منها في غيره.

وفي الأخير مناقشة؛ لأن الخصلة الأُولىٰ إمّا قوله: (هو أولىٰ الناس بالذي قبله) وهو الولد، أو هذا مع قوله: (وهو وصيه). وهي علىٰ التقديرين توجد في غير صاحب هذا الأمر، أمّا الأول فظاهر، وأما الثاني فلأن غيره قد يكون مشاركاً معه في الوصية الظاهرة، كما مرّ في باب الإشارة والنص علىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام، وكما سيجيء في آخر هذا الحديث.

ويمكن دفعها بحمل قوله: (وهو وصيه) علىٰ الوصية الباطنة، أي الوصية بالإمامة، فليتأمّل»[2].

فتأملناه فوجدنا المناقشة غير واردة، فإن الأُولوية دلّت علىٰ أنّ المراد به كونه ولده، فهو أولىٰ بالوالد ممن قبله من الإخوة والأعمام وغيره، وكذا من يلي أمره دنياً وغيره دال، فإنه لا يلي ذلك من المعصوم إلّا معصوم مثله، وكذا الوصاية له، فإنه لا يوصي إلّا إلىٰ معصوم، ولا يشرك معه غيره أصلاً. وقد عرفت وجه التشريك إنما هو ببعض الأُمور ظاهراً؛ لتكون له الحجة، وهي باطناً له خاصة.

وليس في آخر هذا الحديث إلّا أن الإمام جعل لوصيه شهوداً، لتكون له الحجة ظاهرة، لأنه شَرَّكَ معه غيره، وبيّن الوجه لابنه أخيراً. فالمناقشة من الضعف كما ترىٰ.

والخصلة الأُولىٰ: كونه أولىٰ الناس به، أي في التجهيز والوصية له منه، والثانية:

---

(١) في الأصل: «ولاة».

(٢) «شرح المازندراني» ج٦، ص ٣٤٠، صححناه علىٰ المصدر.

السلاح، والثالثه: وصيّة الرسول، أي الكتاب الذي نزل عليه وأمره بدفعه لوصيه، وهكذا، وكل واحد يفضّه ويعمل بما يلزمه فيه ويؤمر به. وقد مرّ نقله في الجزء الثاني -من أجزاء الحجة[1] - أو الثالث.

هذا، ولو فكرت في مضمون ما أظهره من الوصية وجدته متضمناً للوصية له بالخلافة وجميع العلوم ومواريث الأنبياء.

والشارح[2] توهم من قوله عليه السلام أخيراً: «فإن أُشرك في الوصية» [على جريانه]، فإنه لو ثبت ففي الظاهرة، وهو لا يدل مطلقاً، ولا على نفي كونها وحدها علامة، فمن يكون كذلك لا يكون أولى به من غيره، والأولى به هو صاحب الوصاية مطلقاً.

البناء على قبور المعصومين

وقوله عليه السلام في الحديث: (ويرفعه أربع أصابع ثمّ يخلّي عنه) ليس بدالٍ على تحريم البناء على قبورهم، بل ولا الكراهية، بل إمّا لبيان الجواز؛ حذراً من توهم الوجوب، خصوصاً وهذا في الوصية الظاهرة، وهو مما لا تقبله العامة، أو معنى التخلية عدم رفعه أكثر من أربعة أصابع، بأن يجعل مسنّماً، كما عليه أكثر العامة[3]، وإن كانت رواياتهم[4] بالتسطيح، لكن تركوه لقولنا به، كما في شرح الزنكلوني[5]، لبعض الشافعية، ولا شك في أن طريقهم العناد.

---

(١) «هدي العقول» ج٨، باب أن الأئمة عليهم السلام لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلّا بعهد من الله.

(٢) «شرح المازندراني» ج٦، ص٣٤٢، وفيه: «قوله (فإن أُشرك في الوصية) أي فإن أُشرك الإمامُ وغيره في الوصية الظاهرة، فكيف يُستدل بها على الإمام وتميّزه عن غيره؟ فأجاب عليه السلام بأنكم (تسألونه) -أي الوصي الصادق على كل واحد منهما- عن الحلال والحرام والمسائل الدينية والأُمور العقلية (فإنه سيبيّن لكم) الإمام عن غيره؛ إذ بالسؤال والعلم يعلم الحقّ والمبطل ويميّز بينهما. والقادر على المعرفة بهذا الوجه إنما هو العالم الماهر، فإذا ميّزه وجب على الغير اتباعه، كما قالوا مثل ذلك في إعجاز القرآن وإعجاز ما هو شبيه بالسحر، كإعجاز موسى وعيسى عليهما السلام».

(٣) انظر: «المهذب» ج١، ص٢٥٦؛ «المغني» ج٢، ص٥٠٥.

(٤) «صحيح مسلم» ج٢، ص٥٥٥، باب الأمر بتسوية القبر.

(٥) أبو بكر بن إسماعيل بن عبدالعزيز الزنكلوني، المصري، الشافعي، فقيه، أُصولي محدّث، نحوي. من تصانيفه: شرح التنبيه، وسماه: «تحفة النبيه في شرح التنبيه». توفي سنة ٧٤٠هـ. انظر: «معجم المؤلفين» ج٣، ص٥٨.

أمّا جواز البناء علىٰ قبورهم وتعظيمها، بل استحبابه وأنه من أفضل القربات، فلا شك فيه ولا شبهة، وعليه إجماع الإمامية[1]، وفعل السلف والخلف ذلك، من غير نكير من أحد ظاهراً وباطناً.

وللبناء علىٰ قبور في الحِجر، علىٰ أم إسماعيل وغيرها، ودفن الرسول في حجرته وعدم هدمها، وغير ذلك في المسجد الأقصىٰ، وكله دال فيهم بطريق أولىٰ أو مساوٍ.

ولقوله تعالىٰ: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ الآية[2]، ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ الآية[3]. وظاهر أنّ في ذلك تعظيماً لها ورفعاً.

ولفوات كثير من العبادات المرغّب فيها عند قبورهم لو لم يفعل بها ذلك، إلىٰ غير هذه الوجوه.

ولولا الإجماع علىٰ عدم الوجوب لكان للقول به وجه قوي، وما ذكرته بعض العلماء[4] من كراهة التجصيص علىٰ القبور أو تجديدها فإنما هو في غير قبورهم، ولوضوحه أتم وضوحاً قد لا يستثنىٰ بعض؛ اعتماداً علىٰ الظهور، فافهم.

و [(السكينة)][5]: الاطمئنان والهيبة في النفس. و (الوقار) ذلك، ولكن في ظاهر البدن، وقد يفسّر أحدهما بالآخر. و (الهيبة): الخوف.

وكل ذلك حق، فإن النفوس والأجسام بحضرة الإمام في خوف منه وسكون وذلة، وهو ظاهر.

* * *

---

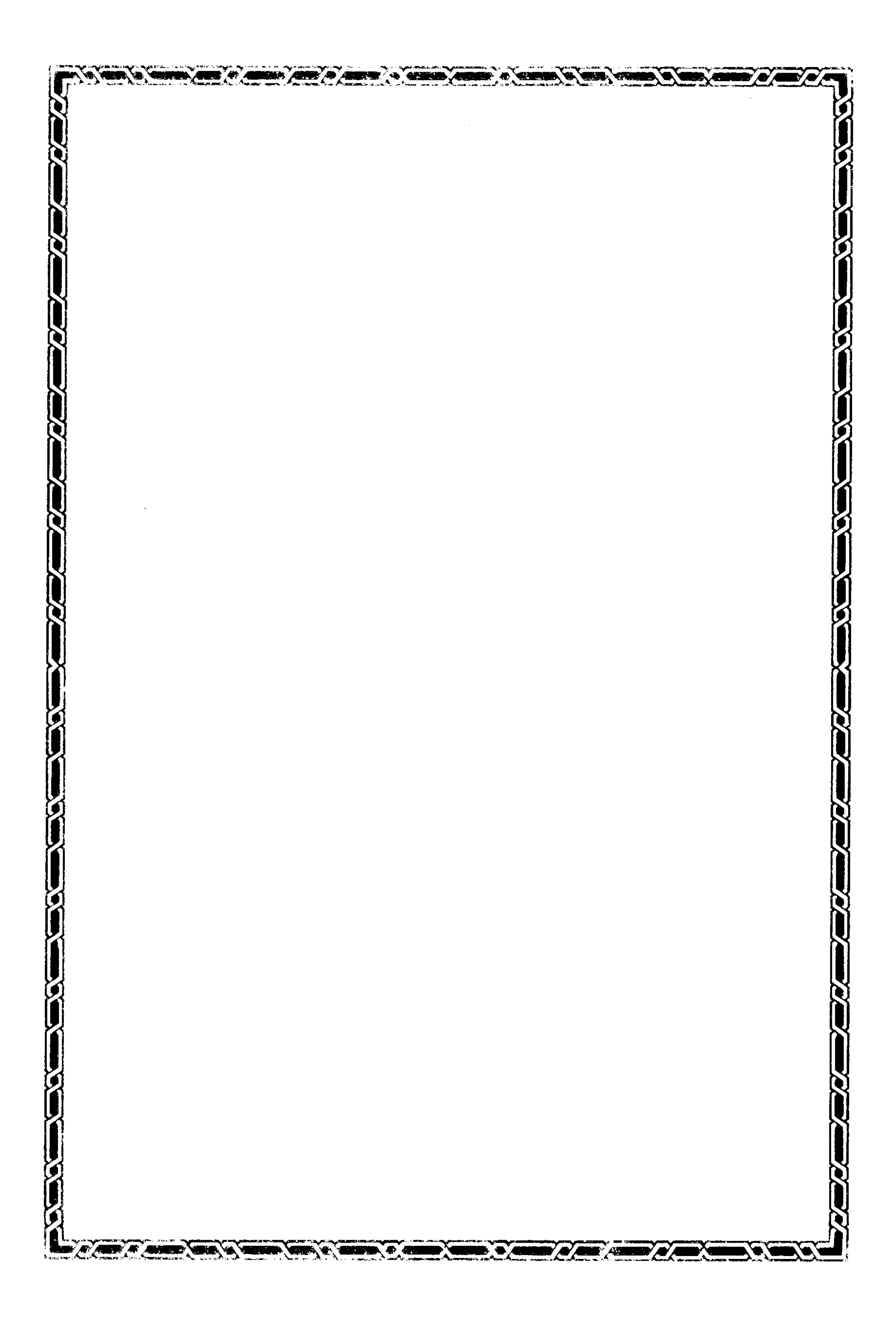
(١) انظر: «مدارك الأحكام» ج ٢، ص ١٥٠؛ «الحدائق الناضرة» ج ٤، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

(٢) «النور» الآية: ٣٦. (٣) «الحج» الآية: ٣٢.

(٤) «المبسوط» ج ١، ص ١٨٧؛ «تذكرة الفقهاء» ج ٢، ص ١٠٥ – ١٠٦؛ «مدارك الأحكام» ج ٢، ص ١٤٩ – ١٥٠؛ «الحدائق الناضرة» ج ٤، ص ١٣٠. (٥) في الأصل: «السكون».

الباب التسعون

في أن الإمام متى يعلم أن الأمر قد صار إليه



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب ستة.

والمراد بالأمر كونه الخليفة الظاهر ـ حتماً ـ بالأمر بعده، والإمام الثاني وإن كان يعلم أنه الخليفة، وروح القدس معه، لكنه بواسطة الناطق، وهو وإن كان إماماً مفترض الطاعة، لكنه صامت، فلا تتوجه معه روح القدس ـ توجهاً من كلّ وجه ـ والإذن إلّا في آخر دقيقة من عمر الأول، وحينئذ يعلمه علماً قطعياً لا يحتمل البداء؛ لحصول الإمضاء فيه.

ولكونه معصوماً وإماماً صامتاً حال حياة الأول ـ وروح القدس معه أيضاً، وإن لم يكن بجهة النطقية إلّا بإذن الناطق السابق، وطينتهم واحدة ـ لم يتوقف علمه بانتقال الأمر إليه [علىٰ][1] بلوغه موته بشهود أو نقل، بل من آن وقوع الموت بالسابق وإن تباعدت البقاع ظاهراً، هذا ولا تباعد، كيف وهو حينئذ مهبط الملائكة، والدنيا بين يدي الإمام كالدرهم بين أيدينا نقلّبه كيف نشاء، بل أقل؟

وهو يلي أمره؛ اذ المعصوم لا يلي أمره ـ حتىٰ يدفنه ـ إلّا معصوم مثله.

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: «عن أبي جرير القمّي، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك، قد عرفت انقطاعي إلىٰ أبيك ثمّ إليك، ثمّ حلفت له: وحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) في الأصل: «الى».

وحقّ فلان وفلان، حتىٰ انتهيت إليه، بأنّه لا يخرج منّي ما تخبرني به إلىٰ أحد من الناس، وسألته عن أبيه أحيٌّ هو أم ميّت؟ فقال: قد والله مات، فقلت: جعلت فداك، إنّ شيعتك يروون أنّ فيه سنّة أربعة أنبياء، قال: قد ـ والله الذي لا إله إلّا هو ـ هلك، قلت: هلاك غيبة أو هلاك موت؟ قال: هلاك موت، فقلت: لعلّك منّي في تقيّة؟ فقال: سبحان الله! قلت: فأوصىٰ إليك؟ قال: نعم، قلت: فأشرك معك فيها أحداً؟ قال: لا، قلت: فعليك من إخوتك إمامٌ؟ قال: لا، قلت: فأنت الإمام؟ قال: نعم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿ عن عليّ بن أسباط، قال: قلت للرضا عليه السلام: إنّ رجلاً عنىٰ أخاك إبراهيم فذكر له أنّ أباك في الحياة، وأنّك تعلم من ذلك ما يعلم، فقال: سبحان الله، يموت رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يموت موسىٰ عليه السلام! قد والله مضىٰ كما مضىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكن الله تبارك وتعالىٰ لم يزل منذ قبض نبيّه صلى الله عليه وآله هلمّ جرّاً يمنُّ بهذا الدين علىٰ أولاد الأعاجم، ويصرفه عن قرابة نبيّه صلى الله عليه وآله، هلمّ جرّاً، فيعطي هؤلاء، ويمنع هؤلاء. لقد قضيت عنه في هلال ذي الحجّة ألف دينار، بعد أن أشفىٰ علىٰ طلاق نسائه وعتق مماليكه، ولكن قد سمعت ما لقي يوسف من إخوته ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿ عن الوشّاء، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إنّهم رووا عنك في موت أبي الحسن عليه السلام أنّ رجلاً قال لك: علمت ذلك بقول سعيد، فقال: جاء سعيد بعدما علمت به قبل مجيئه. قال: وسمعته يقول: طلّقت أُمّ فروة بنت إسحاق في رجب، بعد موت أبي الحسن عليه السلام بيوم، قلت: طلّقتها وقد علمت بموت أبي الحسن؟ قال: نعم، قلت: قبل أن يقدم عليك سعيد؟ قال: نعم ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن صفوان، قال: قلت للرضا عليه السلام: أخبرني عن الإمام متىٰ يعلم أنّه إمام، حين يبلغه أنّ صاحبه قد مضىٰ، أو حين يمضي؟ مثل أبي الحسن عليه السلام قُبض ببغداد وأنت ها هنا، قال: يعلم ذلك حين يمضي صاحبه، قلت: بأيّ شيء؟ قال: يلهمه الله﴾.

الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿عن هارون بن الفضل، قال: رأيت أبا الحسن عليّ بن محمّد في اليوم الذي توفّي فيه أبو جعفر عليه السلام، فقال: إنّا لله و إنا إليه راجعون، مضىٰ أبو جعفر عليه السلام فقيل له: وكيف عرفت؟ قال: لأنّه تداخلني ذلّة لله لم أكن أعرفها﴾.

أقول: وقد سبق لك في باب: وقت ما يعلم الإمام جميع علم الإمام الذي كان قبله ـ من الجزء السادس ـ أحاديث دالة علىٰ أنه يعلم جميع ذلك (في آخر دقيقه تبقىٰ من روحه)[1]، وفي بعضها: (الأمر)[2]، ويدخل في ذلك الخلافة، فمآل أحاديث البابين واحد. ومرّ لك في الباب احتمال لملّا صالح مع الكلام عليه، فراجعه.

ولمّا كان الانتقال يكون في آخر دقيقة تبقىٰ من عمر الأول، وهذا مما لا يمكن اطلاع سائر البشر عليه، استبعد بعضٌ ذلك وقال له: «كيف عرفت ذلك»[3] أو «قبل أن يأتيك سعيد»[4]، فأجابه عليه السلام بحصول ذلّة لله زائدة لم تكن له قبل؛ لأنه حينئذ ناطق، وقبلُ صامت، وأن يكون بإلهام من الله له، لكمال اتصال الأرواح، خصوصاً أرواحهم، وكذا نزول الملائكة، ففي أقل من لمح البصر ينزل الملك من تحت العرش إلىٰ الأرض ويعرض، فالتوجه والنزول العقلي أسرع من الحسي بكثير، ألا ترىٰ نفسك تتوجه إلىٰ مالا يقطع

---

(١) «هدي العقول» ج٨، باب وقت ما يعلم الإمام... ح١، ٢.

(٢) «هدي العقول» ج٨، باب وقت ما يعلم الإمام... ح٣.

(٣) يعني قول الراوي في الحديث الخامس: «فقيل له: وكيف عرفت».

(٤) يعني قول الوشّاء في الحديث الثالث: «قبل أن يقدم عليك سعيد».

بالسير الحسّي إلّا بالأشهر في لحظة؟

وهو عليه السلام حاضر معه حين موته، لكن هذا الجواب منه عليه السلام يأتي على هذا، وأقطع لاستبعاده، فإنه من المقدورات التي لا تعجز الله، وهذا [المقام][1] لهم ينطوي فيه الزمان والمكان. ولو أجابه بهذا الجواب لكان له أن يقول: ولو كان حاضراً معه وطويت له الأرض، من أين يعلم في آخر دقيقة؟ فيرجع لهذا الجواب.

وما تضمنه **الحديث الأول** من القسم بغير الله لإقرار الإمام له عليه السلام مما لا خلاف عند الإمامية في جوازه، وقد ورد عنهم عليهم السلام في غير حديث[2]، وإن كان في دفع الدعاوىٰ وإثبات الحقوق لا يجوز الحلف إلّا بالله، فمن أراد حينئذٍ أن يحلف فبالله، أو ليدَعْ.

والمراد بالشيعة فيه الواقفية، لا المعنىٰ الأخص منها وهو الاثنا عشرية، وهم* يزعمون أنّ موسىٰ عليه السلام حي لم يمت، وهو القائم، ولم يقع به هلاك موت، بل هلاك غيبة[3]، ويقولون: إنّ الله أجرىٰ فيه سنّة أربعة أنبياء: موسىٰ؛ فهو خائف يترقب، وعيسىٰ؛ فيقال: إنه مات، ولم يمت، ويوسف؛ لسجنه، ومحمد؛ بالسيف والجهاد بعد ظهوره.

فدفع ذلك الإمام بكمال التعجب؛ لوضوحه فكيف يخفىٰ؟! ولكن ـ كما في الحديث الثاني ـ الحسد يحمل علىٰ أشد من ذلك، كما فعل إخوة يوسف به، وابن آدم بأخيه، وهم محسودون، كما قال الله تعالىٰ[4].

والعجب منهم يقرّون بموت الرسول وهو أفضل، وينكرون موت موسىٰ عليه السلام! وكيف يغيب ويهلك بها ويبقىٰ الناس بعدُ حيارىٰ بغير مرشد ودليل؟!

وغير خفي أنه ليس في هذا الحديث دلالة علىٰ عنوان الباب، إلّا أن يصح إليه «فأوصىٰ إليك» أي عند موته، كما قاله الشارح محمد صالح[5]، ومع ذلك لا ينطبق إلّا أن يقال: في

---

(١) في الأصل: «لمقام».

(٢) «الكافي» ج ١، ص ١٨٧، ح ١٠؛ ص ٢٠٣، ح ١؛ وانظر: «وسائل الشيعة» ج ٢٣، ص ٢٦٢ - ٢٦٤، باب ٣٠ من كتاب الإيمان، ح ٧، ٨، ١٠، ١٤. (*) يعني الواقفية.

(٣) انظر: «فرق الشيعة» ص ٩٠؛ «الفصول المختارة» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ٢، ص ٣١٣.

(٤) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أم يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ «النساء» الآية: ٥٤. وما ورد في تفسيرها. انظر: «الكافي» ج ١، ص ٢٠٥، باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة الأمر وهم الناس المحسودون.

(٥) «شرح المازندراني» ج ٦، ص ٣٤٤.

آخر دقيقة، وهو كما ترىٰ.

وفي الحديث الثاني دلالة علىٰ أن الرسول مات بالسم، وعليه إجماع الإمامية. وعن الحسن عليه السلام: (أموت بالسمّ كما مات به جدي رسول الله صلى الله عليه وآله)[1].

وهو صريح الدلالة علىٰ حسن حال أولاد الأعاجم، وقد ورد: (لو كان العلم بالثريا لتناوله رجال من فارس)[2]، وذم رجال العرب. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3]، وإن كان بحسب النسب العربُ أشرف.

وليس هو بمنطبق علىٰ المقصود من الباب أيضاً، إلّا أن يقال: قوله: (كما مضىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله) فيه نوع دلالة؛ لأن علياً عليه السلام لم يفارقه أصلاً، وفاضت نفسه في فيه[4]، فهو يعلم بالانتقال آخر دقيقة منه.

و(سعيد) ـ في الحديث الثالث ـ هو الذي أتىٰ بموت أبي الحسن الكاظم عليه السلام إلىٰ المدينة من بغداد. و(أم فروة) أحد نساء أبيه الكاظم عليه السلام، وإنما طلّقها مع علمه بموته؛ لأنه كان وكيلاً وفوّض [إليه][5] أمر إخوته ونسائه من قبل، وقد مضىٰ في النص عليه، من الجزء السابق[6].

ولا مشاحة في طلاقها بعد موته؛ فإن ذلك جائز فيهم، وأمرهم أرفع من أن تناله عقولنا، وقد أوصىٰ الرسول علياً بذلك[7].

وقيل: «إنما جاز ذلك لأن مبنىٰ الشريعة علىٰ ظاهر الأمر، والناعي بموته لم يقدم بعد، فطلقها»[8].

لكن مجيء النعي يكشف عن بطلانه ظاهراً، فما فائدة طلاق كذلك؟ فالرجوع إلىٰ الأول.

---

(١) «الخرائج والجرائح» ج١، ص٢٤١، ح٧، ولفظه: (إني أموت بالسم كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله).

(٢) «قرب الإسناد» ص١٠٩، ح٣٧٧، بتفاوت يسير.

(٣) «الحجرات» الآية: ١٣.

(٤) «أمالي الشيخ الصدوق» ص٥٠٩، ح٦؛ «بحار الأنوار» ج٢٢، ص٥١١، ح٩.

(٥) في الأصل: «الله».

(٦) «هدي العقول» ج٨، باب الاشارة والنص علىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام، ح١٥.

(٧) «مناقب آل أبي طالب» ج٢، ص١٥٣؛ «مختصر بصائر الدرجات» ص٣٩.

(٨) «الوافي» المجلد ٣، ص٦٦٣، نقله بتصرف.

هذا، ويحتمل أن يراد من الطلاق مطلق التخلية والإمساك براءة، لا الطلاق الذي هو إزالة النكاح والعصمة، وحينئذ فلا إشكال بوجه، ويكون أصرح الدلالة علىٰ علمه [بموته][1] قبل قدوم سعيد. وليس هذا كطلاق علي ... بعد موت الرسول ﷺ.

❑ الحديث رقم ﴿٦﴾

قوله: ﴿عن مسافر، قال: أمر أبو إبراهيم عليه السلام ـ حين أُخرج بـه ـ أبـا الحسن عليه السلام أن ينام علىٰ بابه في كلّ ليلة أبداً ما كان حيّاً، إلىٰ أن يأتيه خبره، قال: فكنّا [في] كلّ ليلة نفرش لأبي الحسن عليه السلام في الدهليز، ثمّ يأتي بعد العشاء فينام، فإذا أصبح انصرف إلىٰ منزله. قال: فمكث علىٰ هذه الحال أربع سنين، فلمّا كان ليلة من اللّيالي أبطأ عنه، وفرش له فلم يأت كما كان يأتي، فاستوحش العيال وذعروا، ودخلنا أمر عظيم من إبطائه.

فلمّا كان من الغد أتىٰ الدار ودخل إلىٰ العيال، وقصد إلىٰ أمّ أحمد، فقال لها: هات الّتي أودعك أبي، فصرخت ولطمت وجهها وشقت جـيبها، وقالت: مات والله سيّدي، فكفّها وقال لها: لا تكلّمي بشيء ولا تظهريه حتىٰ يجيء الخبر إلىٰ الوالي، فأخرجت إليه سفطاً وألفي دينار أو أربعة آلاف دينار، فدفعت ذلك أجمع إليه دون غيره، وقالت: إنّه قال لي فيما بيني وبينه ـ وكانت أثيرة عنده ـ: احتفظي بهذه الوديعة عندك، لا تطلعي عليها أحداً حتىٰ أموت، فإذا مضيت فمن أتاك من ولدي فطلبها منك فادفعيها إليه، واعلمي أنّي قد متُّ، وقد جاءني والله علامة سيّدي.

فقبض [الرضا][2] ذلك منها وأمرهم بالإمساك جميعاً إلىٰ أن ورد الخبر، وانصرف فلم يعد لشيء من المبيت كما كان يفعل.

---

(١) في الأصل: «بموتي».

(٢) ليست في المصدر.

فما لبثنا إلّا أيّاماً يسيرة حتىٰ جاءت الخريطة بنعيه، فعددنا الأيّام وتفقدّنا الوقت، فإذا هو قد مات في الوقت الذي فعل أبو الحسن عليه السلام ما فعل، من تخلّفه عن المبيت، وقبضه لِما قبض ».

(مسافر): مولىً لأبي الحسن[1].

والذُّعْر: الخوف[2].

و(سفط) معرّب (سبد)[3].

و(كانت أثيرة) ـ بالثاء المثلثة ثمّ الياء المثناة التحتانية ـ أي مكرمة عظيمة عند الكاظم عليه السلام، وكانت من أزواجه.

والعلامة علىٰ إمامة الإمام طلبه تلك الوديعة التي لم يظهر عليها أحداً، والدلالة منها علىٰ صدقه ظاهرة.

و(الخَريطة) شدة البكاء، واستخرطَ في البكاء: لَجَّ واشتدَّ بكاؤه، والاسم: الخُرَّيطي. والخريطة ـ أيضاً ـ: وعاء من أدَمٍ يُشرَج علىٰ مافيه[4].

* * *

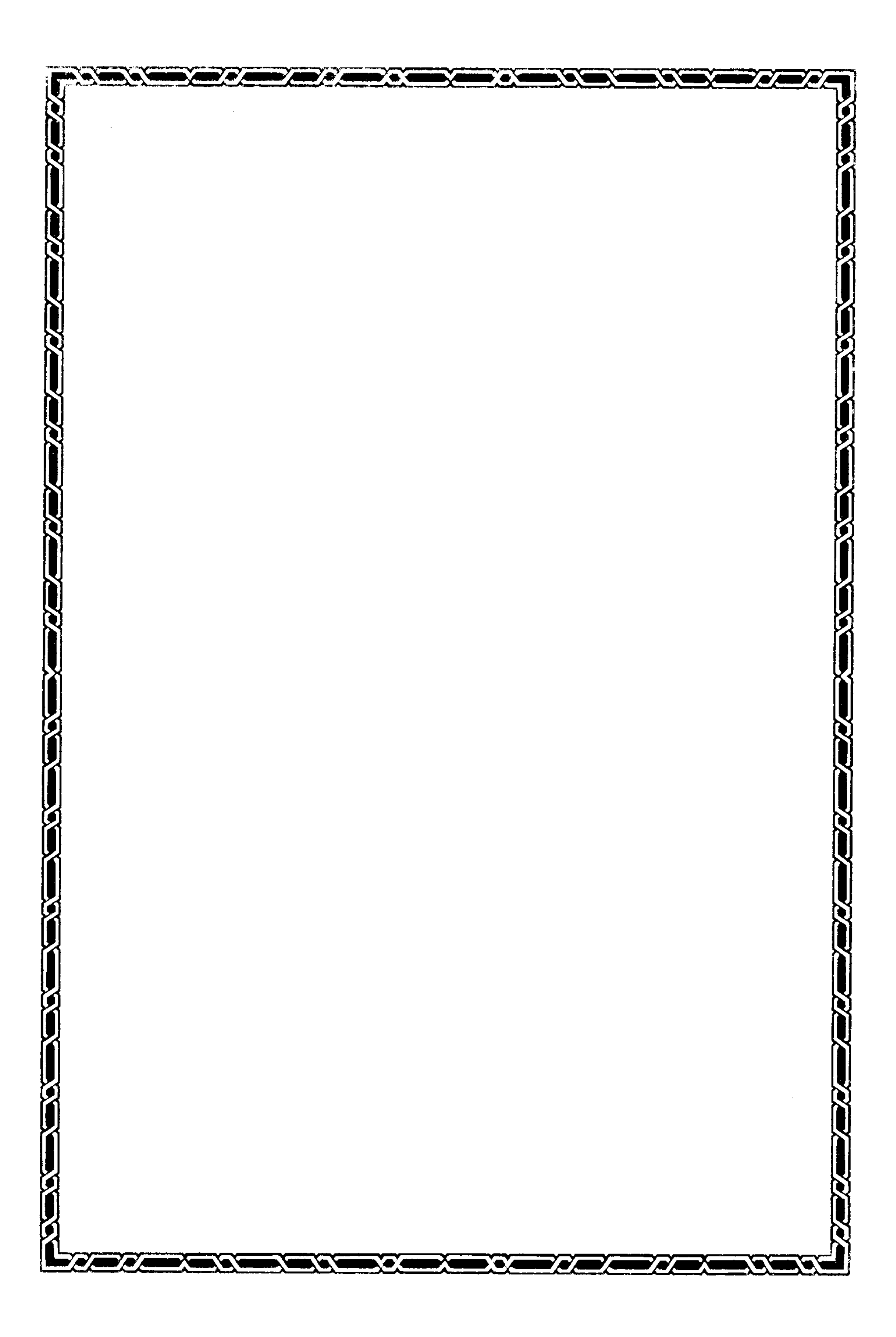
---

(١) انظر: «رجال الكشي» ج٢، ص٧٩٤، الرقم: ٩٧١.

(٢) انظر: «لسان العرب» ج٥، ص٤٣، مادة «ذعر».

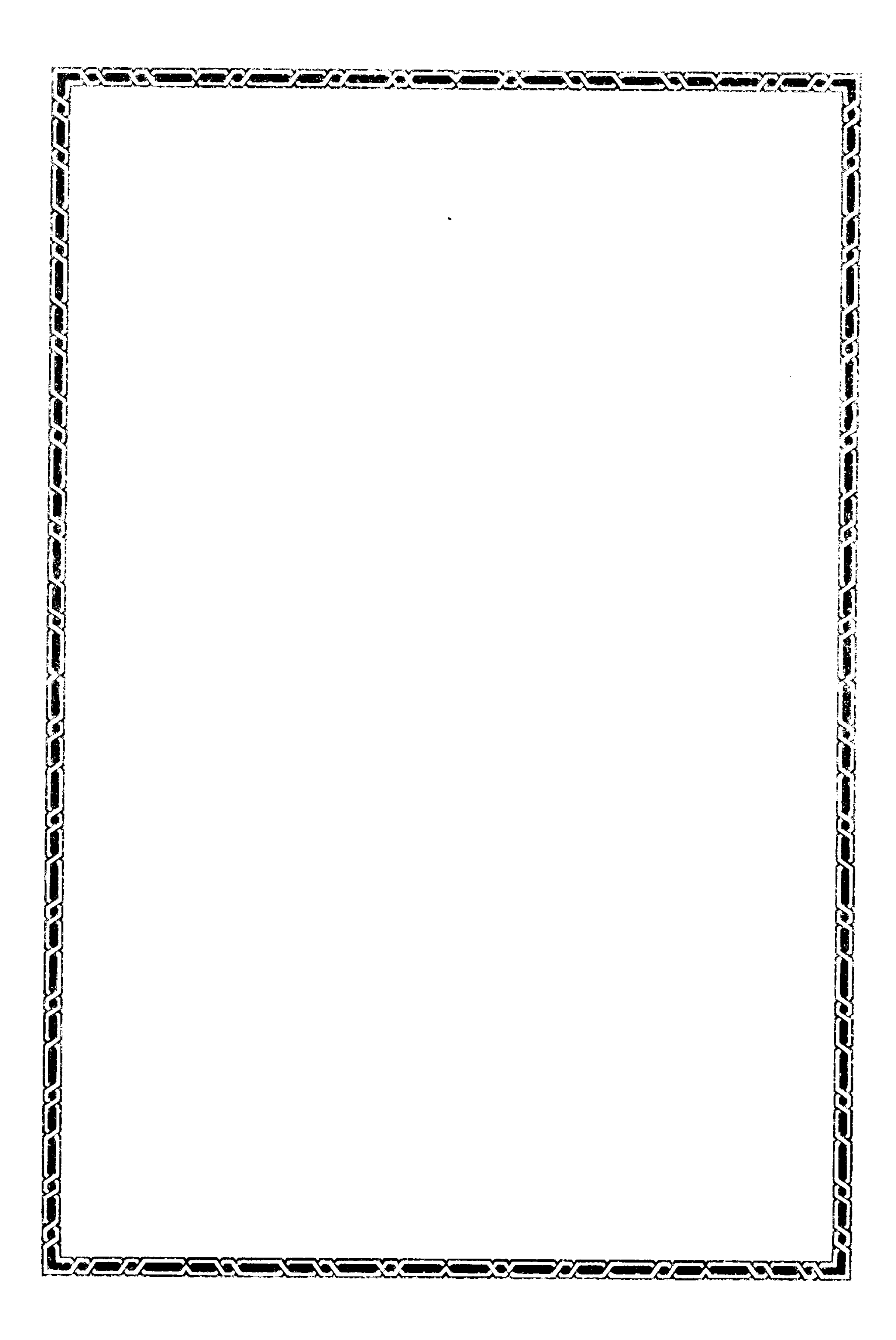
(٣) انظر: «الوافي» المجلد٣، ص٦٦٤.

(٤) انظر: «لسان العرب» ج٤، ص٦٤، ٦٥؛ «القاموس المحيط» ج٢ ص ٥٢٧، ٥٢٨، مادة «خرط».



الباب الحادي والتسعون

حالات الأئمة عليهم السلام في السن



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب ثمانية.

وغير خفي أنّ اقتناء الفضائل والتنزه عن الرذائل ليس مشروطاً بزمن، بحيث لا يمكن التحصيل قبله، وهذا ظاهر البيان من اختلاف مراتب التحصيل في أفراد ابن آدم، بل دائر مدار حسن الاستعداد والقيام بالوظائف. وغير خفي زيادة استعداد المعصوم، بل مفارقة سائر أفراد النوع، فبأن لا يشترط سن فيه بطريق أولىٰ.

هذا، والقيام بأعباء الخلافة وظهور المعاجز من الإمام قبل البلوغ ظاهر من كلّ نبيّ ووصي، وقد كان من الأنبياء من هو ذو شريعة مبتدأة أو غير مبتدأة وهو صبي، فكيف الخلافة؟! وهذا ظاهر من عيسىٰ ويحيىٰ، بنص الكتاب[1] وإجماع الأُمة.

فلعن الله العامة؛ تراهم يوافقون علىٰ هذا، وإذا قيل بمثله في أحد الأئمة قالوا: كيف يكون وهو صبي؟ لكن الحسد والجحود العنادي يوجب هذا وزيادة.

وقد خرج الرسول ﷺ بالحسنين عليهما السلام في المباهلة، ولفّ الكساء عليهما أيضاً ودعا لهما بما دعا ـ باتفاق رواياتهم[2] وأقوالهم ـ وهما حينئذ صغيران، وماذاك إلّا للاعتداد بهما

---

(١) «مريم» الآية: ١٢، ٣٠.

(٢) «مسند أحمد بن حنبل» ج٦، ص٢٩٢، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٢٣؛ «سنن الترمذي» ج٥، ص٣٥١، ح٣٢٠٥؛ ص٦٦٣، ح٣٧٨٧؛ «المعجم الكبير» ج٣، ص٥٣، ح٢٦٦٤، ٢٦٦٥، ٢٦٦٦.

وإتيانهما الحكمة حينئذ وتكليفهما.

ويدل عليه قول فاضلهم العسقلاني في حديث الزكاة من فتح الباري شرح صحيح البخاري، لمّا قال الرسول ﷺ للحسين عليه السلام: (كخ، أما علمت يابني أنّ الصدقة علينا حرام)[(١)].

وكذا إسلام علي مع الرسول من صغره لا ينكرونه.

والحاصل أنّ الله احتج في الإمامة كما في النبوة، وأبت العامة إلّا قول غير ذلك.

وروىٰ محمد بن العباس بسنده عن حكم بن أيمن، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (والله لقد أُوتي علي الحكم صبياً، كما أُوتي يحيىٰ بن زكريا الحكم صبياً)[(٢)].

العياشي، عن علي بن أسباط، قال: قدمت المدينة وأنا أُريد مصر، فدخلت علىٰ أبي جعفر عليه السلام محمد بن علي الرضا عليه السلام، وهو إذ ذاك خماسي، فجعلت أتأمله لأُصفه لأُصحابنا بمصر، فنظر إلي وقال: (يا علي، إنّ الله أخذ في الإمامة كما أخذ في النبوة، فقال سبحانه عن يوسف: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتيناهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾[(٣)]، وقال عن يحيىٰ: ﴿ وآتَيْناهُ الحُكمَ صَبِيّاً ﴾[(٤)])[(٥)].

❑ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن يزيد الكناسي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: أكان عيسىٰ بن مريم عليه السلام حين تكلّم في المهد حجّة الله علىٰ أهل زمانه؟ فقال: كان يومئذ نبيّاً، حجّة الله، غير مرسل، أما تسمع لقوله حين قال: ﴿ إنّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجَعَلَني نَبيّاً * وَجَعَلَني مُبارَكاً أينَما كُنْتُ وَأوْصانِي بالصَّلاةِ والزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيّاً ﴾[(٦)].

قلت: فكان يومئذ حجّة لله علىٰ زكريّا في تلك الحال وهو في المهد؟

---

(١) «صحيح البخاري» ج٢، ص٥٤٣، ح١٤٢٠، بالمعنىٰ.

(٢) انظر: «تأويل الآيات الظاهرة» ص٢٩٦.

(٣) «يوسف» الآية: ٢٢.

(٤) «مريم» الآية: ١٢.

(٥) انظر: «مجمع البيان» ج٦، ص٦٥٤، عنه باختلاف، وعنه في: «تأويل الآيات الظاهرة» ص٢٩٦، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) «مريم» الآية: ٣٠ - ٣١.

قلت: فكان يومئذ حجّة لله علىٰ زكريّا في تلك الحال وهو في المهد؟ فقال: كان عيسىٰ في تلك الحال آية للنّاس، ورحمة من الله لمريم، حين تكلّم فعبّر عنها، وكان نبياً حجّة علىٰ من سمع كلامه في تلك الحال، ثمّ صمت فلم يتكلّم حتىٰ مضت له سنتان، وكان زكريّا الحجّة لله عزَّ وجلَّ علىٰ النّاس بعد صمت عيسىٰ عليه السلام بسنتين، ثمّ مات زكريّا فورثه ابنه يحيىٰ الكتاب والحكمة وهو صبي صغير، أما تسمع لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيّاً ﴾[1].

فلمّا بلغ عيسىٰ سبع سنين تكلّم بالنبوّة والرسالة حين أوحىٰ الله تعالىٰ إليه، فكان عيسىٰ الحجّة علىٰ يحيىٰ وعلىٰ الناس أجمعين. وليس تبقىٰ الأرض ـ يا أبا خالد ـ يوماً واحداً بغير حجّة لله علىٰ النّاس، منذ يوم خلق الله آدم عليه السلام وأسكنه الأرض.

فقلت: جعلت فداك، أكان علي عليه السلام حجّة من الله ورسوله علىٰ هذه الأُمّة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: نعم، يوم أقامه للناس ونصبه علماً، ودعاهم إلىٰ ولايته، وأمرهم بطاعته.

قلت: وكانت طاعة عليّ عليه السلام واجبة علىٰ الناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته؟ فقال: نعم، ولكنّه صمت فلم يتكلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ أُمّته وعلىٰ عليّ عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت الطاعة من الله ومن رسوله علىٰ الناس كلّهم لعليّ عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان عليٌّ عليه السلام حكيماً عالماً ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٢﴾

قوله: ﴿عن صفوان بن يحيىٰ، قال: قلت للرضا عليه السلام: قد كنّا نسألك قبل

---

(١) «مريم» الآية: ١٢.

أن يهب الله لك أبا جعفر عليه السلام، فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً، فقد وهب الله لك، فقرّ عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلىٰ من؟ فأشار بيده إلىٰ أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك، هذا ابن ثلاث سنين؟! قال وما يضرُّه من ذلك شيء، قد قام عيسىٰ عليه السلام بالحجّة وهو ابن ثلاث سنين ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿ عن علي بن سيف، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر الثّاني عليه السلام، قال: قلت له: إنّهم يقولون في حداثة سنّك، فقال: إنّ الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ داود أن يستخلف سليمان وهو صبي يرعىٰ الغنم، فأنكر ذلك عبّاد بني إسرائيل وعلماؤهم، فأوحىٰ الله إلىٰ داود عليه السلام أن خذ عصا المتكلّمين وعصا سليمان واجعلهما في بيت واختم عليها بخواتيم القوم، فإذا كان من الغد فمن كانت عصاه قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة. فأخبرهم داود عليه السلام، فقالوا: قد رضينا وسلّمنا ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿ عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال أبو بصير: دخلت إليه ومعي غلام [يقودني][1] خماسي لم يبلغ، فقال لي: كيف أنتم إذا احتجّ عليكم بمثل سنّه، أو قال: سيلي عليكم بمثل سنّه ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿ عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، قال: سألته ـ يعني أبا جعفر عليه السلام ـ عن شيء من أمر الإمام، فقلت: يكون الإمام ابن أقلّ من سبع سنين؟ فقال: نعم، وأقلّ من خمس سنين.

---

(١) ليست في المصدر.

فقال سهل: فحدَّثني علي بن مهزيار بهذا في سنة إحدىٰ وعشرين ومائتين ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٦﴾

قوله: ﴿عن الخيرانيّ، عن أبيه، قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان، فقال له قائل: يا سيّدي، إن كان كون فإلىٰ من؟ قال: إلىٰ أبي جعفر ابني، فكأنّ القائل استصغر سنّ أبي جعفر عليه السلام، فقال [له][1] أبو الحسن عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالىٰ بعث عيسىٰ بن مريم عليه السلام رسولاً نبياً، صاحب شريعة مبتدأة، في أصغر [من] السنّ الذي فيه أبو جعفر عليه السلام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٧﴾

قوله: ﴿عن عليّ بن أسباط، قال: رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد خرج عليّ، فأخذت النظر إليه وجعلت أنظر إلىٰ رأسه ورجليه؛ لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كذلك حتىٰ قعد، فقال: يا عليّ، إنّ الله احتجّ في الإمامة بمثل ما احتجّ به في النبوّة، فقال: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾[2]، ﴿ وَلَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾[3] ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾[4]. فقد يجوز أن يؤتىٰ الحكمة وهو صبي، ويجوز أن يؤتاها وهو ابن أربعين سنة ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٨﴾

قوله: ﴿قال عليّ بن حسّان لأبي جعفر عليه السلام: ياسيّدي، إنّ الناس ينكرون عليك حداثة سنّك، فقال: وما ينكرون من ذلك، قول الله عزّ وجلّ؟ لقد قال الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أنا

---

(١) ليست في المصدر.
(٢) «مريم» الآية: ١٢.
(٣) «يوسف» الآية: ٢٢؛ «القصص» الآية: ١٤.
(٤) «الأحقاف» الآية: ١٥.

وَمَن اتَّبَعَنِي ﴾[١]، فوالله ما تبعه إلّا علي عليه السلام وله تسع سنين، وأنا ابن تسع سنين ﴾.

ومرّ الحديث الثاني في باب الإشارة والنص علىٰ أبي جعفر الثاني عليه السلام، متناً وسنداً[٢].

وظاهر الحديث السابع ـ الآية ـ: ﴿ وَلمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ ﴿ وبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾، والذي في [سورة] «يوسف»: ﴿ وَلما بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾ الآية[٣]، وفي «الأحقاف»: ﴿ حَتَّىٰ إذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ الآية[٤]. وليس في القرآن غير هاتين؛ فإما تغيير من الراوي، أو قراءة منهم عليهم السلام في هذه الآية.

وجميع الأحاديث ظاهر مافيها.

* * *

---

(١) «يوسف» الآية: ١٠٨.

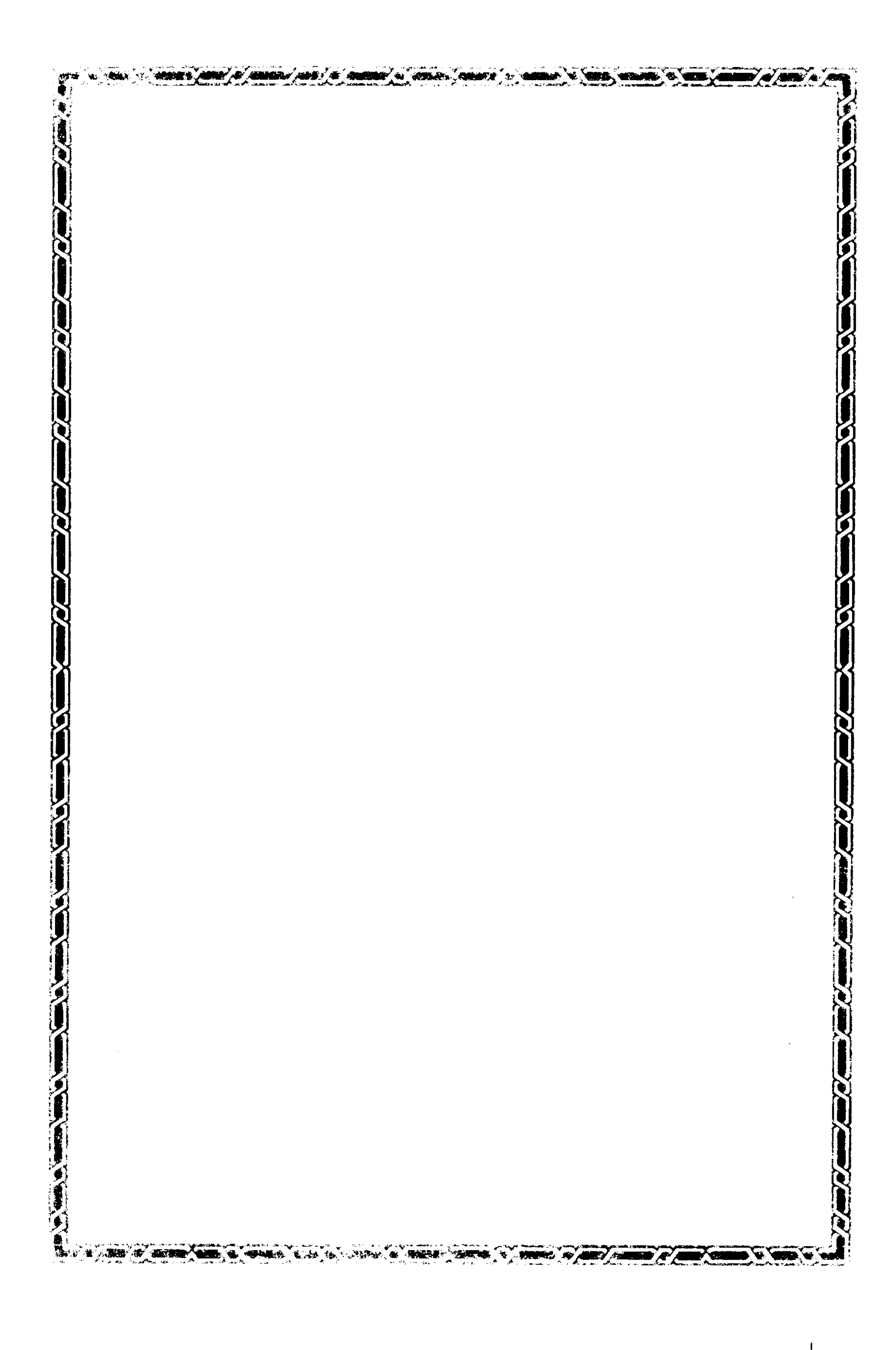
(٢) «هدي العقول» ج٨، باب الإشارة والنص علىٰ أبي جعفر الثاني عليه السلام، ح١٠، بتفاوت يسير متناً.

(٣) «يوسف» الآية: ٢٢.

(٤) «الأحقاف» الآية: ١٥.

الباب الثاني والتسعون

أن الإمام لا يغسله إلا إمام من الأئمة عليهم السلام



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب ثلاثة.

لمّا كان المعصوم حين الموت ـ حتىٰ يصل لقبره في آخر العمر الدنيوي وخروجه من الدنيا ـ علىٰ أحسن حال، لم تدنسه أدناس الطبيعة، ولم يقرب شعب الجهل أصلاً؛ لعصمته، وحينئذ ظاهر بأكمل مقامه الغيبي، فلا يحسن لهذا المقام إلّا وصي مثله؛ لأنها من الحالات التي لا تسع مَلَكاً ولا سائر البشر، لأنه في مقام الفناء، ولأنه إلىٰ أن يفارقه يعلّمه ويوصي إليه، فلا يكون المباشر إلّا معصوماً. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (بعد أن تغسّلني وتكفني خذ بجوامع كفني وأجلسني، ثمّ سلني)[1].

فالتغسيل لهم عليهم السلام لا لإزالة نجاسة، وإنما هو تعبد شرعي وامتثال للأمر الإلهي، وفيه وجه آخر غير خفي علىٰ الحكيم العارف، من غير أن يوجب نقصاً فيهم بوجه.

وأيضاً، الملائكة زمرهم حينئذ في صعود ونزول، وتجلّ بصور متعددة، وغير المعصوم لا يطيق ذلك، ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأَمْرُ﴾[2]. فلا يكون من يتولىٰ أمره إلّا معصوماً مثله، وعلىٰ ذلك روايات متواترة معنًى، وكذا إجماعنا.

ثمّ اعلم أنّ ذلك ليس بخاص بغسله، بل وكذا في التكفين والصلاة عليه ومواراته في

---

(١) «الكافي» ج١، ص٢٩٧، باب الإشارة والنص علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، ح٧، وفيه: (فإذا فرغت من غسلي وكفني فخذ)...

(٢) «الأنعام» الآية: ٨.

القبر، لا يكفنه ويصلي عليه ويواريه إلّا معصوم مثله؛ لما مرّ من العلل العقلية الموافقة للنصوص.

وقد سمعت في باب «ما يجب علىٰ الناس عند مضي الإمام» أنّ من علاماته أنه أولىٰ الناس به، والوصيّة له[1]، وكذا في غير هذا الحديث. ومعلوم دخول ما ذكرناه فيها، وهو أولىٰ به أولويّة وجوب، حتىٰ يدفنه.

وأيضاً، وصية كلّ إمام حين الموت في الوصي الذي بعده مما هو واجب لامرية فيه، ويدخل ذلك فيما يوصي به.

وكذا من جهة قيام الخلف بأُمور الماضي يشملها، فإن منع مانع ظاهراً لم يمنعه باطناً، كما يقال في التغسيل.

ولقوله تعالىٰ: ﴿ وَأُوْلُو الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾[2]، وهي تشمل ما ذكرناه.

فتعيّن من ذلك عقلاً ونقلاً أنّ المعصوم لا يغسّله ولا يكفنه ولا يصلي عليه - أي [يؤمر][3] فيها ويكلّف بها، لا كلّ مصلّ - ولا يلحده إلّا معصوم مثله.

وما في كثير من العبائر من ذكر التغسيل وعدم التعرض لغيره فليس علىٰ سبيل الحصر، بل لغرض التنبيه، وإلّا فالحكم واحد.

ومافي بعض السير من أنّ الفضل أفاض الماء علىٰ الرسول في تغسيله[4]، وأنّ علي بن الحسين عليه‌السلام أوصىٰ علىٰ أم ولده أن تغسّله[5]، وأنّ بعضاً شارك علياً في تلحيد الرسول[6] صلى‌الله‌عليه‌وآله، فمطّرحة، لأنها من شواذ الأخبار، المخالفة للقطعي منها وصافي الاعتبار، فلا شبهة في اطراحها وعدم التعريج عليها بوجه أصلاً.

---

(١) انظر: باب ما يجب علىٰ الناس ... ، السابق في هذا المجلد: ح ٢.

(٢) «الأنفال» الآية: ٧٥؛ «الأحزاب» الآية: ٦.   (٣) في الأصل: «يام».

(٤) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١١ / ١، ص ١٨٧؛ «بحار الأنوار» ج ٢٢، ص ٥١٨، ح ٢٧.

(٥) «الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه‌السلام» ص ١٨٨؛ «بحار الأنوار» ج ٤٦، ص ١٤٩، ح ٦ وفيه: أن علي بن الحسين لما أن مات قال أبو جعفر عليه‌السلام: (لقد كنت أكره أن أنظر إلىٰ عورتك في حياتك، فما أنا بالذي أنظر إليها بعد موتك). فأدخل يده وغسل جسده، ثم دعا أُم ولد له فأدخلت يدها وغسلت عورته ....

(٦) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١١ / ١، ص ١٨٨.

ولا يمنع فيما قلناه تباعد الأجسام، كالرضا في خراسان، وابنه بالعراق، والكاظم عليه السلام بالعراق، وابنه بالمدينة؛ لأنا قلنا: إن لم يكن ظاهراً فباطناً، أو ظاهراً في صورة من الصور، علىٰ أنّ الدنيا خطوة مؤمن، ولكن لا ينكر من قدرة الله أن يخفي بعض أوليائه وقتاً ما، [يرونه][1] الناس ولا يعرفونه، أو لا يرونه وهو يراهم.

علىٰ أنّ ما قلنا هو الواجب والأصل الثابت، فلو خولف ذلك من تعدي الناس وظلمهم لم يناف ذلك في إمامة الحي ولا الميت، ولا يثبت ذلك [نقصاً][2] في أحدهما، كسائر التعديات عليهم، وصبروا احتسابا لله وامتثالاً.

ثمّ اعلم أنّ الذي يغسّل الإمام الثاني عشر بعد ظهوره ويلي أمره الحسين[3] عليه السلام، وآخر من يموت من الأئمة بعد الرجعة الإمام علي عليه السلام، وبعده الرسول صلى الله عليه وآله، يفقد فقداً كسائر الأئمة في الرجعة. فلا يلزم خلل في أنّ المعصوم لا يليه إلّا معصوم، ولا نقص، فلا يحتاج إلىٰ تغسيل حينئذ ومواراة، علىٰ أنه لو قيل فيه لا يضرّ، لجواز تولّي بعض الأئمة الموتىٰ ذلك، فإن ميتهم إذا مات يظهر إذا أراد[4]، فتدبّر جميع ذلك.

☐ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن أحمد بن عمر الحلّال، أو غيره، عن الرضا عليه السلام، قال: قلت له: إنّهم يحاجّونا يقولون: إنّ الإمام لا يغسّله إلّا الإمام، قال: فقال: ما يدريهم من غسّله؟ فما قلت لهم؟ قال: فقلت: جعلت فداك، قلت لهم: إن قال [مولاي][5]: إنّه غسّله تحت عرش ربّي فقد صدق، وإن قال: غسّله في تخوم الأرض فقد صدق، قال: [لا هكذا. قال:] فقلت: فما أقول لهم؟ قال: قل لهم: إنّي غسّلته، فقلت: أقول لهم: إنّك غسّلته؟ فقال: نعم﴾.

---

(١) في الأصل: «يعرفوه». (٢) في الأصل: «بعض».

(٣) «الكافي» ج٨، ص١٧٥، ح٢٥٠.

(٤) انظر: «مشارق أنوار اليقين» ص١٦٢؛ «بحار الأنوار» ج٧، ص٣٠٢ باب أنهم يظهرون بعد موتهم.

(٥) ليست في المصدر.

الحديث رقم ﴿٢﴾

قوله: ﴿عن محمد بن جمهور، قال: حدّثنا أبو معمر قال: سألت الرضا عليه السلام عن الإمام يغسّله الإمام؟ قال: سنّة موسىٰ بن عمران عليه السلام﴾.

الحديث رقم ﴿٣﴾

قوله: ﴿عن طلحة، قال: قلت للرضا عليه السلام: إنّ الإمام لا يغسّله إلّا الإمام؟ فقال: أما تدرون من حضر [لغسله][1]؟ قد حضره خير ممّن غاب عنه، الّذين حضروا يوسف في الجبّ حين غاب عنه أبواه وأهل بيته﴾.

أقول: حاصل الحديث الأول شبهة ترد من الواقفة وجوابها، وهي أنّ موسىٰ الكاظم عليه السلام مات ببغداد، وابنه الرضا بالمدينة، فلو كان الإمام بعده الرضا لغسّله، وهو لم يغسّله؛ لعدم حضوره، فبطلت إمامته علىٰ تقدير قولكم: إنّ الامام لا يغسّله إلّا إمام مثله. ويلزم منه عدم موت موسىٰ عليه السلام، بل غاب، وإبطال إمامته علىٰ تقدير قولكم.

وحاصل الجواب أنه من أين علمتم أنه لم يغسّله إمام؟ فله أن يغسّله تحت تخوم الأرض، أو تحت العرش، من أين لكم دفع ذلك؟ هذا جواب الراوي.

وأجابه الإمام الرضا عليه السلام بأن قل لهم بالقطع، وهو القول بأنّ الذي غسّله أنا، وبُعد المكان لا يضرّ، فقد عرفت دفعه، ووقع نظيره مما لا ينكرونه.

وأجاب الإمام في الحديث الثاني بما يتضمن أنّ الإمام لا يغسّله إلّا إمام، فإنّ موسىٰ عليه السلام غسّله يوشع، وهو الوصي بعده، مع التصريح بأن هذه سنّة جارية في جميع المعصومين، فكل معصوم لا يغسّله إلّا معصوم مثله، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[2].

أوَلم ينظر المعاند كيف حال يوسف، وما حفظ به في الجب، مع غيبة أهله عنه؟ فجاز كون المعصوم الغائب عنه أهله كذلك، فصح أنّ الإمام لا يغسّله إلّا إمام، في الجملة.

هذا، والذي ثبت وعليه إجماع الإمامية أنّ الذي غسّل الكاظم عليه السلام ابنه الرضا[3] عليه السلام،

---

(١) في الأصل: «لعله». (٢) «الأحزاب» الآية: ٦٢؛ «الفتح» الآية: ٢٣.

(٣) «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ١٠٤، ح ٦؛ «بحار الأنوار» ج ٤٨، ص ٢٢٥، ح ٢٦.

والذي غسّل الرضا بخراسان ابنه الجواد[1] عليهما السلام، والذي ألحد الحسين وصلىٰ عليه ابنه زين العابدين عليه السلام، ولا يضرّ كونه في الأسر؛ فهو لا يقيّده، وكذا الذي وارىٰ رأس الحسين عليه السلام وردّه مع الجسد الشريف هو علي بن الحسين عليه السلام لا غير[2]، لما عرفت من الأدلة القطعية، وهي آتية هنا، وما ورد في شواذ الأخبار بخلاف ذلك سبيله الاطراح.

وقد عرفت أنّ حكم التكفين والصلاة والدفن حكم التغسيل، وورد أيضاً ما يدل علىٰ ذلك خصوصاً، ولا يحضرني موضعه، فلعله في الخرائج والجرائح والغيبة، وقد انصرح لك دليله.

ويدل عليه أيضاً صريحاً ما رواه المصنف قبل باب الصيحة، في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾[3]، أنه: (خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه، عليهم البيض المذهّب، لكل بيضة وجهان، المؤدون إلىٰ الناس أنّ هذا الحسين عليه السلام قد خرج، حتىٰ لا يشكّ المؤمنون فيه، وأنه ليس بدجال ولا بشيطان، والحجّة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين أنه الحسين عليه السلام جاء الحجّة الموت، فيكون الذي يغسّله ويكفنه ويحنطه ويلحده في حفرته الحسين بن علي عليهما السلام، ولا يلي الوصي إلّا وصي)[4].

وجوه في رفع تنافي الاحاديث

ثمّ لا ينافي ما تضمنه الحديث الأول من أنّ الذي غسله ابنه ـ وكذا سائر الأحاديث المتضمنة أن الوصي لا يغسّله الّا وصي ـ ما تضمنه آخر الأحاديث في الجواب بقوله: (أما تدرون من حضر؟ لعلّه قد حضره خير ممن غاب عنه، الذين حضروا يوسف في الجب)، وهو دال علىٰ أنّ الذي حضره وغسّله الملائكة، وأيضاً فيه تفضيل الملائكة علىٰ الوصي، وليس كذلك. قلنا:

الوجه الأول: فيه دلالة علىٰ الذي[5] حضر يوسف، ولم يتعرض لمن غسّله؛ تمويهاً،

---

(١) «عيون أخبار الرضا» ج٢، ص٢٤٣ - ٢٤٤، ح١؛ «بحار الأنوار» ج٤٩، ص٣٠١ - ٣٠٢، ح١٠.

(٢) انظر: «اللهوف» ص١١٤؛ «بحار الأنوار» ج٤٥، ص١٤٥.

(٣) «الإسراء» الآية: ٦.

(٤) «الكافي» ج٨، ص١٧٥، ح٢٥٠، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) في الأصل: «علىٰ ان الذي». والمناسب ما أثبتناه.

وإثبات أن الذي غسّله غير سائر البشر.

الوجه الثاني: أو نقول: لم يعيّن من حضر مع الإمام، فنقول: هو الرسول وآباؤه، ولا شك أنه أفضل ممن غاب عنه.

الوجه الثالث: أو نقول: الذي غاب عنه الحضور الحسي والظهور المشاهد لابنه عليه السلام، والحضور الغيبي معه، وهو لابنه عليه السلام، فهو يرىٰ الناس ويرىٰ أباه، والناس لا يرونه. ولا شك أن هذه الحالة خير من الحالة الغائبة، ويرجع التفضيل بين الحالتين.

الوجه الرابع: أو يراد بمن غاب: سائر أهله ومعه بنوه.

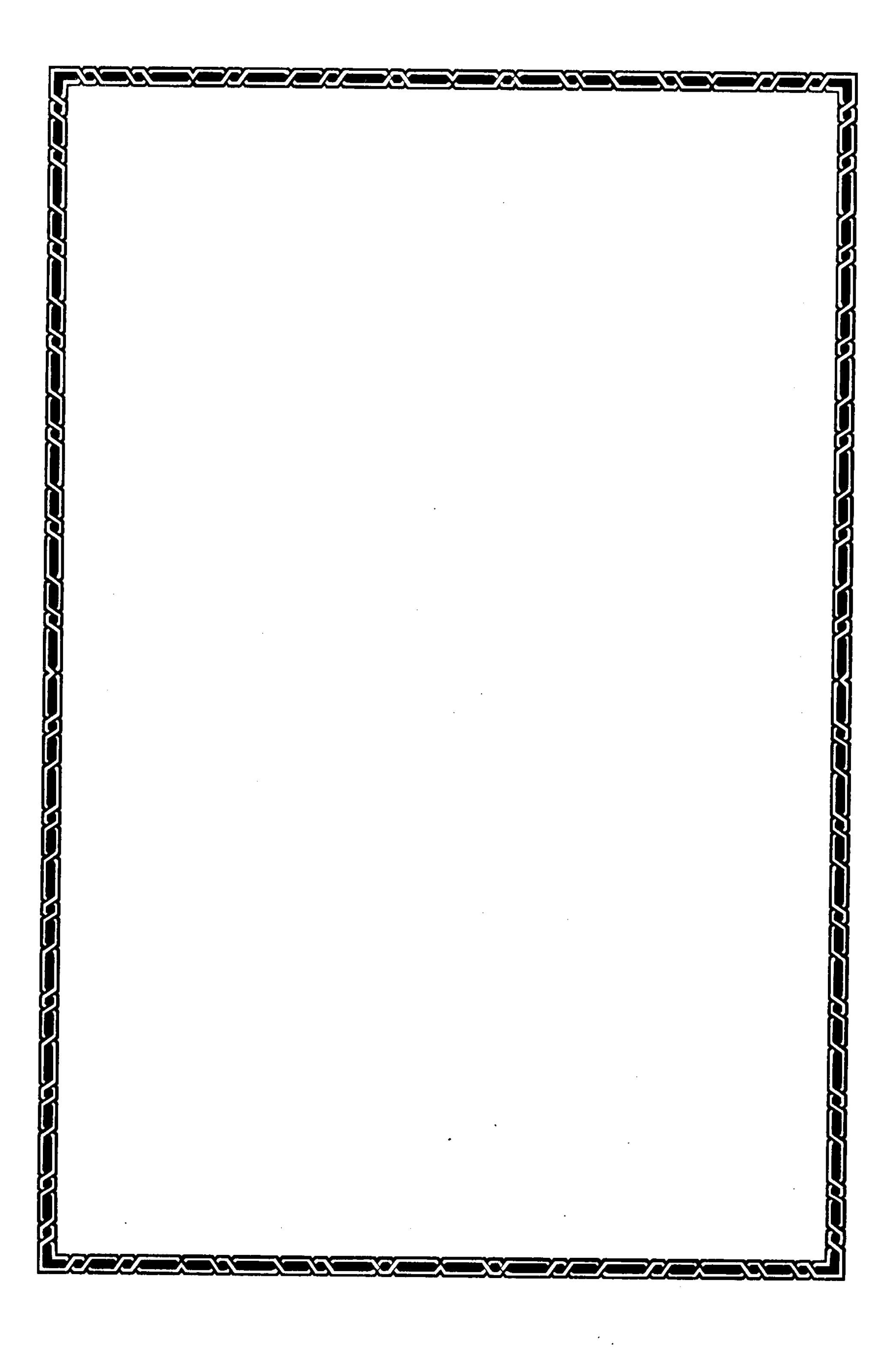
وفي بعض النسخ: (ما تدرون) بغير همز.

فاندفع التنافي والإشكال بأفضلية الملائكة علىٰ المعصوم، علىٰ أنه يجوز إخلاء (خير) من التفضيل.

* * *

الباب الثالث والتسعون

مواليد الأئمة عليهم السلام



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب [ثمانية][1].

اعلم أنّ المعصوم مزايل للبشر في الأخلاق الردية، وعصمته من آن الولادة، بل من آن الفطرة الوجودية، إذ ليست عصمته بخاصة ببعد البلوغ زمناً معيناً كما عليه العامة[2]، وعن بعض دون بعض، كما اختاروه أيضاً، بل فطرته وجودية باختيارهم لا عن جبر، فلما أطاعوا بحقيقة الطاعة اختياراً عُصموا من جميع المنافيات عزماً واعتقاداً وهمّة، ونفساً وروحاً، [ومثالاً][3] وقالباً وبدناً، فوجب أن تكون طينتهم واحدة، وسائر الطين من فاضلها، ولها خواص ومزايا في كلّ مقام غيبي بما يناسبه.

وكذا في المزايا الظاهرة من آن الحمل، فالحمل به ليس كالحمل بسائر البشر، وكذا حاله [و]حال الولادة، لأنه أول ما أقرّ في عالم الذر مع من أقرّ في عالم الأرواح، وهو الصفوة، فهو في الحمل يخاطب أمه ويذكر الله، كما هو ظاهر من الحمل بالرسول أيضاً والزهراء[4] عليها السلام والأئمة[5] عليهم السلام.

---

(١) في الأصل: «سبعة».

(٢) انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» ج ٢، ص ٢٨٤؛ «التفسير الكبير» ج ٣، ص ٧ وما بعدها.

(٣) في الأصل: «ومثالا».

(٤) «أمالي الشيخ الصدوق» ص ٤٧٥، ح ١؛ «بحار الأنوار» ج ٤٣، ص ٢، ح ١.

(٥) انظر: «الكافي» ج ١، ص ٣٨٨، ح ٥؛ «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ٢٠، ح ٢.

وحال ولادته ـ كما ستعرف ـ وكذا خروجه لا يخرج من الرحم؛ لإدراكه وكمال عقله، بل من الفخذ الأيمن، كما روي[١].

وكذا حال إيداع أبيه نطفته، لتوجهه حينئذ إلىٰ مقام القرب، وكمال إنيّته، وهو ممن يؤتىٰ فواكه الجنان ويأكلها دنياً، إنما يؤتىٰ بكأس من الجنة، أو بسبع ورقات منها، فيأكلها فتحتال [نطفةً][٢].

ولا استبعاد في ظاهرها، فكم أكلوا من ثمارها وشربوا من كوثرها دنياً، ولا شك في ذلك؛ لأن مادته مادة العلوم وعنصرها، ومن أعلىٰ الطين وصفوها، فهي نور يتلألأ.

وظهر لك معنىٰ هذا الماء في التأويل والباطن، في كلٍّ بما يناسبه، من غير أن يكون فيه عزل للظاهر، بخلاف خلق المؤمن، فإنه ـ كما ورد وسيأتي في كتاب الايمان والكفر، أنه ـ [من] شجرة تحت العرش تسمىٰ المزن، فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً قطرت قطرة، فوقعت علىٰ ثمرة أو بقلة، فأكلها مؤمن أو كافر، فاحتالت نطفة[٣].

فالمعصوم سالم من كثير من هذه التنزلات والاستحالات الجسمانية، مع جمعه لصفوها، ولهذا يطهّر* حملاً، ويسبّح [و] عند الولادة، كما صرحت به صحاح الأخبار[٤] وكلمات الأخيار، وقام عليه الاعتبار.

وروىٰ العياشي عن يونس بن ظبيان، قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: **(إنّ الإمام إذا أراد أن يحمل له بإمام أتي بسبع ورقات من الجنة، فأكلهن قبل أن يواقع)، قال: (فإذا وقع في الرحم سمع الكلام في بطن أمه، فإذا وضعته رفع له عمود من نور ما بين السماء والأرض، يرىٰ ما بين المشرق والمغرب، وكتب علىٰ عضده: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾[٥])**.

قال أبو عبد الله ـ قال ـ: قال الوشّاء حين مرّ هذا الحديث: لا أروي لكم هذا، لا تحدّثوا عني[٦].

---

(١) «الهداية الكبرىٰ» ص ١٨٠. (٢) في الأصل: «نطفته».

(٣) «الكافي» ج ٢، ص ١٤، باب إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق المؤمن، ح ١، وفيه: (إن في الجنة لشجرة تسمىٰ المزن، فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة، فلا تصيب بقلة ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلّا أخرج الله عزّ وجلّ من صلبه مؤمناً).

(*) أي يولد مختوناً.

(٤) «الكافي» ج ١، ص ٣٨٨، باب مواليد الأئمة، ح ٥، ٨.

(٥) «الأنعام» الآية: ١١٥. (٦) «تفسير العياشي» ج ١، ص ٤٠٣، ح ٨١.

وعن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إذا أراد الله أن يقبض روح إمام ويخلق بعده إماماً، أنزل قطرة من تحت العرش إلىٰ الأرض، يلقيها علىٰ ثمرة أو بقلة)، قال: (فيأكلُ تلك الثمرة أو تلك البقلة الإمامُ الذي يخلق الله منه نطفة الإمام الذي يقوم من بعده)، قال: (فيخلق الله من تلك القطرة نطفة في الصلب، ثمّ تصير إلىٰ الرحم، فيمكث فيه أربعين يوماً، فإذا مضىٰ له أربعون يوماً سمع الصوت، فإذا مضىٰ له أربعة أشهر كُتب علىٰ عضده الأيمن: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾، فإذا خرج إلىٰ الأرض أُوتي الحكمة، وزُيّن بالحلم والوقار، وأُلبس الهيبة، وجُعل له مصباح من نور، فعرف به الضمير، ويرىٰ به أعمال العباد)[١].

ولا تتوهم من هذا الحديث المنافاة للسابق وأحاديث الباب، ولا المساواة في الخلق التكويني في المعصوم وغيره، ألا ترىٰ في خلق المؤمن ـ كما سيأتي في كتاب الإيمان والكفر ـ: (فلا تصيب ـ القطرة ـ بقلة ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلّا أخرج الله عزَّ وجلَّ من صلبه مؤمناً)[٢]. فيكون له خلق و [عين][٣] في البقلة أو الثمرة.

وفي الحديث: (فيخلق الله من تلك القطرة نطفة في الصلب).

وأيضاً، هي من العرش لا من شجرة دون العرش.

وأيضاً، لمّا كان القطرة في نفس الأمر عبارة عن التوجه العقلي والظهور النوري في كلّ مقام بحسبه، إذ الماء له معانٍ، وهي المادة النورية والنفس النورية، فله عدة صفات، وجامع لمراتب الوجود، وقوام هذا المحسوس بالغيبي، والمُلك بالملكوت، صحَّ التعبير عما يظهر به تارة بالماء، وأُخرىٰ بالورقات، وأُخرىٰ بالبقلة أو الثمرة.

ولمّا كان معصوماً من آن الولادة، بل قبل الحمل، وكذا ظهور المعاجز منه من حينها، فهو ولي وخليفة وهو في المهد، وإن كان صامتاً، ولهذا ورد في هذه الروايات إقامة العمود له من حين الولادة، وهو لا ينافي ما ستسمع من أحاديث الباب[٤] من أن إقامة العمود له إذا قام بالأمر بعد أن يمضي الإمام السابق؛ فإن المراد به إقامة بحيث يكون إماماً ناطقاً، وتتوجه له روح القدس بالإذن بغير واسطة، وهو قبلُ وإن كان إماماً مفترض الطاعة، لكنه

---

(١) «تفسير العياشي» ج١، ص٤٠٤، ح٨٢، بتفاوت يسير.

(٢) «الكافي» ج٢، ص١٤، باب إذا أراد عزَّ وجلَّ أن يخلق المؤمن، ح١، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) في الأصل: «غير».

(٤) انظر الحديث رقم: ٢، ٣، ٤، ٦.

صامت. فلا ينافي هذا والترجيح للأحاديث السابقة وأحاديث الباب، إذ نطفة الإمام أجلّ من مساواة سائر النطف في ابتداء الخلق التكويني، إن لم يظهر وجه الجمع.

❑ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن أبي بصير، قال: حججنا مع أبي عبد الله عليه السلام في السنة التي ولد فيها ابنه موسىٰ عليه السلام، فلمّا نزلنا الأبواء وضع لنا الغداء، وكان إذا وضع الطعام لأصحابه أكثرَ وأطاب. قال: فبينا نحن نأكلُ إذ أتاه رسول حميدة فقال له: إنّ حميدة تقول: قد أنكرت نفسي، وقد وجدت ما كنت أجد إذا حضرت ولادتي، وقد أمرتني أن لا أستبقك بابنك هذا.

فقام أبو عبد الله عليه السلام فانطلق مع الرسول، فلمّا انصرف قال له أصحابه: سرّك الله وجعلنا فداك، فما أنت صنعت من حميدة؟ قال: سلّمها الله وقد وهب لي غلاماً، وهو خير من برأ الله في خلقه، ولقد أخبرتني حميدة عنه بأمر ظنّت أنّي لا أعرفه، ولقد كنت أعلم به منها.

فقلت: جعلت فداك، فما الذي أخبرتك به حميدة عنه؟ قال: ذكرت أنّه سقط من بطنها ـ حين سقط ـ واضعاً يديه علىٰ الأرض، رافعاً رأسه إلىٰ السماء، فأخبرتها أنّ ذلك أمارة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمارة الوصيّ من بعده.

فقلت: جعلت فداك، وما هذا من أمارة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمارة الوصيّ من بعده؟ فقال لي: إنّه لمّا كانت اللّيلة التي علق فيها بجدّي أتىٰ آتٍ جدَّ أبي بكأس فيه شربة، أرقُّ من الماء، وألين من الزبد، وأحلىٰ من الشهد، وأبرد من الثلج، وأبيض من اللّبن، فسقاه إيّاه وأمره بالجماع، فقام فجامع، فعلق بجدّي.

ولمّا أن كانت اللّيلة التي علق فيها بأبي أتىٰ آت جدّي، فسقاه كما سقىٰ جدَّ أبي، وأمره بمثل الذي أمره، فقام فجامع، فعلق بأبي.

ولمّا [أن] كانت اللّيلة التي علق فيها بي أتىٰ آتٍ أبي، فسقاه بما سقاهم،

وأمره بالّذي أمرهم به، فقام فجامع، فعلق بي.

ولمّا أن كانت اللّيلة التي علق فيها بابني أتاني آتٍ كما أتاهم، ففعل بي كما فعل بهم، فقمت بعلم الله، وإنّي مسرورٌ بما يهب الله لي، فجامعت، فعلق بابني هذا المولود، فدونكم، فهو والله صاحبكم من بعدي.

إنّ نطفة الإمام ممّا أخبرتك، وإذا سكنت النطفة في الرحم أربعة أشهر وأُنشئ فيها الروح، بعث الله تبارك وتعالىٰ مَلَكاً يقال له: حيوان، فكتب علىٰ عضده الأيمن ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾[1].

وإذا وقع من بطن أمّه وقع واضعاً يديه علىٰ الأرض، رافعاً رأسه إلىٰ السماء، فأمّا وضعه يديه علىٰ الأرض فإنّه يقبض كلّ علم لله أنزله من السماء إلىٰ الأرض، وأمّا رفعه رأسه إلىٰ السماء فإنّ منادياً ينادي به من بطنان العرش، من قِبَل ربّ العزّة من الأُفق الأعلىٰ، باسمه واسم أبيه، يقول: يا فلان بن فلان، أثبت تثبت، فلعظيم ما خلقتك أنت صفوتي من خلقي، وموضع سرّي، وعيبة علمي، وأميني علىٰ وحيي، وخليفتي في أرضي، لك ولمن تولّاك أوجبت رحمتي، ومنحت جناني، وأحللت جواري، ثمّ وعزّتي وجلالي لأصلينّ من عاداك أشدّ عذابي وإن وسّعت عليه في دنياي من سعة رزقي.

فإذا انقضىٰ الصوت ـ صوت المنادي ـ أجابه هو، واضعاً يديه، رافعاً رأسه إلىٰ السماء، يقول: ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إلهَ إلّا هُوَ والمَلائِكَةُ وَأُوْلُو العِلْمِ قائماً بِالقِسْطِ لا إله إلّا هُوَ العَزِيزُ الحَكيمُ ﴾[2].

قال: فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأول والعلم الآخر، واستحق زيارة الروح في ليلة القدر.

---

(١) «الأنعام» الآية: ١١٥.

(٢) «آل عمران» الآية: ١٨.

قلت: جعلت فداك، الروح ليس هو جبرئيل؟ قال: الروح [هو] أعظم من جبرئيل، إنّ جبرئيل من الملائكة، وإنّ الروح هو خلق أعظم من الملائكة عليهم السلام، أليس يقول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ تَنَزَّلُ الملائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾[1].

وعن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن أبي بصير، مثله ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٢﴾

قوله: ﴿عن الحسن بن راشد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله تبارك وتعالىٰ إذا أحبّ أن يخلق الإمام أمر مَلَكاً، فأخذ شربة من ماء تحت العرش، فيسقيها أباه، فمن ذلك يخلق الإمام، فيمكث أربعين يوماً وليلة في بطن أمّه لا يسمع الصوت، ثمّ يسمع بعد ذلك الكلام، فإذا ولد بعث ذلك الملك فيكتب بين عينيه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلماتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ . فإذا مضىٰ الإمام الذي كان قبله رفع لهذا منار من نور، ينظر به إلىٰ أعمال الخلائق، فبهذا يحتجُّ الله علىٰ خلقه ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٣﴾

قوله: ﴿عن يونس بن ظبيان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد أن يخلق الإمام من الإمام بعث ملكاً، فأخذ شربة من [ماء] تحت العرش، ثمّ أوقعها أو دفعها إلىٰ الإمام، فشربها، فيمكث في الرّحم أربعين يوماً لا يسمع الكلام، ثمّ يسمع الكلام بعد ذلك، فإذا وضعته أُمّه بعث الله إليه ذلك الملك الذي أخذ الشّربة، فكتب علىٰ عضده الأيمن: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ

---

(١) «القدر» الآية: ٤.

السَّميعُ العَليمُ ﴾[1]. فإذا قام بهذا الأمر رفع الله له في كلّ بلدةٍ مناراً، ينظر به إلىٰ أعمال العباد ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿ عن محمد بن مروان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الإمام ليسمع في بطن أُمّه، فإذا ولد خُطّ بين كتفيه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ ﴾ . فإذا صار الأمر إليه جعل الله له عموداً من نور، يبصر به ما يعمل أهل كلّ بلدة ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿ عن [عبدالله بن إبراهيم الجعفري، قال: سمعت] إسحاق بن جعفر، يقول: سمعت أبي يقول: الأوصياء إذا حملت بهم أُمّهاتهم أصابها فترة شبه الغشية، فأقامت في ذلك يومها ذلك إن كان نهاراً، أو ليلتها إن كان ليلاً، ثمّ ترىٰ في منامها رجلاً يبشّرها بغلام عليم حليم، فتفرح لذلك، ثمّ تنتبه من نومها، فتسمع من جانبها الأيمن في جانب البيت صوتاً يقول: حملتِ بخير وتصيرين إلىٰ خير [وجئت بخير]، أبشري بغلام حليم عليم. وتجد خفة في بدنها، ثمّ لم تجد بعد ذلك امتناعاً من جنبيها وبطنها، فإذا كان لتسع من شهرها سمعت في البيت حسّاً شديداً، فإذا كانت اللّيلة التي تلد فيها ظهر لها في البيت نور تراه، لا يراه غيرها إلّا أبوه، فإذا ولدته ولدته قاعداً، و[تفتّحت][2] له حتىٰ يخرج متربّعاً، ثمّ يستدير بعد وقوعه إلىٰ الأرض، فلا يخطئ القبلة حيث كانت بوجهه، ثمّ يعطس ثلاثاً، يشير بإصبعه بالتحميد، ويقع مسروراً مختوناً، ورباعيّتاه

---

(١) «الأنعام» الآية: ١١٥. والآية في المصدر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ لكلماته ﴾.

(٢) في الأصل: «تفسحت».

من فوق وأسفل، وناباه وضاحكاه، ومن بين يديه مثل سبيكة الذهب نور، ويقيم يومه وليلته تسيل يداه ذهباً، وكذلك الأنبياء إذا ولدوا، وإنّما الأوصياء أعلاق من الأنبياء ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦ ﴾

قوله: ﴿ عن جميل بن درّاج، قال: روىٰ غير واحد من أصحابنا أنّه قال: لا تتكلّموا في الإمام، فإنّ الإمام يسمع الكلام وهو في بطن أُمّه، فإذا وضعته كتب الملك بين عينيه: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ ﴾، فإذا قام بالأمر رفع له في كلّ بلدة منار، ينظر منه إلىٰ أعمال العباد ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٧ ﴾

قوله: ﴿ عن محمد بن عيسىٰ بن عبيد، قال: كنت أنا وابن فضّال جلوساً، إذ أقبل يونس، فقال: دخلت علىٰ أبي الحسن الرضا عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، قد أكثر الناس في العمود، قال: فقال لي: يا يونس، ما تراه، أتراه عموداً من حديد يرفع لصاحبك؟ قال: قلت: ما أدري، قال: لكنّه ملك موكّل بكلّ بلدة، يرفع الله به أعمال تلك البلدة.

قال: فقام ابن فضّال فقبّل رأسه وقال: رحمك الله [يا] أبا محمد، لا تزال تجيء بالحديث الحقّ الذي يفرّج الله به [الحق][1] عنّا ﴾.

(الأبواء) - بفتح الهمزة وسكون الباء، والمد - جبل بين مكة والمدينة، وعنده بلد ينسب إليه[2].

ويقال: أنكرت نفسي، أي وجدتها منكرة متغيّرة عن حالها، ومنه: التنكر، وهو أن يتغير الشيء عن حاله[3].

---

(١) ليست في المصدر.

(٢) «النهاية» ج ١، ص ٢٠، مادة «أبا».

(٣) انظر: «المغرّب» ص ٤٦٧.

ويقال: عَلِقَت المرأةُ، إذا حَبِلت[1].

والمراد بالجد[2]: علي بن الحسين، وبالجد المضاف للأب: الحسين عليه السلام.

و (الزُّبْد) ـ بالضم والسكون ـ: ما يستخرج من لبن البقر والغنم بالمخض[3]. و (الغداء) طعام الغدوة.

والبُطنان ـ بالضم ـ: جمع البَطْن، وهو من الأرض: الغامض، وبطنان الجنة: وسطها[4]، وكذا بطنان العرش، والمراد به عرش العقول، ومنه يظهر النداء متنازلاً للعرش الجسماني.

و (الأُفق) ـ بالضم وبضمتين، مثل عُسْر وعُسُر ـ: الجانب والناحية، جمع: آفاق، وما ظهر من نواحي الفلك[5]، ومحل الطلوع والغروب والعالم الجسماني أُفق، وكذا للنفوس والأرواح والعقول.

ووصفه باللؤلؤ لأنه أعلاها، إذ مبدأ طينة المعصوم أعلىٰ من الطين الحسية والنورية، ولهذا نزلت من تحت العرش، ونودي بعدُ منها، ولم يدنس بالعوارض الحسيّة.

والعَيْبة: ما يجعل فيه الشيء، كالصندوق ونحوه[6].

(أوقعها، أو دفعها) الترديد من الراوي.

والفترة: الإعياء، (شبه الغشية) أي الإغماء، فهي فترة شديدة. و(غَشْية) ـ بالفتح ـ المرّة.

وفي بعض النسخ: (وتجد خفة في بدنها، ثمّ تجد بعد ذلك اتساعاً من جنبها وبطنها).

والمراد أنها بعد تلك الفترة لا تجد امتناعاً منها في تحمل الحمل، بل تجد الخَفَّ دائماً كلما قربت الولادة.

خرج قاعداً كما أنه قاعد في الرحم؛ إذ لم يحصل له غشية وفترة في خروجه كما يحصل لسائر الناس، وللإشارة أيضاً إلىٰ عدم إقباله علىٰ الدنيا، بل إلىٰ الملأ الأعلىٰ.

ويقال: «انتفَجَ جنبا البعير، إذا ارتفعا وعَظُما خِلقةً، وَنَفجتُ الشيءَ فانتفج، أي رفعته

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» ج٣، ص٣٨٦.

(٢) في قوله عليه السلام في الحديث الأول: (إنه لما كانت الليلة التي علق فيها بجدي أتىٰ آتٍ جدّ أبي).

(٣) انظر: «المغرّب» ص٢٠٥.

(٤) «الصحاح» ج٥، ص٢٠٧٩، مادة «بطن».

(٥) انظر: «القاموس الميحط» ج٣، ص٣٠٤؛ «لسان العرب» ج١، ص١٦٤، مادة «أفق».

(٦) انظر: «لسان العرب» ج٩، ص٤٩٠، مادة «عيب».

وعظّمته. ومنه حديث علي: (نافِجاً حِضنَيه)، كنّىٰ به عن التعاظم والتكبر والخُيَلاء». كذا في النهاية[1].

وفي بعض النسخ: ([وتفتحت][2] له)، أي صارت مفتحة له متوجهة.

وفي بعض النسخ: (وتفسحت له) بالسين.

وعلىٰ كلٍّ، فالمراد انفساحها له وارتفاع جنبها، لأن المعصوم لا يخرج في ولادته من القُبُل، بل من الجانب الأيمن، كما روي عنهم عليهم السلام، وليس المراد انفتاح القُبُل أو اتساعه حتىٰ يخرج بسهولة.

والمسرور: مقطوع السرّة، فلا حاجة له إلىٰ القابلة لتقطع سرّته، وكذا لا يولد إلّا مختوناً، فلا يتشرف بعد أحد عليه؛ لطهارته.

وقول العامة بأن الرسول صلى الله عليه وآله ختنه بعدُ أبو طالب[3]، أو ختن نفسه، وكذا إبراهيم الخليل ختن نفسه بعد كبره بقدّوم، كما رووه في صحيح مسلم[4]، افتراء.

والذي بين يديه الذي هو مثل سبيكة الذهب، قال المعصوم فيه: إنه نور، فما تسيله يداه يومه وليلته ذهباً خاصةً أُخرىٰ غير النور، فحملها عليها تقليل للفائدة، وإهمال لبعض معاجزهم، وليس هذا بعظيم في شأنهم، بل قدرهم أجلّ، وما ظهر منهم حال الولادة أعظم من ذلك بكثير.

فقول محمد صالح: «(تسيل يداه ذهباً) أي نوراً شبيهاً بالذهب، وحمله علىٰ الظاهر بعيد»[5].

وقول ملّا محسن: «لعله كناية عن إضاءتهما ولمعانهما وبريقهما»[6].

لا يخفىٰ مافيهما، بل قولهما البعيد.

---

(١) «النهاية» ج٥، ص٨٩، «نفج» صححناه علىٰ المصدر.

(٢) في الأصل: «ونفخت».

(٣) انظر: «البداية والنهاية» ج٢، ص٣٢٥، وفيه: «وقد روي أن جده عبدالمطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشاً عليها، والله أعلم» انظر كذلك أواخر هذا الباب، تحت عنوان «فائدة».

(٤) «صحيح مسلم» ج٤، ص١٤٦٧، ح٢٣٧٠.

(٥) «شرح المازندراني» ج٦، ص٣٦٣.

(٦) «الوافي» المجلد٣، ص٦٩٠.

و (العَمود) ـ بالفتح ـ: واحد «أعْمِدَة» في القلّة، أو «عمد» ـ بفتحتين أو بضمتين ـ في الكثرة[1].

وكان العمود معروفاً، إلّا أنّ حقيقته مجهولة له، فبيّنه أنه ملك يرفع أعمال البلد إليه، لأن أعمال العباد تعرض عليه، فالملك عمد له في ظهور كماله للغير، وإن كان هو أصل للملك في مقام [الإمامة][2] والبيان، فتأمّل.

ويقال: فرّج الله غمّك، أي كشفه وأزاله.

ثمّ اعلم أن إطلاق الكلمة علىٰ الموجودات النورية ـ كما هو ظاهر قوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً﴾ الآية[3]، وهذه الأحاديث ـ غير خفي، وهو موجود في النص، وعليه كلمة الحكماء العارفين، وهو المعروف في عرف أهل البيت، ولا اختصاص لها بالقول.

قال تعالىٰ: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[4]، ﴿وَلِلَّهِ الأَسْماءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِها﴾[5].

وعنهم عليهم السلام : (نحن أسماؤه الحسنىٰ)[6]، وكذا في بعض الأدعية.

والملك الموكّل بالحياة يكتبها بعد الأربعة الأشهر، وبعد الولادة أيضاً، كما تضمنه جملة النصوص، ولا تنافي. كما أنّ الإمام لمّا كان يسمع من جميع جهاته، ويرىٰ ويبصر من خلفه كما يبصر من أمامه، لأنه حياة لاموات فيه، ورد في بعض هذه الأحاديث أن الملك يكتب (علىٰ عضده الأيمن)، وفي آخر: (بين كتفيه)، وفي آخر: (بين عينيه). وهذا التعدد لتعدد المكتوب، علىٰ أنك إذا راعيت التعدد فإن هذه فيه تعدد الكتابة علىٰ جميع هذه المواضع. فميّز بين الحالتين بينه وسائر الناس يكتب الملك فيهم بعد الأربعة الأشهر: شقي أو سعيد[7]، كما سيأتيك في جزء الإيمان الكفر، وفي الإمام يكتب هذه الآية.

والكلام الذي يسمعه بعد الأربعين في الرحم كلام المَلَك والإلهام، وكذا كلام الناس الحسي، كلٌّ مرادٌ.

ولمّا كان وصي كلّ نبي فرعاً منه، وطينتهما واحدة، ينفصل عنه كما ينفصل النور من

---

(١) انظر: «الصحاح» ج ٢، ص ٥١١، مادة «عمد». (٢) في الأصل: «الامداد».
(٣) «الأنعام» الآية: ١١٥. (٤) «النساء» الآية: ١٧١.
(٥) «الأعراف» الآية: ١٨٠.
(٦) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ٤٥، ح ١١٩، وفيه: (نحن والله الأسماء الحسنىٰ).
(٧) «الكافي» ج ٦، ص ١٣، ح ٣.

النور، كان ما للوصي من الصفات والمفاخر وغيرها في الحمل والولادة وغيرها ثابتة للنبي ﷺ، وإن كان بالتبعية؛ لاستحالة خلوهما منها، أو ثبوتها للنبي دون الوصي، أو بالعكس. وكذا الأنبياء إذا ولدوا، فيجري في أوصيائهم حكمهم، فلهذا قال الإمام: (وكذلك الأنبياء إذا ولدوا، وإنما الأوصياء أعلاق من الأنبياء).

والأعلاق: جمع «عَلَقة»، وهي القطعة، أو جمع «عِلْق» ـ بالكسر ـ وهو النفيس من كلّ شيء[1].

بل النبي الأصل له في جميع ذلك، فلا يكون فيه ماليس له. وقد سمعت من الأحاديث أنّ نطفة الإمام تبقىٰ في الرحم أربعين يوماً وليلة، لا يسمع الصوت، ثمّ بعد ذلك يسمعه، وهو صوت المَلَك، وصوت الكلام الحسي، كما مرّ.

فظهر من ذلك أنه قبلها في رتبة النفس الحيوانية، بل الناطقة؛ بدليل حصول لازم النفس الإلهية بعد الأربعين، وهي بعد تلك.

فالقول[2] أنها قبلُ في رتبة النفس النباتية فيه ما لا يخفىٰ.

ولا ينافي باقي الأحاديث مافي الحديث الأول: (وإذا سكنت النطفة في الرحم أربعة أشهر، وأنشئ فيه الروح، بعث الله تبارك وتعالىٰ ملكاً يقال له: حيوان، فكتب علىٰ عضده الأيمن: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ... ﴾ الآية)، فإن هذا كتابة زائدة، كما أنه إذا قام بالأمر كتب عليه أيضاً.

ولمّا كانت طينة الإمام جامعة لقبضات عشر من العرش إلىٰ الفرش، ولكلٍّ تكويرات أربع وتدويرات أربع في الأرضية الحسية، والمجموع أربعون، كان سماع الصوت بعد الأربعين، وكان ذلك كذلك؛ لشدة الصفاء، وقوة الاستعداد، وحسن التربية والذكاء.

والأربعون أيضا ميقات الكليم، حتىٰ أُخلع عليه بحلّة الصفاء والتبليغ للملأ.

تنبيه: في كتاب الهداية للحسين بن حمدان الحضيني، عن الإمام أبي محمد الحسن عليه السلام بن علي العسكري، في حديث مولد القائم عليه السلام ـ سيأتيك ـ من كلامه لعمته حكيمة: (إنّا معاشر الأوصياء لا نُحمل في البطون، وإنّما نُحمل في الجيوب، ولا نخرج من الأرحام، وإنّما نخرج من الفخذ الأيمن من أُمهاتنا، لأنّنا نور الله الذي لا تناله الدناسات)[3].

---

(١) انظر: «مجمع البحرين» ج٥، ص٢١٧، مادة «علق».

(٢) «الوافي» المجلد٣، ص٦٨٧. (٣) «الهداية الكبرىٰ» ص٣٥٥.

وفيها عند ذكر فاطمة عليها السلام أنها ولدت الحسن والحسين عليهما السلام من فخذها الأيمن، وزينب وأُم كلثوم من فخذها الأيسر.

قال: «ومثله ما روي عن وهب بن منبه أنّ مريم ولدت المسيح عليه السلام من فخذها الأيمن، وأنّ النفخة كانت من جيبها، والكلمة كانت علىٰ قلبها.

وفي تفسير جابر، عن الباقر عليه السلام، في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِن رُوحِنا ﴾[1]، أن النفخة كانت في جيبها، والكلمة علىٰ قلبها.

وصحّ أن النفخة في آدم عليه السلام لم تكن في فرجه، وإنما كانت في فيه»[2] انتهىٰ.

وروي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِن رُوحِنا وَصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَكُتُبِهِ وَكانَتْ مِنَ القانِتِينَ ﴾[3]، أنه مثل ضربه الله تعالىٰ لفاطمة الزهراء عليها السلام[4].

فيكون خروج الولد منها كما خرج عيسىٰ بن مريم، وهو لم يخرج من الرحم، بل خروج عيسىٰ عليه السلام منها كذلك يقتضي جريان مثله في الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بطريق أولىٰ، ولا قائل بالفصل في الأنبياء، ولا دليل يدل علىٰ أن ذلك من خصائص عيسىٰ عليه السلام، بل هو قائم علىٰ العموم، كما مرّ.

علىٰ أنّ ذلك لازم العصمة ـ ليس إلّا ـ وهي في الأنبياء والأوصياء عليهم السلام كذلك، فتكون ولادتهم كذلك. وخروج زينب وأُم كلثوم من الفخذ الأيسر؛ لعصمة الزهراء عليها السلام، فلا يخرجان من القُبُل.

وقد عرفت دلالة قول الإمام عليه السلام في الحديث الخامس: (ثمّ لم تجد بعد ذلك امتناعاً من جنبيها وبطنها) علىٰ ذلك، وكذا علىٰ النسخة الثانية: (ثمّ تجد بعد ذلك اتساعاً من جنبها وبطنها) وذلك لأن الخروج منه. ولا كذلك الحامل بغير المعصوم، فإن الاتساع فيها يكون في الفرج، وهذا ظاهر.

كما أنه ظاهر في شمول ذلك لجميع الأوصياء والأنبياء؛ إذ (الأوصياء) جمع محلّىٰ، وهم أعلاق من الأنبياء، و (الأنبياء) جمع كذلك، ولأنه لابد من شمول لفظ (الأنبياء) لغير

---

(١) «التحريم» الآية: ١٢.

(٢) «الهداية الكبرىٰ» ص ١٨٠، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «التحريم» الآية: ١٢.

(٤) «تأويل الآيات الظاهرة» ص ٦٧٧.

محمد ﷺ أيضاً، فلابد من عموم (الأوصياء)، لعدم القائل بالفصل.

ثمّ انظر إلىٰ كمالهم في الرحم، حتىٰ في الخروج خرجوا من الجانب الأيمن لا من الأيسر؛ لقربه من فم المعدة والرحم الطبيعي، ولهذا أمر الشارع بالاتكاء علىٰ الجانب الأيسر، وميّز به دم الحيض من دم القرحة، فما خرج من الأيسر حيض.

واتضح من جميع ذلك أن غذاءهم في الرحم ليس من الفضلة الدموية، ولا يصيبهم من ضيق الرحم شيء. وفي النصوص عنهم والزيارات أيضاً: (**لا نزال ننقل من الأصلاب الطاهرة إلىٰ الأرحام المطهرة**)[1]، فتدبّر.

وروىٰ السيد هاشم البحراني في تبصرة الولي فيمن رأىٰ القائم المهدي عليه السلام، قال: «الحسين بن حمدان الحضيني في كتابه، قال: حدّثني هارون بن مسلم بن سعدان البصري، ومحمد بن أحمد البغدادي، وأحمد بن إسحاق، وسهل بن زياد الآدمي، وعبد الله بن جعفر، عن عدة من المشايخ الثقات الذين كانوا مجاورين للإمامين، عن سيدينا أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام، قالا: (**إنّ الله عزَّ وجلَّ إذا أراد أن يخلق الإمام أنزل قطرة من ماء الجنة في ماء المزن، فتسقط في ثمار الأرض، فيأكلها الحجّة في الزمان عليه السلام، فإذا استقرت في الموضع الذي تستقر فيه، ومضىٰ له أربعون يوماً، سمع الصوت، فإذا أتت له أربعة أشهر وهو حمل، كتب علىٰ عضده: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾، فإذا ولد قام بأمر الله، ورفع له عمود من نور في كلّ يوم، ينظر فيه الخلائق وأعمالهم، وينزل أمر الله إليه في ذلك العمود، والعمود نصب عينيه حيث تولىٰ ونظر**).

قال أبو محمد عليه السلام: (**دخلت علىٰ عماتي في داري، فرأيت جارية من جواريهن قد زيّنت تسمىٰ نرجس، فنظرت إليها نظراً أطلته، فقالت لي عمتي حكيمة: يا سيدي، تنظر إلىٰ هذه الجارية نظراً شديداً؟ فقلت لها: يا عمّة، ما نظري إليها إلّا نظر التعجب مما لله فيها من إرادته وخيرته. قالت: يا سيدي، أحسبك تريدها؟ فأمرتها أن تستأذن أبي علي بن محمد عليه السلام في تسليمها إلي، ففعلت، فأمرها عليه السلام بذلك فجاءتني بها**).

قال الحسين بن حمدان: وحدّثني من أثق به من المشايخ، عن حكيمة بنت محمد بن علي الرضا عليهما السلام، قال: كانت حكيمة تدخل علىٰ أبي محمد عليه السلام، فتدعو له أن يرزقه الله

---

(١) «روضة الواعظين» ص٧٧؛ «بحار الأنوار» ج ٣٥، ص ١٠، ح ١٢، بالمعنىٰ.

ولداً، وأنها قالت: دخلت عليه فقلت له كما كنت أقول، ودعوت له كما كنت أدعو، فقال: (يا عمة، أما إن الذي تدعين الله أن يرزقنيه يولد في هذه الليلة ـ وكانت ليلة الجمعة لثمان خلون من شعبان، سنة سبع وخمسين ومائتين ـ فاجعلي إفطارك عندنا).

فقلت: يا سيدي، ممن يكون هذا الولد العظيم؟ فقال: (من نرجس يا عمة)، قالت: فقلت: يا سيدي، مافي جواريك أحب إلي منها، وقمت ودخلت عليها، وكنت إذا دخلتُ فعلتْ بي كما كانت تفعل، فانكببت علىٰ قدميها فقبّلتها، ومنعتها مما كانت تفعله، فخاطبتني بالسيادة، فخاطبتها بمثلها، فقالت: فديتك، فقلت لها: أنا أفديك وجميع العالمين، فأنكرتْ ذلك، فقلت: ما تنكرين ما فعلت، فإن الله سيهب لكِ في هذه الليلة غلاماً، سيداً في الدنيا والآخرة، وهو فرج المؤمنين، فاستحيت، فتأملتها فلم أرَ بها أثر حمل، فقلت لسيدي أبي محمد عليه السلام: ما أرىٰ بها حملاً، فتبسم عليه السلام فقال: (إنا معاشر الأوصياء ليس نحمل في البطون، وإنما نحمل في الجنوب، ولا نخرج من الأرحام، وإنما نخرج من الفخذ الأيمن من أمهاتنا؛ لأننا نور الله الذي لا تناله الدناسات).

فقلت له: يا سيدي، لقد خبرتني أنه سيولد في هذه الليلة، ففي أي وقت منها؟ فقال: (في طلوع الفجر يولد الكريم علىٰ الله إن شاء الله).

قالت حكيمة: فقمت فأفطرت، ونمت بالقرب من نرجس، وبات أبو محمد في صُفّة في تلك الدار التي نحن فيها، فلما ورد وقت صلاة الليل قمت، ونرجس نائمة ما بها أثر ولادة، فأخذت في صلاتي، ثمّ أوترت، فأنا في الوتر حتىٰ وقع في نفسي أن الفجر قد طلع، ودخل في قلبي شيء، فصاح بي أبو محمد عليه السلام من الصفّة الثانية: (لم يطلع الفجر يا عمة)، فأسرعت في الصلاة، وتحركت نرجس، فدنوت منها وضممتها إلي وسميت عليها، ثمّ قلت لها: هل تحسين بشيء؟ فقالت: نعم.

فوقع عليَّ سبات لم أتمالك معه أن نمت، ووقع علىٰ نرجس مثل ذلك فنامت، فلم أنتبه إلّا بحس سيدي المهدي عليه السلام، وصيحة أبي محمد يقول: (يا عمة، هاتي إلي ابني فقد قبلته)، فكشفت عن سيدي فإذا به ساجد مبلغ الأرض بمساجده، وعلىٰ ذراعه الأيمن: ﴿ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾[1].

---

(١) «الإسراء» الآية: ٨١.

فضممته إلي فوجدته مفروغاً منه، ولففته في ثوب وحملته الىٰ أبي محمد ﷺ، فأخذه وأقعده علىٰ راحته اليمنىٰ، وأمرّ يده علىٰ ظهره، ثمّ أدخل لسانه في فيه، وأمرّ بيده علىٰ ظهره وسمعه ومفاصله، ثمّ قال له: (تكلّم يا بني)، فقال: (أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأن علياً أمير المؤمنين ولي الله).

ثمّ لم يزل يعدد السادة، إلىٰ أن بلغ إلىٰ نفسه، ودعا لأوليائه بالفرج علىٰ يده، ثمّ أحجم، وقال أبو محمد: (يا عمة اذهبي به إلىٰ أمه ليسلّم عليها، وائتيني به)، فمضيت به إلىٰ أُمه فسلّم عليها، ورددته إليه ثمّ وقع بيني وبين أبي محمد كالحجاب، فلم أرَ سيدي، فقلت له: يا سيدي، أين مولانا؟ فقال: (أخذه مني من هو أحق به منك، فإذا كان اليوم السابع فائتينا).

فلمّا كان اليوم السابع جئت فسلّمت ثمّ جلست، فقال ﷺ: (هلمي بابني)، فجئت بسيدي وهو في ثياب صفر، ففعل به كفعاله الأول، وجعل لسانه في فيه، ثمّ قال له: (تكلم يا بني)، فقال: (أشهد أن لا إله إلّا الله)، وثنىٰ بالصلاة علىٰ محمّد ﷺ وأمير المؤمنين والأئمة، حتىٰ وقف علىٰ أبيه، ثمّ قرأ: ﴿ بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ * وَنُريدُ أنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ استُضْعِفُوا في الأرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ في الأرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ مَاكانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[1].

ثمّ قال له: (اقرأ يا بني مما أنزل الله علىٰ أنبيائه ورسله)، فابتدأ بصحف آدم فقرأها بالسريانية، وكتاب إدريس، وكتاب نوح، وكتاب هود، وكتاب صالح، وصحف إبراهيم، وتوراة موسىٰ، وزبور داود، وإنجيل عيسىٰ، وقرآن محمد ﷺ، ثمّ قص قصص النبيين والمرسلين إلىٰ عهده.

فلمّا كان أربعين يوماً دخلت إلىٰ دار أبي محمد ﷺ، فإذا مولانا الصاحب يمشي في الدار، فلم أرَ وجهاً أحسن من وجهه، ولا لغة أفصح من لغته، فقال لي أبو محمد ﷺ: (هذا المولود الكريم علىٰ الله عزَّ وجلَّ)، فقلت له: يا سيدي، له أربعون يوماً وأنا أرىٰ من أمره ما أرىٰ؟ فقال ﷺ: (يا عمة، أما علمت أنا معاشر الأوصياء ننشأ في اليوم ما ينشأ غيرنا في الجمعة، وننشأ في الجمعة ما ينشأ غيرنا في السنة).

فقمت فقبّلت رأسه وانصرفت، وعدت وتفقدته فلم أره، فقلت لسيدي أبي

---

(١) «القصص» الآية: ٥ - ٦.

محمد عليه السلام: ما فعل مولانا؟ فقال: (يا عمتاه، استودعناه الذي استودعته أمّ موسىٰ عليه السلام)، ثمّ قال عليه السلام: (لمّا وهب لي ربي مهدي هذه الأمة أرسل ملكين فحملاه إلىٰ سرادق العرش، حتىٰ وقف بين يدي الله عزّ وجلّ، فقال له: مرحباً بك عبدي، لنصرة ديني وإظهار أمري ومهدي عبادي، آليت أني بك آخذ، وبك أعطي، وبك أغفر، وبك أعذّب، أردداه أيها الملكان علىٰ أبيه ردّاً رفيقاً، وأبلغاه أنه في ضماني وكنفي وبعيني، إلىٰ أن أحق به الحق وأزهق به الباطل، ويكون الدين لي واصباً).

ثمّ كان لمّا سقط من بطن أمه إلىٰ الأرض وجد جاثياً علىٰ ركبتيه، رافعاً سبابتيه، ثمّ عطس فقال: (الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله، عبداً ذاكراً لله غير مستنكف ولا متكبر).

ثمّ قال عليه السلام: (زعمت الظلمة أن حجّة الله داحضة، لو أذن الله لي في الكلام لزال الشك[1])»[2].

أقول: ما تضمنه من أنّ ولادته عليه السلام ثامن شعبان قد عمل به ابن جرير الإمامي في التاريخ[3]، والعلّامة في الخلاصة[4]، إلّا إن أشهر الروايات والفتوىٰ أنّ مولده النصف منه[5]، وعليه عمل الفرقة.

وذكر الشيخ الطوسي في الغيبة[6] حديث حكيمة بنحو آخر، وفيه أنّ مولده النصف من شعبان أيضاً، وتضمن أيضاً معنىٰ خفاء ولادته كما خفيت ولادة موسىٰ عليه السلام، لشق فرعون بطون [الحوامل][7]، وقد جرت سنن الأنبياء وما ابتلوا به فيه، لأنه أفضل منهم.

وقد عرفت أنه إمام صامت حال وجود السابق، فيقام له العمود من آن الولادة، وإن تأخرت الإقامة الثانية ـ كما مرّ بيانه ـ بعد كونه ناطقاً.

والأحاديث بقراءتهم الكتب وإقرارهم، ومخاطبتهم في الأجنّة، إلىٰ سائر الصفات في

---

(١) «الهداية الكبرىٰ» ص٣٥٣ – ٣٥٨، بتفاوت.

(٢) «تبصرة الولي» ص٢٨ – ٣٧، ح٦ – ٧، بتفاوت، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «دلائل الإمامة» ص٥٠٢.

(٤) «خلاصة الأقوال» ص٤٣١.

(٥) انظر: «الكافي» ج١، ص٥١٤؛ «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ٢/١١، ص٣٣٩؛ «الدروس الشرعية» ج٢، ص١٦.

(٦) «الغيبة» للشيخ الطوسي، ص٢٣٤، ح٢٠٤.

(٧) في الأصل: «الحمل».

شأن القائم وآبائه، وكذا الرسول، بلغت في الظهور فوق المتواتر، بل جاوزت المحسوس الظاهر. وكذا ظهور المعاجز منهم عليهم السلام حال الولادة.

ومعنىٰ مافي الحديث: «فوجدته مفروغاً» أي مسروراً ومختوناً لا عاهة به ودنس من الرحم، حتىٰ يطهّر أو يفعل به كما يفعل بغيره. ووجهه ظاهر.

ثمّ إنك إذا تفطنت في نطفة الإمام وطينته النورية ـ وستعرفها ـ وما خُصت |به| من الحِكم والمزايا، وانعطاف عالم الأمر والجبروت، وتوجهه للظهور في الشبح الجزئي والهيكل الجامع الإنساني، مع ما لهم من الزيادة النورية، التي خلق من فاضل أجسادهم أرواح جميع شيعتهم، ومنهم الأنبياء، فلا ترتاب في انصراح الوجه العقلي وتصحيح ما رواه الشيخ الطوسي في الجزء الرابع عشر من المجالس، بسنده عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: **(إنّ في الليلة التي يولد فيها الإمام لا يولد مولود إلّاكان مؤمناً، وإن ولد في أرض الشرك نقله الله إلىٰ الإيمان ببركة الإمام)**[1].

وليس هذا خاصاً بالإمام، بل وللنبي صلى الله عليه وآله أيضاً، وإنما الأئمة [أعلاق][2] من الأنبياء، وبركة الإمام أجلّ من ذلك وأعظم. وكذا الحكم لو ولد بالنهار لا يولد فيه إلّاكذلك.

فالمراد بتلك الليلة هي ليلة الولادة أولاً، لا ماتدور في السنين، مع احتماله؛ فإن بركة الإمام أجل من ذلك، ولا تستعظم ذلك، فإنه عليه السلام حين إقباله التنزلي في هذا العالم لا إدبار له عن مبدئه، بل ينظر به، ويتقلب بأمره ورضاه، فلا يكون للشيطان إقبال وأثر في الجهة التي يتوجه لها، بل ينزوي عنها، بل ينقطع عنها. ولا شك أن له أشعة نورانية حينئذ، والمشايع له كثير، فيظهر بصفته، ولم يكن للشيطان حينئذ استمداد في الظهورات المادية الجزئية، فتدبّر.

❑ الحديث رقم ﴿ ٨ ﴾

قوله: ﴿عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: للإمام عشر علامات: يولد مطهّراً مختوناً، وإذا وقع علىٰ الأرض وقع علىٰ راحتيه[3]، رافعاً صوته

---

(١) «أمالي الشيخ الطوسي» ص ٤١٢، ح ٩٢٥، المجلس الرابع عشر، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) في الأصل: «باعلاق».

(٣) في المصدر: «راحته».

بالشهادتين، ولا يجنب، وتنام عينه[1] ولا ينام قلبه، ولا يتثأب، ولا يتمطّىٰ، ويرىٰ من خلفه كما يرىٰ من أمامه، ونجوه كرائحة المسك، والأرض موكّلة بستره وابتلاعه، وإذا لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت عليه وفقاً، وإذا لبسها غيره من الناس ـ طويلهم وقصيرهم ـ زادت عليه شبراً، وهو محدَّث إلىٰ أن تنقضي أيّامه ﴾.

علامات الإمام

قد ذكر الإمام عليه السلام عشر علامات يعرف بها الإمام عليه السلام، وهي علامات ظاهرة تنبئ عن العلامات النفسية والعقلية والإلهية. وهل يستدل علىٰ الباطن الخفي إلّا بظاهر منه؟!

فهذه العلامات ـ جملة وفرادىٰ ـ لا توجد إلّا في المعصوم، إمام أو نبي؛ لأن كلّ واحدة منها دالة علىٰ كمال الاختصاص والاعتدال النفسي مطلقاً، وهذا لا يكون إلّا في العصمة، وهي للنبي وخليفته.

العلامة الأُولىٰ: أنه يولد مطهّراً من أدناس الرحم ومختوناً؛ لأن سببها عدم اعتدال التربية الجنينية، وزيادة الفضلات من الأُم، وغلبة نموه بها، ولا كذلك المعصوم.

والمراد بالختان: ما يشمل قطع السرّة، مجازاً، إذ تحققه في الختان يوجب |تحققه| في السرّة بطريق أولىٰ، لا أقل من المساواة، أو أنه داخل في التطهير؛ لشموله له وللختان أيضاً، لكن أُفرد تخصيصاً بعد تعميم، ودفعاً لتوهم عدم دخوله فيه.

العلامة الثانية: أنه متىٰ وقع علىٰ الأرض وقع علىٰ راحتيه ساجداً، رافعاً صوته بالشهادتين، يسمعه الحاضر ـ وسبق في النصوص ـ لعدم حصول ما ينافي إقرارهم الأولي في هذه التنقلات، وعدم عروض النسيان لهم حينئذ عما فطروا عليه في الولادة الوجودية، في تنزلاتهم الفلكية وقبل الولادة الجسمانية، وإن جمعوا بها أيضاً أنواع الكمال، بخلاف غيرهم.

العلامة الثالثة: أنه لا يجنب، بمعنىٰ أنه لا يحتلم مناماً؛ إذ الشيطان لا يتمثل لهم مناماً،

---

(١) في المصدر: «عينيه».

وبهم أيضاً، وقد عدّ ذلك من خواصهم، وبه النص مستفيض[١]، والدليل العقلي عليه قائم، إذ ليس للشيطان عليهم مدخل، ونفوسهم الحيوانية والمتخيلة طوع العقلية، وهي طوع الإلهية، فتدبّر.

وما ينافي ذلك من بعض النصوص مطّرح؛ لمعارضته بأقوىٰ، أو مؤول بما لا ينافي المقطوع به نصاً واعتباراً، كحديث الزهراء ﷺ مع الزهو فيما رأت.

ويلزم هذه العلامة علامة أُخرىٰ، وهي عدم انتقاض وضوئهم بالنوم؛ إذ الإحساس لهم حينئذ باقٍ وإن نامت العين، كما ستسمع، وورد ذلك في غير حديث[٢]. فإذن الوضوء منهم بعد النوم للتجديد وزيادة خير، لا لرفع حدث، وهو ظاهر المذهب.

قال الشارح الفاضل محمد صالح: «(ولا يجنب)، هذه علامة ثالثة، أي لا يلحقه خَبَث الجنابة كما يلحق غيره، إلّا أنه يجب عليه الغسل، أو لا يحتلم؛ لأن كلّاً من الجنابة والاحتلام يطلق علىٰ الآخر مجازاً»[٣] انتهىٰ.

وهو كما ترىٰ، فلو أجنب مناماً نام قلبه، وارتفع الاحساس منه والشعور، وداخله كغيره، وكذا يداخله الشيطان بوجه، وهو لا يداخله ولا عرضاً، وهو غير جائز نصاً وإجماعاً. فإذن لابد من حفظه نوماً من حدثه، وهو المذهب، والمخالف شاذّ مطّرح غير مؤثر.

العلامة **الرابعة:** أنه تنام عينه ولا ينام قلبه، فيكون الإحساس والشعور باقياً، ولهذا ورد عن النبي ﷺ في بصائر الدرجات: (**إنّ أعمالكم تعرض عليّ مناماً كما تعرض يقظة**)[٤].

ولو ارتفع عنه ذلك وكان كنومنا ارتفع عنه التكليف وقتاً ما، وعرضت له الغفلة، وهو غير جائز نصاً وإجماعاً.

فانصرح من جميع ذلك أنّ المعصوم لا يحصل له الإغماء، وما في بعض السير في شأن النبي وبعض الأئمة في مرض الموت: «ثمّ أُغمي عليه» مطرَّح لا تعويل عليه، أو مؤول بما لا ينافي، وإنما هو رَقْد، ولهذا النبي ﷺ لما تشاجر عنده القوم في أمره بالكتاب، في السيرة[٥]: أنه أُغمي عليه، وبعدُ أخبرهم بقولهم حين إغمائه. وماذاك إلّا أن

---

(١)، (٢) «الكافي» ج١، ص٣٨٨، ح٨؛ ص٥٠٩، ح١٢؛ «معاني الأخبار» ص١٠٢، ح٤؛ «بحار الأنوار» ج٢٥، ص١١٦، ح١.

(٣) «شرح المازندراني» ج٦، ص٣٦٥.

(٤) «بصائر الدرجات» ص٤٤٤ – ٤٤٥، ح٤ – ٨، بالمعنىٰ.

(٥) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج١١/١، ص١٨٤.

إحساسه بهم باقٍ حالته، فلا إغماء.

وكذا ما في بعض الروايات[1] من أنه نام عن الصلاة إلىٰ طلوع الشمس، ساقطة، محل النبوة أجلّ من ذلك. وقد مرّ الكلام عليها في الجزء الخامس.

وقد تواتر عند العامة[2] عدّ هذه العلامة من صفات محمد صلى الله عليه وآله، مع أنهم يجوّزون عليه السهو والغلط، بل بأقبح تجويز، ورووا وقوعه منه حتىٰ في التبليغ، ولكن يسدد، كما رووه في الغرانيق[3] وسورة النجم، حتىٰ نزلت: ﴿ وَما أرْسَلْنا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ ولا نَبيٍّ إلّا إذا تَمَنّىٰ ﴾ الآية[4]، وغيرها، كما يظهر لمن وقف علىٰ أقوالهم.

قال القرطبي: «إنما لم ينم قلبه لأنه يوحىٰ إليه، فلا يجوز أن يستغرق قلبه النوم»، ثمّ قال: «وفيه دلالة علىٰ أنه كان محفوظاً في حال النوم من الحدث، كما جاء: أنه ينام حتىٰ ينفخ، وحتىٰ يسمع غطيطه، ويصلي ولا يتوضأ»[5].

العلامة الخامسة: أنه لا يتثأب؛ لأنه من الضجر أو استرخاء بعض الأعضاء، لغلبة بخار أو غيره، لتعدّ في الأكل، أو ما ماثل ذلك، وكله منزه عنه الإمام.

العلامة السادسة: أنه لا يتمطىٰ.

العلامة السابعة: أنه يرىٰ من خلفه كما يرىٰ من أمامه، إذ العالم كله بالنسبة إليه كالدرهم في كف أحدنا إحاطةً، فكيف لا يكون كذلك؟! ولأن بصرهم إلهي لا تحجبه الأجسام، فكيف أجسادهم التي هي أنوار مخلوقة من عليين؟! كما ستسمع[6]، فهي أنوار إلهية.

فلا وجه للتشكيك بأنه كيف تتحقق الرؤية مع فقد شروطها؟ علىٰ أنه من المعاجز لهم، وهي أقلها. كما أنه لا وجه للقدح بها علىٰ شروط الرؤية، ولا حاجة إلىٰ القول بأنه يُخلق للمعصوم إدراكٌ في قفاه[7]، فإنه ساقط، بل يوجب اطراح العلامة عند التدبّر، ومساواة بصرهم لسائر الأبصار، وهو من سواقط الأنظار.

---

(١) «مسند أحمد بن حنبل» ج٤، ص٤٣٤.

(٢) «مسند أحمد بن حنبل» ج٢، ص٢٥١، ٤٣٨؛ «صحيح البخاري» ج١، ص٣٨٥، ح١٠٩٦.

(٣) «المعجم الكبير» ج٩، ص٣٤، ح٨٣١٦. (٤) «الحج» الآية: ٥٢.

(٥) انظر: «شرح المازندراني» ج٦، ص٣٦٦، عنه، بتفاوت يسير.

(٦) انظر باب: خلق أبدان الأئمة وأرواحهم...، الآتي في هذا المجلد، ح١، ٤.

(٧) «شرح المازندراني» ج٦، ص٣٦٦.

العلامة الثامنة: أن نجوه كرائحة المسك، والأرض موكّلة بستره. والنَّجْو: ما يخرج من ريح أو غائط، وربما خصّ بالغائط[١]. وذلك لصفاء معدته، وكذا فضلتها، ولاستنشاق الأرض له، واختصاصه بزيادة التحفظ والستر، فستر لذلك.

العلامة التاسعة: أنه إذا لبس درع رسول الله ﷺ كانت موافقة لقامته، إن طالت طالت الدرع، وإن قصرت قصرت الدرع، ولا كذلك غير المعصوم، فإنه متىٰ لبسها طالت عليه شبراً، طال أو قصر.

وقد مرّ لك في باب: ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ﷺ [٢]، في ذات الفضول، ما ظاهره المنافاة لهذه العلامة، من زيادتها علىٰ المعصوم، ومرّ لك وفقه وتصحيح العلامة، فراجعه. أو الاستواء مختص بالقائم، كما هو ظاهر هذا الحديث وما سبق، فلا تغفل، وهو غير بعيد.

العلامة العاشرة: أنه محدَّث، وقد تواتر في الروايات، ومرّ في الجزء الخامس مبيّناً، فراجعه[٣].

ومن عرف فطرة الإمام، وأنه حافظ الشريعة والتبليغ في جميع العوالم، لأنه بدل النبي وهادٍ لشريعته به، ظهر له وجوب وصفه بهذه الصفات، وأنه أجلّ مقاماً منها أيضاً، فجميعها مما يشتركون فيها، لأنها بالنسبة لمن دونهم، وما يتفاضلون به بوجه آخر بنسبة بعضهم لبعض.

فـائدة

من آراء العامة نفيهم هذه الصفات عن ولادة الإمام؛ لمّا وجدوا قومهم بعكس ذلك، ﴿ وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[٤].

وهم يروون في النبي معاجز، حتىٰ أنه يسقط علىٰ الأرض في الولادة[٥]، ولا يثبتون له من الصفات السابقة، هذا وهو من الصفوة ومختار الله، كما تصرح به رواياتهم والقرآن.

---

(١) انظر: «لسان العرب» ج ١٤، ص ٦٣، مادة «نجا».

(٢) «الكافي» ج ١، ص ٢٣٤، ح ٤، وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام: (لبس أبي درع رسول الله ﷺ ذات الفضول فخطّت، ولبستها ففضلت).

(٣) انظر: «هدي العقول» ج ٨، باب أن الأئمة عليهم السلام محدَّثون مفهّمون.

(٤) «التوبة» الآية: ٣٢.

(٥) «البداية والنهاية» ج ٢، ص ٣٢٣.

وغير خفي علىٰ من خلع ربقة العناد منه وتبع الآباء والأجداد أنّ [كمال][1] الاصطفاء والاختيار يوجب كونهم كذلك؛ لمزايلة أفراد النوع حتىٰ في الولادة، ولكون عيسىٰ كذلك، وهم أفضل منه، كما أوضحناه في غير هذا الموضع، حتىٰ مرّ من طريقهم.

فقولهم: إنّ محمداً ختنه غيره[2]، وإبراهيم عليه السلام ختن نفسه بعد كبره[3]، افتراء ظاهر، وخطأ لقدر النبوة.

فمن ذلك ما قاله ابن القيّم في الجزء الأول من كتاب الهدىٰ ـ وكان باسم الضلال أحق ـ: «اختلف في ختان محمد صلى الله عليه وآله، فقيل: ولد مختوناً مسروراً. وروي في ذلك حديث لا يصح، ذكره أبو الفرج في الموضوعات، وليس ذلك من خواصه، وذكر عن بعض أنه ولد كذلك.

وقيل: إنه ختن بشق قلبه الملائكة عند حليمة.

وقيل: ختنه جدّه عبد المطلب يوم سابعه، ونقل عن أبي عمر بن عبد البر حديثاً مسنداً عن ابن عباس بذلك، وقال: قال يحيىٰ بن أيوب: طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته إلّا عند ابن السري.

وقد وقع في هذه المسألة بين رجلين فاضلين، صنّف أحدهما مصنفاً في أنه ولد مختوناً، وأجلب فيه الأحاديث التي لا خطام لها ولا زمام، وهو كمال الدين بن طلحة. فنقض عليه كمال الدين بن العديم، وبيّن فيه أنه ختن علىٰ عادة العرب، وكان عموم هذه السنّة للعرب قاطبة» انتهىٰ مختصراً.

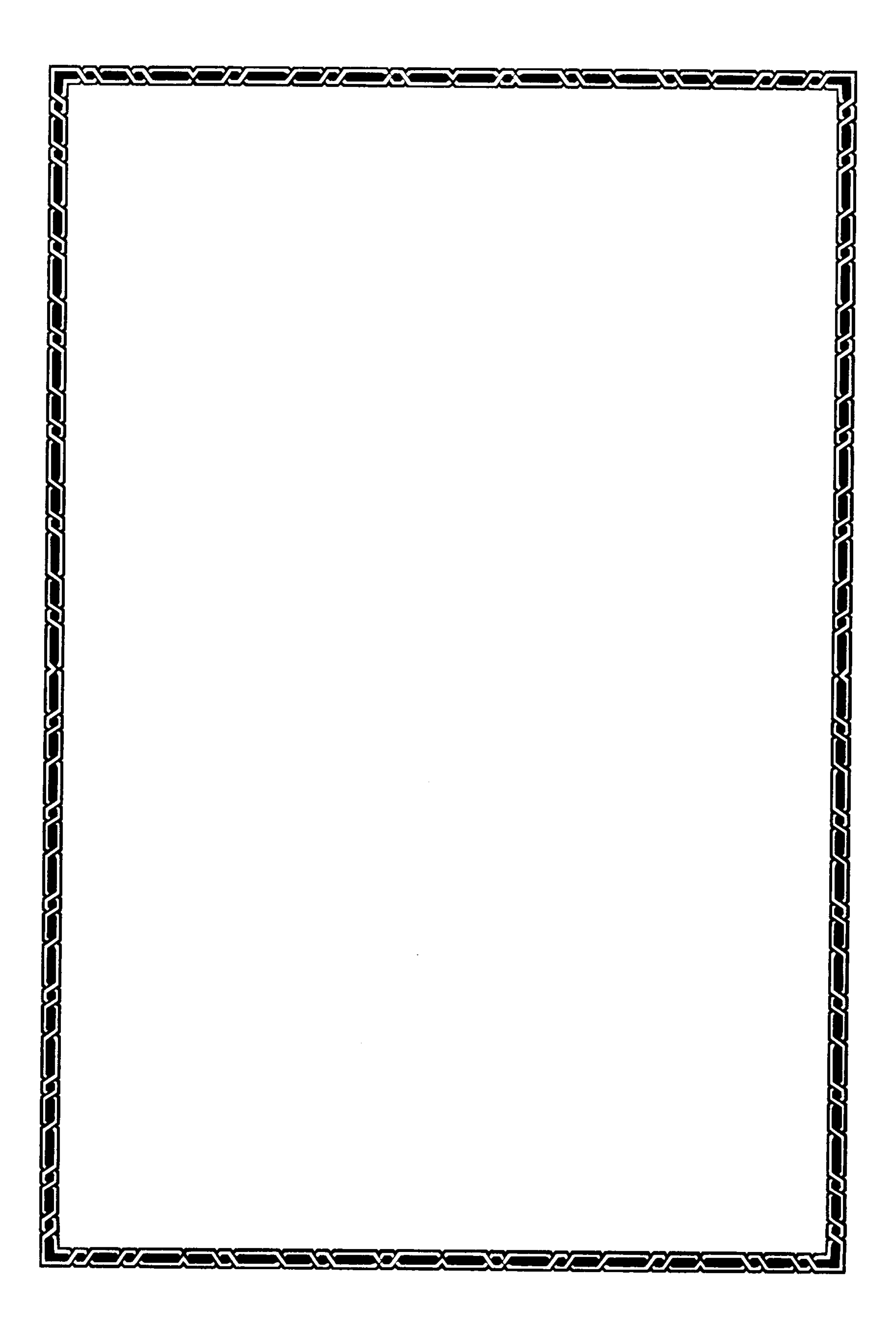
* * *

---

(١) في الأصل: «كمل».

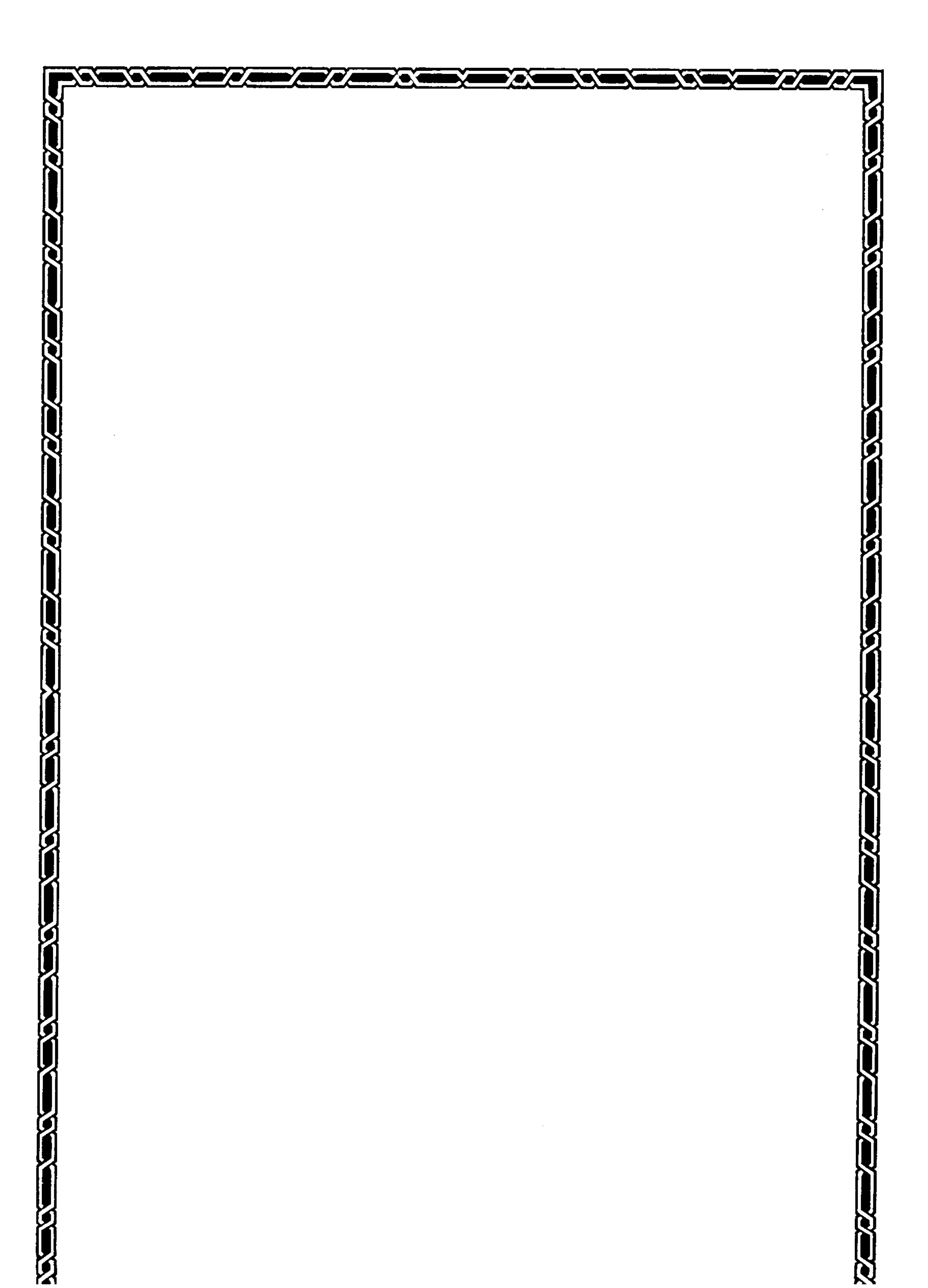
(٢) «البداية والنهاية» ج ٢، ص ٣٢٥.

(٣) «صحيح مسلم» ج ٤، ص ١٤٦٧، ح ٢٣٧٠.



الباب الرابع والتسعون

خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب [أربعة][1].

الغرض من هذا الباب بيان مبدأ طينتهم وأرواحهم؛ ليظهر منه اختصاصهم بالمزايا، وتنزيههم عن الرذائل، وتتقوىٰ المعرفة النورية بهم، وتظهر كمال جامعيتهم، وأن مبدأ خلقهم ليس العالم المادي وحده؛ لأنهم أنوار إلهية أُلبسوا قوالب بشرية.

فالمراد بـ (عِليين)[2] أعلىٰ مرتبة من الجنان، فمادتهم النورية وإن كانت جامعة [لجميع][3] المواد والقبضات، لكن لها الوحدة النورية، وهم عليهم السلام مظهر السرمد والجبروت، فلهذا كانت أرواحهم مخلوقة من فوق عليين، وأبدانهم من عليين، وأرواح شيعتهم من عليين.

فانظر وتأمل أرواح الشيعة ـ ومن شيعتهم مثل إبراهيم ـ من فاضل أجسادهم، فهي من عليين، فكيف حال أجسادهم وحال أرواحهم؟!

ومعلوم أنّ مبدأ القبضات التي خلق الإنسان منها أعلىٰ من الأجسام في رتبة الملك صفاء، فكيف أجسادهم، فضلاً عن أرواحهم؟

---

(١) في الأصل: «خمسة».

(٢) في قوله عليه السلام في الحديث الأول من هذا الباب: (إن الله خلقنا من عِلّيين). وفي الحديث الرابع: (من أعلىٰ علّيين).

(٣) في الأصل: «بجميع».

ولهذا ورد ـ كما سيأتيك في كتاب الايمان والكفر من الكافي[١] وغيره ـ أن الطين ثلاث: طينة الأنبياء، وطينة المؤمنين، وطينة سجين، ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾[٢].

ثمّ اعلم أن الطينة كلما علت كانت أجمع وأصفىٰ، وسائر القوىٰ لها أطوع، فللشيطان أقهر؛ لقربها من الوحدة النوعية والجنسية حكماً. فلا تتوهم من خلقهم من عليين وخلق أرواحهم من أعلىٰ أنه لا يمكنهم المعصية، بل دلالته علىٰ إمكانها منهم أظهر. نعم، لا يفعلونها؛ لما عرفت.

فلا تتوهم أنّ في ذلك تخصيصاً لهم بهذه الطينة المفردة، وكذا في غيرهم بالنسبة إلىٰ طينتهم، وأن كلّ طينة صافية أو خالصة من الجهة المنافية والعكس، فيكون تخصيصاً لا لمخصص، أو أنه موجب لفعلهم الطاعة، وغيرهم المعصية، فيعود إشكال ظاهر، بل أصل الطين واحدة، وكلّ طينة صاحبها قادر مختار مملّك، إلّا أن الطين للنفوس في شدة العلاقة وبالعكس، فما كان أقبل كانت طينته أصفىٰ وأعلىٰ، ولم يكن فيه جهة خلط، ولهذا خلط الطينتين إنما هو في عالم الملك وأسفل الملكوت، وما علىٰ الجهة السفلىٰ مقهورة تحت الجهة العليا، لا خلط فيهم.

وهذا الكلام إشارة يحتاج إلىٰ بسط سيأتي إن شاء الله في كتاب الايمان والكفر، وعسىٰ أن يكون في هذا الباب.

❑ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن أبي يحيىٰ الواسطيّ، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ الله خلقنا من عِلّيّين، وخلق أرواحنا من فوق ذلك، وخلق أرواح شيعتنا من عِلّيّين، وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم، وقلوبهم تحنُّ إلينا﴾.

---

(١) «الكافي» ج٢، ص٢ باب طينة المؤمن والكافر، ح١؛ ص٣، ح١.

(٢) «الأنعام» الآية: ١٣٢؛ «الأحقاف» الآية: ١٩.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: إنّ الله خلقنا من نور عظمته، ثمّ صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنّا نحن خلقاً وبشراً نورانيّين، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل [من] ذلك الطينة، ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلّا للأنبياء صلوات الله عليهم، ولذلك صرنا نحن وهم النّاسَ، وصار سائر الناس همجٌ، للنار وإلىٰ النّار﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن علي بن رئاب، رفعه إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، [قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:] إنّ لله نهراً دون عرشه، ودون النهر الذي دون عرشه نور [نوّره]، وإنّ في حافّتي النهر روحين مخلوقين: روح القدس، وروح من أمره، وإنّ لله عشر طينات، خمسة من الجنّة، وخمسة من الأرض.

ففسّر الجنان وفسّر الأرض، ثمّ قال: ما من نبيّ ولا ملك من بعده جبله إلّا نفخ فيه من إحدىٰ الروحين، وجعل النبي صلى الله عليه وآله من إحدىٰ الطينتين.

قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: ما الجَبْل؟ فقال: الخلق غيرنا أهل البيت، فإنّ الله عزّ وجلّ خلقنا من العشر طينات، ونفخ فينا من الرُّوحين جميعاً، فأطيِبْ بها طيباً.

وروىٰ غيره عن أبي الصّامت، قال: طين الجنان: جنّة عدن، وجنّة المأوىٰ، و [جنّة] النعيم، والفردوس، والخلد. وطين الأرض: مكّة، والمدينة، والكوفة، وبيت المقدس، والحائر﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن أبي حمزة الثماليّ، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله خلقنا من أعلىٰ عِلّيين، وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا؛ لأنّها خلقت ممّا خلقنا. ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ كَلّا إنَّ كِتابَ الأبْرارِ لَفِي عِلّيِّينَ * وَما أدْراكَ ما عِلِّيُّونَ * كِتابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ ﴾[1].

وخلق عدوّنا من سجّين، وخلق قلوب شيعتهم ممّا خلقهم منه، وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إليهم؛ لأنّها خلقت ممّا خلقوا منه. ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ كَلّا إنَّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَما أدْراكَ ما سِجِّينٌ * كِتابٌ مَرْقُومٌ ﴾[2]﴾.

أقول: وفي البصائر[3] روي أيضاً.

وروىٰ الصفّار فيها أيضاً عن بشر بن أبي عقبة، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، قال: (إنّ الله خلق محمداً من طينة من جوهرة تحت العرش، وإنه كان لطينته نضح، فجَبَلَ طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضح طينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نضح، فجبل طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت لطينتنا نضح، فجبل طينة شيعتنا من نضح طينتنا، فقلوبهم تحنّ إلينا، وقلوبنا تعطف عليهم تعطّف الوالد علىٰ الولد، ونحن خير لهم، وهم خير لنا، ورسول الله صلى الله عليه وآله لنا خير، ونحن له خير)[4].

وبسنده عن أبي الحجاج، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: (يا أبا الحجّاج، إنّ الله خلق محمداً وآل محمد من طينة علّيين، وخلق قلوبهم من طينة فوق ذلك، وخلق شيعتنا من طينة دون علّيين، وخلق قلوبهم من طينة علّيين، فقلوب شيعتنا من أبدان آل محمد صلوات الله عليهم. وإن الله خلق عدوّ آل محمد من طين سجين، وخلق قلوبهم من طين أخبث من ذلك، وخلق

---

(١) «المطففين» الآية: ١٨ – ٢١.
(٢) «المطففين» الآية: ٧ – ٩.
(٣) «بصائر الدرجات» ص١٥، ح٣.
(٤) «بصائر الدرجات» ص١٤، ح١، صححناه علىٰ المصدر.

شيعتهم من طين دون طين سجين، وخلق قلوبهم من طين سجّين، فقلوبهم من أبدان أُولئك، وكلّ قلب يحنّ إلىٰ بدنه)[١].

وبسنده عن جابر الجعفي، قال: كنت مع محمد بن علي عليه السلام، فقال: (يا جابر، خلقنا نحن ومحبينا من طينة واحدة بيضاء نقيّة من أعلىٰ علّيين، فخلقنا نحن من أعلاها، وخلق محبّونا من دونها، فإذا كان يوم القيامة التفت العليا بالسفلىٰ، وإذا كان يوم القيامة ضربنا بأيدينا إلىٰ حجزة نبينا، وضرب أشياعنا بأيديهم إلىٰ حجزتنا، فأين ترىٰ يصيّر الله نبيه صلى الله عليه وآله وذريته؟ وأين ترىٰ يصيّر ذريته محبيها؟) فضرب جابر يده علىٰ يده فقال: دخلناها ورب الكعبة[٢].

وبسنده عن عبد الغفار الجاري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إنّ الله خلق المؤمن من طينة الجنة، وخلق الناصب من طينة النار)، وقال: (إذا أراد الله بعبد خيراً طيّب روحه وجسده، فلا يسمع شيئاً من الخير إلّا عرفه، ولا يسمع شيئاً من المنكر إلّا أنكره). قال: وسمعته يقول: (الطينات ثلاثة: طينة الأنبياء، والمؤمن من تلك الطينة، إلّا إن الأنبياء من صفوتها، وهم الأصل ولهم فضلهم، والمؤمنون الفرع من طين لازب، كذلك يفرق الله بينهم وبين شيعتهم). وقال: (طينة الناصب من حمأ مسنون، وأما المستضعفون فمن تراب، لا يتحول مؤمن عن إيمانه، ولا ناصب عن نصبه، ولله المشيئة فيهم جميعاً)[٣].

وبسنده عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبيه، عن أبي الحسن الأول عليه السلام، قال: سمعته يقول: (خلق الله الأنبياء والأوصياء يوم الجمعة، وهو اليوم الذي أخذ الله فيه ميثاقهم). وقال: (خلقنا نحن وشيعتنا من طينة مخزونة، لا يشذّ منها شاذّ إلىٰ يوم القيامة)[٤].

وبسنده عن الحسين بن يزيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: (قال علي بن الحسين عليه السلام: إنّ الله بعث جبرئيل إلىٰ الجنة فأتاه بطينة من طينتها، وبعث ملك الموت إلىٰ الأرض، فجاءه بطينة من طينتها، فجمع الطينتين، ثمّ قسمها نصفين، فجعلنا من خير القسمين، وجعل شيعتنا من طينتنا، فما كان في شيعتنا مما يرغب بهم عنه من الأعمال القبيحة فذلك مما خالطهم من الطينة الخبيثة، ومصيرها إلىٰ الجنة، وما كان في عدوّنا من برّ وصلاة

---

(١) «بصائر الدرجات» ص١٤، ح٢، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «بصائر الدرجات» ص١٥، ح٦، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «بصائر الدرجات» ص١٦، ح٧، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «بصائر الدرجات» ص١٧، ح١١، صححناه علىٰ المصدر.

وصوم وأعمال حسنة فذلك مما خالطهم من طينتنا الطيّبة، ومصيرهم إلىٰ النار)[١].

ومضمون هذه الأحاديث مروي في محاسن البرقي[٢] وغيرها[٣] من كتب الأُصول.

وأنت إذا تدبرت القرآن وجدته دالاً علىٰ خلقهم من أعلىٰ الطين، فما سواهم بعدهم من فاضلهم، كما دل علىٰ اصطفاء الرسل والأنبياء، واصطفاء محمد وآله. والحسنة فعلهم وصفتهم، وهو طبق فعله وأمره، فلذا نسبهم لنفسه وخلطهم بها، كقوله تعالىٰ: ﴿ وما ظَلَمُونا ﴾[٤]، ﴿ فَلَمّا آسَفُونا ﴾[٥]، وأمثالهما. فهو دال علىٰ أنهم الأقرب، فهم الواسطة للكل، فطينتهم أعلىٰ الطين، إلىٰ غير ذلك.

ثمّ اعلم أنّ مثل هذه الأحاديث من أحاديثهم الصعبة التي تحتاج إلىٰ زيادة تبحّر، وعدم الاقتصار علىٰ ظاهرها، بل يعتبر بما لا ينافي الأُصول الحكمية، فلا ظاهر إلّا بباطن ـ وبالعكس ـ كما في رواية هيثم المروية في البصائر[٦]. وكلّ ما تكلّموا به فقد بيّنوه للكل والبعض، لكلٍّ بما يناسبه، فلكلامهم ظاهر وباطن، وحدّ ومطلع.

ولا تحمل هذه الأحاديث علىٰ المعاني اللغوية الجزافية، ولا أنها آحاد، بل موافقة للقرآن والاعتبار. فلنتكلم عليه بالمتيسر، طالبين الزيادة من المبدأ الفيّاض، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[٧]. وكلّ متكلم أعلم بكلامه ومراده منه من غيره.

فنقول: المراد بالطينة هي المادة، ولكن باعتبار تصوّرها، أو الصورة الوجودية، فإن بها التصوير ـ سعادة أو شقاوة ـ لكل وجه، وفي كلّ مقام بحسبه.

وعنهم عليهم السلام: (السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطنها)[٨] فالمادة من الأب، والصورة من الأم، عكس ما اشتهر علىٰ الألسن.

وليس المراد بالطينة في الأحاديث الهيولىٰ الأولية، ولا الفضاء السابق، ولا أجزاء صغار قديمة، ولا مادة جامدة غير مختارة لا تصلح للصفتين، ولا المادة الظاهرة، فإنها إنما ظهرت من تجسد وظهور الطينة الأولية، ولا أنها الماء المخلوق إبداعاً علىٰ غير مثال،

---

(١) «بصائر الدرجات» ص١٧، ح١٠، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «المحاسن» ج١، ص٢٢٤، باب: ٢؛ ص٢٢٧، باب: ٥.

(٣) «بحار الأنوار» ج٢٥، ص١، باب: ١.

(٤) «البقرة» الآية: ٥٧؛ «الأعراف» الآية: ١٦٠.

(٥) «الزخرف» الآية: ٥٥.

(٦) «بصائر الدرجات» ص٥٣٧، ح٥.

(٧) «يوسف» الآية: ٧٦.

(٨) «التوحيد» ص٣٥٦، ح٣، باختلاف يسير.

الحامل للعرش، وهو الماء حيث لا سماء ولا أرض، ولا جن ولا إنس. ولأنها مخلوقة من نور عظمته تنفصل عن فعله كما ينفصل الضوء من الشمس، ولأنهم أول مخلوق، وهم علة لمن سواهم، إذ لا ينال الأبعد والبعيد إلّا بواسطة الأقرب. نعم، يمكن تصحيح كلٍّ بمقام من مقامات الوجود، من غير قصرها عليه.

واعلم أيضا أن أول صادر الوجودُ المطلق، وهو عالم المشيئة، ثمّ عالم الجبروت، وهو العقول، ثمّ عالم الملك هو عالم النفوس، ثمّ الأجسام، من محدد الجهات إلىٰ التراب. وكلٌّ ظاهرٌ ما فوقه [وفاضله][1]، فبينهما برزخ، فبين الجبروت والملكوت روائق الأرواح، وبين الملكوت والملك عالم المثال.

والمراد بالنور: الوجود، لأنه الظاهر لنفسه، المُظهر لغيره. والوجود كذلك، وكلما قوي قويت نوريته [وقوله] وإحاطته، وكذا الطينة كلما قويت وقربت صفت وعلت وجمعت.

فنقول: قد ظهر من هذه الأحاديث أن طينة محمد صلى الله عليه وآله جامعة لجميع الطين؛ لحديث: (فخلقنا من العشر طينات، ونفخ فينا من الروحين). فلطينتهم اعتبار[ان]:

الاعتبار الأول: باعتبار أنها ابتداء مظهر المشيئة وأمر الله المفعولي مادةُ الكل، والكل قائم بها قيام صدور وتقوُّ، وهي واحدة خاصة بهم، لا يشترك [معهم][2] غيرهم بوجه.

الاعتبار الثاني: وباعتبار مراتبهم الظهورية في مراتب الإقبال والإدبار ـ الذي هو الانعطاف عليه ـ تكون طينهم متعددة، وبها كمال التصوير، في كلّ مقام [تعبير]، ولغيرهم فاضل كلّ مقام لهم، لأنهم الأصل في ظهور كلّ مقام، لكن علىٰ وجه أعلىٰ وأسنىٰ، بحيث السافل يرتبط بهم بالفضل النوري منه، كارتباط بعض الأشعة ببعض، وهي [بالشمس][3]. ومافي الشعاع الأبعد ـ أو فيه مطلقاً ـ من القصور ومطلق العجز عن نورية الشعاع الآخر أو الشمس، ليس منه أو الشمس، بل منهما.

وأما ما سواهم من النبيين فخلق من أحد الطينتين، ونفخ فيه من أحد الروحين. أما سواهم من الشيعة فمن الطينة الجبروتية، أي من فاضلها، وأجسادهم من دونها، والكافر وأتباعه علىٰ التعاكس. والكل قائم به، ومن فاضله أو فاضل فاضله، أو فاضل فاضل

---

(١) في الأصل: «وفاصلة».

(٢) في الأصل: «معها».

(٣) في الأصل: «كالشمس».

فاضله، أو من عكوس فاضل فاضلهم، وهو الجهل [المركب][(١)]، وهو سجّين، ومن ظلماته وشعب جهالاته خلقت الشياطين والجهلة وأجسادهم.

فمقام روحهم الأولية وطينتهم الأولية الأمر المفعولي والمادة الأولية، التي جميع المواد والطين منها علىٰ تنازلها، والأمر، وبحر المشيئة، والوجود المطلق الذي ملأ كلّ شيء نوره.

والمقام الجبروتي هو مقام العقل، مقام طينة أجسادهم، ولا فصل بين هذه وذاك ولا وصل، بل شيء واحد في الظهور، وهكذا متنازلاً، وكلّ مرتبة جامع مختار. اُعطي فقبل عن اختيار، فكان أعلىٰ وأقرب، من غير ترتيب تأخري انفكاكي، وإن كان دونه رتبة ومن فاضله، نسبته له نسبة العرض للجوهر، والمعلول للعلة، ونسبة العالي إلىٰ السافل عكس ذلك.

وعالم [المُلك][(٢)] مودع بجود الله الاستمداد من العقل الكلي، والروح والنفس والطبيعة، علىٰ وفق السببية والمسببية، فتبرز للملائكة الموكلة به بأمر الله، بحسب الإدارة للأفلاك ووقوعها علىٰ أرض الجرز.

والمادة الترابية تركيبات جامعة، لاختلاطها بالنبات، فيكون بالمكونات في الأصلاب والأرحام، ومودع فيها تلك القوىٰ، [وتتفاوت][(٣)] صفاتها بحسب كثرة حصول الموانع وعدم الأخلاق الشرعية من الأب وغيره، مما له دخل فيه، فتضعف فيها الفطرة وتقوىٰ، وأقواها نطفة المعصوم ومادته الجسمية، فإنها علىٰ وفق تلك القوىٰ النورية والأشعة الفلكية، محفوظة في هذا العالم لم تدنس. وسمعت كيفية علوقهم وولادتهم.

ومن لم يكن بذي عقل مستنير يتوهم من مثل ما دل علىٰ خلقهم من أعلىٰ ـ فوق ـ عليين، وأجسادهم من أعلاها، توهم الجبر، وأنهم لا يقدرون علىٰ الطاعة، فعصمتهم اضطرارية، وهذا من الجهل بحقية الأمر؛ فإن كلّ رتبة سكانها في اختيار لا اضطرار، فقبولهم وكونهم كذلك عن اختيار، إذ العقل اُعطي فقبل، ويمكن منه عدم القبول، والجهل المركب اُعطي فأبىٰ، ويمكن منه القبول، ولله الحجّة البالغة علىٰ الكل. كيف ومبدأ خلقهم وجود منفعل بمشيئة الله؟! وكونه كذلك يوجب كمال القدرة الإحاطية والجامعية، فهي

---

(١) في الأصل: «المرتب». (٢) في الأصل: «الفلكي».

(٣) في الأصل: «ويتفاوت».

تدل علىٰ الاختيار، لا علىٰ عدمه.

انظر لنفسك تجد اختيارها أقوىٰ وأشد من أعضاء بدنك، وهي مخلوقة من فاضل أجسادهم، إذ لها فضل نوري، فكيف أجسادهم، فضلاً عن نفوسهم وعقولهم؟! فالعالم الجسماني فاضل العالم النفساني وظهوره تجسداً، بل الاختيار هنا دليل علىٰ [...] الوجود عليه، وان انقسم الا[ختيار] إلىٰ بسيط ومركب، والقسمان [فيك] موجودان، فتدبّر.

تنـوير

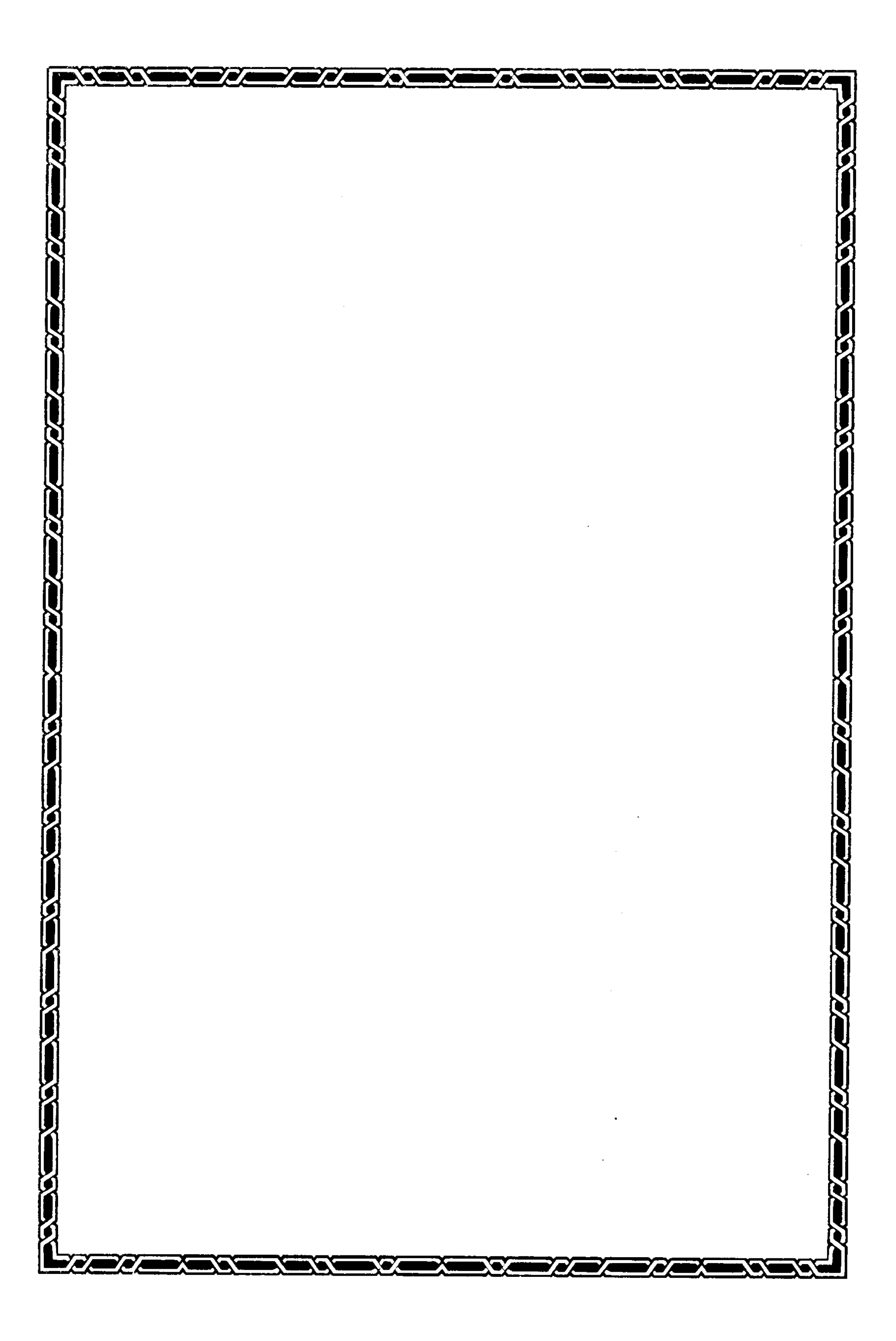
في علاقة الشيعة بالأئمة عليهم السلام

من عرف إحاطة النفس القوية بالضعيفة وشدة الارتباط، لأنه وجودي، كما ترى في المثال الظاهر: الارتباط بين أجزاء الشعاع، والأشعة بفعل الشمس، وفي العقول والأنوار العالية أشد وأقوىٰ، ولكنه ارتباط بما ظهر للفعل بالفعل وللمفعول [...]، لا لمناسبة ذاتية أو قيام كذلك بين العلة [والمعلول][1]، بل قيام بما ظهر لها بها ـ وللشيرازي والكاشاني كلام ساقط [...] لا يسع نقله ـ وحينئذ يظهر لك شدة الإحاطة والعلاقة بين نفوس الشيعة وهم عليهم السلام؛ لخلقهم من فاضل أجسادهم النورية، وخلق صفتهم من فاضل صفتهم، وظهر الوجه في عرض الأعمال عليهم، وعدم خفاء شيء من أقوالنا وأفعالنا عليهم، وكذا حصول التأييدات والتقريرات في الأحكام للناظر العارف بوجه الردّ إليهم.

* * *

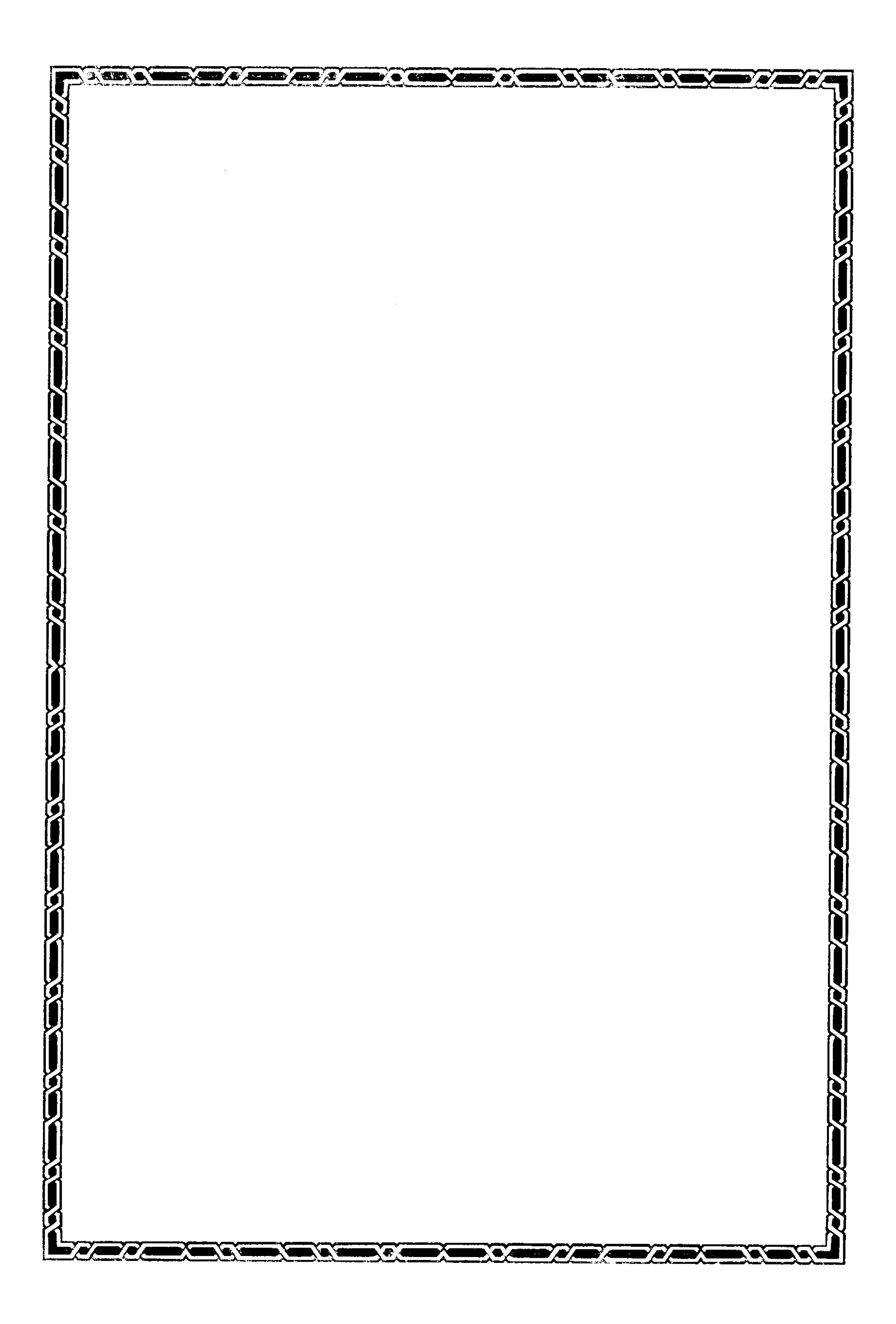
---

(١) في الأصل: «والمعلوم».



الباب الخامس والتسعون

التسليم وفضل المسلمين



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب ثمانية.

والأحاديث في ذلك متواترة، وكذا الدليل العقلي، فإنهم معصومون، ولا يقولون ويأمرون إلّا عن الله، وهم بابه، ولا حقّ إلّا ما خرج عنهم، وحديثهم صعب مستصعب وله وجوه، فيجب التسليم لهم مطلقاً، فيما ظهر وجهه وما لم يظهر، ولأن الحفظ والعمل الذي به مناط السلامة لا يكون إلّا بعد التسليم والإنصات، في القليل والجليل، ولقصور عقل التابع ومعرفته عن المتبوع، فما خفي عليه وجهه إنما هو لقصوره، ولابد له من التسليم له في ذلك، وإلّا انتفت فائدته، علىٰ أنّ وجوبه ليس بخاص بذلك، بل وفيما ظهر وجهه ببيانهم.

والتسليم أول أبواب الصلاح وما به تحصيل النجاح، فأولاً التسليم، حتىٰ يحصل مابعده، وإلّا لما فاز بمزاياه، علىٰ أنه كلما وصلتَ لمرتبة من العلم والمعرفة بهم يبقىٰ عليك ما فوق ذلك، فدائماً في التسليم، فهو كالقابل للزيادة دائماً. وكلٌّ في ذلك لا يعدو مبدأه، وهو في ذلك مستدير علىٰ نفسه، ولذاكان أول اسمه السين، وآخره الميم، وجمع اسم «السلم».

وروىٰ سعد بن عبد الله الأشعري، بإسناده عن كامل التمار، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: (ياكامل، أتدري ما قول الله عزّ وجلّ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[1]؟) قلت: أفلحوا فازوا وأُدخلوا

---

(١) «المؤمنون» الآية: ١.

الجنة، قال: (قد أفلح المسلّمون، إنّ المسلّمين هم النجباء)[١].

وزاد فيه غيره، قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسلِمِينَ ﴾[٢] ـ بفتح السين مثقّلة ـ: (هكذا قراءتها)[٣].

وعنه، بسنده عن أبي الصباح الكناني، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فقال: (يا أبا الصباح، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾) ـ قالها ثلاثاً، وقلتها ثلاثاً ـ فقال: (إنّ المسلّمين هم المنتجبون يوم القيامة، هم أصحاب النجائب)[٤].

وبسنده عن بشير الدهّان، قال: سمعت كامل التمار يقول: قال أبو جعفر عليه السلام: (﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾، أتدري من هم؟) قلت: أنت أعلم بهم، قال: (قد أفلح المسلّمون، إن المسلّمين هم النجباء)[٥].

وبسنده عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان يقول لي كثيراً: (يا يونس، سلّم تسلم)، فقلت له: ما تفسير هذه الآية: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾، قال: (تفسيرها: قد أفلح المسلّمون، إن المسلّمين هم النجباء يوم القيامة)[٦].

وقد روىٰ غير هذه الأحاديث أيضاً في هذا المجرىٰ.

وفي نسبة علي للإسلام: (الإسلام هو التسليم)... الحديث[٧].

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن سدير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّي تركت مواليك مختلفين، يتبرّأ بعضهم من بعض. قال: فقال: وما أنت وذاك، إنّما كلّف النّاس ثلاثة: معرفة الأئمة، والتسليم لهم فيما ورد عليهم، والردّ إليهم فيما اختلفوا فيه﴾.

---

(١) انظر: «مختصر بصائر الدرجات» ص ٧١؛ «تفسير البرهان» ج ٣، ص ١٠٦، ح ٢، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «الحجر» الآية: ٢.

(٣) انظر: «مختصر بصائر الدرجات» ص ٧١، بتفاوت يسير؛ «تفسير البرهان» ج ٣، ص ١٠٧، ذيل ح ٢.

(٤) انظر: «مختصر بصائر الدرجات» ص ٧٥؛ «تفسير البرهان» ج ٣، ص ١٠٧، ح ٣.

(٥) انظر: «مختصر بصائر الدرجات» ص ٧٦؛ «تفسير البرهان» ج ٣، ص ١٠٧، ح ٤، بتفاوت يسير.

(٦) انظر: «مختصر بصائر الدرجات» ص ٩٣؛ «تفسير البرهان» ج ٣، ص ١٠٧، ح ٥، بتفاوت يسير.

(٧) «نهج البلاغة» قصار الحكم: ١٢٥.

الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الله الكاهليّ، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لو أنّ قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له، وأقاموا الصّلاة، وآتوا الزّكاة، وحجّوا البيت، وصاموا شهر رمضان، ثمّ قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا صنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم، لكانوا بذلك مشركين. ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لايَجِدُوا فـي أنـفُسِهِمْ حَـرَجاً مِـمَّا قَـضَيْتَ وَيُسَـلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[1]. ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: عليكم بالتسليم ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: إنّ عندنا رجلاً يقال له: كُلَيب، فلا يجيء عنكم شيء إلّا قال: أنا أُسلّم، فسمّيناه كليب تسليم. قال: فترحّم عليه ثمّ قال: أتدرون ما التسليم؟ فسكتنا، فقال: هو والله الإخبات، قول الله عزَّ وجـلَّ: ﴿ الَّـذِينَ آمَـنُوا وَعَـمِلُوا الصَّالِحاتِ وَأَخْبَتُوا إِلىٰ رَبِّهِمْ ﴾[2] ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله تـبارك وتعالىٰ: ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْـناً ﴾[3]، قال: الاقتراف التسليم لنا والصدق علينا وألّا يكذب علينا ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿عن كـامل التـمّار، قـال: قـال أبـو جـعفر عليه السلام: ﴿ قـدْ أفْـلَحَ

---

(١) «النساء» الآية: ٦٥.
(٢) «هود» الآية: ٢٣.
(٣) «الشورىٰ» الآية: ٢٣.

المُؤمِنُونَ ﴾، أتدري من هم؟ قلت: أنت أعلم، قال: قد أفلح المؤمنون المسلّمون، إنّ المسلّمين هم النجباء، فالمؤمن غريب، فطوبىٰ للغرباء ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦ ﴾

قوله: ﴿ عن يحيىٰ بن زكريّا الأنصاري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: من سرّه أن يستكمل الإيمان كلّه فليقل: القول منّي في جميع الأشياء قول آل محمّد، فيما أسرّوا وما أعلنوا، وفيما بلغني عنهم وفيما لم يبلغني ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٧ ﴾

قوله: ﴿ عن زرارة أو بُرَيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال: لقد خاطب الله أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه. قال: قلت: في أي موضع؟ قال: في قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً * فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[1] فيما تعاقدوا عليه لئن أمات الله محمداً صلى الله عليه وآله ألّا يردّوا هذا الأمر في بني هاشم، ﴿ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ ﴾ عليهم من القتل أو العفو، ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[2] ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٨ ﴾

قوله: ﴿ عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾[3] [إلىٰ آخر] الآية، قال: هم المسلّمون لآل محمّد، الّذين إذا سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه، جاؤوا به كما سمعوه ﴾.

---

(١)، (٢) «النساء» الآية: ٦٤ – ٦٥.

(٣) «الزمر» الآية: ١٨.

أقول: غير خفي أنّ الواجب على الناس التأسي بهم ومتابعتهم والردّ إليهم؛ لأن منهم البيان، وطوعهم، فلابد من تقديم أمرهم ونهيهم وإرادتهم على إرادة الإنسان وشهوته، فمن لم يسلّم ـ ناظراً لنفسه إرادةً وفعلاً ـ فهو غير راضٍ بما يقولون، بل رادّ عليهم، فهو رادّ على الله، وهو الشرك.

ولهذا شرط الله الإخبات ـ أي التسليم لهم مع العمل ـ في الايمان، فقال: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَأَخْبَتوا إلىٰ رَبِّهِمْ** ﴾، وجعل الإخبات لهم إخباتاً لله، لأنهم محل أمره [والسفراء][1] بينه وبين خلقه، المعبّرون لهم عنه تعالىٰ، فعدم الإخبات لهم عدم التسليم لله تعالىٰ.

وعلّق حصول الايمان على الردّ إلى الرسول وآله والتسليم لهم، فقال: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ إلىٰ ﴿ **تَسْلِيماً** ﴾، فأكد الفعل بالمفعول المطلق ـ وهو: ﴿ **تَسْلِيماً** ﴾ إشارة إلىٰ أن التسليم ليس ظاهراً خاصة، بل ظاهراً وباطناً، فلا ظاهر إلّا بباطن. والمفعول المطلق مقام المعاني.

ومن ذلك يظهر علو مقام التسليم، ولصعوبة قبول الحكم ـ وأن تمام قبوله لا يكون إلّا بالقبول ظاهراً وباطناً ـ عقّبه بالتسليم المؤكد به. ولم يكتف الله بنفي الحرج والجور في الحكم ظاهراً، بل عبّر بالنفس، فإنه أشدّ وأقوىٰ، ويوجب الظاهرَ بطريق أولىٰ.

وتضمن الحديث الأول جريان الاختلاف بين الأصحاب زمن الظهور، وهو كذلك؛ لخروج الحديث منهم علىٰ وجوه، وكذا ناقل الكلام عنهم، ولتفاوتهم في الإدراك، فهم درجات عند الله.

وقال عليه السلام: (أنا خالفت بينهم)[2] ليبقوا[3]، فجعل سبب الاختلاف منهم عليهم السلام، سواء قلت: بسبب التقية، أو جوابهم لكل بقدر فهمه ورتبة وجوده، لاختلاف مراتبهم في ذلك، وسبب ذلك منهم عليهم السلام، لأنهم من فاضل شعاعهم، وهكذا.

ودرجات الشعاع متخالفة، والسافل لا يطيق معرفة العالي ولا يتحمل حمولته، فلا يوجد إلّا بالاختلاف، وهو منهم، ولكنه اختلاف في اتفاق، لا اختلاف غاية وتفرقة. وكلا

---

(١) في الأصل: «والضراء».

(٢) «عدة الأُصول» ج١، ص١٣٠.

(٣) لعله يشير إلىٰ قوله عليه السلام عندما سئل عن اختلاف الجواب منهم عليهم السلام في المسألة الواحدة: (إنّ هذا خير لنا، وأبقىٰ لنا ولكم).. «الكافي» ج١، ص٦٥، باب اختلاف الحديث، ح٥.

المعنيين مرادان من قوله عليه السلام: (أنا خالفت بينهم).

فسَدير لما قال له عليه السلام: تركتهم يختلفون، يتبرأ بعضهم من بعض، فقال له: (وما أنت وذاك)؛ إما إبعاد له عن ذلك لقصوره، أو أنه لا ينافي التسليم.

ويمكن حمل قوله عليه السلام: (إنما كلّف الناس)... إلىٰ آخره، علىٰ المعنيين، ولكن الأظهر نهيه عن ذلك الاختلاف الخاص، وأنه لم يكن فيه ردّ لهم فيما اختلفوا فيه؛ وإلّا لرفعوه عنهم، إما بجمعهم علىٰ قول، أو تخصيص كلّ بمقام وجهة. وأصل الردّ لمن وطّن نفسه علىٰ التسليم، وتعرض لنفحاتهم القدسية، فتفطّن، فغير المسلّم مشرك.

وقد أخفىٰ الله كثيراً من الحكم والمصالح عن سائر الأُمة؛ رحمة لهم. والرسول تابع لله، وكذا آله، لا يسبقونه بالقول.

فمن خفي عليه وجه حكمةٍ، وقال راداً علىٰ الله: لمَ كان كذا، بل لو كان كذا كان أصلح، فقد أحلّ نفسه محل الربوبية، وادعىٰ أنه أحكم وأعلم وأتقن صنعاً من الله ورسوله، وهو الشرك الظاهر.

فاتضح أنّ الواجب التسليم لهم فيما ظهر ولم يظهر، والقول بأن القول قولهم عليهم السلام مطلقاً، وأنه لا دين إلّا بالتسليم لهم، فغير المسلّم غير رادّ لهم ولا راضٍ بحكمهم، بل مضاد لهم، والمخالف لهم الغير المطيع مشرك.

أليس مما هو منصرح لذوي الأُفئدة المنيرة ـ عقلاً ونقلاً ـ أن الله إنما يُسبَّح ويدعىٰ ويعرف بأسمائه؟

وفي الجامعة الصغيرة: (يُسَبِّحُ اللهَ بأسمائِهِ جَميعُ خَلقِهِ)[1].

وهم حجب الله، وهم صراطه وطريقه في جميع ما أفاض، فهل يمكن معرفة حقيقتهم، أو كلّ ما يبرز منهم، أو يسع أحداً غير التسليم لهم، أو يُنال شيء بغيرهم؟

فمن عرفهم كذلك ولو إجمالاً، لا عن مشاهدة، فهو مخبت، ويلحق به من نشأ علىٰ ملّته وتبع من أهله، بحيث لم يعتقد ما ينافي مقتضىٰ فطرته، وكان متىٰ سمع فضائل لهم سلّم وانشرحت نفسه، ومتىٰ سمع ذماً لهم تألم، وبالعكس في أعدائهم. فهذا حي، كحال كُلَيب المذكور في بعض هذه الرويات، ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾[2].

---

(١) «مصباح المتهجد» ص ٢٥٣؛ «بحار الأنوار» ج ٩٧، ص ١٨٩، ح ١٢.

(٢) «الأنعام» الآية: ١٣٢؛ «الأحقاف» الآية: ١٩.

فقد اتضح لك فضل التسليم ودرجته.

وفي بعض النسخ (فليقبل) مكان: (فليقل)، في حديث ابن زكريا الأنصاري[١]، وهو تصحيف من النسّاخ.

ومما يوضح لك أنّ قوله تعالىٰ: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنُونَ ﴾ الآية[٢]، أنّ الخطاب فيها لعلي عليه السلام لا للرسول صلى الله عليه وآله، الانتقال بقوله: ﴿ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾[٣]، ولو كان الخطاب في: ﴿ جاؤُوكَ ﴾ و﴿ يُحَكِّمُوكَ ﴾[٤] له، لقال: واستغفرت لهم.

وقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: (لو أن بني أمية رجعوا واعترفوا بحقي وطلبوا المغفرة استغفرت لهم).

وحاشاهم من الرجوع إلىٰ التوبة المخلصة، فلو قاموا بها قبلت توبتهم واستغفر لهم، لكن أخذ بهم العناد وطبع عليهم بكفر[هم]، فكانوا في أسفل دركات البعاد، فلا تنجع موعظة تتلىٰ، ولا آية تمرّ عليهم، و﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾[٥]، ﴿ وما ظَلَمُونا وَلكِن كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[٦].

وفي بعض الذنوب أهون من ذلك لا يوفق صاحبها للتوبة، فكيف ما فعلوه؟! ولكن ذلك لبيان عدم اضطرارهم، وكمال عدل الله وغنائه المطلق.

خاتمة

في نقل بعض الروايات

قد عرفت وجوب التسليم لهم، وأنّ عدمه يوجب الردّ، والراد عليهم رادّ علىٰ الله، وهو مشرك، فلا يجوز المبادرة إلىٰ كلامهم بالإنكار والتكذيب، لعدم ظهور معناه؛ فإن الكلمة منهم تنصرف إلىٰ نيف وسبعين وجهاً، ويتكلمون علىٰ وجوه، وبقدر العقول، ومن أحاط

---

(١) يعني الحديث السادس من هذا الباب. (٢) «النساء» الآية: ٦٥.

(٣) «النساء» الآية: ٦٤.

(٤) «النساء» الآية: ٦٤، ٦٥. وفي الأصل: «ظلموك» بدل «يحكّموك»، لكنه لم يرد في الآية بذلك اللفظ، إلّا أن يُحمل علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ظَلَموا أنفُسَهُم ﴾، لكنه يخلو من صيغة الخطاب.

(٥) «الأنعام» الآية: ١٣٩. (٦) «البقرة» الآية: ٥٧؛ «الأعراف» الآية: ١٦٠.

خبراً بها حتىٰ يردّ بعض كلامهم ولا يسلّم له؟

قال تعالىٰ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تأوِيلُهُ ﴾[١]، ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[٢].

ورویٰ سعد بن عبد [الله]، بإسناده عن سفيان بن السمط، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ الرجل يأتينا من قبلكم فيخبرنا عنكم بالعظيم من الأمر، فتضيق لذلك صدورنا حتىٰ نكذّبه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: (أليس عني يحدّثكم؟) قلت: بلىٰ، فقال: (فيقول لليل: إنه نهار، والنهار: إنه ليل؟) فقلت: لا، قال: (فردّوه إلينا، فإنك إن كذّبته فإنما تكذبنا)[٣].

وبسنده عن علي بن سويد السائي، عن أبي الحسن الأول، أنه كتب إليه في رسالته: (ولا تقل لما يبلغك عنا أو ينسب إلينا: هذا باطل، وإن كنت تعرف خلافه، فإنك لا تدري لمَ قلناه، وعلىٰ أي وجه وصفناه)[٤].

وبسنده عن الحسين بن المختار القلانسي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (يهلك أصحاب الكلام وينجو المسلّمون، إنّ المسلّمين هم النجباء)[٥].

وعن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: (أتدري بما أُمروا؟ أمروا بمعرفتنا، والردّ إلينا، والتسليم لنا)[٦].

وبسنده عن المفضّل بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بأي شيء علمت الرسل أنها رسل؟ قال: (قد كشف لها عن الغطاء)، قلت: فبأي شيء عرف المؤمن أنه مؤمن؟ قال: (بالتسليم لله فيما ورد عليه)[٧].

وروي عن زرارة وحمران، قالا: كان يجالسنا رجل من أصحابنا، فلم يكن يسمع بحديث إلّا قال: سلّموا، حتىٰ لقّب: سلم، فكان كلما جاء قال أصحابنا: قد جاء سلم. فدخل حمران وزرارة علىٰ أبي جعفر عليه السلام، فقالا: إنّ رجلاً من أصحابنا إذا سمع شيئاً من أحاديثكم قال: سلّموا، حتىٰ لقّب بذلك: سلم، فكان إذا جاء قالوا: قد جاء سلم، فقال أبو

---

(١) «يونس» الآية: ٣٩. (٢) «الواقعة» الآية: ٨٢.

(٣) «مختصر بصائر الدرجات» ص٧٧، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «مختصر بصائر الدرجات» ص٧٧، بتفاوت يسير.

(٥) «مختصر بصائر الدرجات» ص٧٢، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) «مختصر بصائر الدرجات» ص٧٣. (٧) «مختصر بصائر الدرجات» ص٧٣.

جعفر عليه السلام: (قد أفلح المسلّمون، إنّ المسلّمين هم النجباء)[١].

وبسنده عن إسماعيل بن مهران، عمن حدّثه من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال: (ما علىٰ أحدكم إذا بلغه عنا حديث لم يعطَ معرفته أن يقول: القول قولهم، فيكون قد آمن بسرّنا وعلانيتنا)[٢].

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر أو أبي عبد الله عليه السلام، قال سمعته يقول: (لا تكذّبوا الحديث وإن أتاكم به مرجئيٌ ولا قدريٌ ولا خارجيٌ نسبه إلينا، فإنكم لا تدرون لعله شيء من الحق، فتكذّبون الله عزَّ وجلَّ فوق عرشه)[٣].

وليس مطلق اطّراح الحديث بترجيح آخرَ عليه تكذيباً به وردّاً، فإنه عليه السلام أمر بالعمل بالراجح بحسب ما ظهر للراد، [وترك المرجوح][٤]، وحمله علىٰ محمل -إن أمكن- أولىٰ، وإلّا ترك في سنبله وردّ أمره لهم، فليس فيه منافاة للتسليم، ولا ردّ لكلام خلفاء الملك [العليم][٥].

ثمّ لا ينافي ذلك ما ورد متواتراً معنًى من أنّ ما خالف القرآن زخرف[٦]، وأنّ من وجوه اختلاف الحديث الكذب عليهم، وأنّ لكل واحد منهم كذاباً يكذب عليه[٧]، لقوله صلى الله عليه وآله: (من كذب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار)[٨]، إلىٰ غير ذلك مما يدل علىٰ جواز* التكذيب ببعض الأحاديث؛ لأن ذلك بعد ظهور ذلك، بمعنىٰ ردّ الكتاب والسنّة والدليل العقلي له، وعدم ظهور محمل له، لا بمجرد أرجحية غيره عليه، ولا بمجرد عدم ظهور معناه للناظر، ولا بمجرد كون الناقل غير إمامي، فإنّ في الرواة الأواني[٩]، فالواجب التثبت والتصفية وتجنب الأواني، فإنها أواني سوء.

---

(١) «مختصر بصائر الدرجات» ص٧٣، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «مختصر بصائر الدرجات» ص٧٦.

(٣) «مختصر بصائر الدرجات» ص٧٧، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) في الأصل: «وتركا للمرجوح». (٥) في الأصل: «العلم».

(٦) «الكافي» ج١، ص٦٩، باب الأخذ بالسنّة، ح٣، ٤.

(٧) «رجال الكشي» ج١، ص٣٢٤، الرقم: ١٧٤؛ «المعتبر» ج١، ص٢٩.

(٨) «الكافي» ج١، ص٦٢، باب اختلاف الحديث، ح١، بتفاوت يسير.

(*) يعني: «وقوع». (٩) انظر: «هدي العقول» ج٢، ص٢١٦، هامش (٤).

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾[1]، ولم يأمر الله تعالىٰ بردّها مطلقاً، فالحديث الذي يكون كذلك محكوم عليه بأنه زخرف، محاط بعلمه. [والقول][2] لليل: إنه نهار، وللنهار: إنه ليل، وليس فيه جعل للرزق، التكذيب خاصة. فلا منافاة بين الأحاديث، فتدبّر.

ولا ينافي التسليمَ ووجوب الرد طلبُ العلة، أي وجه الحكمة في بعض؛ لزيادة المعرفة وقوة البصيرة، كما في حديث آدم لما أخرج الذرية من صلبه، ورأىٰ اختلافهم وقال: (لمَ خلقتهم)[3]... إلىٰ آخره، وقول الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها ﴾[4]، والقائل منهم اثنان، ونسب للكل تبعاً ورضاً، وأمثال ذلك. فليس ذلك رداً لكلامهم، بل سؤال استكشاف، فهي من التسليم.

ولا ينافيه قوله: ﴿ لا يُسْأَلُ عمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾[5]، فالسؤال المنفي سؤال الآمر للمأمور، والحاكم للمحكوم عليه، ولا حاكم عليه وقاهر، ولأنه لا يفعل إلّا المحكم الذي لا قبح فيه بوجهٍ وخلل؛ لأنه عدل في أفعاله، فلا يتوجه عليه السؤال، بخلاف من يقع منه خلاف ذلك ـ ولو بحسب القا|بلية| والإمكان ـ فيُسأل.

ولاكذلك السؤال [له][6] تعالىٰ؛ لمعرفة الحكمة في خلق بعض مخلوقاته، مع القطع بأن فعله لا يكون إلّاكذلك.

* * *

---

(١) «الحجرات» الآية: ٦. (٢) في الأصل: «وقول».

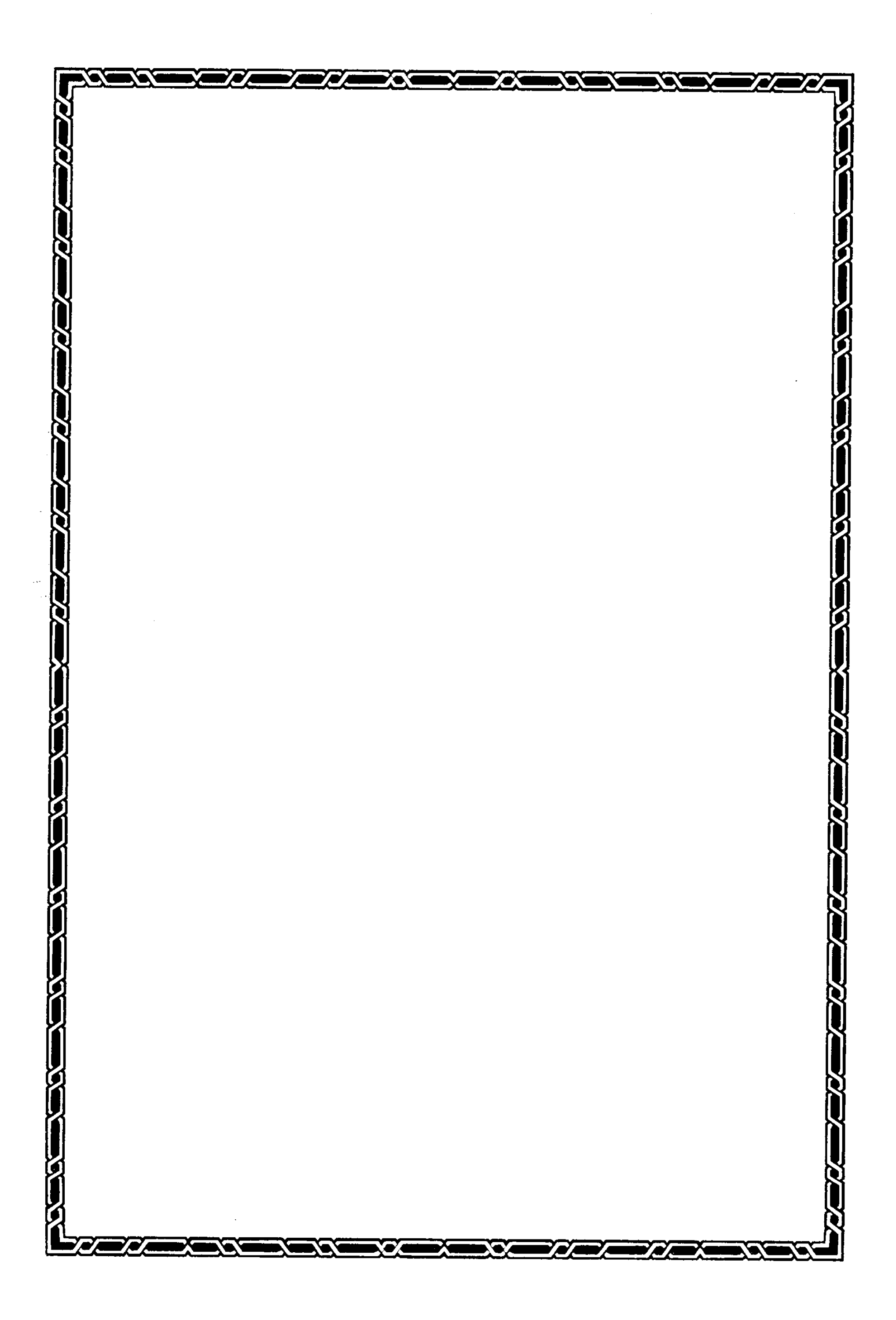
(٣) «علل الشرائع» ج ١، ص ٢١، ح ٤، باختلاف يسير.

(٤) «البقرة» الآية: ٣٠. (٥) «الأنبياء» الآية: ٢٣.

(٦) في الأصل: «منه».

الباب السادس والتسعون

أن الواجب على الناس بعدما
يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام
فيسألوه عن معالم دينهم
ويعلموهم ولايتهم ومودتهم له



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب ثلاثة، ومضمونه ثابت عقلاً ونقلاً في بصائر سعد والصفّار وغيرهما.

وكما أنه يجب الحج علىٰ المستطيع له يجب بعده أن يأتي إلىٰ الإمام؛ ليجدد العهد له، ويأخذ منه ما يحتاج إليه وبعد الوصول لمكة، زيادة وجوب، لقرب المكان، ولا ينافي وجوب الرجوع لهم عليهم السلام قبل الحج متىٰ أوجبت الحاجة له. ويفهم منه أفضليّة الزيارة بعد الحج.

ولا ينافي وجوب الرجوع إلىٰ الإمام بعد قضاء المناسك وجوب الرجوع له أيضاً قبل فيها وفي غيرها؛ إذ لا علم وعمل إلّا ما أُخذ عنهم، وما خرج من غيرهم ضلال، بل من يرد لهم بعد ويجدد العهد بهم دليل علىٰ أخذه عنهم والرد لهم قبل، ومن لا يرد لهم عمله - طوافاً وغيره - عمل الجاهلية، علىٰ غير هدًى وبصيرة من الله. وذلك ظاهر عقلاً ونقلاً.

❑ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: نظر إلىٰ النّاس يطوفون حول الكعبة، فقال: هكذا كانوا يطوفون في الجاهليّة، إنّما أُمروا أن يطوفوا بها ثمّ ينفروا إلينا، فيعلمونا ولايتهم ومودّتهم، ويعرضوا علينا

نصرتهم ـ ثمّ قرأ هذه الآية ـ : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِم ﴾[1] ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿ عن أبي عبيدة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام، ورأىٰ النّاس بمكّة وما يعملون، قال: فقال: فعال كفعال الجاهليّة، أما والله ما أُمروا بهذا، وما أُمروا إلّا أن يقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم، فيمرّوا بنا، فيخبرونا بولايتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿ عن سَدير، قال: سمعت أباجعفر عليه السلام وهو داخل وأنا خارج، وأخذ بيدي، ثمّ استقبل البيت فقال: يا سَدير، إنّما أُمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثمّ يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا، وهو قول الله: ﴿ وإنّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾[2] ـ ثمّ أومأ بيده إلىٰ صدره ـ إلىٰ ولايتنا.

ثمّ قال: يا سَدير، فأُريك الصادّين عن دين الله؟ ثمّ نظر إلىٰ أبي حنيفة وسفيان الثوريّ في ذلك الزمان، وهم حَلَق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادّون عن دين الله بلا هدًى من الله ولا كتاب مبين، إنّ هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم، فجال الناس فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالىٰ وعن رسوله صلى الله عليه وآله، حتىٰ يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالىٰ وعن رسوله صلى الله عليه وآله ﴾.

أقول: أي كان طواف الجاهلية ليس هو الطواف الشرعي، بل دوران بغير معرفة، ولا استفتاء وأخذ من أهل الحق، فهو تخيّل باطل، وليس هكذا أمر الله، إنما أمر أن يطوفوا

---

(١) «إبراهيم» الآية: ٣٧. (٢) «طه» الآية: ٨٢.

الطواف المأخوذ عنهم عليهم السلام، ويرجعوا إلىٰ أهل البيت بالتسليم والإقرار لهم، وإظهار أنهم في نصرتهم وحسب أمرهم؛ لأن الموالي [فؤاده يهوي][١] للسيد الرئيس، فلابد من طلبته له، ولا [يعرض][٢] عن لقائه، وهو بمرءٍ منه.

وقد ورد أن قضاء التفث: لقاء الإمام، وتوفية النذر: مناسك منًى، في رواية ذَريح وغيره[٣].

وغير خفي أن بهم التطهير من الدناسات القلبية والقالبية، فلا ينافي تفسيرها بـ (أخذ الشارب وقص الأظفار، وما أشبه ذلك)[٤]، فالطواف وسائر الأعمال بغير معرفتهم والأخذ عنهم لا تنفع ولا تقبل، بل لا عمل إلّا بمعرفة بالله وبهم وبأخذه منهم.

وما في أحاديث الباب ظاهر.

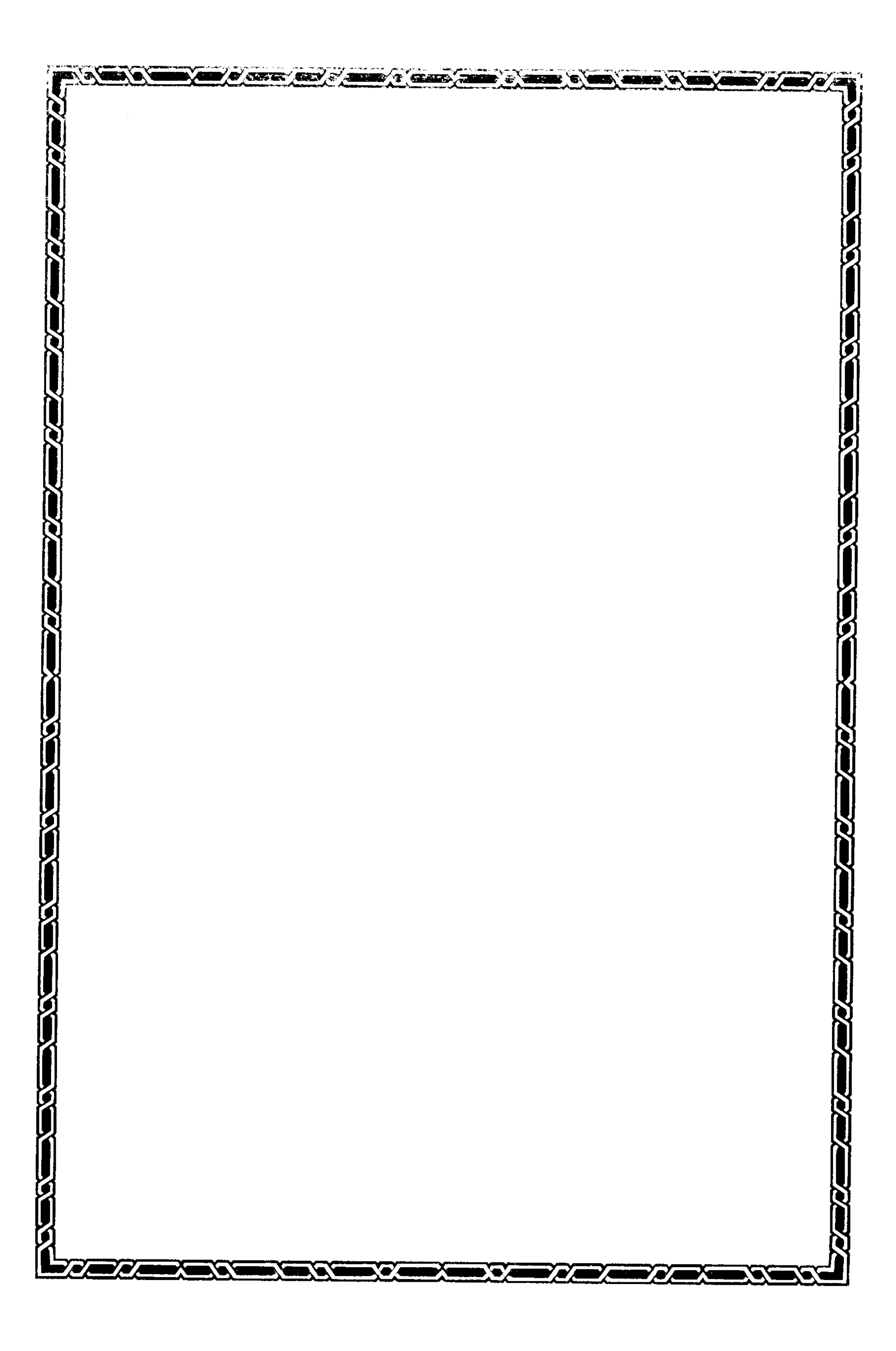
* * *

---

(١) في الأصل: «افئدته تهوي». (٢) في الأصل: «تعرض».

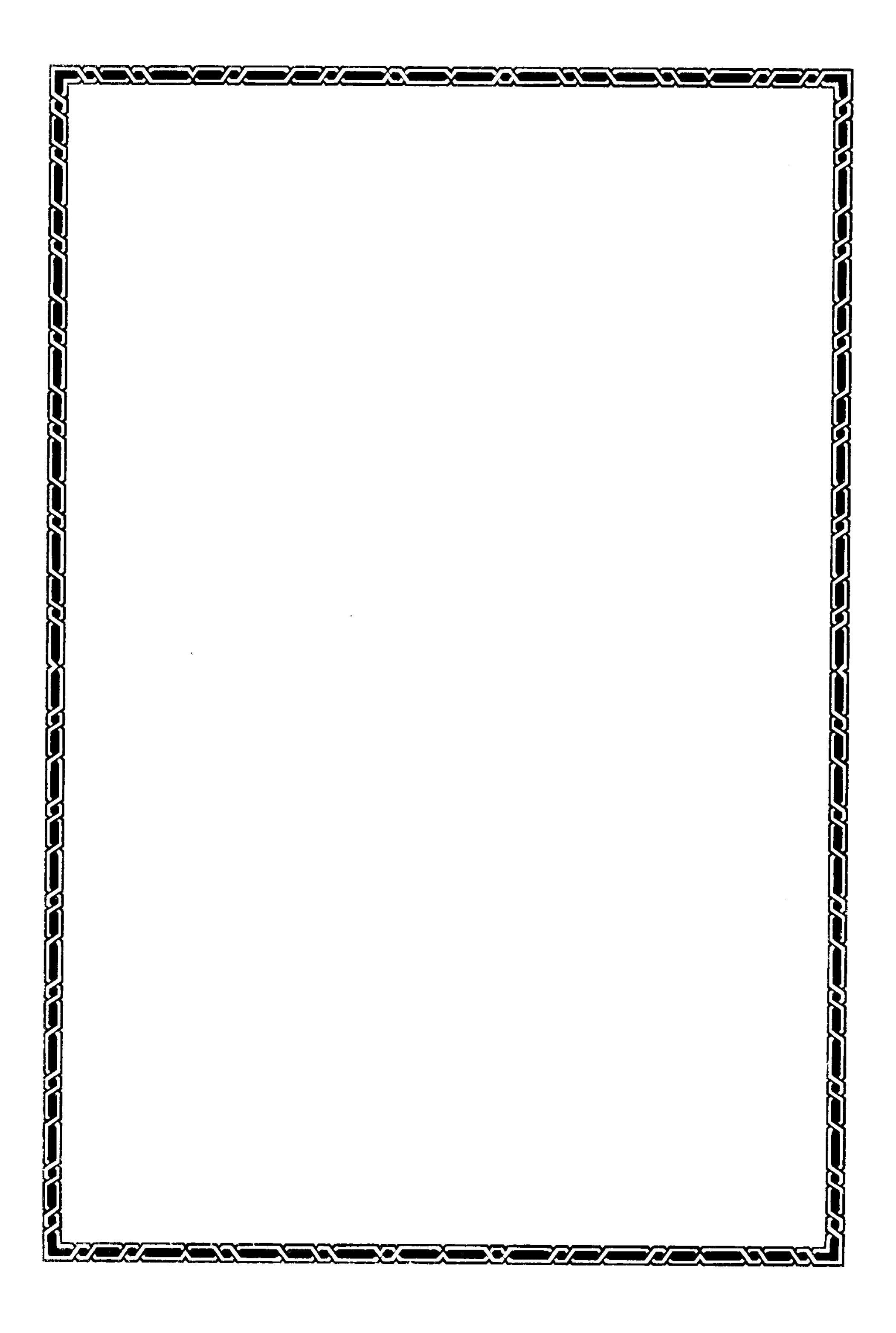
(٣) «الكافي» ج٤، ص٥٤٩، باب إتباع الحج بالزيارة، ح٤؛ «الفقيه» ج٢، ص٢٩٠، ح١٤٣٢، ح١٤٣٧.

(٤) «الكافي» ج٤، ص٥٤٩، باب إتباع الحج بالزيارة، ح٤؛ «الفقيه» ج٢، ص٢٩١، ح١٤٣٧، بتفاوت يسير.



الباب السابع والتسعون

أنّ الأئمة عليهم السلام تدخل الملائكة بيوتهم وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب أربعة، ومضمونه متواتر في الأدعية، وكتب المزارات، وبصائر الصفار[1] وسعد، وكتب الشيخ[2] والصدوق[3]، وسائر كتب الإمامية[4]، قديماً وحادثاً، وعليه إجماعهم متواتر.

واعلم أن لكل عالم نسبة لهم عليهم السلام بجهة، ويستمدون بهم منها، لأنهم الواسطة في المدد التكويني والتشريعي، وبهم يحدث ما يحدث في العالم، ولكل مَلَك مقام منهم أيضاً، ونزولهم بروح القدس الخاصة بهم عليهم السلام، ولكونهم في خدمتهم، فلابد من دخولهم البيوت، لهم ولغيرهم.

ولا يكون لغيرهم تسديد أو يصل لهم حفظ وجود إلّا بواسطتهم؛ لأنهم خزّانه على خزائنه ظاهراً وباطناً، وهم ولاة أمره في أرضه وسمائه، فلا ينزل ملك إلّا إليهم وفي بيوتهم، فهي مختلف الملائكة، بيوتٌ أذن الله أن تُرفع، بل وهم البيوت ـ أيضاً ـ التي أذن

---

(١) «بصائر الدرجات» ص٩٠، باب ١٧.

(٢) «أمالي الشيخ الطوسي» ص٢٧٣، ح٥١٩، ص٣٣٥، ح٦٧٧.

(٣) «علل الشرائع» ج٢، ص١١٠، ح٢.

(٤) «بحار الأنوار» ج٢٦، ص٣٥١، باب أن الملائكة تأتيهم وتطأ فرشهم.. .

الله أن ترفع، وسقفها عرش الرحمن، كما روي[1]. فهم شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم، ومختلف الملائكة.

كيف، وهم لهم مفتقرون، وبولايتهم مقرّون، وهي مأخوذة علىٰ كلّ خلق الله، والحكم من الله ينزل ليلة القدر وغيرها من السماء إلىٰ الأرض، ولا تنزل به إلّا الملائكة، ولا يكون إلّا علىٰ أُولي الأمر الذين في الأرض، وهم الولاة، متىٰ غاب نجم طلع آخر، ولا تخلو الأرض من حجّة ناطقة، كما تواتر[2].

❑ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن مِسمَع كردين البصري، قال: كنت لا أزيد علىٰ أكلة باللّيل والنّهار، فربّما استأذنت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام وأجد المائدة قد رفعت، لعلّي لا أراها بين يديه، فإذا دخلت دعا بها، فأُصيب معه من الطعام ولا أتأذّىٰ بذلك، وإذا عقّبت بالطعام عند غيره لم أقدر علىٰ أن أقرّ، ولم أنَم من النفخة، فشكوت ذلك إليه، وأخبرته بأنّي إذا أكلت عنده لم أتاذّ به، فقال: يا أبا سيّار، إنّك تأكلّ طعام قوم صالحين، تصافحهم الملائكة علىٰ فرشهم. قال: قلت: ويظهرون لكم؟ قال: فمسح يده علىٰ بعض صبيانه، فقال: هم ألطف بصبيانهم منّا بهم﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٢﴾

قوله: ﴿عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال [لي][3]: يا حسين ـ وضرب بيده إلىٰ مساور في البيت ـ مساور طالما اتّكت عليها الملائكة، وربّما التقطنا من زغبها﴾.

---

(١) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٧٩٢؛ «بحار الأنوار» ج٢٥، ص٩٧، ح٧١.

(٢) «بصائر الدرجات» ص٤٨٤، باب: ١٠؛ «الكافي» ج١، ص١٧٨، باب أن الأرض لا تخلو من حجّة.

(٣) ليست في المصدر.

❑ الحديث رقم ﴿٣﴾

قوله: ﴿عن أبي حمزة الثماليّ، قال: دخلت علىٰ عليّ بن الحسين عليهما السلام فاحتبست في الدار ساعة، ثمّ دخلت البيت، وهو يلتقط شيئاً، وأدخل يده من وراء الستر فناوله من كان في البيت، فقلت: جعلت فداك، هذا الذي أراك تلتقطه أيُّ شيء هو؟ فقال: فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا، نجعله سيحاً لأولادنا. فقلت: جعلت فداك، وإنّهم ليأتونكم؟ فقال: يا أبا حمزة، إنّهم ليزاحمونا علىٰ تُكأتنا﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٤﴾

قوله: ﴿عن [علي بن] أبي حمزة، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سمعته يقول: ما من ملك يهبطه الله في أمر ما يهبطه إلّا بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه، وإنّ مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ صاحب هذا الأمر﴾.

أقول: المراد بالملائكة التي تدخل بيوتهم وتطأ بسطهم: جميع الملائكة، من المقربين إلىٰ ملائكة الثرىٰ، تنزل ملائكة كلّ مقام إلىٰ ما دونهم بحسب الظهور، ولهم عليهم السلام الجامعية للكل، فإنهم المعلول الأول المخاطب بالإقبال والإدبار، والملائكة كملاً من فاضل أشعة نوره في مقامات إدباره، فلابد من نزولها عليهم.

ولكونهم كملاً خدّاماً لهم فما ينزلون به ـ ولو عذاباً علىٰ أهل الأرض ـ لابد وأن يمرّون[ـه] بالوالي، كيف وله الوساطة في إنزالهم بحسب نفس الأمر، وليس لهم التصرف مطلقاً إلّا بما يأمرهم، كما أقامهم الله في ذلك، وأخذ عليهم العهد لهم.

وإنما كانوا بصبيان أهل البيت ألطف منهم بهم؛ لأن نسبتهم للصبيان نسبة العبد لمولاه، ونسبتهم عليهم السلام لصبيانهم نسبة السيد لعبده، والمربّي لصبيه، وهو يعمل معه بما يصلحه، تارة بالإعراض، وتارة بالأدب، وغير ذلك.

ثمّ اعلم أنّ ملائكة كلّ مقام من جنسه، وبينهم تفاوت كثير، فملائكة العقل عقلانيّة، والنفوس نفسانية، والأجسام جسمانية. ولكل مقام رئيس، ومنها من يعود عود ممازجة،

وآخر عود مجاورة، ومنها ما السماوات والأرض كحبة في فلاة في عينيه، وما الألف منهم لا يقدر علىٰ حمل حبة بُرّ.

وأهل كلّ مقام لا يزاحم ماهو أعلىٰ، ومنقطع دونه، وهم أنوار، لهم الظهور في الصور، كلّ بحسب مقامه. ودعاء الصحيفة السجادية[١] وكلام علي في النهج[٢] يبيّن كثرتهم وتفاوت مقاماتهم.

فكون بعضهم جسمانياً، وهم ملائكة الأجسام، فإذا ظهروا في صورة الطير مثلاً من البرزخ المثالي بالمقابلة، [كصورة][٣] المرآة المحفوظة [بمادتها][٤]، ويمد بأصلها، حتىٰ تكون عنصرية يلتقط من زغبها، كصورة الأسد ـ من الوسادة ـ الآكلة للكلاب[٥]، لولا إعادتها عليها لمادتها العرضية بقيت إلىٰ أجلها المسمىٰ، وأمثاله كثير.

فلذا صحّ في الملائكة ذلك، علىٰ أنّ هنا زيادة علىٰ ذلك، ولكن ظهورهم كذلك.

والالتقاط من زغب أجنحتهم واتكاؤهم علىٰ وُسُدهم لا يدل علىٰ أنهم أجسام بحقائقهم، كما يتوهم من هذه الأحاديثِ القاصرُ، وقد استدل[٦] بها عليه، وهو لا تجتمع به الأحاديث. علىٰ أنّ قصارىٰ هذه أنهم يظهرون في هذه الصور، ويلتقط الزغب منهم، أمّا أنّ حقيقتهم أجسام فلا، كما أنّ جبرائيل يظهر بصورة دحية الكلبي، وليست هي حقيقته، ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ﴾ الآية[٧].

نعم، ظاهرهم الجسماني مرتبط بالأعلىٰ، إذ كلّ طبقة من الملائكة [لسان] جزئي من كلي، هي أعلىٰ منه جامعة. ولك أن تجعل ذلك في الملائكة السفلية، لكن ظهوره بالأعلىٰ، أو في الملائكة التي هي أعلىٰ من ملائكة الأجسام، إذ كلّ ما هو أعلىٰ يظهر في الأسفل بحسب الظهور؛ لأنه من فاضله، وقائم به بحسب الارتباط.

والمَساوِر: جمع «مِسْوَرة»، وهي الوسادة يُتكأ عليها[٨].

---

(١) «الصحيفة السجادية الكاملة» ص٤٢، من دعائه في الصلاة علىٰ حملة العرش.. .

(٢) «نهج البلاغة» الخطبة: ١، ٩١.

(٣) في الأصل: «لصورة».

(٤) في الأصل: «ببابها».

(٥) انظر: «عيون أخبار الرضا» ج٢، ص١٧١، ح١.

(٦) انظر: «شرح المازندراني» ج٦، ص٣٨٤.

(٧) «الأنعام» الآية: ٨ - ٩.

(٨) انظر: «لسان العرب» ج٦، ص٤٢٨، مادة «سور».

والزَّغَب: الشعر الصغار التي في باطن الجناح[١].

وإياك وأن تسلك في هذه الأُحاديث مسلك مَن أوّلَها عن ظاهرها، فلم يجعل لذلك حقيقة ظاهرة ولا نزولاً حقيقياً لها، وجعل الملائكة هي القوىٰ، فأبطل ظاهر الكتاب والسنّة، ومنه يوجب بطلان باطنهما.

والملائكة خلق عظيم مستقل، خُلق من فاضل طينة الإنسان، كلٌّ مكلّف بأمر، رحمة أو نقمة، كلي أو جزئي في كلّ عالم.

وللصدر الشيرازي وصهره الكاشاني كلام في ذلك ساقط عن الاعتبار والنص، وليس هنا موضع نقله وردّه.

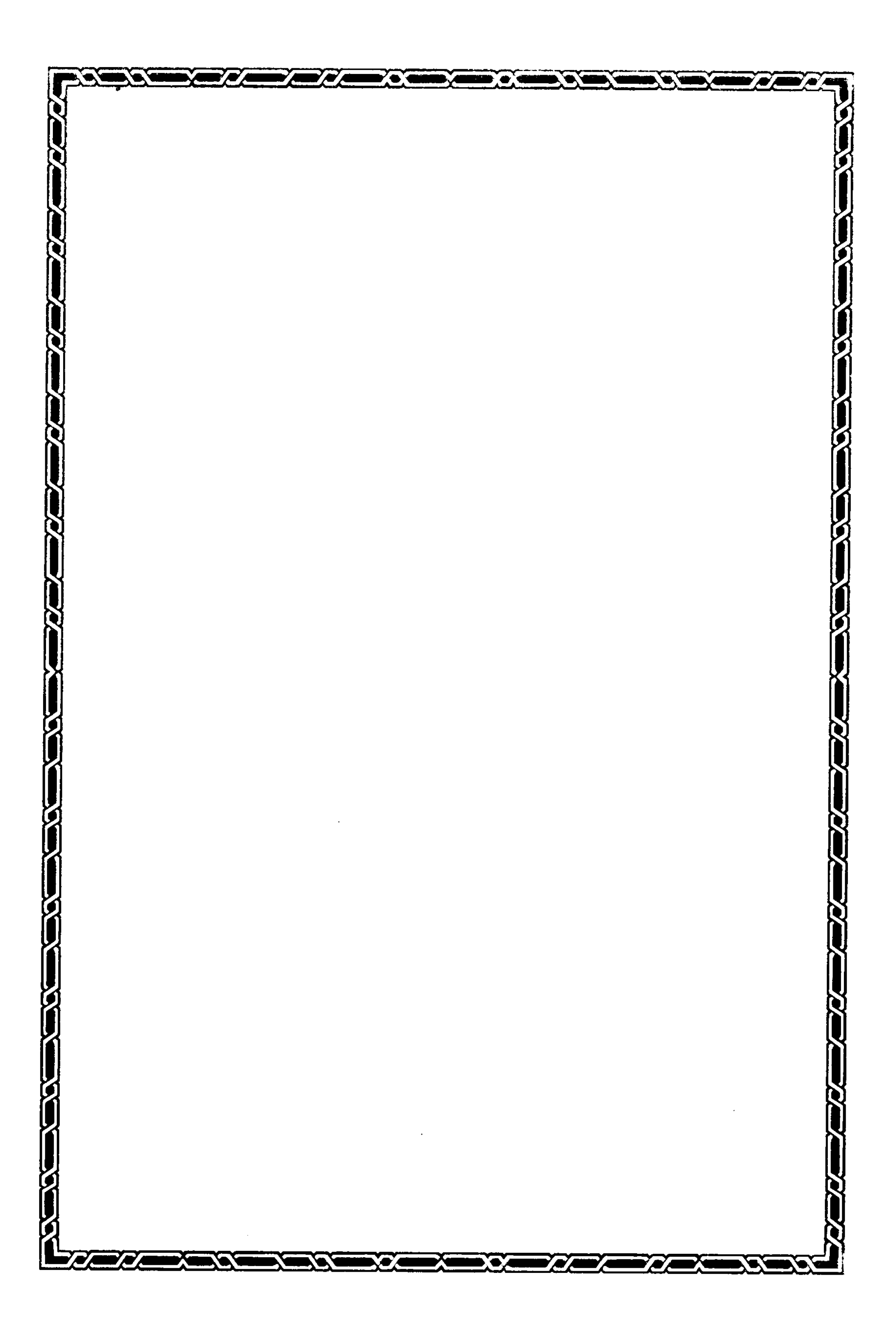
[وحقيّة][٢] الباطن توجب حقيّة الظاهر.

* * *

---

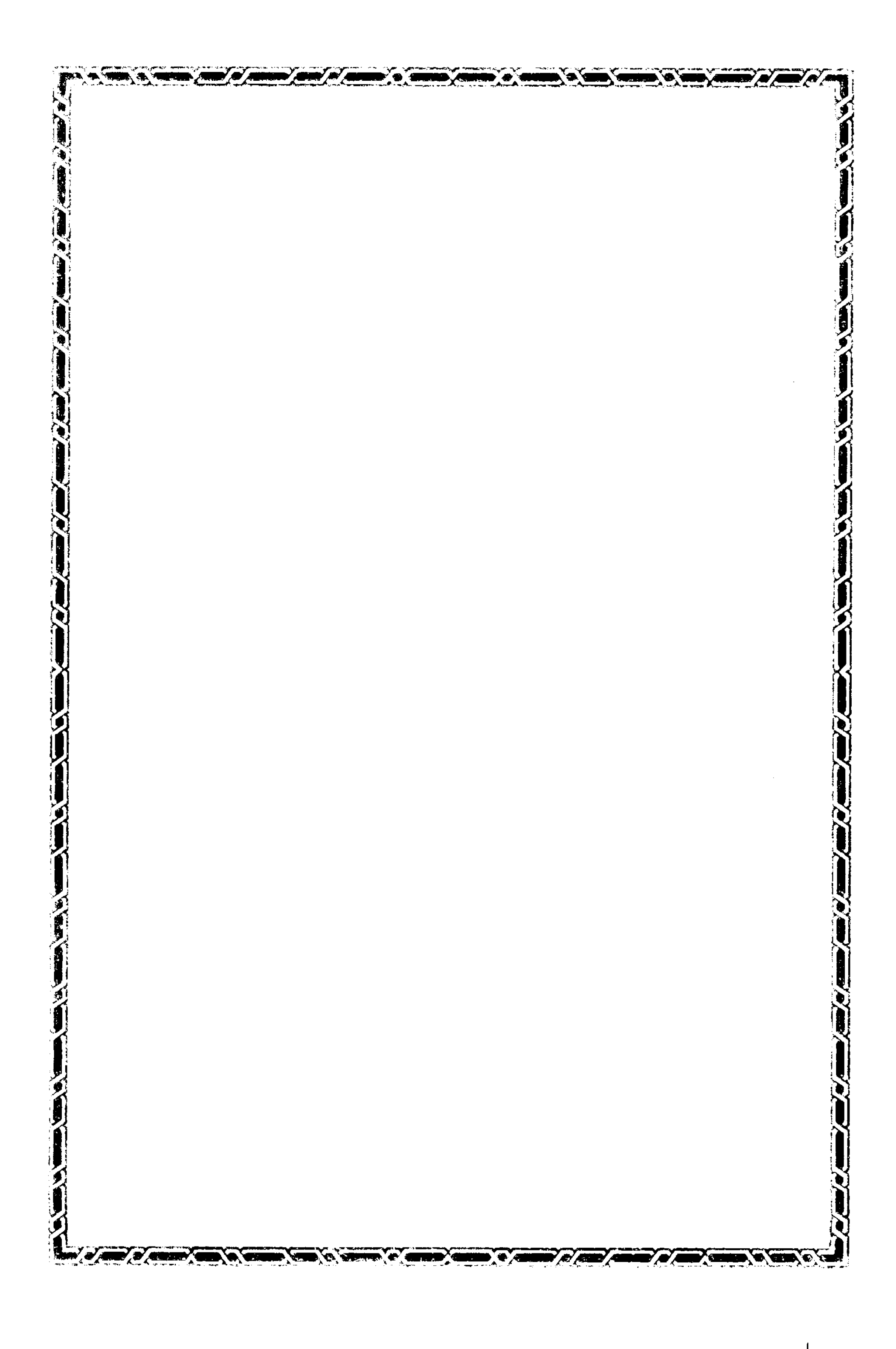
(١) انظر: «لسان العرب» ج٦، ص ٥٠، مادة «زغب».

(٢) في الأصل: «وحقيقة».



الباب الثامن والتسعون

أن الجن يأتيهم فيسألونهم عن معالم دينهم ويتوجهون في أمورهم



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب سبعة، ومضمونه مروي في البصائر[1] وغيرها، بل متواتر، موافق للكتاب والاعتبار، وعليه إجماع الإمامية، فرسالته عامة للخلق طرّاً، ولا رسالة أعم من رسالته؛ لعموم التكليف، وإن كان لكلٍّ بما يناسبه. قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فيها نَذِيرٌ ﴾[2]، ﴿ وَما مِنْ دَابَّةٍ في الأَرْضِ ﴾ الآية[3].

ورسولُ كلٍّ من جنسه بما يناسب قومه، ومحمدٌ ﷺ عارف بجميع اللغات التي هي أُصول وفروع، وتتعدد بتعدد أجناس المخلوقات طرّاً، وله ﷺ جهة مناسبة للكل في مقام كماله التبليغي الثانوي، بحسب ملاحظته لغيره.

قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ ﴾ الآية[4]، ومؤمنوهم يحشرون إلىٰ حضائر الجنان، وأشرارهم إلىٰ حضائر النيران؛ لخلقهم من فاضل بني آدم، والحضائر مخلوقة من فاضل الجنان. فلكلٍّ مقامه.

ويقبح خلو رتبة من رتب إقبال العقل ـ متنازلاً ـ من التكليف والبعثة، وهي من فاضله، وظهر كماله فيها بحسبها ذاتاً وصفة، فلابدّ من ذلك.

وهو ﷺ وآله عليهم السلام قد أقاموا الدلائل لكل مخلوق بما يناسبه، في كماله التمامي

---

(١) «بصائر الدرجات» ص ٩٥، باب: ١٨.
(٢) «فاطر» الآية: ٢٤.
(٣) «هود» الآية: ٦.
(٤) «الجن» الآية: ١.

والكمالي، وليس هذا موضع بسط هذه المسألة.

قال تعالىٰ: ﴿ يا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ ﴾ الآية[1]، وغيرها.

وغير خفي في أنّ رسالة محمد وخلافته عامة للجن والإنس وغيرهم، ولهم أحكام ووسائط بما يناسبهم، إلّا ما لا يجري فيه نسخ واختلاف، فلا فرق فيه. فإذن لابد من الرسل لهم والبيان، وهم أهله، فعليهم خلفاء من جنسهم يأخذون عن الإمام ما يحتاجون إليه، وهو القيّم عليهم، ولا ينافي كونهم بشراً، لكمال جامعيتهم، [فيقابلون][2] كلاً بجهة.

فسبحان الجامع بين الشتات، المؤلف بين المتعاديات.

❑ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن سعد الإسكاف، قال: أتيت أبا جعفر عليه السلام في بعض ما أتيته، فجعل يقول: لا تعجل، حتىٰ حميت الشمس عليَّ وجعلت أتتبع الأفياء، فما لبث أن خرج عليَّ قوم كأنهم الجراد الصفر، عليهم البتوت، قد أنهكتهم[3] العبادة. قال: فوالله، لأنساني ماكنت فيه من حسن هيئة القوم، فلمّا دخلت عليه قال لي: أراني قد شققت عليك؟ قلت: أجل والله، لقد أنساني ما كنت فيه قوم مرّوا بي، لم أرَ قوماً أحسن هيئة منهم، في زي رجل واحد، كأنّ ألوانهم الجراد الصفر، قد أنهكتهم[4] العبادة. فقال: يا سعد، رأيتهم؟ قلت: نعم، قال: أُولئك إخوانك من الجنّ. قال: فقلت: يأتونك؟ قال: نعم، يأتونا يسألونا عن معالم دينهم، وحلالهم وحرامهم﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٢﴾

قوله: ﴿عن ابن جبل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كنّا ببابه فخرج علينا قوم أشباه الزُّط، عليهم أُزر وأكسية، فسألنا أبا عبد الله عليه السلام عنهم، فقال: هؤلاء إخوانكم من الجن﴾.

---

(١) «الأنعام» الآية: ١٣٠.

(٢) في الأصل: «فيقاتلون».

(٣)، (٤) في المصدر: «انتهكتهم».

❑ الحديث رقم ﴿٣﴾

قوله: ﴿عن سعد الإسكاف، قال: أتيت أبا جعفر عليه السلام أُريد الإذن عليه، فإذا رِحال إبل على الباب مصفوفة، وإذا الأصوات قد ارتفعت، ثمّ خرج قوم معتمّين بالعمائم، يشبهون الزُّط. قال: فدخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت: جعلت فداك، أبطأ إذنك عليَّ اليوم، ورأيت قوماً خرجوا عليَّ معتمّين بالعمائم فأنكرتهم. فقال: أوَتدري من أُولئك يا سعد؟ قال: قلت: لا، قال: فقال: أُولئك إخوانكم من الجن، يأتونا فيسألونا عن حلالهم وحرامهم ومعالم دينهم﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٤﴾

قوله: ﴿عن سَدير الصيرفي، قال: أوصاني أبو جعفر عليه السلام بحوائج له بالمدينة، فخرجت، فبينا أنا بين فَجّ الرَّوحاء على راحلتي إذا إنسان يلوي ثوبه. قال: فملت إليه، وظننت أنّه عطشان، فناولته الإداوَة، فقال لي: لا حاجة لي بها، وناولني كتاباً طينه رطب. قال: فلمّا نظرت إلى الخاتم إذا خاتم أبي جعفر عليه السلام، فقلت: متى عهدك بصاحب الكتاب؟ قال: الساعة، وإذا في الكتاب أشياء يأمرني بها، ثمّ التفتُّ فإذا ليس عندي أحد. قال: ثمّ قدم أبو جعفر عليه السلام فلقيته، فقلت: جعلت فداك، رجل أتاني بكتابك وطينه رطب؟ فقال: يا سَدير، إنّ لنا خدماً من الجن، فإذا أردنا السرعة بعثناهم.

وفي رواية أخرى: قال: إنّ لنا أتباعاً من الجن، كما أنّ لنا أتباعاً من الإنس، فإذا أردنا أمراً بعثناهم﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٥﴾

قوله: ﴿عن محمد بن جحرش، قال: حدّثتني[1] حكيمة بنت موسى،

---

(١) في المصدر: «حدّثني».

قالت: رأيت الرضا عليه السلام واقفاً على باب بيت الحطب وهو يناجي، ولست أرىٰ أحداً، فقلت: يا سيدي، لمن تناجي؟ فقال: هذا عامر الزهراني[1] أتاني يسألني ويشكو إليّ، فقلت: يا سيدي، أُحب أن أسمع كلامه، فقال لي: إنك إن سمعت به حُمِمت سنة، فقلت: ياسيدي، أُحب أن أسمعه، فقال لي: اسمعي، فاستمعت فسمعت شبه الصفير، وركبتني الحمّىٰ فحُممت سنة ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦ ﴾

قوله: ﴿ عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر إذ أقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد، فهمّ الناس أن يقتلوه، فأرسل [إليهم][2] أمير المؤمنين عليه السلام أن كُفّوا، فكَفّوا، وأقبل الثعبان ينساب حتىٰ انتهىٰ إلىٰ المنبر، فتطاول فسلّم علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، فأشار أمير المؤمنين عليه السلام [إليه] أن يقف حتىٰ يفرغ من خطبته، ولمّا فرغ من خطبته أقبل عليه، فقال: من أنت؟ فقال: [أنا][3] عمرو بن عثمان، خليفتك علىٰ الجن، وإن أبي [قد][4] مات، وأوصاني أن آتيك فأستطلع رأيك، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين، فما تأمرني به وما ترىٰ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أُوصيك بتقوىٰ الله، وأن تنصرف فتقوم مقام أبيك في الجن، فإنك خليفتي عليهم.

قال: فودّع عمرو أميرَ المؤمنين عليه السلام وانصرف، فهو خليفته علىٰ الجن، فقلت له: جعلت فداك، فيأتيك عمرو، وذاك الواجب عليه؟ قال: نعم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٧ ﴾

قوله: ﴿ عن النعمان بن بشير، قال: كنت مزاملاً لجابر بن يزيد الجعفي،

---

(١) في المصدر: «الزهرائي».
(٢) ليست في المصدر.
(٣) ليست في المصدر.
(٤) ليست في المصدر.

فلمّا أن كنّا بالمدينة دخل علىٰ أبي جعفر عليه السلام فودّعه، وخرج من عنده وهو مسرور، حتىٰ وردنا الأخيرجة ـ أول منزل نعدل من فيد إلىٰ المدينة ـ يوم جمعة، فصلّينا الزوال، فلمّا نهض بنا البعير إذا أنا برجل طوال آدم، معه كتاب، فناوله جابراً فتناوله، فقبّله ووضعه علىٰ عينيه، وإذا هو من محمد بن عليّ إلىٰ جابر بن يزيد، وعليه طين أسود رطب، فقال له: متىٰ عهدك بسيدي؟ فقال: الساعة، فقال له: قبل الصلاة أو بعد الصلاة؟ فقال: بعد الصلاة.

[قال:][1] ففك الخاتم، وأقبل يقرؤه ويقبض وجهه، حتىٰ أتىٰ علىٰ آخره، ثمّ أمسك الكتاب، فما رأيته ضاحكاً ولا مسروراً حتىٰ وافىٰ الكوفة، فلمّا وافينا الكوفه ليلاً بتُّ ليلتي، فلمّا أصبحت أتيته إعظاماً له، فوجدته قد خرج عليّ وفي عنقه كِعابٌ قد علّقها، وقد ركب قصبة، وهو يقول:

أجد منصور بن جمهور أميراً غير مأمور

وأبياتاً من نحو هذا، فنظر في وجهي، ونظرت في وجهه، فلم يقل لي شيئاً، ولم أقل له [شيئاً][2]، وأقبلت أبكي لمّا رأيته، واجتمع عليّ وعليه الصبيان والناس، وجاء حتىٰ دخل الرحبة، وأقبل يدور مع الصبيان، والناس يقولون: جُنّ جابر بن يزيد، جُنّ [جابر][3].

فو الله ما مضت الأيام حتىٰ ورد كتاب هشام بن عبد الملك إلىٰ واليه، أن انظر رجلاً يقال له: جابر بن يزيد الجعفي، فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه، فالتفتَ إلىٰ جلسائه فقال لهم: مَن جابر بن يزيد الجعفي؟ قالوا: أصلحك الله، كان رجلاً له علم وفضل وحديث، وحجّ فجُنّ، وهو [ذا] في الرحبة مع الصبيان علىٰ القصب يلعب معهم.

---

(١) ليست في المصدر.
(٢) ليست في المصدر.
(٣) ليست في المصدر.

قال: فأشرف عليه، فإذا هو مع الصبيان يلعب على القصب، فقال: الحمد لله الذي عافاني من قتله.

قال: ولم تمض الأيام حتى دخل منصور بن جمهور الكوفه، وصنع ما كان يقول جابر ﴾.

أقول: (لا تعجل) أي كلما استأذنت للدخول عليه يقول: لا تعجل، فلبثت في الباب «حتى حميت الشمس» أي اشتد حرّها.

و(الأفياء): جمع «الفيء»، أي أعمد إلى ظلال الجدار لأستريح من الحر.

و(الأفناء) ـ بالنون ـ: جمع «الفِناء» ـ بالكسر ـ بمعنى ساحة الدار، لا يساعده النسخ، ولا ما فُرّع عليه، وكذا صيغة الجمع؛ فإن «الفناء» إنما يجمع على «الأفنية» لا «الأفناء»[1].

والبُتوت: جمع «بَتّ» ـ بتقديم الموحدة ـ: الطَّيْلَسان، كما في النهاية[2].

(أنهكتهم): هزّلتهم وأجهدتهم[3].

(في زي رجل واحد): يعني كان جميعهم في هيئة واحدة، ولهذا مع اجتماعهم على طريقة واحدة كأنهم رجل واحد.

وقد خرّج الرضي بأن نون الجمع قد تحذف، فيحتمل حذف النون في هذين*، ويحتمل كون الألف للإشباع، وصرّح الرضي بجوازه أيضاً.

والأُزُر: جمع «إزار».

والأكسية: جمع «كِساء»، وهو [العَباء][4].

والرَّحْل: مَرْكَب البعير، والجمع: رِحال[5]. ويحتمل أنه أراد برحالِ الإبلِ [الإبلَ] التي عليها الرحال.

---

(١) انظر: «لسان العرب» ج ١٠، ص ٣٣٩، مادة «فني».

(٢) «النهاية» ج ١، ص ٩٢، مادة «بت». (٣) انظر: «لسان العرب» ج ١٤، ص ٣٠٨، مادة «نهك».

(*) يعني في قوله عليه السلام في الحديث الأول والثالث: «يأتونا» و«يسألونا».

(٤) في الأصل: «القبا». والمناسب ما أثبتناه. انظر: «لسان العرب» ج ٩، ص ٢٧، مادة «عبا».

(٥) انظر: «لسان العرب» ج ٥، ص ١٦٨، مادة «رحل».

و(الزُّطّ) ـ بالضم ـ صنف من الهنود، معرّب: جَتّ[١].

والفَجّ: الطريق الواسع بين جبلين[٢].

و(الرَّوحاء): موضع بين الحرمين، على ثلاثين أو أربعين ميلاً، من الممدود: بلد ـ في الصحاح[٣] وفي القاموس[٤] ـ من المدينة.

ومعنى: «أوصاني ... بالمدينة» أي بحوائج كائنة فيها، فيكون الإمام عليه السلام عند بعثه له في مكة، ويؤيده قوله بعد: «ثمّ قدم أبو جعفر».

ويحتمل كون الوصاية وهو في المدينة، وخرج بعدُ منها لبعض الحوائج ثمّ رجع، ويُستأنس له بقوله: «فبينما أنا بين فَجّ الرَّوحاء».

«يلوي بثوبه»: أي يشير. و(الإداوَة): الإناء الذي يسقىٰ منه[٥].

وحذف التاء من: «حدّثتني حكيمة»[٦] ـ وهو ماضٍ مسندٌ إلىٰ موصوف حقيقي ـ لغة، حكاها الرضي[٧] وسيبويه[٨] وغيرهما، وحكوا أنّ بعض العرب يقول: قال فلانة.

والزهرانيّ ـ بالنون ـ منسوب يائي. [والزهراء][٩]: بلد بالمغرب[١٠]، كما في: الصنعانيّ، نسبة إلىٰ الصنعاء.

وقيل: «الزهراني علىٰ القياس». وكثيراً ما يشتمل الجن بصورها.

و(الصَّفير): الصوت بالفم والشفتين، كذا في النهاية[١١].

وفي المصباح: «الصوت الخالي عن الحروف»[١٢].

---

(١) انظر: «لسان العرب» ج٦، ص٤٢، مادة «زطط»؛ «القاموس المحيط» ج٢، ص٥٣٤.

(٢) «لسان العرب» ج١٠، ص١٨٥، مادة «فجج».

(٣) «الصحاح» ج١، ص٣٧١، مادة «روح». وفيه: «ورَوْحاء ـ ممدود ـ: بلد».

(٤) «القاموس المحيط» ج١، ص٤٥٨، وفيه: «والرَّوحاء: موضع بين الحرمين علىٰ ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة».

(٥) انظر: «لسان العرب» ج١، ص١٠٠، مادة «أدا».

(٦) يعني قول الراوي في الحديث الخامس «حدّثني حكيمة» كما في المصدر، أما في الأصل فقد ورد اللفظ بتاء التأنيث وفقاً للقاعدة.

(٧) «شرح الرضي علىٰ الكافية» ج٣، ص ٣٤١.

(٨) «كتاب سيبويه» ج٢، ص٣٨.

(٩) في الأصل: «والزهراني».

(١٠) انظر: «معجم البلدان» ج٣، ص١٦١؛ «القاموس المحيط» ج٢، ص٦٣.

(١١) «النهاية» ج٣، ص٣٧، مادة «صفر».

(١٢) «المصباح المنير» ج١، ص٣٤٢، مادة «صفر».

والثعبان: الحية العظيمة، والانسياب: مشي الحية وما يشبهها مسرعاً، كَساب: جرىٰ[١].

واستطلعَ رأيَ فلان: نظر ما عنده، وما الذي يبرز إليه من أمره[٢].

و (الأُخَيْرجة) مصغّر «أُخْرَجَة»: بئر في أصل جبل، كذا في القاموس[٣].

و (فَيْد) ـ مثال «بَيْع» ـ: منزل بطريق مكة، ويقال: بليدة بنجد علىٰ طريق حاج العراق[٤]، كذا في القاموس[٥].

كأن المراد بقوله: «أول منزل نعدل من فَيْد إلىٰ المدينة» أن المسافة التي بين الأُخيرجة وبين المدينة كالمسافة بين فَيْد والمدينة.

والزَّميل ـ كـ«أمير» ـ: الرَّديف، وزَمَلَه: أردَفَهُ أو عادَلَهُ[٦].

والكَعْب: الذي يُلعَب به، والجمع: أَكْعُب، وكِعاب، وكُعُوب[٧].

ومنصور بن جمهور ولّاه يزيد بن الوليد ـ بعد وفاة هشام بن عبد الملك ـ العراقَ، وعزل يوسف بن عمر عنها[٨]. فكان جابر يرمي في كلامه إلىٰ ذلك وما فيه من وفاة هشام، وخلافة يزيد، [وعزل] يوسف بن عمر، وولاية منصور بن جمهور، وغير ذلك.

ولا شك في أنهم يعلمون بالوقائع، ويعالجون كلّاً بحسب ما يرونه من المصلحة له.

وفي المصباح: «الجِنّة: الجُنون، وأَجَنَّهُ الله ـ بالألف ـ فَجُنّ هو، بالبناء للمفعول، فهو مجنون»[٩].

* * *

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» ج١، ص٢٢٦، وفيه: «ساب: جرىٰ ومشىٰ مسرعاً، كانسابَ».

(٢) «القاموس المحيط» ج٣، ص٨٤.

(٣) «القاموس المحيط» ج١، ص٣٩٠.

(٤) «مجمع البحرين» ج٣، ص١٢٣، بتفاوت يسير.

(٥) «القاموس المحيط» ج١، ص٦١٧، وفيه: «وقلعة بطريق مكة تسمىٰ بفَيدِ بن فلان».

(٦) «القاموس المحيط» ج٣، ص٥٧٢، باختصارٍ ما.

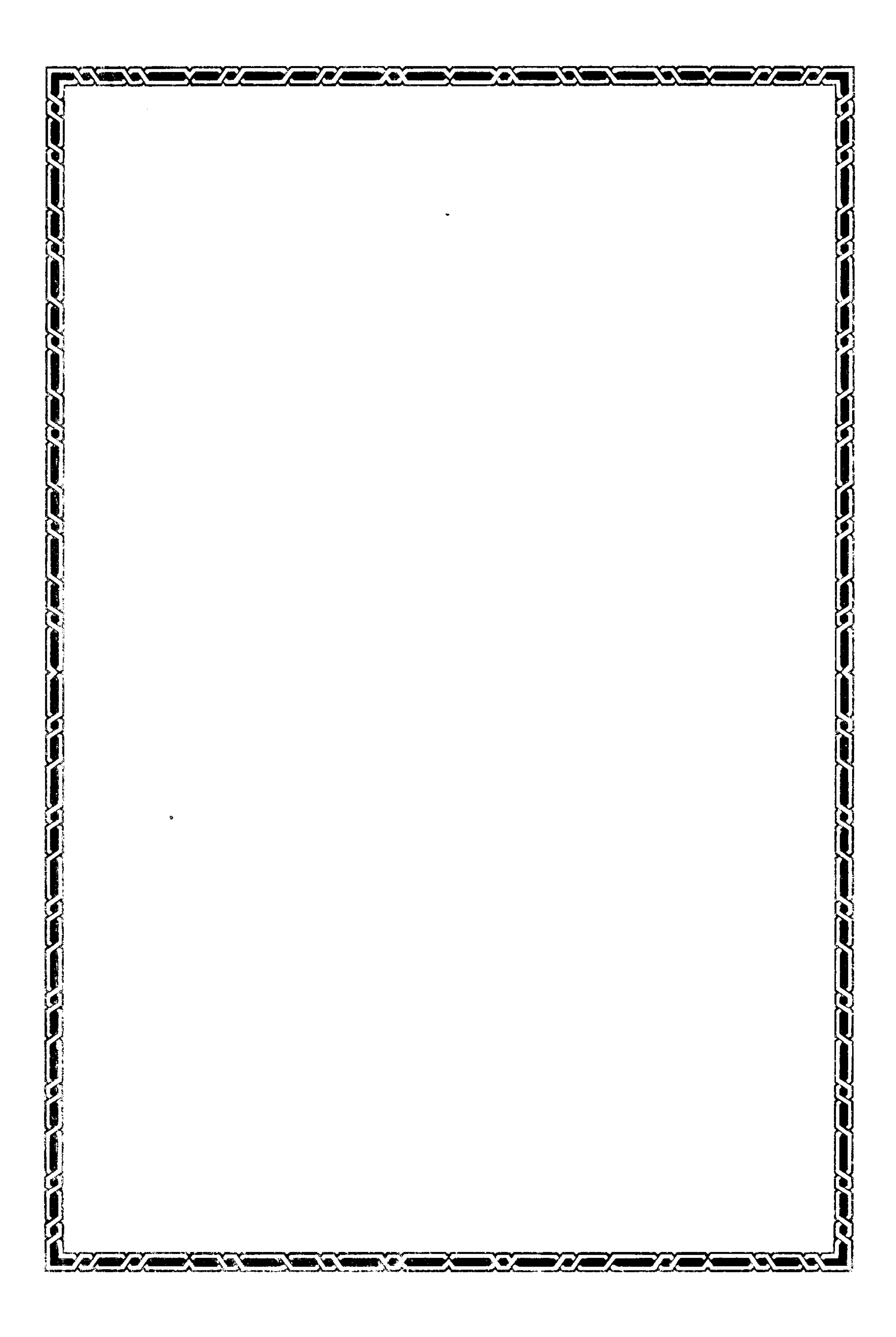
(٧) «القاموس المحيط» ج١، ص٢٨٤، أخذه بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٨) انظر: «البداية والنهاية» ج١٠، ص١٦.

(٩) «المصباح المنير» ج١، ص١١٢، بتفاوت يسير.

الباب التاسع والتسعون

في الأئمة عليهم السلام أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون البينة



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب خمسة.

ومعنىٰ ظهور أمرهم: ظهور الدولة المحمدية بصاحب العصر الإمام الثاني عشر عليه السلام.

ومعنىٰ حكمهم بحكم آل داود: أي بعلمهم، لا يطلبون بيّنة ولا [حَلْفاً][1]؛ لأنهم يعلمون بما في الضمير، ولا يخفىٰ عليهم أمر من أمور الأمـة، كـيف وجـميع النـفوس كـالأشعة والأظلة منهم علىٰ ترتيبها، وكلّ شيء يحصىٰ في كتابهم؟!

وهذا حكم التأويل، وليس حكم آل داود أشد، بل الغرض التنبيه والتعليم في الحكمة، ولأنه كان كذلك، وكلّ ما وقع سيقع، فلابد من وقوعه. ففيه نوع استدلال عـلىٰ العـامة، ﴿ وَكَأَيِّن مِنْ آيَةٍ في السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ ﴾[2].

وليس حكمهم بذلك كحكم الحاكم ـ مثلاً من التابعين ـ في أمر يعلمه؛ لأن علم هذا يحتمل النقيض في نفس الأمر؛ لجواز الخطأ والنسيان عليه، وانقلاب ما عليه الأمر، وعن نظر، ولاكذلك علمهم، فإنه هو نفس الأمر؛ لأنه عن وحي وإذن من روح القدس التي معهم.

وهذا هو الحكم بمقتضىٰ التأويل، ولا يكون إلّا بعد اجتماع الكلمة واتحاد الحكم، أما قبل فلا، بل يكون حكم التقية والتمييز جاريين ومقتضىٰ الرسالة حتىٰ يبلغ الكتاب أجله.

وهذا هو المانع من حكم الرسول والأئمة بحكم التأويل، وإن علموا به، بل طلبوا البيّنة

---

(١) في الأصل: «احلاف».

(٢) «يوسف» الآية: ١٠٥.

والشهود، فإن الوقت لا يسعه، ولا يطيقه أهله، ولا يتحمّل التكليف به، ولا يكلف الله نفساً إلّا وسعها، إلّا في بعض [الأحيان][1] في القضايا، فإنهم يحكمون فيها بحكم التأويل بمقتضىٰ علمهم، ومع ذلك يخرجونه بنوع سياسة للناس، يحملون من عليه الحق علىٰ الإقرار؛ دفعاً لقول الجاهل فيهم بأنه عمل بالرأي، فيشبّه بذلك بعض، وإلّا ففي نفس الأمر ليس السياسة هي التي أفادتهم الحكم، وإنما هو من روح القدس، ولهذا كانت القضايا خاصة لا يجوز لغيرهم عليهم السلام تجاوزها.

فلا تتوهم أنّ تأخير حكمهم بحكم داود وطلبهم قبلُ البيّنة لقصورٍ فيهم، من جهل وأمثال ذلك، فما كلّ ما يُعلم يقال، ولا كلّ ما يقال حضر وقته، وما كلّ ما حضر وقته جاءت رجاله، وطالما أخبروا بما في النفوس، وما فعله الرجل، أو سيقع عليه، كما مرّ في الجزء السابق.

ومن ذلك عُلِم أنّ حكم التأويل معهم، وأن المانع ليس إلّا ما عرفت من مرور حكم الرسالة. فاكتف بالقليل، وعليك بالتدبّر.

تنوير توضيحي

قد خالف بعض الطلبة ما عليه الإمامية ـ من الحكم بأنه عليه السلام يحكم بحكم آل داود، إذا ظهر أمرهم لا يطلبون بيّنة ويميناً، وهو صريح أحاديثهم المحكمة المستفيضة، بل المتواترة معنًى ـ وقال: «لا يحكمون كذلك إذا ظهر عليه السلام، بل يطلب البيّنة ويحلّف».

وعدم التتبع والتدبّر والجهل يوجب ذلك وأزيد، زعماً منه أنّ في هذا خلافاً للشريعة. أوَلا علم أنّ كمال الشريعة لا تكون إلّا كذلك؟ وقد حكموا بعلمهم تارة ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ ومنع من عمومه عدم حصول الشروط وزوال الموانع.

ومعلوم أنّ ظهوره عليه السلام ابتداء دور، ولذا تزول التقية. ومن راجع سيرته لا يخفىٰ عليه أنه لا يتم إلّا بحكمه كذلك.

وتمسك بما روي أنه يحكم بسيرة جدّه النبي صلى الله عليه وآله، ونحن نقول به، فإن هذه من سيرة جدّه الذي أتىٰ بها، فإنه خليفته، ولكن مقيدة بوقت، فما ظهروا به أولاً وآخراً ووسطاً كلها

(١) في الأصل: «الاخبار».

سيرته، بل لا يصل إليه أمر إلهي، بل ولا يصل إليه وحي إلهي زمن الغيبة والظهور إلّا بعد مروره بجده وعلي والحسنين، فأين خلاف السيرة؟!

وأيضاً، التأويل باطن الشريعة الظاهرة، وهما من شريعته، فإذا انقضىٰ الأول وقع الثاني، بل لابد للأول من الثاني، بل هو سرّ الشريعة، وإلّا لم تكن متأصلة وترتفع المعصية من الأرض ـ مطلقاً ـ زمناً أصلاً، وهو خلاف مذهب الفرقة المحقّة، ولا يتم ذلك إلّا بحكمه عليه السلام بحكم آل داود.

وأيضاً، هذه الأُمة تحذو حذو ما سبق، وكان آل داود كما نقل أنهم يحكمون كذلك، فهم عليهم السلام أيضاً لابدّ أن يقع منهم ذلك. علىٰ أنّ هذا بحسب الظاهر، وإلّا فهم عليهم السلام الأصل.

وأيضاً، حكم القاضي بعلمه أقوىٰ، ولا خلاف فيه، وتقديمه علىٰ البيّنة واليمين، فكيف علم الإمام الذي لا يخفىٰ عليه شيء من أحوال أُمته؟ فهو أقوىٰ من ذلك بكثير.

وكان المناسب أن يطلب السبب زمنهم عليهم السلام في طلب البيّنة والتحليف فيما يُرفع لهم عليهم السلام، مع إحاطة علمهم وعدم خفائها عليهم، لا أنه ينكر حكمهم بعلمهم أخيراً. والسبب المانع من الحكم به أولاً ظاهر، غير خفي سببه، نصاً واعتباراً.

وشبّه أيضاً بأنه بأيٍّ تحكم القضاة في سائر البلدان؟ فإنهم لا يعلمون كعلمه، فلا يحيطون بالقضايا علماً، فلا مناص لهم في وقته من العمل بالبيّنة واليمين.

وهذا أسقط من سابقه؛ فإن له عليه السلام الإحاطة بالكل، أقل من إحاطة أحدنا بالدرهم، ونفوسهم في شدة ارتباط بنفسه، ويمدّهم زيادة في العقول والأحلام، ويرونه كلما أرادوا، فالشعاع لا يفقد الشمس، فيحكمون كلهم بعلمهم، ويمدهم العلم بما يُرفع لهم من القضايا، كلّ في موضعه. والنص بذلك صريح، وكذا الاعتبار. ولولا خوف سريان الشبهة لما كنت أُشير لهذا القول الناشئ من بعض الطلبة القاصرين.

هذا، وغير خفي أن كمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم إلّا بالحكم كذلك، لا كما يتوهمه هذا القاصر، وكذا كون الرسول صلى الله عليه وآله ولياً ونبياً ورسولاً يوجب ظهور حكم جميع ذلك منه ومن خلفائه عليهم السلام، ولهذا يرجع هو صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام كملاً في وقته، فتظهر المدينتان.

ولا يتم أيضاً ما وعده الله من أنه يظهره علىٰ الدين كله إلّا بذلك، وهو الخاتم للدور، فلا شريعة بعد شريعته، بل ليس بعد دوره وانقضائه إلّا القيامة. إلىٰ غير هذه الوجوه.

والحاصل أنّ سقوط هذا التوهم من المذهب لا خفاء فيه، فلنكتف بالإشارة في ردّه، والله الموفق، وهم درجات عند الله.

❑ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن أبي عبيدة الحذّاء، قال: كنا [في][1] زمان أبي جعفر عليه السلام حين قُبض نتردّد كالغنم لا راعي لها. فلقينا سالم بن أبي حفصة، فقال لي: يا أبا عبيدة، مَن إمامك؟ فقلت: أئمتي آل محمد، فقال: هلكتُ وأهلكت، أما سمعت أنا وأنت أبا جعفر عليه السلام يقول: من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية؟ فقلت: بلىٰ لعمري.

ولقد كان قبل ذلك بثلاث أو نحوها دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام، فرزق الله المعرفة، فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ سالماً قال لي كذا وكذا، قال: فقال: يا أبا عبيدة، إنه لا يموت منّا ميت حتىٰ يخلف من بعده مَن يعمل بمثل عمله، ويسير بسيرته، ويدعو إلىٰ ما دعا إليه. يا أبا عبيدة، إنّه لم يمنع ما أُعطي داود أن أُعطي سليمان. ثمّ قال: يا أبا عبيدة، إذا قام قائم آل محمد عليه السلام حكم بحكم داود عليه السلام وسليمان عليه السلام، لا يسأل بيّنة﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٢﴾

قوله: ﴿عن أبان: قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا تذهب الدنيا حتىٰ يخرج رجل منّي، يحكم بحكومة آل داود عليه السلام، ولا يسأل بيّنة، يعطي كلّ نفس حقها﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٣﴾

قوله: ﴿عن عمار الساباطي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بما تحكمون إذا

---

(١) ليست في المصدر.

حكمتم؟ قال: بحكم الله وحكم داود، فإذا ورد علينا [الشيء] الذي ليس عندنا تلقّانا به روح القدس ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٤﴾

قوله: ﴿عن جعيد الهمداني، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: سألته: بأي حكم تحكمون؟ قال: حكم آل داود، فإن أعيانا شيء تلقانا به روح القدس ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٥﴾

قوله: ﴿عن عمار الساباطي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما منزلة الأئمة، قال: كمنزلة ذي القرنين، وكمنزلة يوشع [بن نون][1]، وكمنزلة آصف صاحب سليمان. قال: فبما تحكمون؟ قال: بحكم الله وحكم آل داود وحكم محمّد صلى الله عليه وآله، ويتلقانا به روح القدس ﴾.

أقول: تلقاه: استقبله، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾[2]. وما للأئمة فيه من الإذن يحكمون به، وما لم يؤذن يأتيهم به روح القدس.

وقد دفع بالحديث الأخير توهم أنّ حكمهم خلاف حكم الرسول، ولا يصح ذلك، كيف وهم خلفاؤه، ولا شريعة بعده؟! فهم يحكمون بحكمه، تارة يطلبون بيّنة، وتارة لا، حتىٰ يخلص الدين وتتميز الطينتان، فيحكمون بمقتضىٰ التأويل، من عدم طلب بيّنة، ويورّثون الأخ من أخيه بمقتضىٰ مابين الأرواح من التعارف والتواخي، لا علىٰ النسب الحسي، وقد ورد[3] ذلك عنهم.

وكالمنع من أخذ الرهن علىٰ المؤمن[4]، بخلاف الآن، بل ورد عنهم عليهم السلام: (أما الآن فاستوثق علىٰ مالك)[5].

---

(١) ليست في المصدر.
(٢) «النور» الآية: ١٥.
(٣) «الخصال» ص١٦٩، ح٢٢٣.
(٤) «الفقيه» ج٣، ص٢٠٠، ح٩٠٩.
(٥) «الفقيه» ج٣، ص١٦٥، ح٧٢٦ باختلاف.

وكالطريق الواسع مقداره خمسون أو أربعون ذراعاً[١]، هذا أقله، [و]كالنهي عن الرواشن والساباط[٢]، إلىٰ غير ذلك مما ذكر متفرقاً. اللهم ألحقنا بدولته في يسر وسلامة، وعجّل فرجهم.

ومعنىٰ أنّ منزلتهم كمنزلة يوشع وذي القرنين: أنهم ليسوا بأنبياء مرسلين، بل خلفاء، أئمة محدَّثون، لاكمنزلتهم مطلقاً، بل من محمد كمنزلة هارون من موسىٰ، فهم عليهم السلام أفضل من جميع المخلوقات ما سوىٰ محمد صلى الله عليه وآله.

قال ملّا محسن في شرح الحديث الأول: «(دخلنا علىٰ أبي عبد الله عليه السلام) كلام مستأنف، ويحتمل أن يكون قد سقط من صدره كلمة (ثمّ)، وأن يكون متعلقاً بـ (كنّا زمان أبي جعفر عليه السلام حين قُبض)، ويكون ما بينهما معترضاً، وأن يكون ذلك في قوله: (وقد كان قبل ذلك) إشارة إلىٰ تحديث أبي عبيدة فضلاً الأعور، فيكون بمعنىٰ (هذا). وإن قيل: إن تبديل لفظة (بعد) بـ (قبل) من سهو النسّاخ، استرحنا من هذه التكلفات»[٣].

ويتم أيضاً بدون تكلفاته، ودائماً هو في التكلّف، كما يظهر لمراجع تصانيفه في الأُصول.

ولا ينافي ما تضمنه ـ من أن كلّ لاحق يعمل بسيرة السابق ـ سيرة الثاني عشر بعد ظهوره بما ذكر، فإنه سيرة أبيه وجده أيضاً، وقد كانوا كذلك ما لم يمنع مانع، لكنه في زمنهم كثير، وبعد ظهوره تزول الموانع السابقة، وسبق بيانه.

* * *

---

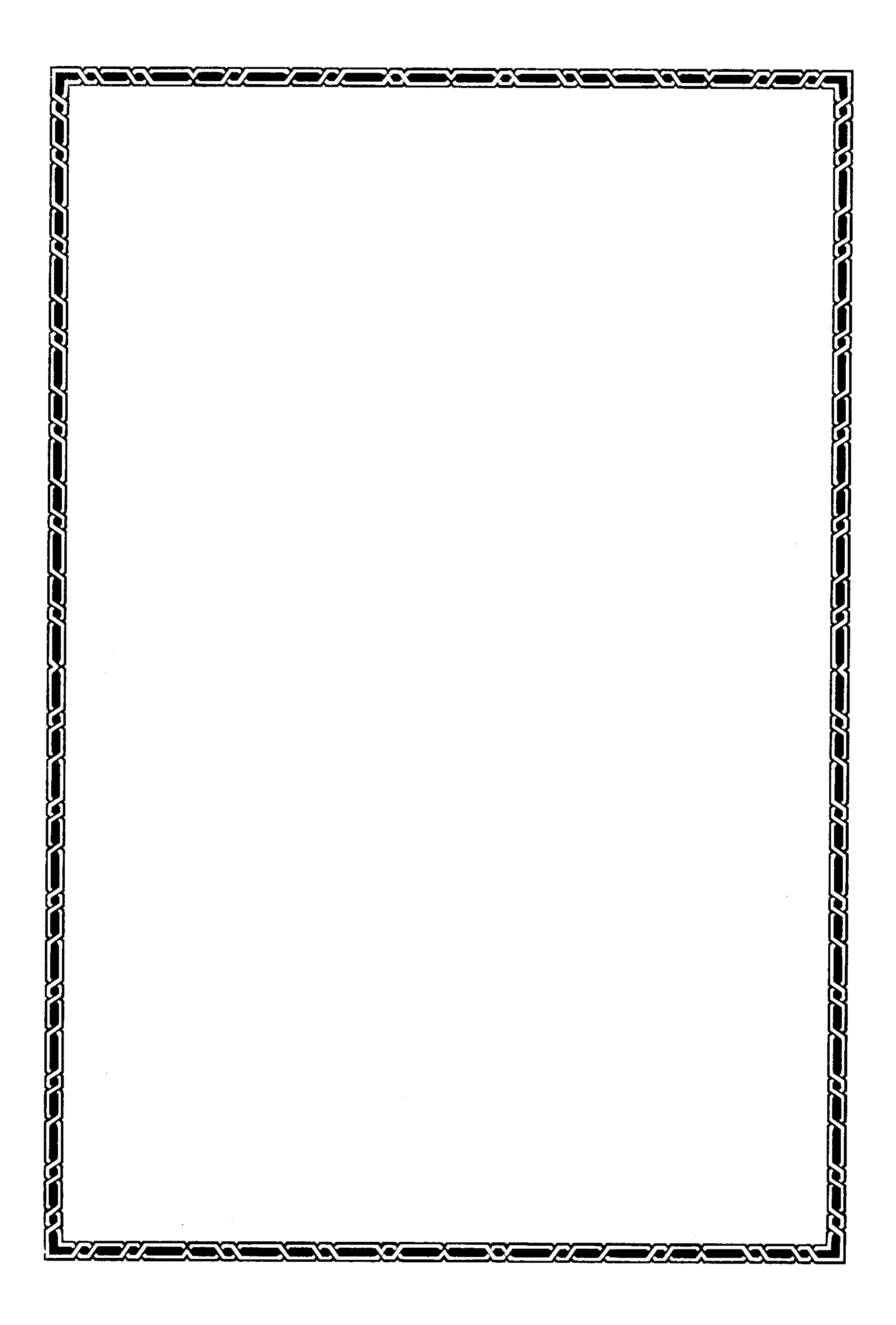
(١) «الغيبة» ص ٤٧٥، ح٤٩٨، وفيه: (ويوسّع الطريق الأعظم فيصير ستين ذراعاً).

(٢) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج ١١/٢، ص ٣٨٥.

(٣) «الوافي» المجلد ٣، ص ٦٤٨.

الباب المائة

أن مستقى العلم من بيت آل محمد عليهم السلام



أضواء حول الباب

أقول في الباب حديثان، ومضمونه متواتر عند المخالف والمؤالف، لوجوه ظاهرة من القرآن وواضح البرهان، وعليه الإمامية. وتفصيل ذلك ـ مع دفع ما عسىٰ أن يوهم خلافه ـ مما يطول، ولا يسعه الوقت، ولكن نشير إشارة:

فنقول: لأنهم أهل الذكر والراسخون في العلم، فهم مهبطه في كلّ مقام من الوجود، فوق ما تدركه العقول وما يعرفه الناس، إلّا ما رشح من ظاهرهم لهم، كما دل عليه كلام علي عليه السلام لكميل[1] وغيره، والمحسودون، وسفينة النجاة، ومن لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم، وباب مدينة العلم، ومحل وحيه، وعيبة علمه، ومختلف ملائكته، بل خزانة علم الرسول، وخزانة علم الله الإمكاني الذي لا نهاية له، فهم مظهره، ﴿ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَسُولٍ ﴾[2].

وتؤخذ الرسالة بالمعنىٰ الأعم، أو إذا كان الرسول كذلك فلا يكون معدن العلم ومستقاه في غيرهم، أو أنهم عليهم السلام المرتضىٰ من الرسول، فهم عليهم السلام الأقرب إليه بكل وجه، وهم خلفاؤه.

وعنهم عليهم السلام: (نزّهونا عن الربوبية وعن الحظوظ البشرية، وقولوا فينا ما شئتم، ولن تبلغوا،

---

(١) «جامع الأسرار» ص٢٨ وفيه: «يرشح عليك ما يطفح منّي».

(٢) «الجن» الآية: ٢٦ – ٢٧.

فو الله ما برز لكم من علمنا إلّا ألفاً غير معطوفة)[1].

فكل علم ينسب لهم ويبرز عنهم، علىٰ سبيل الكليات أو الجزئيات، سواء في ذلك أُصول الدين وغيره، مما تدركه العقول وغير ذلك. ومن تتبع خطبهم وأدعيتهم والروايات وغيرها بتدبّر ظهر له صدق ذلك، ولذا دعوا الناس بالطرق الثلاثة.

ومعلوم أنه لابد من مظهر للصفات التامة، بل هم الصفات بحسب الدلالة، وأصل الوجود العلم، وهو بواسطتهم، فهم أصل العلم، ولذا سمي علي عليه السلام بأمير المؤمنين، لأنه يمير غيره العلم[2]، ولأن عنده الاسم الأعظم: الاثنين والسبعين الحرف، فيكون كلّ العلوم عندهم، وإلّا لم يكونوا خلفاء علىٰ الخلق طرّاً، وأفضل من الكل. وهم عليهم السلام الكتاب الجامع للكل، وبهم كتب القلم في اللوح ما كان ويكون، ولغير ذلك مما يطول بسطه، فتفطّن.

❑ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: **﴿عن ابن محبوب، قال: حدّثنا يحيىٰ بن عبد الله أبي الحسن، صاحب الديلم، قال: سمعت جعفر بن محمد عليهما السلام يقول ـ وعنده أُناس من أهل الكوفة ـ : عجباً للناس! إنهم أخذوا علمهم كله عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فعملوا به واهتدوا، ويرون أنّ أهل بيته لم يأخذوا علمه، ونحن أهل بيته وذرّيته، في منازلنا نزل الوحي، ومن عندنا خرج العلم إليهم، أفيرون أنهم علموا واهتدوا، وجهلنا نحن وضللنا؟ إنّ هذا لمحال﴾.**

❑ الحديث رقم ﴿٢﴾

قوله: **﴿عن الحكم بن [عتيبة][3]، قال: لقي رجل الحسينَ بن علي عليهما السلام بالثعلبية، وهو يريد كربلاء، فدخل عليه فسلم عليه، فقال له**

(١) «مشارق أنوار اليقين» ص٦٩؛ «بحار الأنوار» ج٢٥، ص٢٨٣، ح٣٠؛ ص٣٤٧، نقله بالمعنىٰ.

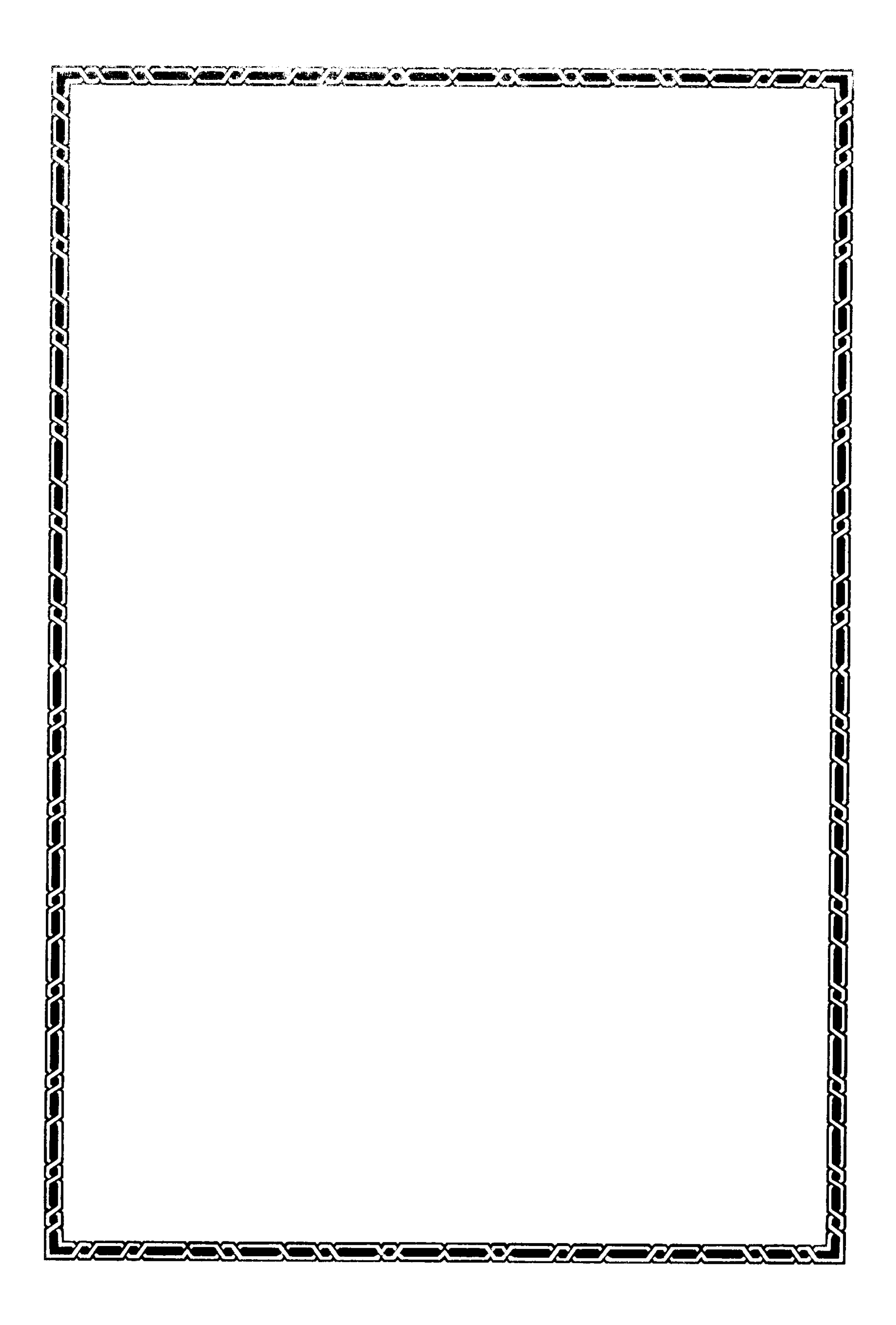
(٢) «الكافي» ج١، ص٤١٢، باب نادر، ح٣؛ «بحار الأنوار» ج٣٧، ص٢٩٣، ح٧.

(٣) في الأصل: «عيينة».

الحسين عليه السلام: من أيّ البلاد أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أما والله يا أخا أهل الكوفة، لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل عليه السلام من دارنا، ونزوله بالوحي علىٰ جدّي، يا أخا أهل الكوفة، أفمستقىٰ الناس العلم من عندنا، فعلموا وجهلنا؟ هذا ما لا يكون ﴾.

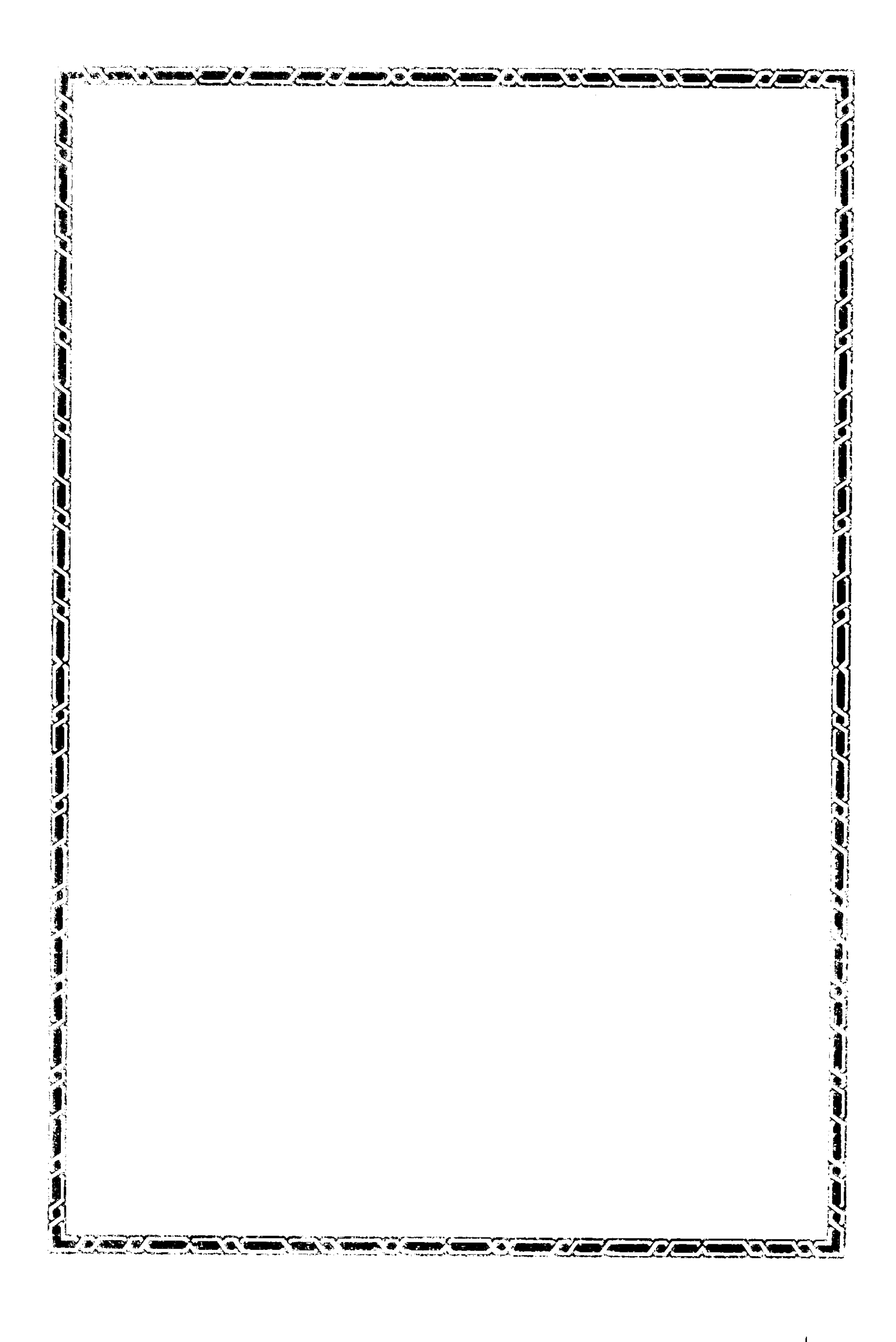
أقول: ما ذكره الإمام برهان لا مناص للعامة منه، لكن دأبهم العناد، فإنهم إذا قالوا: علمهم من الرسول، كيف يقولون: لا علم لأهل بيته؟! ولهذا تركوهم، وليس بمختص بهم بإقرارهم، فإنه إذا كان العلم معدنه الرسول فأهل بيته أحق به من غيرهم؛ فهم بابه وأولىٰ به، وأعلم وأفضل، ولهم حكمه، فلا علم إلّا منهم، وهم معدنه. فلا يصح أن يعلم غيرهم ويجهلوا، بل لا علم إلّا ما أُخذ منهم، وهم عيبة علم الرسول صلى الله عليه وآله.

* * *



الباب الحادي بعد المائة

أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة عليهم السلام وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب ستة، ومآل البابين واحد، فإنه إذا كان مستقى العلم - أي مكان السقاية، أو طلب السقي - عندهم، فلا حقّ إلّا ما خرج منهم، وما خرج من غيرهم باطل، فما بعد الحق إلّا الضلال.

ومضمون الباب متواتر عقلاً ونقلاً، مرّ كثير مما يدل عليه في الأجزاء متفرقاً.

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حق، إلّا ما خرج منّا أهل البيت، وإذا تشعبت بهم الأمور كان الخطأ منهم، والصواب من علي عليه السلام﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن زرارة، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام، فقال له رجل من أهل الكوفة يسأله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: سلوني عمّا شئتم، فلا تسألوني عن شيء إلّا أنبأتكم به. قال: إنه ليس أحد عنده علم شيء إلّا خرج من

عند أمير المؤمنين عليه السلام، فليذهب الناس حيث شاؤوا، فوالله ليس الأمر إلّا من ها هنا ـ وأشار بيده إلىٰ بيته ـ ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن أبي مريم، قال: قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن [عتيبة][1]: شرّقا وغرّبا، فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن أبي بصير، قال: قال لي: إنّ الحكم بن [عتيبة][2] ممّن قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[3]، فليشرّق الحكم وليغرّب، أما والله لا يصيب العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿عن أبي بصير، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شهادة ولد الزنا تجوز؟ فقال: لا، فقلت: إن الحكم بن [عتيبة][4] يزعم أنها تجوز، فقال: اللهم لا تغفر ذنبه، ما قال الله للحكم: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[5]، فليذهب الحكم يميناً وشمالاً، فوالله لا يؤخد العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦ ﴾

قوله: ﴿عن سلام بن سعيد المخزومي، قال: بينا أنا جالس عند أبي

---

(١) في الأصل: «عيينه».

(٢) في الأصل: «عيينه».

(٣) «البقرة» الآية: ٨.

(٤) في الأصل: «عيينه».

(٥) «الزخرف» الآية: ٤٤.

عبدالله عليه السلام إذ دخل عليه عبّاد بن كثير عابد أهل البصرة، وابن شريح فقيه أهل مكة، وعند أبي عبد الله عليه السلام ميمون القدّاح مولىٰ أبي جعفر عليه السلام، فسأله عبّاد بن كثير فقال: يا أبا عبد الله، في كم ثوب كـفّن رسـول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: في ثلاثة أثواب، ثوبين صُحاريين، وثوب حَبرة، وكان في البُرد قلّة. فكأنما ازورّ عبّاد بن كثير من ذلك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ نخلة مريم عليها السلام إنما كانت عَجْوة ونزلت من السماء، فما نبت من أصلها كان عجوة، وما كان من لُقاط فهو لون.

فلمّا خرجوا من عنده قال عبّاد بن كثير لابن شريح: والله ما أدري ما هذا المثل الذي ضربه لي أبو عبد الله، فقال ابن شريح: هذا الغلام يخبرك، فإنه منهم، يعني ميمون. فسأله، فقال ميمون: أما تعلم ما قال لك؟ قال: لا والله، قال: إنه ضرب لك مثل نفسه، فأخبرك أنه ولد من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلم رسول الله عندهم، فما جاء من عندهم فهو صواب، وما جاء من عند غيرهم فهو لقاط ».

أقول: اعلم أنّ الحق ما خرج منهم ـ من أهل البيت ـ وقد بيّن الله بهم كلّ أمر، وجعل علىٰ كلٍّ دليلاً هادياً للحق، وأمر غيرهم بالردّ لهم، ونصبوا لهم دليلاً علىٰ الردّ وكيفيته، لكن في الناس المجمل والمتشابه، وطاقة كلٍّ متفاوتة، وكذا اللطيفة الربانية، والتكليف بما في الوسع، و[تشتت][1] التكليف في الأرض، مع عدم جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة، وغير ذلك، أوجب النظر، فجاء الخطأ فيه؛ لعدم عصمة الناظر، وللوجوه السابقة.

فما فيه من خطأ فهو من الناظر؛ إمّا من عدم فهمه، أو قصور في الاطلاع، فلم يعثر علىٰ المنافي بعد بذل الوسع، وغير ذلك، أو تقصير.

وما فيه من الصواب فمنهم مكتسب ومحصل، فالخير لازم الوجود ومنه، والشرّ من الماهية وبالوجود. إلّا إن الخطأ ـ بعد بذل الوسع في استعمال اللطيفة الربانية في تحصيل

---

(١) في الأصل: «شتت».

الحكم منهم، بجهة الردّ إليهم ـ مغتفر عنهم، وموضوع عن الناظر [ثقله][١].

وما روته العامة مثل: (علي عليه السلام مع الحق)[٢]... إلىٰ آخره، و(إني تارك فيكم)... الحديث[٣]، و(أهل بيتي كسفينة نوح)[٤]، وآية التطهير[٥] وغيرها، في صراحة الدلالة علىٰ أنّ ما لم يخرج منهم باطل، وليس الحق إلّا منهم.

واللُّقاط ـ بالضم ـ: ما لا قيمة له ولا أصل، بل مجتث كاللقيط، بخلاف العَجْوة، فأصلها ثابت ويعود إليه.

وفي الصحاح: «اللَّوْن: الدَّقَل، وهو ضربٌ من النخل»[٦]. «والدَّقَل أردأ التمر»[٧].

وفي النهاية: «قيل: هو النخل كلّه ما خلا البَرْني والعَجْوة»[٨].

والعَجْوة: أجود التمر، كما في الفائق[٩] وغيره[١٠]. ووجه تمثيل الإمام ومقصده منه ظاهر من الحديث.

* * *

---

(١) في الأصل: «نقله».

(٢) «تاريخ بغداد» ج١٤، ص٣٢١، الرقم: ٧٦٤٣؛ «فرائد السمطين» ج١، ص١٧٧، ح١٤٠.

(٣) «مسند أحمد بن حنبل» ج٥، ص١٨٢، ١٨٩؛ «المعجم الكبير» ج٣، ص٦٥، ح٢٦٧٨، ٢٦٧٩؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج٣، ص١٤٨.

(٤) «المعجم الكبير» ج٣، ص٤٥، ح٢٦٣٦؛ ص٤٦، ح٢٦٣٧، ٢٦٣٨؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج٢، ص٣٤٣؛ ج٣، ص١٥١، بتفاوت يسير.

(٥) «الأحزاب» الآية: ٣٣.

(٦) «الصحاح» ج٦، ص٢١٩٧، مادة «لون».

(٧) «الصحاح» ج٤، ص١٦٩٨، مادة «دقل»، صححناه علىٰ المصدر.

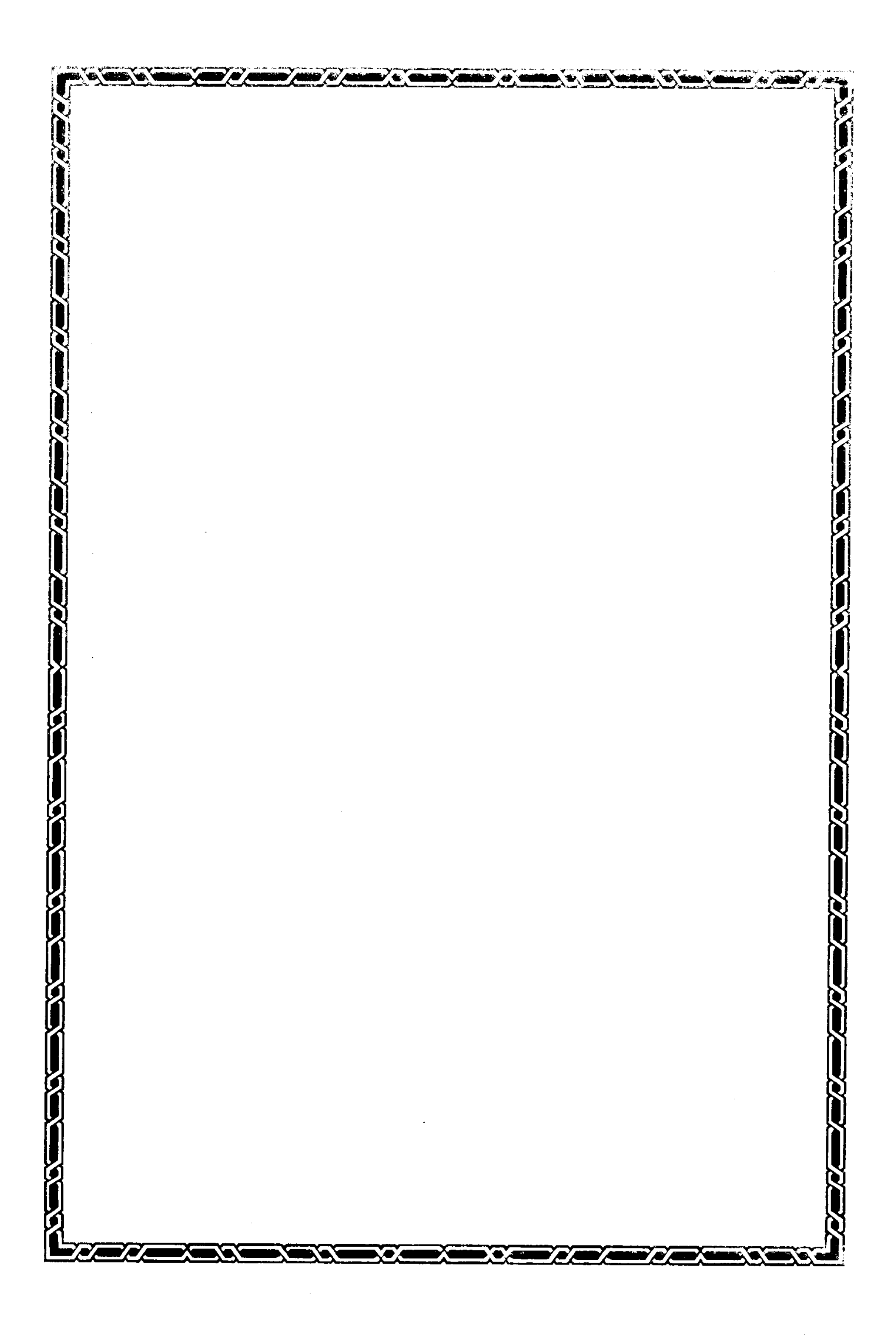
(٨) «النهاية» ج٤، ص٢٧٨، مادة «لون»، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٩) «الفائق في غريب الحديث» ج٢، ص٣٣٤، وفيه: «هي تمر بالمدينة من غرس النبي صلى الله عليه وآله».

(١٠) «المغرّب» ص٣٠٥.

الباب الثاني بعد المائة

فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب خمسة.

والمراد بالحديث الجنس، أو الاستغراق، كلٌّ مراد، وإن تفاوت الاعتبار في ذلك، فصعبٌ وأصعب؛ لتوقف الفهم علىٰ معرفة السند والمتن، والموافقة وغيرها، والمعارض وعدمه، وصفاء النفس وغير ذلك، وهذا يحتاج إلىٰ نظر ومعرفة، ففيه صعوبة. وبعضه أخرجوه مشتملاً علىٰ أسرار المبدأ والمعاد وسائر أنواع الحكم، لأنهم خاطبوا الناس كما أمرهم الله بقوله: ﴿ ادْعُ إِلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ الآية[1]، وفي الناس أهل هذه الأقسام.

ومعرفة ذلك تحتاج إلىٰ شروط زائدة، واستعداد قوي، وتخلية وتحلية، فلا يعرفه ويطيقه إلّا صاحب قلب مستنير، أو مؤمن امتحنه الله بالإيمان، واختبره بالبلاء ومحن الزمان.

فمن قصر عن فهم كلام منهم فلا يكذّبه، بل يدعه بسنبله، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[2]، وليتعرض لفهمه ممن هو أعلىٰ منه علماً، وبقوة استعداده، حتىٰ تهبّ عليه نسمة من نسمات روحهم المشرق علىٰ النفوس، ويتعطر بعطرهم المأنوس، وإلّا فكلامهم نور، كما روي[3]، إلّا إنه برز في الحجب الحرفية وعلىٰ نظر الناظر منه أغطية، فعدم الفهم

---

(١) «النحل» الآية: ١٢٥. (٢) «يوسف» الآية: ٧٦.

(٣) «عيون أخبار الرضا» ج٢، ص٢٧٧، ح١.

والقصور منّا ولنا، وبقدر زوالها ينجلي لنا فهمها، كما قال الله تعالىٰ في شأن كلامه المجيد: ﴿ بيانٌ لِلنّاس وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الآية[1].

فهذا لا ينافي كونه نوراً وآياتٍ بيّنات، فكذا كلامهم عليهم السلام لا ينافي صعوبته كونه نوراً وهدًى. وأنت لو رجعت إلىٰ ظواهر الشرع ومجملاته رأيته صعب المنال، خشن المقال، فكيف غوامضه وأسراره ومكنونه تحت الأستار؟!

وليس صعوبته خاصاً بالمخالف، فله الإنكار والعناد، بل علىٰ المؤالف، كما مرّ، وتعرفه من أحاديث الباب.

وليس الحديث أيضاً خاصاً بفتواهم في الأحكام، أو الأوصاف والأخلاق الثابتة لهم والمخزون عندهم، لما مرّ، وإن تفاوت. والمخزون عندهم لم يظهر، وإنما ذلك فيما ظهر حسب العقول.

والصَّعْب: العَسِر، واستَصْعَبَ الأمرُ: صار صَعْباً، والشيءَ وجدَهَ صَعْباً، كذا في القاموس[2].

و«مستصعب» بفتح العين وكسرها، ووجههما ظاهر.

وفي الخرائج، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (أتىٰ الحسينَ رجلٌ فقال: حدّثني بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال: إنك لا تطيق حمله، قال: بلىٰ حدّثني يابن رسول الله إني أحتمله، فحدّثه بحديث، فما فرغ الحسين من حديثه حتىٰ ابيضّ رأس الرجل ولحيته، وأنسي الحديث، فقال الحسين عليه السلام: أدركته رحمةُ الله حيث أُنسي الحديث)[3].

وفي رواية أُخرىٰ: أن ثلاثة رجال جاؤوا إليه وسألوه ذلك، فلما حدّث واحداً منهم قام طائر العقل ومرّ علىٰ وجهه وذهب، فكلّمه صاحباه فلم يرد عليهما شيئاً[4].

وفي كتاب منهج التحقيق، عن ابن أبي عمير، عن المفضّل، قال: قال الصادق عليه السلام: (لو أُذن لنا أن نعلم الناس حالنا عند الله ومنزلتنا منه لما احتملوا)... الخبر[5].

---

(١) «آل عمران» الآية: ١٣٨.

(٢) «القاموس المحيط» ج ١، ص ٢٣٨، باختصار.

(٣) «الخرائج والجرائح» ج ٢، ص ٧٩٥، ح ٥، بتفاوت يسير.

(٤) «الخرائج والجرائح» ج ٢، ص ٧٩٥، ح ٤، نقل مضمونه.

(٥) انظر: «بحار الأنوار» ج ٢٥، ص ٣٨٥، ح ٤١، عنه، وفيه: (احتملتم) بدل: (احتملوا).

وقد قال جابر بن يزيد الجعفي: حدّثني أبو جعفر عليه السلام خمسين ألف حديث، ما حدّثت بها أحداً[١].

قال: ودفع إليّ كتاباً وقال لي عليه السلام: (إن حدّثت به أحداً ... فعليك لعنتي ولعنة آبائي)[٢].

ومعلوم أنه ليس كلّ ما يُعلم يقال، ولا كلّ ما يقال حضر وقته، ولا كلّ ما يُعلم ويقال وحضر وقته حضرت رجاله، فتحديث الجاهل بالحكمة إضاعة لها، وتكليفه بما لا يطاق، وتعريض له للإنكار، ورميه المتكلم بما لم يعتقده.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

ورُبّ جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولا ستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن	إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا[٣]

وأين أهل التسليم والتبعية لأهل العلم والصور؟! وأين أهل مرتبة العلم وأهل مرتبة المعرفة واليقين؟! ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾[٤].

وقد ورد في كثير من الأخبار أنّ أمرهم صعب مستصعب، فإما المراد بالأمرِ الحديثُ، أو حالهم ومعرفتهم، كلٌّ مراد.

وروىٰ محمد بن الحسن الصفار في البصائر، بسنده عن أبي الربيع الشامي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كنت معه جالساً فرأيت أنّ أبا جعفر عليه السلام قد قام، فرفع رأسه وهو يقول: (يا أبا الربيع، حديث تمضغه الشيعة بألسنتها لا تدري ما كنهه)، قلت: ما هو، جعلني الله فداك؟ قال: (قول أبي علي بن أبي طالب عليه السلام: إن أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا ملك مقرّب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان. يا أبا الربيع، ألا ترىٰ أنه يكون ملك ولا يكون مقرّباً، ولا يحتمله إلّا مقرّب، وقد يكون نبي وليس بمرسل، ولا يحتمله إلّا مرسل، وقد

(١) «رجال الكشي» ج٢، ص٤٤٠، الرقم: ٣٤٢؛ «بحار الأنوار» ج٢، ص٦٩، ح٢١، باختلاف.

(٢) «رجال الكشي» ج٢، ص٤٣٨، الرقم: ٣٣٩؛ «بحار الأنوار» ج٢، ص٧٠، ح٢٨، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) انظر: «كلمات مكنونة» ص٨؛ «ينابيع المودة» ج١، ص٢٤، باختلاف.

(٤) «الأنعام» الآية: ١٣٢.

يكون مؤمن وليس بممتحن، ولا يحتمله إلّا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان)[١].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (خالطوا الناس بما يعرفون، ودعوهم مما ينكرون، ولا تحملوا علىٰ أنفسكم وعلينا، إنّ أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا ملك مقرّب، أو نبي مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان)[٢].

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (إنّ أمرنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا ثلاث: ملك مقرّب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان) . ثمّ قال: (يا أبا حمزة، ألست تعلم أنّ في الملائكة مقربين وغير مقربين، وفي النبيين مرسلين وغير مرسلين، وفي المؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين؟) قال: قلت: بلىٰ، قال: (ألا ترىٰ إلىٰ صعوبة أمرنا، إنّ الله اختار له من الملائكة المقربين، ومن النبيين المرسلين، ومن المؤمنين الممتحنين)[٣].

وورد أيضاً بلفظ: (علم آل محمد صلوات الله عليهم سرّ مستسر)، وآخر أحاديث الباب يدل عليه، فروي فيها أيضاً بسنده عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إنّ أمرنا سرّ في سرّ، وسرّ مستسر، وسرّ لا يفيد إلّا سرّ، وسرّ علىٰ سرّ، وسرّ مقنّع بسرّ)[٤].

وعن أبان بن عثمان، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: (إن أمرنا هذا مستور مقنّع بالميثاق، من هتكه أذلّه الله)[٥].

وعن مرازم، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: (إن أمرنا هو الحق، وحق الحق، وهو الظاهر، وباطن الظاهر، وباطن الباطن، وهو السر، وسرّ السرّ، وسرّ المستسر، وسرّ مقنّع بسرّ)[٦].

وإنما أمروا عليهم السلام في الحديث السابق بمخالطة الناس بما يعرفون؛ لأنهم إنما يخاطبون

---

(١) «بصائر الدرجات» ص٢٦، ح١، وعنه في: «مختصر بصائر الدرجات» ص١٢٦، بتفاوت يسير صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «بصائر الدرجات» ص٢٦، ح٢، بتفاوت يسير، وعنه في: «مختصر بصائر الدرجات» ص١٢٦.

(٣) «بصائر الدرجات» ص٢٨، ح٩؛ وعنه في: «مختصر بصائر الدرجات» ص١٢٦، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «بصائر الدرجات» ص٢٨، ح١؛ وعنه في: «مختصر بصائر الدرجات» ص١٢٦، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «بصائر الدرجات» ص٢٨، ح٣، بتفاوت يسير؛ وعنه في: «مختصر بصائر الدرجات» ص١٢٧.

(٦) «بصائر الدرجات» ص٢٩، ح٤، بتفاوت يسير؛ وعنه في: «مختصر بصائر الدرجات» ص١٢٧.

الناس بقدر عقولهم ـ كما روي[1] ـ لا بقدر معرفتهم، والناس أقسام، منهم أهل الحكمة، وأهل العلم، وأهل التقليد، فلكلٍّ درجات، وفي [...] المحكم والمتشابه وغيرها طبق الكتاب، ولا يخاطب أهل كلّ مرتبة بما فوقها.

ومعرفتهم درجات حسب مراتب الايمان، إذ هي أصل كلّ شيء وملاكه، لأن بها يعرف أصل التوحيد الخالص. وظهور العوالم بهم، وكذا قوامه، فتتعدد كيفية تعريفهم لهم ـ غيباً وشهادة ـ بحسب ظهورهم لهم بهم، لأنهم مظهر صفاته ووعاء مشيئته.

ومن عرف حديث جابر[2]، المتضمن لمعرفة البيان والمعاني والأبواب والإمامة، وكذا غيره، عرف صعوبة أمرهم وقوام الأشياء به، فهم معانيه، وأبوابه وآيته العظمىٰ، ونفسه الكلية ـ كما في الزيارة الجامعة[3] ـ التي قام فيها بالسنن.

ولو أظهر العارف بهم حرفاً من صفتهم بحسب المعاني لكفّره مَن دونه وكذب به، أو جُنّ، كما سمعت، ولا شك أنه ينافي الهداية ووجوب التكليف بالوسع. نعم، ينبذ نبذاً، فمن عرف زِيدَ، ومن أبىٰ أمسك عنه.

نعم، لأهل كلّ مرتبة معنًى يناسبها لكلامهم، إذ الموعظة ظاهر الحكمة، والجدال بالتي هي أحسن ظاهر الموعظة، وهي طرق الدعوة.

والمراد بالناس في الحديث السابق ما يشتمل كلّ مدعو، فمعرفتهم بالنورانية درجات أيضاً، فسلمان في أول العاشرة ولم يطق حمل آخرها، ولم يطق علمه أبو ذر وهو في التاسعة، وآدم مع ما أُعطي من الاسم الأعظم لم يكن له عزم فيهم، مع أنه لم ينكرهم، بل عرفهم، ولكنها معرفة خاصة، يعرف بعضها من عرف تفسير القرآن فيهم بحسب باطن باطن الباطن.

وعن علي عليه السلام: (أنا محنة أيوب).

وكذا في سائر الأنبياء، إنّما ابتلوا بسببهم، نقل ذلك مما يطول. فأمرهم أعلىٰ من أن يدرك ببرهان أو إشارة.

ومن أخلص لله وقرع بابهم لا يخيب، وبمعرفتهم بالنورانية يعرف ظاهر العالم وخافيه،

---

(١) «المحاسن» ج١، ص٣١٠، ح٦١٥. (٢) «بحار الأنوار» ج٢٦، ص٨ - ١٧، ح٢.

(٣) «بحار الأنوار» ج٩٧، ص٣٣١، ح٢٩، وفيه في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: (السلام علىٰ نفس الله تعالىٰ القائمة فيه بالسنن).

وأصوله وفروعه وفروع فروعه، لشمولها لذلك في كلّ مقام بحسبه. والقبض علىٰ القلم هنا أولىٰ، مع ضيق الوقت. ولنقتصر علىٰ بعض الروايات، قال الله تعالىٰ: ﴿ والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينا ﴾ الآية[1].

وعن عمران بن موسىٰ، عن موسىٰ بن جعفر، عن علي بن أسباط، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر، قال: قرأت عليه آية الخمس، فقال: (ما كان لله فهو لرسوله، وماكان لرسوله فهو لنا). ثمّ قال: (والله لقد يسرّ الله علىٰ المؤمنين أنه رزقهم خمسة دراهم، جعلوا لربهم واحداً، وأكلوا أربعة حلالاً. ثمّ قال: (هذا من حديثنا صعب مستصعب، لا يعمل به ولا يصبر عليه إلّا ممتحن قلبه للإيمان)[2].

فعلىٰ هذا يفسّر التحمل بالعمل به، ولا تنافي بينها، فالعلم مقرون بالعمل وملتف به، ويهتف به، فإن أجابه وإلّا ارتحل[3]، فهما متلازمان وصعبان أيضاً.

وروي في البصائر، بسنده عن سعد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا ملك مقرّب، أو نبي مرسل، أو مؤمن ممتحن، أو مدينة حصينة، فإذا وقع أمرنا وجاء مهدينا كان الرجل من شيعتنا أجرأ من ليث، وأمضىٰ من سنان، يطأ عدوّنا برجليه، ويضربه بكفيه، وذلك عند نزول رحمة الله وفرجه علىٰ العباد)[4].

وبسنده عن أبي الصامت، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (إنّ حديثنا صعب مستصعب، شريف كريم، ذكوان ذكي وعر، لا يحتمله ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، ولا مؤمن ممتحن). قلت: فمن يحتمله، جعلت فداك؟ قال: (من شئنا يا أبا الصامت)، فظننت أن لله عباداً أفضل من هؤلاء الثلاثة[5].

ولا ينافي إبقاؤه علىٰ العموم تفسير عدم احتمال هؤلاء له في حديث آخر، بمعنىٰ عدم

---

(١) «العنكبوت» الآية: ٦٩.

(٢) «بصائر الدرجات» ص٢٩، ح ٥؛ وعنه في: «مختصر بصائر الدرجات» ص١٢٧، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «الكافي» ج ١، ص ٤٤، باب استعمال العلم، ح ٢، وفيه: (العلم مقرون إلىٰ العمل، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه، وإلّا ارتحل عنه).

(٤) «بصائر الدرجات» ص ٢٤، ح ١٧، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «بصائر الدرجات» ص ٢٢، ح ١٠، بتفاوت يسير.

بقائه، بل يخرجه كلٌّ لمن دونه؛ فإن ذلك فيما برز منهم ﷺ، ولهم علم خاص بهم لا يحتمله غيرهم أصلاً، ولا كلّف به غيرهم، كما ستسمعه من حديث أبي بصير[1] وغيره، وسبق قوله عليه السلام هنا: (من شئنا)، وكلام الراوي. فعلم أنهم المراد، ولا شك أنّ جميع الخلق لا يطيقون علمهم، ولا برز لهم.

وبسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (حديثنا صعب مستصعب، ذكوان أمرد، مقنّع)، قال: قلت: فسّر لي جعلت فداك، قال: (ذكوان ذكي أبداً)، قال: قلت: أمرد؟ قال: (طريّ أبداً)، قال: قلت: مقنّع؟ قال: (مستور)[2].

فحديثهم: دائماً ذكي أمرد لا يُملّ، كلما قرأته كأنه مبتدأ، في أحسن ما يكون دائماً.

تنوير توضيحي

في وجوه صعوبة أحاديثهم ﷺ

غير خفي استفاضة النقل، بل تواتره معنًى علىٰ أن حديثهم ﷺ صعب مستصعب، خشن مخشوش[3]، وفي بعض: (أمرد ذكوان)[4]، وفسّر بذكاء المؤمن[5]. وهذا يكون إما في بعض أحاديثهم، فقد يكون ما الخطاب به خاص فهمه ببعض، فبالنسبة لغيره صعب، أو لتوقفه علىٰ شروط تحصيلها صعب، فيكون إدراكه كذلك. وهذا لا ينافي كونه بياناً ونوراً، كما القرآن كذلك.

أو نقول: جميع أحاديثهم علىٰ سبيل الاستغراق الحقيقي.

ولا ينافي ذلك ظهور معنىً كثير، وفهم الحكم منه، والعرض عليه، وغير ذلك؛ فإن المراد بصعوبته صعوبته عن إدراك جميع معانيه، بحسب مقاماته وما أرادوه من كلامهم، وإن كان في بعضها أسبق.

---

(١) انظر: الحديث الخامس من هذا الباب.

(٢) «بصائر الدرجات» ص٢٢، ح٨؛ باختلاف في السند، وعنه في: «مختصر بصائر الدرجات» ص١٢٤، وفيها: (أجرد) بدل: (أمرد).

(٣) «بصائر الدرجات» ص٢١، ح٥؛ «بحار الأنوار» ج٢، ص١٩٣، ح٣٥.

(٤) «بحار الأنوار» ج٢، ص٢٠٨، ح١٠٢.

(٥) «بصائر الدرجات» ص٢٤، ح١٦، وفيه: (ذكوان أجرد ... وأما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين).

بل نقول: الكلام الواحد له بحسب كلّ مقام معنًى واحد، وإن تعدد بحسب المقامات، كالباطن وباطنه، وهكذا، والظاهر وظاهره، والتأويل وباطنه، وهكذا، كما القرآن كذلك، من غير لزوم إشكال من إجمال أو اشتراك في جميعه، أو استعمال الحقيقة والمجاز دفعة.

وقالوا عليهم السلام: (كلامنا هو السرّ، وسرّ السرّ، والظاهر، وباطن الظاهر)[1]، وغير ذلك.

فإذا تكلّم غيرهم بالكلمة يريد منها معنىً واحداً، هو ما يظهر بحسب الاستعمال الظاهر، حقيقة أو مجازاً، أو غير ذلك من أقسامهما في ظاهر اللغة، ولا كذلك هم عليهم السلام؛ فإذا تكلموا ولو بتلك الكلمة التي تكلم بها غيرهم يريدون منها معنىٰ الظاهر وظاهره، والباطن والتأويل، وغير ذلك من السبعين الوجه، ولغيرهم منه وجه واحد، لأنها ثابتة منهم عليهم السلام ومتأصلة وجوداً.

وقالوا: الكلمة منهم لتنصرف علىٰ وجوه، لهم عليهم السلام من كلٍّ المخرج[2].

وهم عليهم السلام عالمون به، وإن كان ما يظهر للناظر منها إلّا المعنىٰ الظاهري اللغوي بحسب لغته، ومن عرف معناه التأويلي يفسرها به ويستدل بها، ولا إجمال وخطاب بالمعمىٰ؛ لاختلاف الرتبة، فتدبّر.

ومن أحاديثهم **الصعبة المستصعبة** ماورد في شأن القائم عليه السلام وسيرته زمن ظهوره، متصلاً إلىٰ الرجعة الكبرىٰ وما فيها، فإنه داخل في حكم الغيب، ويحتاج معرفتها يقيناً إلىٰ من عرف الحكمة ونظر بنورهم، وإلّا فليس إلّا التسليم ظاهراً، كمن يؤمن بالغيب ـ من أحوال القيامة والقبر وأمثالهما ـ بإخبار الصادق الأمين.

ولا شك في تواتر ذلك معنًى بالرجوع، بمعنىٰ رجوع الدولة لهم عليهم السلام، ورجوعهم للأرض، ورجوع كثير من المُعاني ممن محض الايمان ومحض الكفر ومن غيرهم؛ للأخذ بظلامتهم، ثمّ يبقون بعد ثلاثين شهراً، ثمّ يموتون في ليلة واحدة [هؤلاء]، كما في حديث البصائر[3]، وهي مطابقة لكثير من الآيات، نقلها مما يطول.

والأحاديث فيها أكثر من خمسمائة حديث، وصنّف العلماء فيها مصنفات قديماً وحادثاً، كالصدوق، والطوسي، والشيخ حسن بن سليمان، والمفيد، والكراجكي. ومن

---

(١) «مختصر بصائر الدرجات» ص١٢٧، باختلاف.

(٢) «بصائر الدرجات» ص٣٢٨، باب: ٩؛ «معاني الأخبار» ص٢، ح٣، نقل مضمونها.

(٣) «مختصر بصائر الدرجات» ص٢٨، وعنه في: «بحار الأنوار» ج٥٣، ص٤٤، ح١٦.

راجع الميرزا وغيره من كتب الرجال وجد في ترجمة كثير من العلماء عدّ كتاب الرجعة من المصنفات.

فمن رمىٰ أحاديث الرجعة الكبرىٰ بعد الممات بالآحاد فقد حاد وركب شططاً، وليس هنا موضع بسط ذلك.

ومن إشكالات حديث الرجعة حكم الإمام بحكم آل داود ـ وسيأتي ـ وكون إثمّ ما سبق في أعناقهم حقيقة لا مجازاً، وأنه يوجب العدل الأتم ـ وسبق ـ وحشر الموتىٰ، من غير لزوم تناسخ، ولا تأخير عالم الآخرة، ولا بطلان تكليف، وسبق ويأتي.

واعلم أن في بعض الأحاديث[1] بيان معنىٰ قولهم ﷺ: (**حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، ولا مؤمن ممتحن**)، معنىٰ عدم تحمله أي مع الصبر عليه وعدم إذاعته، بل لا يتحمله إلّا ويلقيه إلىٰ من هو دونه.

وهذا لا ينافي ما سبق؛ فإنه لا يطيق ما عليه ما فوقه، وما يظهر للأقرب إليه إنما هو بما ظهر له به، وهذا لابد منه، إذ العلم نور، فله شعاع، ولنوره نور، وهكذا حتىٰ يبلغ إلىٰ نهاية إقبال العقل في أبعد مراتب الوجود.

كما إنه لا ينافي ما ستسمع: قيل: فمن يحتمله؟ قال: (**نحن**)؛ فإنه بحسب معناه ومبدأ بروزه من مقام المشيئة، وبحسب ما يناسب كلّ موجود، فإنه له نصيب منه، من العرش إلىٰ الثرىٰ، من روح وعقل ونفس وفلك وعنصر وسائر الموجودات.

فلا تنافي بين الروايات، إذ لكلامهم وجوه، وسمعت أن العمل بحديثهم صعب أيضاً، من غير منافاة، فإنه إذا كان العلم به صعباً فكذا العمل به، والعمل علم وبالعكس.

وفي بعض: (**حديثهم صعب مستصعب، ثقيل مقنّع، أجرد ذكوان، لا يحتمله ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان**)، قيل: فمن يحتمله؟ قال: (**نحن**)[2].

وفي رواية أُخرىٰ: (**مَن شئنا**)[3]، | وفي أُخرىٰ:| (**أو مدينة حصينة**)، قيل: فما المدينة

---

(١) «معاني الأخبار» ص١٨٨، ح١.

(٢) «بصائر الدرجات» ص٢٣، ح١١، ولفظه: (إن من حديثنا ما لا يحتمله ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، ولا عبد مؤمن)، قلت: فمن يحتمله؟ قال: (نحن نحتمله).

(٣) «بصائر الدرجات» ص٢٢، ح١٠.

الحصينة؟ قال: (القلب المجتمع)[1].

وتفاوتها في ذلك حسب تفاوت الحامل والمحمول، فتدبّر.

ومن أحاديثهم الصعبة ما يظهر قبل ظهور القائم من العلامات، ككسوف الشمس وسط الشهر، وخسوف القمر آخره[2]، خلاف ما عليه العادة في شهر واحد. ومن عرف أصل منشأ المعاجز وجريها بمقتضىٰ سبب خاص ـ لا يمتنع منه ما جرىٰ بمقتضىٰ الأسباب ـ لا يخفىٰ عليه ظهور ذلك وعدم لزوم خلل في الفلك.

وكذا رجوع الشمس من مغربها[3]، ولقد ردّت قبل ليوشع[4]، ولعلي عليه السلام إحدىٰ عشرة مرة، وفي بعض كتب الفضائل: مما يزيد علىٰ العشرين، وأظنه في فضائل ابن شهرآشوب[5].

فائدة

ليس الغرض من معرفة أُصول الفقه وسائر العلوم تنزيل كلامهم عليها، بل فهم كلامهم بها، لأنها شروط في فهم كلامهم، فهي وصلة. فتارة يوافق الحديث قاعدة كلية، وتارة يخرج، وبسط ذلك مما يطول.

والفرق بين المقامين ظاهر، ولهذا ترىٰ كثيراً من الأحاديث لا توافق بعض القواعد الحكمية، وليست بقواعد حكمية، بل شبه ودعاوىٰ سمّوها بها، وهي بخلافها:

كإدخالهم واجب الوجود في الكليات[6]، وجعلهم الإرادة عين العلم الذاتي[7].

وقول الصدر الشيرازي وصهره ملاّ محسن: «كلّ بسيط الحقيقة كلّ الوجود، والله بسيط

---

(١) «معاني الأخبار» ص١٨٩، ح١، باختصار بعض الألفاظ.

(٢) «الكافي» ج٨، ص١٨٠، ح٢٥٨.

(٣) «الإرشاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج١١/٢، ص٣٧١.

(٤) «الكامل في التاريخ» ج١، ص٢٠٢.

(٥) «مناقب آل أبي طالب» ج٢، ص٣٥٣، وقد حكىٰ فيه قول أبي بكر الشيرازي في كتابه بأنها ردّت عليه مراراً، وذكر ما يقرب من عشرين مرّة.

(٦) انظر: «النافع يوم الحشر» ص٥؛ «المجلي» طبعة حجرية، ص٦٠ – ٦١؛ «إرشاد الطالبين» ص٢٢. وانظر: «هدي العقول» ج٦، ص١١٤.

(٧) انظر: «الوافي» المجلد ١، ص٤٤٧.

الحقيقة، فهو كلّ الوجود»[١].

وقد أبطلنا ذلك في مواضع، وعسىٰ أن نضعه في محل مفرد.

وقول الصدر بعدم إعادة المادة، إنما المُعاد يوم القيامة الصورة والقوة الخيالية[٢]، وغير ذلك مما لا يسع الوقت نقل إجماله.

وكقول كثير من علماء أُصول الفقه فيه: إنّ باب العلم مسدود زمن الغيبة، وتقريرهم عليه السلام لا يجري زمنها ولا يعرف، وأن باب الظنون مفتوح، فالأصل الكلّي المتأصل فتح الظن بعد أن كان كذلك[٣]. وسنبسطه في كتاب نضعه في أُصول الفقه.

وكقول أهل النظر: صفات الله الذاتية عينه خارجاً، وغيره اعتباراً[٤]؛ لنظرهم لقواعد لغوية في الممكن ثابتة، وقاسوا الواجب عليها، سبحانه وتعالىٰ عما يصفون، وسيجزيهم وصفهم.

وقد بسطنا جميع ذلك وبرهنا علىٰ إبطاله ـ عقلاً ونقلاً ـ في مصنفاتنا الحِكمية ورسائل مفردة، والله الموفق والعاصم.

❑ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن جابر، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن حديث آل محمد صعب مستصعب، لا يؤمن به إلّا ملك مقرّب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلى الله عليه وآله فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلىٰ الله وإلىٰ الرسول وإلىٰ العالِم من آل محمد، وإنما الهالك أن يحدِّث أحدكم بشيء منه لا يحتمله، فيقول: والله ما كان هذا،

---

(١) انظر: «الأسفار الأربعة» ج٢، ص٣٦٨؛ ج٦، ص١١٠؛ «أُصول المعارف» ص٣٥، باختلاف في اللفظ.

(٢) انظر: «الأسفار الأربعة» ج٩، ص٢١٨، ٢٢١؛ «أسرار الآيات» ص١٧٩؛ «مفاتيح الغيب» ص٦٠٥ – ٦٠٧.

(٣) انظر: «معالم الأصول» ص٢٦٨.

(٤) انظر: «الأسفار الأربعة» ج٦، ص١٤٠ – ١٤٨؛ «أُصول المعارف» ص٢٥.

والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٢﴾

قوله: ﴿عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ذكرت التقية يوماً عند عليّ بن الحسين عليهما السلام، فقال: والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق ؟! إن علم العلماء صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا نبي مرسل، أو ملك مقرّب، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان. فقال: وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرءٌ منّا أهل البيت، فلذلك نسبته إلىٰ العلماء ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٣﴾

قوله: ﴿عن ابن سنان ـ أو غيره ـ رفعه إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ حديثنا صعب مستصعب، لا يحتمله إلّا صدور منيرة، أو قلوب سليمة، أو أخلاق حسنة. إنّ الله أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ علىٰ بني آدم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[1]. فمن وفىٰ لنا وفىٰ الله له بالجنة، ومن أبغضنا ولم يؤدّ إلينا حقنا ففي النار خالداً مخلّداً ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٤﴾

قوله: ﴿عن محمد بن أحمد، عن بعض أصحابنا، قال: كتبت إلىٰ أبي الحسن ـ صاحب العسكر عليه السلام ـ: جعلت فداك، ما معنىٰ قول الصادق عليه السلام: حديثنا لا يحتمله ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان؟ فجاء الجواب: إنما معنىٰ قول الصادق عليه السلام ـ أي

---

(١) «الأعراف» الآية: ١٧٢.

لا يحتمله ملك [مقرّب][1]، ولا نبي [مرسل][2]، ولا مؤمن ـ أن الملك لا يحتمله حتىٰ يخرجه إلىٰ ملك غيره، والنبيّ لا يحتمله حتىٰ يخرجه إلىٰ نبي غيره، والمؤمن لا يحتمله حتىٰ يخرجه إلىٰ مؤمن غيره، فهذا معنىٰ قول جدي عليه السلام ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن عبد الخالق وأبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد، إنّ عندنا والله سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، ولا مؤمن امتحن [الله] قلبه للإيمان، والله ما كلّف الله ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا. وإنّ عندنا سرّاً من سرّ الله، وعلماً من علم الله، أمرنا الله بتبليغه، فبلّغنا عن الله عزّ وجلّ ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمّالة يحتملونه، حتىٰ خلق الله لذلك أقواماً خُلقوا من طينة خلق منها محمد صلى الله عليه وآله وآله وذريته عليهم السلام، ومن نور خلق الله منه محمداً وذريته، وصنعهم بفضل صنع رحمته [التي صنع] منها محمداً وذريته، فبلّغنا عن الله ما أُمرنا بتبليغه، فقبلوه واحتملوا ذلك، فبلغهم ذلك عنا فقبلوه واحتملوه، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلىٰ معرفتنا وحديثنا، فلولا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه.

ثمّ قال: إنّ الله خلق أقواماً لجهنم والنار، فأمرنا أن نبلّغهم كما بلّغناهم، واشمأزوا من ذلك ونفرت قلوبهم، وردّوه علينا ولم يحتملوه، وكذّبوا به وقالوا: ساحر كذّاب، فطبع الله علىٰ قلوبهم وأنساهم ذلك، ثمّ أطلق الله لسانهم ببعض الحق، فهم ينطقون به وقلوبهم منكرة؛ ليكون ذلك دفعاً

---

(١) ليست في المصدر.

(٢) ليست في المصدر.

عن أوليائه وأهل طاعته، ولولا ذلك ما عبد الله في أرضه. فأمرنا بالكف عنهم والستر والكتمان، فاكتموا عمّن أمر الله بالكف عنه . واستروا عمّن أمر الله بالستر والكتمان عنه.

قال: ثمّ رفع يده وبكىٰ وقال: اللهمّ إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون، فاجعل محيانا محياهم، ومماتنا مماتهم، ولا تسلّط عليهم عدوّاً لك فتفجعنا بهم، فإنك إن أفجعتنا بهم لم تعبد أبداً في أرضك. وصلّىٰ الله علىٰ محمد وآله وسلّم تسليماً ﴾.

أقول: المراد بالإيمان به: الايمان الكامل، وهو ما يكون عن معرفة به تامة، فلا يختلجه شك، ولهذا قال ﷺ: (لا تحتمله إلّا صدور منيرة) ـ فهو ذو معرفة ـ (أو قلوب سليمة) من الجهالة والشبهة. وفي آخر: (ملك مقرّب، أو نبي مرسل)، فجعل الحامل أشرف القسمين.

فليس المراد بها التسليم من غير معرفة، وإن كان التسليم أول الدرجات، فإنه الإخبات.

وبيّن أنه لا يحتمله إلّا أحد الأقسام الثلاثة، لأنك عرفت معنىٰ احتماله، والإنسان مختصر العوالم، وللعلم حقيقة، لأنه طبق الوجود الثابت وصفته، فلابد وأن يكون نوراً، وهو نور ـ عقلاً ونقلاً ـ فله فضل، وهكذا، فيكون له ظهور في المراتب المتنازلة كالوجود؛ وإلاّ لم يكن ذا حقيقة متأصلة، فلابد وأن تكون مراتبه دونه، وإن حكته ودلت عليه وطابقته.

ومعلوم أنّ معرفة حقيقته تحتاج إلىٰ أفئدة منشرحة وقلوب منيرة متسعة، فلا يكون إلّا أحد الأقسام الثلاثة، ولمن قاربهم في الرتبة ـ [كأهل][1] العلم والصور ـ تحمّل ومعرفة، وإن كانوا أهل صور.

ولهذا سمعت في الأحاديث ذكر الصدور المنيرة والقلوب السليمة؛ فإن المعنىٰ له مقرّ في الصدر، أي النفس، وهو صور المعلومات المجردة عن المواد والمُدد. وفي القلب ـ أي

---

(١) في الأصل: «كامل».

العقل ـ وهو اليقين، وهو مستقر المعنىٰ المجرد عنهما وعن الصور أيضاً. وله مقرّ ثالث أيضاً في الفؤاد، وهو النور الذي خلق منه المؤمن ولب قلبه، وهو أعلاها، وهو المعرفة، وضدها الإنكار، وقابلها في الحديث الأول به.

فأول المراتب تحمّلها تسليم وإخبات، وما عن انشراح بمعرفة للأخيرتين، علىٰ أنّ بعض الأحاديث لا يعرفه إلّا القسم الثالث، ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ﴾[1]. فانصرح أنه لا يحتمله إلّا من هو كذلك.

هذا، وإن أردت بالحامل ما يكون عن معرفة ومشاهدة تامة فيُخص بالقسم الثالث، ثم لمّا انصرح لك منشأ العلم وحقيقته، وأنه الموصل لمعرفة الأشياء كما هي، إلّا في الواجب تعالىٰ وحقيقته، فتعرف من ذلك ـ بكمال تفطنك ـ أنّ منه ماهو خاص بمحمد وآله، لا يطيق أحد سماعه، فضلاً عن التكليف بمعرفته والقيام بمقتضياته.

كيف وهم نور الله الذي به يتنور كل شيء، ووجهه الذي أضاء له كل شيء، كما ورد في دعاء علي عليه السلام لكميل[2] وغيره. فما سواهم نسبته لهم كنسبة الضوء من الشمس، وقد ورد في غير حديث في الينابيع وأحاديث الطينة وغيرها. وأين للشعاع أن يكون شمساً أو يستنير كنورها، وإلّا لم يكن شعاعاً لها ومستنيراً بنورها.

فمن أجل ذلك ورد عنهم عليهم السلام في الأحاديث أنّ حديثهم صعب مستصعب، لا يحتمله ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا مؤمن ممتحن.

وفي آخر أحاديث الباب: (وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، والله ما كلّف الله ذلك أحداً غيرنا، ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا).

وفيما نسب لزين العابدين عليه السلام:

وربّ جوهر علم لو أبوح به　　　لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا[3]

فلو أباح به مطلقاً قيل ذلك، وهذا بالنسبة لجميع من سواهم، أمّا هم عليهم السلام فطينتهم واحدة، فلهم علم لم يكلّف به غيرهم.

---

(١) «الأنعام» الآية: ١٣٢.　　(٢) «مصباح المتهجد» ص ٧٧٥.

(٣) انظر: «كلمات مكنونة» ص٨، وفيه: «يارب» ؛ «ينابيع المودّة» ج ١، ص ٢٤.

ولا ينافي هذا تفسير الإمام لحديث: (لا يحتمله ملك مقرّب)... إلىٰ آخره، في المكاتبة، بأن معناه لا يحتمله الملك حتىٰ يخرجه لملك غيره، ولا يحتمله النبي حتىٰ يخرجه إلىٰ نبي غيره، ولا يحتمله المؤمن حتىٰ يخرجه إلىٰ مؤمن غيره.

فإنا قلنا لك قبل: خاص بهم، لم يبرز لغيرهم أصلاً، وهذا فيما برز، ففي الذي برز مَن لا يحتمله حامله، حتىٰ يبرز منه ويفيده مَن دونه؛ لشدة ثقله، ففي ذلك نوع تخفيف في الجملة، أو لأُمره بالتبليغ والتعليم، فتأمل. وهذا حديث آخر، فلا منافاة بين ذلك وتفسير الإمام له.

أو نقول: جوابه بحسب السائل وما علم من استعداده، وهم عليهم السلام يختلف منهم الجواب بحسب فهم السائل؛ لأنهم يخاطبون الناس علىٰ قدر عقولهم وما يعلمون من قوة تحملهم. ولو لم يكن محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين لهم علم خاص بهم، لا يطيقه غيرهم ولا يكلّف به، لم يكونوا أفضل، ولم يكونوا معلمي الكل التسبيحَ، وهم مسبّحون حيث لا مسبّح غيرهم، ولا علة للكل بلطف الله تعالىٰ غير هذه اللوازم، وكلها باطلة، فالملزوم مثله. وبيان التلازم والبطلان ظاهر لمن عرف أنهم أفضل ومعلمو الكل وغير ذلك.

فـائدة

قال السيد المرتضىٰ رحمه الله في الغرر والدرر، مجيباً من سأله عما نسب للصادق عليه السلام أنه قال: (لقد آخىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بين سلمان وأبي ذر، ولو اطلع أبو ذر علىٰ ما في قلب سلمان لقتله)[1]، وكيف يجوز مؤاخاة الرسول بينهما مع أن أحدهما يستحل دم الآخر؟ وما القول فيمن تأول قتله علىٰ أنّ الهاء راجعة إلىٰ ما في قلبه، وأراد: لقتله علمه؟ وهل هذا جائز أم لا؟ وما القول فيمن تأوله أيضاً علىٰ أنّ معنىٰ (لقتله) أي كَدَّ فِكْرَهُ وخاطِرَهُ بجهده، وعبّر بالقتل مبالغة، كما يقال: قتلني انتظار فلان وغيره، والمراد التعبير عن شدة الكلفة؟

قال السيد في الجواب: «إنه إذا كان من أخبار الآحاد التي لا تفيد علماً، وكان ظاهرها

---

(١) «الكافي» ج١، ص٤٠١، ح٢، باختلاف.

ينافي المقطوع، تأولنا ظاهره علىٰ ما يطابق الحق إن كان سهلاً، وإلّا فالواجب الاطراح.
فمن المقطوع به صفاء سريرة الرجلين، فلا يجوز أن يشهد الرسول بأنه لو اطلع أحدهما علىٰ ما في سريرة الآخر قتله مستحلاً لدمه، فإن قاله فله تأويل.

وأجود ما قيل فيه: إنّ الهاء في (قتله) راجع إلىٰ المطّلع، لا إلىٰ المطّلع عليه، كأنه أراد أنه إذا اطلع علىٰ ما في قلبه، وعلم موافقة ظاهره لباطنه، وشدة إخلاصه له ومحبته له، وتمسكه بمودته ونصرته، قتله ذلك الود، أي كاد يقتله، كما يقال: فلان يهوىٰ غيره، وتشتد محبته له، [حتىٰ إنه قد قتله حبه أو أتلف نفسه، أو ما جرىٰ مجراه.

وفائدة الخبر حسن الثناء من النبي ﷺ علىٰ الرجلين، وأنه آخىٰ بينهما، وباطنهما كظاهرهما، حتىٰ لو اطلع أحدهما علىٰ ما في قلب الآخر لأُعجب به وكاد يقتله، محبة له وصبابة. والوجه الآخر يقتضي الذم لهما وسوء الدخيلة.

فأما تأويل هذه اللفظة وحملها علىٰ العلم فغير مرضي؛ لأن المطّلع علىٰ مافي قلب غيره لا يكون إلّا عالماً بما اطلع عليه، وأي معنىٰ للفظة (قتله) في هذا الموضع؟ وهل ذلك إلّا تكرير ومما لا فائدة فيه؟

فأما حمله علىٰ كدّ خاطره وقسم فكره فكاد يقتله، فما المسألة عنه قائمة، ولم يكن مثل كل واحد من هذين الرجلين متىٰ اطلع علىٰ قلب صاحبه كدّ خاطره وأتعب قلبه حتىٰ يقتله، لولا اطلاعه علىٰ سوء ومكروه، وهذا هو النفاق الذي ينزّه الرجلان عنه، ولا يليق بهما، ولا بالنبي ﷺ أن يصفهما به][1]»[2] انتهىٰ مختصراً.

وإني لشديد التعجب من صدور مثل هذا الكلام من هذا الفاضل، وهذا من سهو القلم، وإلّا فهو أجلّ من أن تخفىٰ عليه هذه المسألة؛ فإن الحديث مضمونه قطعي، مؤيد بعدة أحاديث، فليس كل فرد أهلاً للتحمل، وكذا العلماء في مراتبهم، وسلمان في أول العاشرة، وأبو ذر في التاسعة، فهو الأقرب.

وعرفت في الحديث أن المراد به علم العلماء، ومراد الإمام بيان صعوبته، وما قاله

---

(١) ليست في «بحار الأنوار».

(٢) لم نعثر عليه في النسخة المتوفرة لدينا، عنه في: «بحار الأنوار» ج٢٢، ص٣٤٤، باختصار، صححناه علىٰ المصدر.

يُبطل ما استدل به الإمام له، وكذا ما عطف عليه بعد.

وعنه عليه السلام:

وربّ جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستباح رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا[1]

بل في الظاهر ما كلٌّ يحمل الحكمة، فلو سمعها بعض أنكرها، وهو الكفر، ونسب قائلها إلىٰ ذلك. وكذا ما مع كل عال مع السافل الأقرب إليه لا يطيق سماعه ولا يتحمله، ولو ظهر اضطرب منه، وأخذته الأهواء فيه. فلو ظهر من عرف من أسرارهم بحسب الباطن والتأويل للناس أنكروه، وقالوا: غالٍ، أو كذّاب، أو صوفي ملعون. وشاهدنا من بعض كذلك فيما هو أقل درجات، فكيف فيهما، والنسبة واحدة.

فلو اطلع أبو ذر علىٰ ما في قلب سلمان ـ الذي ورد فيه ما لم يرد مثله في أبي ذر ـ لقتله، أي قتل سلمان إن نسب للكفر، أو يقتل أبا ذر إن جُنَّ، (إنّ علم العلماء صعب)، وأيّ صعب!

ومتىٰ راجعت ظاهر الحديث، وما ورد في هذا المجرىٰ من أحاديثهم، لا تشكّ في أنّ المراد منه ذلك، وعدم دلالته علىٰ ما أراد المرتضىٰ، بل هو يبطل معناه، بل انظر إلىٰ ما هو ظاهر، وعدّه عليه السلام صعباً حتىٰ تأوله بما لا يخفىٰ سقوطه.

وللمرتضىٰ في الغرر والدرر كلام كثير في كثير من الأحاديث، غير مطابق للعقل والنقل، ولا تعريج عليه، فراجعها وتأمل.

وسيأتي في كتاب الايمان[2] في تقسيم مراتبه ودُرجه أنه ليس لصاحب الدرجتين أن يحمّل صاحب الدرجة، ومثل ذلك. وبالجملة، فلا حاجة إلىٰ التطويل معه؛ لظهور السقوط.

وكذا الشارح محمد صالح[3] قد تكلم فيه هنا بكلام غير موافق، ولا حاجة لنقله.

---

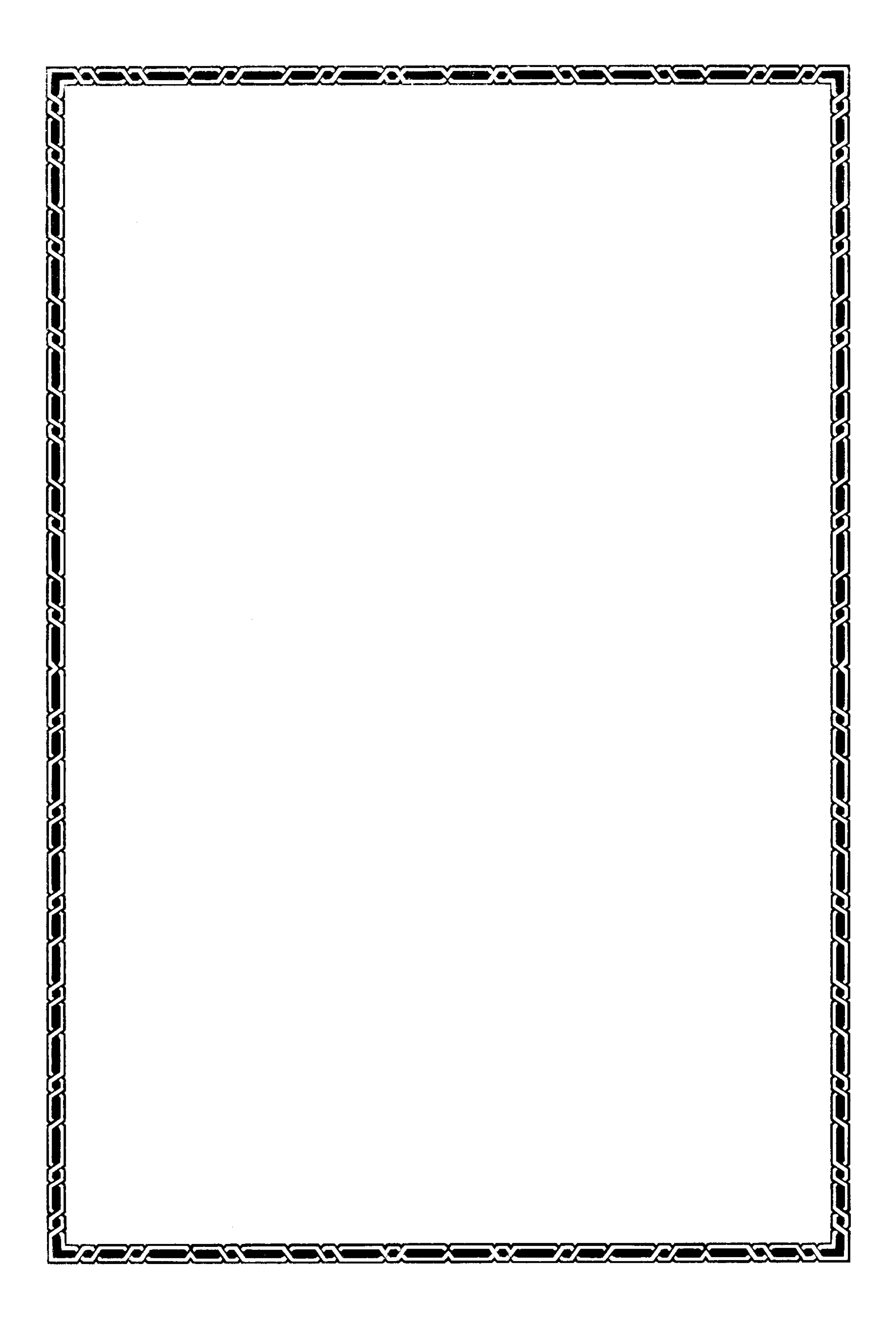
(١) انظر: «كلمات مكنونة» ص٨؛ «وفيه: «ياربّ»؛ «ينابيع المودة» ج١، ص٢٤، وقد نسباه إلىٰ الإمام علي بن الحسين عليهما السلام.

(٢) «الكافي» ج٢، ص٤٢، باب درجات الإيمان، ح١؛ ص٤٣، ح٢؛ ص٤٥، باب آخر منه، ح٢.

(٣) «شرح المازندراني» ج٧، ص٤ – ٥.

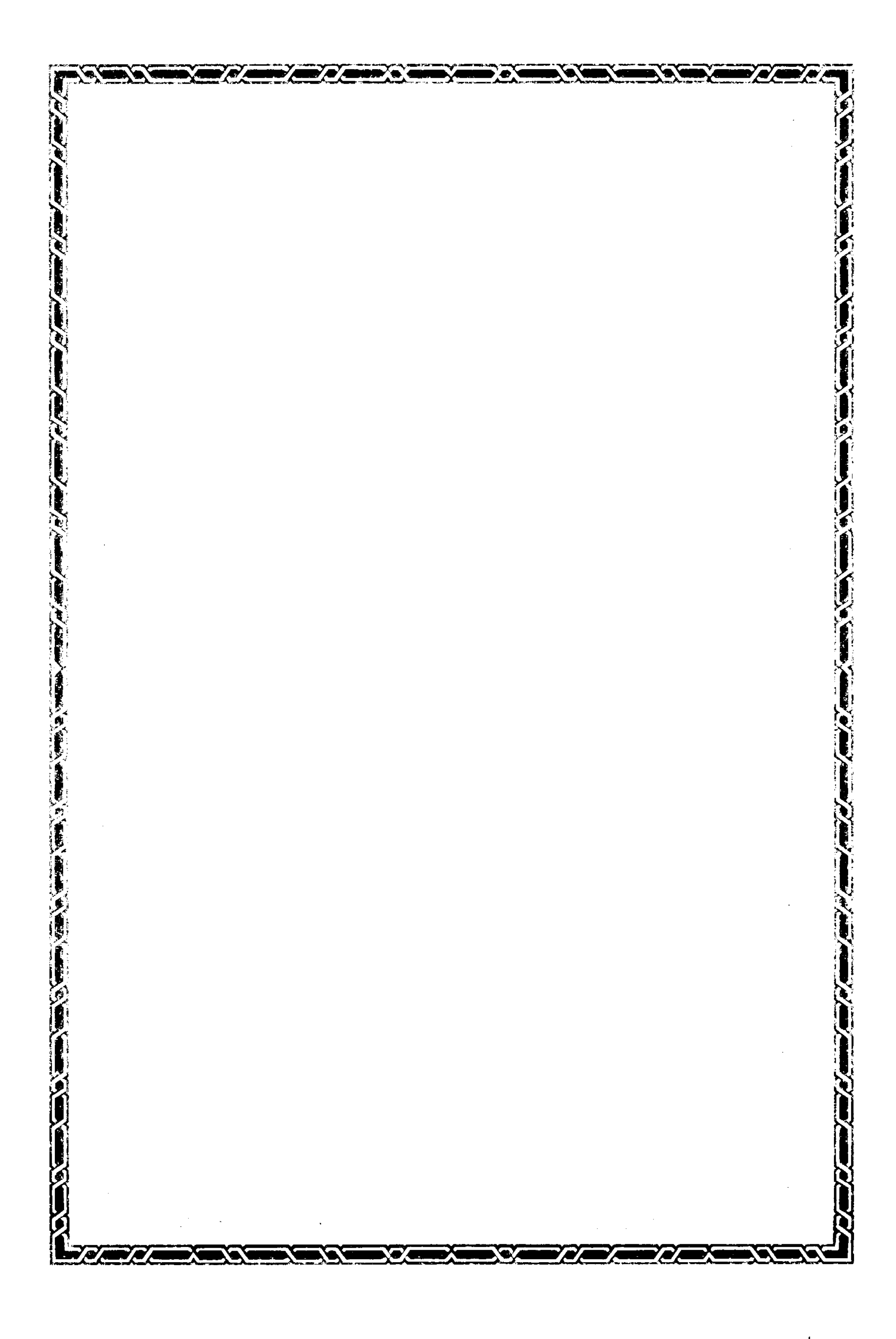
والحاصل أنّ اختلاف مراتب العلم لا تنكر، وأنّ شرط التحمل الاستعداد له، ومتىٰ جهل أحد أمراً ولم يدركه ولم يسلّم خرج للتكذيب أو القتل لقائله، ولمّا يجده مخالفاً لما عنده لم تسكن نفسه للتسليم، فليس فيه ذم لأبي ذر ولا غيره، بل مدح. نعم، يدل علىٰ علو سلمان عليه بكثير، وهو كذلك، فعلم العلماء صعب مستصعب.

* * *



الباب الثالث بعد المائة

ما أمر النبي صلى الله عليه وآله بالنصيحة لأئمة المسلمين واللزوم لجماعتهم ومن هم



أقول أحاديث الباب خمسة، وما فيه ظاهر كما سيتضح.

❏ **الحديث رقم ﴿١﴾**

قوله ﴿عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطب الناس في مسجد الخَيْف، فقال نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلّغها من لم يسمعها، فرُبّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه.

ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرئٍ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللّزوم لجماعاتهم، فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم. المسلمون إخوة، تتكافىٰ دماؤهم، ويسعىٰ بذمتهم أدناهم.

وعن ابن أبي يعفور مثله، وزاد فيه: وهم يدٌ علىٰ من سواهم. وذكر في حديثه أنه خطب في حجة الوداع بمنىً في مسجد الخَيْف﴾.

❏ **الحديث رقم ﴿٢﴾**

قوله: ﴿عن الحكم بن مسكين، عن رجل من قريش من أهل مكة، قال:

قال سفيان الثوري: اذهب بنا إلىٰ جعفر بن محمد، قال: فذهبت معه إليه، فوجدناه قد ركب دابته، فقال له سفيان: يا أبا عبد الله، حدّثنا بحديث خطبة رسول الله ﷺ في مسجد الخيف، قال: دعني حتىٰ أذهب في حاجتي، فإني قد ركبت، فإذا جئت حدّثتك، فقال: أسالك بقرابتك من رسول الله ﷺ لما حدّثتني، قال: فنزل، فقال له سفيان: مُر لي بدواة وقرطاس حتىٰ أُثبته، فدعا به، ثمّ قال: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، خطبة رسول الله ﷺ في مسجد الخيف: نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلّغها من لم تبلغه. يا أيها الناس، ليبلّغ الشاهد الغائب، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه.

ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرئٍ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعاتهم، فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم. المؤمنون إخوة، تتكافىٰ دماؤهم، وهم يدٌ علىٰ من سواهم، يسعىٰ بذمتهم أدناهم.

فكتبه سفيان ثمّ عرضه عليه، وركب أبو عبد الله عليه السلام، وجئت أنا وسفيان، فلمّا كنا في بعض الطريق قال لي: كما أنت حتىٰ أنظر في هذا الحديث، فقلت له: قد والله ألزم أبو عبد الله عليه السلام رقبتك شيئاً لا يذهب من رقبتك أبداً، فقال: وأيّ شيء ذلك ؟ فقلت [له]: ثلاث لا يغلّ عليهن قلب امرئٍ مسلم: إخلاص العمل لله، قد عرفناه، والنصيحة لأئمة المسلمين، مَن هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم؟ معاوية بن [أبي] سفيان، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وكلّ من لا تجوز شهادته عندنا ولا تجوز الصلاة خلفهم؟

وقوله: واللزوم لجماعتهم، فأيّ الجماعة؟ مرجئ يقول: من لم يصلّ،

و[من][١] لم يصم، ولم يغتسل من جنابة، وهدم الكعبة، ونكح أمه، فهو علىٰ إيمان جبرئيل وميكائيل، أو قدريّ يقول: لا يكون ما شاء الله عزَّ وجلَّ، ويكون ما شاء إبليس، أو حروريّ يتبرأ من علي بن أبي طالب عليه السلام وشهد عليه بالكفر، أو جهميّ يقول: إنما هي معرفة الله وحده، ليس الإيمان شيء غيرها؟.

قال: وَيْحك، وأيّ شيء يقولون ؟ فقلت: يقولون: إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام والله [هو][٢] الإمام الذي يجب علينا نصيحته، ولزوم جماعتهم أهل بيته.

قال: فأخذ الكتاب فخرقه، ثمّ قال: لا تخبر بها أحداً ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن [بُرَيد][٣] بن معاوية، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: ما نظر الله عزَّ وجلَّ إلىٰ وليّ له يجهد نفسه بالطاعة لإمامه والنصيحة إلّا كان معنا في الرفيق الأعلىٰ ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من فارق جماعة المسلمين قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿وبهذا الاسناد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من فارق جماعة المسلمين ونكث صفقة الإمام جاء إلىٰ الله عزَّ وجلَّ أجذم ﴾.

أقول: إنما سمي مسجد الخَيْف لأنه في سفح جبلها[٤].

---

(١) ليست في المصدر.
(٢) ليست في المصدر.
(٣) في الأصل: «يزيد».
(٤) انظر: «لسان العرب» ج ٤، ص ٢٦٤، مادة «خيف».

نَضَرَه ـ بالضاد المنقوطة بنقطة من أعلىٰ ـ ونَضَّره وأنـضَرَه، أي نـعّمه[١]، فـ «نـضر» ـ ينضر ـ من باب «نَصَرَ» و«شَرُفَ».

وفي النهاية: «ويروىٰ بالتخفيف والتشديد، من النضارة، وهي في الأصل حسن الوجه والبريق، وإنما أراد حسن خُلُقه وقَدْره»[٢].

وفي المغرّب: «عن الأزدي: ليس هذا من الحسـن فـي الوجـه، وإنـما هـو فـي الجـاه والقدر»[٣].

(فَرُبّ)... إلىٰ آخره، بيان لبعض فوائد نقل الحديث إلىٰ من هو أعلىٰ، فيدخل النقل بالمعنىٰ.

(لا يُغِلّ عليهن قلبُ امرئٍ مسلم)، إما نهيٌ، أو خبر بمعناه، و (يُغِلّ) ـ بضم الياء ـ من «الإغلال»، وهي الخيانه في كل شيء، بخلاف «الغُلول»، فإنه خيانة في المغنم خاصة، أو بفتحها، من «الغِلّ»، وهو الحقد والشحناء، أي لا يدخله حقد يـزيله عـن الحـق، أو مـن «الوُغول»، وهو الدخول في الشر، يقال: يَغِلّ فيه ـ بالتخفيف ـ إذا دخل فيه[٤].

والمراد أنّ هذه الثلاث ليصلح بها ويأمن صاحبه من هذه الشرور، لخلوص عمله لله، ومن المبطلات. والنصيحة للأئمة ببذل ما عنده لهم والطاعة، فقد صح عـمله وعـلمه.
والثالثة: اللزوم لجماعاتهم في الصلوات ومجالس العلماء ومحالّ تحادثهم، فإنها مجالس رحمة، وهي تنزل عـليهم وتشـمل المـجالس، فـدعوتهم مـحيطة مـن ورائـهم وتشـمله، فالملازم لهم الحاضر أولىٰ بذلك، وقد يكون ذلك يسـبب إلىٰ ارتـقائهم ودخـولهم فـي سلكهم.

و (المسلمون إخوة)، يتكافؤون في القصاص والجنايات والديات وغير ذلك، والمراد بالمسلمين: المؤمنون أو الأعم، غير مَنْ حُكِم بكفره، وسيأتيك في كتاب الايمان صفتهم، فإنهم بمنزلة البدن الواحد، فهم إخوة لأب وأُم، كما روي[٥].

---

(١) انظر: «النهاية» ج ٥، ص ٧١، مادة «نضر».

(٢) «النهاية» ج ٥، ص ٧١، مادة «نضر»، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «المغرّب» ص ٤٥٥.

(٤) انظر: «النهاية» ج ٣، ص ٣٨١؛ «لسان العرب» ج ١٠، ص ١٠٧، مادة «غلل».

(٥) «الكافي» ج ٢، ص ١٦٥ – ١٦٦، باب أُخوّة المؤمنين.. ح ١، ٢، ٧.

والمراد بالذمّة: عقد الأمان الذي يجعله بعض المسلمين للعدو، يعني إذا أعطىٰ أحدٌ من المسلمين ـ وإن كان أدناهم ـ العدوَّ أماناً، جاز ذلك علىٰ المسلمين، وليس لهم أن يُخفِروه ولا أن ينقضوا عليه عهده[١]، إلّا أن يشتمل علىٰ مفسدة.

والمُرجِئة: فرقة من فرق الإسلام، تزعم أنه لا يضرّ مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، سمّوا بالمرجئة لاعتقادهم أنّ الله أرجأ تعذيبهم علىٰ المعاصي، أي أخّره عنهم[٢].

يقال: «أرجأتُ الأمرَ، وأرجَيْته، ـ بالهمزة أو الياء ـ أخّرته، والنسبة إلىٰ المهموز: مُرْجِئٌ، وإلىٰ غيره: مُرجيٌّ، بياء مشددة عقيب الجيم»[٣].

والقَدَريّ ـ هنا ـ المراد به المفوّضة، وهم المعتزلة، وتطلق القدرية علىٰ المجبّرة أيضاً، وقد مرّ في الجزء الثالث الإطلاقان.

والحَرُورية: من فرق الخوارج، منسوبة إلىٰ حَرُوراء ـ بالمد والقصر وفتح الحاء فيهما ـ: قرية قريبة من الكوفة، كان أول اجتماعهم فيها[٤].

(جهميّ)، يقال: «رجل جهم الوجه، أي عبوس، وبه سمّي جهم بن صفوان، المنسوب إليه الجهمية قدماء الجبرية، يقولون: إنّ الإيمان هو المعرفة فقط، وأن العباد فيما ينسب إليهم كالشجر تحركه الريح، والفاعل الله»[٥].

ويقال: «بينهما قِيدُ شِبرٍ، وقادُ شبرٍ، أي قدره»[٦].

ومعلوم أنّ مفارقة إجماع الأمة يوجب ذلك؛ لأن معهم المعصوم، فمفارقتهم مفارقته، وهي توجب ذلك. وفيه دلالة علىٰ حجية الإجماع، ومرّ الكلام عليه في الجزء الثاني[٧].

والرِّبقة ـ في الأصل ـ: عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها أو رجلها،

---

(١) انظر: «لسان العرب» ج ٥، ص ٦٠، مادة «ذمم» أخذه بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «لسان العرب» ج ٥، ص ١٦٤، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «المغرّب» ص٩٨، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) انظر: «النهاية» ج ١، ص٣٦٦، مادة «حرر»؛ «المغرّب» ص ١١٠.

(٥) «المغرّب» ص٩٧، أخذه بتصرف.

(٦) انظر: «الصحاح» ج ٢، ص٥٢٩، مادة «قيد» بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٧) «هدي العقول» ج ٢، ص٢٧.

تمسكها عن الوقوع في الهلكة، ووجه التشبيه ظاهر. وتجمع الربقة علىٰ «رِبَق» كـ «كِسْرة» علىٰ «كِسَر»، وعلىٰ «رِباق» و «أرباق»[1]، مثل «قِدْح» و«أقداح»، و«حِمْل» و«أحمال».

وفي النهاية ـ في مادة «جذم» ـ: «ومنه حديث علي ﷺ (من نكث بيعته لقي الله وهو أجذَم، ليست له يد).

قال القتيبي: الأجذم ها هنا الذي ذهبت أعضاؤه كلها، وليست اليد أولىٰ بالعقوبة من باقي الأعضاء»[2].

والافتقار لها أحوج، وكذا الكناية بها عن القدرة، فمن فارق جماعة المسلمين ونكث بيعة الإمام جاء ولا قدرة له، فلا حجة ولا سبب له ينجيه، فهو عادم الخير؛ لأن نكث بيعته نكث بيعة الله وبيعة رسوله، وكذا مفارقة الجماعة.

وغير خفي أنّ العامة نكثوا بيعة علي ﷺ وردّوها في الغدير، وقبلُ وبعدُ في المدينة وغيرها، ومن أحاديثهم يلزمهم ذلك، وإن كانوا بمعزل عن سلوك الانصاف.

ثمّ غير خفي أنّ المراد بالجماعة التي من فارقها خلع ربقة الإسلام هي من أوجب الله طاعته كطاعته، وكذا [مبايعتهم][3] والردّ لهم، وليس إلّا المعصوم.

و[نسبة] العامة بمثل ذلك علىٰ صحة إجماعهم ـ كما وقع لبعضهم[4] ـ ظاهر الفساد. وبسط الكلام موكول إلىٰ مصنفات مفردة للإمامية.

وفي بعض النسخ في الحديث الأخير: (صفقة الإبهام)[5].

وأصل صفقة اليد: الضرب بها، كنّىٰ بها عن العقد؛ إذ فيه ضرب إحدىٰ اليدين بالأُخرىٰ، ولمّا كان ذلك باليد عبّر بالإبهام عنها ـ علىٰ النسخة الثانية ـ من باب تسمية الشيء بأعظم أجزائه.

* * *

---

(١) انظر: «النهاية» ج٢، ص١٩٠، مادة «ربق».

(٢) «النهاية» ج١، ص٢٥١، مادة «جذم»، صححناه علىٰ المصدر.

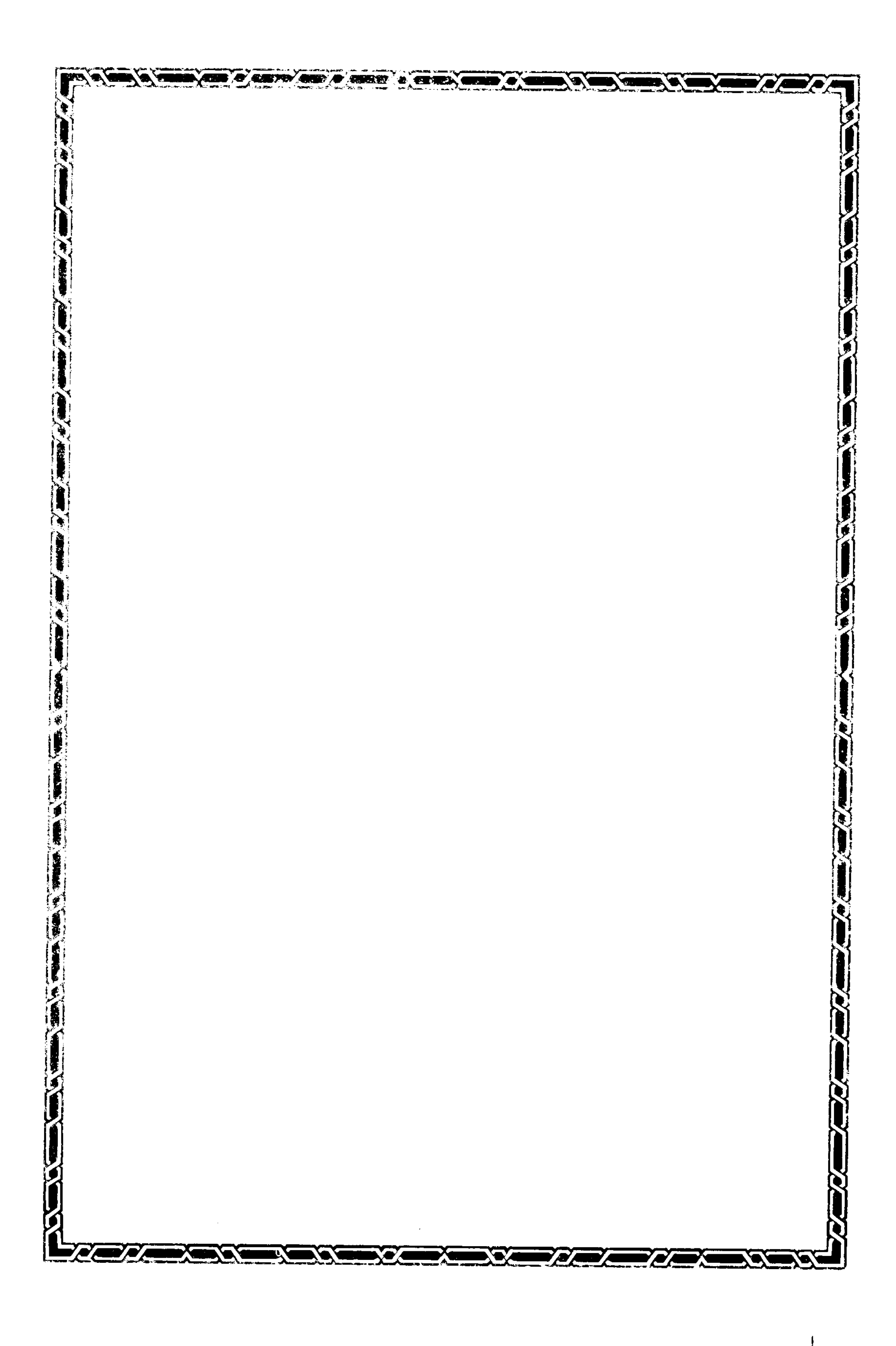
(٣) في الأصل: «مبايعهم».

(٤) «الإحكام في أُصول الأحكام» ج١، ص١٨٦.

(٥) في الأصل: (صفقة الإمام)، والمناسب ما أثبتناه. انظر: «الكافي» ج١، ص٤٠٥، هامش (١)؛ «شرح المازندراني» ج٧، ص٢٠؛ «مرآة العقول» ج٤، ص٣٣٣.

الباب الرابع بعد المائة

ما يجب من حق الإمام على الرعية وحق الرعية على الإمام



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب تسعة، ومضمونه تحقق عقلاً ونقلاً.

وما يجب للإمام على الرعية من الحق عائد نفعه لهم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ مَاسَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾[1]، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾[2] وهذا عائد لهم.

وحقهم أن يعرّفهم ما يناسب كلّاً بحسب أصل رتبته الوجودية، والعدل بينهم، وهو قد يوجب التسوية، وقد يوجب تفضيلاً. وكمال الطاعة لهم فيما يقولون ويأمرون ـ الموجب لقبول كلّ ما يعملون ويقولون ـ أن يسلّموا لهم في جميع ذلك، فإنه إنما أقامه الله مقامه في التبليغ في جميع ما يحتاج الخلق له، وهو أعلم منهم بما يصلحهم. وكل ذلك لازم معرفة الله المعرفة الممكنة بحسب القبول في مقامات الوجود، كلٌّ بحسبه، من السرّ إلىٰ الأفعال الظاهرة، فتأمّل.

واعلم أنه لا ينافي إخلاصهم في العمل قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ ﴾، وكذا قوله: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾[3]؛ فإن هذا بحسب ما يجب علىٰ من اهتدىٰ بهم، لأن شكر المنعم واجب، ولا يدل علىٰ أنّ الباعث لهم علىٰ التبليغ والتعريف ـ

---

(١) «سبأ» الآية: ٤٧.

(٢) «الشورىٰ» الآية: ٢٣.

(٣) «القلم» الآية: ٣.

لكلٍّ بحسبه ـ ذلك، كيف وسمعت قوله تعالىٰ: ﴿ مَاسَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾؟!

هذا، وغير خفي أنّ هذا المقام بحسب مقام الإمامة، وملاحظتهم بحسب تكميلهم الغير، أو قل: ظهور فاضل كمالهم في غيرهم بهم لهم، وهذه الغاية تعود لهم، دون مقام الأبواب، وهو دون المعاني، وهو دون البيان، كما تضمنه حديث جابر[1]، وليس هنا موضع بيان ذلك.

الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن أبي حمزة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: ما حقّ الإمام علىٰ الناس؟ قال: حقّه عليهم أن يسمعوا له ويطيعوا [أمره][2]. قلت: فما حقّهم عليه[3]؟ قال: يقسم بينهم بالسوية، ويعدل في الرعيّة، فإذا كان ذلك في الناس فلا يبالي من أخذ ها هنا وها هنا﴾.

الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، مثله، إلّا أنه قال: هكذا وهكذا وهكذا وهكذا، يعني [من] بين يديه وخلفه، وعن يمينه، وعن شماله﴾.

الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن مسعدة [بن صدقة]، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تختانوا ولاتكم، ولا تغشّوا هداتكم، ولا تجهّلوا أئمتكم، ولا تصدّعوا عن حبلكم، فتفشلوا وتذهب ريحكم، وعلىٰ هذا فليكن تأسيس أُموركم، والزموا هذه الطريقة، فإنكم لو عاينتم ما عاين من قد مات منكم، ممّن خالف ما قد تدعون إليه، لبدرتم وخرجتم ولسمعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريباً ما يطرح الحجاب﴾.

---

(١) «بحار الأنوار» ج ٢٦، ص ١٣، ح ٢.
(٢) ليست في المصدر.
(٣) في المصدر: «عليهم».

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن حنان بن سَدير الصيرفي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نُعيت إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله نفسه وهو صحيح ليس به وجع، قال: نزل به الروح الأمين، قال: فنادىٰ صلى الله عليه وآله: الصلاة جامعة، وأمر المهاجرين والأنصار بالسلاح، واجتمع الناس، فصعد النبيُّ صلى الله عليه وآله المنبرَ، فنعىٰ إليهم نفسه، ثمّ قال: أذكّر الله الوالي من بعدي علىٰ أُمتي إلّا ترحّم[1] علىٰ جماعة المسلمين، فأجلَّ كبيرهم، ورحم ضعيفهم، ووقّر عالمهم، ولم يضرّ بهم فيذلّهم، ولم يفقّرهم فيكفّرهم، ولم يغلق بابه دونهم فيأكل قويُّهم ضعيفَهم، ولم يخبزهم في بعوثهم فيقطع نسل أُمتي. ثمّ قال: قد بلّغت ونصحت فاشهدوا.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: هذا آخر كلام تكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ منبره﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿عن حبيب بن أبي ثابت، قال: جاء إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام عسل وتين من همدان وحُلْوان، فأمر العرفاء أن يأتوا باليتامىٰ، فأمكنهم من رؤوس الأزقاق يلعقونها، وهو يقسمها للناس قدحاً قدحاً. فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما لهم يلعقونها؟ فقال: إنّ الإمام أبو اليتامىٰ، وإنما ألعقتهم هذا برعاية الآباء﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦ ﴾

قوله: ﴿عن سفيان بن عيينة، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: أنا أولىٰ بكل مؤمن من نفسه، وعليٌّ أولىٰ به من بعدي. فقيل له: ما معنىٰ

---

(١) في المصدر: «يرحم».

ذلك؟ فقال: قول النبي ﷺ: من ترك دَيناً أو ضياعاً فعليَّ، ومن ترك مالاً فلورثته، فالرجل ليست له علىٰ نفسه ولاية إذا لم يكن له مال، وليس له علىٰ عياله أمر ولا نهي إذا لم يجر عليهم النفقة، والنبي وأمير المؤمنين عليهما السلام ومَن بعدهما ألزمهم هذا، فمن هناك صاروا أولىٰ بهم من أنفسهم، وما كان سبب إسلام عامّة اليهود إلّا من بعد هذا القول من رسول الله ﷺ، وأنهم أمنوا علىٰ أنفسهم وعلىٰ عيالاتهم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٧﴾

قوله: ﴿ عن صباح بن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: أيّما مؤمن أو مسلم مات وترك دَيناً لم يكن في فساد ولا إسراف فعلىٰ الإمام أن يقضيه، فإن لم يقضه فعليه إثمّ ذلك، إنّ الله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿ إنّما الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ والمَساكِينِ ﴾[1] الآية، فهو من الغارمين، وله سهم عند الإمام، فإن حبسه فإثمه عليه ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٨﴾

قوله: ﴿ عن حنان، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تصلح الإمامة إلّا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية علىٰ من يلي، حتىٰ يكون لهم كالوالد الرحيم.

وفي رواية أخرىٰ: حتىٰ يكون للرعية كالأب الرحيم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٩﴾

قوله: ﴿ عن رجل من طبرستان يقال له: محمد، قال: قال معاوية: ولقيت الطبري محمداً بعد ذلك فأخبرني، قال: سمعت علي بن موسىٰ عليه السلام

---

(١) «التوبة» الآية: ٦٠.

يقول: المُغرم إذا تديّن أو استدان في حق ـ الوهم من معاوية ـ أُجّل سنة، فإن اتسع، وإلّا قضىٰ عنه الإمام من بيت المال ﴾.

أقول: معنىٰ التسوية في القسمة: القسمة علىٰ عدد الرؤوس، وهي سيرة النبي ﷺ، ونكثها الثلاثة، وعلي عليه السلام عمل بها، فساوىٰ بين طلحة وغيره[١]. ومعلوم أنّ مقتضىٰ العدل ذلك، لا يعطىٰ الكبيرُ الكثيرَ وإن قلّ [عيلة][٢] وخبث فعلاً، وإنزال حق الضعيف وإن كان بالعكس، كفعل الظلمة، ولا شك أنهم ولاة جور.

فإذا ساوىٰ بينهم وسمعوا له وأطاعوا لا يبالي بمن مال عنهم إلىٰ أحد المذاهب، هاهنا أو هاهنا.

وقوله الثاني: (هكذا) ... إلىٰ آخره، أي بدل قوله: (هاهنا وهاهنا)، وهو الفرق بين الحديثين، والمعنىٰ واحد، وقد بُيّن بقوله: «يعني بين يديه» ... إلىٰ آخره.

وفي بعض النسخ: (هكذا) ـ أربعاً ـ وهو الموافق لقوله: «يعني» ... إلىٰ آخره؛ فإنه ذكر أربع جهات.

وفي بعضها: (هكذا) ـ ثلاثاً ـ وعدم ذكر اليمين.

وخانَهُ في كذا، خَوْناً وخِيانةً، واختانَهُ: عدّه خائناً، وخَوَّنَهُ: نسب الخيانة إليه[٣]. وهي تدخل في المال وغيره وأعضاء الإنسان، ومنه: خائنة الأعين.

والغِشّ ـ بالكسر ـ خلاف النّصح، والفعل: غَشَّه غِشّاً، من باب: قَتَلَ[٤].

(ولا تصدّعوا عن حبلكم)، أي لا تفرّقوا، والمراد بالحبل أئمة العصمة، فإنهم حبل ممدود، من تمسك به نجا. وإرادة القرآن لا يدفعه؛ فإنه لا يفارقهم ولا يكفي بدونهم.

ومعلوم أنّ مفارقتهم وشق الأمر دونهم يوجب الفشل؛ لتفرق الكلمة، وعدم المرابطة حسب أمرهم، وذهاب النصر وريح الإيمان والراحة، لأنها منهم، فلا تحصل [إلّا ببناء][٥] الأُمور علىٰ مبناهم وطوعهم، ولزوم طريقتهم المستقيمة المثلىٰ، وترك غيرها.

---

(١) «مناقب آل أبي طالب» ج ٢، ص ١٢٧ – ١٢٨. (٢) في الأصل: «علية».

(٣) «الصحاح» ج ٥، ص ٢١٠٩، مادة «خون»؛ «القاموس المحيط» ج ٤، ص ٣١٣ – ٣١٤، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) أنظر «الصحاح» ج ٣، ص ١٠١٣، مادة «غشش».

(٥) في الأصل: «الانبياء».

والنَعْي: خبر الموت، وهو يتعدىٰ بنفسه. يقال: «نَعَىٰ الميتَ، ينعاه نَعْياً ونَعِيّاً، إذا أذاع موته وأخبر به»(١).

(أذكّر) ـ بالتشديد ـ (الله الوالي من بعدي علىٰ أمتي)، أي أُخوفه وأحرضه علىٰ القيام بمصالحهم، يذكر الله إياه. والاستثناء في: (إلّا ترحّم علىٰ جماعة المسلمين)، هو المذكّر به والمطلوب منه، مثل الاستثناء في: ناشدتك إلّا جعلت كذا، فهي إيجابية.

فالمراد إثبات ما بعد (إلّا) من الترحّم والايجاب، والمراد زيادة التحريض والحرص، لا تخصيص أنّ المطلوب من الوالي ذلك خاصة لا غير؛ فإنه يُطلب منه أُمور أُخر، لكن القصد زيادة الحث كما عرفت.

فلو قلنا بالاستثناء المفرّغ هنا ضمناً، أي: ما أطلب منك إلّا الترحم، لا مشاحة فيه ولا محذور، ومن نفاه حذراً من توهم ما أشرنا له فغير وارد.

وقال ملّا محسن هنا: «(إلّا ترحّم)، استثناء من مقدّر، وهو: فيما يفعل ونحوه، يعني أن الأمر إليه في كل ما يفعل إلّا في الترحّم، فإنه لا يجوز له تركه وإهماله»(٢).

وهو كما ترىٰ.

وفي بعض النسخ: (ووقّر عاملهم)، وفي بعضها: (عاقلهم) بالقاف.

وقد يكون الفقر سبب الكفر، [و] في العباد من لا يصلحه إلّا الغنىٰ.

وفي الحديث النبوي: (كاد الفقر أن يكون كفراً)(٣).

وفي الحديث: (الفقر فخري، وبه أفتخر علىٰ سائر الأمم)(٤).

وفي الحديث أيضاً: (إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين)(٥).

ولا تنافي بينها؛ فله معانٍ، كما أبنّاه في غير هذا الموضع.

وفي بعض النسخ: (ولم يفرقهم)، أي لم يصر سبب تفرق كلمتهم.

---

(١) «لسان العرب» ج ١٤، ص ٢١٧، مادة «نعا» صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «الوافي» المجلد ٣، ص ٦٥٢.

(٣) «مشكاة المصابيح» ج ٣، ص ٨٢، ح ٥٠٥٠؛ «غوالي اللآلئ» ج ٢، ص ٧١، ح ١٨٤.

(٤) «غوالي اللآلئ» ج ١، ص ٣٩، ح ٣٨، وفيه: «الأنبياء» بدل: «الأمم».

(٥) «عدة الداعي» ص ١٠٦؛ «بحار الأنوار» ج ٦٩، ص ٥٥، ح ٨٥ صححناه علىٰ المصدر.

والكفر يطلق علىٰ معانٍ، فالمراد [به][1] كفر النعمة، وقد يؤول منه إلىٰ الكفر المقابل للإيمان.

ويقال: غَلَقتُ الباب دونه، أي سَدَدْتُه، وغلقه كناية عن منع الوالي القاصدَ له، وعدم المبالاة بأمورهم، فإن ذلك يوجب الهرج فيه، وتسلّط الظالم، وأكل القوي الضعيف.

(ولم يخبزهم في بعوثهم)، بالخاء المعجمة والباء الموحدة والزاي، من الخَبْز ـ بفتح الخاء المعجمة، والباء الموحدة الساكنة، فالزاء المعجمة ـ: السَّوق الشديد[2]، أي لم يسقهم سوقاً شديداً، ولم يجمعهم كملاً في بعثهم للجهاد؛ ابقاءً لهم وتلطفاً. وفي بعض النسخ بالجيم، من الإجبار.

والبُعُوث: الجيوش، جميع: بعث، وقولهم: في بعث فلان، أي في جيشه الذي بُعث معه[3].

وغير خفي دلالة هذه الصفات علىٰ اعتدال القوة العقلية والنفسية في قوىٰ العلمية والعملية بأقسامها، وهو شرط في الوالي، إذ لا تصلح الولاية بدونها.

و (العرفاء) جمع: عريف، بمعنىٰ «عارف»، وهم الذين يعرفون الناس ويعرّفونهم[4].

و (الأزقاق) جمع: زِق ـ بالكسر ـ وهو السِّقاء[5].

ولمّا كان عليه السلام الأب، بل أشفق، مكنهم من [الأزقاق][6]، وعلّل التمكين بقوله: (برعاية الآباء)، وهو يدل علىٰ تبعية الأبناء للآباء في الحكم، وعليه الفتوىٰ. والإمام أبو [الأيتام][7] وعلة فاعلية ومادية للمكونات، والنص به مستفيض، وكذا الاعتبار، كما بسطناه في موضعه.

وعن أحدهم عليه السلام: (المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، خلقهم من نوره، وصبغهم في رحمته)[8].

والضَّياع ـ بفتح الضاد ـ: العيال، وأما الضِّياع ـ بالكسر ـ فجمع: ضائع، كـ «جياع»، جمع

---

(١) في الأصل: «بهم». (٢) «الصحاح» ج ٣، ص ٨٧٦، مادة «خبز».

(٣) «الصحاح» ج ١، ص ٢٧٣، مادة «بعث» بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) انظر: «النهاية» ج ٣، ص ٢١٨، مادة «عرف». (٥) انظر: «الصحاح» ج ٤، ص ١٤٩١، مادة «زق».

(٦) في الأصل: «الازقة». (٧) في الأصل: «الايمان».

(٨) «بصائر الدرجات» ص ٨٠، ح ١، ٢، بتفاوت.

«جائع». والضَّيعة: ما يكون منه عيش الرجل[١].

و (المُغْرَم) ـ كـ«مُكْرَم» ـ أسير الدَّين والتدين، أن يركبه الدَّين بالعجز عن ثمن المتاع ونحوه.

وقوله: «الوهم من معاوية» من كلام الراوي، أي الشك في أحد اللفظين منه[٢].

وروىٰ الصدوق في الفقيه، عن أيوب بن عطية الحذّاء، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا أولىٰ بكل مؤمن من نفسه، ومن ترك مالاً فللوارث، ومن ترك دَيناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ)[٣].

وما تضمنه آخر الأحاديث ـ من أنّ الإمام يجب عليه قضاء دين من عليه دين إذا مات ولا مال له، وكذا عن الحي، كما في آخر الأحاديث، بشرط أن لا يكون دَينه في معصية، وكذا وجوب نفقة من لا مال [له] عليه ـ مما هو ظاهر المذهب والنصوص، إذ الصدقات مرجعها له، ولأنه أبرّ بالأُمة منهم، ونفقة الفقراء لو لم يكن لهم صدقات تكفيهم واجبة عليه، وليس هذا الحكم خاصاً بالإمام، بل النبي صلى الله عليه وآله كذلك.

* * *

---

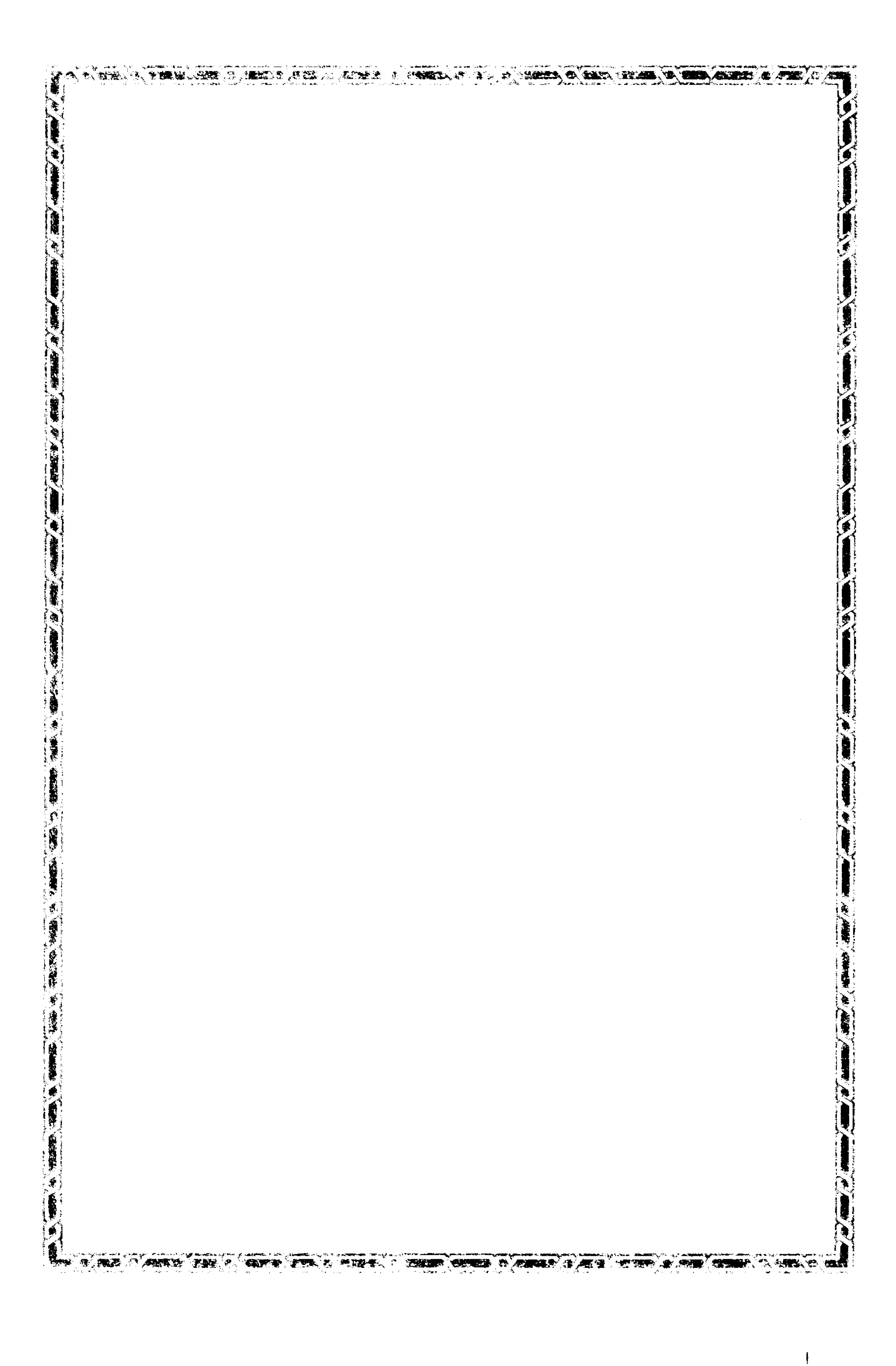
(١) انظر: «النهاية» ج٣، ص١٠٧، ١٠٨، مادة «ضيع».

(٢) انظر: «الوافي» المجلد ٣، ص٦٥٥، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «الفقيه» ج٤، ص٢٥٤، ح ٨١٨.

الباب الخامس بعد المائة

أن الأرض كلها للإمام عليه السلام



أضواء حول الباب

أقول: أحاديث الباب تسعة، ومضمونه ظاهر عقلاً ونقلاً.

الوجوه العقلية في أنّ الأرض للإمام

الوجه الأول: لأنه أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم، ولأن الناس عبيد لهم، وما بيد العبد لمولاه. نعم، هم عليهم السلام ملّكونا إياه، وهو لا يوجب رفع يدهم عنه وخروجه عن ملكهم. فما بأيدي العباد بمنزلة ما في يد العبيد، فمن أطاع كان ما يأكله حلالاً، وإلّا فهو حرام.

الوجه الثاني: ولأنه لو عجز الكل عن النفقه وجبت عليه، فتكون الأرض للإمام كما هو اللازم من ذلك.

الوجه الثالث: ولأنه هو المقصود، وغاية الخلق وما خلقت الأشياء لأجله، وبه العطاء والبسط، وهو الظاهر بجميع الأسماء، والواسطة في الإفاضة ظاهراً وباطناً، فما سواه لهم خلق أو من مقدماته، فتكون له، إلىٰ غير هذه الوجوه العقلية والنقلية.

تنوير توضيحي يتضمن بياناً حكمياً

اعلم أن عوالم الله كثيرة، وقد اختلفت الروايات في عددها، فروي: (وراء شمسكم هذه أربعون شمساً، ووراء قمركم هذا أربعون قمراً، مابين كل شمس وأُخرىٰ، وكذا مابين كل قمر

وآخر، مسير أربعين عاماً)[1].

وورد: (اثني عشر ألف عالم)[2].

وورد: (ثلاثمائة عالم)[3].

وفي الخصال: (لقد خلق الله تبارك وتعالىٰ ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، أنتم في آخر تلك العوالم وأُولئك الآدميين)[4].

وتفاصيلها تطلب من محل آخر، ولكل عالم شمس وقمر، وسماء وأرض، وكل الأرضين في هذه الأرض المحسوسة، لأن المحسوس نفس المجرد ظهوراً، لأنه عبارة عن انجماد المجرد ظهوراً، لأن المجرد إذا ظهر بالصور ثمّ بالمثال والطبيعة لحقته العوارض العنصرية المادية، فظهر بها مجسماً، وبمفارقتها كذلك يظهر المادي مجرداً صعوداً، وصفة كل مقام وحده ورسمه يبقىٰ فيه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادَىٰ كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾[5]، ﴿ كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[6].

وقال عليه السلام: (إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد)[7].

فأرض الآخرة البرزخية هي هذه الأرض، ولكن بعد مدّها ومفارقتها للأعراض المادية. وكذا أرض الآخرة هي أرض البرزخ، ولكن بعد مفارقتها لأعراضه، وكذا أرض النفوس، وأرض العقول، وأرض القابلية الأُولىٰ، وهي المشيئة المفعولية باعتبار قبولها للمشيئة الفعلية، واستدارة كل منهما علىٰ نفسه.

قال عليه السلام: (خلق الله المشيئة بنفسها، وخلق الأشياء بالمشيئة)[8].

---

(١) «بصائر الدرجات» ص٤٩٣، ح٩؛ «مختصر بصائر الدرجات» ص١٢، نقله بالمعنىٰ.

(٢) «الخصال» ص٦٣٩، ح١٤؛ «بحار الأنوار» ج٥٤، ص٣٢٠، ح٢.

(٣) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج٢، ص٤٣٥، وفيه عن ابن عباس: إنّ الله عزَّ وجلَّ خلق ثلاثمائة عالم وبضعة عشر عالماً...

(٤) «الخصال» ص٦٥٢، ح٥٤، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «الأنعام» الآية: ٩٤.

(٦) «الأعراف» الآية: ٢٩.

(٧) «غرر الحكم» ص٤٢٣، الرقم: ٧٥، صححناه علىٰ المصدر.

(٨) «الكافي» ج١، ص١١٠، باب الإرادة.. ح٤، وفيه: (ثمّ خلق) بدل: (وخلق).

وفي التوحيد: (وخلق الخلق)[1].

فإذن وجب من ذلك أن تكون للأرض معانٍ متعددة، بحسب الظاهر وظاهره، والباطن وباطنه، وكذا في السماء والماء وسائر المفردات. وفهم جميعه من نصوصهم ـ صريحاً أو ضمناً ولو بإشارة ـ غير خفي، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

فنقول هنا: الأرض تطلق ويراد بها أرض الجُرُز، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[3].

وتطلق ويراد منها النفوس، حتىٰ في هذه الآية، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾[4] فسّرت في نصوصهم[5] بفقد العلماء أو الشيعة. وتكون حينئذ مشتقة من الارتياض.

و[تطلق] علىٰ أرض القابليات.

و[تطلق] علىٰ القابلية الأُولىٰ.

و[تطلق] علىٰ الإمكان الراجح.

و[تطلق] علىٰ الزهراء عليها السلام، كما ورد في غير حديث.

فكل قابل للعالي هو أرض بالنسبة له، والعالي سماؤه، في كل شيء بحسبه، وكذا نفوس الأرضين السبع سماء لها، والأراضي السبع أرض لها، وهي غيب الأرضين السبع:

الأُولىٰ: أرض النفوس، وسماء الدنيا عليها قبة.

الثانية: ثمّ أرض الاستعداد، وهي فوق سماء الحياة، التي هي سماء الدنيا، وسماء الثانية سماء الفكر، فوقها قبة.

الثالثة: وأرض الطبع، فوق سماء الثانية، وسماء الخيال فوقها قبة.

الرابعة: ثمّ أرض الشهوة، فوق سماء الخيال [ثمّ أرض الشهوة فوقها]، وسماء الوجود فوق هذه الأرض.

---

(١) «التوحيد» ص١٤٨، ح١٩؛ ص٣٣٩، ح٨، وفيها: (ثمّ خلق الأشياء).

(٢) «يوسف» الآية: ٧٦. (٣) «الحج» الآية: ٥.

(٤) «الرعد» الآية: ٤١.

(٥) «الفقيه» ج١، ص١١٨، ح٥٦٠؛ «مجمع البيان» ج٦، ص٣٨٨.

الخامسة: ثمّ أرض الطغيان، فوق هذه الأرض، وسماء الوهم فوقها.

السادسة: ثمّ أرض الإلحاد، فوق سماء الوهم، وسماء العلم فوقها.

السابعة: ثمّ أرض الشقاوة، وهي الأرض السابعة، فوق سماء العلم، وسماء العقل فوقها قبة، والصور العلمية أرض العقول، والنفوس أرض له.

وبهذا زال الإشكال فيما روي عن الرضا عليه السلام، في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ والسَّماءِ ذاتِ الحُبُكِ ﴾[1]، كما نقلت في الصافي[2] وغيره[3].

وقول الكاشاني هنا فيها ـ كما في الصافي[4] ـ ضعيف.

وعنهم عليهم السلام: (**سقف الجنة العرش، وأرضها الكرسي**)[5].

وهذه الأرضين ضد الشمس وظلّها، فلا يستنير بها؛ لعدم المقابلة، وإن كان قوامها بها، لكن ذلك بأمر خارجي بمقتضىٰ عدل المشيئة والقبضة الجامعة. وتأمل في جسمك وظلّك، فتدبّر.

وإطلاق لفظ الأرض علىٰ هذه المعاني علىٰ سبيل الحقيقة بعد الحقيقة، وفي بعض علىٰ سبيل التشكيك، وهو ما كان في رتبة منها ذا أفراد عرضية، لا أنها حقيقة في واحد وما سواه مجاز، وكذا في سائر معاني الألفاظ، بل في تفسير القرآن بوجوه، ولا يلزم إشكال فيها، وليس هنا موضع بسطها.

ومعلوم أنّ ظهور الأرض التي منشؤها من القابلية الأولىٰ بالسماء ومنها، وأصل السماء سماء الأولىٰ وهم عليهم السلام، وباقي أقسامها من أشعتها، أو أظلتها، أو أظلة أظلتها، أو عكوس آثارها، أو أظلة عكوسها. فالأصل أصل لوجود الفرع، وصفته لصفته، في مقامه بحسب ظهوره.

فتعيّن من ذلك أنّ ما للفرع ملك للأصل في [مقام][6] الفرعية، وإن نسب ما للفرع لنفسه بملاحظته لنفسه، لكن النسبة الأولية ـ وهي نسبته لما فوقه ـ أقوىٰ وأعلىٰ.

فاتضح من ذلك أن الدليل الحكمي قائم علىٰ أنّ الأرض كلها للإمام، ملكاً واستحقاقاً،

---

(١) «الذاريات» الآية: ٧.
(٢) «التفسير الصافي» ج ٥، ص٦٨.
(٣) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص٣٣٦ - ٣٣٧.
(٤) «التفسير الصافي» ج ٥، ص٦٨.
(٥) انظر: «علم اليقين» ج ٢، ص٩٩٤، بتفاوت.
(٦) في الأصل: «مقامه».

كيف وإخراج النبات والمعادن وسائر منافعها إنما هو بدوران السماوات الفلكية ـ بما أُودع فيها من الملكوت ـ علىٰ العناصر الأرضية، فتخرج المواليد. ومحل الخزانة الكلية ومفاتيح الغيب هم عليهم السلام، فكل العالم بقَضّه وقضيضه ملك لهم عليهم السلام.

وفي القدسي: (خلقتك لأجلي، وخلقت الأشياء لأجلك)[1].

وفي التوقيع من الناحية القدسية: (ونحن صنائع ربنا، والخلق بعدُ صنائعنا)[2].

فإذا كانوا هم عليهم السلام العلة الفاعلية والمادية والصورية والغائية، كيف لا يملكون الكون ملكاً استحقاقياً أولياً ذاتياً ؟! وليس هو إلّا ظهور كماله، أو كمال كماله، أو شبح شبحه، أو ظل عكوس آثارهم، فكيف لا يملكون الكل ؟!

هذا، وغير خفي أنّ مالك الذوات أولىٰ بملك صفاتها، وبسط ذلك مما يطول، والدليل [متواتر][3] ـ عقلاً ونقلاً ـ من وجوه كثيرة لا تخفىٰ علىٰ من له أدنىٰ معرفة نورانية بحالهم عليهم السلام، والله الموفق.

ومنها: مافي الدعاء من الناحية: (فبهم ملأت سماءك وأرضك)[4]... إلىٰ آخره، (وبمشيتك التي دان لها كلّ شيء)[5]. وهذا في النصوص والأدعية والزوائر طافح، فتفطّن.

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام: ﴿ إنَّ الأرضَ للهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالعاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ ﴾[6] أنا وأهل بيتي الذين أورثنا اللهُ الأرضَ، ونحن المتّقون، والأرض [كلّها] لنا، فمن أحيا أرضاً من المسلمين فليعمّرها وليؤدّ خراجها إلىٰ الإمام من أهل بيتي، وله ما أكل منها، فإن تركها أو أخربها

---

(١) «علم اليقين» ج١، ص٣٨١، باختلاف يسير.

(٢) «الاحتجاج» ج٢، ص٥٣٦، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) في الأصل: «المتواتر».

(٤) «مصباح المتهجد» ص٧٤٠، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «بحار الأنوار» ج٨٧، ص٩٧، وفيه: (العالمون) بدل: (كل شيء).

(٦) «الأعراف» الآية: ١٢٨.

وأخذها رجلٌ من المسلمين [من] بعده فعمّرها وأحياها فهو أحق بها من الذي تركها، يؤدي خراجها إلىٰ الإمام من أهل بيتي، وله ما أكل منها، حتىٰ يظهر القائم من أهل بيتي بالسيف، فيحويها ويمنعها ويخرجهم منها، كما حواها رسول الله ﷺ ومنعها، إلّا ما كان في أيدي شيعتنا، فإنه يقاطعهم علىٰ ما في أيديهم، ويترك الأرض في أيديهم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿ عن [معلّىٰ بن محمد، قال: أخبرني] أحمد بن محمد بن عبد الله، عمّن رواه، قال: الدنيا وما فيها لله تبارك وتعالىٰ ولرسوله ولنا، فمن غلب علىٰ شيء منها فليتق الله، وليؤدّ حقّ الله تبارك وتعالىٰ، وليبرّ إخوانه، فإن لم يفعل ذلك فالله ورسوله ونحن بُرَآء منه ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿ عن عمر بن يزيد، قال: رأيت مسمعاً بالمدينة، وقد كان حمل إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام تلك السنة مالاً فردّه أبو عبد الله عليه السلام، فقلت له: لِمَ ردّ عليك أبو عبد الله عليه السلام المال الذي حملته إليه؟ قال: فقال لي: إني قلت له حين حملت إليه المال: إني كنت ولّيت البحرين الغوص فأصبت أربعمائة ألف درهم، وقد جئتك بخُمسها بثمانين ألف درهم، وكرهت أن أحبسها عنك وأن أعرض لها، وهي حقك الذي جعله الله تبارك وتعالىٰ في أموالنا.

فقال: أوَ ما لنا من الأرض وما أخرج الله منها إلّا الخُمس؟! يا أبا سيّار، إنّ الأرض كلّها لنا، فما أخرج الله منها من شيء فهو لنا. فقلت له: وأنا أحمل إليك المال كلّه؟ فقال: يا أبا سيّار، قد طيّبناه لك وأحللناك منه، فضمّ إليك مالك، وكلّ ما في أيدي شيعتنا من الأرض فهم فيه محلّلون، حتىٰ يقوم قائمنا، فيجبيهم طَسْق ما كان في أيديهم، ويترك الأرض في أيديهم، وأما

ما كان في أيدي غيرهم فإن كسبهم من الأرض حرام عليهم، حتىٰ يقوم قائمنا، فيأخذ الأرض من أيديهم، ويخرجهم صغرة .

قال عمر بن يزيد: فقال لي أبو سيّار: ما أرىٰ أحداً من أصحاب الضّياع ولا ممّن يلي الأعمال يأكل حلالاً غيري، إلّا من طيّبوا له ذلك ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: أما علىٰ الإمام زكاة، فقال: أحلتَ يا أبا محمد، أما علمت أنّ الدنيا والآخرة للإمام، يضعها حيث يشاء، ويدفعها إلىٰ من يشاء، جائزٌ له ذلك من الله . إنّ الإمام يا أبا محمد لا يبيت ليلة أبداً ولله في عنقه حق يسأله عنه ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿عن يونس بن ظبيان، أو المعلّىٰ بن خنيس، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما لكم من هذه الأرض؟ فتبسم ثمّ قال: إنّ الله تبارك وتعالىٰ بعث جبرئيل عليه السلام وأمره أن يخرق بإبهامه ثمانية أنهار في الأرض، منها سَيْحان وجَيْحان، وهو نهر بَلْخ، والخشوع، وهو نهر الشاش، ومِهران، وهو نهر الهند، ونيل مصر، ودجلة والفرات، فما سقت أو استقت فهو لنا، وما كان لنا فهو لشيعتنا، وليس لعدوّنا منه شيء إلّا ما غصب عليه، وإنّ ولينا لفي أوسع فيما بين ذه إلىٰ ذه ـ يعني بين السماء والأرض ـ ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ قُلْ هِيَ للّذينَ آمَنُوا في الحَياةِ الدُّنْيا ﴾ المغصوبين عليها ﴿ خالِصَةً ﴾ لهم ﴿ يَومَ القِيامَةِ ﴾[1] بلا غصب ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن الريّان، قال: كتبت إلىٰ العسكري عليه السلام: جعلت

---

(١) «الأعراف» الآية: ٣٢.

فداك، روي لنا أن ليس لرسول الله ﷺ من الدنيا إلّا الخُمس. فجاء الجواب: إنّ الدنيا وما عليها لرسول الله ﷺ ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٧ ﴾

قوله: ﴿عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: خلق الله آدم وأقطعه الدنيا قطيعة، فما كان لآدم عليه السلام فلرسول الله ﷺ، وما كان لرسول الله ﷺ فهو للأئمة من آل محمد عليهم السلام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٨ ﴾

قوله: ﴿عن حفص بن [البختري][1] عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ جبرئيل عليه السلام كري برجله خمسة أنهار ـ ولسان الماء يتبعه ـ: الفرات، ودجلة، ونيل مصر، ومهران، ونهر بَلْخ، فما سقت أو سقي منها فللإمام، والبحر المطيف بالدنيا [للإمام]﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٩ ﴾

قوله: ﴿عن [السري][2] بن الربيع، قال: لم يكن ابن أبي عمير يعدل بهشام بن الحكم شيئاً، وكان لا يغبّ إتيانه، ثمّ انقطع عنه وخالفه، وكان سبب ذلك أنّ أبا مالك الحضرمي كان أحد رجال هشام، ووقع بينه وبين ابن أبي عمير مُلاحاة في شيء من الإمامة.

قال ابن أبي عمير: الدنيا كلّها للإمام عليه السلام على جهة الملك، وأنه أولىٰ بها من الذين هي في أيديهم.

وقال أبو مالك: [ليس] كذلك، أملاك الناس لهم، إلّا ما حكم الله به للإمام من الفيء والخُمس والمغنم فذلك له، وذلك أيضاً قد بيّن الله للإمام أين يضعه وكيف يصنع به.

---

(١) في الأصل: «البحتري».

(٢) في الأصل: «السندي».

فتراضيا بهشام بن الحكم وصارا إليه، فحكم هشام لأبي مالك علىٰ ابن أبي عمير، فغضب ابن أبي عمير وهجر هشاماً بعد ذلك ﴾.

أقول: روىٰ الشيخ في التهذيب[1] الحديثَ الأول، والثالثَ إلىٰ: (صفرة).

وروىٰ الصدوق في الفقيه[2] الحديثَ الثامن، وزاد: (وهو أفسيكون).

وفيه: عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما علىٰ الإمام من الزكاة؟ فقال: (يا أبا محمد، أما علمت) ... الحديث[3].

[ويقال][4]: تَبَرَّأْتُ من كذا، وأنا بَرَاء منه، لا يثنّىٰ ولا يُجمع، لأنه مصدر في الأصل، مثل: سَمِع سَماعاً، فإذا قلتَ: أنا بريءٌ منه، ثنّيتَ وجمعتَ، وقلتَ في الجمع: نحن منه بُرَآء - مثل: فقيه وفقهاء - وبِراء، مثل: كريم وكِرام، وأبراء أيضاً، مثل: شريف وأشراف، وأبرياء، مثل: نصيب وأنصباء، وبريؤون، ورجل بريء، وبُراء، مثل عجيب وعُجاب[5].

و[حَبَيْتُ][6] كذا: أخذته.

والطَّسْق - بالفتح -: ما يوضع من الخَراج علىٰ الجُربان، أو شِبْهُ ضريبةٍ معلومة، وكأنه مُوَلَّد أو مُعَرَّب. كذا في القاموس[7].

و (صَغَرة) - بالتحريك - جمع «صاغر»، كالكَتَبة، جمع «كاتب»، والصاغر: الراضي بالذل والهوان[8].

والضِّياع - بالكسر - جمع: ضَيْعة، وهي العَقار أي الأرض. كذا في الصحاح[9].

وقال ابن الأثير: «ضَيعةُ الرجلِ: ما يكون منه معاشه، كالصّنعة والتجارة والزراعة وغير ذلك»[10].

---

(١) «تهذيب الأحكام» ج ٤، ص ١٤٤، ح ٤٠٣؛ ج ٧، ص ١٥٢، ح ٦٧٤.

(٢) «الفقيه» ج ٢، ص ٢٤، ح ٩١. (٣) «الفقيه» ج ٢، ص ٢٠، ح ٧١.

(٤) في الأصل: «فيقال».

(٥) «الصحاح» ج ١، ص ٣٦، مادة «برأ»، باختصار، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) في الأصل: «جئت».

(٧) «القاموس المحيط» ج ٣، ص ٣٧٥، باختصار، صححناه علىٰ المصدر.

(٨) «القاموس المحيط» ج ٢، ص ١٠٠، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٩) «الصحاح» ج ٣، ص ١٢٥٢، مادة «ضيع»، نقله بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(١٠) «النهاية» ج ٣، ص ١٠٨، مادة «ضيع»، باختصارٍ ما.

ويقال: «أحالَ الرجلُ: أتىٰ بالمُحال وتكلم به»[١]، والمُحال من الكلام ـ بالضم ـ: ما عُدِل به عن وجهه[٢].

(بإبهامه) أي بإبهام رجله؛ للحديث الآخر: (إن جبرئيل كري برجله)، وكَـرِيَ النـهرَ ـ كـ «رَضِيَ» ـ استحدثَ حَفرَه[٣].

وفي النهاية: «سَيْحان وجَيْحان: وهما نهران بالعواصم عند المَصيصَة وطَرطُوس»[٤].

والمَصِيصة ـ بكسر الصاد المخففة ـ: بلد بالشام[٥].

وفي الصحاح: «سَيْحان: نهرٌ بالشام، وساحِين: نهرٌ بالبصرة، وسَيْحون: نهرٌ بالهند»[٦]، «وجَيْحُون: نهر بَلْخ، وجَيْحان: نهر بالشام»[٧].

وفي القاموس: «سَيْحان: نهرٌ بالشام، وآخر بالبصرة، وسَيْحون: نهرٌ بما وراء النهر، ونهرٌ بالهند»[٨].

وفي القاموس: أن «الشاش بلد بما وراء النهر... وشُوشَة: موضع بأرض بابل بقربها قبر ذي الكِفْل»[٩].

و(مِهران) ـ بالكسر ـ: نهرٌ بالسند[١٠]. و(نيل) ـ بالكسر ـ: نهر مصر.

وفي المغرّب أيضاً: «النيل: نهر مصر، وبالكوفة نهرٌ يقال له: النيل»[١١].

وفي المغرّب: «دجلة ـ بغير حرف التعريف ـ: نهر بغداد... وإنما سمّيت بذلك لأنها تدجل أرضها، أي تغطيها بالماء إذا فاضت»[١٢].

وفي القاموس: «الفُرات ـ كغُراب ـ. الماء العذب جدّاً، ونهرٌ بالكوفة»[١٣].

ويعتبر في الاستقاء ما لا يعتبر في السقي من المبالغة في الكسب والاحتمال.

---

(١) «الصحاح» ج ٤، ص ١٦٨٠، مادة «حول». (٢) «لسان العرب» ج ٣، ص ٤٠٠، مادة «حول».

(٣) «القاموس المحيط» ج ٤، ص ٥٥٤، بتصرف.

(٤) «النهاية» ج ١، ص ٣٢٣، مادة «جيح»، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «القاموس المحيط» ج ٢، ص ٤٦٦.

(٦) «الصحاح» ج ١، ص ٣٧٧، مادة «سيح»، صححناه علىٰ المصدر.

(٧) «الصحاح» ج ٥، ص ٢٠٩١، مادة «جحن»، باختصارٍ ما.

(٨) «القاموس المحيط» ج ١، ص ٤٦٦. (٩) «القاموس المحيط» ج ٢، ص ٤٠٣، باختصار.

(١٠) انظر: «القاموس المحيط» ج ٢، ص ١٩٣. (١١) «المغرّب» ص ٤٧٣.

(١٢) «المغرّب» ص ١٦١، صححناه علىٰ المصدر. (١٣) «القاموس المحيط» ج ١، ص ٣٣٣.

ويقال: «عَدَلتُ بفُلانٍ فُلاناً، أي سَوَّيت بينهما»[١].

والغِبّ: إتيانه كل يوم، أو يوماً فيوماً، وهو الظاهر. «وكان لا يغبُّ إتيانه» أي لا يترك يوماً، بل يأتيه كل يوم[٢].

ولاحاهُ ـ مُلاحاةً ولِحاءً ـ: نازَعَهُ، كذا في القاموس[٣].

وفي بعض النسخ في الحديث الأخير: «هم ...» بدل «هي في أيديهم».

وفي بعضها أيضاً: «قال أبو مالك: ليس له أملاك الناس».

ثمّ غير خفي أنّ قوله تعالىٰ: ﴿ إنَّ الأرْضَ لِلهِ يُورِثُها مَن يَشاءُ ﴾ الآية[٤]، صريحة في أنّ الأرض كلها للإمام ملكاً واستحقاقاً، وملك غيره لما في يده سبيل ملك العبد لما في يده، ولهذا من عصاهم وخالفهم ما يأكله حرام وغصب.

وإنّ الأرض لله بلا منازع، وهم عليهم السلام مراد الله ومشاؤه، اذ لا أقرب ولا أخص وأفضل، فهم محل مشيئته، كما روي[٥]، فغيرهم [بعده] من مشيئتهم، وقد حكم بإيراثهم الأرض، فهي لهم.

فقول ابن أبي عمير هو الحق الموافق للقرآن والأخبار وصحيح الاعتبار، وقول أبي مالك الحضرمي تلميذ هشام بخلاف ذلك، بل ما بأيدي الناس لهم، ملكاً ظاهراً وباطناً، كما هو الظاهر، وخلافه غلط ظاهر، كما عرفت.

و[لاقتضاء][٦] الأولوية ذلك، ولامرية في أنّ محمداً وآله صلوات الله عليهم أولىٰ بالناس من أنفسهم وأموالهم، أولوية استحقاق ووجوب، بل علّية ومعلولية.

وقول بعض العلماء: «إنّ النزاع بينهما لفظي»[٧] ليس كذلك، بل صلح من غير تراضيهما، وإلّا لم ينقطع عنه بعد أن كان لا يغبّ زيارته، بل معنوي.

ويتفرع عليه غصبية بعض وعدمه، وكمال الأولوية وعدمها، وأنه لو فُرض ـ والعياذ بالله ـ وقعت مجاعة، وعند رجل طعام، فهل للإمام أن يأخذه وإن تلف صاحبه، فليس هو

---

(١) «الصحاح» ج٥، ص١٧٦١، مادة «عدل» بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) انظر: «لسان العرب» ج١٠، ص٦، مادة «غبب».

(٣) «القاموس المحيط» ج٤، ص٥٥٨.

(٤) «الأعراف» الآية: ١٢٨.

(٥) «المحتضر» ص١٢٨؛ وفيه: «إنّ الإمام وكر لإرادة الله عزّ وجلّ، لا يشاء إلّا ما شاء الله».

(٦) في الأصل: «الاقتضاء».

(٧) «مرآة العقول» ج٤، ص٣٥٦، بتصرف.

| أولىٰ | به، أو يتوقف علىٰ رضاه، أو يكون من باب ارتكاب أهون الضررين؟

إلىٰ غير ذلك من الوجوه الحِكمية، ليس هنا مقام بسطها.

ويدل أيضاً علىٰ ما اخترناه أنه لا خلاف في أنّ أول ما خلق الله آدم في الأرض، وليس إلّا هو مع امرأته وابنه، ولامرية في ملكيته الأرض بقضّها، بل كان أولىٰ، وليس غيره. وكل نبي لاحق تنتقل إليه مواريث النبي السابق، كسائر مواريث الأنبياء، وهذه منها، فمحمد وآله كذلك، بل وأعلىٰ وأعظم بكثير؛ فإنه أفضل وأشرف وأعلىٰ.

فـائدة

في ذكر الأنهار وخواصّها وعجائب أحوالها

هذه الثمانية الأنهار هي العظام، وإلّا ففي الأرض غيرها، لكنه منها، ولا ينافي رجوع بعضها لبعض أيضاً، ومياهها تنصب إلىٰ المحيط، ومبدأ انصبابها من الجنة، كما ورد[1] في الفرات، وإن كان دجلة ممن أنكر الولاية، كما روي[2]، لأنها ممن اُريدت عرضاً، ولهذا اكتسبت الحلاوة عرضاً وجواراً، والذي أقرّ بالولاية أربعة أنهر، والفرات أفضل. ولا ينافي [هذا][3] اجتماعها ظاهراً.

وإمدادها من أعالي جبال مثلجة متصلة، ولهذا قد تزيد وتقصر، فإن ذاك باعتبار الأسباب الملكوتية، وهذا بحسب ظاهر القوابل المُلكية، وقد ورد[4] مثله أيضاً في البقول والفواكه. ولأكثرها مبدأ، إلّا الفرات فإنه لم يقف له علىٰ مبدأ انقطاعي، لأنه يصبّ فيه من الإقليم الثامن، وإن زاد ونقص، وغيره كالفروع منه.

ولننقل لك بعض تفاصيل هذه الأنهر، [وأنقل][5] من كتاب «عجائب المخلوقات»،

---

(١) «الكافي» ج ٣، ص ٢٤٧، باب جنة الدنيا، ح ١ وفيه: (إن لله جَنّة خلقها الله في المغرب، وماء فراتكم يخرج منها)..

(٢) «كامل الزيارات» ص ١١١، ح ١١٥، وفيه: (نهران كافران: نهر بلخ ودجلة).

(٣) في الأصل: «هنا».

(٤) «المحاسن» ج ٢، ص ٣٣٦، ح ٢١٥٢؛ «بحار الأنوار» ج ٦٣، ص ٢٠١، ح ٥؛ ص ٢٠٤، ح ١٧، ١٨؛ ص ٢٠٦، ح ١، ٢، ٤.

(٥) في الأصل: «ونقل».

ولست أستثبت جميع ما نُقل فيه، لكن المراد الاستئناس بها، وإنّ نقله في هذه ليس بالبعيد.

وقد نقل فيها عن صاحب كتاب **تحفة الغرائب**: «إنّ في هذا الربع المسكون مائتين نهراً طوال، منها ما طوله من خمسين فرسخاً إلىٰ مائة فرسخ، إلىٰ ألف فرسخ»[1] انتهىٰ.

فقال في جَيْحُون: «قال الإصطخري: نهر جيحون يخرج من حدود بدخشان، ثمّ ينضم إليه أنهار كثيرة في حدود الجبل ووحش، فيصير نهراً عظيماً، ثمّ يمرّ علىٰ مدن كثيرة حتىٰ يصل إلىٰ خوارزم. وهذا النهر يجمد في الشتاء عند اشتداد البرد ويصير قطعاً، ثمّ يلتحم الجامد فيصير قطعة واحدة، حتىٰ تعود سطحاً واحداً علىٰ وجه الماء، ويثخن جرم الجَمْد حتىٰ يصير في سُمك خمسة أشبار، ويستحكم حتىٰ يمرّ عليه القوافل والعجلات المحملة. والماء يجري من تحت الجمد، فيحفر أهل خوارزم فيه آباراً بالمعاول؛ يستقون منها الماء، ويبقىٰ كذلك شهرين. فإذا انكسر البرد تقطع وعاد لحالته الأُولىٰ، وهو نهر صعب قتّال، قلّ أن ينجو منه غريق»[2].

«**نهر مِهران** بالسند من الأنهر العظام، عرضه عرض جيحون، يجري من المشرق إلىٰ المغرب، ويقع في بحر فارس. قال الإصطخري: إنه يخرج من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون، ويظهر بملطان، ثمّ علىٰ المنصورة، ثمّ يقع في البحر. وفيه تماسيح كما في مصر، إلّا أنها أصغر وأضعف. ويمتد هذا النهر علىٰ وجه الأرض، ويزرع عليه كما يزرع علىٰ النيل»[3].

وفي النص[4] أنه نهر بالهند، فالظاهر التعدد.

و«**نهر دجلة**: نهر بغداد، مخرجه من أصل جبل بقرب آمد عند حصن ذي القرنين.

---

(١) «عجائب المخلوقات» المطبوع ضمن: «حياة الحيوان الكبرىٰ» ج٢، ص١٢١ بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «عجائب المخلوقات» المطبوع ضمن «حياة الحيوان الكبرىٰ» ج٢، ص١٢٢، أخذه بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «عجائب المخلوقات» المطبوع ضمن «حياة الحيوان الكبرىٰ» ج٢، ص١٢٥، أخذه بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «الكافي» ج١، ص٤٠٩، باب أن الأرض كلّها للإمام عليه السلام، ح٥.

تخاض فيه الدواب، ويمتد إلىٰ مياه فارقين، ثمّ إلىٰ حصن كَيْفا، ثمّ إلىٰ جزيرة ابن عمر، ثمّ إلىٰ الموصل، وينصب فيه الرايات، ومنها يعظم إلىٰ بغداد، ثمّ إلىٰ واسط، ثمّ إلىٰ البصرة، ثمّ ينصب في بحر فارس. وماء دجلة من أعذب المياه وأصفاها وأخفها وأكثرها نفعاً؛ لأن مجراه من مخرجه إلىٰ مصبه في العمارات»[١].

و«نهر الفرات مخرجه من بلاد أرمينية، ثمّ من قاليقلا قرب أخلاط، ثمّ إلىٰ ملطية، ثمّ إلىٰ سميساط، ثمّ إلىٰ الرقة، ثمّ الىٰ غانة، ثمّ إلىٰ هيت، ثمّ ينصب بعضه في دجلة وبعضه في بحر فارس. وللفرات فضائل كثيرة»[٢].

وأقول: قد روي في ذلك أحاديث كثيرة من طريقنا[٣].

قال: «**نهر النيل**، ليس في الدنيا نهر يزيد وينقص بترتيبٍ غير نيل مصر، وليس في الدنيا نهر يزيد ويمد في شدة الحر حين تنقص الأنهار كلّها إلّا نيل مصر، وكلما زاد الحرّ كان أوفر لزيادته، وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع علىٰ نيل مصر، ولا يجيء من خراج نهر من أنهار الدنيا ما يجيء من خراج ما يسقيه نيل مصر، وليس في الدنيا أطول منه؛ لأنه مسيرة شهر في بلاد الإسلام، وشهرين في بلاد النوبة، وأربعة أشهر في الخراب. ومخرجه من بلاد جبل القمر خلف خط الاستواء، يخرج من البحر الأسود المظلم، ويدخل تحت جبل القمر»[٤].

وحكي عن [عبقام][٥] وهزهيمن الأول أن الشياطين حملته إلىٰ هذا الجبل المعروف بالقمر، ورأىٰ النيل كيف يخرج من البحر الأسود |و|يدخل تحت جبل القمر. وبنىٰ عبقام ـ هذا ـ في سفح ذلك الجبل باستخدام الجان قصراً، فيه خمسة وثمانون تمثالاً من نحاس، جعلها جامعة لما يخرج من الماء من الجبل، بمعاقد ومَصابّ مدبّرة بحكمة نفيسة وأذرع

---

(١) «عجائب المخلوقات» المطبوع ضمن «حياة الحيوان الكبرىٰ» ج ٢، ص ١٢٢، أخذه بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «عجائب المخلوقات» المطبوع ضمن «حياة الحيوان الكبرىٰ» ج ٢، ص ١٢٤، أخذه بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «الكافي» ج ٦، ص ٣٨٨، باب فضل ماء الفرات.

(٤) «عجائب المخلوقات» المطبوع ضمن «حياة الحيوان الكبرىٰ» ج ٢، ص ١٢٥ – ١٢٦، أخذه بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) في الأصل: «عيقام».

معدودة، فينصب إلىٰ أنهار كثيرة، فتتصل [بالبطيحتين](١)، ويخرج الماء منها حتىٰ يصل إلىٰ [البطيحة](٢) الجامعة.

وبنىٰ علىٰ هذه [البطيحة](٣) مدينة للسودان تسمىٰ طرحي، و[بالبطيحة](٤) جبل معترض، ويشقها ويخرج للشمال مغرباً، ويخرج النيل منها نهراً واحداً، ويفترق في أرض فرقة علىٰ أقصىٰ المغرب، عليها أكثر بلاد السودان، والفرقة التي تنصب إلىٰ مصر فتقسم في مجرىٰ البلاد علىٰ أربع فرق، كل فرقة منها إلىٰ ناحية، ثمّ تنصب في [البحيرة](٥) الملحة التي تنتهي إلىٰ الاسكندرية.

والأذرع التي صنعها عبقام هي ثمانية عشر ذراعاً، لكل ذراع اثنان وثلاثون إصبعاً، وما زاد علىٰ ذلك فهو يعدل عن تلك الصور يميناً وشمالاً إلىٰ مشارب تخرج من تحت القصر، فتنصب في رمال و[غياض لا ينفعه] فيها، ولولا ذلك لغرقت البلاد.

وقيل: إن سيحون وجيحون والنيل والفرات كلها تخرج من زبرجدة خضراء من جبل عالٍ هناك، وتسلك علىٰ البحر المظلم، وهي أحلىٰ من العسل، وأذكىٰ من المسك، ولكنها تتغير بتغير المجاري.

«وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلىٰ الشمال، ويمدّ في شدة الحرّ، حين تنقص الأنهار كلها، ويزيد بترتيب وقانون، وينقص كذلك، إلّا النيل. والسبب في مده ـ زيادته ـ أن الله يبعث الريح الشمالي، فيقلب عليه البحر المالح، فيصير كالسكن له، فيزيد حتىٰ يعمّ الربىٰ والتلال، فإذا بلغ حد الري بعث الله عليه الريح الجنوب، فأعاد البحر الىٰ مكانه وذهبت الزيادة.

ولما كان زمان يوسف اتخذ لمصر معياراً يعرف به قدر الزيادة والنقصان فيزرعون عليه، فإذا زاد علىٰ قدر الكفاية يستبشرون بخصب السنة. وذلك المقياس عمود قائم في وسط بركة علىٰ شاطئ النيل، ولها طريق إلىٰ النيل يدخل منها الماء إذا زاد، وعلىٰ ذلك العمود خطوط معروفة عندهم، يعرفون بوصول الماء إليه مقدار زيادته، وكانت كفايتهم في ذلك الوقت أن يزيد أربعة عشر ذراعاً. فإذا استوىٰ الماء ـ كما ذُكر ـ ملأ أرض مصر

---

(١) في الأصل: «بالبطنجين»، وما أثبتناه وفقاً لما في «الروض المِطار» ص٥٨٧.

(٢) في الأصل: «البطنجة».

(٣) في الأصل: «البطنجة».

(٤) في الأصل: «بالبطنجة».

(٥) في الأصل: «البحر».

جميعها وركبها، فإذا شبعت الأرض واستوفت ريّها انكشفت تربتها بتناقص الماء، وزرع عليها أصناف الزرع، ويكتفي زرعها بتلك الشربة»[١].

حكي أنّ رجلاً من ولد العيص ابن إسحاق ـ يسمىٰ حائذ ـ لمّا دخل مصر ورأىٰ عجائبها، والنيل وأحكامه، آلىٰ علىٰ نفسه أنه لا يفارق ساحل النيل حتىٰ يرىٰ منتهاه أو يموت، فسار ثلاث سنين في العمران، وثلاث سنين في الخراب، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ بحر أخضر، فرأىٰ النيل يشق ذلك البحر، فركب دابة هناك فغدت به، فوقع في أرض هي وجبالها وأشجارها من حديد، ثمّ وقع في أرض هي وجبالها وأشجارها من فضة، ثمّ وقع في أرض هي وجبالها من ذهب، ورأىٰ للجبل أربعة أبواب، في وسطه قبة لها أربعة منافذ يخرج منها الماء، ثلاثة تغيض في الأرض، والرابع يجري علىٰ وجه الأرض، فالثلاثة سيحون وجيحون والفرات، والرابع النيل[٢].

ومن الأنهر: «نهر مكران، وهو نهر عظيم، عليه قنطرة من الحجر قطعة واحدة، من عبر عليها يتقيأ جميع ما في بطنه، ولو كانوا ألوفاً كان هذا حالهم، فمن أراد من الناس القيء عبر علىٰ تلك القنطرة»[٣].

و«نهر اليمن، قال صاحب تحفة الغرائب: بأرض اليمن نهر يجري عند طلوع الشمس من المشرق إلىٰ المغرب، وعند غروب الشمس يجري من المغرب إلىٰ المشرق»[٤].

و«نهر هندمند، وهو بسجستان، ينصب فيه ألف نهر، ولا تتبين فيه زيادة أصلاً، ويتشعب منه ألف نهر، ولا يظهر فيه نقصان»[٥].

ونهر العامود بالهند، عليه شجرة باسقة من حديد، وتحتها عامود من جنسها، ارتفاعه

---

(١) «عجائب المخلوقات» المطبوع ضمن «حياة الحيوان الكبرىٰ» ج ٢، ص ١٢٥ - ١٢٦، أخذه بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «معجم البلدان» ج ٥، ص ٣٣٨، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «عجائب المخلوقات» المطبوع ضمن «حياة الحيوان الكبرىٰ» ج ٢، ص ١٢٥، باختلاف يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «عجائب المخلوقات» المطبوع ضمن «حياة الحيوان الكبرىٰ» ج ٢، ص ١٢٧، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «عجائب المخلوقات» المطبوع ضمن «حياة الحيوان الكبرىٰ» ج ٢، ص ١٢٦، باختلاف، صححناه علىٰ المصدر.

عشرة أذرع، وفي رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة رؤوسها، وعنده رجل يقرأ كتاب الله تعالىٰ، ويقول للنهر: يا عظيم البركة وسبيل الجنة، أنت الذي خرجت من عين الجنة، وطوبىٰ لمن صعد هذه الشجرة وألقىٰ نفسه علىٰ هذا العامود وصار إلىٰ الجنة. ويصعد رجل أو أكثر إلىٰ الشجرة، ويلقي نفسه علىٰ العامود، ويقع في الماء، ويفرحون أهله بما فعل، ويدعون له بالمصير إلىٰ الجنّة[1].

وفي الهند نهر آخر، من عجائبه أن تحضر رجال بسيوف، إذا أراد رجل أن يتقرب إلىٰ الخالق فيلبس حُللاً وحُلِياً وأطواق الذهب والأساور، وما قدروا عليه، ويطرحونه في النهر بما عليه، ويخرجونه ويقطعونه بسيوفهم نصفين، فيضعون كلاً في مكان، ويختص القاتلون بجميع ما عليه.

ونهر المُلْتان بالهند.

وليس علىٰ وجه الأرض نهر يشبه النيل في حلاوته وزيادته ونقصانه، والزرع عليه أعظم منه، وفي زيادته تنصب فيه ألف نهر، وكذا في النقصان، ولا يتغير حاله.

«**ونهر الذهب** بالشام.

ونهر الرأس بأذربيجان.

ونهر الزاب بين الموصل وإربل، يبتدئ من أذربيجان، وينصب في دجلة. يقال له: الزاب المجنون؛ لشدة جريه.

ونهر زرير، وهو بأرض أصفهان، موصوف بالحلاوة واللطافة.

ونهر زوبر بأذربيجان.

ونهر سنجة بأرض مصر، بين حصن المنصور وكيسوم، لا يتهيأ خوضه؛ لأن قراره رمل سيّال.

ونهر صقلاب، عظيم، يجري فيه الماء كل أسبوع يوماً واحداً، وينقطع ستة أيام، ثمّ يجري في السابع، وهذا دأبه»[2].

وذكر أنهاراً أُخر أيضاً، منها: نهر أذربيجان، ونهر أسفار، ونهر حصن المهدي، ونهر

---

(١) انظر: «المستطرف» ج ٢، ص ٢٩٨.

(٢) «عجائب المخلوقات» المطبوع ضمن «حياة الحيوان الكبرىٰ» ج ٢، ص ١٢٣ - ١٢٤، بتصرف، صححناه علىٰ المصدر.

جريح[1]. والاختصار أوجب طيّها.

تنبيه

في فضل نهر الفرات

روىٰ الكليني في كتاب الأشربة من الكافي، عن الصادق ﷺ، أنّ الفرات (**يصبّ فيه ميزابان من الجنة**)[2].

وعنه ﷺ أنه يدفق فيه كل يوم دفقات من الجنة[3].

وعن أمير المؤمنين ﷺ: (**نهركم هذا يصبّ فيه ميزابان من ميازيب الجنّة**). قال: فقال أبو عبد الله ﷺ: (**لو كان بيننا وبينه أميال لأتيناه نستشفي به**)[4].

ونقل أحاديث تتضمن الفضل في تحنيك الأولاد به حال الولادة[5].

وكذا روىٰ أبو القاسم ابن قولويه في كامل الزيارات[6] أحاديث في فضل الفرات، والشرب من مائه، والغسل فيه.

وروي عن أمير المؤمنين ﷺ قال: (**الماء سيد شراب الدنيا والآخرة، وأربعة أنهار في الدنيا من الجنة: الفرات، والنيل، وسيحان، وجيحان. الفرات الماء، والنيل العسل، وسيحان الخمر، وجيحان اللبن**)[7].

وعنه ﷺ: (**الفرات سيد المياه في الدنيا والآخرة**)[8].

وورد أنه يداف فيه كل يوم قيراط من مسك الجنة[9].

---

(١) «عجائب المخلوقات» المطبوع ضمن «حياة الحيوان الكبرىٰ» ج ٢، ص ١٢٢، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «الكافي» ج ٦، ص ٣٨٨، باب فضل ماء الفرات، ح ١.

(٣) «الكافي» ج ٦، ص ٣٨٨، باب فضل ماء الفرات، ح ٢.

(٤) «الكافي» ج ٦، ص ٣٨٨، باب فضل ماء الفرات، ح ٣، باختلاف يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «الكافي» ج ٦، ص ٣٨٩، باب فضل ماء الفرات، ح ٥.

(٦) «كامل الزيارات» ص ١٠٦، باب فضل الفرات وشربه والغسل فيه.

(٧) «كامل الزيارات» ص ١٠٦، ح ٩٩.

(٨) «كامل الزيارات» ص ١٠٦، ح ١٠٤.

(٩) «الكافي» ج ٦، ص ٣٨٩، باب فضل ماء الفرات، ح ٦، وفيه: (إن مَلَكاً يهبط من السماء في كل ليلة، معه ثلاثة مثاقيل مسكاً من مسك الجنة، فيطرحها في الفرات).

وورد فيه أيضاً: ماء الفرات |دواء| لما شرب له ـ كما روي[١] في ماء زمزم ـ ولولا ما مازجه عرضاً وداخَلَه ما شرب منه ذو عاهة ومرضٍ إلّا شفي[٢]، كما ورد[٣] في الحجر الأسود.

وعن عبد الله بن سليمان، قال: لمّا قدم أبو عبد الله عليه السلام إلىٰ الكوفة، في زمن أبي العباس، فجاء علىٰ دابته في ثياب سفره، حتىٰ وقف علىٰ جسر الكوفة، ثمّ قال لغلامه: (اسقني)، فأخذ كوز ملاح فغرف له به وأسقاه، فشرب والماء يسيل من شدقيه علىٰ لحيته وثيابه، ثمّ استزاده فزاده، ثمّ استزداه فزاده، فحمد الله ثمّ قال: (نهر ما أعظم بركته، أما إنه يسقط فيه كل يوم سبع قطرات من الجنة، أما لو علم الناس مافيه من البركة لضربوا الأخبية علىٰ حافتيه، أما لولا ما يدخله من الخاطئين ما اغتمس فيه ذو عاهة إلّا برئ)[٤].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (نهران مؤمنان، ونهران كافران، نهران كافران، نهر بَلْخ ودجلة، والمؤمنان نيل مصر والفرات، فحنّكوا أولادكم بماء الفرات)[٥].

وقد روىٰ الصدوق في الفقيه[٦] والشيخ في التهذيب[٧] بعض ما ذكرناه.

* * *

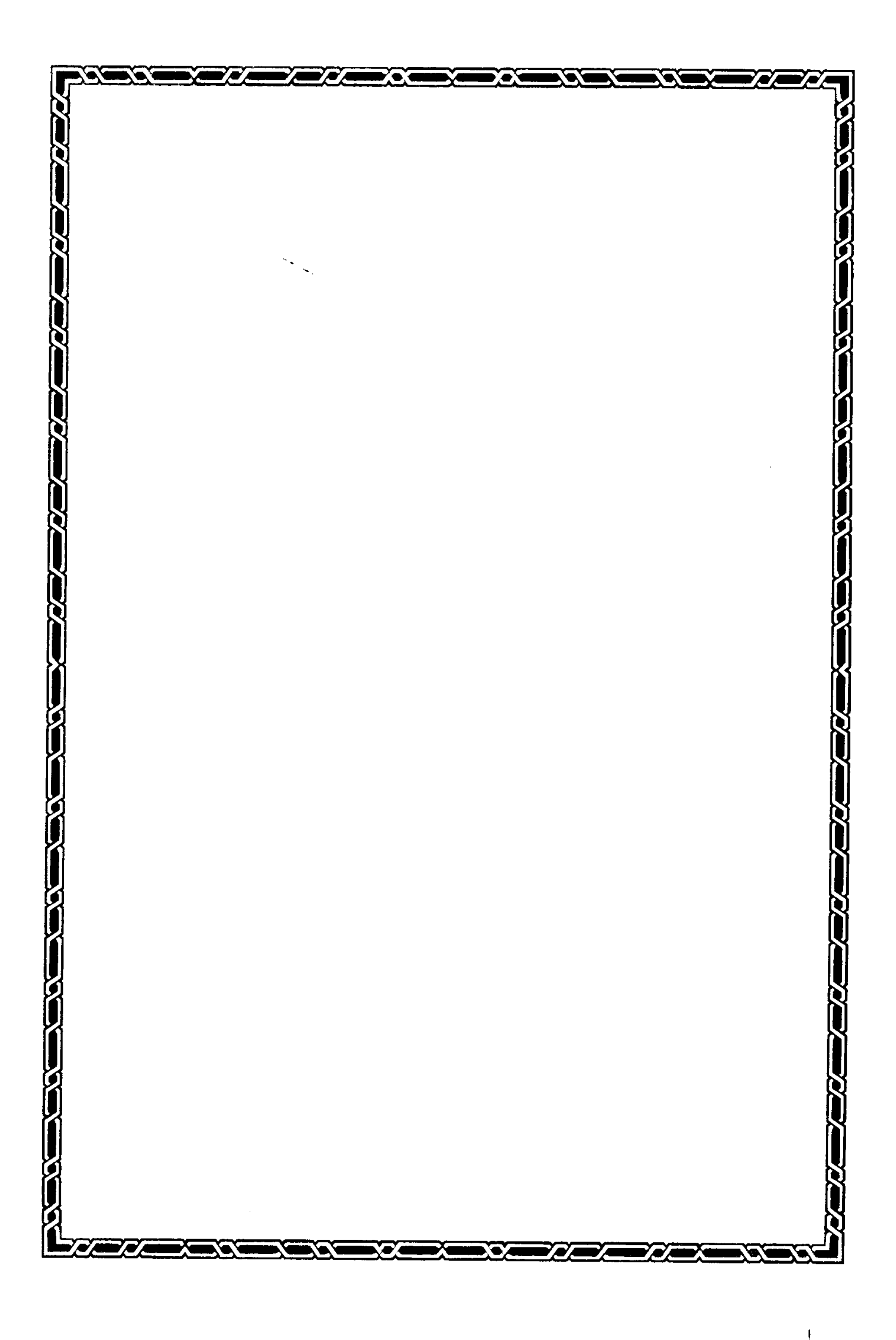
(١) «الكافي» ج٦، ص٣٨٧، باب فضل ماء زمزم.. ح٥، وفيه: (ماء زمزم دواء مما شُرب له).

(٢) «كامل الزيارات» ص١٠٩، ح١٠٧. (٣) «الفقيه» ج٢، ص١٢٥، ح٥٤١.

(٤) «كامل الزيارات» ص١٠٩، ح١٠٧؛ «تهذيب الأحكام» ج٦، ص٣٨، ح٨١، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «كامل الزيارات» ص١١١، ح١١٥؛ «بحار الأنوار» ج٩٧، ص٢٣٠، ح٢٠، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) «الفقيه» ج٢، ص١٢٥، ح٥٤١. (٧) «التهذيب» ج٦، ص٣٨، ح٧٨، ٨١.



الباب السادس بعد المائة

سيرة الإمام في نفسه وفي المطعم والملبس إذا ولي الأمر

أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب أربعة، وما تضمنته ظاهر، وإن لبس بعضهم خلاف ذلك، مراعاة للزمان، وإن لبسوا ما يراعي أنفسهم باطناً بخلافه. ولباس القائم لباس علي، وكذا سيرته[1]، وإن ظهر بالتأويل.

❑ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن حميد وجابر العبدي، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله جعلني إماماً لخلقه، ففرض عليَّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي، كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يُطغي الغنيَّ غناه﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٢﴾

قوله: ﴿عن المعلّى بن خنيس، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام يوماً: جعلت فداك، ذكرت آل فلان وما هم فيه من النعيم فقلت: لو كان هذا إليكم

---

(١) انظر: ذيل الحديث الرابع من هذا الباب.

لعشنا معكم. فقال: هيهات [هيهات][١] يا معلّىٰ، أما والله أن لو كان ذاك ما كان إلّا سياسة الليل وسياحة النهار، ولبس الخشن، وأكل الجَشب، فزوي ذلك عنّا، فهل رأيت ظلامة قطّ صيّرها الله تعالىٰ نعمةً الّا هذه ؟ ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿ [عن][٢] علي بن محمد، عن صالح بن أبي حمّاد وعدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد وغيرهما، بأسانيد مختلفة، في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ عاصم بن زياد حين لبس العباء وترك الملاء، وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام أنه قد غمّ أهله وأحزن ولده بذلك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: عليَّ بعاصم بن زياد، فجيء به، فلما رآه عبس في وجهه، فقال له: أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك، أترىٰ الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أخذك منها؟! أنت أهون علىٰ الله من ذلك، أوَ ليس الله يقول: ﴿ والأرْضَ وَضَعَهَا لِلأنامِ * فِيها فاكِهَةٌ والنَّخلُ ذاتُ الأكْمامِ ﴾[٣]؟ أوَ ليس [الله] يقول: ﴿ مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ * بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُما اللُّؤْلُؤ وَالمَرْجانُ ﴾[٤]، فبالله لَا بتذال نِعمِ الله بالفعال أحبّ إليه من ابتذاله لها بالمقال، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[٥].

فقال عاصم: يا أمير المؤمنين، فعلىٰ ما اقتصرت في مطعمك علىٰ الجشوبة، وفي ملبسك علىٰ الخشونة؟ فقال: ويحك، إنّ الله عزَّ وجلَّ فرض علىٰ أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفة الناس، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره. فألقىٰ عاصم بن زياد العباء ولبس الملاء ﴾.

---

(١) ليست في المصدر.
(٢) ليست في المصدر.
(٣) «الرحمن» الآية: ١٠ – ١١.
(٤) «الرحمن» الآية: ١٩ – ٢٢.
(٥) «الضحىٰ» الآية: ١١.

الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن حمّاد بن عثمان، قال: حضرت أبا عبد الله عليه السلام، وقال له رجل: أصلحك الله، ذكرت أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم، وما أشبه ذلك، ونرىٰ عليك اللباس الجديد؟ فقال له: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر [عليه]، ولو لبس مثل ذلك اليومَ شهّر به، فخير لباس كل زمان لباس أهله، غير أنّ قائمنا أهل البيت عليهم السلام إذا قام لبس ثياب عليّ عليه السلام، وسار بسيرة علي عليه السلام﴾.

أقول: قَدْرُ الشيء: مَبْلَغه[1]، وتقديره: تعيينه، والتقدير: [التضييق][2] أيضاً، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ﴾[3]، وليس بمراد هنا. والمَشْرب المصدر.

والمراد أنه فرض علىٰ الإمام |في| نفسه بحسب أحوالها، وفي مطعمه ومشربه وملبسه أن يكون في ذلك كضعفاء الرعية، وعلل ذلك بما فيه بيان السياسة النوعية والحكمة الإلهية، وهو اقتداء الفقير به، فلا يجد ماهو عليه نفرة ويستحقر نفسه؛ لما يرىٰ الإمامَ الأعظمَ عليه في ذلك، وتواضع الغني للفقير وعدم تكبره؛ لرؤيته أفضل الكل كذلك، مع أنه بيده خزائن الأرض، بل العوالم، وكلها طوعه.

فإن كونه كذلك لا لعجز فيه ولا فقر، وإلّا لم يكن إماماً وخليفة، بل لما بيّن الإمام فيه من الحِكم، وغيرها أيضاً مما لم نذكره، كلّة يدل علىٰ التواضع وعدم التكبر.

والمراد بـ(آل فلان): بنو العباس.

والمراد بـ(سياسة الليل): الرياضات النفسانية الواقعة فيه، والتدبير لأُمور الأُمة والنظر إليها.

والسياحة في النهار: الذهاب في الأرض للجهاد وتحصيل المعاش، والأنسب هنا الصوم. وورد: (سياحة أُمتي الصيام)[4]. وما يستعمل في الزمن السابق في الأُمة السابقة فنُسِخَ.

---

(١) «الصحاح» ج ٢، ص٧٨٦، مادة «قدر» صححناه علىٰ المصدر.

(٢) في الأصل: «الضيق». (٣) «الطلاق» الآية: ٧.

(٤) «تفسير القرطبي» ج٨، ص٢٧٠؛ «بحار الأنوار» ج٦٦، ص٣٥٦.

والجَشب ـ بالجيم المفتوحة ـ الغليظ، أو بلا أُدْم[1].

وزُوي عنّا كذا، أي صُرِف[2]. والظُّلامة ـ بالضم ـ: الحق الذي أُخذ من صاحبه ظلماً[3].

والمراد أن المعلّىٰ لمّا عرف أنّ الأرض للإمام، وعرف غصب هؤلاء لهم، |قال ذلك| ليحصل له التوسعة في |المعيشة|.

وأجابه الإمام بقوله: (هيهات هيهات) أي بُعداً بُعداً لما توهمت، ولو كان كذلك لم يكن إلّا عكس ما تريد، لأنه يجب علىٰ الإمام التقدير ـ كما عرفت ـ والقيام بالسياسة ليلاً ونهاراً، وهو خلاف مقصدك، وهذا مما لا تطيقه الأُمة مطلقاً، فزوي حتىٰ يبلغ الكتاب أجله. و[...][4] فأنتم حينئذ في راحة، مما يوجب رجوع أمر الخلافة لهم، عجّل الله به.

فلما بيّن له ذلك وقال: (فهل رأيت ظُلامة قطُّ صيّرها الله تعالىٰ) ... إلىٰ آخره، فبيّن له أن ماهم عليه ظُلامة ظاهرة لا تخفىٰ؛ لعدم قيامهم بما يجب علىٰ الوالي في نفسه وبالنسبة إلىٰ أُمته، وقد صيّرها الله نعمة لهم؛ لأنهم كفّار، و(الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)[5]، فهي نصيبهم، فهي نعمة لهم وعذاب.

ويحتمل أنها نعمة عليهم؛ حيث أسقط عنهم الجهاد والسياسة.

ولبس الخشن[6] وأكل الجشب كلّه رضاء بقضاء الله وامتثالاً لأمره، فهو لهم غصب وظلامة، وعليهم نعمة وسلامة، فهم عليه مظلومون، ومع ذلك فظلمهم نعمة عليهم.

ثمّ لا ينافي ذلك لبس مثل علي بن الحسين وأبي جعفر وغيرهما اللباس الحسن، كالخز وغيره، فإنه يلبس ذلك اللباس أيضاً، وإن لبس هذا دنياً؛ إظهاراً للنعمة، فإن الله يحب إظهارها قولاً وفعلاً، والتحدث بها كذلك، وفي الحروب وأمثالها؛ لمزايا. وهذا لا ينافي كون سيرته ما قلناه سابقاً، أو أنه يراعي الزمان واختلافه، فإذا قلّت الفقراء وظهرت الثروة وعمّت جاز ذلك، ولم يكن فيه ترك للسيرة.

ويدل علىٰ هذا صريح الحديث الأخير: (فخير لباس كل زمان لباس أهله)، والأمير في كل زمن من يراعي التقدير في جميع حالاته بالنسبة، بما يصلح حال الضعيف والقوي،

---

(١) «القاموس المحيط» ج١، ص١٧١، بتفاوت يسير.

(٢) انظر: «لسان العرب» ج٦، ص١١٩، مادة «زوي».

(٣) انظر: «المغرّب» ص٢٩٩.

(٤) فراغ في الأصل.

(٥) «غوالي اللآلئ» ج١، ص٩٥، ح٤.

(٦) في الأصل: «وليس الحسب ولبس الخشب». والمناسب ما أثبتناه.

فقد يوجب لبس الفاخر، وقد لا يوجبه.

هذا، والإمام في هذه الحالة أيضاً لا يلبس إلّا الخشن باطناً، دون الناعم، لاكحال مثل زهّاد العامة. فعلىٰ كل تقدير لا تنافي.

فروىٰ المصنّف في هذا الكتاب أنّ سفيان الثوري رأىٰ في المسجد الصادقَ عليه السلام، وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان، فقال: والله لآتينه ولأوبّخنه، فدنا منه فقال له: يابن رسول الله، ما لبس رسول الله مثل هذا اللباس، ولا عليٌّ ولا أحد من آبائك؟!

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله في زمان قتر مقتر، وكان يأخذ لقتره واقتداره، وإنّ الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها*، فأحق أهلها بها أبرارها ـ ثمّ تلا ـ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾[1]، ونحن أحق من أخذ منها ما أعطاه الله عزّ وجلّ. غير أني يا ثوري، ما ترىٰ عليّ من ثوب إنما ألبسه للناس)، ثمّ أخذ بيد سفيان فجرّها إليه، ثمّ رفع الثوب الأعلىٰ وأخرج ثوباً علىٰ جلده غليظاً، ثمّ قال: (هذا ألبسه لنفسي، وما رأيته للناس)، ثمّ جذب ثوباً علىٰ سفيان أعلاه غليظ خشن، وداخل ذلك ثوب ليّن، فقال: (لبست هذا الأعلىٰ للناس، ولبست هذا لنفسك تسرّها)[2].

فقد أجابه [الصادق عليه السلام][3] بجوابين، أحدهما بالفعل، ومرّ بيانهما.

وروىٰ عدة أحاديث تتضمن لبسهم الفاخر، ولا ينافيه قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ﴾ الآية.

ومنها: ما رواه عن الوشّاء، عن الرضا عليه السلام، قال: سمعته يقول: (كان علي بن الحسين عليه السلام يلبس في الشتاء الخزّ، والمطرف الخزّ، والقلنسوة الخزّ، فيشتو فيه، ويبيع المطرف في الصيف ويتصدق بثمنه، ثمّ يقول: ﴿ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾)[4].

أو لبيان أنه لم يحرم ذلك عليهم أو أنهم تمكنوا منه وتركوه.

وروىٰ محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن الرضا عليه السلام، في حديث طويل، إلىٰ أن قال لي: (ما تقول في اللباس الخشن؟) فقلت: بلغني أنّ الحسن كان يلبس، وأن جعفر بن محمد كان يأخذ الثوب الجديد فيأمر به فيغمس في

(*) العزالي: جمع العزلاء، وهو فم المَزادة، أي الراوية. انظر: «مجمع البحرين» ج ٥، ص ٤٢٢، مادة «عزل».

(١) «الأعراف» الآية: ٣٢.

(٢) «الكافي ج٦، ص ٤٤٢، باب اللباس، ح٨، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) في الأصل: «علي».

(٤) «الكافي» ج٦، ص ٤٥١، باب لبس الخز، ح ٤.

الماء، فقال لي: (البس وتجمّل، فإن علي بن الحسين عليه السلام كان يلبس الجبة الخز بخمسمائة درهم، والمطرف الخز بخمسين ديناراً، فيشتو فيه، فإذا خرج الشتاء باعه وتصدّق بثمنه)، وتلا الآية[1]، ومرّت.

وروىٰ نحوه العياشي[2].

وفي أمالي الشيخ[3] وغيره[4] أحاديث دالة علىٰ لبس المعصوم اللباس الفاخر، وأنهم استدلوا ـ علىٰ من أنكر عليهم ـ بمثل يوسف، وهو نبي. وقد جمع الله الدنيا والآخرة لأقوام، فطوبىٰ لهم؛ لبسوا وأكلوا من الحلال الطيّب، ونكحوا أحسن المناكح، وهم في الآخرة ناجون، وبالبشرىٰ والورع يلاقون.

وليس هذا بمنافٍ للاقتداء بهم والزهد، فكم متكبر وهو فقير غير متواضع حقير، بل من يرىٰ نفسه كذلك أحق بالتواضع وعدم التكبر. ولهذا لمّا شُكي لعليٍّ حال عاصم بن [زياد][5] في لبسه العباء وتركه الملاء، أي اللباس اللين؛ ظناً منه أنّ ذلك المناسب، ردّ علي عليه السلام وبيّن له الحال من كتاب الله، من جهة خلقه لها وأنها لنا، وأمره بالتحدث بالنعم، و[ابتذالها][6] بالفعال أقوىٰ من المقال؛ إذ لا تخلّف في دلالة الفعال، ولهذا أجمعت العقلاء علىٰ أن الشكر الفعلي أقوىٰ من القولي.

ثمّ بعد ذلك رجع بعد أن سأل علياً عليه السلام عن العلة في اقتصاره في ملبسه ومطعمه، مع أنه يأمره ذلك، فأجابه علي عليه السلام بالفرق، وهو ظاهر.

* * *

---

(١) «تفسير البرهان» ج ٢، ص ١٢، ح ٩، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر. والآية قوله تعالىٰ في: «الأعراف» الآية: ٣٢.

(٢) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ١٨، ح ٣١؛ ص ١٩، ح ٣٤.

(٣) «أمالي الشيخ الطوسي» ص ٢٤ - ٣١، ح ٣١، وفيه في وصف المتقين: (شاركوا أهل الدنيا في دنياهم... ولبسوا من أفضل ما يلبسون)..

(٤) «الكافي» ج ٦، ص ٤٥٣، باب لبس الحرير والديباج، ح ٥.

(٥) في الأصل: «يزيد». (٦) في الأصل: «ابداها».

الباب السابع بعد المائة

نادر

أضواء حول الباب

أقول بمعنىٰ أحاديث متفرقة لم يُعَنونوا لها عنواناً يجمعها، أو عُنونت في الأصل كذلك، أو وقف عليها بعد ختم الباب فلم تُعنوَن، لا أن أحاديثها نادرة، بل موافقة للكتاب والسنّة المستفيضة، ومتضمنة أيضاً لتفسير الباطن والظاهر والتأويل، فتفطّن.

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن أيوب بن نوح، قال: عطس يوماً وأنا عنده، فقلت: جعلت فداك، ما يقال للإمام إذا عطس؟ قال: يقولون: صلّىٰ الله عليك﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن عمر بن زاهر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سأله رجل عن القائم يسلّم عليه بإمرة المؤمنين؟ قال: لا، ذاك اسم سمّىٰ الله به أمير المؤمنين عليه السلام، لم يسمَّ به أحدٌ قبله، ولا يتسمّىٰ به بعده إلّا كافر. قلت: جعلت فداك، كيف يسلّم عليه؟ قال: يقولون: السلام عليك يا بقيّة الله. ثمّ

قرأ: ﴿ بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[1] ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن أحمد بن عمر، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام: لِمَ سمّي أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: لأنه يميرهم العلم، أما سمعت في كتاب الله: ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾[2]؟

وفي رواية أُخرىٰ: قال: لأن ميرة المؤمنين من عنده، يميرهم العلم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: لِمَ سمّي أمير المؤمنين؟ قال: الله سمّاه، وهكذا أنزل في كتابه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[3] وأنّ محمداً رسولي، وأنّ علياً أمير المؤمنين عليه السلام ﴾.

أقول: اعلم أنّ للإمام التمايز عن الأُمة ذاتاً وصفة وفعلاً، وكذا فيما يخاطب به، ولمّا كان الإمام معصوماً منزهاً، وقول: «يرحمكم الله» يدل عرفاً علىٰ وصمة ما للمدعو له بذلك، نزّه قدر الإمام، وكان في التسمية يقال له: صلىٰ الله عليك. علىٰ أنّ صلاتنا علىٰ محمد وآله ترجع فائدتها لنا، كما يدل عليه حديث الروضة من الكافي[4].

وفي الزيارة الجامعة: (وجعل صلواتنا عليكم وما خصنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا)[5].

هذا بمقام من مقاماتهم عليهم السلام، ويجوز أيضاً أن تكون للصلاة فائدة تعود لهم عليهم السلام، وإن لم [يوجب][6] استكمالهم بنا، ولاكوننا أقرب، ويدل عليه بعض النصوص أيضاً، من غير منافاة بينها، كيف، ولا يصل لنا نفع إلّا بواسطتهم، ومن فاضل إمدادهم؟ فتأمّل. وليس هنا موضع بسط هذه المسألة.

---

(١) «هود» الآية: ٨٦.
(٢) «يوسف» الآية: ٦٥.
(٣) «الأعراف» الآية: ١٧٢.
(٤) «الكافي» ج٨، ص ٢٣٠، ح ٤١٤.
(٥) «الفقيه» ج ٢، ص ٣٧٢، ح ١٦٢٥.
(٦) في الأصل: «يوجد».

ولنا في الصلاة عليهم عليهم السلام رسالة مفردة، تكلمنا فيها علىٰ هذه المسألة مبسوطاً، وفي غيرها أيضاً.

ومعلوم أنّ أحداً من الأئمة لم يتسمّ بأمير المؤمنين عليه السلام بعد علي عليه السلام، وإن كان أميراً حقاً ويتصف بها معنىً، لكن لا ذلك المعنىٰ.

وقد روي[1] عنهم عليهم السلام الردّ علىٰ من سمّاهم بها، ونصوّا علىٰ أنها خاصة بعلي عليه السلام، فهو أول الأوصياء، ومميرهم العلم، فإنه تفصيل إجمال الرسول لغيره، وبابه للصاعد والنازل. وهذا من تفسير ظاهر الظاهر، ويجتمع هنا مع الباطن. وما سمّي بها غيره ورضي إلّا ولد زنا أو منكوح في عِجانه، وسمّيت بها أئمة الضلال، ورضوا به.

وبقية الشيء: ما بقي منه، والبقية أيضاً: ما ينتظر وجوده ويترقب ظهوره. والإمام الثاني عشر بقية الأوصياء والأنبياء.

ولا ينافي تفسير الآية بهذا تفسير البقية بطاعة الله والحالة الباقية[2]؛ فهذا ظاهر، وذلك باطن.

و(مِيْرة) ـ بكسر الميم وسكون الياء ـ: الطعام يمتاره الإنسان ويجلبه للبيع وغيره. يقال: مارَ أهلَه يَميرُهم مَيْراً، إذا أتاهم بالمِيْرة[3].

وغير خفي الوجه في تشبيه العلم بالميرة، فهو طعام النفوس وغذاؤها. وقد ورد تفسير الطعام في قوله تعالىٰ: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ إلىٰ طَعَامِهِ ﴾[4] بـ(علمه الذي يأخذه، عمّن يأخذه)[5].

والغرض بيان أنّ تسميته بأمير المؤمنين عليه السلام تشتمل علىٰ جمعه المرتبتين أيضاً.

والرواية الأخيرة مما وردت بإسقاط بعض القرآن، والمراد بحسب التأويل، فقوله: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ وإقرارهم لا يتم به وحده، بل لابد من ضمّ النبوة والخلافة، ولهذا لم يكتف بها وحدها فيما يُدخل الرجلَ الايمانَ دنياً، ويثاب عليه في الآخرة.

---

(١) انظر الحديث الثاني من هذا الباب.

(٢) انظر: «لسان العرب» ج١، ص٤٦٧، مادة «بقي»؛ «القاموس المحيط» ج٤، ص٤٤٠.

(٣) انظر: «لسان العرب» ج١٣، ص٢٣١؛ «مجمع البحرين» ج٣، ص٤٨٦، مادة «مير».

(٤) «عبس» الآية: ٢٤.

(٥) «الكافي» ج١، ص٥٠، باب النوادر من كتاب فضل العلم، ح٨.

وقد تضمنت الآية أنه عليه السلام سمّي بأمير المؤمنين في عالم الذر، وأمارهم ذلك، ولذا أخذ عليهم في ذلك المقام. وحيث لم يقيّد الذر فالمراد به حقيقته، فيشمل الذر الأول، وكذا آدم، فالتسمية والاختصاص ثابت له بحسب أصل فطرة الوجود، فهو المربي في مقامات الوجود غيباً وشهادة، لأن ولايته نزلت من السماء. وسيأتي الكلام على الآية في جزء الإيمان والكفر إن شاء الله تعالى.

وقد عُرف من وجه تسميته بأمير المؤمنين عليه السلام أن ليس غرضه إلى [الطعام][1] الدنيوي وحده، بل والأُخروى، وهو الأصل، فقال: سمّي به (لأنه يمير | هم | العلم).

فـ «أمير» مشتق من «يمر»، والفعل المنقول من الفعلية إلى الاسمية قد تقلب ياؤه همزة، «كالأزلي» نسبة إلى: لم يزل، بعد حذف حرف النفي قلبت ياؤه همزة، بعد استعمال المضارع بمعنى اسم الفاعل، أو أن أصله: «مير»، مصدر بمعنى الفاعل، زِيدَ فيه الهمزة، أو أنه مشتق من «المير» باشتقاق الكبير، بعد رعاية مناسبة المعنى.

وقيل: «يمكن أن يكون عليه السلام قال: أميرُ المؤمنين عليه السلام ـ على صيغة المتكلم ـ فاشتهر بذلك، كما في: تأبّطَ شرّاً»[2].

وقيل: «هو من باب القلب»[3].

وكلها مرادةٌ، ويمكن فهمها من نصوصهم.

* * *

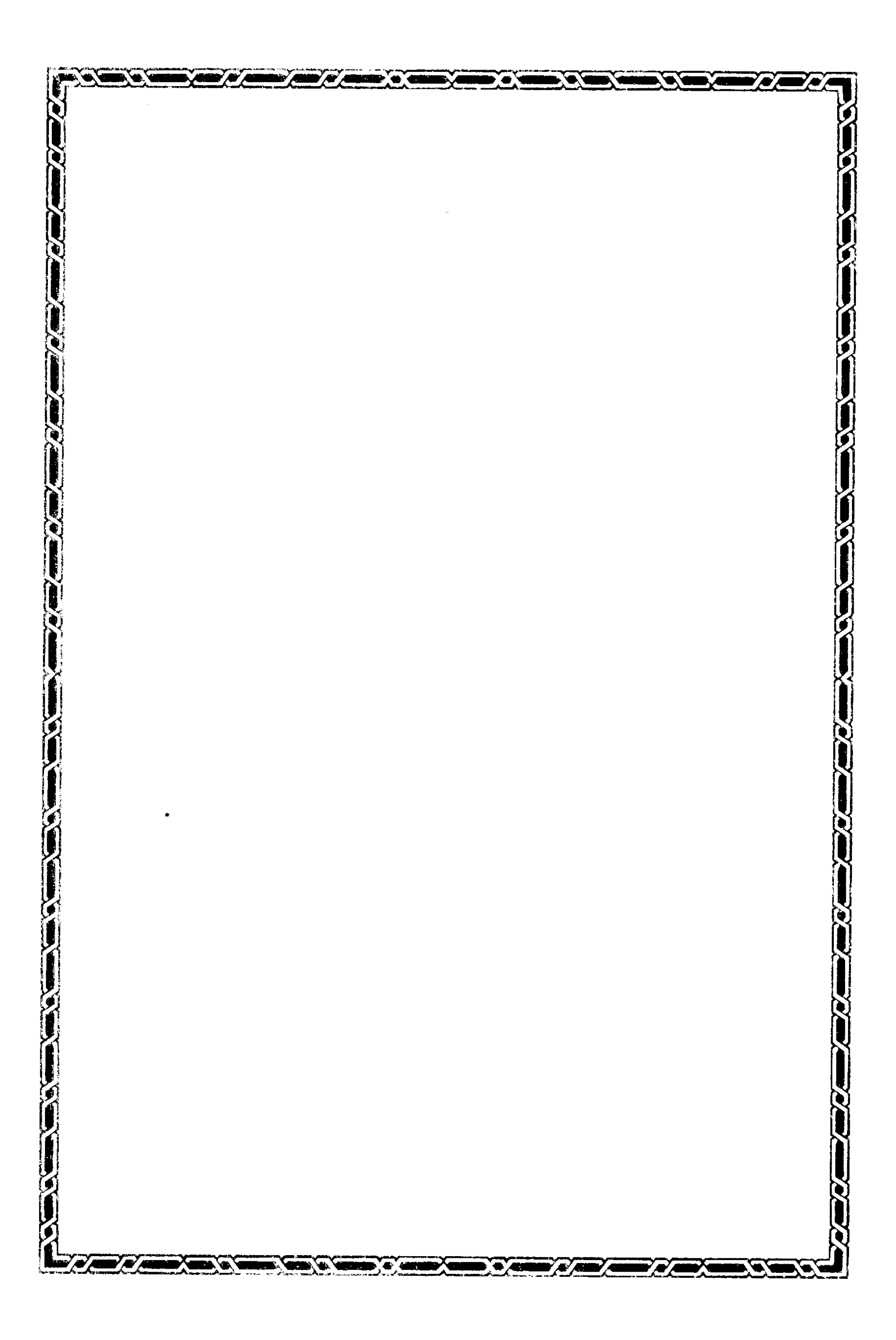
(١) في الأصل: «طعام».

(٢) «بحار الأنوار» ج٣٧، ص٢٩٣، بتصرف، صححناه على المصدر.

(٣) «بحار الأنوار» ج٣٧، ص٢٩٣، بتصرف.

الباب الثامن بعد المائة

فيه نُكت ونُتف من التنزيل في الولاية



أضواء حول الباب

أقول النُّتَفَة ـ بالضم ـ ما تنتِفُه بإصبعك من النبت وغيره، والجمع كصُرَد وكهُمَزَة[1].
والنُكَت: جمع «نُكْتة»، وهي الوجوه الحسنة الخفية المستنبطة من القرآن.

وأورد هنا المصنف [اثنين][2] وتسعين حديثاً متضمنة تفسير آيٍّ فيهم عليهم السلام، ومرّ متفرقاً أيضاً، وسيأتي في الروضة جملة من ذلك أيضاً، وهو مما تواتر في البصائر[3] والمحاسن[4] وكتب الصدوق[5] والعياشي[6] وعلي بن إبراهيم[7] وغيرها.

وقد مرّ لك بيان الوجه في نزول محاسن القرآن فيهم، وإرادتهم من باطنها، وإن كان ظاهرها شرائع وأحكاماً، كما أنّ أعداءهم مرادون من باطن المساوئ، وإن أُريد من ظاهرها ظاهر المنهيات، فإن للقرآن ظاهراً وباطناً، وإرادة أحدهما لا يبطل الآخر، بل لا

---

(١) «القاموس المحيط» ج ٣، ص ٢٨٥، صححناه على المصدر.
(٢) في الأصل: «ثلاثة».
(٣) «بصائر الدرجات» ص ٧٣، ح ٥، ٦؛ ص ٧٦، ح ٢، ٣.
(٤) «المحاسن» ج ١، ص ٢٤٠، كتاب الصفوة، باب ١٣.
(٥) «معاني الأخبار» ص ١٠٨ - ١١٠، ح ١ - ٣.
(٦) «تفسير العياشي» ج ١، ص ٣٩٥ - ٣٩٦، ح ٤٣، ٤٧، ٤٨.
(٧) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ١٢٤ - ١٢٥، ١٩٨، ٣٨٦.

يصح إرادة الظاهر ليس إلّا، فإنه حكم وصفة لابد له من مبيّن وواسطة. فإذن هم مرادون باطن ذلك.

وفي كثير |من| الروايات كما ستسمع: (هكذا نزلت)[1]، وهو علىٰ القول بوقوع بعض السقط في القرآن ـ عناداً وحسداً من المعاندين ـ ظاهر، لكن لا ينفعهم، فهم عليهم السلام ظاهرون من القرآن أشد ظهور. وعلىٰ القول بعدم وقوعه يراد من التنزيل التأويل، أو أنّ معناها التنزيل هكذا.

أما وقوع الزيادة في القرآن فلا قائل به في الإمامية، بل علىٰ عدم وقوعه فيه الإجماع. وسنبسط هذه المسألة في كتاب أصول الفقه إن وفق الله له.

ولا يلزم من تفسير القرآن بما ستسمع ـ ومرّ أيضاً ـ إبطال الظاهر، ولا كونه من باب المشترك، ولا استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه دفعة، بل كلها حقائق له، كلٌّ بمقام، والمراد منه بحسب كل مقام معنًى واحد، ولا يجمع اثنان منها رتبة واحدة، وإنما التعدد بحسب مراتب الظهور، و(العلم نقطة كثّرها الجاهلون)[2]، كما روي عن علي عليه السلام.

ولا يعرف التأويل والباطن إلّا منهم وبهم عليهم السلام، لا كما تستعمله الصوفية ومن حذا حذو ابن عربي منا اشتباهاً، كالصدر الشيرازي وصهره الكاشاني، كما أوضحناه في غير موضع، ليس هنا موضع بسط ذلك. وطوينا الكلام علىٰ هذه الآي وأمثالها استعجالاً، لسفر عرض حالة الكتابة، وضيق وقت.

❑ الحديث رقم ﴿ ١ ﴾

قوله: ﴿عن سالم [الحنّاط][3]، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[4]. قال: هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام﴾.

---

(١) انظر الأحاديث: ٨، ٢٣، ٤٥، ٦٠، من هذا الباب.

(٢) «غوالي اللآلئ» ج ٤، ص١٢٩، ح٢٢٣. (٣) في الأصل: «الخياط».

(٤) «الشعراء» الآية: ١٩٣ – ١٩٥.

الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن إسحاق بن عمار، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنا الأَمَانَةَ عَلَىٰ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ والجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَها الإنسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾[1]، قال: هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾[2]، قال: بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله من الولاية، ولم يخلطوها بولاية فلان وفلان، فهو الملبس بالظلم ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٤ ﴾

قوله: ﴿عن الحسن بن نعيم الصحّاف، قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ فَمِنْكُم كافِرٌ ومِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾[3]، قال: عرف الله إيمانهم بولايتنا وكفرهم بها يوم أخذ عليهم الميثاق في صلب آدم وهم ذرّ ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٥ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾[4] الذي أخذ عليهم من ولايتنا ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٦ ﴾

قوله: ﴿عن ربعي بن عبد الله، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله عزَّ وجلَّ:

---

(١) «الأحزاب» الآية: ٧٢. (٢) «الأنعام» الآية: ٨٢.

(٣) «التغابن» الآية: ٢. ولفظها في المصدر: «فنكم مؤمن ومنكم كافر».

(٤) «الإنسان» الآية: ٧.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَوْراةَ والإنجِيلَ وَما أُنزِلَ إلَيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾[1]، قال: الولاية ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٧ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ قُل لا أسألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلَّا المَوَدَّةَ في القُرْبىٰ ﴾[2]، قال: هم الأئمة عليهم السلام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٨ ﴾

قوله: ﴿عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ومَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في ولاية علي عليه السلام و [ولاية] الأئمة من بعده ﴿ فَقَدْ فَازَ فَوزاً عَظِيماً ﴾[3]، هكذا نزلت ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٩ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن مروان، رفعه إليهم، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ ﴾[4] في عليّ والأئمة ﴿ كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا ﴾[5] ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٠ ﴾

قوله: ﴿عن علي بن عبد الله، قال: سأله رجل عن قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴾[6]، قال: مَن قال بالأئمة، واتبع أمرهم، ولم يجز طاعتهم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١١ ﴾

قوله: ﴿عن أحمد بن محمد بن عبد الله، رفعه، في قوله تعالى: ﴿ لا أُقْسِمُ

---

(١) «المائدة» الآية: ٦٦.
(٢) «الشورىٰ» الآية: ٢٣.
(٣) «الأحزاب» الآية: ٧١.
(٤) «الأحزاب» الآية: ٥٣.
(٥) «الأحزاب» الآية: ٦٩.
(٦) «طه» الآية: ١٢٣.

بِهذا البَلَدِ * وَأنتَ حِلٌّ بِهذا البَلَدِ * وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ ﴾[1]، قال: أمير المؤمنين عليه السلام وما ولد من الأئمة ﴾.

☐ الحديث رقم ﴿ ١٢ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أنّما غَنِمْتُم مِنْ شَيْءٍ فَإنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبىٰ ﴾[2]، قال: أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام ﴾.

☐ الحديث رقم ﴿ ١٣ ﴾

قوله: ﴿عن عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[3]، قال: هم الأئمة عليهم السلام ﴾.

☐ الحديث رقم ﴿ ١٤ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتابِ ﴾، قال: أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام، ﴿ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ ﴾، قال: فلان وفلان، ﴿ فَأمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أصحابهم وأهل ولايتهم ﴿ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلَهُ إلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ ﴾[4] أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام ﴾.

☐ الحديث رقم ﴿ ١٥ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تُتْرَكُوا وَلَمّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُم وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ

---

(١) «البلد» الآية: ١ - ٣.

(٢) «الأنفال» الآية: ٤١.

(٣) «الأعراف» الآية: ١٨١.

(٤) «آل عمران» الآية: ٧.

دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا المُؤْمِنِينَ وَلِيجةً ﴾[١]، يعني بالمؤمنين الأئمة عليهم السلام، لم يتخذوا الولائج من دونهم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٦ ﴾

قوله: ﴿ عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها ﴾[٢]، [قال] قلت: ما السلم؟ قال: الدخول في أمرنا ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٧ ﴾

قوله: ﴿ عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾[٣]، قال: يا زرارة، أو لم تركب هذه الأمة بعد نبيّها طبقاً عن طبق في أمر فلان وفلان [وفلان] ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٨ ﴾

قوله: ﴿ عن عبد الله بن جندب، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون ﴾[٤]، قال: إمام إلىٰ إمام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ١٩ ﴾

قوله: ﴿ عن سلام، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ قولُوا آمَنّا باللهِ وَما أُنزِلَ إلَيْنا ﴾[٥]، قال: إنما عنىٰ بذلك علياً عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين، وجرت بعدهم في الأئمة عليهم السلام، ثمّ يرجع القول من الله في الناس فقال: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا ﴾ يعني الناس ﴿ بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام ﴿ فَقَدِ اهْتَدَوْا وإِنْ تَوَلَّوْا

---

(١) «التوبة» الآية: ١٦.

(٢) «الأنفال» الآية: ٦١.

(٣) «الانشقاق» الآية: ١٩.

(٤) «القصص» الآية: ٥١.

(٥) «البقرة» الآية: ١٣٦.

فَإِنَّما هُمْ في شِقاقٍ ﴾[1] ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٠ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذا النَّبِيُّ والَّذِينَ آمَنُوا ﴾[2]، قال: هم الأئمة عليهم السلام ومن اتبعهم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢١ ﴾

قوله: ﴿عن مالك الجهني، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأُوحِيَ إِليَّ هَذا القُرْآنُ لأُنْذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾[3]، قال: من بلغ أن يكون إماماً من آل محمد، فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله صلى الله عليه وآله ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٢ ﴾

قوله: ﴿عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنا إِلىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾[4]، قال: عهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده، فترك ولم يكن له عزم أنهم هكذا. وإنما سمّي أُولو العزم أُولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد صلى الله عليه وآله، والأوصياء من بعده، والمهدي وسيرته، وأجمع عزمهم علىٰ أن ذلك كذلك، والإقرار به ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٣ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنا إِلىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ ﴾ كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذرّيتهم ﴿فَنَسِيَ﴾، هكذا والله نزلت علىٰ محمد صلى الله عليه وآله ﴾.

---

(١) «البقرة» الآية: ١٣٧.

(٢) «آل عمران» الآية: ٦٨.

(٣) «الأنعام» الآية: ١٩.

(٤) «طه» الآية: ١١٥.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٤ ﴾

قوله: ﴿عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: أوحىٰ الله إلىٰ نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1]، قال: إنك علىٰ ولاية علي، وعلي هو الصراط المستقيم﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٥ ﴾

قوله: ﴿عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية علىٰ محمد صلى الله عليه وآله هكذا: ﴿ بِئْسَما اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِما أَنزَلَ اللهُ ﴾ في علي ﴿ بَغْياً ﴾[2]﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٦ ﴾

قوله: ﴿عن جابر، قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية علىٰ محمد صلى الله عليه وآله هكذا ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلَىٰ عَبْدِنا ﴾ في علي عليه السلام ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾[3]﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٧ ﴾

قوله: ﴿عن مُنَخَّل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: نزل جبرئيل علىٰ محمد صلى الله عليه وآله بهذه الآية هكذا: ﴿ ياأَيُّها الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ آمِنُوا بِما نَزَّلْنا ﴾[4] في علي ﴿ نُوراً مُبِيناً ﴾[5]﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢٨ ﴾

قوله: ﴿عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ ﴾ في علي ﴿ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾[6]﴾.

---

(١) «الزخرف» الآية: ٤٣.
(٢) «البقرة» الآية: ٩٠.
(٣) «البقرة» الآية: ٢٣.
(٤) «النساء» الآية: ٤٧.
(٥) «النساء» الآية: ١٧٤.
(٦) «النساء» الآية: ٦٦.

الحديث رقم ﴿ ٢٩ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا في السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[1]، قال: في ولايتنا ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٣٠ ﴾

قوله: ﴿عن المفضّل بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله جلّ وعزّ ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَياةَ الدُّنيا ﴾، قال: ولايتهم، ﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأبْقَىٰ ﴾، قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ إنَّ هَذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولىٰ * صُحُفِ إبْراهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[2] ﴾.

أقول: وروي تفسير هذه الآي بهذا المضمون في غير الكافي أيضاً:

فروىٰ علي بن إبراهيم عن حنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ * عَلىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ ﴾[3]، قال: (الولاية التي نزلت لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير)[4].

وعن محمد بن الحسن الصفار، مسنداً عن سالم [الحنّاط][5]، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله: ﴿ نَزَلَ به الرُّوحُ ﴾ ... الحديث[6] كما في الكافي[7]، بتغييرٍ ما.

وعنه، مسنداً عن سالم، عن أبي محمد، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن الولاية أُنزل بها جبرئيل من عند رب العالمين يوم الغدير، فقال: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلىٰ قَلْبِكَ

---

(١) «البقرة» الآية: ٢٠٨. (٢) «الأعلىٰ» الآية: ١٦ - ١٩.

(٣) «الشعراء» الآية: ١٩٢ - ١٩٤.

(٤) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج٢، ص١٢٤ - ١٢٥، بتفاوت يسير.

(٥) في الأصل: «الخياط».

(٦) «بصائر الدرجات» ص٧٣، ح٥، مسنداً عن سلمة بن الحنّاط، ولفظه كما في الحديث الأول من هذا الباب.

(٧) «الكافي» ج١، ص٤١٢، باب فيه نكت ونتف .. ح١.

لِتَكُونَ ﴾ إلىٰ قوله ﴿ الأوَّلِين ﴾[١]، قال: (هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام)[٢].

ورورىٰ الصدوق عن المفضّل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (إنّ الله تبارك وتعالىٰ خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها روح محمد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام بعدهم، فعرضها علىٰ السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم، فقال الله تبارك وتعالىٰ للسموات والأرض والجبال: هؤلاء أحبائي وأوليائي وحججي).

ثمّ أخذ في مدحهم، إلىٰ أن قال: (فولايتهم أمانة عند خلقي، فأيكم يحملها بأثقالها ويدّعيها لنفسه دون خيرتي؟ فأبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها، وأشفقن من ادعاء منزلتها وتمني محلها، من عظمة ربها. فلما أسكن الله آدم وزوجته الجنة).

ثمّ أخذ في نقل فعل إبليس والقصة، وتوسلهم بعد بمحمد وآله صلوات الله عليهم وتوبتهم، إلىٰ أن قال عليه السلام: (فلم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة ويخبرون بها أوصياءهم والمخلصين من أممهم، فيأبون حملها ويشفقون من ادعائها، وحملها الإنسان الذي قد عُرف، فأصل كل ظلم منه إلىٰ يوم القيامة، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿ إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ عَلَىٰ السَّمٰواتِ والأرضِ والجبالِ فَأبَيْنَ أن يَحمِلْنَها وَأشْفَقْنَ مِنها وَحَمَلها الإنسانُ إنّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولا ﴾[٣])[٤].

وبسنده عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالىٰ: ﴿ إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ عَلَىٰ السَّمٰواتِ ﴾ إلىٰ ﴿ جَهُولاً ﴾، قال: (الأمانة الولاية، والإنسان أبو الشرور المنافق)[٥].

وبسنده عن الحسين بن خالد، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قوله تعالىٰ: ﴿ إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ ﴾ الآية، فقال: (الأمانة الولاية، من ادعاها بغير حق كفر)[٦].

محمد بن الحسن الصفار، بسنده عن مفضّل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام - في الآية - قال: (هي الولاية، أبين أن يحملنها كفراً بها وعناداً، وحملها الإنسان، والإنسان الذي حملها أبو فلان)[٧].

---

(١) «الشعراء» الآية: ١٩٣ - ١٩٦.
(٢) «بصائر الدرجات» ص٧٣، ح٦، باختلاف يسير.
(٣) «الأحزاب» الآية: ٧٢.
(٤) «معاني الأخبار» ص١٠٨ - ١١٠، ح١، باختلاف يسير، صححناه علىٰ المصدر.
(٥) «معاني الأخبار» ص١١٠، ح٢، باختلاف يسير.
(٦) «معاني الأخبار» ص١١٠، ح٣، باختلاف يسير.
(٧) «بصائر الدرجات» ص٧٦، ح٣، بتفاوت يسير.

محمد بن العباس، بسنده عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام ـ في الآية ـ قال: (يعني بها ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام)[١].

علي بن إبراهيم، قال: قال: (الأمانة هي الإمامة والأمر والنهي، والدليل على أن الأمانة هي الإمامة قوله تعالى في الأئمة: ﴿ إنَّ اللهَ يَأمُرُكُمْ أن تُؤدُّوا الأماناتِ إلى أهلِها ﴾[٢]، يعني الإمامة، فالأمانة هي الإمامة، عرضت على السماوات والأرض والجبال ﴿ فَأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها ﴾) قال: قال: (أبين أن يدّعوها أو يغصبوها أهلها ﴿ وَأشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَها الإنسانُ ﴾ أي فلان ﴿ إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾)[٣].

وقد روى المصنّف في الكافي تفسير الظلم في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾[٤] بالشك[٥] والشرك[٦]. ومعلوم أن الشك فيهم كفر، وإقامة معبود دون الله شرك، كحال العامة.

وروى العياشي عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾، (منه وما أحدث)[٧].

وروي تفسيرها بالضلال والشك[٨].

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام فيها، قال: (آمنوا بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله من الولاية، ولم يخلطوها بولاية فلان وفلان، فهو اللبس بظلم)... الحديث[٩].

وسيأتي في قوله تعالى: ﴿ فَمِنْكُمْ كافِرٌ ﴾ الآية[١٠]، رواية أُخرى أيضاً[١١].

وروى علي بن إبراهيم، بسنده عن الحسين بن نعيم الصحّاف، عن الصادق عليه السلام، في

---

(١) «تأويل الآيات الظاهرة» ص ٤٦٠؛ «تفسير البرهان» ج ٣، ص ٣٤٢، ح ٧.
(٢) «النساء» الآية: ٥٨.
(٣) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ١٩٨، باختلاف؛ وعنه في «تفسير البرهان» ج ٣، ص ٣٤٢، ح ٨، بتفاوت يسير.
(٤) «الأنعام» الآية: ٨٢.
(٥) «الكافي» ج ٢، ص ٣٩٩، باب الشك، ح ٤.
(٦) «الكافي» ج ١، ص ٤١٣، باب فيه نكت ونتف.. ح ٣. انظر نفس الحديث في هذا الباب.
(٧) «تفسير العياشي» ج ١، ص ٣٩٥، ح ٤٣، صححناه على المصدر.
(٨) «تفسير العياشي» ج ١، ص ٣٩٦، ح ٤٧، ٤٨.
(٩) «تفسير العياشي» ج ١، ص ٣٩٦، ح ٤٩.
(١٠) «التغابن» الآية: ٢.
(١١) انظر: الحديث الرابع والسبعين من هذا الباب. وقد مرّ لفظ الرواية الأُولى في الحديث الرابع.

هذه الآية، قال: (عرف الله إيمانهم بولايتنا، وكفرهم بتركها، يوم أخذ عليهم الميثاق وهم في عالم الذر وفي صلب آدم)[١].

روىٰ العياشي عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، في: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَما أُنزِلَ إِلَيْهِم مِن رَبِّهِمْ ﴾[٢]، قال: (الولاية)[٣].

وروىٰ الصفّار، بسنده عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام ... الحديث[٤].

وروىٰ الصدوق[٥]، والحميري في قرب الإسناد[٦]، ومحمد بن العباس[٧]، والبرقي[٨]، والمفيد في الاختصاص[٩]، وعلي بن إبراهيم[١٠]، والشيخ في الأمالي[١١]، والطبرسي[١٢]، جميعاً، عنهم عليهم السلام تفسير ﴿ القُرْبىٰ ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلّا المَوَدَّةَ في القُرْبىٰ ﴾[١٣]، بهم عليهم السلام.

ورواه ابن حنبل ـ من العامة ـ في مسنده[١٤]، وفي صحيح البخاري[١٥] في الجزء السادس، والثعلبي[١٦]، ومسلم في الجزء الخامس من صحيحه[١٧]، وفي الجمع بين الصحاح الستة[١٨] في الجزء الثاني من أجزاء أربعة، بعدة طرق.

محمد بن العباس، بسنده عن عيسىٰ بن داود النجار، عن أبي الحسن موسىٰ بن جعفر،

---

(١) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج٢، ص٣٨٦، صحّحناه علىٰ المصدر.

(٢) «المائدة» الآية: ٦٦.

(٣) «تفسير العياشي» ج١، ص٣٥٩، ح١٤٩.

(٤) «بصائر الدرجات» ص٧٦، ح٢.

(٥) «عيون أخبار الرضا» ج١، ص٢٣٣، ح١.

(٦) «قرب الإسناد» ص١٢٨، ح٤٥٠.

(٧) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٥٣٠ – ٥٣١؛ «تفسير البرهان» ج٤، ص١٢٤، ح١١، ١٢.

(٨) «المحاسن» ج١، ص٢٤٠، كتاب الصفوة والنور... باب ١٣.

(٩) «الاختصاص» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج١٢، ص٦٣.

(١٠) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج٢، ص٢٧٩.

(١١) «أمالي الشيخ الطوسي» ص٢٧٠، ح٥٠١.

(١٢) «مجمع البيان» ج٩، ص٣٨.

(١٣) «الشورىٰ» الآية: ٢٣.

(١٤) انظر: «العمدة» ص٤٧، ح٣٤، عنه.

(١٥) «صحيح البخاري» ج٤، ص١٨١٩، ح٤٥٤١.

(١٦) انظر: «العمدة» ص٥٠، ح٤٣؛ ص٥٢، ح٤٦، عنه.

(١٧) انظر: «العمدة» ص٤٩، ح٤٠، عنه.

(١٨) انظر: «العمدة» ص٥٨، ح٥٩، ٦٠، عنه.

أنه سأل أباه عن: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴾[١]، قال: (قال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس اتبعوا هدىٰ الله تهتدوا وترشدوا، وهو هداي، وهداي هدىٰ عليّ بن أبي طالب عليه السلام)... الحديث[٢].

ورویٰ العياشي تفسير: ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدايَ ﴾، (من قال بالأئمة واتبع أمرهم بحسن طاعتهم)[٣].

ورویٰ محمد بن العباس، بسنده عن منصور، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام، في: ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهذا البَلَدِ ﴾ قال: (يعني رسول الله)، قلت: ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾[٤] قال:(علي وما ولد)[٥].

وبسنده عن جابر بن يزيد، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَوَالِدٍ وَما وَلَدَ ﴾، قال: (يعني علياً وما ولد من الأئمة)[٦].

وبسنده عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال لي: (يا أبا بكر، قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَوَالِدٍ ﴾ هو علي بن أبي طالب عليه السلام، ﴿ وَما وَلَدَ ﴾: الحسن والحسين عليهما السلام)[٧].

وفي اختصاص المفيد[٨] ـ في حديث ـ تفسير الوالد بالرسول، ﴿ وَما وَلَدَ ﴾ بالأئمة. ولا منافاة.

وروي ـ في غير حديث[٩] ـ تفسير القربىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ ﴾[١٠] الآية، بالأئمة.

---

(١) «طه» الآية: ١٢٣.

(٢) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٣١٤؛ «تفسير البرهان» ج٣، ص٤٧، ح٣، بتفاوت يسير.

(٣) «تفسير العياشي» ج٢، ص٢٢٢، ح٢١، بتفاوت يسير؛ وعنه في: «تفسير البرهان» ج٣، ص٤٧، ح٤.

(٤) «البلد» الآية: ٢، ٣.

(٥) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٧٧٢؛ «تفسير البرهان» ج٤، ص٤٦٢، ح٤.

(٦) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٧٧١؛ «تفسير البرهان» ج٤، ص٤٦٢، ح٥، صححناه علىٰ المصدر.

(٧) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٧٧٢؛ «تفسير البرهان» ج٤، ص٤٦٣، ح٦، باختلاف يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٨) «الاختصاص» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج١٢، ص٣٢٩.

(٩) «الكافي» ج١، ص٤١٤، باب فيه نكت ونتف.. ح١٢؛ «الاحتجاج» ج٢، ص١٢١.

(١٠) «الأنفال» الآية: ٤١.

وروىٰ العياشي عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله تعالىٰ: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[١]، قال: (هم الأئمة)[٢].

وعن يعقوب بن زيد، قال قال: أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ وممَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ ﴾ الآيـة، قـال: (يعني أمة محمد صلى الله عليه وآله)[٣].

ولا تنافي؛ فهم عليهم السلام أمته الخاصة، وخير أمة أخرجت للناس.

العياشي، بسنده عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله: ﴿ هُوَ الَّذِي أنزَلَ عَلَيْكَ الكِتابَ ﴾ ـ الحديث[٤] كما في الأصل ـ إلىٰ: ﴿ تأْوِيلِهِ ﴾[٥].

العياشي، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها ﴾[٦]، قيل: ما السلم؟ قال: (الدخول في الأمر)[٧].

روىٰ علي بن إبراهيم، بسنده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، في: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾[٨]، الحديث[٩]، كما في الأصل.

الصدوق، مسنداً عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام، قال: (إنّ للقائم عليه السلام منّا غيبة يطول أمدها)، فقلت له: ولمَ ذاك يابن رسول الله؟ قال: (لأنّ الله عزَّ وجلَّ أبىٰ إلّا أن تجري فيه سنن الأنبياء في غيباتهم، وإنه لابد له يا سدير من استيفاء مُدد غـيباتهم، قـال الله تعالىٰ: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ﴾، أي سنن من كان قبلكم)[١٠].

روىٰ الطبرسي في الاحتجاج، عن أمير المؤمنين عليه السلام: (قوله: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ ﴾، أي لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء)[١١].

---

(١) «الأعراف» الآية: ١٨١.
(٢) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ٤٥، ح ١٢٠.
(٣) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ٤٦، ح ١٢٣، صححناه علىٰ المصدر.
(٤) «تفسير العياشي» ج ١، ص ١٨٥، ح ٢، ولفظه كما في الحديث الرابع عشر من هذا الباب، باختلاف يسير.
(٥) «آل عمران» الآية: ٧.
(٦) «الأنفال» الآية: ٦١.
(٧) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ٧٠، ح ٧٥، باختلاف.
(٨) «الانشقاق» الآية: ١٩.
(٩) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٤٤١، ولفظه كما في الحديث السابع عشر من هذا الباب، بتفاوت يسير.
(١٠) «كمال الدين» ص ٤٨٠، ح ٦، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.
(١١) «الاحتجاج» ج ١، ص ٥٨٣.

وروىٰ سعد بن عبد الله، بسنده عن حمّاد بن عيسىٰ، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، في: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ ﴾[١]، قال: (في إمام بعد امام)[٢].

ورویٰ الشيخ في أماليه، بإسناده، قال: قال الصادق عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ ﴾ قال: (إمام بعد إمام)[٣].

رویٰ ابن شهرآشوب عن عبد الله بن جندب، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالىٰ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ ﴾، قال: (إمام إلىٰ إمام)[٤].

محمد بن العباس، بسنده عن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام ـ في الآية ـ قال: (إمام بعد إمام)[٥].

العياشي، عن علي بن النعمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، في: ﴿ إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإبْراهِيمَ ﴾[٦] الآية، قال: (هم الأئمة وأتباعهم)[٧].

وروىٰ الشيخ ورّام، قال: «قال عليه السلام: (إنّ أولىٰ الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به)، ثمّ تلا ﴿ إنّ أوْلىٰ النَّاسِ ﴾ إلىٰ ﴿ المُؤْمِنِينَ ﴾»[٨].

وروي عن الزمخشري في ربيع الأبرار[٩]، وروينا[١٠] في الآية غير ما نقلناه.

وروىٰ العياشي عن زرارة وحمران، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، في قوله: ﴿ وَأُوْحِيَ إلَيَّ هَذا القُرْآنُ لِأُنْذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾[١١]، (يعني الأئمة من بعده، وهم ينذرون به الناس)[١٢].

وروي عن أبي خالد الكابلي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿ وَأُوْحِيَ إلَيَّ هذا القُرآنُ

---

(١) «القصص» الآية: ٥١.

(٢) انظر: «مختصر بصائر الدرجات» ص٦٤؛ «تفسير البرهان» ج٣، ص٢٢٨، ح٣، عنه.

(٣) «أمالي الشيخ الطوسي» ص٢٩٤، ح٥٧٦.

(٤) «مناقب آل أبي طالب» ج٣، ص١١٦؛ ج٤، ص٤٥٤، بتفاوت يسير.

(٥) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٤١٣؛ «تفسير البرهان» ج٣، ص٢٢٩، ح٦، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) «آل عمران» الآية: ٦٨.

(٧) «تفسير العياشي» ج١، ص٢٠١، ح٦٢.

(٨) «تنبيه الخواطر» ج١، ص٣٢، باختلاف يسير.

(٩) «ربيع الأبرار» ج٤، ص٢٨١؛ وعنه في: «تفسير البرهان» ج١، ص٢٩٢، ح٩.

(١٠) انظر: الحديث العشرين من هذا الباب.

(١١) «الأنعام» الآية: ١٩.

(١٢) «تفسير العياشي» ج١، ص٣٨٦، ح١٢.

لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾، حقيقة أيّ شيء عنىٰ بقوله: ﴿ وَمَنْ بَلَغَ ﴾؟ قال: فقال: (من بلغ أن يكون إماماً من ذرية الأوصياء، فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله ﷺ)[1].

وروي عن مالك الجهني، كما في الكافي[2].

عن الصدوق، بسنده عن يحيىٰ بن عمران الحلبي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سئل عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأُوحي إليَّ هَذا القُرآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾، قال: (بكل لسان)[3].

روىٰ علي بن إبراهيم، بسنده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنا إلىٰ آدَمَ مِن قَبلُ ﴾[4]، آخرَ[5] كما في الكافي[6]، ورواه الصدوق[7] أيضاً.

محمد بن الحسن الصفار، بسنده عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (أوحىٰ الله إلىٰ نبيّه: ﴿ فاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ ﴾[8])... الحديث[9]، كما في الكافي[10].

عن علي بن إبراهيم، بسنده عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (نزلت هاتان الآيتان هكذا، قول الله: ﴿ حَتَّىٰ إذا جَاءَنا ﴾، يعني فلاناً وفلاناً، يقول أحدهما لصاحبه حين يراه: ﴿ يا لَيتَ بَيْني وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَينِ فَبِئْسَ القَرِينُ ﴾. فقال الله لنبيّه: قل لفلان وفلان وأتباعهما: لَنْ ﴿ يَنْفَعَكُمُ اليَوْمَ إذْ ظَلَمْتُمْ ﴾ آل محمد حقهم ﴿ أنَكُمْ فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾، ثمّ قال الله لنبيّه: ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أو تَهْدِي العُمْيَ وَمَن كَانَ في ضَلالٍ مُبِينٍ * فإمّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾، يعني من فلان وفلان. ثمّ أوحىٰ الله إلىٰ نبيّه: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ ﴾

---

(١) «تفسير العياشي» ج ١، ص ٣٨٦، ح ١٣.

(٢) «الكافي» ج ١، ص ٤١٦، باب فيه نكت ونتف.. ح ٢١، ص ٤٢٤، ح ٦١، مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام.

(٣) «علل الشرائع» ج ١، ص ١٥٢، ح ٣.

(٤) «طه» الآية: ١١٥.

(٥) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٦٤ - ٦٥. ولفظه كما في الحديث الثاني والعشرين من هذا الباب، باختلاف بعض الألفاظ.

(٦) «الكافي» ج ١، ص ٤١٦، باب فيه نكت ونتف.. ح ٢٢.

(٧) «علل الشرائع» ج ١، ص ١٤٨، باب ١٠١، ح ١.

(٨) «الزخرف» الآية: ٤٣.

(٩) «بصائر الدرجات» ص ٧١، ح ٧، ولفظه كما في الحديث الرابع والعشرين من هذا الباب.

(١٠) «الكافي» ج ١، ص ٤١٧، باب فيه نكت ونتف... ح ٢٤.

في علي عليه السلام ﴿ إنَّكَ عَلَىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[١]، يعني أنك علىٰ ولاية علي، وعليٌّ هو الصراط المستقيم)[٢].

وروىٰ عمرو بن شمر، عن جابر، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: (نزلت هذه الآية علىٰ محمد صلى الله عليه وآله هكذا: ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ آمِنُوا بِما ﴾ أنزلت في علي ﴿ مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلَىٰ أدْبارِها ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ مَفْعُولاً ﴾[٣])[٤].

وروىٰ الشيخ في الأمالي، بسنده عن محمد بن إبراهيم، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول في قوله تعالىٰ: ﴿ ادْخُلُوا في السِّلْمِ كَافَّةً ﴾، قال: (في ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام)، ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ ﴾[٥]، قال: (لا تتّبعوا غيره)[٦].

سعد بن عبد الله، بسنده عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾، قال: (هي ولايتنا)[٧].

العياشي، عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿ يا أيُّها الَّذين آمَنوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ ﴾، قال: (أتدري ماالسلم؟) قال: قلت: أنت أعلم، قال: (ولاية علي والأئمة الأوصياء من بعده)، قال: (وخطوات الشيطان ـ والله ـ ولاية فلان وفلان)[٨].

وعن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام، قالوا: سألناهما عن قول الله: ﴿ يـا ايُّـها الَّـذِينَ آمَـنُوا ادْخُـلُوا فِـي السِّـلْمِ كَـافَّةً ﴾، قـال: (أمـروا بمعرفتنا)[٩].

وروي ذلك بعدّة روايات أيضاً.

---

(١) «الزخرف» الآية: ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣.

(٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٢٩١، صححناه علىٰ المصدر.

(٣) «النساء» الآية: ٤٧.

(٤) «تفسير العياشي» ج ١، ص ٢٧٢، ح ١٤٨، باختلاف يسير، وزاد فيه: (وأما قوله: ﴿مُصَدِّقاً لِما مَعَكُم﴾، يعني مصدقاً برسول الله صلى الله عليه وآله).

(٥) «البقرة» الآية: ٢٠٨.

(٦) «أمالي الشيخ الطوسي» ص ٢٩٩، ح ٥٩١، بتفاوت يسير.

(٧) انظر: «مختصر بصائر الدرجات» ص ٦٤؛ «تفسير البرهان» ج ١، ص ٢٠٨، ح ٣، عنه.

(٨) «تفسير العياشي» ج ١، ص ١٢١، ح ٢٩٥.

(٩) «تفسير العياشي» ج ١، ص ١٢١، ح ٢٩٦، صححناه علىٰ المصدر.

وروىٰ المصنّف في الكافي، بسنده عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: (ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلّا بنبوة محمد ووصية علي)[1].

والأحاديث بهذا المضمون متواترة.

رجعٌ وتبيين

الضمير في القرآن ـ علىٰ الباطن والتأويل ـ قد يعود إلىٰ غير مذكور في اللفظ، علىٰ أنك إذا أخذت ما قيل بحسبه رأيت الدلالة فيه ظاهرة. والضمير في ﴿ وَإِنَّهُ ﴾[2] وإن عاد ظاهراً علىٰ القرآن، إلّا أنه لاشتماله علىٰ الولاية، بل جميع التكاليف، فهي روحها، صحّ إرادتها، وأن تدخل في المُنزَل الأهم.

والأمانة ـ سواء أُريد بها الإمامة، أو مطلق التكاليف، فإن جميعها مطلوب ـ لا يقوم بأعبائها إلّا الإمام. وهذا العرض حقيقة بحسب الوجود والقبول الفعلي، لا مجازاً كما قيل[3]، ولا أنه عرض علىٰ أهلها، فحُذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه، كما قيل[4]؛ لمنافاته صريح الروايات وصافي الاعتبار، ولتجويزه القول بنفي العرض عليها، وليس كذلك، وصريح النص يحيله.

فالمراد بالعرض: استدعاء التحمل، وبيان قصور الكل عن التحمل لها وعجزهم باختيارهم، ففيه زيادة مدح لمن حملها، وذم لمن ادعاها وليس لها بأهل، فظلمه أشد ظلم، وكذا جهله؛ لأنه الجهل المركب، بل جميع مراتبه من فاضله.

واللبس: [...][5]، ولمّا كان إنكار ولايتهم عليهم السلام هي الظلم العظيم صحّ إرادته من الظلم، فجميع المعاصي فروع أعدائهم. ويراد حينئذ من الإيمان ـ في: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[6] ـ مطلق الإقرار باللسان، وإن اعتقد المقرّ خلافه.

---

(١) «الكافي» ج١، ص٤٣٧، باب فيه نتف وجوامع من الرواية .. ح٦.

(٢) «الشعراء» الآية: ١٩٢.

(٣) «المسائل العكبرية» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج٦، ص٨٩.

(٤) «المسائل العكبرية» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج٦، ص٩٠؛ «مجمع البيان» ج٨، ص٤٨٣.

(٥) فراغ في الأصل. (٦) «الأنعام» الآية: ٨٢.

والذي في سورة التغابن: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾[١].

وغير خفي أنّ مطلق الإقرار بالدعوة الظاهرة غير كافٍ في استحقاق الثواب، وإن حقن به الدم والمال في بعض، بل [لا بدّ له][٢] من التصديق والاعتقاد القلبي، وذلك لا يحصل إلّا باعتقاد الولاية؛ فبها يميّز الخبيث من الطيب، ولهذا كان التمييز بها، والروايات بها متواترة كما مرّت.

وأمّا الكلام علىٰ عالم الذر ومعنىٰ الأخذ فسيأتي في أبواب الايمان والكفر إن شاء الله تعالىٰ.

ولمّا كان الإقرار بأمر وإعطاء العهد عليه التزام وإيجاب علىٰ النفس، دخل في قوله تعالىٰ: ﴿ يُوفُونَ بالنَّذْرِ ﴾[٣]، وفيه دليل علىٰ تسمية العهد نذراً، وهو خبر في معنىٰ الأمر. والمراد به ما أخذ عليهم في الميثاق من الإقرار بمحمد وآله واعتقاد ولايتهم.

ولمّا كانت الولاية ثابتة في كلِ عصر وشريعة، فهي جارية من آدم، ولا نسخ فيها، وجميع الكتب مُنزَلة بها وقائمة فيها، كان المنكر لها منكراً لجميعها وغير قائم بها، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَوْراةَ ﴾ الآية[٤]. علىٰ أنها أيضاً مصرحة بولاية آل الرسول.

وقوله: ﴿ وَما كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤذُوا رَسُولَ اللهِ ﴾ إلىٰ ﴿ قالُوا ﴾[٥]، يحتمل أنّ [النظم][٦] كان هكذا، أو وصل بين الآيتين بياناً للارتباط، وحذو هذه الأُمة حذو بني إسرائيل. والآيتان في الأحزاب، إلّا إنّ قوله تعالىٰ: ﴿ كالَّذِينَ آذَوْا مُوسىٰ ﴾ منفصل عن الأول، وأول الأُولىٰ: ﴿ وَما كانَ لَكُم أن تُؤذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً ﴾[٧]، والثانية: ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمّا قَالُوا وَكانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً ﴾[٨].

والظاهر أنّ مراد الإمام بيان معنىٰ الآية وتأويلها، لا التغيير اللفظي والتبديل. وغير خفي أنّ ما فعلته الأُمة العامة بآل الرسول بعده ـ من القتل والظلم والغصب وغير ذلك ـ مما يؤذيه، بل فعلوا بآل الرسول حياةً المنكرَ الفضيع، ومن آذاه آذىٰ الله، وكذا [...][٩] عليه.

---

(١) «التغابن» الآية: ٢.
(٢) في الأصل: «لا يدل».
(٣) «الإنسان» الآية: ٧.
(٤) «المائدة» الآية: ٦٦.
(٥) «الأحزاب» الآية: ٥٣، ٦٩.
(٦) في الأصل: «التظلم».
(٧) «الأحزاب» الآية: ٥٣.
(٨) «الأحزاب» الآية: ٦٩.
(٩) فراغ في الأصل.

وقد ورد عن الصادق عليه السلام تفسير الوالد: (آدم ﴿ وَمَا وَلَدَ ﴾ من الأنبياء والأوصياء وأتباعهم)[1]. ولا منافاة؛ فإنهم عليهم السلام في صلبه، وما سجدت الملائكة إلّا لكونهم في صلبه.

و﴿ لا ﴾ في: ﴿ لا أُقْسِمُ ﴾[2] [ردّ][3] لمن أنكر القسم بهم، أو لحلف الكفار بمثل اللات. و﴿ أُقْسِمُ ﴾ إثبات، فيحسن حينئذ الوقف بعد قوله تعالىٰ: ﴿ لا ﴾.

ولمّا كان المقصود من قوله: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ ﴾ الآية[4]، بيان مزيد شرف هذه الأمة علىٰ ما سواها، وكذا ماذكر من صفاتها، تَعيّنَ إرادة بعض هذه الأُمة، فإذن هي التي أذهب الله عنها الرجس، وقال فيها الرسول ما قال، من عدم مفارقتهم القرآن[5]، وأنهم كسفينة نوح[6]، وأمثال ذلك. يدل عليه أيضاً إطلاق الهداية والعدل بالحق، الموجب للولاية المطلقة، وهي العصمة.

فإذن، المراد بالأُمة: الأئمة المعصومون، لا مطلق الأُمة، ولا بعضاً غير معيّن، ولا معيّن غيرهم، فتدبّر.

ولمّا كان الكتاب [...][7]، بل الإنسان الكامل، فكل يدور علىٰ الآخر، وهم عليهم السلام آيات محكمات، صحّ تفسيرها في قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ ﴾[8] بهم عليهم السلام. وإطلاق الكلمة والآية علىٰ الموجود ظاهر من الروايات والآيات، وليس بخاصٍ بالحرفيّ كما قيل.

ولمّا كان في ولاية فلان وفلان نوع اشتباه علىٰ الجاهل، من جهة التخلية والسعة الدنيوية، لتمييز الطينة، ولتعلو حجة الله، كانت متشابهة، ولا اشتباه إلّا علىٰ الجاهل، أما العالم فلا، وكذا من ردّ إليه، فمنار الحق له مرشد مبيّن في كل وقت.

---

(١) «مجمع البيان» ج ١٠، ص٦٢٨، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «البلد» الآية: ١. (٣) في الأصل: «ورد».

(٤) «الأعراف» الآية: ١٨١.

(٥) «مسند أحمد بن حنبل» ج ٥، ص١٨٢، ١٨٩؛ «المعجم الكبير» ج ٣، ص٦٥، ح٢٦٧٨؛ ص٦٦، ح٢٦٧٩، ٢٦٨١.

(٦) «المعجم الكبير» ج ٣، ص٤٥، ح٢٦٣٦؛ ص٤٦، ح٢٦٣٧، ٢٦٣٨؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج ٢، ص٣٤٣. (٧) فراغ في الأصل.

(٨) «آل عمران» الآية: ٧.

وقد تواترت الروايات عندنا[١] وعند العامة[٢] بحذو هذه الأُمة حذو الأُمم السابقة. قال تعالىٰ: ﴿ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ ﴾ إلىٰ: ﴿ خَاضُوا ﴾[٣]. فكما وقع اتخاذ أولياء من دون الله في الأُمم السابقة، والخروج علىٰ وصي موسىٰ وغيره من الأنبياء، فلابد من وقوع مثله هنا.

وليس معنىٰ الترك في آدم أنه لم يقرّ بأمر محمد وآله، وإلّا لكفر، لكن لم يعرف كمعرفة أُولي العزم. فانظر إلىٰ علو شأن محمّد وآله، تفاضل الأنبياء بتفاضل معرفتهم بهم والتحمل لسرهم.

وعلىٰ ما فسّر الإمام ﴿ وَمَن بَلَغَ ﴾[٤] بالإمام، يكون معطوفاً علىٰ الضمير المستتر في ﴿ لِأُنذِرَكُم ﴾[٥]، وليس هو بعام؛ فليس كلّ من بلغ عرف القرآن جملة وتفصيلاً، فلابد من إرادة البعض، وليس كذلك إلّا الإمام، فتدبّر.

وعُرف من قوله عليه السلام: (فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله) عموم الخطاب للكل شفاهاً، والأدلة بذلك ـ عقلاً ونقلاً ـ كثيرة، من غير لزوم ما أورده المنكر. ويتفرع علىٰ ذلك عدة مسائل في الفقه وغيره، وسنبسطه في أُصول الفقه إن شاء الله تعالىٰ.

❑ الحديث رقم ﴿٣١﴾

قوله: ﴿عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ ﴾ محمد ﴿ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ ﴾ بموالاة علي فـ ﴿ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً ﴾ من آل محمد ﴿ كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾[٦] ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٣٢﴾

قوله: ﴿عن محمد بن سنان، عن الرضا عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ﴾ بولاية علي ﴿ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾[٧] يا محمد من ولاية علي، هكذا في الكتاب مخطوطة ﴾.

---

(١) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج٢، ص٤٤٠؛ «بحار الأنوار» ج٢٨، ص١٤، ح٢٢.
(٢) «سنن الترمذي» ج٥، ص٢٦، ح٢٦٤١؛ «المستدرك علىٰ الصحيحين» ج١، ص١٢٩.
(٣) «التوبة» الآية: ٦٩. (٤)، (٥) «الأنعام» الآية: ١٩.
(٦) «البقرة» الآية: ٨٧. (٧) «الشورىٰ» الآية: ١٣.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣٣ ﴾

قوله: ﴿عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أنْ هَدَانا اللهُ ﴾[1]، فقال: إذا كان يوم القيامة دعي بالنبي صلى الله عليه وآله وبأمير المؤمنين عليه السلام وبالأئمة من ولده عليهم السلام، فيُنصَبون للناس، فإذا رأتهم شيعتهم قالوا: ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانا لِهذا وَما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أنْ هَدَانا اللهُ ﴾، يعني هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ولده ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣٤ ﴾

قوله: ﴿عن [عبدالله][2] بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ عَمَّ يَتَساءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ ﴾[3]، قال: النبأ العظيم الولاية. وسألته عن قوله: ﴿ هُنالِكَ الوَلايَةُ لِلَّهِ الحَقِّ ﴾[4]، قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣٥ ﴾

قوله: ﴿عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدينِ حَنِيفاً ﴾[5]، قال: هي الولاية ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣٦ ﴾

قوله: ﴿عن إبراهيم الهمداني، يرفعه إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَنَضَعُ المَوازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيامَةِ ﴾[6]، قال: الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ﴾.

---

(١) «الأعراف» الآية: ٤٣.

(٢) في الأصل: «عبد الرحمن».

(٣) «النبأ» الآية: ١ - ٢.

(٤) «الكهف» الآية: ٤٤.

(٥) «الروم» الآية: ٣٠.

(٦) «الأنبياء» الآية: ٤٧.

الحديث رقم ﴿ ٣٧ ﴾

قوله: ﴿عن المفضّل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالىٰ: ﴿ ائْتِ بِقُرآنٍ غَيرِ هَـذا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾[1]، قال: قالوا: أو بدّل علياً عليه السلام ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٣٨ ﴾

قوله: ﴿عن إدريس بن عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن تفسير هذه الآية: ﴿ ما سَلَكَكُمْ في سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ ﴾[2]، قال: عنىٰ بها: لم نك من أتباع الأئمة الذين قال الله تبارك وتعالىٰ فيهم: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلٰئكَ المُقَرَّبُونَ ﴾[3]. أما ترىٰ الناس يسمّون الذي يلي السابق في الحَلْبة مصلّي، فذلك الذي عنىٰ حيث قال: ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ ﴾، [أي][4] لم نك من أتباع السابقين ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٣٩ ﴾

قوله: ﴿عن يونس بن يعقوب، عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأن لَوِ اسْتَقامُوا عَلَىٰ الطَرِيقَةِ لأَسْقَيْناهُم مَاءً غَدَقاً ﴾[5]، يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام والأوصياء عليهم السلام ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٤٠ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ

---

(١) «يونس» الآية: ١٥.
(٢) «المدثر» الآية: ٤٢ – ٤٣.
(٣) «الواقعة» الآية: ١٠ – ١١.
(٤) ليست في المصدر.
(٥) «الجن» الآية: ١٦.

وجلّ: ﴿ [إنَّ][1] الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا ﴾، فقال أبو عبدالله عليه السلام: استقاموا على الأئمة واحداً بعد واحد ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلَّا تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[2] ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٤١ ﴾

قوله: ﴿عن أبي حمزة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ ﴾[3]، فقال: إنّما أعظكم بولاية علي عليه السلام، هي الواحدة التي قال الله تبارك وتعالى: ﴿ [قل][4] إنما أعظكم بواحدة ﴾ ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٤٢ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً ﴾[5] ﴿ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾[6]، قال: نزلت في فلان وفلان وفلان، آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله في أول الأمر، وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية، حين قال النبي صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه [فهذا عليٌّ][7] مولاه، ثمّ آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ كفروا حيث مضى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يقرّوا بالبيعة، ثمّ ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء ﴾.

الحديث رقم ﴿ ٤٣ ﴾

قوله: ﴿وبهذا الإسناد، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ

---

(١) ليست في المصدر.
(٢) «فصّلت» الآية: ٣٠.
(٣) «سبأ» الآية: ٤٦.
(٤) ليست في المصدر.
(٥) «النساء» الآية: ١٣٧.
(٦) «آل عمران» الآية: ٩٠.
(٧) في الأصل: «فعلي».

الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَىٰ ﴾[١]، فلان وفلان وفلان، ارتدوا عن الإيمان في ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام .

قلت: قوله تعالىٰ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَانَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ ﴾[٢]، قال: نزلت والله فيهما وفي أتباعهما، وهو قول الله عزَّ وجلَّ [الذي] نزل به جبرئيل عليه السلام علىٰ محمد صلى الله عليه وآله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذينَ كَرِهُوا مَانَزَّلَ اللهُ ﴾ في علي عليه السلام ﴿ سَنُطِيعُكُمْ في بَعْضِ الأَمْرِ ﴾ .

قال: دعوا بني أمية إلىٰ ميثاقهم ألّا يصيّروا الأمر فينا بعد النبي صلى الله عليه وآله، ولا يعطونا من الخمس شيئاً، وقالوا: إن أعطيناهم إياه لم يحتاجوا إلىٰ شيء، ولم يبالوا أن يكون الأمر فيهم، فقالوا: سنطيعكم في بعض الأمر الذي دعوتمونا إليه ـ وهو الخمس ـ ألّا نعطيهم منه شيئاً .

وقوله: ﴿ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللهُ ﴾، والذي نزّل الله ما افترض علىٰ خلقه من ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وكان معهم أبو عبيدة، وكان كاتبهم، فأنزل الله: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ ﴾ الآية[٣] ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤٤ ﴾

قوله: ﴿وبهذا الإسناد، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَن يُرِدْ فيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ ﴾[٤]، قال: نزلت فيهم حيث دخلوا الكعبة، فتعاهدوا وتعاقدوا علىٰ كفرهم وجحودهم بما نزل في أمير المؤمنين عليه السلام، فألحدوا في البيت بظلمهم الرسول صلى الله عليه وآله ووليّه، ﴿ فَبُعْداً لِلْقَومِ الظَّالِمِينَ ﴾[٥] ﴾.

---

(١) «محمد» الآية: ٢٥.
(٢) «محمد» الآية: ٢٦.
(٣) «الزخرف» الآية: ٧٩ ـ ٨٠.
(٤) «الحج» الآية: ٢٥.
(٥) «المؤمنون» الآية: ٤١.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤٥ ﴾

قوله: ﴿عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ في ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾[1]. يا معشر المكذّبين حيث أنبأتكم رسالة ربّي في ولاية علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام من بعده، مَن هو في ضلال مبين، كذا أُنزلت.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ إنْ تَلْوُوا أوْ تُعْرِضُوا ﴾، فقال: إن تلووا الأمر وتعرضوا عمّا أُمرتم [به] ﴿ فإنَّ اللهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبيراً ﴾[2].

وفي قوله: ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بتركهم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴿ عَذاباً شَدِيداً ﴾ في الدنيا ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أسْوأَ الَّذي كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[3]﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤٦ ﴾

قوله: ﴿عن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام: ذلك ﴿ بأنَّهُ إذا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ ﴾ وأهل الولاية ﴿ كَفَرْتُمْ ﴾[4]﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤٧ ﴾

قوله: ﴿عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله تعالىٰ: ﴿ سَألَ سَائِلٌ بِعَذابٍ وَاقِعٍ * لِلْكافِرِينَ ﴾ بولاية علي عليه السلام ﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾[5]. ثمّ قال: هكذا والله نزل بها جبرئيل عليه السلام علىٰ محمد صلى الله عليه وآله﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤٨ ﴾

قوله: ﴿عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ إنَّكُمْ لَفِي

---

(١) «الملك» الآية: ٢٩.
(٢) «النساء» الآية: ١٣٥.
(٣) «فصّلت» الآية: ٢٧.
(٤) «غافر» الآية: ١٢.
(٥) «المعارج» الآية: ١، ٢.

قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴾[١] في أمر الولاية ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾ قال: من أُفك عن الولاية أُفك عن الجنة ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٤٩ ﴾

قوله: ﴿عن يونس، قال: أخبرني من رفعه إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام، في قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ * وَما أدراكَ ما العَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾[٢]، يعني بقوله: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّ ذلك فكّ رقبة ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥٠ ﴾

قوله: ﴿وبهذا الإسناد، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾[٣]، قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥١ ﴾

قوله: ﴿عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ هَـٰذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا في رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بولاية علي عليه السلام ﴿ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِن نارٍ ﴾[٤] ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥٢ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الرحمن بن كثير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالىٰ: ﴿ هُنالِكَ الوَلايَةُ للهِ الحَقِّ ﴾[٥]، قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴾.

---

(١) «الذاريات» الآية: ٨، ٩.
(٢) «البلد» الآية: ١١ – ١٣.
(٣) «يونس» الآية: ٢.
(٤) «الحج» الآية: ١٩.
(٥) «الكهف» الآية: ٤٤.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥٣ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الرحمن بن كثير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً ﴾[1]، قال: صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥٤ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً ﴾[2]، يعني الولاية، من دخل في الولاية دخل في بيت الأنبياء عليهم السلام . وقوله: ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[3]، يعني الأئمة عليهم السلام وولايتهم، من دخل فيها دخل في بيت النبي صلى الله عليه وآله ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥٥ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن الفضيل، عن الرضا عليه السلام، قال: قلت: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[4]، قال: بولاية محمد وآل محمد عليهم السلام، خيرٌ مما يجمع هؤلاء من دنياهم﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٥٦ ﴾

قوله: ﴿عن زيد الشحّام، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام ـ ونحن في الطريق في ليلة الجمعة ـ: اقرأ، فإنها ليلة الجمعة [قرآناً]، فقرأت: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ [كان] ﴿ مِيقاتُهُمْ أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ ﴾[5]، فقال أبو عبد الله عليه السلام: نحن والله الذي رحم الله، ونحن والله الذي استثنى الله، لكنّا نغني عنهم﴾.

---

(١) «البقرة» الآية: ١٣٨.
(٢) «نوح» الآية: ٢٨.
(٣) «الأحزاب» الآية: ٣٣.
(٤) «يونس» الآية: ٥٨.
(٥) «الدخان» الآية: ٤٠ – ٤٢.

الحديث رقم ﴿ ٥٧ ﴾

قوله: «عن يحيىٰ بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لمّا نزلت: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾[1]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هي أُذنك يا علي».

الحديث رقم ﴿ ٥٨ ﴾

قوله: «عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية علىٰ محمد صلى الله عليه وآله هكذا: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ آل محمد حقهم ﴿ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنا عَلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ آل محمد حقهم ﴿ رِجزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[2]».

الحديث رقم ﴿ ٥٩ ﴾

قوله: «عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية هكذا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ... ظَلَمُوا ﴾ آل محمد حقّهم ﴿ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ولا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً * إِلّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيها أَبَداً وَكانَ ذٰلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيراً ﴾، ثمّ قال: ﴿ يا أَيُّها النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالحَقِّ مِن رَبِّكُمْ ﴾ في ولاية عليّ ﴿ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا ﴾ بولاية عليّ ﴿ فَإِنَّ لِلهِ ما فِي السَّمٰواتِ وَ﴾ ما في ﴿ الأَرْضِ ﴾[3]».

أقول: روىٰ علي بن إبراهيم، بسنده عن الرضا عليه السلام، في حديث، إلىٰ أن قال: (﴿ كَبُرَ عَلَىٰ المُشْرِكِينَ ﴾ من أشرك بولاية علي ﴿ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ من ولاية علي. وقـال: ﴿ اللهُ ﴾ يامحمد ﴿ يَجْتَبي إِلَيْه مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[4]، من يجيبك إلىٰ ولاية علي)[5].

---

(١) «الحاقة» الآية: ١٢.
(٢) «البقرة» الآية: ٥٩.
(٣) «النساء» الآية: ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ولفظ الآية: ١٦٨ في المصحف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَروا وظلموا ﴾.
(٤) «الشورىٰ» الآية: ١٣.
(٥) انظر: «الكافي» ج١، ص٢٢٤، باب أن الأئمة ورثوا علم النبي.. ح١، بتفاوت يسير؛ «تفسير البرهـان» ج٤، ص١١٩، ح٥، عنه.

في بصائر سعد[١] روىٰ تفسير هذه الآية كما هنا، وكذا محمد بن العباس[٢].

وفي الكافي، بسنده عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك، إنّ الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾[٣] قال: (ذلك إليّ، إن شئت أخبرتهم، وإن شئت لم أخبرهم). ثمّ قال: (لكني أخبرك بتفسيرها)، قلت: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾؟ قال: فقال: (هي في أمير المؤمنين عليه السلام، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما لله عزَّ وجلَّ آية هي أكبر منّي، ولا لله من نبأ أعظم منّي)[٤].

ورواه الصفار في البصائر بزيادة: (ولقد عرضت ولايتي علىٰ الأمم الماضية فأبت أن تقبلها)[٥].

وروىٰ نحوه محمد بن العباس[٦] أيضاً.

وبسنده عن أبان بن تغلب، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾[٧]، قال: (هو علي بن أبي طالب عليه السلام، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فيه خلاف)[٨].

ومما تواتر في الخطب والزيارات[٩] وكتب الصدوق[١٠] وغيره[١١] تسمية علي عليه السلام بالنبأ

---

(١) انظر: «تفسير البرهان» ج٤، ص١١٩، ح٦، عنه، باختلاف عمّا هنا. ورواه الصفّار في «بصائر الدرجات» ص١١٩، ح١، بتفاوت يسير.

(٢) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٥٢٩، ٥٣٠؛ «تفسير البرهان» ج٤، ص١١٩، ح٨.

(٣) «النبأ» الآية: ١ ـ ٢.

(٤) «الكافي» ج١، ص٢٠٧، باب أن الآيات التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ.. ح٣، بتفاوت يسير.

(٥) «بصائر الدرجات» ص٧٦، ح٣، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٧٣٣؛ «تفسير البرهان» ج٤، ص٤١٩، ح٥.

(٧) «النبأ» الآية: ١ ـ ٣.

(٨) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٧٣٤، بتفاوت يسير؛ «تفسير البرهان» ج٤، ص٤٢٠، ح٦، صححناه علىٰ المصدر.

(٩) «فرحة الغري» ص٩٥؛ «البلد الأمين» طبعة حجرية، ص٢٩٢.

(١٠) «عيون أخبار الرضا» ج٢، ص٦، ح١٣.

(١١) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج٢، ص٤٢٦؛ «بحار الأنوار» ج٣٦، ص١ ـ ٤، باب أنه عليه السلام النبأ العظيم ...

العظيم، ورواه من المخالفين الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي في كتابه[١] المستخرج من تفاسير الاثني عشر، في تفسير هذه الآية.

وروىٰ محمد بن العباس، بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر ﷺ، قال: قلت له: قوله تعالىٰ: ﴿ هُنالِكَ الوَلايَةُ لِلّٰهِ الحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴾[٢] قال: (هي ولاية علي ﷺ، هو خير ثوباً وخير عقباً)[٣].

وقد روىٰ الصدوق[٤]، والبرسي[٥]، والطبرسي في الاحتجاج[٦]، وغيرهم، تفسير ﴿ المَوازِينَ ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَنَضَعُ المَوازِينَ ﴾[٧] بالأئمة.

وورد أيضاً في تفسير[٨] غير هذه الآية.

قال علي بن إبراهيم: «وأما قوله تعالىٰ: ﴿ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ فإنه أخبرني الحسن بن عليّ، عن أبيه، عن حماد بن عيسىٰ، عن أبي السفاتج، عن أبي عبد الله ﷺ، في قوله تعالىٰ: ﴿ ائْتِ بِقُرآنٍ غَيرِ هَذا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾، (يعني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، ﴿ قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقاءِ نَفْسِي إنْ أَتَّبِعُ إلّا ما يُوحَىٰ إلَيَّ ﴾[٩]، يعني في علي بن أبي طالب ﷺ)»[١٠].

العياشي، عن أبي السفاتج، عن أبي عبد الله ﷺ، في قوله: ﴿ ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هـذا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾، (يعني أمير المؤمنين ﷺ)[١١].

---

(١) انظر: «تفسير البرهان» ج٤، ص٤٢٠، ح٨، عنه.

(٢) «الكهف» الآية: ٤٤.

(٣) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٢٨٩، باختلاف؛ «تفسير البرهان» ج٤، ص٤٦٩، ح٢، صححناه علىٰ المصدر.

(٤) «معاني الأخبار» ص٣١، ح١، وفيه (هم الأنبياء والأوصياء).

(٥) «مشارق أنوار اليقين» ص٦٣، وفيه عن ابن عباس: «الموازين: الأنبياء والأولياء».

(٦) «الاحتجاج» ج١، ص٥٧٢، وفيه: (وأما قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ونَضَعُ الموازينَ ﴾ .. فهو ميزان العدل).

(٧) «الأنبياء» الآية: ٤٧.

(٨) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج٢، ص٢٧٨ - ٢٧٩، ٣٥٤، ٣٦٤. في تفسير قوله تعالىٰ في: «الشورىٰ» الآية: ١٧؛ «الرحمن» الآية: ٧ - ٩؛ «الحديد» الآية: ٢٥.

(٩) «يونس» الآية: ١٥.

(١٠) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج١، ص٣٣٨، صححناه علىٰ المصدر.

(١١) «تفسير العياشي» ج٢، ص١٢٨، ح١١، صححناه علىٰ المصدر.

وقد روىٰ محمد بن العباس[١] ـ في غير حديث ـ وعلي بن إبراهيم[٢] وغيرهم[٣] تفسير: ﴿ الطَّرِيقَةِ ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُم ماءً غَدَقاً ﴾[٤] بالولاية، والماء الغدق بالعلوم الحقة منهم عليهم السلام، أو [الفرات][٥]، ولا تنافي. وفي بصائر سعد[٦] والصفّار أيضاً، ورواه محمد بن العباس[٧].

وعن الإمام العسكري تفسير الاستقامة ـ في: ﴿ ثُمَّ اسْتَقامُوا ﴾[٨] ـ بالثبات علىٰ ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام[٩].

علي بن إبراهيم، بسنده عن محمد بن علي، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبارِهِمْ ﴾، (عن الإيمان، لتركهم ولاية عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿ الشَّيْطانُ ﴾ يعني فلاناً ﴿ سَوَّلَ لَهُم ﴾ يعني بني فلان وبني فلان وبني أُمية. قوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ ﴾ هو ما افترض الله علىٰ خلقه من ولاية أمير المؤمنين ﴿ سَنُطِيعُكُمْ في بَعْضِ الأَمْرِ ﴾[١٠]، قال: دعوا بني امية إلىٰ ميثاقهم ألّا يصيّروا الأمر لنا بعد النبي صلى الله عليه وآله، ولا يعطونا من الخمس شيئاً، وقالوا: إن أعطيناهم الخمس استغنوا به، فقالوا: سنطيعكم في بعض الأمر، أي لا تعطوهم من الخمس شيئاً، فأنزل الله علىٰ نبيه: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً ﴾ إلىٰ ﴿ يَكْتُبُونَ ﴾[١١])[١٢].

محمد بن العباس، بسنده عن الصادق عليه السلام، في: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا ﴾ إلىٰ ﴿ الهُدَىٰ ﴾، قال عليه السلام: (الهدىٰ هو سبيل علي بن أبي طالب عليه السلام)[١٣].

محمد بن العباس، بسنده عن حسين بن محمد، قال: سألت سفيان بن عيينة عن قوله

---

(١) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٧٠٣ – ٧٠٤؛ «تفسير البرهان» ج ٤، ص٣٩٢ – ٣٩٣، ح ٢، ٣، ٤.
(٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٤١١، ٤١٣.
(٣) «مجمع البيان» ج ١٠، ص٤٧١.
(٤) «الجن» الآية: ١٦.
(٥) في الأصل: «القران».
(٦) «مختصر بصائر الدرجات» ص١٧٤.
(٧) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٧٠٤، وفيه: (لجعلنا أظلتهم في الماء العذب).
(٨) «فصّلت» الآية: ٣٠.
(٩) «التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام» ص ٢٤٠، ح ١١٧.
(١٠) «محمد» الآية: ٢٥، ٢٦.
(١١) «الزخرف» الآية: ٧٩ – ٨٠.
(١٢) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص٣١٤، باختلاف يسير، صححناه علىٰ المصدر.
(١٣) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٥٦٩، بتفاوت يسير؛ «تفسير البرهان» ج ٤، ص١٨٧، ح ٣.

تعالىٰ: ﴿ سَأَلَ سائِلٌ بعَذابٍ وَاقِعٍ ﴾ فيمن نزلت؟ فقال: يا بن أخي، لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك، لقد سألتُ جعفر بن محمد عليه السلام عن مثل ذلك فقال: (أخبرني أبي، عن جدي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لمّا كان يوم غدير خم، وأخذ الرسول صلى الله عليه وآله بضبعي علي وقال ما قال، وفشا في الناس، أتىٰ الحارث بن النعمان الفهري للنبي صلى الله عليه وآله فقال له: دعوتنا للشهادة فشهدنا، ثمّ قلت لنا: صلّوا، فصلّينا، ثمّ قلت لنا: صوموا، فصمنا، ثمّ قلت لنا: حجّوا، فحججنا، ثمّ قلت لنا: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه. فهذا عنك أم عن الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: بل عن الله، فقالها ثلاثاً، فنهض وهو مغضب ويقول: اللهم إن كان ما يقوله محمد صلى الله عليه وآله حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، تكون نقمة في أولنا، وآية في آخرنا، وإن كان كذباً فأنزل به نقمتك، ثم أثار ناقته واستوىٰ عليها، فرُمي بحجر علىٰ رأسه فوقع ميتاً، فأنزل الله هذه الآية)[1].

وبسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه تلا: (﴿ سَأَلَ سائِلٌ بعَذابٍ واقِعٍ * لِلكافِرِينَ﴾ بولاية علي ﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾[2])، ثمّ قال: (هكذا في مصحف فاطمة)[3].

شرف الدين النجفي، بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: (﴿ سَأَلَ سائِلٌ بعَذابٍ واقِعٍ * لِلكافِرِينَ ﴾ بولاية علي ﴿ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ ﴾)، ثمّ قال: (هكذا والله نزل بها جبرئيل علىٰ النبي صلى الله عليه وآله، وهكذا هو مثبت في مصحف فاطمة)[4].

وروىٰ محمد بن الحسن الصفار، بسنده عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (وأما قوله: ﴿ إِنَّكُم لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴾[5]، فإنه علي، يعني أنه لمختلف عليه، وقد اختلف هذه الأُمة في ولايته، فمن استقام علىٰ ولاية علي دخل الجنة، ومن خالف ولاية علي دخل النار)[6].

محمد بن العباس، بسنده عن أبان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية: ﴿ فَلا

---

(١) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٦٩٧ – ٦٩٨؛ «تفسير البرهان» ج ٤، ص ٣٨١، ح ٣، نقله بالمعنىٰ.

(٢) «المعارج» الآية: ١، ٢.

(٣) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٦٩٨، بتفاوت يسير؛ «تفسير البرهان» ج ٤ ص ٣٨٢، ح ٤.

(٤) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٦٩٨، صححناه علىٰ المصدر.

(٥) «الذاريات» الآية: ٨.

(٦) «بصائر الدرجات» ص٧٧، ح ٥، صححناه علىٰ المصدر.

اقْتَحَمَ العَقَبَةَ ﴾[1]، فقال: (يا أبان، هل بلغك من أحد فيها شيء؟) فقلت: لا، فقال: (نحن العقبة، فلا يصعد إلينا إلّا من كان منّا)[2].

وروىٰ العياشي عن يونس، عمّن ذكره، [و]عن أبي عبد الله عليه السلام، في: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[3]، قال: (الولاية)[4].

وبسنده عن إبراهيم بن عمر، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: (هو رسول الله صلى الله عليه وآله)[5].

ورواه أيضاً محمد بن يعقوب في الكافي[6].

ولا تنافي؛ فولايته ولاية الرسول، وولاية الرسول لا تتم إلّا بولايته.

وروىٰ الصدوق بسنده عن الحسين عليه السلام، في: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا ﴾ الآية[7]، قال: (نحن وبنو أُمية اختصمنا في الله عزَّ وجلَّ، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله، فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة)[8].

وروىٰ محمد بن العباس، بسنده عن قيس بن سعد بن عبادة، عن علي عليه السلام، قال: (أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن).

وقال قيس: وفيهم نزلت: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ ﴾ الآية، وهم الذين تبارزوا يوم بدر، علي وحمزة وعبيدة، وشيبة وعتبة والوليد[9].

كشف الغمة، عن مسلم[10] والبخاري[11]، من حديث أبي ذر في هذه الآية: «نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث، الذين بارزوا المشركين يوم بدر: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة»[12].

---

(١) «البلد» الآية: ١١.

(٢) «تأويل الآيات الظاهرة» ص ٧٧٢؛ «تفسير البرهان» ج ٤، ص ٤٦٥، ح ٨، بتفاوت يسير.

(٣) «يونس» الآية: ٢. (٤) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ١٢٧، ح ٣، ٤.

(٥) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ١٢٧، ح ٥، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) «الكافي» ج ٨، ص ٢٩٩، ح ٥٥٤. (٧) «الحج» الآية: ١٩.

(٨) «الخصال» ص ٤٣، ح ٣٥.

(٩) «تأويل الآيات الظاهرة» ص ٣٣٠؛ «تفسير البرهان» ج ٣، ص ٨١، ح ٣، بتفاوت يسير.

(١٠) «صحيح مسلم» ج ٤، ص ١٨٣٥، ح ٣٠٣٣. (١١) «صحيح البخاري» ج ٤، ص ١٤٥٩، ح ٣٧٤٨.

(١٢) «كشف الغمة» ج ١، ص ٣١٩، صححناه علىٰ المصدر.

وروىٰ علي بن إبراهيم، قال: (نحن وبنو أُمية، قلنا: صدق الله ورسوله، وقالوا: كـذب)... الحديث[١].

وتفسير الصبغة بالولاية متواتر معنًى[٢]، وكذا تفسير البيوت بها[٣].

العياشي، عن الأصبغ بن نباتة، عن أميرالمؤمنين عليه السلام، في: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ قال: (فليفرح شيعتنا، ﴿ هُوَ خَيْرٌ ﴾[٤] مما أعطي عدوّنا من الذهب والفضة)[٥].

وروىٰ[٦] نحوه معنًى عن أبي جعفر عليه السلام، وكذا الصدوق والشيخ في الأمالي[٧].

ولا شك في ذلك، إذ به السلامة غداً، والحياة الدائمة، وسعة الدنيا زائلة في التقلب آناً فآناً، ﴿ إِنَّما مَثَلُ الحَياةِ الدُّنيا ﴾ الآية[٨].

عن محمد بن العباس، بسنده عن زيد الشحّام، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ... الحديث[٩]، كما في الأصل.

و [بسنده][١٠] عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام، في: ﴿ يَومَ لا يُغْني ﴾ إلىٰ ﴿ رَحِمَ اللهُ ﴾[١١]،قال: (نحن أهل الرحمة)[١٢].

وبسنده عن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ يَومَ لا يُغْنِي ﴾ الآية، قال:

---

(١) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ٨٠، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «الكافي» ج ٢، ص ١٤، باب في أن الصبغة هي الاسلام.

(٣) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص ١٠٤؛ «كمال الدين» ص٢١٨، ح ٢؛ «مناقب آل أبي طالب» ج ٤، ص١٩٨.

(٤) «يونس» الآية: ٥٨.

(٥) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ١٣٢، ح٢٨، بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.

(٦) «تفسير العياشي» ج ٢، ص ١٣٢، ح ٢٩.

(٧) «أمالي الشيخ الصدوق» ص ٤٠٠، ح ١٣؛ «أمالي الشيخ الطوسي» ص ٢٥٤، ح٤٥٧.

(٨) «يونس» الآية: ٢٤.

(٩) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٥٥٦؛ «تفسير البرهان» ج ٤، ص١٦٣، ح ٣، ولفظه كما في الحديث السادس والخمسين من هذا الباب، باختلاف.

(١٠) في الأصل: «سلمناه».

(١١) «الدخان» الآية: ٤١ – ٤٢.

(١٢) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٥٥٧؛ «تفسير البرهان» ج ٤، ص١٦٣، ح ٤، باختلاف يسير.

(نحن والله الذين رحم الله، والذين استثنى، والذين تُغني ولايتنا)[١].

سعد بن عبدالله، بسنده عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَعِيهَا أُذُنٌ واعِيَةٌ ﴾[٢]، قال: (وتعيها أذن أمير المؤمنين عليه السلام من الله، وماكان وما يكون)[٣].

الصدوق، بسنده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، عن علي عليه السلام، قال: (أنا الأُذُن الواعية، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَتَعِيَها أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾)[٤].

ورواه محمد بن العباس بعدة روايات[٥]، ورواه أيضاً العياشي[٦]، ورواه العالم ابن شهرآشوب[٧] عن العامة في حلية الأولياء[٨]، والواحدي في أسباب نزول القرآن[٩]، عن بريدة، وأبو القاسم بن حبيب في تفسيره، عن زِرّ بن حُبَيش، والثعلبي في تفسيره.

العياشي، عن زيد الشحّام، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ آل محمد حقهم ﴿ قَوْلاً غَيْرَ الَّذي قِيلَ لَهُم فأنزَلْنا عَلَىٰ الَّذينَ ظَلَمُوا ﴾ آل محمد حقهم ﴿ رِجْزاً مِنَ السَّماء بِما كَانُوا يَفْسُقُون ﴾[١٠])[١١].

وفي تفسير العسكري قال: (﴿ وَادْخُلُوا البابَ ﴾ باب القرية ﴿ سُجَّداً ﴾، مثّل الله علىٰ الباب مثال محمد وعلي، وأمرهم أن يسجدوا؛ تعظيماً لذلك المثال، ويجددوا علىٰ أنفسهم بيعتهما وذكر موالاتهما، وليذكروا العهد والميثاق المأخوذين عليهم لهما. ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ أي قولوا: إنّ سجودنا لله تعظيماً لمثال محمد وعلي، واعتقادنا لولايتهما حطة لذنوبنا ومحو لسيئاتنا. قال الله عزّ وجلّ: ﴿ نَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ أي بهذا الفعل ﴿ خَطاياكُمْ ﴾ السالفة، ونزيل عنكم آثامكم الماضية، ﴿ وَسَنَزِيدُ المُحْسِنِينَ ﴾[١٢]).

---

(١) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٥٥٧؛ «تفسير البرهان» ج٤، ص١٦٣، ح٥ بتفاوت يسير، صححناه علىٰ المصدر.
(٢) «الحاقة» الآية: ١٢.
(٣) انظر: «مختصر بصائر الدرجات» ص٦٥؛ «تفسير البرهان» ج٤، ص٣٧٥، ح١، عنه، باختلاف.
(٤) «معاني الآخبار» ص٥٩ - ٦٠، ح٩.
(٥) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٦٩٠؛ «تفسير البرهان» ج٤، ص٣٧٦، ح٤ - ٧.
(٦) انظر: «تفسير البرهان» ج٤، ص٣٧٦، ح٨، عنه.
(٧) «مناقب آل أبي طالب» ج٣، ص٩٥.
(٨) «حلية الأولياء» ج١، ص٦٧.
(٩) «أسباب النزول» ص٣٦١.
(١٠) «البقرة» الآية: ٥٩.
(١١) «تفسير العياشي» ج١، ص٦٣، ح٤٩، بتفاوت يسير.
(١٢) «البقرة» الآية: ٥٨.

إلىٰ أن قال: (﴿ فبدَّلَ الّذينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الّذي قِيلَ لَهُمْ ﴾ إنهم لم يسجدوا كما أُمروا، ولا قالوا ما أُمروا، ولكن دخلوها مستقبليها بأستاههم، وقالوا: هطا سمقانا، أي حنطة حمراء نتقوتها أحبّ إلينا من هذا الفعل وهذا القول) ... الحديث[1].

وفي سورة النساء هكذا: ﴿ إنَّ الّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا ﴾ الآية[2].

وغير خفي علىٰ من تأمل الأحاديث السابقة أنها دالة علىٰ أنّ نزول الآي هكذا، فتدل علىٰ التغيير، وأمّا دلالتها علىٰ بيان معناها أو تأويلها ـ كما قيل[3] ـ لا علىٰ النقص، فهو كما ترىٰ؛ إذ فيها: (كذا نزلت)[4]، وهو صريح في ذلك فيما نقول. وسنبسط هذه المسألة إن شاء الله في كتاب الأُصول المسمىٰ بالسلّم.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦٠ ﴾

قوله: ﴿عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام: هكذا نزلت هذه الآية: ﴿ وَلَوْ أنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ ﴾ في علي عليه السلام ﴿ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾[5]﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦١ ﴾

قوله: ﴿عن مالك الجهني، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿ وَأُوْحِيَ إلَيَّ هَذا القُرآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾[6]، قال: من بلغ أن يكون إماماً من آل محمد صلى الله عليه وآله، ينذر بالقرآن كما ينذر به رسول الله صلى الله عليه وآله ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦٢ ﴾

قوله: ﴿عن الحسين بن ميّاح، عمّن أخبره، قال: قرأ رجل عند أبي عبد الله عليه السلام: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرىٰ اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ ﴾[7]،

---

(١) «التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام» ص ٢٦٠، ح ١٢٧ - ١٢٨، صححناه علىٰ المصدر.

(٢) «النساء» الآية: ١٦٨.

(٣) «شرح المازندراني» ج ٧، ص ٥٢، ٧٤.

(٤) انظر: الأحاديث ٨، ٢٣، ٤٥، ٦٠، من هذا الباب.

(٥) «النساء» الآية: ٦٦.

(٦) «الأنعام» الآية: ١٩.

(٧) «التوبة» الآية: ١٠٥.

فقال: ليس هكذا هي، إنّما هي: والمأمونون، فنحن المأمونون ﴾.

❏ الحديث رقم ﴿ ٦٣ ﴾

قوله: ﴿عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ﴿ هَذا ﴾ صراطُ عليّ ﴿ مُسْتَقِيمٌ ﴾[1] ﴾.

❏ الحديث رقم ﴿ ٦٤ ﴾

قوله: ﴿عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: ﴿ فأبَىٰ أكْثَرُ النَّاسِ ﴾ بولاية علي ﴿ إلّا كُفُوراً ﴾[2].

قال: ونزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية هكذا: ﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِن رَبِّكُمْ ﴾ في ولاية علي ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إنّا أعْتَدْنا لِلظَّالِمين ﴾ آلَ محمد ﴿ ناراً ﴾[3] ﴾.

❏ الحديث رقم ﴿ ٦٥ ﴾

قوله: ﴿عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام في قوله: ﴿ وأَنَّ المَساجِدَ للهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أحَداً ﴾[4]، قال: هم الأوصياء ﴾.

❏ الحديث رقم ﴿ ٦٦ ﴾

قوله: ﴿عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذهِ سَبِيلي أدْعُو إلىٰ اللهِ عَلَىٰ بَصيرةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾[5]، قال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، والأوصياء من بعدهم ﴾.

❏ الحديث رقم ﴿ ٦٧ ﴾

قوله: ﴿عن سالم [الحنّاط][6] قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزَّ

---

(١) «الحجر» الآية: ٤١.
(٢) «الإسراء» الآية: ٨٩.
(٣) «الكهف» الآية: ٢٩.
(٤) «الجن» الآية: ١٨.
(٥) «يوسف» الآية: ١٠٨.
(٦) في الأصل: «الخيّاط».

وجلّ: ﴿ فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فيها مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَما وَجَدْنا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[1]، فقال أبوجعفر عليه السلام: آل محمد، لم يبق فيها غيرهم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦٨ ﴾

قوله: ﴿ عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴾[2]، قال: هذه نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه الذين عملوا ما عملوا، يرون أمير المؤمنين عليه السلام في أغبط الأماكن لهم، فيسيء وجوههم، ويقال لهم: هذا الذي كنتم به تدّعون، الذي انتحلتم اسمه ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٦٩ ﴾

قوله: ﴿ عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾[3]، قال: النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٧٠ ﴾

قوله: ﴿ عن أحمد بن عمر الحلّال، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[4]، قال: المؤذّن أمير المؤمنين عليه السلام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٧١ ﴾

قوله: ﴿ عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلىٰ صِراطِ الْحَمِيدِ ﴾[5]، قال: ذاك حمزة وجعفر وعبيدة وسلمان وأبو ذر والمقداد بن الأسود وعمار، هُدوا

---

(١) «الذاريات» الآية: ٣٥ - ٣٦.
(٢) «الملك» الآية: ٢٧.
(٣) «البروج» الآية: ٣.
(٤) «الأعراف» الآية: ٤٤.
(٥) «الحج» الآية: ٢٤.

إلىٰ أمير المؤمنين ﷺ.

وقوله: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمانَ وَزَيَّنَهُ في قُلُوبِكُمْ ﴾، يعني أمير المؤمنين، ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيانَ ﴾[1]، الأول والثاني والثالث ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٧٢ ﴾

قوله: ﴿عن أبي عبيدة، قال: سألت أبا جعفر ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿ ائْتُوني بِكِتابٍ مِن قَبْلِ هَذا أو أثارةٍ مِن عِلْمٍ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2]، قال: عنىٰ بالكتاب التوراة والإنجيل، ﴿ وأثارةٍ مِن عِلْمٍ ﴾، فإنّما عنىٰ بذلك علم أوصياء الأنبياء ﷺ ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٧٣ ﴾

قوله: ﴿عن علي بن جعفر، قال: سمعت أبا الحسن ﷺ يقول: لمّا رأىٰ رسول الله ﷺ تيماً وعدياً وبني أُمية يركبون منبره أفظعه، فأنزل الله تبارك وتعالىٰ قرآناً يتأسىٰ بـه: ﴿ وَإذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلّا إبْلِيسَ أبىٰ ﴾[3]، ثمّ أوحىٰ إليه: يا محمد، إني أمرت فلم أُطَع، فلا تجزع أنت إذا أمرت فلم تُطَع في وصيك ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٧٤ ﴾

قوله: ﴿عن الحسين بن نعيم الصحّاف، قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿ فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُم مُؤمِنٌ ﴾[4]، فقال: عرف الله عزَّ وجلَّ إيمانهم بموالاتنا وكفرهم بها يوم أخذ عليهم الميثاق وهم ذر في صلب آدم.

وسألته عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأطِيعُوا اللهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ فَإنْ تَوَلَّيْتُمْ

---

(١) «الحجرات» الآية: ٧.
(٢) «الأحقاف» الآية: ٤.
(٣) «البقرة» الآية: ٣٤.
(٤) «التغابن» الآية: ٢.

فَإِنَّما عَلَىٰ رَسُولِنا البَلاغُ المُبِينُ ﴾[1]، فقال: أما والله ما هلك من كان قبلكم، وما هلك من هلك حتىٰ يقوم قائمنا عليه السلام، إلّا في ترك ولايتنا وجحود حقنا، وما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الدنيا حتىٰ ألزم رقاب هذه الأمة حقنا، والله يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم ﴾.

☐ الحديث رقم ﴿٧٥﴾

قوله: ﴿عن علي بن جعفر، عن أخيه موسىٰ [بن جعفر][2] عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾[3]، قال: البئر المعطلة الإمام الصامت، والقصر المشيد الإمام الناطق.

وعن علي بن جعفر، عن أبي الحسن عليه السلام، مثله ﴾.

☐ الحديث رقم ﴿٧٦﴾

قوله: ﴿عن الحكم بن بهلول، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾، قال: يعني إن أشركت في الولاية غيره ﴿ بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[4]، يعني: بل الله فاعبد بالطاعة، وكن من الشاكرين إن عضدتك بأخيك وابن عمّك ﴾.

☐ الحديث رقم ﴿٧٧﴾

قوله: ﴿عن أحمد بن عيسىٰ، قال: حدّثني جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، في قوله عزّ وجلّ: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَها ﴾[5]، قال: لمّا نزلت: ﴿ إنّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا * الَّذِين يُقِيمُونَ

---

(١) «التغابن» الآية: ١٢.
(٢) ليست في المصدر.
(٣) «الحج» الآية: ٤٥.
(٤) «الزمر» الآية: ٦٥، ٦٦.
(٥) النحل» الآية: ٨٣.

الصَّلاةَ وَيؤْتُونَ الزكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ ﴾[1]، اجتمع [نفرٌ] من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجد المدينة، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها، وإن آمنا فإنّ هذا ذل حين يسلط علينا ابن أبي طالب ﷺ، فقالوا: قد علمنا أنّ محمداً ﷺ صادق فيما يقول، ولكنّا نتولاه ولا نطيع علياً فيما أمرنا.

قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها ﴾، يعني يعرفون[2] ولاية علي [بن أبي طالب] ﷺ، ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الكافِرونَ ﴾[3] بالولاية ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٧٨ ﴾

قوله: ﴿ عن سلام، قال: سألت أبا جعفر ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الأَرْضِ هَوْناً ﴾[4]، قال: هم الأوصياء من مخافة عدوّهم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٧٩ ﴾

قوله: ﴿ عن الأصبغ بن نباتة، أنّه سأل أمير المؤمنين ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿ أنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إلَيَّ المَصِيرُ ﴾، فقال: الوالدان اللذان أوجب الله لهما الشكر هما اللذان ولدا العلم، وورّثا الحكم، وأُمر الناس بطاعتهما، ثمّ قال [الله]: ﴿ إلَيَّ المَصِيرُ ﴾، فمصير العباد إلىٰ الله، والدليل علىٰ ذلك الوالدان.

ثمّ عطف القول علىٰ ابن حنتمة وصاحبه، فقال في الخاص والعام: ﴿ وَإنْ جاهَداكَ عَلَىٰ أنْ تُشْرِكَ بِي ﴾، يقول في الوصية وتعدل عمّن أمرت بطاعته ﴿ فَلا تُطِعْهُما ﴾ ولا تسمع قولهما.

---

(١) «المائدة» الآية: ٥٥.
(٢) في المصدر: «يعرفون يعني».
(٣) «النحل» الآية: ٨٣.
(٤) «الفرقان» الآية: ٦٣.

ثمّ عطف القول على الوالدين فقال: ﴿ وَصاحِبْهُما في الدُّنيا مَعْرُوفاً ﴾، يقول: عرّف الناس فضلهما، وادع إلىٰ سبيلهما، وذلك قوله: ﴿ واتَّبِعْ سَبِيلَ مَن أنابَ إليَّ ثُمَّ إليَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾[1]، فقال: إلىٰ الله ثمّ إلينا. فاتقوا الله ولا تعصوا الوالدين، فإن رضاهما رضا الله، وسخطهما سخط الله ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٨٠﴾

قوله: ﴿عن [عمرو][2] بن حريث، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها في السَّماءِ ﴾[3]، قال: فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله أصلها، وأمير المؤمنين عليه السلام فرعها، والأئمة عليهم السلام من ذريتهما أغصانها، وعلم الأئمة ثمرتها، وشيعتهم المؤمنون ورقها، هل فيها [فضل][4]؟ قال: قلت: لا والله. قال: والله إنّ المؤمن ليولد فتورق ورقة فيها، وإنّ المؤمن ليموت فتسقط ورقة منها ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٨١﴾

قوله: ﴿عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ لا يَنفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾، يعني في الميثاق، ﴿ أوْكَسَبَتْ في إيمانِها خَيْراً ﴾[5]، قال: الإقرار بالأنبياء والأوصياء وأمير المؤمنين عليه السلام خاصة، قال: لا ينفع إيمانها لأنها سلبت ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٨٢﴾

قوله: ﴿عن أبي حمزة، عن [أحدهما عليهما السلام][6]، في قول الله جلّ عزّ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ قال: إذا جحد إمامة أمير

---

(١) «لقمان» الآية: ١٤، ١٥.
(٢) في الأصل: «عمر».
(٣) «إبراهيم» الآية: ٢٤.
(٤) في الأصل: «شوب».
(٥) «الأنعام» الآية: ١٥٨.
(٦) في الأصل: «أبي عبد الله عليه السلام».

المؤمنين عليه السلام ﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خَالِدُونَ ﴾[١] ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٨٣ ﴾

قوله: ﴿عن أبي عبيدة [الحذّاء]. قال سألت: أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس، فقال ـ وتلا هذه الآية: ﴿ ولا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذلكَ خَلَقَهُمْ ﴾[٢] ـ: يا أبا عبيدة، الناس مختلفون في إصابة القول، وكلّهم هالك.

قال: قلت: قوله: ﴿ إِلَّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ ﴾، قال: هم شيعتنا، ولرحمته خلقهم، وهو قوله: ﴿ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾، يقول: لطاعة الإمام، الرحمة التي يقول: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾، يقول: علم الإمام، ووسع [علمه] الذي هو من علمه ﴿ كُلَّ شيْءٍ ﴾ هم شيعتنا، ثمّ قال: ﴿ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[٣]، يعني ولاية غير الإمام وطاعته.

ثمّ قال: ﴿ يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ في التَّوْراةِ والإنجِيلِ ﴾، يعني النبي والوصي والقائم عليهم السلام ﴿ يأمُرُهُمْ بالمَعْرُوفِ ﴾ إذا قام ﴿ وَيَنهاهُمْ عَنِ المُنكَرِ ﴾، والمنكر من أنكر فضل الإمام وجحده، ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ ﴾، أخذ العلم من أهله، ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبائِثَ ﴾، والخبائث قول من خالف، ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾، وهي الذنوب التي كانوا فيها قبل معرفتهم فضل الإمام، ﴿ والأَغْلالَ الَّتي كانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[٤]، والأغلال ما كانوا يقولون مما لم يكونوا أُمروا به من ترك فضل الإمام، فلمّا عرفوا فضل الإمام وضع عنهم إصرهم، والإصر الذنب، وهي الآصار.

ثمّ نسبهم فقال: ﴿ فالَّذينَ آمَنُوا بِهِ ﴾، يعني بالإمام، ﴿ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ

---

(١) «البقرة» الآية: ٨١.
(٢) «هود» الآية: ١١٨ - ١١٩.
(٣) «الأعراف» الآية: ١٥٦.
(٤) «الأعراف» الآية: ١٥٧.

وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾[١]، يعني الذين اجتنبوا الجبت والطاغوت أن يعبدوها، والجبت والطاغوت فلان وفلان وفلان، والعبادة طاعة الناس لهم.

ثم قال: ﴿ وَأَنيبُوا إِلىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾[٢]. ثمّ جزاهم فقال: ﴿ لَهُمُ البُشْرىٰ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخِرةِ ﴾[٣]، والإمام يبشرهم بقيام القائم وبظهوره، وبقتل أعدائهم، وبالنجاة في الآخرة، والورود علىٰ محمد ـ [صلّىٰ الله علىٰ محمد] وآله الصادقين ـ علىٰ الحوض.

❑ الحديث رقم ﴿ ٨٤ ﴾

قوله: ﴿عن عمّار الساباطي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْواهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ * هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللهِ ﴾[٤]، فقال: الذين اتبعوا رضوان الله هم الأئمة، وهم والله ـ يا عمار ـ درجات للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيانا يضاعف الله لهم أعمالهم، ويرفع الله لهم الدرجات [العُلىٰ]﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٨٥ ﴾

قوله: ﴿عن عمّار الأسدي، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[٥]، ولايتنا أهل البيت ـ وأهوىٰ بيده إلىٰ صدره ـ فمن لم يتولنا لم يرفع [الله] له عملاً﴾.

---

(١) «الأعراف» الآية: ١٥٧.
(٢) «الزمر» الآية: ٥٤.
(٣) «يونس» الآية: ٦٤.
(٤) «آل عمران» الآية: ١٦٢ – ١٦٣.
(٥) «فاطر» الآية: ١٠.

❑ الحديث رقم ﴿٨٦﴾

قوله: ﴿عن سَماعة بن مِهران، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَحْمَتِهِ ﴾، قال: الحسن والحسين ﴿ وَيَجْعَل لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِه﴾[1]، قال: إمام تأتمون به ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٨٧﴾

قوله: ﴿عن القاسم بن محمد الجوهري، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ﴾، قال: ما تقول في علي، ﴿ قُلْ إِيْ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾[2] ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٨٨﴾

قوله: ﴿عن أبان بن تغلِب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك، قوله: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ ﴾[3]. فقال: من أكرمه الله بولايتنا فقد جاز العقبة، ونحن تلك العقبة التي من اقتحمها نجا. قال: فسكت، فقال لي: فهلّا أُفيدك حرفاً خير [لك] من الدنيا وما فيها؟ قلت: [بلىٰ] جعلت فداك. قال: قوله: ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾[4]. ثمّ قال: الناس كلهم عبيد النار غيرك وأصحابك، فإنّ الله فكّ رقابكم من النار بولايتنا أهل البيت ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٨٩﴾

قوله: ﴿عن سَماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله جلّ وعزّ: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾، قال: بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُم ﴾[5] [أوفِ لكم] بالجنة ﴾.

---

(١) «الحديد» الآية: ٢٨.
(٢) «يونس» الآية: ٥٣.
(٣) «البلد» الآية: ١١.
(٤) «البلد» الآية: ١٣.
(٥) «البقرة» الآية: ٤٠.

الحديث رقم ﴿٩٠﴾

قوله: «عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ﴾(١)، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله دعا قريشاً إلىٰ ولايتنا فنفروا وأنكروا، فقال الذين كفروا من قريش للذين آمنوا ـ الذين أقرّوا لأمير المؤمنين عليه السلام ولنا أهل البيت ـ: أيُّ الفريقين خير مقاماً وأحسن نَدِياً؟ تعييراً منهم، فقال الله رداً عليهم: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾، من الأمم السالفة ﴿ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً ﴾(٢).

قلت: قوله: ﴿ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدّاً ﴾(٣)، قال: كلّهم كانوا في الضلالة لا يؤمنون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولا بولايتنا، فكانوا ضالّين مضلّين، فيمدُّ لهم في ضلالتهم وطغيانهم، حتىٰ يموتوا فيصيّرهم الله شرّاً مكاناً وأضعف جنداً.

[قلت: قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً ﴾(٤)]، قال: أمّا قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ ﴾ فهو خروج القائم وهو الساعة، ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾ ذلك اليوم وما نزل بهم من الله علىٰ يدي قائمه، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً ﴾، يعني عند القائم، ﴿ وَأَضْعَفُ جُنداً ﴾.

قلت: قوله: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾(٥)، قال: يزيدهم ذلك اليوم هدًى علىٰ هدًى باتّباعهم القائم، حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه.

---

(١) «مريم» الآية: ٧٣.
(٢) «مريم» الآية: ٧٤.
(٣) «مريم» الآية: ٧٥.
(٤) «مريم» الآية: ٧٥.
(٥) «مريم» الآية: ٧٦.

قلت: قوله تعالىٰ: ﴿ لا يَمْلِكُونَ الشَّفاعَةَ إلّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحمنِ عَهْداً ﴾[1]، قال: إلّا من دان الله عزَّ وجلَّ بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام من بعده، فهو العهد عند الله.

قلت: قوله: ﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدّاً ﴾[2]، قال: ولاية أمير المؤمنين هي الودّ الذي قال الله تعالىٰ.

قلت: ﴿ فإنّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً ﴾[3]، قال: إنما يسّره الله علىٰ لسانه حين أقام أمير المؤمنين عليه السلام عَلَماً، فبشّر به المؤمنين، وأنذر به الكافرين، وهم الذين ذكرهم الله في كتابه، ﴿ لُدّاً ﴾، أي كفّاراً.

قال: وسألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾[4]، [قال: لتنذر القوم الذين أنت فيهم كما أُنذر آباؤهم، فهم غافلون] عن الله عزَّ وجلَّ وعن رسوله صلى الله عليه وآله وعن وعيده، ﴿ لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ ﴾، ممّن لا يقرّون بولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده، ﴿ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[5] بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء من بعده، فلمّا لم يقرّوا كانت عقوبتهم ما ذكر الله: ﴿ إنّا جَعَلْنا فِي أعْناقِهِمْ أغْلالاً فَهِيَ إلىٰ الأذقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾[6] في نار جهنم.

ثمّ قال: ﴿ وَجَعَلْنا مِن بَيْنِ أيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ﴾[7]، عقوبة منه لهم، حيث أنكروا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده. هذا في الدنيا، وفي الآخرة في نار جهنم مقمحون.

---

(١) «مريم» الآية: ٨٧.
(٢) «مريم» الآية: ٩٦.
(٣) «مريم» الآية: ٩٧.
(٤) «يس» الآية: ٦.
(٥) «يس» الآية: ٧.
(٦) «يس» الآية: ٨.
(٧) «يس» الآية: ٩.

ثمّ قال: يا محمد ﴿ وَسَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾، بالله وبولاية علي ومَن بعده، ثمّ قال: ﴿ إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾، يعني أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالغَيْبِ فَبَشِّرْهُ ﴾، يا محمد ﴿ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾[1] ﴾.

سبقت الآية الأُولىٰ[2] والثانية[3] بسند آخر.

محمد بن العباس، بسنده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (قوله تعالىٰ: ﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِن رَبِّكُمْ ﴾ في ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ﴾ آل محمد حقهم ﴿ ناراً أحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها ﴾[4])[5].

❑ الحديث رقم ﴿٩١﴾

قوله: ﴿عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْواهِهِمْ ﴾، قال: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم. قلت: ﴿ واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾[6]، قال: والله متمّ الإمامة، لقوله عزّ وجلّ: الَّذِينَ آمَنُوا ﴿ باللهِ وَرَسُولِهِ والنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنا ﴾[7]، فالنور هو الإمام.

قلت: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَىٰ ودِينِ الحَقِّ ﴾، قال: هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيّه، والولاية هي دين الحقّ. قلت: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ

---

(١) «يس» الآية: ١٠، ١١.

(٢) يعني قوله تعالىٰ في: «النساء» الآية: ٦٦، الواردة في الحديث ٦٠، سبقت في الحديث: ٢٨. انظر سند الحديثين في «الكافي» ج١، ص٤١٧، ٤٢٤.

(٣) يعني قوله تعالىٰ في: «الأنعام» الآية: ١٩، الواردة في الحديث ٦١، سبقت في الحديث: ٢١. انظر سند الحديثين في «الكافي» ج١، ص٤١٦، ٤٢٤.

(٤) «الكهف» الآية: ٢٩.

(٥) «تأويل الآيات الظاهرة» ص٢٨٦، بتفاوت يسير؛ «تفسير البرهان» ج٢، ص٤٦٦، ح٢.

(٦) «الصف» الآية: ٨.

(٧) «التغابن» الآية: ٨.

الدِّينِ كُلِّهِ ﴾[١]، قال: يظهره علىٰ جميع الأديان عند قيام القائم، قال: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾ ولاية القائم ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ ﴾[٢] بولاية عليّ. قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم، أمّا هذا الحرف فتنزيل، وأمّا غيره فتأويل.

قلت: ﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾[٣]، قال: إنّ الله تبارك وتعالىٰ سمّىٰ من لم يتبع رسوله في ولاية وصيّه منافقين، وجعل من جحد وصيّه إمامته كمن جحد محمداً، وأنزل بذلك قرآناً فقال: يا محمد ﴿ إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ ﴾ بولاية وصيّك ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ واللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنافِقِينَ ﴾ بولاية علي ﴿ لَكاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾، والسبيل هو الوصي، ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ * ذلكَ بِأَنَّهُم آمَنُوا ﴾ برسالتك، ﴿ وَكَفروا ﴾ بولاية وصيّك، ﴿ فَطبِعَ ﴾ اللهُ ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾[٤].

قلت: ما معنىٰ ﴿ لا يَفْقَهُونَ ﴾؟ قال: يقول: لا يعقلون بنبوتك.

قلت: ﴿ وإذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﴾، قال: وإذا قيل لهم ارجعوا إلىٰ ولاية عليّ يستغفر لكم النبي ﷺ من ذنوبكم، ﴿ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ ﴾، قال الله تعالىٰ ﴿ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ ﴾ عن ولاية عليّ ﴿ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ عليه. ثمّ عطف القول من الله بمعرفته بهم فقال: ﴿ سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ ﴾[٥]، يقول: الظالمين لوصيّك.

قلت: ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَىٰ

---

(١) «التوبة» الآية: ٣٣؛ «الفتح» الآية: ٢٨؛ «الصف» الآية: ٩.

(٢) «الصف» الآية: ٨.

(٣) «المنافقون» الآية: ٣.

(٤) «المنافقون» الآية: ١، ٢، ٣.

(٥) «المنافقون» الآية: ٥، ٦.

صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[١]، قال: إن الله ضرب مثل من حاد عن ولاية علي عليه السلام كمن يمشي علىٰ وجهه لا يهتدي لأمره، وجعل من تبعه سوياً علىٰ صراط مستقيم، والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: قلت: قوله: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾، قال: يعني جبرئيل عن الله في ولاية علي عليه السلام، [قال:] قلت: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ﴾، قال: قالوا: إنّ محمداً كذّاب علىٰ ربه، وما أمره الله بهذا في عليّ، فأنزل الله بذلك قرآناً فقال: إنّ ولاية عليّ ﴿ تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا ﴾ محمدٌ ﴿ بَعْضَ الأقاوِيلِ * لأَخَذْنا مِنْهُ باليَمِينِ * ثمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتينَ ﴾ . ثمّ عطف القول فقال: إنّ ولاية عليّ ﴿ لَتَذْكِرَةٌ لِلمُتَّقِينَ ﴾ [للعالمين] ﴿ وإنّا لَنَعْلَمُ أنَّ مِنكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴾، وإن علياً ﴿ لَحَسْرَةٌ عَلىٰ الكافِرِينَ ﴾ وإنّ ولايته ﴿ لَحَقُّ اليَقِينِ * فَسَبِّحْ ﴾ [يا محمد] ﴿ باسم رَبِّكَ العَظِيمِ ﴾[٢]، يقول: اشكر ربك العظيم الذي أعطاك هذا الفضل.

قلت: قوله: ﴿ لَمَّا سَمِعْنا الهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ﴾، قال: الهدىٰ الولاية، آمنا بمولانا، ﴿ فَمَن ﴾ آمن بولاية مولاه ﴿ فَلا يَخافُ بَخساً وَلا رَهَقاً ﴾[٣].

قلت: تنزيل؟ قال: لا، تأويل.

قلت: قوله: ﴿ لا أمْلِكُ لَكُم ضَرّاً وَلا رَشَداً ﴾، قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الناس إلىٰ ولاية عليّ، فاجتمعت إليه قريش فقالوا: يا محمد، اعفنا من هذا، فقال [لهم] رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا إلىٰ الله ليس إليّ، فاتهموه وخرجوا من عنده، فأنزل الله: ﴿ قُلْ إِنّي لا أمْلِكُ لَكُم ضَرّاً وَلا

---

(١) «الملك» الآية: ٢٢.

(٢) «الحاقة» الآية: ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢.

(٣) «الجن» الآية: ١٣.

رَشَداً * قُلْ إنّي لَن يُجيرَني مِنَ اللهِ﴾ إن عصيته ﴿ أحَدٌ وَلَن أجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً * إلّا بَلاغاً مِنَ اللهِ ورِسالاتِهِ﴾[1] في عليّ عليه السلام.

قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم، ثمّ قال توكيداً: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في ولاية عليّ ﴿ فَإنَّ لهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فيها أبَداً ﴾[2].

قُلت: ﴿ حَتَّىٰ إذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أضْعَفُ ناصِراً وَأقَلُّ عَدَداً ﴾[3]، [قال:][4] يعني بذلك القائم وأنصاره.

قلت: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ ما يَقُولُونَ ﴾، قال: يقولون فيك، ﴿ واهْجُرْهُم هَجْراً جَمِيلاً * وَذَرْنِي ﴾ يا محمد ﴿ والمُكَذِّبِينَ ﴾ [بوصيك] ﴿ أُولي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ﴾[5]. قلت: إن هذا تنزيل؟ قال: نعم.

قلت: ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ ﴾، قال: يستيقنون أن الله ورسوله ووصيّه حق. قلت: ﴿ وَيَزْدادَ الَّذينَ آمَنُوا إيماناً ﴾، قال: ويزدادون بولاية [الوصي][6] إيماناً. قلت: ﴿ وَلا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ وَالمؤمِنُونَ ﴾، قال: بولاية عليّ عليه السلام. قلت: ما هذا الارتياب؟ قال: يعني بذلك أهل الكتاب والمؤمنين الذين ذكر الله فقال: ولا يرتابون في الولاية.

قلت: ﴿ وَمَا هِيَ إلّا ذِكْرىٰ لِلْبَشَرِ ﴾[7]، قال: نعم، ولاية عليّ عليه السلام. قلت: ﴿ إنّها لَإحْدىٰ الكُبَرِ ﴾[8]، قال: الولاية. قلت: ﴿ لَمن شاءَ مِنكُمْ أن يَتَقَدَّمَ أوْ يَتَأخَّرَ ﴾[9]، قال: من تقدّم إلىٰ ولايتنا أُخّر عن سقر، ومن تأخّر عنّا تقدّم إلىٰ سقر، ﴿ إلّا أصْحابَ اليَمينِ ﴾[10]، قال: هم والله شيعتنا.

---

(١) «الجن» الآية: ٢١ - ٢٣.
(٢) «الجن» الآية: ٢٣.
(٣) «الجن» الآية: ٢٤.
(٤) ليست في المصدر.
(٥) «المزمل» الآية: ١٠، ١١.
(٦) في الأصل: «علي».
(٧) «المدثر» الآية: ٣١.
(٨) «المدثر» الآية: ٣٥.
(٩) «المدثر» الآية: ٣٧.
(١٠) «المدثر» الآية: ٣٩.

قلت: ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾[1]، قال: إنا لم نتولّ وصي محمد ﷺ والأوصياء من بعده، ولا يصلّون عليهم. قلت: ﴿ فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾[2] قال: عن الولاية معرضين. قلت: ﴿ كَلَّا ﴾ إنّها ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾[3]، قال: الولاية.

قلت: قوله: ﴿ يُوفُونَ بالنَّذْرِ ﴾[4]، قال: يوفون لله بالنذر الذي أخذ عليهم في الميثاق من ولايتنا، قلت: ﴿ إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرآنَ تَنزِيلاً ﴾[5]، قال: بولاية علي عليه السلام تنزيلاً. قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم، ذا تأويل.

قلت: ﴿ إِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ ﴾[6]، قال: الولاية. قلت: ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشاءُ في رَحْمَتِهِ ﴾، قال: في ولايتنا، قال: ﴿ والظّالِمِينَ أعَدَّ لَهُم عَذاباً أليماً ﴾[7]. ألا ترىٰ أنّ الله يقول: ﴿ وَمَا ظَلَمُونا وَلكِن كانُوا أنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[8]؟

قال: إنّ الله أعزّ وأمنع من أن يظلم أو ينسب نفسه إلىٰ ظلم، ولكن الله خلطنا بنفسه، فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته، ثمّ أنزل بذلك قرآناً علىٰ نبيّه ﷺ فقال: ﴿ وَما ظَلَمْناهُمْ وَلكِن كانُوا أنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[9] قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم.

[قلت:] ﴿ وَيْلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ ﴾[10]، قال: يقول: ويلٌ [يومئذ][11] للمكذبين ـ يا محمد ـ بما أوحيت إليك من ولاية عليّ [بن أبي طالب عليه السلام] ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الأوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴾، قال: الأولين

---

(١) «المدثر» الآية: ٤٣.
(٢) «المدثر» الآية: ٤٩.
(٣) «المدثر» الآية: ٥٤.
(٤) «الإنسان» الآية: ٧.
(٥) «الإنسان» الآية: ٢٣.
(٦) الإنسان» الآية: ٢٩.
(٧) «الإنسان» الآية: ٣١.
(٨) «البقرة» الآية: ٥٧.
(٩) «النحل» الآية: ١١٨.
(١٠) «المرسلات» الآية: ١٥.
(١١) ليست في المصدر.

الذين كذّبوا الرسل في طاعة الأوصياء، ﴿ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالمُجْرِمِينَ ﴾[١]، قال: من أجرم [إلىٰ] آل محمد وركب من وصيّه ما ركب.

قلت: ﴿ إِنَّ المُتَّقِينَ ﴾[٢]، قال: نحن والله وشيعتنا، ليس علىٰ ملّة إبراهيم غيرنا، وسائر الناس منها برآء.

قلت: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلّا مَن أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقالَ صَواباً ﴾[٣]، قال: نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون صواباً. قلت: ما تقولون إذا تكلمتم؟ قال: [نمجّد][٤] ربنا، ونصلّي علىٰ نبينا، ونشفع لشيعتنا، فلا يردّنا ربنا.

قلت: ﴿ كَلّا إِنَّ كِتابَ الفُجّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾[٥]، قال: هم الذين فجروا في حق الأئمة واعتدوا عليهم. قلت: ﴿ ثُمَّ يُقالُ هَذا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾[٦]، قال: يعني أمير المؤمنين. قلت: تنزيل؟ قال: نعم ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٩٢﴾

قوله: ﴿عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً ﴾[٧]، قال: يعني به ولاية أمير المؤمنين. قلت: ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أَعْمىٰ ﴾، قال: يعني أعمىٰ البصر في الآخرة، أعمىٰ القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: وهو متحير في القيامة يقول: ﴿ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها ﴾ [قال: الآيات الأئمة عليهم السلام،

---

(١) «المرسلات» الآية: ١٦، ١٧، ١٨. (٢) المرسلات» الآية: ٤١.

(٣) «النبأ» الآية: ٣٨. وهي في المصدر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ لا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ الآية.

(٤) في الأصل: «نحمد». (٥) «المطففين» الآية: ٧.

(٦) «المطففين» الآية: ١٧. (٧) «طه» الآية: ١٢٤.

فنسيتها]، ﴿ وكَذلِكَ اليَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[1]، يعني تركتها، وكذلك اليوم تترك في النار، كما تركت الأئمة عليهم السلام فلم تطع أمرهم ولم تسمع قولهم.

قلت: ﴿ وَكَذلِكَ نَجزِي مَنْ أسْرَفَ وَلَمْ يُؤمِنْ بآياتِ رَبِّهِ وَلَعَذابُ الآخرَةِ أشَدُّ وَأبْقىٰ ﴾[2]، قال: يعني من أشرك بولاية أمير المؤمنين عليه السلام غيره، ولم يؤمن بآيات ربه، وترك الأئمة ـ معاندةً ـ فلم يتّبع آثارهم ولم يتولّهم.

قلت: ﴿ اللهُ لطيفٌ بِعِبادِهِ يَرزُقُ مَن يَشاءُ ﴾[3]، قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام. قلت: ﴿ مَنْ كانَ يُريدُ حَرْثَ الآخِرةِ ﴾، قال: معرفة أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة، ﴿ نَزِدْ لَهُ في حَرْثِهِ﴾، قال: نزيده منها، قال: يستوفي نصيبه من دولتهم، ﴿ وَمَن كانَ يُريدُ حَرْثَ الدُّنيا نُؤْتِهِ مِنها وَما لَهُ في الآخِرةِ مِن نَصيبٍ ﴾[4]، قال: ليس له [في][5] دولة الحق مع القائم نصيبٌ ﴾.

أقول: تفسير هذه الآي بما ذُكر وأمثالها يسمّىٰ بباطن التأويل والباطن، ومعلوم أنّ محمداً وآله آيات الله، فإنّ الآية: الدالة علىٰ الشيء، وكلما اشتدت الدلالة وقويت استحق محلها الاسم. ومعلوم شدة الدلالة فيهم عليهم السلام، قولاً وفعلاً وعملاً، فيهم وفي غيرهم، فهم آياته، بل لا آية أعظم منهم، ولهذا كانوا خلفاءه وأبوابه، بل أعظم الخلق وأشرفهم وأكرمهم، وليس في أعدائهم شيء مما هو فيهم، بل هم قوم متغلبة.

فمن لم يؤمن بهم ـ بل أنكرهم ـ منكر للرسول ولله، فجزاؤه الهوان في الدنيا وشدة الحال عند الممات، وإن أُعطي من الدنيا الفانية نصيباً؛ لنص: ﴿ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾[6] و: ﴿ كُلاًّ نُمِدُّ ﴾[7] وغيرهما، وكما اقتضاه كمال العدل، من جهة الإمهال، وقيام الحجة، وغير ذلك،

---

(١) «طه» الآية: ١٢٥، ١٢٦.
(٢) «طه» الآية: ١٢٧.
(٣) «الشورىٰ» الآية: ١٩.
(٤) «الشورىٰ» الآية: ٢٠.
(٥) في الأصل: «من».
(٦) «الشورىٰ» الآية: ٢٠.
(٧) «الإسراء» الآية: ٢٠.

﴿ وَما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلاقٍ ﴾[١] ونصيب، بل منكّس في العذاب لا يُفتّر عنه[٢].

وقد أخبر الإمام وعرّف بقوله: (معاندة) أن من ذلك لا يكون إلّا مع قيام الحجة لديه، فيترك حتىٰ يتحقق العناد.

ولقد ورد في المستفيض، بل المتواتر معنىً: (من أنكرك يا علي فقد أنكرني، ومن أنكرني فقد أنكر الله)[٣]. والإنكار مقابل المعرفة وضدها، كما في جنود العقل والجهل المذكور أول الأُصول[٤].

أما مَن لم يكن كذلك، بل كان كالمستضعف والجاهل البسيط، فليس بهذه الصفة، فبعض يكلف ثاني مرة[٥]، وبعض وإن لم يدخل الجنة، لكنه أقل عذاباً من ذلك، فالنار دركات، كما أن الجنة درجات، وبعض في حضائرها.

ومما انصرح عقلاً ونقلاً أنّ من بارز ولي الله فقد بارز الله، وأنّ العبادة المطلوبة لله إنما هي كما يريد، لا كما يريد العبد، بل مرّ لك في الأبواب السابقة ما يوضح لك أنهم عليهم السلام المراد في كل ما يراد، وأنهم المدلجون بين يدي كل مدلج، وأنه لابد من الواسطة للسائر والقاصد، فمن أنكر فقد اتبع هواه وأقام غير مراد الله ومن أمر به، فهو مشرك بالله، وهو أعظم ظلماً لا يغفر؛ لأنه أنكره أصلاً.

❋ ❋ ❋

---

(١) «البقرة» الآية: ٢٠٠.

(٢) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمينَ في عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ * لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾. «الزخرف» الآية: ٧٤ – ٧٥.

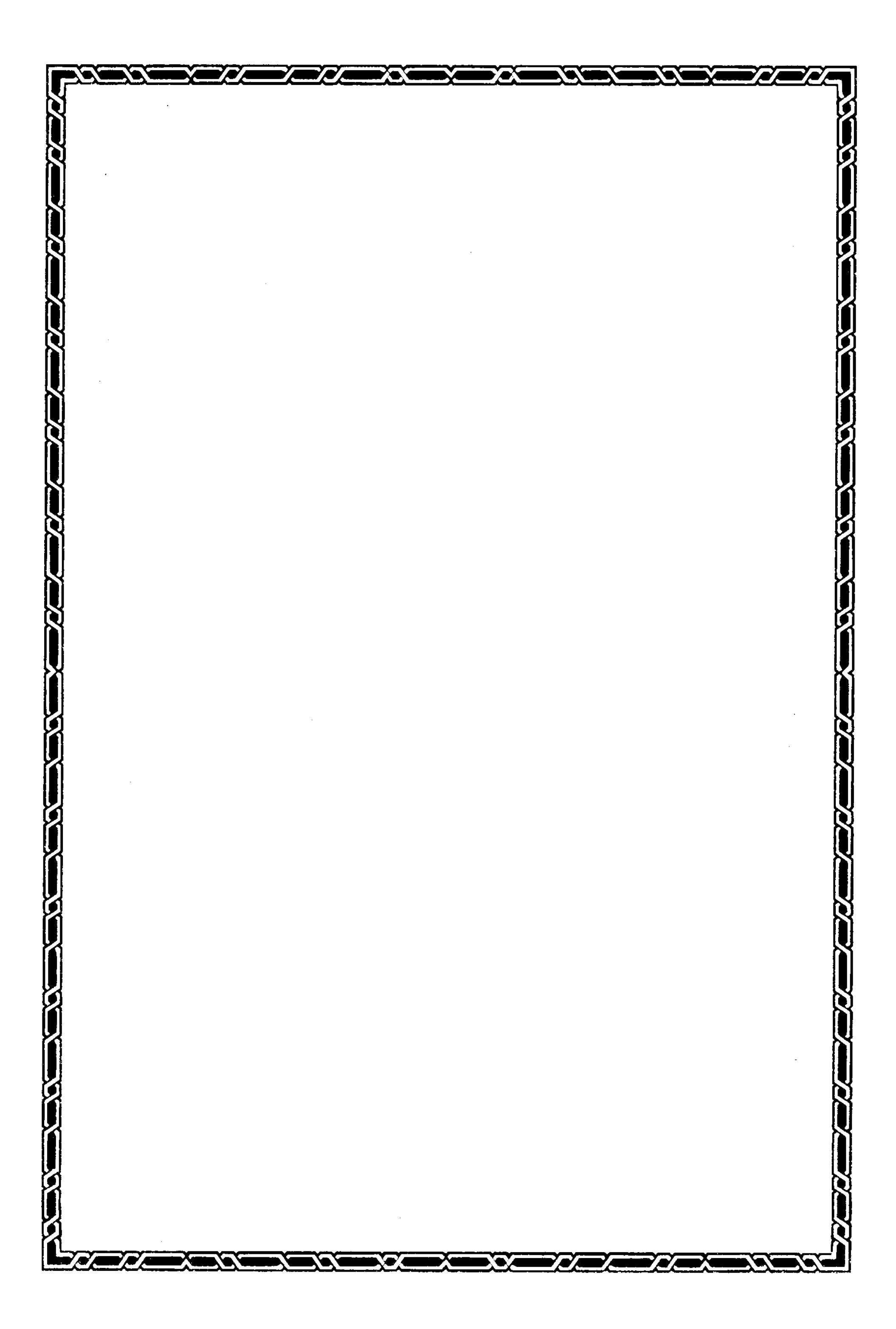
(٣) «معاني الأخبار» ص٣٧٢، ح١؛ «أمالي الشيخ الصدوق» ص٥٢٢، ح٥.

(٤) «الكافي» ج١، ص٢٢، كتاب العقل والجهل، ح١٤، وفيه: (والمعرفة وضدها الإنكار».

(٥) انظر: «التوحيد» ص٣٩٢ – ٣٩٣، ح٤ – ٥.

الباب التاسع بعد المائة

فيه نُتفٌ وجوامع
من الرواية في الولاية



أقول: أحاديث الباب تسعة.

❏ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن بكير بن أعين، قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية وهم ذر، يوم أخذ الميثاق على الذر، والإقرار له بالربوبية، ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوة﴾.

❏ الحديث رقم ﴿٢﴾

قوله: ﴿عن عبد الله بن محمد الجعفري، عن أبي جعفر عليه السلام [وعن عقبة، عن أبي جعفر عليه السلام]، قال: إنّ الله خلق الخلق، فخلق ما أحب ممّا أحب، وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق ما أبغض ممّا أبغض، [وكان ما أبغض] أن خلقه من طينة النار، ثمّ بعثهم في الظلال. فقلت: وأيُّ شيء الظلال؟ قال: ألم ترَ إلىٰ ظلّك في الشمس شيء وليس بشيء. ثمّ بعث الله فيهم النبيّين يدعونهم إلىٰ الإقرار بالله، وهو قوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾[1].

---

(١) «الزخرف» الآية: ٨٧.

ثمّ دعاهم إلىٰ الإقرار بالنبيّين، فأقرّ بعضهم، وأنكر بعضهم، ثمّ دعاهم إلىٰ ولايتنا، فأقرّ بها والله مَن أحب، وأنكرها مَن أبغض، وهو قوله: ﴿فَما كانُوا لِيُؤمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾[1]،ثمّ قال أبوجعفر عليه السلام: كان التكذيب ثَمّ ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٣﴾

قوله: ﴿عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ولايتنا ولاية الله، [التي] لم يبعث نبياً قطّ إلّا بها ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٤﴾

قوله: ﴿عن عبد الأعلىٰ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما من نبي جاء قطّ إلّا بمعرفة حقنا وتفضيلنا علىٰ من سوانا ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٥﴾

قوله: ﴿عن أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: والله إنّ في السماء لسبعين صفّاً من الملائكة، لو اجتمع أهل الأرض كلّهم يحصون عدد كلّ صفّ منهم ما أحصوهم، وإنهم ليدينون بولايتنا ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٦﴾

قوله: ﴿عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلّا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ووصية عليّ عليه السلام ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٧﴾

قوله: ﴿عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ الله عزّ وجلّ

---

(١) «يونس» الآية: ٧٤.

نصب علياً عليه السلام علماً بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٨﴾

قوله: ﴿ عن أبي حمزة، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ علياً عليه السلام بابٌ فتحه الله، فمن دخله كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً، ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين قال الله تبارك وتعالىٰ: لي فيهم المشيئة ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿٩﴾

قوله: ﴿ عن بكير بن أعين، قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذر، يوم أخذ الميثاق علىٰ الذر بالإقرار له بالربوبية، ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة، وعرض [الله جلّ وعزّ] علىٰ محمد صلى الله عليه وآله أُمته في الطين وهم أظلّة، وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم، وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام، وعرضهم عليه، وعرّفهم رسولَ الله صلى الله عليه وآله، وعرّفهم علياً، ونحن نعرفهم في لحن القول ﴾.

أقول: جملة الأحاديث يناسب ذكرها في كتاب الايمان والكفر، الآتي بعد أبواب التواريخ، وكذا يناسب هنا؛ لتضمنها أخذ الولاية لمحمد وآله علىٰ الكل، وسيأتي بيان لها فيما سيأتي.

والإشارة هنا بأن نقول: لمّا افتقر الكل للواسطة في أصل الوجود وصفته، فهي عنصر الوجود وأصل الطين، فالكل ـ علىٰ ترتيبهم ـ مفتقر له، كلٌّ في مقامه، فلابد من أخذ الولاية منهم جميعاً لهم، فصحّ أنه لم يُبعث نبيٌّ ولا رسولٌ إلّا بالإقرار لهم ومعرفة حقهم،

وإخبار أُمتهم بدولتهم. والروايات متواترة بذلك، كما في البصائر[١] وتفسير العسكري[٢] وغيرهما.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ ﴾ الآية[٣]، ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ الآية[٤]، ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾[٥]، ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾[٦].

فكما أنه الخاتم فهو العلة الغائية والنهاية، فإذن هي أول العمل، فكما أنهم مجموعون ليوم معلوم، وهم المرجع، وموقوفون غداً وعنها مسؤولون، كما ورد نصاً[٧] وقرآناً[٨]، فلابد من أخذها علىٰ الكل، في مقام الأرواح فما فوقه، لكن في كل مقام بما يناسبه.

ومن ذلك يتضح أنّ أصل الشرائع واحدة، هي شريعة محمد، وكذا شمس النبوة، ومتىٰ ظهرت لا تكون لغيرها [أشعة][٩]، ولذا كان إبراهيم عليه السلام من شيعته، أي شيعة علي، كما روي[١٠]، فخلقهم من شعاعهم، فسائر الشرائع مقدمات لشريعته، وكانت الخاتمةَ وأعمَّ الشرائع للخلق طرّاً، ولذا ختم بها الوجود، فختامه الدولة المهدويّة، ثمّ رجعتهم عليهم السلام، وليس بعد الرجعة الكبرىٰ إلّا القيامة.

ثمّ اعلم أنّ الناس متفاوتون في هذا الإقرار:

الأول: فبعض عن علم ومعرفة نورانية تامة، وهي درجات، وكذا فيما سيأتي.

الثاني: وبعضٌ عن تصديق ومعرفة وعن إقرار من غير اعتقاد قلبي وانشراح.

الثالث: أو عن تبعية ظاهريّة وضعف أسباب [التخلية][١١]. أو إقرار مع إظهار خلافه، جحوداً وعناداً، أو جهلاً أو تبعية، ولكل درجات.

---

(١) «بصائر الدرجات» ص ٧٠، باب ما خص الله به الأئمة من آل محمد عليهم السلام من ولاية أُولي العزم...

(٢) «التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام» ص٢٤٦، ح ١٢١؛ ص ٣٩١، ح٢٦٧.

(٣) «الأعراف» الآية: ١٧٢.

(٤) «الغاشية» الآية: ٢٥.

(٥) «الصافات» الآية: ٨٣.

(٦) «آل عمران» الآية: ٨١.

(٧) «تفسير علي بن إبراهيم القمي» ج ٢، ص٢٢٤، ٤٧٧؛ «الكافي» ج٦، ص ٢٨٠، باب آخر في التقدير... ح ٣؛ «عيون أخبار الرضا» ج ١، ص ٣١٤، ح٨٦؛ ج ٢، ص١٢٩، ح٨؛ «تهذيب الأحكام» ج ٣، ص١٤٦، قطعه من ح ٣١٧.

(٨) «الصافات» الآية: ٢٤؛ «التكاثر» الآية: ٨.

(٩) في الأصل: «اسمه».

(١٠) «تأويل الآيات الظاهرة» ص ٤٨٥.

(١١) في الأصل: «النحليه».

الرابع: **وبعضٌ** لم يظهر منه أحد القسمين، لكنه قابل للتحويل، أو جامد. ولذا وجب تجديد العهد عليهم في كل مقام بعد ذلك وفي هذا العالم، لأن فيهم جهة القوة بعدُ، وكان عليهم نبي في كل مقام، ومعلم برئاسة الرئيس قبل ظهوره.

وظهور هذه الأقسام دنياً، وأرجىٰ بعضها، ولله الحجّة البالغة في جميع ذلك، ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[1].

ويسمىٰ هذا العالم أيضاً بالظلال، فإنه ظل عالم الأرواح، الذي هو برزخ بين هذا وعالم النفوس. وكل خلق في كل مقام يسمىٰ بالطينة ـ أيضاً ـ لخلق خلقه وظهور صفته، وفيه عقل وتمييز للقبول، وإلّا فلا تتوهم من: (فخلق ما أحبّ مما أحبّ) الجبرَ، فإن هذا فرع ذاك، وتلك الطينة قابلة للأمرين، كالنفس ـ مثلاً ـ والأرواح التي هي كالذر في اللطف والتجرد.

ومعلوم أنّ خلق كلٍّ من مقتضىٰ عمله وبعلمه هو العدل، وخلافه الجور. والطينة حينئذ هي الصورة، إذ المادة بدونها قابلة لهما، وبها التكليف؛ لقبول الأمرين [ونفيهما][2] بصورة العمل قلباً وقالباً، ويخلق بها، كالخشب وتصويرها بصورة حسنة أو قبيحة، فتأمّل.

وبهذا لا يرد إشكال هنا مما اشتهر علىٰ الألسن، حتىٰ إنّ بعضاً اطّرح [ما][3] تواتر معنًى من هذه النصوص لمّا اشتبه عليه مخرجها، وسيأتي البسط.

ومن عرف الواسطة كان مؤمناً، ومن أنكره ـ ولا يكون إلّا بعد وضوح الدليل له ضد المعرفة ـ فهو كافر، ومن جهله فهو ضال، ولم يكن ناصباً.

ولكل قسم مراتب، وفي الأخير المرجىٰ والمستضعف وغيرهما، ويقابل هذا القسم العلم. ومن نصب ولياً غير علي فهو مشرك بعد الكفر، فإنه ينطق عن الشيطان، فمن أنكر الولاية أنكر النبوة، ومنكرها منكر لله.

وهذا التقسيم الذي تضمنه حديث الفضيل بن يسار[4] لمن لم يقر بالولاية مما تضمنه كثير من الأخبار[5]، كما سيأتي إن شاء الله، ومرّ في أول كتاب الحجة[6]. ومثله حديث أبي

---

(١) «النساء» الآية: ١٦٥.
(٢) في الأصل: «ونفيها».
(٣) في الأصل: «مما».
(٤) يعني الحديث السابع من هذا الباب.
(٥) «الكافي» ج ٢، ص٣٨٨ - ٣٨٩، باب الكفر، ح١٨، ٢٠، ٢١؛ «كمال الدين» ص٤١٤، ح١٥.
(٦) «الكافي» ج ١، ص١٨٧، باب فرض طاعة الأئمّة، ح١١.

كثير من الأخبار[١]، كما سيأتي إن شاء الله، ومرّ في أول كتاب الحجة[٢]. ومثله حديث أبي حمزة[٣]؛ لحكم الإمام عليه السلام فيه: (إنّ علياً عليه السلام باب فتحه الله)؛ لأنه باب مدينة العلم، ولن يغلق وينقطع، وإلّا فني العالم، وانقطعت الشريعة، ورفع الكتاب.

فحكم الخلافة ـ وهي من نسل علي، فهو الخاتم للولاية المطلقة، وإن كان الخاتم للولاية الخاصة القائم عليه السلام، وسيختمها في هذا العالم ـ ألّا يُسدّ بابها، ولا يعدم موردها، ولا يضل قاصدها، فمن دخله كان آمنا من الجهالات وأنواع الغوايات، وهو المقرّ المصدّق، وهم طبقات. ومن خرج منه وأنكره ولم يقرّ به كان كافراً، ومن لم يدخل ولم يخرج ـ كما مرّ ـ كان من الطبقة الذين فيهم المشيئة، إما يعذبهم، وإما يتوب عليهم، والله غفور رحيم.

ويدخل فيها المستضعف ومن تكلف ثانياً منهم، وحديث ضريس وغيره في الروضة[٤] يدل عليه. فليس كل من قدّم وأخّر كافراً، كما قاله بعض، وثبت أنّ الإسلام أعم من الإيمان، وإن كان قد يراد بكلٍّ الآخر لقرينة.

وفي آخر الأحاديث إشارة إلىٰ أنه يراد من الظلال في: (ثمّ بعثهم في الظلال) هذا العالم، وهذا العالم الطيني أول من خَلق منه آدمَ وبنيه، وهو آخر العوالم. وعرضُ الأمة عليه وهي في الطين في مراتب السبعة الخلقية لهذا العالم يقتضي [تعديله] أيضاً قبلُ بطريق أولىٰ، فإنهم الباب لكل سائر و[بادٍ][٥]. وإذاً ظاهر هذا العالم ظاهر عالم الذر.

وما تضمنه آخر الأحاديث ـ من خلق الأرواح قبل أبدانهم بألفي عام ـ ورد مثله في اعتقادات الصدوق[٦] وغيرها، وسيأتي في المتن[٧]. ولا يرد عليه ما أورده المفيد رحمه الله في اعتقاداته[٨]، فهو لا يوجب تناسخاً، ولا قدم النفوس، ولا استقلالها فعلاً عن الأبدان، وهي

---

(١) «الكافي» ج٢، ص٣٨٨ – ٣٨٩، باب الكفر، ح١٨، ٢٠، ٢١؛ «كمال الدين» ص٤١٤، ح١٥.

(٢) «الكافي» ج١، ص١٨٧، باب فرض طاعة الأئمة، ح١١.

(٣) يعني الحديث الثامن من هذا الباب.

(٤) «الكافي» ج٨، ص٢٠٩، ح٣٥٣.

(٥) في الأصل: «باب».

(٦) «الاعتقادات» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج٥، ص٤٨، وفيه: (إنّ الله آخىٰ بين الأرواح في الأظلة قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام).

(٧) انظر الباب الآتي، ح١.

(٨) «تصحيح الاعتقاد» ضمن «سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد» ج٥، ص٨٠ – ٨٧.

لم تستقل، وإلّا لم تكن نفساً، كيف وهو عليه السلام إنما قال: (الأرواح)[1]، فهي كالزقائق من غيرها، وتمايزها بصفات عقلية، وقال: (قبل أبدانهم)، فلا يلزم شيء من ذلك. ولمّا كان في رتبة المعلولية الثانية كانت في رتبة الأُلوف، وتقدمها علىٰ الأبدان برتبتين، وهما المعبّر عنهما بالألفين.

إشـارة نـوريّة

إنّ هنا دواتين وكتابين للموجود، في كليهما حلّ، وفي الكتابين عقدة.

فالدواة الكلية: العقل الأول، قال علي عليه السلام: **(الخلق من هذا)** ... **(وباسمك الذي وضعته علىٰ النهار فأضاء، وعلىٰ الليل فأظلم)**[2]، وغير ذلك، في عالم التقدير أو التكوين، منها عالم النفوس والأرواح، وهو الذر الأول. وعرض الولاية علىٰ الخلق الأول الذي وقع فيه التصديق والتكذيب، وجرىٰ هذا العالم علىٰ طبقه.

والدواة الثانية: الطبائع الكلية والمقتضيات العنصرية، وبالنسبة إلىٰ الإنسان كونه في رتبة العناصر الأربعة حلّ، وفي رتبة المعادن والنبات عقد، ثمّ حلّ في الصلب والمعدة، ثمّ عقد في الرحم.

فما في الحديث السابق: **(فخلق ما أحب)** العقد الأول **(مما أحب)** الدواة الأُولىٰ، بل في كل دواة بحسبها؛ لأن الخلق في كلٍّ بما أحب، وهو الطاعة والعمل بمقتضىٰ ما جعل في الطينة الوجودية.

واعلم أن الصوغين والكسرين جاريان في العالم الكبير والصغير وإنسان الصناعة، وكلّها مطابقة، وهو جارٍ في الغيب والشهادة. ومن نظر لترتيب وجود الشيء في العالم وفي مفعولاته وجد ذلك ظاهراً.

وأول الصوغ بعد الوجود في الدواة الأُولى، دواة المشيئة الكلية، والخزانة العظمىٰ، مقام العقل ـ مقام المعاني ـ وهو أوله، وتمامه في النفس، مقام الصفات، وبينهما الروح، و[بالصوغ][3] يتم ظهور المعاني.

---

(١) يعني قوله عليه السلام في الحديث التاسع: (وخلق الله أرواح شيعتنا)..

(٢) «إقبال الأعمال» ص٨٠٧؛ «بحار الأنوار» ج٩٥، ص٣١٧، ح٣.

(٣) في الأصل: «بالصور».

ثمّ كسر [الصوغ][١] في طينة الطبيعة، [فتخمر][٢] وتصلح، إذ كلما كسرت وصيغت ازدادت قوة قبول أو فعل، بسبب قوس الإدبار والإقبال، وبقيت في هذا أربع مائة سنة، علىٰ أقوىٰ الروايات.

وأول الصوغ الثاني حصص الهباء والصور المثالية، وتمامه الصور بمواد الجسمانية، وهو الذر الثاني، علىٰ قولٍ، وبذلك يتم وجودهم ويظهرون دنياً. وخطاب كل مقام هو الخطاب السابق.

وكذا الأجسام لا تبقىٰ بقاءً لا يحتمل الفساد إلّا بعد كسرين وصوغين، ﴿كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[٣].

وفي كل مقام من مقامات المعاني والرقائق والصور والمواد بعث لهم رسلاً مبلّغة، لتعلو الحجة، وخلق كل بما ظهر به، ولا يتم سابق بدون لاحقه، وبالعكس. والإنسان جامع لذلك، لأنه خلق من الجبروت والملكوت والملك، وله برزخان دون القرانات والمناسبات. هذا بحسب الكليات، فلابد من تكليفه بحسبها في كلٍّ بما يناسبه، وبسط ذلك مما يطول.

وضد ذلك الجهل المركب ومقام الإنكار، ثمّ البعث في الظلال عالم الأرواح، ثمّ أُعيدوا في الطين في الدواة الثانية فخُلقوا ثانياً، فبعث إليهم النبيين بدعواهم لِما أخذ عليهم أولاً، لما اختلفت المقامات وتطورت التطورات، فأقر من أحب، وأنكر من أبغض، فهذا ظاهر ذلك، وذلك باطنه.

وما تضمنه حديث عبد الأعلىٰ[٤] من تفضيلهم عليهم السلام علىٰ من سواهم يدخل فيه أنبياء أُولي العزم، ما سوىٰ محمد صلى الله عليه وآله، وهو كذلك، والنصوص[٥] به كثيرة، وعليه إجماع الإمامية، ويدخل فيهم الزهراء. ولنا في هذه المسألة رسالة مفردة.

ثمّ اعلم أنه لمّا كانت ولاية علي عليه السلام خاتمة الولاية، وكان محمد صلى الله عليه وآله نوراً واحداً، فيكون جميع الولايات أنواعاً منها وفاضلها وكالمقدمات، فوجب كونها مكتوبة في جميع الصحف، فإذن هي مكتوبة علىٰ جميع مقدمات الوجود، وكل مدخل ومخرج، وبه

---

(١) في الأصل: «الصور». (٢) في الأصل: «فحمر».

(٣) «الأعراف» الآية: ٢٩. (٤) يعني الحديث الرابع من هذا الباب.

(٥) انظر: «بحار الأنوار» ج٢٦، ص٢٦٧، باب تفضيلهم عليهم السلام علىٰ الأنبياء...

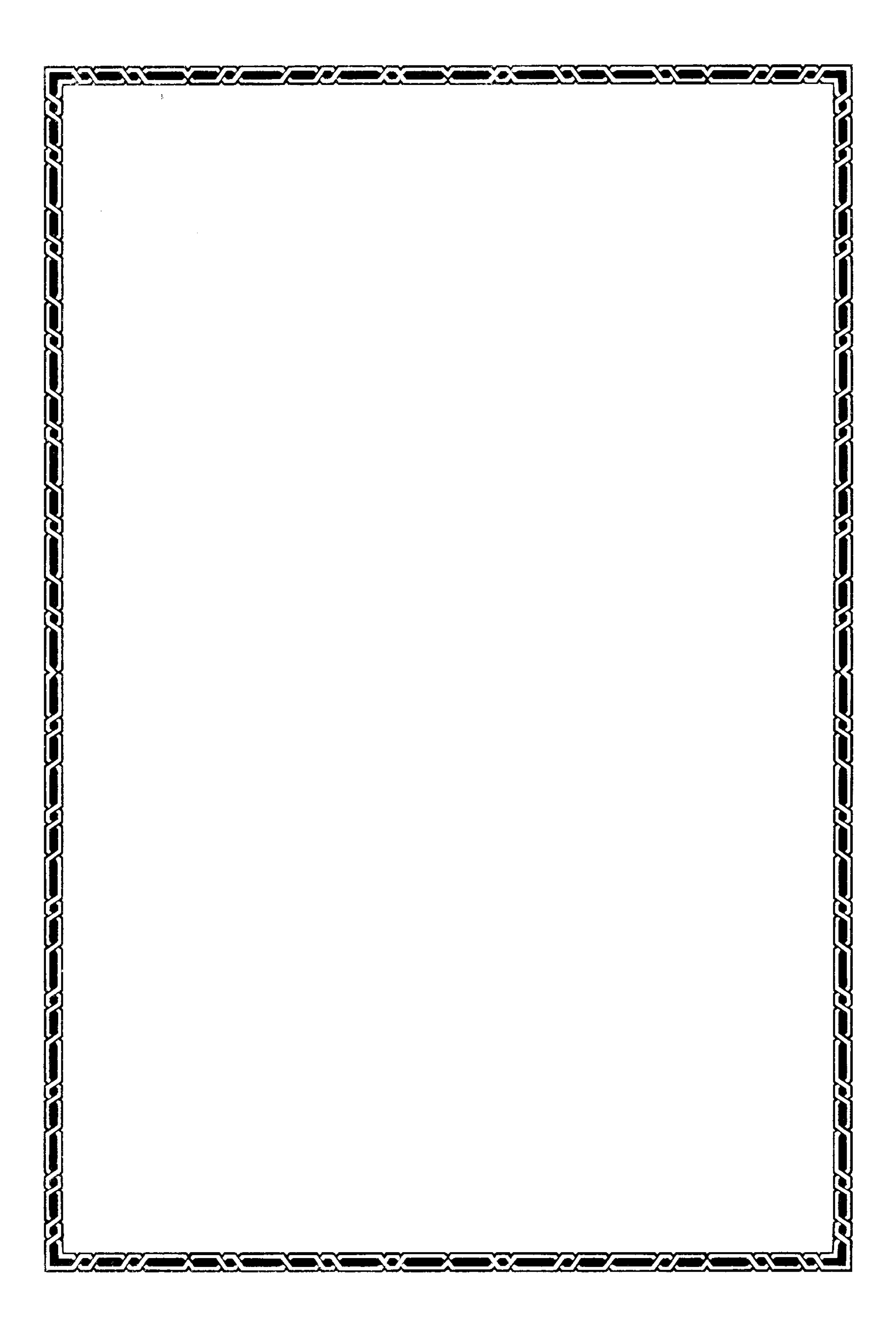
الروايات[1] مصرّحة أيضاً، فإن وساطة الولاية عامة ظاهراً وباطناً، ومفتقر لها في إفادة الوجود وصفاته، وبها السلامة، كما أن بتركها العطب والغواية.

وإنما لم يحصَ عدد صفوف الملائكة لأن السلسلة الطولية لا تنتهي عدداً وإن انتهت رتبةً، ولمّا كان كل طبقة منهم فيها لا [يتعداها][2]، وليسوا بأهل داعين، فلا تقع منهم معصية، فإذن هم مقرّون بالولاية.

* * *

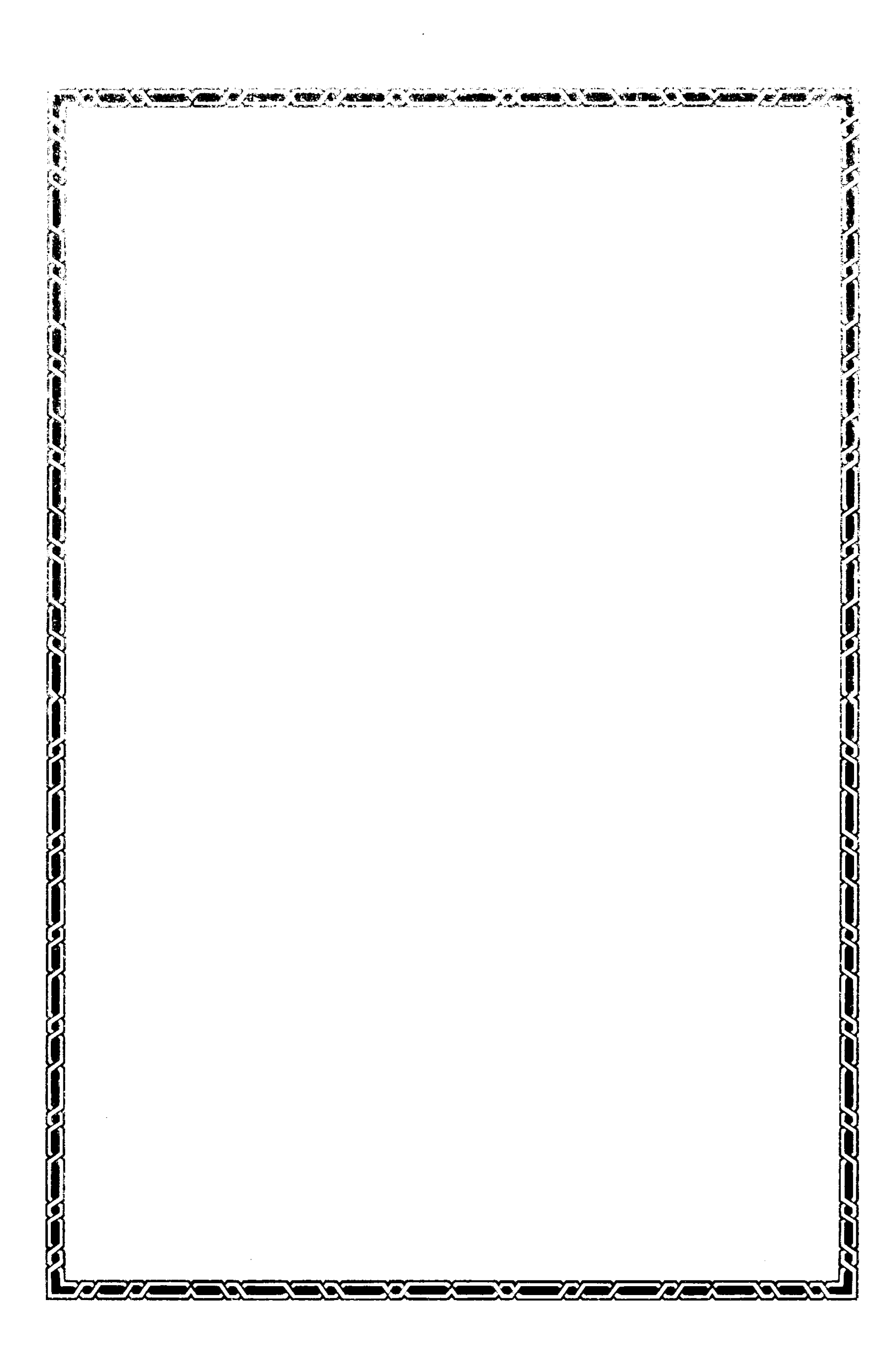
(١) «بصائر الدرجات» ص ٧٢، ح ١؛ «بحار الأنوار» ج ٢٧، ص ١، باب أن أسماءهم عليهم السلام مكتوبة على العرش والكرسي...

(٢) في الأصل: «يعداها».



الباب العاشر بعد المائة

في معرفتهم أولياءهم
والتفويض إليهم



أضواء حول الباب

أقول أحاديث الباب ثلاثة، وحديث مرسل، وقد سبق الكلام علىٰ التفويض ومعانيه وبيان المعنىٰ الثابت لهم عليهم السلام، بما لا يلزم نقص في الجانب القدسي ولا الجهة المحمدية، فراجع ما مرّ في الجزء السابق[1] وما قبله.

والمناسب هنا ـ لئلا يكون إحالة علىٰ غائب ـ [أن نقول: [إنّ النصوص مستفيضة علىٰ التفويض لهم[2]، وكذا مستفيضة علىٰ عدم جوازه عليهم[3]، وأن من نسبه إليهم فهو كافر.

والجمع بينها لا بحمل أحاديث التفويض علىٰ أنه في بعض الأحكام الشرعية، والمنع [عن][4] غيرها كالخلق والرزق، كما قيل[5] ـ فإنه باطل لا دليل عليه، بل هو علىٰ خلافها، فإنه لا شريك له، لا في الخلق، ولا في الرزق، ولا في الحياة، ولا الممات، ولا العبادة والأحكام، فهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، في كل شيء، بحسب الذات والصفات، كما تواترت عليه الأدلة، وليس هنا موضع بسطها ـ ولا اطّراح أحاديث

---

(١) انظر «هدي العقول» ج٨، باب التفويض إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وإلىٰ الأئمة عليهم السلام في أمر الدين.

(٢) «الكافي» ج١، ص٢٦٥، باب التفويض..؛ ص٤٤١، ح٥.

(٣) «عيون أخبار الرضا» ج١، ص١٢٤، ح١٧؛ ج٢، ص٢٠٢، ح٣؛ ص٢٠٣، ح٤؛ «الغيبة» للشيخ الطوسي، ص٢٤٦، ح٢١٦.

(٤) في الأصل: «علىٰ».

(٥) «شرح المازندراني» ج٦، ص٤٦، ٤٧.

التفويض، فإنها مستفيضة موافقه للكتاب، ولها وجه صحيح اعتباري، بل حمل الأحاديث النافية لثبوت التفويض لهم بما يوجب العجز لله تعالىٰ أو الإهمال وما فوض لهم فيه، أو تمكينهم وتخليتهم وإراداتهم، بأن رفع يده عنهم، وكله بهذا المعنىٰ باطل منافٍ لما ذكرناه، والأدلة بذلك متواترة.

والمراد بالتفويض الموصوفون به هو بعد الاختبار والاختيار؛ فهم مظهر فعله، ففعلهم به، وهم وعاء مشيئته، فلا يشاؤون إلّا ما شاء الله، كما قالوا في حديث العقل: (بك أُثيب، وبك أُعاقب)[1] وأمثاله كثير، من غير فرق في ذلك في الخلق وغيرها والأحكام.

ومعلوم أن من يثبت لهم التفويض بذلك المعنىٰ أو كما تقوله المعتزلة[2] كافر، فتأمّل ما أشرنا له.

ومضمون هذا الباب مروي في بصائر الأشعري[3] والصفار[4] والبحار[5] و[غيرها][6].

☐ الحديث رقم ﴿١﴾

قوله: ﴿عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنّ رجلاً جاء إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وهو مع أصحابه، فسلّم عليه، ثمّ قال [له]: أنا والله أُحبّك وأتولاك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: كذبت. قال: بلىٰ والله، إني أُحبّك وأتولاك. [فكرّر ثلاثاً]، فقال له أمير المؤمنين: كذبت، ما أنت كما قلت، إنّ الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، ثمّ عرض علينا المحبّ لنا، فوالله ما رأيت روحك فيمن عرض، فأين كنت؟ فسكت الرجل عند ذلك ولم يراجعه.

---

(١) «غوالي اللآلئ» ج ٤، ص ١٠٠، ١٤٢.

(٢) انظر: «شرح المواقف» ج٨، ص١٤٦؛ «شرح المقاصد» ج ٤، ص٢٢٣.

(٣) «مختصر بصائر الدرجات» ص٩٣، ١٦٦.

(٤) «بصائر الدرجات» ص٢٨٨، باب: ٨؛ ص٢٨٩، باب: ٩؛ ص٣٨٣، باب: ٥.

(٥) «بحار الأنوار» ج١٧، ص١ - ١٥؛ ج٢٦، ص١١٧ - ١٣٢.

(٦) في الأصل: «وغيرهما».

وفي رواية أخرىٰ: قال أبو عبد الله عليه السلام: كان في النار ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٢ ﴾

قوله: ﴿عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق ﴾.

❑ الحديث رقم ﴿ ٣ ﴾

قوله: ﴿عن عبد الله بن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن الإمام فوّض الله إليه كما فوّض إلىٰ سليمان بن داود عليه السلام؟ فقال: نعم. وذلك أنّ رجلاً سأله عن مسألة فأجابه فيها، وسأله آخرُ عن تلك المسألة فأجابه بغير جواب الأول، ثمّ سأله آخرُ فأجابه بغير جواب الأولَين، ثمّ قال: ﴿ هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أوْ ﴾ أعط ﴿ بِغَيرِ حِسابٍ ﴾[1]، وهكذا هي في قراءة علي عليه السلام.

قال: قلت: أصلحك الله، فحين أجابهم بهذا الجواب يعرفهم الإمام؟ قال: سبحان الله! أما تسمع الله يقول: ﴿ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ وهم الأئمة عليهم السلام ﴿ وَإنَّها لَبِسَبيلٍ مُقِيمٍ ﴾[2] لا يخرج منها أبداً. ثمّ قال لي: نعم، إنّ الإمام إذا أبصر إلىٰ الرجل عرفه وعرف لونه، وإن سمع كلامه من خلف حائط عرفه وعرف ماهو، إنّ الله يقول: ﴿وَمِن آياتِهِ خَلْقُ السَّمٰواتِ والأرْضِ واخْتِلافُ ألْسِنَتِكُمْ وألْوانِكُمْ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لِلعالِمِينَ ﴾[3]، وهم العلماء، فليس يسمع شيئاً من الأمر ينطق به إلّا عرفه ناج أو هالك، فلذلك يجيبهم بالذي يجيبهم ﴾.

---

(١) «ص» الآية: ٣٩.
(٢) «الحجر» الآية: ٧٥، ٧٦.
(٣) «الروم» الآية: ٢٢.

أقول: لمّا كان الإمام ينظر بنور الله، وهو به التوسم، وهو فيهم لا يرتفع، فيعرفون حقيقة كلٍّ بها، مع أنّ الخلق من فاضل شعاعهم، أو من فاضل فاضلهم، وهكذا، أو من عكوس أظلال آثارهم، وهكذا في قبضة الشمال.

ومعلوم أنّ الشمس لا تعدم ضوءها، كيف وقيامه بفعلها، وإمدادها لها به، ولفعله به له، فلا يخفىٰ عليها شيء من أشعتها، بل محيطة بها في مقاماتها بها لها، كلٌّ في مرتبته. فلذلك يعرفون كلّاً بحقيقته الوجودية وصفته الظهورية، علىٰ أنهم الآخذون للعهد من الكل لهم، فأبىٰ من أبىٰ، وقبل من قبل، ولا يشذ عنهم منهما فرد.

وذلك يوجب أنّهم عليهم السلام يخاطبون كلّاً ويجيبونه بما يناسبه، ووجب من ذلك أنه يختلف الجواب، وأنّ سبب اختلافه ليس بمنحصر في التقية، كما قيل في القول الحادث، وهذا الحديث صريح في عدم الحصر في سببها، وغيره كثير. نعم، هي من أسباب الاختلاف أيضاً.

ثمّ لا يتوهم من قوله عليه السلام: فوّض إليهم كما فوّض إلىٰ سليمان[1] ـ وكذا ما سبق من حكمهم كحكم آل داود[2]، ومثل: (صلّ علىٰ محمد وآل محمد، كما صلّيت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم)[3]، وأمثال ذلك ـ أنّ غيرهم أقوىٰ منهم في ذلك أو مساوٍ، فإنه مخالف لمتواتر النص والبرهان والكتاب، ولا يجب أن يكون المشبّه به أقوىٰ من المشبّه، كما بيّن في موضعه، وإن سلّم أغلبيته، كقوله تعالىٰ: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ الآية[4]، بل المقصود أنهم عليهم السلام مفوّض لهم كما فوّض لسليمان، وتبقىٰ لهم الزيادة، فما لغيرهم لهم وزيادة، ولبيان أنه سنّة الله الجارية، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً، وتمامها وكمالها في دولتهم وبهم، أو لبيان أنهم كما حكموا به زمن داود وسليمان، فإنهم مقدمات لهم، فهم نوابهم، فكذا هنا. وسنبسط هذه المسألة في رسالة مفردة في الصلاة علىٰ محمد وآله.

فنظره للأمر ليس مقصوراً علىٰ ظاهره، ولهم القدرة علىٰ [تنويع][5] المسألة وإظهار العلم في قوالب متعددة، لاطلاعه علىٰ العقول، فيخاطب كلّاً بما يناسبه ويطيقه، لأنه

---

(١) معنىٰ قوله عليه السلام في الحديث الثالث: (نعم).

(٢) انظر: الباب السابق في هذا المجلد: في الأئمة عليهم السلام أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود....

(٣) «أمالي الشيخ الصدوق» ص٤٢٦، ح١. (٤) «النور» الآية: ٣٥.

(٥) في الأصل: «تنوع».

حكيم هادٍ، ولاختلاف الأزمان والأوقات ومصالح كل فرد، ولحضور تقية أو زوالها. فصحّ لهم ووجب أن يختلف الجواب منهم.

وعن أحدهم عليهم السلام: (أنا خالفت بينهم)[١]، مجيباً به لمن [سأله][٢] عن اختلاف أصحابه، فتأمّل.

ووجب لهم أيضاً، وأن يعلموا ماتجنّه النفوس، وبجميع المواليد، وقد سبق جميع ذلك متفرقاً مبرهناً. وأمّا خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام فسبق بيانه مع النص المصرّح به.

ولا ينافي تفسير آية التوسم بذلك [ورود][٣] تفسيرها بحسب الظاهر بما يشمل التوسم الظاهر في الكل، إذ لكل باطن ظاهر، ولهم عليهم السلام فضل نوري في الوجود وصفاته، ظاهر في فاضل طينتهم في كلٍّ بحسبه. وفي القرآن كثير من بطونه بطن الظاهر والباطن وغيرهما، فتأمّل.

وسيأتي الكلام في المجلدات اللاحقة علىٰ معنىٰ التفويض الثابت لهم والمستحيل، وبه يرتفع التنافي بين الروايات إن شاء الله.

وغير خفي أنا طوينا الكلام في هذه الأبواب السابقة في الآي وأحاديث الطينة وغيرها؛ بسبب ضيق الوقت وعدم الفرصة، فإن أمكنت في جزء الإيمان والكفر بسطنا الكلام عليها إن شاء الله تعالىٰ. والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله الطاهرين.

تمَّ المجلّد الثالث عشر[٤]، ويتلوه ـ إن شاء الله ـ المجلّد الرابع عشر.

* * *

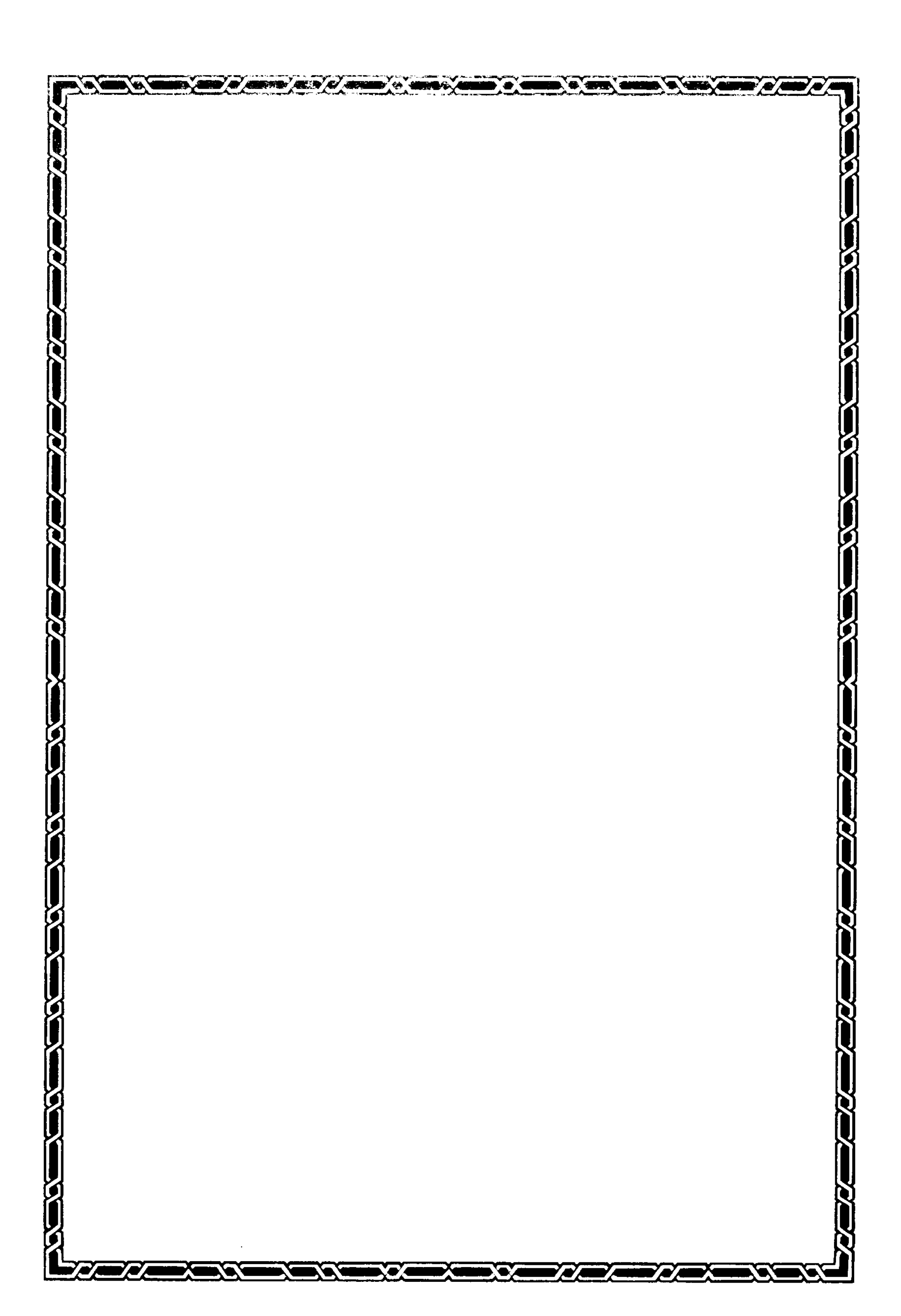
---

(١) «عدة الأُصول» ج ١، ص ١٣٠، عن الصادق عليه السلام.

(٢) في الأصل: «سألهم».

(٣) في الأصل: «وورد».

(٤) وهو المجلد التاسع حسب ترتيبنا.





الباب السادس والسبعون
الإشارة والنص إلىٰ صاحب الدار عليه السلام
وأحاديثه ستة

الباب السابع والسبعون
في تسمية من رآه عليه السلام
وأحاديثه خمسة عشر

الباب الثامن والسبعون
في النهي عن الاسم
وأحاديثه أربعة

الباب التاسع والسبعون
نادر في حال الغيبة
وأحاديثه ثلاثة

الباب الثمانون
في الغيبة
وأحاديثه واحد وثلاثون

الباب الحادي والثمانون
ما يفصل بين دعوىٰ المُحقّ والمبطل في أمر الإمامة
وأحاديثه تسعة عشر

الباب الثاني والثمانون
كراهية التوقيت
وأحاديثه سبعة

الباب الثالث والثمانون
التمحيص والإمتحان
وأحاديثه ستة

الباب الرابع والثمانون
أنّه مَن عرف إمامه لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخّر
وأحاديثه سبعة

الباب الخامس والثمانون
من ادّعىٰ الإمامة وليس لها بأهل
وأحاديثه اثنا عشر

الباب السادس والثمانون
فيمن دان الله عزّ وجلّ بغير إمام من الله جلّ جلاله
وأحاديثه خمسة

الباب السابع والثمانون
من مات وليس له إمام من أئمة الهدىٰ
وأحاديثه أربعة

الباب الثامن والثمانون
فيمن عرف الحق من أهل البيت ومن أنكر
وأحاديثه أربعة

الباب التاسع والثمانون
ما يجب على الناس عندي مضي الإمام
وأحاديثه ثلاثة

الباب التسعون
في أنّ الإمام متىٰ يعلم أن الأمر قد صار إليه
وأحاديثه ستة

الباب الحادي التسعون
حالات الأئمة عليهم السلام في السن
وأحاديثه ثمانية

الباب الثاني والتسعون
أنّ الإمام لا يغسّله إلّا إمام من الأئمة عليهم السلام
وأحاديثه ثلاثة

الباب الثالث والتسعون
مواليد الأئمة عليهم السلام
وأحاديثه ثمانية

الباب الرابع والتسعون
خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام
وأحاديثه أربعة

الباب الخامس والتسعون
التسليم وفضل المسلّمين
وأحاديثه ثمانية

الباب السادس والتسعون
أنّ الواجب علىٰ الناس بعدما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام فيسألونه
وأحاديثه ثلاثة

الباب السابع والتسعون
أن الأئمة عليهم السلام تدخل الملائكة بيوتهم
وأحاديثه أربعة

الباب الثامن والتسعون
أن الجن يأتيهم فيسألونهم عن معالم دينهم
وأحاديثه سبعة

الباب التاسع والتسعون
في الأئمة عليهم السلام أنّهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود
وأحاديثه خمسة

الباب المائة
أنّ مستقىٰ العلم من بيت آل محمد عليهم السلام
وأحاديثه اثنان

الباب الحادي بعد المائة
أنّه ليس شيء من الحق في يد الناس إلّا ما خرج من عند الأئمة عليهم السلام
وأحاديثه ستة

الباب الثاني بعد المائة
فيما جاء أنّ حديثهم صعب مستصعب
وأحاديثه خمسة

الباب الثالث بعد المائة
ما أمر النبي صلى الله عليه وآله بالنصيحة لأئمة المسلمين
وأحاديثه خمسة

الباب الرابع بعد المائة
ما يجب من حق الإمام علىٰ الرعية
وأحاديث تسعة

الباب الخامس بعد المائة
أنّ الأرض كلّها للإمام عليه السلام
وأحاديثه تسعة

الباب السادس بعد المائة
سيرة الإمام في نفسه وفي المطعم والملبس إذا ولي الأمر
وأحاديثه أربعة

الباب السابع بعد المائة
نـادر
وفيه أربعة أحاديث متفرقة

الباب الثامن بعد المائة
فيه نُكت ونُتف من التنزيل في الولاية
وأحاديثه اثنان وتسعون

الباب التاسع بعد المائة
فيه نُتف وجوامع من الرواية في الولاية
وأحاديثه تسعة

الباب العاشر بعد المائة
في معرفتهم أولياءهم والتفويض إليهم
وأحاديثه ثلاثة

● ● ●